

بوتها الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يدركه إلا أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبهون أحسنه
أولئك الذين هدى الله فبأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و« منارا » كثر الطريق)

(مصر — الثلاثاء، غرة المحرم سنة ١٣٢٣ — ٧ مارس (آذار) سنة ١٩٠٥)

﴿ فاتحة السنة الثامنة ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ،
إليه يصعد الحكم الطيب والعمل الصالح برفعه والذين يمكرون السيئات
لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ، والصلاة والسلام على روح
الإصلاح وإمام المصلحين ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، « لينذر من
كان حيا ويحق القول على الكافرين » ، « يأيها الذين آمنوا استجبوا لله
والرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه
وأنه إليه تمحرون ، واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا
أن الله شديد العقاب ، واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض

تخافون أن يخذلكنم الناس فأواكم وأيدكنم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكن تشكرون »

تلك آيات من الكتاب المبين ، يذكر بها المنار قراءه على رأس ثمان سنين ، ليتذكروا أن في الكون ظلمة ونورا ، وكلما شئنا وكلما ماثورا ، وعملا سيئا وعملا مبرورا ، وأن للأمم حياة وموت ، وأن في الناس مكرا وفتنا ، وأن للحياة دعوة يخاطب بها الأحياء ، وأن لها فتنة من قبل الكبراء والرؤساء ، وأن العاقبة للمتقين ، وإن كانوا مستضعفين ، « أو من كان ميتا فأحييناه وجمالنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ؛ كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون » وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يعمرون إلا بأنفسهم وما يشعرون »

ليتذكروا أن من يدعو إلى الحياة فهو يدعو إلى الاستقلال والمساواة ، ومن يدعو إلى الحق فهو مقاوم للباطل ، وإن أبغض الأشياء إلى الرؤساء المستبدن استقلال الفكر ، والتساوي بين الناس في الحقوق ، وأبغض الناس إلى الكبراء المترفين من يدعو إلى نصرته الحق ومقاومة الباطل ، وإلى جعل التفاضل بين الناس بالأعمال والفضائل ، فالسادات المالوف والكبراء المستكبرون ، أعداء المصلحين في كل زمان ، وخصماء الحق والفضيلة في كل مكان ، غرورا بالقوة وطنيانا بأنفسنا « استكبارا في الأرض ومكر السيي » ولا يحيق المكر السيي إلا بأهله ، فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن نجد لسنة الله تبديلا ولن نجد لسنة الله تحويلا أولم يسيرا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات والأرض إنه كان علما قديرا ،

ليذكروا بهذه الآيات كلها أن الله تعالى بين للناس أن له سناً في حياة الأئمة وموتها لا بد لهم فيها بالتفصيل من الرجوع إلى التاريخ الذي يبين مصداق آياته في الغابرين، ومن السير في الأرض لمعرفة تأويلها في الأولين والآخريين، وقد نطقت سير البشر بتصديق قوله تعالى « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وأنه ما وقع تفسير إلا بدعوة وأن دعاء الخير والاصلاح في كل أمة كانوا محموتين من أصحاب السلطة، ومضطهدين من رؤساء الأمة أولئك الذين حبس خيارهم مثل الامام أبي حنيفة حتى مات في السجن، وجلدوا الامام مالكا والزموه بيته حتى ترك الجمعة والجماعة، واضطروا الامام الشافعي إلى الفرار من بغداد خوفاً على دينه أو نفسه، ووطئوا الامام أحمد بالتمال، وما زالوا من تلك العصور يفتنون أهل العلم والتقوى، حتى تم لهم بطول الزمان إفساد الدين والدنيا، « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون » ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، وإذا تذكروا أن انتقال الامم من حال إلى حال لا يكون من الرؤساء المترفين، ولا يأتي باختيار الأشرار والباطنين، وإنما يكون بتغير أفراد الأمة ما بأنفسهم من الأفكار والمقائد والاخلاق والسجايا - وتذكروا أن المسلمين غيروا ما كان بأنفسهم في أول نشأتهم بالتدريج فغير الله ما كان بهم من عزة العلم والقوة، وسيادة العدل والفضيلة، ولن يغير ما هم الآن فيه، إلا بعد الرجوع إلى ما كانوا عليه، وشرطه قلع جراثيم التقليد، واجتثاث شجرة التعصب للمذاهب، وإساسة جمع كلمة الأمة، وتحقيق معنى الوحدة، - فأننا أدعوهم إلى الاصلاح الديني قبل كل شيء - لانه يتوقف عليه كل شيء - فانه لا يصلح آخر هذه الأمة الا ما صلح به أولها كما قال الامام مالك بن

أنس رحمه الله تعالى ، صلح أول هذه الامة بهدي كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهداهم ذلك الى كل إصلاح صوري وممنوي « أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين * أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون »

أدعواهم الى هذا الإصلاح بهذه المجلة وأدعواهم الى الدعوة إليها وإلى ما تدعو إليه ما أصابت ، وإلى بيان خطأها فيها إذا رأوها أخطأت أدعواهم الى قطع الآمال من السياسة والسياسيين ، وإلى ترك الغرور بالرزاء والحاكين ، وعدم السماع لا تباعهم ، والانخداع لانصارهم وأشباعهم ، لئلا يصرفوكم عن الجهد بإصلاح النفس ، إلى الهدل بإرضاء الحس ، فانهم طلاب مال وجاه ، طلاب رتبة ووسام ، أصحاب أوهام ، وشقة السنة واقلام ، « ولو نشاء لا ريناكم بل عرفتمهم بسيماهم » ولتعرفتمهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ،

أدعواهم الى الدعوة ممي الى حقيقة الاسلام والتأليف بين المسلمين ، في بلادا يبيع فيها القول للقائلين ، وسهل فيها النشر على الكاتبين ، وأطلقت فيها حرية العلم والدين ، فصرح فيها الملحد بإلحاده ، وجاهر فيها الفاسق بنفسه ، ودعا فيها الكافر الى كفره ، ونشرت فيها الكتب والجرائد تطعن في القرآن ، وتشنع على شريعة الاسلام ، ولم توجد فيها صحيفة إسلامية ترد شبهات الطاعنين ، وتؤيد المقائيد بالحجج والبراهين ، وتبين حكم الاحكام ، وانطباقها على مصالح البشر في كل زمان ومكان ، وتأمر بالعرف والبر ، وتنبه عن البدعة والنكر ، حتى اذا أنشئ المنار وقام بهذه الفرائض نقم منه بعض المسلمين في بلاد الحرية ، وانتقم بعضهم من عشيرته في بلاد العبودية ، نقم منه المتجرون بالدين ، ومقلدة المبتدعين و « الذين يخاطبون الدين

بغيره ، ويظنون أو يزعمون أنهم أئمة أهله ، (*) هاج عليه أهل المذاهب المتعصبون ، لأنه يقول ان الوهابية السلفية والأشاعرة والماتريدية والشيعة والاباضية كلهم مسلمون ، وانه يجب عليهم تحكيم الكتاب والسنة فيأهم فيه يختلفون ، « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » إنما أمرهم الى الله ثم يذبهم بما كانوا يفعلون »

دعوت الى هذا منذ بضع سنين ، وسأدعوا اليه ان شاء الله حتى يأتيني اليقين ، وقد عارض الدعوة قوم أكثرهم معذورا بالجهل ، ثم استهدفت بعد

(*) هذه العبارة لجريدة المؤيد من تقريرها للمنار وقد رأينا أن تنشر ذلك التقرير هنا لانه في معنى هذه الفاتحة وقد نشر في العدد ٣٦٣٧١ من المؤيد الاغر الصادر في ١٩ المحرم سنة ١٣٧٠ ونصه : « صدر العدد الأول للسنة الخامسة من مجلة « المنار » الغراء وهي المجلة العلمية الدينية التهذيبية الاسلامية الوحيدة في القطر المصري لحضرة صاحبها السيد محمد رشيد رضا الطرابلسي » وقد قضى حضرته اربع سنوات يصدر هذه المجلة مثابرا على الخدمة المليية الصحيحة ، محاربا البدع المضللة ، بالحكم المدللة ، والهوى بالعقل ، والاورهام الفاشيات على الأفهام ، بالآيات الينيات من الكلام ، بعمل الاصلاح الديني جهدا مستطيع ، وهو الحق يقال مستطيع فيما يجهد به نفسه ، يبارز المبتدعين غير هباب ، ويصمد في اتجاهه غالبا على الحق الغالب من مفاهيم السنة والكتاب ، ولذلك كان كلامه صرا على اذواق الذين يخطئون الدين بغيره ، ويظنون او يزعمون أنهم أئمة أهله ، يشدد كلما اعتقد الحق في جانبه وفي اعتقادنا انه لو كان أخف اسلوبا في الوطأة ، وألين جانبا في المقال ، من حيث لا يجيد يمنة أو يسرة عن خطئه الحالية ولا يضيع شيئا من غرضه الذي يسعى اليه لكان « المنار » اضعاف ما هو اليوم انتشارا واكثر فائدة ، واعم عائدة ، وكل مسلم يشعر بحاجة الاصلاح الديني للأمة المحمدية يتمنى من صميم فؤاده أن يكون لكل قطر من الاقطار الاسلامية منار مثل هذا « المنار » ، له من الانتشار اضعاف ما لهذا من الظهور والانتشار ، وفق الله صاحبه الفاضل دائما الى طريق السداد ، وأنجح عمله دائما بالتوفيق والرشاد ، آمين ، اه

التكن والانتشار لتضال قوم أضلهم الله على علم ، يخذلون الحق لأنهم على باطل ، وينفرون من الهداية لأنهم على ضلالة ، وانك لتراهم من وراء الجدار ، وتستشفهم من خال السجوف والامستار ، يكيدون ويأتمرون ، ويوسوسون ويهمسون ، ويستفتون ويفتون ، « والله يعلم ما يسرون وما يعلنون » على انهم هم الذين يفشون أسرارهم ، ويكشفون عوارهم ، فهم كمن نزل فيهم « لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب اليم » - استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون »

لماذا لا يمارضون المترضين على دينهم ؟ لماذا لا يناهضون الطاعنين في كتابهم ؟ لماذا لا يعادون العادين على حقيقتهم ؟ لماذا لا يخرجون الخارجين على أمتهم ؟ لماذا لا يفتنون القانتين لمامتهم ؟ لماذا لا يهاجمون المهجمين على خاصتهم ؟ لماذا خفت عليهم دعوة كل ملة ؟ وثقلت عليهم الدعوة الى الكتاب والسنة ؟ ماذا الا ان قوة الحق ترهب المبطلين ، ونور الرشاد يمشي أبصار الغاوين ، وأما الباطل فانه يمد يده بعضه بعضا وان اختلفت ألوانه ، وتسميت أفئاته ، المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالنكرو وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فأنسىهم ان المنافقين هم الفاسقون »

انما يفر هؤلاء وأمثالهم تلك الكلمة المشهورة « القوة تطلب الحق » وهي كلمة لا تصدق على الإطلاق ، وليس هذا موضع بيان ما فيها من الاجمال ، وإنما نقول ليست القوة محصورة في المال والجاه ، ولا في السلطة والحكم ، ولا بكثرة الاعوان والانصار فان في العالم قوى حسية وقوى معنوية ، كقوة

الاعتقاد وقوة الشعور وقوة العلم وقوة الاتحاد وقوة العدل وقوة الفضيلة وقوة الحاجة وقوة الحق . فكم من ملك كبير ، يتضادل امام صعلوك فقير ، لانه يشعر بضئف الرذيلة امام الفضيلة وبذل الباطل تجاه الحق ، وهذا فيصر روسيا الملك المستبد القاهر قد أصبح كالمسجون في قصره على ماله من السلطة السياسية والدينية ، وقد مرق عمه كل مرق ثم مرق صورته هو إشارة الى نية الايقاع به ، أنسو التاريخ وما فيه من السير ، التي هي منابع العبر ، كلا إن الباطل لا يقف أمام الحق اذا وجد الحق ناصرا وصادف الناصر حرية « بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون »

ان للحقائق رجالا كما ان للاوهام رجالا ، ان للدين أنصارا كما ان للعنينا أنصارا ، إن الدين من حاجات البشر الطبيعية ، وقوة من أعظم قواهم المعنوية ، ان الضميف في الدين لا يستطيع الزعامة فيه ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، ان الأحرار يميلون للشيء بقدر إحساسهم بالحاجة اليه ، وعلى حسب اعتقادهم بالفائدة منه ، ان الاعتقاد في الامة قوة لا تقاب ، والاحساس الوجداني فيها ثروة لا تنفد ، ان لوم الحبين مدعاة الاغراء ، ومقاومة المعتقدين داعية التمكن والثبات ، ان المخلص في عمله يفيد ظهور خطاه كما يفيد ظهور صوابه ، لان كلامهما يزيد يقينا فيما يرغب فيه عنه ، ان الله تعالى وعد بنصر من ينصر الدين ، وجعل المابقة للمتقين ، « لينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز - الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأحسروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور »

يقولون إن الاحساس بالحاجة الى الاصلاح الديني ضعيف ، وإن عدد المعتقدين بوجوب اتباع السلف قليل ، وان الدعوة هنا الى الرابطة

المالية ، معارضة بالدعوة الى الوطنية ، : ونقول ان كل إصلاح في الكون بدأ بضعف وانتهى بقوة زلزلت جميع الممارضين و «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين» وما يلقو به أحداث العصر ، من وجوب مقاومة من يهاجر الى مصر ، فهو مخالف لسنة الكون في الامم الحية وتعموز نجاحه القدرة على جميع العناصر الاجنبية ، وأما دعوتنا هذه الاسلامية ، فهي هي التي تأتي بالنهضة الوطنية ، لانها تهدم التقاليد التي فرقت بين الناس ، وألقت الدداوة والبغضاء بين أهل المال والمذاهب والاجناس ، فكما تذكر المسلمين بقوله تعالى « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » تذكرهم أيضا بقوله في المخالفين « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين »

وجملة القول ان دعوتنا هذه دعوة عامة معروضة في صحيفتنا كما يعرض غيرها من الدعوات السياسية والأدبية وفي اعتقادنا أنها خير دعوة أقيمت للناس وإن من أسسها البعد عن مشاركات الخلاف والشقاق ، ونشهد الله تعالى أنه ليس في قلبنا حرج على أحد من الناس وقد صنفنا عن ظلمنا ، وعفونا عن اعتدي علينا « ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام » واتنا نحمد الله ونشكره أن أعطانا فوق ما كنا نرجو ، ثم نشكر أصحاب القلوب الطاهرة والأفكار النيرة الذين تنشر بهم الدعوة وتنمو ، « نبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب »

منتقى النثر ومحرره
محمد رشيد رضا

فتاوى المفتين

فتننا بهذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماعاً قدمنا آخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورماعاً أيضاً غير مشترك لئلا هذا. ولما عني على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر مرة واحدة فان لم تذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

﴿ فطرة الاسلام وحديث الولادة عليها ﴾

(س ١) سليمان عبدالله في (السويس) وهو رجل غريب كتب اليانا بان عنده شبهات في الدين يحجب كشفها وانه يبدأ بالسؤال الآتي عميذا لها وهو :

الحديث المشهور (ما من مولود الا يولد على الفطرة الاسلامية او فطرة اسلام وانما أبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه) أصبح هو وما هي الفطرة الاسلامية ؟ أمسا ما يولد المولود ؟ أي عرف الأركان الاسلامية بالطبع والفطرة ام يعرف الله والتي محمدا فقط حاشا الأركان الأخرى ؟ فبالاجمال ما عني هذا الحديث الشريف ؟

(ج) أما الحديث فصحيح أخرجه البخاري من حديث ابن شهاب عن أبي هريرة وهو لم يدرك أباه ريرة قال حديث عنده منقطع بانفشاء كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنج البيهية بهيمة جماعه هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ورواه مسلم والترمذي وصححه وفيه « يشركانه » بدل يمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث ما جاء في قوله تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (سورة الروم ٣٠) وقد قرأ أبو هريرة الآية بعد الحديث وأشار البخاري الى أنه أخرجهما للبيان وتقديم لنا تفسير الآية في التار وقول هنا ما لا بد منه لأن السائل لم يطلع على التار الا قليلا

اقا نرى جميع اهل الملل حتى الكتائبيين يعتقدون ان الدين شرع لمقاومة مقتضى الحلقة وان اموله فوق قضايا العقول وأحكامه وراء مدى الافهام وان الترض منه تعذيب النفس وحرمانها من نعيم الحياة وانه لاحق لصاحب الدين في طلب الدليل على عقائده ولا في السؤال عن حكمة عباداته ولا في تطبيق أحكامه على مصالح الأمة

وخير البشر بل عليه أن يسلم بكل ما يرويه له الرؤساء ويقلدهم تقليداً أعمى
ثم انهم يعتقدون ان الدين رابطة جنسية لأهله عند الله تعالى من الحقوق مثل
مال أهل الاجناس في عرف السياسة وقوانينها اي ان اليهودي مثلاً يمتدنان الله اصطفاً
كل يهودي وميزه على العالمين لانه يهودي فهو اذا اذنب يغفر الله عنه بفضله او بشفاعة
أحد سلفه الصالحين واذا عذبه فأعما يمتدبه أياماً معدودات ، وان غير اليهودي لا قيمة
له عند الله تعالى اذا أحسن لا يقبل احسانه واذا أساء يتضاعف عذابه . كما ان أهل
السياسة يحزبون الامة التي تضمها جنسية الدولة ويخصها قانونها بحقوق لا تكون لغيرها
فلا يحزبون محاربة طائفة منها ولا تدمير بلد من بلادها وان كانوا أجهل الناس واعرقهم
في الرذائل ويستبيحون محاربة قوم آمنين مهذبين وإذلال كبرائهم وإهانة عظمائهم واستعباد
دهمائهم وان افضى ذلك الى التخريب والتدمير . وسرت عدوى هذه العقيدة وما قبلها

الى المسلمين فلا يكاد يسلم منها الا الواقف على اسرار القرآن ودقائق السنة
أما القرآن فقد أتى على أمثال هذه القواعد التقليدية ففسفها نسفاً وبين للناس
أن الدين مع الفطرة في قرن ارتقاؤه هو ارتقاء الفطرة وضعفه هو ضعف الفطرة
وفساده هو فساد الفطرة فمقائده وضمت لترقية العقل وآدابه وعبادته لترقية النفس
وأحكامه وشرائعه لترقية حال الاجتماع والتعامل بين الناس ولذلك جعل الملم بالملم بالمالم
علويه وسفليه والبحث عن حكمه ونظامه واسرار وفوائده هو الأساس الذي يقوم
عليه بناء التوحيد ومعرفة الله ، وذكر عند طلب كل عبادة بيان فائدتها في تقوي الله
تعالى وتهذيب النفس وتخليتها بالاخلاق العالية كما بين عند ذكر كل خلق وأدب وحكم
فائدته ومنفعته . وبين ان العقوبة على الكفر والرذائل والأعمال القبيحة هي علة
تأثيرها الأثر السيئ في النفس كما ان الثوبة الحسنة أثر المعارف الصحيحة والأعمال
الصالحة في النفس . والآيات المؤيدة لجميع ما قلناه كثيرة جداً وقد فسرنا في مجلدات
الثمار الماضية العشرات منها في الأصول العامة والفروع الجزئية واعادته هنا تطويل
لا محل له فاذا استقبل السائل أو خلا فليسال عن الشواهد يجب . وفي باب التفسير من
هذا الجزء نبي من ذلك

ولم يجعل اسم الاسلام اسم جنس لطائفة من الطوائف بل سمي أهل الحق

مسلمين كما سماهم مؤمنين وخلفاء ومخلصين لأن معاني هذه الالفاظ قائمة بهم وجعل
مصدر السعادة على ما يتحقق به معنى الاسم على قبول التسمي والرضى باللفظ
والعيشة مع أصحابه ولذلك قال في بعض المسلمين «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا أسلمنا» وقال «ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب» الآيات وقال ما رأيت
تفسيره في هذا الجزء.

فصل مما تقدم أن معنى كون دين الاسلام دين الفطرة هو أنه موافق لسنة
الله تعالى في الخلقة الانسانية لانه يسطي القوى الجسدية حقوقها والقوى الروحانية
حقوقها ويسير مع هذه القوى على طريق الاعتدال حتى تبلغ كمالها . ومعنى ولادة
كل مولود على هذه الفطرة هو أنه يولد مستعدا للارتقاء بالاسلام الذي يسير به على
سنة فطرته التي خلقه الله عليها بما يبين له أن كل عمل نفسي أو بدني يصدر عنه
يكون له أثر في نفسه وان ما ينطبع في نفسه من ذلك يكون عادة أو شئنا
في الدنيا والآخرة . فاذا فهم هذا وأدركه يظهر له أنه سنة الفطرة وناموس الطبيعة
واذا كان له أبوان (وفي منها من يقوم مقامها في تربيته وتعليمه) على غير الاسلام
يطلبان في نفسه التقاليد التي تحيد به عن صراط الفطرة فالنصرانيان ينشئان ولدهما على
التسليم بأن البشر خالقوا كلهم أشراراً فجاراً بمقتضى الفطرة وأن نجاتهم وسعادتهم
انما تكون بالاعتراف بشي واحد يجب القول به والاعتماد عليه وأن لم يعقل وهو
أن واجب الوجود الذي كان منه كل شيء ويده ملكوت كل شيء قد اعتنى بأمرهم
وأعياهم خلاص أرواحهم بغير ما أنقذه منذ من قريب لا يبلغ ألفي سنة وهو أن حل في بطن
امراة منهم واتحد فيه بجنين فصار إلهاً أو إنساناً ثم خرج من حيث يخرج الطفل ونشأ فيهم
ياكل مما يأكلون منه ويشرب مما يشربون ، ويألم مما يألمون له ويتم بما يتمون ،
ثم مكن شرارهم من صلبه فصلبوه وهو يصيح ويستغيث فلا يفت ثم قبروا لمن
ودخل الجحيم وخرج منها لأجل الرحمة بهم وأنجاهم ومع ذلك كله لم تكن طريقته
هذه كاذبة بمحوم رحمة بهم وانما كانت خاصة بطائفة منهم وهم الذين استطاعوا أن
يبدلوا فطرتهم ويسلموا بهذا القول تسليماً

فهذا پاسيدي معنى كون دين الاسلام دين الفطرة وهذا هو الفرق بينه وبين

أديان التقليد وليس معناه أن المولود يولد عالماً بالشريعة فإن هذا ليس من الفطرة في شيء وفسر كثير من العلماء الفطرة بالاستعداد للخير والشر والحق والباطل ورواية مسلم هكذا: كل مولود فطرته فإبواه يمجسانه أو ينصرانه أو يمجسانه فإن كانا مسلمين فمسلم ، وهو الذي جرت عليه في كتابنا (الحكمة الشرعية) ولا تنافي الا انها من مخرجات موافقة الاسلام لفطرة والله أعلم

﴿ اختلاف المذاهب في الأحكام . وشهادة أوربي للإسلام ﴾

(ص ٢) ح . ح في الحيل الأسود :

فتبين لكم هذا مشغول بالتجارة وقبل عيد الاضحى خرجت في أوروبا لاجل التجارة فاجتمعت يوماً بأحد الأوربيين فقال ان أكل الأديان وأهلها دين الاسلام لكن الذي كان عليه محمد (ص) وأصحابه (رض) فقلت ونحن الحمد لله على دينهم وعلى سبيلهم . فقال نعم ولكن منكم الحنفية ومنكم الشافعية وغير ذلك فكل واحد من هؤلاء مخالف لصاحبه في الاعمال والاحكام الدينية فعند الحنفية اذا جرى دم أحدهم يتقضى وضوءه وعند الشافعية لا ، واذا مس المرأة أحد الشافعية يتقضى وضوءه وعند الحنفية لا . فهل كان النبي يفعل كما يفعل الحنفية أم كما يفعل الشافعية .. فبقيت لا أقدر على رد جوابه فان أحسنت بالجواب ، فلكم من الله الثواب

(ج) انه لا خلاف بين أئمة الاحكام في شيء من أصول الدين وأحكامه التي لا يخفى الاسلام بدونها وانما اختلفوا في مسائل فرعية للاجتهاد والرأي فيها مجال اذا لم يصح فيها شيء قطعي في الكتاب العزيز والسنة المنوثة المجموع عليها ولذلك كان يمتدح بعضهم بعضاً في اختلاف الرأي فيها ويعد كل عبادة يخالف نه صحيحة ويحلي وراءه كما بيناه غير مرة . ولذلك قلنا في مقالات المصلح والمقلد ان الطريق الى الوحدة الاسلامية هي أن يجعل ما اجمعت عليه جميع المذاهب هو الاصل الذي يؤاخي به بعضها بعضاً وقلنا عن كتاب القسطنطين المستقيم لحجة الاسلام الغزالي ان رأيه ترك المسائل الخلافية والعمل بما اتفقوا عليه . وانك لتجد المتصدين لمسائل الخلاف لا يعملون بجميع مسائل الاجماع والاتفاق ، ولو عملوا بها لا أدوا جميع الفرائض وتآدبوا بأكل الآداب وتركوا جميع الرذائل والمحرمات الضارة بأفرادهم وأمتهم ولكنهم قد أهملوا أوتها ونوافي كل شيء الا في تعصب

كل فريق على الآخر فيما تفرقوا فيه وإذا دعوتهم إلى الوفاق الذي دعا إليه القرآن في آخرهم
قالوا يا لئيمة أنه يريد هدم المذاهب وإفساد الدين .

أما طريقة الوفاق بين من يحبون البحث في هذه الفروع الخلافية ولا يرضون
بالبراءة الأصلية التي قال بها القرآن فالتوفيق بينهم لا يكون إلا بالرجوع إلى السنة الأحادية
والروايات القولية ، ولم يثبت حديث يحتاج به على وجوب الوضوء من خروج الدم بل ورد
خلافه على أن الوضوء منه احتياط لا يضر بل الأولى أن يتوضأ الإنسان لكل صلاة
إذا لم يجد مشقة في ذلك . وأما مسألة لمس المرأة فقها آية (أو لامستم النساء) والأرجح
أن الملامسة فيها كناية عن الوقاع وأما الروايات فهي متعارضة ولكن ما ورد في عدم
التفصيص هو الذي يصح كحديث وضع عائشة يدها على بطن قدم النبي صلى الله عليه وآله
وسلم وهو يصلي رواه مسلم والترمذي وحديث مسها برجله هو عند ما عترضت أمامه
وهو يصلي رواه النسائي وصححه الحافظ ابن حجر والاحتياط لا يخفى لاسيما إذا كان
اللمس بشهوة والله أعلم

﴿ تنف ريش الطائر ﴾

(س ٣) الشيخ محمد خطاب بالأزهر : نرى قوما من صادة السمان في شواطئ البحر
الأيض المتوسط ينفون ريشه قبل ذبحه لأنه لا جلد له بل الريش مفروس في اللحم وفي
هذا من تمذيب الحيوان ما لا يخفى ولو تنف ريشه بعد ذبحه خرج ما فيه من الدم مع
ريشه لا تنفأ حرارته بالذبح وقد عمت هذه البلوى كل أهالي بلادنا فهل يجوز أكله
وهل يسوغ استعمال هذه الطريقة في تطيفه

(ج) لا خلاف في أن تمذيب الحيوان محرم ولكن تنف الطائر حيا لا يقتضي
تحريم أكل المتوف المذكي مذكية شرعية . ولعلمهم لو تنفوا السمان عقب الذبح قبل أن
تبرد حرارته ليسر لهم والأقلهم أن يصبوا على ريشه ماء سخنا من غير مبالغة تؤثر
في بطنه وما يفعلونه من وضع الطيور في الماء المظلي زنا يؤثر تأثير تمازج به رطوبة لتجاسة
اللحم غير ضروري لتسهيل انتف وهو جهل فينبغي تنبيههم له .

﴿ الصيد بالبندق والرصاص ﴾

(س ٤) ومنه : كثيرا ما يصطاد الصيادون الطيور بالرصاص ويسمون وقت الطير ولكن

بعض الصيد ينزل حيا والبعض ميتا وما كان حيا بعضه به حياة مستقرة والبعض ليس به هذه الحياة والصيد يذبح الجميع وربما تواتى بالتذكية عن بعض ما فيه الحياة فلا يدركه الا وقد فارقه فهل يجوز أكل هذا وهل ذكاة فائدة الحياة واجبة ؟ والمصيبة الكبرى أن كثيرا من البيوت بل عايتهم يضمون هذه الطيور وكل انواع الدجاج في ماء مغلي لسهولة تنف الريش قبل استخراجه ما في بطنها وربما أوقدوا نارا تحت هذا الماء وهي فيه فما حرم الله في هذا مما لنا في النار للاسترشاد به شد الله به أوامر الدين

(ج) قد اختلف المشتغلون بالفقه في حل صيد بندق الرصاص بعد وجوده فحرمه بعضهم لانه مثل فهو بمعنى الوقت وأحله آخرون وجعلوه بمعنى الصيد بالسهم وألف ابن حابدين رسالة في حله وكذلك أحد مشايخ الاسلام في تونس . وهو الذي أراه أقوى وقد أباح النبي صلى الله عليه وسلم الصيد بالمرأض وهو عصا في رأسها حديدة أو سهم لا يصل له ولا ريش اذا خرق أي خدش وان أدرك الصيد ميتا والحديث في الصحيحين والرصاص والبندق أشد خرقا وأسرع قتلا وانما حرم الوقت لانه تعذيب (راجع مقالات التذكية والموقوفة في المجلد السادس) ولا حاجة لذبح الصيد الذي يرمى فيدرك ميتا أو يأتي به الكلب ونحوه ميتا بشرطه لان ذلك تذكية له بلا خلاف واذا جاز الصيد بالبندق والرصاص فهو كذلك

﴿ الجبر والقدر ﴾

(س •) ومنه : طالما يخطر في بالي ويتردد في فكري قول القائل

ما حيلة العبد والاقدار جارية عليه في كل حال ايها الراي

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له اياك اياك ان تبدل بالماء

ولا اجد منه مخلصا واقف على مسلك فلجأت لاساحتكم مسترشدا بملككم الله

وكنار كينا للمسلمين

(ج) هذا القائل يخاطب الراي وهو لا يرى قاته اكتفى بما في خياله عما تحت

نظره اذ يرى العبد يحتال وهو يسأل ما حيلته والاقدار هي التي جعلته يحتال ويصل

كما هو مشاهد ومنه ان بعض الناس ألغوا أنفسهم في اليم ومنهم من لم يلقها ولو كانت

الافساد حكمت على كل انسان بان يلقى في اليم مكتوفا لكانوا كلهم سواء وما هم

بسواء . وظاهر انه يريد باللقاء في اليم الحلال الشيعة التي يقع الانسان فيها ولا يجد

له مفرا منها وليس كل الناس كذلك . والمسألة عقدتها كثرة الكلام والتخيلات فيها وهي بديهة لمن فهم معنى الإنسان ، وسنن الا كوان ، ومن شدة الظهور الخفاء ، فان القدر والتقدير والمقدار الواردة في الكتاب والسنة معناها ظاهر وهو ان كل شيء يجري في العالم فهو يجري بسنن ونواميس ومقادير معينة ثابتة . وهذا هو الذي يزيل الحيرة ويهدي الانسان الى سبب النافع واجتناب المضار ولو كانت الاشياء تجري بغير تقدير ولا حساب لكان الانسان الذي خلق عالماً متفكراً في حيرة دائمة لانه لا يعرف طريقاً لشيء من مصالحه . وهذا أسهل حل لمسألة القدر وأقربه وأخصره ومن زاد عليه البحث في كيفية الخلق والتكوين فهو من المجانبين

دراسة باب الفقه في أحكام الدين

(رسالة البدعة * في صلاة الظهر بعد الجمعة)

البحث الثالث في عرض المسئلة على كتاب الله وسنة رسوله

اعلم ان الله عز وجل قد امر بفهم كتابه الكريم والعمل بسنة رسوله ﷺ ولتروى الرحيم ، قال تعالى « انلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفلها » وقال تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » واخبرنا عليه الصلاة والسلام انه ترك لنا شيئين لا نضل اذا تمسكنا بهما ابدا وهما كتاب الله وسنة رسوله وقد امرنا الله بان نمرض ما تنازع فيه الناس واختلفوا على الله ورسوله فقال « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا » وقال أيضاً « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقول سمعنا واطعنا » وقال « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويساءوا تسلياً » فهذه الآيات ونحوها تدل ابلغ دلالة على ان المرجع مع الاختلاف انما هو الى حكم الله ورسوله . وحكم الله كتابه وحكم رسوله بعد ان قبضه الله هو ما سح عنه من الاحاديث ولا يقال ان ما استشهدت به وارد في أمر مخصوص فلا يصلح دليلاً لاننا نقول : ان العبرة بمعوم اللفظ لا بخصوص السبب وهو مطلق حكم في مطلق اختلاف ومشاجرة ، ولا ريب ان الامر هنا للوجوب اذ ان الله قد تعبدنا بكلامه

وكلام رسوله دون سواهما من الخلق لانهما هما عليهما المول وكلام غيرهما قد يخطئ وقد يصيب فلذا قال امام أهل المدينة مالك ابن انس رضي الله عنه « ما منا الا من رد ورد عليه الا صاحب هذا القبر » وأشار الى قبر الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، وقد نقل عن الأئمة الأربعة وغيرهم وضوان عليهم جل كثيرة كلها دالة على ان الانسان لا بد ان يمرض الاحكام كلها على الكتاب والسنة فما وافقهما عمل به وما خالفهما نبذ به وراء ظهره .

ولما كانت مسئلتنا هذه مما اختلفت المذاهب فيها ليس بين الشافعية وغيرهم فقط بل بين الشافعية انفسهم أمواتهم واحيائهم وجب علينا ان نعرضها على كتاب الله وسنة رسوله وقد بينا مسئلة التمدد بياناً شافياً وعرفنا انه لم يرد نص يمتنع من القرآن ولا الاحاديث وان مذهب الشافعي يقتضي التمدد عند الحاجة اليه وقد بقي علينا عرض مسئلة صلاة الظهر بعد الجمعة مع تعددها فنقول قال تعالى « يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة فاسمعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » ثم قال « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » فانت ترى انه قد امرنا بان نتشر في الارض بعد انقضاء الصلاة ونطلب من فضل الله ولم يأمرنا ان نصلي الظهر بعد الجمعة ولم يقل ان تمددت فصولها ، فمن اين استنبطنا هذه الصلاة ومن اين اتينا بها حتى انه قد ورد ان النبي ما كان يصلي سنة الجمعة بالمدينة في المسجد بل كان يذهب ويصليها في البيت عملاً بهذه الآية لانه تعالى أمر بالانتشار بعد صلاة الجمعة يدل على ذلك ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته رواء الجماعة ، وعنه انه اذا كان بمكة فصلى الجمعة تقدم فصلى ركعتين ثم تقدم فصلى اربعاً واذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع الى بيته فصلى ركعتين ولم يصل في المسجد رواء أبو داود . قال الآلوسي عند تفسير هذه الآية « واخرج أبو عبيد وابن المنذر والطبراني وابن مردويه عن عبد الله بن بر الحارثي قال رأيت عبد الله ابن بر المازني صاحب النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى الجمعة خرج فدار في السوق ساعة ثم رجع الى المسجد فصلى ما شاء الله تعالى ان يصلي فليل له لاي شيء تضع

هذا قال أبي رأيت سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم هكذا صنع وتلا هذه الآية (فإذا قضيت الصلاة) الخ. فقام من هذا ان الكتاب لا ينطق بلزوم الظاهر بعد الجمعة مع التمدد بل يفهم منه خلاف ذلك لان الأمر بالانتشار مطلق غير مقيد وأما السنة السنية ، والأحاديث النبوية ، فهي طائفة بما يدل على خلاف ذلك ويناقضه كل تناقض . اذ معلوم من الدين بالضرورة انه لم يثبت عن النبي القول بصلاتها مع تعدد الجمعة وانت تعلم ان الدين قد كمل في عهده صلى الله عليه وسلم بحكم قوله تعالى «اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عابكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً» فلا حاجة لنا اذن بعبادة لم تؤمر بها

هذا ولو اردنا ان نبحت لوجدنا التمدد الحاجة التي لا حاجة ليس شرطاً في صحة الجمعة نفسها ببقدمها علمت في البحث الاول من انه لم يرد نص عن المعصوم ولا عن الصحابة ناطق او مقتضى لعدم جواز التمدد ولو اقر ضرورة . وأما كونها لم تفعل الا في معنى واحد فليس بدليل لما اوضحناه لك سابقاً ايضاً حاشافاً ولما هو مقرر من انه لا ينسب لساكت قول على ان إيجابكم عدم التمدد لانها لم تعدد في زمن الرسول يلزمكم أن توجبوا الخروج لصلاة العيد خارج البلد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج لصلاتها مع الصحابة الى الصحراء ولا قائل منكم بذلك والمسئلتان سواء (*)

فالخلق الذي لا يحيد عنه ان المصلي الواحد ليس شرطاً في صحة الجمعة وانما هو حكمة من حكمها ، ولو تعددت الجمعة فهي صحيحة ولا ظهر بعدها سواء أكان تعددها لضرورة أم لا لانه لم يرد ما يحظر ذلك بل الوارد خلافه فقد روي عن ابن عباس انه يجيز للرجل أن يصلي الجمعة منفرداً في بيته فذلك الشعراني في كشف الغممة وإني ذاكر لك الأحاديث الدالة على عدم مشروعية الظاهر بعد الجمعة بحال من الأحوال حتى لو لم تصل الجمعة (١)

(*) اللهم إلا ما ورد من صلواته اياها في المسجد لمطر وقع كما في حديث أبي هريرة عند أبي داود وابن ماجه والحاكم وذلك لعذر كما رأيت اهـ منه

(١) اختلاف العلماء في صلاة الجمعة هل فرضت بطريق الاصاله ام بطريق البدل عن الظاهر فهم من قال بالاول ومنهم من قال بالثاني وهذه الأحاديث التي سنسردا لك تؤكد مذهب القائلين بانها فرضت بطريق الاصاله لا البدل الحديث العرفي ليس فيه دليل لهم

عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائماً يوم الجمعة فجاءت عبر من الشام فاقبل الناس اليها حتى لم يبق الا اثنا عشر رجلاً فزلت هذه الآية التي في الجمعة « واذا رأوا تجارة أو هواً انقضوا اليها وتركوا قائماً » الآية رواه احمد ومسلم والترمذي وفي رواية اقبلت عبر ونحن نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فانقض الناس الا اثني عشر رجلاً فزلت هذه الآية « واذا رأوا الخ » رواه احمد والبخاري فتسألهم معشر الفقهاء الذين توجبون لصحة الجمعة اربعين رجلاً احراراً مقيمين لا يظفون سيفاً ولا شتاء يستمعون اركان الخطبة كلها ويقومون الجمعة كيف ان النبي عليه الصلاة والسلام لم يعد الجمعة او لم يصل الظهر ؟ لان جهته غير صحيحة اذ لم يبق وهو يخطب الا اثنا عشر رجلاً ولا شك انه لا يسعكم الا التسليم بأن الجمعة لا يشترط فيها العدد المخصوص وهو غير مذهبكم او ان تقولوا يحتمل ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر او اعاد الجمعة والحال انه لم يثبت ذلك قطعا والدين لا يثبت بالاحتمال او تقولوا : حقا ان صلاة الظهر بعد الجمعة بدعة لا تجوز لأن النبي لم يفعلها ولو لزمت لفعلها يوم السير (*)

(*) وقد علمت من هذا الحديث أن الاربعين ليسوا بشرط في صحة الجمعة فلو صلاها رجلان في مكان لم يكن فيه غيرهما لفلا ما يجب عليهما فان خطب أحدهما فقد عملا بالسنة وإن تركا الخطبة فهي سنة فقط لانه لم يرد ما يدل على وجوبها . وقد قال عليه الصلاة والسلام « الجمعة واجبة على كل قرية وإن لم يكن فيها إلا أربعة » وما روي عن كعب بن مالك رضي الله عنه انه قال « أول جمعة جمع بنا أسعد بن زرارة في بقيع الخضبان قيل لكعب كم كنتم يومئذ قال اربعون رجلاً فجمع بنا قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم من مكة » فهو عما لا يستدل به على عدم صحتها باقل من العدد المذكور لان الجمهور على أن وقائع الاعيان لا تصلح دليلاً للعموم ولذا قال الشمراني السافني في كشف الغمة قال شيخنا رضي الله عنه « والظاهر أن العدد المذكور ليس بشرط ولو كان أسعد وجد دون الاربعين لجمع بهم وأقام شعار الجمعة فهي واقعة حال ولذلك اختلفت مذاهب العلماء في العدد فذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أن الجمعة تصح من الواحد وذهب ابراهيم النخعي وداود وأهل الظاهر إلى أنها

ومن الأدلة على عدم طلب الظهر بعد الجمعة بل على عدم مشروعيتها يوم الجمعة مطلقاً صليت الجمعة أم لم تصل ما ورد من اجتماع عيد وجمعة في عهد الرسول الأكرم صلى العيد وخصص في الجمعة ولم يرد أنه أصروهم بالظهر لأنه لم يثبت ذلك وهالك النصوص .
عن زيد بن أرقم رضي الله عنه وسأله معاوية هل شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيدين اجتماعاً قال : نعم « صلى العيد أول النهار ثم رخص في الجمعة فقال من شاء أن يجمع فليجمع » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اجتمع في يومكم هذا عيدان فمن شاء أجزأه من الجمعة وأنا مجتمون » رواه أبو داود وابن ماجه وعن وهب بن كيسان قال « اجتمع عيدان على عهد ابن الزبير فأخر الخروج حتى تعالى النهار ثم خرج فخطب ثم نزل فصلى ولم يصل للناس يوم الجمعة فذكرت ذلك لابن عباس فقال أصحاب السنة » رواه النسائي وأبو داود بخوه لكن من رواية عطاء ولابي داود عن عطاء قال « اجتمع يوم الجمعة ويوم الفطر على عهد ابن الزبير في يوم واحد فجمعهما جميعاً فصلاهما ركعتين بكرة لم يزد عليهما حتى صلى العصر

فهذه الأحاديث تاطقة بإسناد فصيح على منبر الحق بأنه لا يظهر بعد الجمعة بل أن الظهر لم تشرع ذلك اليوم أقيمت الجمعة أم لم تقم وفيما روي عن ابن عباس وقد سئل عن رجل صلى الجمعة منفرداً في بستانه فقال « لا بأس إذا قام شعار الجمعة بغيره » دليل على ما نقول لأن صلاته على ما اشترطه الفقهاء فاسدة وإن كنا لا نقول بجمعة الجمعة في غير جماعة لما روى أبو داود من حديث طارق بن شهاب « الجمعة تصح من اثنين وذهب أبو حنيفة وسفيان الثوري رضي الله عنهما إلى أنها تصح باربعة أحدهم الإمام إلى آخر ما قال »

وأما الرجولية والاقامة والحرية فهي شروط لوجوبها دون صحتها إذ لا تجب الجمعة على المرأة والمسافر والرقيق لحديث أبي داود الآتي ولكن إن فعلوها تصح منهم فلو صلى رقيقان أو مسافران الجمعة مثلاً أحدهما إمام والآخر مأموم صحتهما .
وقد ورد أن النبي صلى الجمعة في بعض أسفاره مع الصحابة فلو كان يشترط في صحتها الاقامة لما فعلها الرسول ولا نحضرني الآن ألفاظ الحديث

حق واجب على كل مسلم في جماعه الا اربعة عبد مملوك او امرأة اوصىي او مريض
وفي حديث أبي هريرة وحديث جابر (ذكر المسافر)

وقد قال في نيل الأوطار بما ما اورد حديث أبي داود السابق وحديث النسائي
وظاهره انه لم يصل الظهر وفيه ان الجمعة اذا سقطت بوجه من الوجوه المسوغة لم
يجب على من سقطت عنه ان يصلي الظهر واليه ذهب عطاء حكي ذلك عنه في البحر
والظاهر انه يقول بذلك القائلون بأن الجمعة اصل وانت خير بأن الذي افترضه الله
تعالى على عباده في يوم الجمعة هو صلاة الجمعة فإيجاب صلاة الظهر على من تركها
لغيره او لغير عذر محتاج الى دليل ولا دليل يصلح للتمسك به على ذلك فيما اعلم اه
وانت تعلم ان مؤلفه الامام الشوكاني من مشاهير حفاظ الحديث وفقهائه الممول عليهم
وربما يقل هذا القول على فقهاء مصر ، في كل قرية ومصر ، اللهم الا من كان
محباً للحقيقة منهم

قال في كشف الغمة : وكان صلى الله عليه وسلم يقول : من ترك صلاة الجمعة
لغير عذر فليصدق بدينار فان لم يجد فبنصف دينار فان لم يجد فبدرهم او نصف
درهم او صاع خنطة او نصف صاع او مد ، فأنت ترى انه لم يأمره بصلاة الظهر
بل أمره بالصدقة ولا يقال أمره بالظهر والصدقة لانه لم يثبت ذلك والخبر في الاتباع
والشر في الابتداع

(الخلاصة) اعلم ان صفوة الكلام ان تعدد الجمعة للحاجة جائز عند الامام
الشافعي وان الجمع في بلدتنا ونحوها متعددة للحاجة وعليه فصلاة الظهر بعدها
غير واجبة ولا مستونة بل هي بدعة غير جائزة وعلمت ان القول بصلاتها بعد الجمعة
مبني على التعدد لغير حاجة في بعض الصور وقد وقينا الكلام حقه في الابحاث السابقة
فراجعه بدقة وانصاف والله اعلم

هذا ما اردت انشاء وايراده في هذه الرسالة فسي ان تكون فصل الخطاب ، فقد
جئت من الكلام ما هو اضوأ من الشمس ، وأنور من البدر ، ومن الأدلة الساطعة ،
والبراهين الناصمة ، ما أزال عن وجه الحقيقة الغشاء ، فبدت وضاحة الخمين ، غراه
الطلعة ، وفيها كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد فاجعلها اللهم خالصة لوجوه الكرم

أثر في كتاب البرقية

(*) انتقاد شواهد الطابعة الاولى من تفسير ابن جرير الطبري (*)

تابع لما قبله

(٧٣) نعمد حتى ظلمنا ولوى يدي لوى يده الله الذي هو غلبه
ورد شطره الثاني في الثالث ص ٢١١ وكتبه في الخامس عشر ص ١٤٩ وأنشد
الشر الاول هكذا * يظلمني مالي كذا ولوى يدي * والصواب ما ذكرنا والبيت

في الصفحة العاشرة من الجزء الرابع حاشية

(٧٤) وان مهاجرين تكفاهم لعمرك الله قد خطيا وحبا
ورد في الاول ص ٢٣١ وهنا أنشد صحيحاً . وفي الرابع ص ١٤٣ وكتب هكذا
وان مهاجرين تكفاهم نبيذ الله خطيا وحبا

وفي الثالث عشر ص ٣٢ وكتب هكذا

وان مهاجرين تكفاهم نبيذ الله خطيا وحبا
(٧٥) رمى فأخطأ والاقدار غالبه فانصن والويل هيجرام والحرب
في الخامس ص ٤٠ وقد كتب في أول الشطر الثاني فالضن والصواب فانصن

(٧٦) فلم أر معشراً أمروا هديا ولم أر جار بيت بستان

في الثاني ص ١٢٤ ووردت الكلمة الأخيرة هكذا بستان ٧

(٧٧) أسيدني بنا أو احسنى لاملولة لدينا ولا مقلية ان تقات
وورد في الاول ص ٢٩٥ وكتب الكلمة الاولى هكذا أسيدني وفي العاشر ص ٩٣

وكتب هكذا

أسيدني بنا أو احسنى لاملولة ولا مقلية ان تقات
(٧٨) وليلة ذات ندى سريت ولم يلقني عن سراها ليت

ورد في موضعين في الثالث ص ١٥ وكتب هكذا

وليلة ذات دجى سريت ولم يردني عن سراها ليت
وفي السادس والعشرين ص ٨٣ وكتب صحيحاً .

(٧٩) كَانَ لَهَا فِي الْأَرْضِ لِسِيًّا قَصَصَ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تَحَدَّثَكَ تَبَلَّتْ

فِي السَّادِسِ عَشَرَ ص ٤٤ وَكُتِبَ الشُّطْرُ الثَّانِي هَكَذَا

إِذَا مَا حَدَّثَتْ وَإِنْ تَحَدَّثَتْ تَبَلَّتْ

وَالْبَيْتُ لِشُعْبَةَ وَابْنِ الْأَقْطَاعِ وَتَبَلَّتْ الْكَلَامُ لَمَّا يَتَنَبَّأُ مِنَ الْبُحْرِ

(٨٠) سَلَامُ اللَّهِ وَرَبِّهَا وَرَحْمَتُهُ وَسَاءَ دِرَرٌ

فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ ص ٦٥ وَكُتِبَ هَكَذَا

سَلَامُ اللَّهِ وَرَبِّهَا وَجَنَّتْ وَسَهَادَتُهُ ٧ وَبَعْدَ الْبَيْتِ

فَأَحْيَا الْبِلَادَ وَطَابَ الشَّجَرُ

(٨١) يَا حَبِذَا الْقَمَرُ وَاللَّيْلُ السَّاجِ وَطَرَقَ مِثْلُ مَلَأَ النَّسَاجِ

فِي الثَّلَاثِينَ ص ١٢٧ وَكُتِبَ هَكَذَا

يَا حَبِذَا الْقَمَرُ وَاللَّيْلُ سَاجِ وَطَرَقَ مِثْلُ مَلَأَ النَّسَاجِ

(٨٢) وَلَيْسَتْ بَسْنَاءٌ وَلَا رُجِيَّةٌ وَلَكِنْ عَرَايَا فِي السَّنِينَ الْجَوَائِحِ

فِي الثَّلَاثِ ص ٢٤ وَكُتِبَ بَدَلَ بَسْنَاءٍ فِي الشُّطْرِ الْأَوَّلِ سَنَاءٌ ٥ وَبَدَلَ عَرَايَا فِي

الشُّطْرِ الثَّانِي غَزَاةَا

(٨٣) فَهَمَّتْ أَنْ أَغْشَى إِلَيْهَا مَحْجَرَا فَلَمَّا لَهَا يَنْشَى إِلَيْهِ الْمَحْجَرُ

فِي الثَّلَاثِ عَشَرَ ص ٢ وَكُتِبَ بَدَلَ أَغْشَى وَيَنْشَى الْقِي وَيَلْقَى وَقَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ

ذَهَبَتْ بِعَقْلِكَ رِيعَةً مَطْوِيَةً وَهِيَ الَّتِي يَهْدِي بِهَا لَوْ تَنْشُرُ

(٨٤) وَهِيَانَ مَدِينٍ لَوْ رَأَوْكَ تَنْزَلُوا وَالْمَعْمَمُ مِنْ شَعْفِ الْعُقُولِ الْقَادِرِ

وَرَدَفِي مَوْضِعِ (١) فِي السَّابِعِ ص ٤ وَكُتِبَ الشُّطْرُ الثَّانِي هَكَذَا

وَالْمَعْمَمُ مِنْ شَعْفِ الْعُقُولِ الْقَادِرِ

(٢) فِي الْعِشْرِينَ ص ٣٢ وَكُتِبَ هَكَذَا إِلَّا أَنَّهُ أَحَالَهُ عَلَى عَدَدِ ٧ يُقَالُ وَعَلَ عَاقِلٌ

صَدَّ الْجَبَلُ وَالْقَادِرُ بِالْفَاءِ الْمُسْنُ مِنَ الْوَعُولِ

(٨٥) هُنَاكَ لَا أَرْجُو حَيَاةَ تَسْرُنِي سَجِيْسِي الْيَالِي مَبْسِلًا بِالْجَرَاثِ

فِي السَّابِعِ ص ١٣٩ وَكُتِبَ بَدَلَ سَجِيْسِي سَجِيرٌ وَهُوَ غُلَطٌ

(٨٦) وَإِنْ كَلَابًا هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ وَائْتَبَرِي مِنْ قَبَائِلِهَا الْعَشْرُ

في التاسع ص ٦٤ وكتب بدل كلابا كلابا وبدل ربي ترى فاختر المعنى والوزن
(٨٧) وظلت بأعراف تعالت كأنها رماح نحاسها وجهة الريح راكز

في الثامن ص ١٢٨ وكتب الشطر الثاني هكذا * رماح وجهه راكز * ٧
وانشد الأساس البيت هكذا

مسببة "قب" البطون كأنها رماح نحاسها وجهة الريح راكز
وفيه يقال خيل مسببة يقال لها قاتلها الله واخزاها اذا استجيدت وفي الجمهرة
مكتب البيت هكذا

واضحت تنال بالستار كأنها رماح نحاسها وجهة الريح راكز
وتنال تسابق تدخل رأسها بين اخواتها

والبيت الذي فيه الأعراف بيت آخر في أول قصيدة الشماخ وهو
وظلت بأعراف كان عيونها إلى الشمس هل تدنو ربي نواكز
(٨٨) لقد مررتكم لو ان ردتكم يوما بجي بها مسجى وأساسى
في الخامس ص ٧٢ وكتب هكذا

وقد انظرتم لو ان درتكم يوما بجي به مسجى وأساسى
(٨٩) حنت إلى النخلة القصوى فقامت لها حجر حرام الا تلك الدهاريس

ورد الشطر الثاني في الثامن ص ٣١ وكتب بدل الا تلك : الاثم : وورد البيت
كاه في التاسع عشر ص ٢ وكتب بدل حنت جئت وبدل الا تلك الا ملك
(٩٠) مالك ترعين ولا ترعوا الخلف وتضجرين والمطى معترف
في الثاني ص ٣٥٥ وكتب الشطر الاول وهو الذي أنشد هكذا
مالك ترعين ولا ترعوا الخلف

(٩١) ناج طواه الابن مما وجفا * طي اليالى زلفا فزلفا * سبابة الهلال حتى احفوقفا
الأولان في الثاني عشر ص ٧٣ والاخيران في التاسع عشر ص ٤٦ وكتب
بدل سبابة سبابة

(٩٢) ان سميراً أرى عشيرة قد حذبوا دونه وقد أنفوا

ان يكن الظن صادقاً بنى النجار لا يطعموا الذي علفوا

فی الرابع ص ٢٣ وکتبا هكذا

ان سمیر أرى عشرته قد حدثوا دونه وقد أبقوا

ان یکن الظن صادقی بقی النجار لم یطمعو الذی علقوا

والیثان من کلمة مالک بن العجلان فائیة الروی

(٩٣) تخوف السیر منها نامکا قردا کما تخوف عود البهمة السفین

ورد فی الرابع عشر ص ٧٠ وکتب بدل قردا أفودا أو بدل النبعة البهمة وکلاهما غلط

(٩٤) تنشطته کل معلقة الوهق مضبورة قرواء هر جاب تنق

ورد الاول فی الثلاثین ص ١٧ وکتب بدل معلقة معلات، المعلقة الناقة التي تبعد

الخطو والوهق بالتحريك المباراة والمسایرة، مضبورة مجتمعة الخلق، القرواء الطويلة

القرأ بالفتح وهو الظاهر وقالوا فی تنيته قروان وقریان، الهر جاب كفتاح الطويلة أو

السریة وقيل هو کل عظیم البطن، الفلق بضمین الناقة الفتية الضخمة، والهاء عائدة على

ما وصف قبل فی قوله * وقام الاعماق خاوی المخرق *

(٩٥) حسبت بغام راحلتی عناقاً وما هی ویب غیرک بالعناق

فلو أنى رمیتک من قریب لعاقبک عن دعاء الذئب عاق

ورد الاول فی الاول ص ٤١٩ وکتب بدل بغام بغام ویدل ویب ویدل وفی

الثانی ص ٥٣ وفیه کتب ویدل بدل ویب، وفی الرابع ص ٥٦ وکتب فیه بدل بغام

راحلق: بغام راحل:، وفی الخامس عشر ص ١٣ وکتب نیه بدل ویب غیرک: ووب

غیرک: وورد الثانی فی الخامس عشر ص ٥٨ وکتب الشطر الاول هكذا

* ولو أنى رمیتک من بید *

(٩٦) لئن حلت بجو فی بنی أسد فی دین عمرو وحالت بیننا فک

ورد فی العاشر ص ٩٨ وکتب بدل بجو بجو

(٩٧) أقول له والرح یأطر منته تأمل خفافاً اننى اناذلک

ورد فی الاول فی موضعین اولهما ص ٢٩٩ وکتب بدل: یأطر: ناظر: ویدل

تأمل: تبین:، الثانی ص ١٦٦ وکتب صحیحاً الا انه ترك همز یأطر فصارت هكذا یأطر

(٩٨) طمعت بنظرة فرأیت منها تحیت الخدر واضمة القرام

ورد في الاول ص ١٢٥ وكتب الشطر الثاني هكذا نحيبت الحذر ناصمة القوام *

وروى الطبري: سمت لي نظرة: بدل طمحت بنظرة

(٩٩) وحليل غانية تركت مجدلاً تمكو فريسته كشدق الاعلم

من معلقة غنزة ورد في التاسع ص ١٣٧ وكتب بدل وحليل غانية وخليط غائبة

(١٠٠) عرفت المتأني وعرفت منها مطايا القدر كاللدا الجنوم

ورد في الثامن ص ١٥٢ وكتب هكذا

عرفت الصبا وعرفت منها مطايا العذر كاللدا الجنوم

(١٠١) عهدي به شد النهار كأنما خضب البنان ورأسه بالهظلم

من معلقة غنزة ورد في الثامن ص ٥٧ وكتب الشطر الثاني هكذا * خضب البنان

رأسه بالهظلم *

(١٠٢) رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجوه همهم

لاي خراش ورد في السابع ص ١٥١ وكتب الشطر الاول هكذا * رفوني

وقالوا يا خويلد لم ترع *

ومعنى رفوني بالفاء سكنوني وقيل أراد رفوني فالتى الهمة والهمة لا تلقى الا في الشعر

وقد ألفاها في هذا البيت ومعناه اني فرغت فطار قلبي فضموا بعضي الى بعض *

(١٠٣) ماوي ياربهما غارة شمواء كاللذعة بالميسم

ورد في الثامن عشر ص ١٤٤ وكتب هكذا

ياربهما غارة شمواء كاللذعة بالميسم

(١٠٤) حواء قرعاء أشراطية وكفت فيها الذهب وحفها البراعم

ورد في الثلاثين ص ٨٤ وكتب هكذا

حوي فرحا سراطيه وكفت فيها الذهب وحفها البراعم

(١٠٥) أقول اذ درأت لها وضيفي أهذا دينه ابدا ودينى

ورد في الاول ص ٣٨٥ وكتب محيها وورد في الرابع ص ١٠٥ وكتب هكذا

أقول وقد درأت لها وضيفي وهذا دينه أبدا ودينى

(١٠٦) مهلا بني عنامه لا موالينا لا تبشوا بيننا ما كان مدفونا

ورد في الخامس ص ٣١ وكتب الشطر الثاني هكذا لا تظهرون لنا ما كان مدفونا
(١٠٧) ان شرخ اشباب والشمر الأسود ما لم يخاص كان جنونا
ورد في العاشر ص ٧٦ وكتب بدل الشباب الشاب وبدل يخاص بقاص وهو غلط لا معنى له
(١٠٨) اذا ماقت أرحلها بديل تأوّه آهة الرجل الحزين
ورد في الحادي عشر ص ٣٣ وكتب بدل اذا ماقت: اذا قفت: فاحتل لهني والوزن
(١٠٩) عجبت من دهماء اذا تشكونا ومن ابي دهماء اذا يوصينا خيرا بها كانتا جافونا
وردت في الخامس عشر ص ٤٤ وكتبت صحيحة الا أن تشكونا كتبت ياء
مشاة من تحت وهو غلط

ووردت في العشرين ص ٧٧ وكتب الأخير ان هكذا
ومن أي دهماء اذا توصينا خيرا بها كانهم خافونا
ولو أنه أحال على ما تقدم لكان خيرا

باب التقريظ والانتقاد

(خواطر الخواطر)

مقالات أدبية حكيمية وعظيمة لمحمد أقدي سلامه صاحب جريدة الواعظ كان
يكتبها في جريدة اللواء أيام كان محرراً لها وكانت خير ما ينشر في تلك الجريدة وأعذبه في
ذوق القراء على ما فيها من الجمع ومسارة الواعظ لأنها كانت محاورات بين تلميذ واستاذ
اللمهر ثم طاء الكاتب الى هذا في جريدته الواعظ لأنها أجدر بثقله . وقد اقترح
عليه ما وافق رغبته من جمع ذلك في كتاب يجعل أجزاءه تجمع معظم ما كتب في
جريدة اللواء وطبعه بطبعة الواعظ فجاء جزءاً لطيفاً ومن مباحثه مقالات في الخمر والميسر
والقتل والانحار وطلب الدنيا وآداب الصيام وآثار القرب في الشرق وغير ذلك فنهت
القراء على مطالعته وثمة خمسة قروش صحيحة

طولة العمر . في حديث أبو يوسف ونمر

كتاب ألفه شكري أقدي الخوري السوري المقيم في البرازيل باللغة العامية السورية
وأودعه من الفوائد والتصحّح الصحفية والأدبية ما لا يستغني عنه أحد من العامة على
أنه لا يقصر عن إفادة الخاصة . جملة محاوره بين رجلين من طامة اللبنانيين وقد رأينا

فيه من قدرته على تصوير أفكار العوام ، ما يناسب قدرته على ضبط عبارتهم في الكتاب ، وكلا الأمرين عسير على الناشئين في دور العلم والمشتغلين بالكتابة والتأليف باللغة العربية الصحيحة وأما لتعرف من أنفسنا العجز عن المضي في ذلك بل إننا نجهل كثير من كلام عامتنا وأندكر الآن أنني كنت أحتاج الى تصوير بعض المسائل الفقهية في الدرس باللغة العامية فلا أدري ماذا أقول وأتسى لاجل كثير من مفرداتهم. ولكنني رأيت فيما قرأته من الكتاب لحنا وغلطا أعني خروجنا عن العامية المنتزعة فيه كاستعمال النعال والصفاف بالفاء وغير ذلك . ولا يخلو من غلط في الرسم كاستعمال الهاء في موضع الواو في مثل قوله « الواحد يبيع استقلاله الشخصي وحرية بوظيفته حقيره ويكون موش عاوز الوظيفة ويخون بلاده وأهله وعشيرته لاجل كم قرش يقبضها آخر كل شهر » فالمعروف في الكلام العامي أن يقال « استقلالو » عند الناطقين بالقاف وقليل ما هم ولكن الكتاب جرى على طريقته ومثلها « بلادو ووظيفتو » وفي هذا المثال أيضا قوله « يقبضها » من غير إلحاق الباء بالفعل ولعلها تقال قليلا

ومن نصائح الكتاب النهي عن الخوض في الأمور الدينية والسياسية الآن (والقيد بالآن للاخيرة) وجعل ذلك من أسباب الراحة التي تعطيل العمر وبهذه المناسبة تكلم في حال النصارى في سوريا وآمالهم ومستقبلهم بالاختصار وقد انتقدنا عليه في هذا السياق مقاله عن المسلمين من مقتهم للولاة والحكام المادلين لانهم يحولون بينهم وبين ابذاء النصارى فهذا شيء لا يصح الا ان يكون بالنسبة الى بعض أهل بيروت ولهم من النصارى أ كفاؤهم في حب الاعتداء وأما سائر مسلمي بيروت وسوريا فان حالهم مع الحكام الظالمين شر من حال النصارى لان الضرائب والمظالم عليهم أكثر .

الجرائد والجامعة الاسلامية وانتقدنا عليه قوله إن جرائد الاسلام في كل الدنيا تدعو الى جامعة دينية اسلامية وكلها تسقى من ينبوع واحد بخلاف جرائدهم التي بحث لكثرة التذاع بالجامعة العثمانية لاسيما جرائد المهجر المشتعلة بنار الفيرة على الوطن :

أقول ليعلم هذا الوطني الغيور أن أكثر جرائد المسلمين لم تفكر في مسألة الجامعة الاسلامية الدينية وان منها ما يدعوا الى جامعة وطنية عربية يفيض فيها المسلم الى المسلم الموافق له في لفته وجنسيته السياسية اذا كان من بلد آخر ولو مجاورا له . وإن أكثر

أصحابها لا يعرفون حقيقة الاسلام وأنه ليس فيها جرائد دينية وياليت للعالم الاسلامي كله من الجرائد الدينية بدمدم النصراري في بيروت والقاهرة، وهذه مجلة المنار الاسلامية وجدي في مسلمي مصر من يحرض عليها جميع جرائد المسلمين وغيرهم في مصر وان كان الاكثر لم يسمع ولم يجب . بل إن بعض الجرائد اليومية للمسلمين تنشر أحيانا ما هو طعن صريح في الشريعة والدين . وجلة القول أنها لم تنفق على دعوة واحدة . ثم ان الجامعة الاسلامية التي تكلم بها بعض فضلاء المسلمين لاتتافي الجامعة العثمانية في بلاد الدولة العلية بل تجتمع معها

سوريا والحجاز والسياسة : وانتقدنا عليه أيضا ما قاله في مجلة الحديدا الحجازية والي بعدها قلب وجه السياسة قلبه ملمونه اذ تخيل أن غرض السلطان أو الدولة تحية النصراري عن سوريا وجعلها مع الحجاز بلادا اسلامية محضة ومحمد رحال المسلمين من كل الدنيا . ليعلم أن هذا الخاطر لم يطف في دماغ تركي قط لانه فرع الرضى بالتنازل عن الجنسية التركية وعدم تميز التركي على العربي وانى ذلك وجريدة (ترك) المعتدلة التي تصدر في مصر تنهر عن الترك « باللة المالكه » وانما الغرض الاول من هذه السكة أن يسهل على الدولة سوق الصاكر الى الحجاز عند الحاجة لاسيا اذا حدثت فيه انقلابات سياسية بدسائس الانكليز اذ لا يمكنها حينئذ أن ترسل اليه الجيش في البحر .

وقد عينا بنقد الكتاب لفائده ولانه نشر في جريدة الهدى القراء وجمع منها وطبع وانتشر ولا تحب ان تسكت على ما يحدث نفورا ويهوي فتورا بين أهل الوطن فسي أن تنبه جريدة الهدى على ذلك كما تفعل جريدة المناظر في مثله

حجج كمال بلاغة العربية

« في مدح الفرد الكامل والاستاذ المطلق الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية » أهديت إلينا رسالة بهذا الاسم أنشأها الشيخ كمال الدين العراقي وطبعها على نفقته وذكر في آخرها قصيدة له سماها « لسان الحق في بيان الحقيقة والاخلال والمحجوب » والرسالة ماحجة بالثر ، مزينة بالشعر ، مرصعة بالتوجيه والتصريح ، مصنوعة من طينة أنواع البديع ، على طريق أهل القرون المتوسطة وهي مناظرة بين منشئها وأحد الشيوخ في الأزهر وتباع عند جميع الكتبية .

(الرياض) صحيفة تهذيبية علمية صناعية اجتماعية تصدر في أول كل شهر إفرنجي في

حجم المنار اصحابها حسن أفندي صديق في بني سويف وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشاً وقد صدر العدد الثاني منها في أول فبراير الماضي ولم تر عدد شهر مارس وفيها صدر فوائده كثيرة أنفعها الكلام في مصادر الحرف فمضى ان يكون احتجابها عنا لا احتجابها في نفسها

(الترية) مجلة مدرسية شهرية لمديرها محمود أفندي عمر الباجوري يتألف العدد منها من ٨ صفحات كبيرة وقيمة الاشتراك فيها عشرة قروش في القطر المصري واربعة فرنكات في غيره وقد أرسل إلينا العدد الثاني منها (دون الأول) وفيه نبذة علمية وأدبية وفكاهات وحيزة بلغة الولدان العرفية وفوائد منزلية منها ما نصه :

البيض يلزم غمسه في ماء مغلي عشر ثوان لتتخفيف الزجاج تضاف قطعة من زهرة ه لفظ النيل إلى الماء الذي يغسل به لكي يكون ضوء اللبة لا يعيق الشريط في الحلق قبل استعماله ولعلنا نجد عبارتها في الأعداد الآتية خيراً من هذه العبارة وأصح فقد جاء في صدر العدد أن الغرض مما ينشر فيها من المقالات التمرين على الإنشاء واختيار الأساليب المفيدة والتلميذ في حاجة إلى ذلك في كل ما يكتبه

(جريدة العجائب) أرسلت إدارة جريدة العجائب رقاعاً إلى الجرائد ترغب اليهم فيها بالتثويه بدخولها في السنة الرابعة فهنئها بذلك ورجو لها العمر الطويل بما رأينا من ثباتها على خطة واحدة في الاستحسان والمدح والاستهجان والنقد على حين نرى كثيراً من الجرائد تدم اليوم من مدحت أمس وتستحسن غدًا ما استهجن اليوم

— ديوان أبي تمام الطائي —

لا يجهد أحد من الأدباء مكان شعر أبي تمام من البلاغة وقد طبع ديوانه غير مرة فنقدت نسخته حتى لا تكاد تجد منها نسخة عند كتي في مصر وقد علمنا ان محمد أفندي جمال من أدباء بيروت شرع بطبعه على ورق جيد بإذن من نظارة المعارف في الاستانة وكلف الشيخ محي الدين الحياط أحد محرري جريدتي بيروت والاقبال بضبطه وتفسير غريبه وسيم طبعه في أواخر صفر الآتي ويصدر في ٥٠٠ صفحة وهو يقبل الاشتراك فيه إلى ان يتم طبعه بثمانية قروش مصريه صحيحة وسيكون ثمنه بعد ذلك اثني عشر قرشاً فمن احب الاشتراك من أهل هذه الديار فليرسل القيمة إلى مكتبة المنار بمصر أو يلتزم الطبع في بيروت وله بعد حضور الكتاب ان يستلمه من هذه المكتبة

الاشتراك في المنار

سنتنا الجديدة

نهى قراء المنار بالعام المجري الجديد ونسأل الله تعالى ان يجعله عاماً مبارکاً عليهم وعلى جميع الامم. وقد صدرنا هذا الجزء بفاتحة أطول من قوائم السنين السابقة وانكنا على طولها مختصرة تشير الى قواعد وحوادث في تاريخ الإصلاح بوشك أن تشرح يوماً ما في سفر كبير.

شرط الاشتراك في المنار

المنار يتألف من ٢٤ جزءاً تبلغ صفحاتها ٩٦٠ ماعدا الفهرس فالذي يشترك فيه يطالب شيئاً معلوماً بمن معين وهو ما يكتب على غلافه وهذا البيع من قبيل الاستصناع وشرطه أن من قبل الجزء الأول من السنة يكون ملزماً بدفع ثمن أجزاء السنة وليس له أن يرد شيئاً منها إلا في هذا ضرراً علينا وقد جزم من المنار كفقده مجموعة السنة كلها. ومن لا يصل إليه بعض الأجزاء فله أن يطلبه الى ما جزمه وعد صدوره بشهر فان طلبه بعد ذلك أم نكثن مكلفين بإرساله إليه. ومن فقد بعض الأجزاء فادارة المجلة غير مكلفة بإعطائه بدلاً عنها ولكنها تعد بأن تباع الجزء ان وجد فيها زائداً عن المجموعات الكاملة بخمسة وعشرين ملية لأن مصر وخمسة وسبعين سنتياً لسائر الناس. فن قبل بهذا فقد وجب عليه دفع قيمة أجزاء السنة كلها بقبول الجزء الأول وحسبنا رضاهم حجة وذمهم وكلاء وإلما ذكرنا هذا مع العلم بأنه قد يتقدماً تقاسي كل عام من طلب الكثيرين للأجزاء المفقودة ومنها أصحابنا الذين يؤمننا المعجز عن إجابة طلبهم

(فهرس المنار أو فهرسه)

جمع فهرس المنار المادي المرتب على حروف المعجم وكان في العزم توزيعه مع هذا الجزء ولكن تراءى لنا أن نضم اليه فهرسين آخرين أو أكثر وقد بدأنا بجمع فهرس الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وربما نضيف اليهما فهرساً لاسماء الأشخاص. فلينتظر من يريد تحميله أجزاء السنة السابعة صدوره مع الجزئين الثاني والثالث فانهما سيصدران معاً في أوائل صفر ان شاء الله تعالى.

﴿ تقريظ المنار ﴾

جاءنا ما يأتي من أحد علماء سوريا الفضلاء المحاضرين فنشرناه مع الحياء والحجل امتثالاً لأمره وطلباً لرضاه قال حفظه الله

لقد منَّ الله على المسلمين إذ أقام لهم مناراً يهديهم سبل الحكمة، ووقاهم وحث السبيل، ولو فتح الذين أعرضوا عنه بصائرهم لرأوا أنهم في مكان ويل، أفسدت بصيرتهم بلهم مسحورون بما هويت آباؤهم من المناهج وكم ضل حيل بما ضل من قبل به القليل، هاهم أولاء تنزفهم أيدي الزمن بما ضلوا عن الحقائق وبما كانوا يتوهمون، أقلم بأن لهم أن يفيقوا من سكرتهم وينظروا ما قدمت أيديهم وسعت إليه أرجلهم من الحال الهون، أولم بأن لهم أن ينظروا ما منَّ الله عليهم اذهباً رشيداً منهم لرفع «المنار» لعلمهم يرشدون.

سلام أيها الرشيد بما رفعت «المنار»، طوبى ولنم عقبى الرشداء الأبرار، يسرى وإن لك مدحاً في الأمصار والأعصار، نعمى تدوم لك العمر، يسرى تنق لك الدهر، حصي تخلدك الذكر، فوقى لك في الملا القم، مرعى لاصلاحك، أكرم بمملك، لقد جلوت الذيجور بالسنا، وأرشدت القاضي كمن دنا، وقد غابت بمن عني، ولم تن بمن حسد وشنا، كذاك حزب الهدى، لا ينضم السدى، ولا ينضم الهوى، ولا يروعه من جفا، حسبك الحق وكفى، لم يخب من إليه اتقى، إن لديه الآخرة والأولى، إن هذا رجاء أولي النهى، فاستفتح هذه الثامنة بمثل ذلك الهدى، وتوكل على الذي برأ الحجبى، وأرسل محمداً بالهدى للورى، ليكونوا اخواناً في الطريقة المثلى، عليه الصلاة والسلام الأسنى.

وسلام عليكم قراء «المنار» بما طبعتم في الملة إن لكم فيه لما ينفعكم في الدين، وإن لكم فيه لما يرفعكم بين العالمين، وإن لكم فيه لما تعارفون، وإن لكم فيه لما تهاطفون، وإنه لهناء لكم وتبصرة للمستسمين، ولقد من الله علينا بلوغه (الثامنة) يفيض بالنور المبين، وهذه كلمات لاخ لكم ليهديكم التحيات الطيبات، ويملن اشراً كمدكم بالمبرات، وتذكرة لعلنا نكون من العرفاء بالفضل وعسى أن نكون من الشاكرين.

(سوري شمالي)

بؤفة في الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صموى و«منارا» كذا الطريق)

(مصر - الأربعاء ١٦ المحرم سنة ١٣٢٣ - ٢٢ مارس (أذار) سنة ١٩٠٥)

باب المقالات

حياة الأمر وموتها

إن للأجسام حياة وقلوبها حياة غير حياة الأجسام ولكن بعضها ما يرتبط ببعض، وإن
للأفراد حياة وللأمم حياة غير حياة الأفراد ولكن أحدهما تتوقف على الأخرى
يعرف الجسم الحي بطلب الغذاء الذي يحفظ حياته من الخارج ويدفع العوارض المضارة
عنه وإفراز المواد الميتة من بنية، ويستوي في هذه الحياة النبات والحيوان، وتعرف
النفس الحية بالحرص على السكينة وارتفاع المنزلة بالحق ويدفع أسباب المهانة وتوقي
طرقها وبالانضال عن الشرف أن تصل إليه أيدي العابثين، أو يصديه وهم الواهمين،
وأما حياة الأمة فهي أثر روح يسري في أفرادها فيشعرهم بأن مكان كل واحد منهم
من مجموع الأمة مكان أحد أعضائه من جسده فهو يلاحظ في كل عمل منفعة نفسه
ومنفعة أمته معاً كما أن عمل كل عضو في البدن يكون سبباً في حفظ حياته من حيث
هو سبب لحفظ حياة البدن كله

الجسم الحي أشرف من الجسم الميت وأبقى بل الأجسام الميتة تكون غذاء للأجسام

الحياة ومتاعاً تتناول منه ما تحتاج اليه لتجعله عوضاً عما يندثر منها ويفصل عنها ، كذلك الأمم الحية تتغذى من الأمم الميتة وتتزع منها ما تحتاج اليه في حفظ حياتها وطول بقائها ودوام عزتها وشرفها . فالأمة الحية أشرف من الأمة الميتة وأرقى في مرتبة الوجود .

قد يشبه على الجاهلين التفاضل بين الناس في الحياة والموت بهذا المعنى فيذهب الجاهل بعضهم الى أن زبد الميت أفضل من عمرو الحي بما هو أكثر مالا وعشيرة وأحسن أثاثاً ورثياً . ولو رجعوا الى العلم الصحيح والاحتياط الدقيق لرأوا أنفسهم يفضلون معاملة فلان التاجر الذي يملك ألف دينار على فلان الوارث الذي يملك مئة ألف ويرون من الثقة والرجاء في الأول مالا يرون في الثاني لأن الأول يجمع ويشيد ، والثاني يبني ويهدد ، فالألف تقو في كل عام ، ومئة الألف تنقص في كل يوم من الأيام ، حتى ان حديد البصر يرى الأول غنياً ثرياً ، والثاني فقيراً مستجدياً ، ذلك أنه ينظر الى المستقبل الذي يسيران اليه ، فيمثل له في الحاضر الذي يراها فيه ، معرفة شؤون الأمم والشعوب ، اخفى على الاكثرين من معرفة حال الافراد واليوت ، فكم من جاهل يفضل أمة على أخرى لأنها أصبح ديناً وأعدل شريعة ، أولانها أشرف أرومة وأعرق في المجد جرثومة ، أو لأن تراثها من سلفها أكثر ، ومزاياها الجنسية أشهر ، أولانها أكثر عدداً ومدداً ، وأعز عشيرة ونفراً ، وإذا صح أن يكون هذا كله أو بعضه للأمة الميتة زمناً من الأزمان فإنه لا يبقى الا ريثاً تحصل بها أمة حية ، فترى هذه تنقص جميع مزايا تلك ومقوماتها الحيوية ، وتلك تحمل آفات هذه وعلاها البشرية ، حتى تكون إحدهما في عليين ، والأخرى في أسفل سافلين ،

يسهل على القارئ في الشرق القريب ، أن ينظر فيما بين يديه من الشعوب التي تضمها جنسية سياسية أو لغوية ، وتفصل بينها روابط نسبية أو مليّة ، فإنه يرى شعبين يمتاز أحدهما بكثرة العدد وكثرة المال وقوة الحكم وقوة العلم ثم يجد نفسه تفضل قليل المزاي منهما على كثيرها لأنه يرى الشعب الكثير المزاي يتزق ويتفرق فتذهب مزاياه بذهاب الاعوام ، والشعب القليل المزاي ينمو ويسمو ويجمع ويتألف فيتميز ويشرف باقبال الأيام ، يرى الشعب الكبير يتخاذل فيتضاءل ، والشعب الصغير يتلاءم

ويتعاضد ، وما ذلك الا ان في أحدها نسمة حياة تدفع عنه الاعراض الضارة بالشعوب فيقوى ويزكو ، وتفديه كل يوم بقضاء جديد فينمو ويسمو ، وليس في الآخر شيء من هذه الحياة فهو كجسم العاشق يذوب ويضمحل ، ويحترق ويذبل ، ويسهل على القارئ في الشرق البعيد (كالهند) أن يرى مثل هذين الشمين المتقابلين في الحياة والموت ولكنهما يرى أكبرهما هو الذي يعز ويترقى ، وأصغرهما هو الذي يذل ويتدلى ، فلا تفرح حينئذ دعوى بعض المتطفلين على علم الاجتماع وسنن الخليفة أن علة الحياة في الشعب الصغير القريب هي صغره وقلة عدده لأن اجتماع المدد القليل للتعاون والتناصر وتوحيد المصلحة العامة أسهل من اجتماع المدد الكثير ، ويشبه هذا الوهم تعليل بعضهم لنجاح صاحب الالف ونمو ثروته ، وخيبة صاحب المئة الالف والعقار الواسع وتبدد ثرائه ، بأن ثخير المال القليل أسهل من تجميع الكثير ، كذلك يقول من لا يعرف معنى الحياة في الأمم والافراد ولنا بصدر بيان علة حياة الحي وموت الميت على الاطلاق ولا يان علة حياة أمة معينة وموت أخرى ففيض في كشف وهم الواهين وجهل الجاهلين ، وانما غرضنا بيان معنى الحياة المعنوية ومميزات واجديها ، ونخاوي فافديها ،

التمييز بين أمة في أعلى مراقبي الحياة وأوج العزرة والقوة ، وامة في الخفيض الأوهده ، والشقاء المؤصد ، مما يتناولها كل نظر ، ويحكم به كل عقل ، ولكن التمييز بين أمتين أو شعبين أحدهما يموت بعد حياة وثانيهما يحيا بعد موت هو الذي يخفى على غير علماء الاجتماع المدققين لأن الذي اعتاد على الحكم بادي الرأي يخدع بما يرى في الاول من علامات الحياة الموروثة كأثارة من علم ، وبقية من حكم ، ولا يجسد مثلها عند الثاني فهو كمن يفضل وارث مئة الالف على كاسب الالف جاهلا بما وراء ذلك من مصير ثروة الوارث الى الزوال ، ومصير ثروة الكاسب الى الكيال ،

لا يفرنك ما ترى من آيات الحياة في أمة تقطعت روابطها ، وانقصمت عروة الثقة بين أفرادها ، ونقض اليها النظام ، وفقدت التلاحم والاتسام ، وان كان ماترا مأخذا لافاقا كريمة ، ومعارف صحيحة ، وثروة واسعة ، وسلطة نافذة ، مع العلم بأن هذه الاشياء كلها هي آثار الحياة توجد بوجودها وتذهب لدهائها ، ففد يكون ذلك من بقايا ارث

قديم ، يبحث به الفساد الحديث ، إلا أن ترى العلم والأخلاق تقرب البعيد ، وتجمع الشتيت ، وتزيد في الثقة بين الناس ، وتدعو إلى التعاون على البر والإحسان ، وترى الثروة تجمع مع ملاحظة مصلحة الأمة ، وينفق جزء منها على المنافع العامة ، وترى السلطة موجهة لدفع الأذى عن البلاد ، وإقامة العدل في العباد ، وإسماء الأفراد على الاستقلال ، وإعدادهم لمشاركة الحاكمين في الأعمال .

روح الحياة في الأمة تحول الشر إلى خير . وقدورها تحول الفضائل إلى رذائل ، فما يكون فيها من عزة وإباء يصير كبراً وعجباً ، وما يبقى من كرم وسماح يصير اسرافاً وتبذيراً ، وتكون الشجاعة فيها سبباً للاعتداء والإيذاء ، وجودة الرأي وسيلة للمكر والاحتيال ، ويحول فيها حب الشرف والكمال ، إلى حب الفخفة بالانجاب ، وينقلب التنافس تحاسداً ، والإشارة أثره وطعماً ، وقس على هذا سائر الأخلاق التي تقسد . كذلك يكون العلم آلة لاله له يكيدون بها للناس ويوقعون بينهم ليستفيد الكائد من النزاع والشقاق . أما السلطة فانها تكون الآلة المحللة لكل الثام ، والممزقة لكل شمل ، والمفرقة لكل اجتماع ، إلا الاجتماع لتأييدها والختنوع لأصحابها حتى إن الملك أو الأمير ليتجر بالامة أنجاراً بل يكون هو القاصب والناهب ما استطاع حتى إذا لم يبق للامة قوة حافظة يسيها الأجانب بالمحافظة على رياسته الصورية ، وتمكنه من شهواته الحيوانية والشرطانية ،

تسري الأمراض الاجتماعية في الأمم فتذهب منها بقومات الحياة من حيث لا تشعر ولا تدري ولذلك يبقى لها الضرور والدعوى بأنها أشرف الأمم وأفضالها ويسر على من يكون على علم بأمراض الأمم أن يقنعها بأن أمة وضيعة مهينة وإن كانت أصوات الاهانة تصيح بها في كل يوم ، وأسواط العذاب تقع عليها في كل آن ، وإذا كانت متكئة في غرورها على عصا الدين كان اقناعها أسعر ، وإشمارها أبعد ، وإن نخرت أرضه البدع تلك المنسأة فانكسرت ، وخرت الامة في مهواة الضلال فهلكت .

إذا أهاب الداعي بالامة الضرورة بالدين ، وحاول اقناعها بالبراهين ، وإيقاظ الشعور فيها بما تذوق من المذاب الموهين ، وأثبه حماة البدع الجديد ، وحمل عليه أنصار التقليد ، واستعانوا عليه بالأصراء المستبدين ، وحالوا بينه وبين العامة المساكين ، بل

العامة هي قوة رؤساء الدنيا والدين ، بها يصلحون على المصلحين ، ولو كانوا يمارعون الدليل بالدليل ، ويصارعون البرهان بالبرهان ، أظهر للعامة سوء حالهم ، وقساد أحوالهم وأفعالهم ، ولكان للمصلح على انفرادهم ، وضعف أنصاره وأعدائه ، ما يغلبهم به على عزة سلطانهم ، وعظم شأنهم ، لأن الحق نصيره ، والفطرة البشرية عوناً ، لو أنهم يفسدونها بتعاليدهم ، ويحولون بينها وبين نور الإصلاح بغير سلطانهم » وقالوا لا سمعوا لهذا القرآن والفرا فيه لعلمكم تغلبون»

أظهر دلائل الحياة في الأمة النول والنمو في أسباب الارتقاء من العلوم والفضائل والاعمال العمومية فلا يموت فيها شيء بموت القائم به . وأظهر دلائل الموت العقم والتحلل في ذلك فلا يكاد يذهب منها شيء من الخير ويخلفه مثله وإنما يموت العلم بموت العلماء والفضل بموت الفضلاء حتى تبقى حثالة بهم تبسل الأمة

لا تنزع روح الحياة من الأمة بما يمرض عليها من الأمراض الا اذا فتكت هذه بمزاج الأمة الجامع لافرادها واذا كان مزاج الجسم يتألف من أمشاج متعددة كالدم والمصيب والدمع فمزاج الأمة الاجتماعي يتألف مثله من اصول متعددة كالنسب والجنسية والدين والحكومة لذلك ترى الباحثين في اصلاح الامم الفاسدة المزاج يخلقون فيقول بعضهم ان الأمة لا تحيا الا بترية النساء التي هي الاصل في صلاح البيوت ويقول آخرون إنها لا تحيا الا بتقوية الرابطة الجنسية التي تكون باللغة أو الوطن ويقول غيرهما ان الاصل في الحياة هو الاصلاح الديني — على ان الدين عند المسلمين حاكم في كل شيء فاصلاحهم من جهة اصلاح لكل شيء — ويخالفهم مخالفون قائلين بل الاصلاح انما يكون بصلاح حال الحكومة لان السياسة هي المدبرة لكل شيء . والصواب ان معالجة كل ما قد من الاصول التي يتألف منها المزاج مما لا بد منه لشفاء الأمة وجعلها في عداد الامم الحية . ولكن يقال ان هذه الاصول ترجع الى اصلين الأمة والحكومة أيهما يصلح بسهل عليه اصلاح الآخر ولكن ما يحى من جانب الحكومة يكون أسرع ، وما يأتي من الأمة يكون أدهم وأثبت ، وقد بينا ذلك في السنة الاولى من سفي النار ، وسنفشر في الاجزاء الآتية مقالات في أنواع الحياة النسبية أو الزوجية والمالية والجنسية والسياسية ونبين كيف يكون الاصلاح فيها والله الملمم للسداد

تاريخ علم التربية

محجور رأي عالم أزهري في العلماء وحالهم في مصر

وصف مؤلف كتاب العلم والعلماء العالم الديني المسلم بأنه المرشد إلى مصالح الدنيا وطريق الآخرة ومما قاله في ذلك (ص ٨) : « بينما نجد في درسه يقرر خفيات المسائل في العلوم المختلفة تجده قد خرج يخاطب الناس على اختلاف طبقاتهم كأنه واحد منهم يرشد هذا بالعبارة وذاك بالإشارة، هذا بالاحاديث وهذا بالآيات، هذا بالحجج العقلية وهذا بالمشاهدات والمكتشفات، طوراً يستشهد بحال الصحابة والتابعين، وطوراً بحال فلاسفة اليونان وحكام الأوربيين، » الخ

وقال في (ص ٩) : العلماء لا يتحصر وظيفتهم في تعليم الطلاب فنون العلم في المدارس الدينية بالكيفية الجارية الآن بل هي على الحقيقة أعم من ذلك وأشمل وأنفع . وظيفتها لها دخل في سائر الأعمال والأحوال، وترتبط بسائر الأمور الدنيوية والأخروية، لأن العالم يعتبر مؤسس المبدأ الذي يسير عليه الإنسان ويبقى عليه سائر أفعاله المتعلقة بالمعاش والمعاد . وواضح الخطأ التي تجري عليها الأمة في سائر شؤونها المادية والأدبية وغيرها :

ثم ذكر أن للتعليم ثلاث مراتب أولها تعليم صغار المسلمين في المدارس الابتدائية المسماة بالمسكاتب وثانيها تعليم جمهور الناس وثالثها التعليم العالي في نحو الأزهر والجامع الأحمدى . ثم قال في علماء مصر (ص ١١) ما نصه : « ولكن من موجب الأسف أن علماءنا أعرضوا عن المرتبتين الأولىين ولم يعيروها أقل التفات مع أنهما من أهم الضروريات اللازمة التي يتوقف عليها تقدم الأمة وحسن نشأتها في أمري الدين والدنيا بل هما اللذان ينبغي أن يكونا ثمرة هذا التعليم العالي الذي يشتغلون به في المدارس الدينية ويضعون فيه الأعمار من غير أن يعود على الأمة منه فائدة تذكر . على أنه في الحين الذي يأنف فيه العلماء من القيام بهذين الواجبين أرى أنهم لا يمكنهم أن يقوموا بهما حتى القيام » الخ

ثم ألم بفائدة الإرشاد وتعليم العامة وقال (ص ١٢) : وما يوجب الأسف أن

هذه الوظيفة السامية لا يقوم بها العلماء الآن ايضاً وقد بني على إهمالها ما نواه من
النقص العظيم وعلى قواعد هذا الإهمال بُدئت جذرائه القوية التي قد (لا) تهدمها
الا معاول القدرة القاهرة والروح الالهي ان شاء الله تعالى اهـ

ثم قال في (ص ١٧) : «ولكن من اعجب العجيب انهم أهملوا الآن هذا
الواجب وأعرضوا عنه فكان من نتائج ذلك ضعف الشعور الديني وانتهاك حرمت الشرع
حتى فيما يرجع الى مصالح هذه الحياة الدنيا . بل كان من نتائج ذلك ضياع حرمة
العلماء وانحياز أسر الدين حتى كاد يعد من الاحوال الشخصية والامور الاستحصانية
التي تختلف باختلاف المشارب والأذواق»

ثم قال في ذلك بعد كلمات في أهل الطريق : «فوا أسفاه على هذه الوظيفة السامية
والصفة العالية التي ضاعت بين رجال العلم ورجال الطريق . واأسفاه على تركه الاسلام
التي تفرقت ايدي سبباً في ايدي من لم يعرفوا حقها ولم يقوموا بواجبها بل ونسوها
وشوهوها حتى صارت في ظاهر الامر من المعاني السافلة والامور الدنيئة .» الخ

وقال في الكلام على الكمال في الملكات والوجدان (ص ٣٢) : «وانما ترى
بأعيننا من العلماء المشهورين الذين أحرزوا التقدم وشغلوا الوظائف العالية وعدوا
من الرؤساء من ينقصهم هذا المعنى وان ملكاتهم ووجداناتهم النفسية دنيئة ناقصة
تباين مراكزهم الرسمية وتضاد منزلتهم بين الناس وانهم لا يزال لهم من الصفات
الناقصة ما يحبطهم عن أكثر الناس وان كان ذلك لا يترأى الا لمن يعاشرهم ويعاملهم
ويخترق حجاب المظاهر الكاذبة وقد ينبغي على ذلك صدور أعمال منهم تعد من
الاعمال التي تورث النقص العام وتوجب العار الفاضح للامة والدين والشواهد على
ذلك كثيرة»

إتاما وان كنا نريد بيان رأي هذا العالم الأزهرى ابن العالم الأزهرى في وصف
العلماء دون انتقاد او امتحان لا يسفنا الا ان نستدرك عليه ونقول ان في هؤلاء
العلماء من يعد فخراً للعلم والدين بملو الهمة وشهامة النفس وعزة الدين ووقار العلم
كاشهد العدو والصديق والقريب والبعيد وكان ينبغي ان يصرح بذلك هنا

ثم قال في فصل «الكمال في التنوير والتأثير» وشدة حاجة العالم اليها (ص ٣٣) :

ه أصبح علماؤنا اليوم فاقدين كل شيء من معنى النفوذ والتأثير عاين عن سائر
موادها ولا شك ان هذا نقص شديد يجب تداركه . لا اقول فقدوا النفوذ والتأثير
فقط بل واكتسبوا صبغة الاستئصال والاحتقار من اكثر الطبقات العليا حتى كاد
يكون الحق منهم باطلا والصدق منهم مكذبا والنصح منهم غشا فلا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم

ولو نظرنا بعين الاستبصار الى سائر المرشدين الى الحقائق وهداة العالم واوهم
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأبنائهم اولا كانوا موضع الازدراء والتحقير من الناس
(ليه استبدل بهذين اللقطتين ماهو انزه منهما) وان من يتبعهم كان اقل القليل فاذا
ما اكتسبوا قوة النفوذ والتأثير انعكس الامر واقبل الناس عليهم ودخلوا في دين
الله افواجا وأوهم بعين غير الأولى كآتهم ليس هم اولئك الاولون (كذا) ذلك
لان الناس دائما اسراء العادة عباد المظاهر ايمانهم في عيونهم كما قال بعض العارفين فهم
دائما لا يستمعون الا لمقال من يكتب صفات الاحترام العام ولا يرضخون الا لمن
يحرز قوة النفوذ (١) واذا كان الامر هكذا فلم لا نكتسب هذه القوة لنتمكن من
نشر الحقائق الاسلامية ونوصل الى إعلاء كلمة الله ثم لم لا نكتسبها وهي التي ترفع
الإنسان من الطبقات السافلة الى اعلى المراتب وتجعله سلطان القلوب وقائد الافكار

«ما هو فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبده واحدا منا انظر لماذا علادون أمثاله ولم وصل الى
ان صار صاحب الرأي الاعلى في سائر الشؤون الازهرية وصاحب الاحترام والمكانة
والكلمة المسموعة عند اكثر اهل الطبقة العالية حتى امكنه ان يسود اكثر الذين
يفضونه من العلماء وقد كان في اول قدومه للازهر عند الناس كأحد الطلاب .
اشيء جاء (بالصدفة) ام هذا نتيجة العمل والاجتهاد ؟ لا جرم ان هذا كان اولا
نتيجة النفوذ المكتسب من قوة العقل وحسن البيان وإتقان العمل وذلك جعل له
مكانة عند الطبقة العليا وتلك المكانة اكسبته نفوذا آخر وجعلت تأثيره اقوى وقد
تمكن بهذا وذلك ان يرأس العلماء وتكون له كلمة التصرف حتى على شيوخه ومن

(١) العامة تستعمل الرضوخ بمعنى الخضوع والامتثال وهو المراد هنا والا

فالرضخ في اللغة هو المطاء القليل ولا يصح في هذا السياق

يعضونه وان ينشر مبادئه ويدعو الناس اليها ويبي دعوة كثير من الناس وهو لودع اليها في بدء نشأته ما اجتمع اليه أكثر المجتمعين حوله الان اه
ثم أطال في وصف الشيخ ونفوذ مما لا حاجة الى ذكره وقد ذكرناه ليطلع القارى

ان المؤلف لم يكتب الا ما يتقدولذلك لم يسم الا واستثنى .
ثم انه انتقل الى الكلام على (الكمال في الفعل) فانتقد عادات الملما وذكر من مخالفتهم لما عده كمالا ذلك لاسباب حاطم في حفلات التشريفات وتضييع الجنائز والجماع وفي مجالسهم الخاصة الحافلة وفضل عليهم سائر الفرق . وبقى ذلك بذكر (التور العام) اي المشاركة في فنون المصر وحال البشر في عامة شؤونهم وقال في (ص ٤٢)

« لكن هناك من العلماء من يرى تنويرهم قاصراً على مناقشات الفنون والكتب التي يدرسونها حتى لا يمكنه أن يخوض مع انسان في حديث ما في ثقته وان جلس في مجلس عام لم يحسن التكلم فيه بل اما سكوت واما كلام تنمجه الاسباع ويأباه الطبع السليم اه
ثم تكلم في مطالعة الجرائد والمجلات وقال (ص ٤٣) : « هناك من العلماء من يرى ان كلام الجرائد ككذب لا تجوز قراءته وهو رأي واضح الفساد فان عدم قراءة الجرائد تحمل الانسان في انحياز تام عن العالم وبصدا عنهم كانه ليس على ظهر البسيطة وتجهله ايضاً مستقلاً محتقراً في أعين المتورين كما يحتقر الجاهل بأبسط الاشياء حتى انهم ليمدون مخاطبتهم له تنزلاً وبجاراتهم واحترامهم له تفضلاً لانه في أعينهم رجس بسيط لا يعرف الأحكام الدين ولا يدري ما عليه الناس » . ثم قال في المجلات خاصة :
« ومن أهم ما يجب الاطلاع عليه ايضاً المجلات العلمية كالمنقطف والهلال والمنار فانها تطلع الانسان على معلومات لا يستغني عنها العالم وحيداً لو امتلأت صفحات المجلات الدينية بمقالاتهم الضافية وإرشاداتهم المفيدة » اه وللتقل بقية

﴿ تقويم المؤيد لعام ١٣٢٣ ﴾

هذه هي السنة السابعة لهذا التقويم المفيد الذي يؤلفه محمد افندي مسمودا المحرر بمجربة المؤيد وقد صدر في أول المحرم مطبوعاً بمطبعة الجمهور وهو فيما صار اليه من الشهرة، وما صادفه من الاقبال والرغبة، غني عن التقرير له والترغيب فيه الا أن يذكر ذاكر بعض ما يمتاز به في كل سنة عما قبلها وقد يستغني قراؤه ومتتبعه عن ذلك بما

عرفوا من ذوق مؤلفه في حسن الاختيار ومنه أن فتح في هذه السنة باب الحرب الروسية اليابانية وأما ذكر فيه ملخص تاريخها وأكبر ملاحمها وأشهر مواقعها وصور قوادها في البر والبحر . وفي غير هذا الباب من التطويل في المسائل السياسية ما لا يستغنى عن معرفته وفي باب التاريخ فصل طويل في تاريخ تونس ودولها من بين بصورة البايع السابق رحمه الله والبايع الحاضر وفقه الله . وعن النسخة منه خمسة قروش ماعدا أجرة البريد ويطلب من المكاتب المشهورة .

باب المشيخة والأزهر

الأزهر - مشيخته وإدارته

ما كانت مشيخة الأزهر في زمن الأزمات عريضة للتفسير والتبديل من الأحكام كما تراها في هذه السنين فقد تناول العزل والابدال شيخ هذا الجامع عدة مرات في بضع سنين - عزل الشيخ حسونه باتفاق الحكومة مع الأمير وولي بعده الشيخ عبد الرحمن القطب فلم يلبث أن عزله حكم المتون فاقتار الأمير للمشيخة الشيخ سليمان البشري ثم عزله بمحض إرادته وولي مكانه السيد عليا البيلاوي بالاتفاق مع الحكومة أو مع أولى الأمر كما يقال وفي هذا الشهر استقال هذا الشيخ ونصب بدله الشيخ عبد الرحمن الشربيني باتفاق الحكومة وتلا الشيخ البيلاوي في الاستقالة من مجلس إدارة الأزهر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية والشيخ عبد الكريم سلمان أحد أعضاء المحكمة الشرعية العليا والسيد أحمد الحنبلي شيخ رواق الخطابة وكان سبق الشيخ وهؤلاء الأعضاء في الاستقالة من إدارة الأزهر الشيخ أبو الفضل الحيزاوي عضو المالكية والشيخ سليمان المبد عضو الشافعية والملة في استقالة الجميع واحدة في الحقيقة لا يسمح لها هذا الوقت بتمررها والتاريخ لا يفتى شيئاً أما الشيخ حسونه فكان من علماء الأزهر الذين علموا في مدارس الحكومة ووقفوا على شيء من نظامها وكان القرض من جملة شيخاً الأزهر وجمال الشيخ محمد عبده معه في الإدارة تغيير نظام التعليم ورفقته فيه . وأما الشيخ سليم البشري

فهم من علماء الدرجة الأولى وقد ولي في وقت تألب المشايخ على الحكومة في مسألة المحاكم الشرعية المعروفة . وأما السيد علي البيلوي فقد ولي لشهرته بالصالح بعدما استشار الأمير الحكومة في نفر من أشهر الشيوخ فلم ترض أحداً منهم وقد كان أقدر من سبقه على الإدارة حتى أن أولي الأمر وأهل الفهم قالوا ما كنا نظن أنه يوجد في هؤلاء المشايخ الذين لم يزاووا الأعمال الإدارية ولم يمتوا بالاطلاع على أمور العالم مثل هذا الرجل . وأما الشيخ عبد الرحمن الشربيني فهو مشهور بالعلم والصالح والزهد وقد عرضت عليه مشيخة الأزهر من قبل غير مرة فلم يقبلها على أنها منتهى ما يطمع إليه علماء هذا الجامع من الرياسة. وقد عجب الناس من قبوله في هذه المرة ويقال إن الناس الذين كانوا طالين باستقالة السيد البيلوي قبل وقوعها وقبل ظهورها كانوا يرغبونه في ذلك ويقال إنه لم يرض إلا بعد صدور الأمر بتوليته والله أعلم أي ذلك قد كان. وقد كثر القال والقليل وتباينت الآراء في خطته والصواب أنه لا يؤخذ بشيء مما قيل ولا عما يقال . حتى يعرف السير وتشاهد الأعمال . ونسأل الله تعالى أن يوفقه لما فيه مصلحة هذا الجامع ومصلحة الإسلام وأن يشهد أزده بقرنا الخير والله على كل شيء قدير

غرض الحكومة الخديوية من الأزهر

قد شاع وذاع أن سمو الأمير اتفق مع حكومته على أن كل ما يهم الحكومة من الأزهر شيئاً الأول أن يكون أهله في امان والثاني تخريج القضاة الشرعيين . ولما كان التعليم في الأزهر غير كاف لتخريج القضاة الذين تصلح بهم حال المحاكم وينفذ حكم الشريعة عازمت الحكومة الخديوية على إنشاء مدرسة خاصة لتخريج القضاة يتكون تلامذتها من طلبة الجامع الأزهر ولم يكن أحد يصدق هذه الاشاعة لولا أن المؤيد ذكر أن الأمير قال ذلك في كلامه الذي خاطب به مشايخ الأزهر في حفلة إلباس الحللة للشيخ الشربيني ووافقه المقطم في منامه وأسندته إلى أولياء الأمور وقد كثر التساؤل بين الناس عن سبب استقالة الشيخ محمد عبده من إدارة الأزهر على عنايته العظيمة بخدمة الأزهر وحرصه على تخريج رجال فيه يقدرون على خدمة الشرع وتأييد الدين . وكان ينبغي أن يكون أول سبب يخطر في البال بهذا الاطلاع على تلك الأقوال، هو بلوغ الشعب في هذه المدرسة غايته ومثله من رجال

الجهد لم يخلق للعب بالشغب ، بدون فائدة تكافئ لإنفاق الوقت في التعب . ثم اكتفاؤه بنائية أولياء الأمور بتربية جماعة من طلبة الأزهر في مدرسة خاصة ليتخرج منهم اساتذة وقضاة وهو شيء مما كان يحيل إليه ، قد تيسر الوصول إليه ، ويقول المقطم ان الحكومة ستسيطر بالشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية اصر هذه المدرسة فان صح ذلك فحسبه تربية البعض من الكل على ان تركه لادارة الأزهر ليس للأزهر كله فانه شيخ رواق الحنفية وهو أكثر الأروقة طلاباً فهو يثبت فيهم النظام ويرشد لهم الى روح العلم والدين وهذا بعض آخر من كل وجه كل ميسر لما خلق له »

﴿ مقام الافتاء ﴾

جرت العادة في هذه البلاد وفي سائر بلاد الدولة العلية أن المفتي يجعل داره معهداً للافتاء وقد كان الشيخ العباسي مفتياً وشيخاً للأزهر وكان مع هذا مفتي في داره . ولكن الشيخ حسونه التواوي لما صار شيخاً للأزهر ومفتياً جعل محل الافتاء في الأزهر لانه محل عمله وكذلك فعل الشيخ محمد عبده فانه لكثرة شغله في ادارة الأزهر ولكون داره في خارج القاهرة أبقى محل الافتاء حيث وضعه الشيخ حسونه من الأزهر ولما استقال في هذه الايام من ادارة الأزهر رأى انه لا بد من إبقاء محل الافتاء في الأزهر فمزج على اتخاذ محل آخر له ويقال ان الحكومة سبني له مكاناً في نظارة الحفانية

﴿ المعرض الزراعي ﴾

ما ارتقى الناس في عمل من الاعمال الا بمحاولة المتأخر ان يفوق من قبله في عمله ولن يحاول أحد أن يفوق أحداً في شيء الا بعد اطلاعه على منتهى ما وصل اليه وبجته عن أسباب ارتقائه فيه . والمعارض أكبر معين على اطلاع الناس على غاية ما وصل اليه الناس لذلك عنيت الامم الحلية بهذه المعارض فجعلت في بلادها معارض عامة ومعارض خاصة بالزراعة والصناعة وبعض فروع العلوم والاعمال . وقلتها الحكومة المصرية في المعرض الزراعي إذ كانت هذه البلاد زراعية قوام معيشتها الزراعة . وانك لترى هذا المعرض يتقدم وتكثر المعروضات فيه ويستفيد الزراع منه عاماً بهد طام . وقد كانت المعروضات في هذه السنة أكثر منها في غيرها لاسباب الآلات الزراعية لا محذور

والعزق والسقي والنقل حتى أن محل أورنستين كوبل مد في ميدان المرض سكة زراعية
سبر عليها القطارات بهيئة وجهت إليها الأنظار .
تعرض في هذا المعرض كل سنة الآلات والأدوات ، وكذلك الأسمدة ونتائج
الغلات ، وتعرض الأنعام والحيل والخير والبغال . وقد عرض محمد أفندي صالح سليمان
أنواعاً من الأخشاب المصرية الجميلة ومصنوعات محله منها فالت الجائزة الأولى . وتعرض
فيه أيضاً آلات الخياطة والتطريز . وعرضت فيه في هذه السنة الآلة الكاتبة بالعربية
وهذا وما قبله ليس من الأمور الزراعية .

(الشيخ عبد الباقي الأفغاني - وفاته)

لعت الينا أخبار سوريا هذا السائح العالم العامل التقى الذي عرفناه ونحن في
صبيان المكتب إذ كان يزور بلدنا في سياحته ويقوم فيها إياماً . وصرت السنين عليه ولم
نر تغييراً في سيرته الحمودة . وكان له حسن ظن في منشي هذه المجلة حتى كان يقول :
ان علم رشيد لدي . وقد كتب الينا بعض من عرفه وأخذ عنه ما يأتي نسيا وترجمة :
فضل الحياة لا ينكره الا حلفاء أو هام وسفسطة قد عمي عليهم فيها سبل النظام
الكوني البديع الذي تدور السعادة الانسانية على محور العلم والعمل به من غير هوس
بالتيقّب عن غير النافع والضرار لكن العقلاء في فلسفة الحياة مجمعون على أمر ومختلفون
في أمر والوهميون السوفسطائية لا من هؤلاء ولا من هؤلاء . يجمع العقلاء على أن الحي
يجب عليه إيفاء شكر لواهب الحياة ويختلفون في طرق إيفاء هذا الشكر وكل مذاهبهم
المختلفة تؤدي الى نقطتين متقاربتين ولكن بينهما سد تخين من الاصطلاحات والأوهام
وبُست هي من سد بين البشر القرباء فان الأكثرين لم يتمكنوا من هدم هذا السد
إما لعدم مساعدة علمهم وإما لعدم مساعدة ظروف حياتهم (النقطة الأولى) شكر الله
بقبول دعوته الى المائدة التي وضعها للإنعام والرضاء عن كل خادم بهذه المائدة . (النقطة
الثانية) شكر الله باللسان بتكرير الثناء عليه مع عدم الالتفات للمائدة ولمن يهيئها البنة
فلا يتناولون منها الا التافه وكثير منهم يرون أن يسبوا المائدة والذين يتناولون منها
أما تقارب النقطتين فلان كلا من السائرين يرون هذه المائدة حاضرة فيها من كل

الانواع ويعرفون الذي أعدها ويعلمون أنه لا بد من التناول منها وأنه لا بد من شكر هذا الكريم العظيم . وأما السد الذي بينهم فهو أن الشكر هل هو قول المرء أمدحك يا واهب أمدحك يا واهب أمدحك يا واهب ملايين من المرات أو بقتيم المرء مقصود الواهب من تلك الهبة فتعريف الشكر بأحد التعريفين هو من الاصطلاح وهو ذلك السد ومن وراء هؤلاء كلهم من ليس لهم إلا صورة بشرية لها من الحياة مالم تأثر أنواع الحيوان منها فليدسوا عن تسكلم عنهم .

ونحن لم نرد في هذا الموقف الآن أن ندل على مسلكنا بهذا الشأن ولكن قدمنا هذه الكلمات لنقول إننا نحترم العقلاء مهما اختلفوا وكيفما كانوا ولهذا يؤسفنا تقضاء حياة كبرائهم ويجدر بنا أن نعلن أسفنا لهم وإن نذكر محاسنهم بعد ما يودعوننا ويسبقوننا بذلك الرحيل الأبدى . وكل ذلك تقدمه امام نعيانا الأستاذ العالم الزاهد الورع الشيخ عبد الباقي الأفغاني الذي يعرفه أكثر قراء «النار» في سوريا .

كان الأستاذ من الزاهدين الصادقين في زهدهم لا يماري في ذلك من عرفه فمن كان ممن ينتقد الزهد فطالبه أن لا ينتقد هذا الزاهد الذي كان كبير العقل فأزهدته قد أعانه على رحل طويلة بث فيها العقليات بقدر الامكان فأكرم بزهد يثمر مثل هذه الثمرة في مثل هذه البلاد .

نشأ هذا الفقيد (الذي عز على عارفيه فقده) في «بشاورة» ثم رحل في غضاضة شبابه الى «رانتقور» وهناك أكمل تحصيله على المفتي سعد الله وأخذ يدرس هناك نحواً من خمس وعشرين سنة من بعدها قصد الحجاز وفي عودته رأى في البلاد الشامية نقص العلوم العقلية فبعد تردد طويل رجح لديه أن يدرس في بعض البلاد من غير أن يقيم في بلدة واحدة فطلق يسبح في البلاد من شمالي ولاية حلب الى الولاية الحجازية وكانت جل سياحاته مشياً على أقدامه كان يقيم في البلدة أو القرية شهرين ثلاثة ... أقل أو أكثر . ثم يرحل عنها لغيرها وحيث وجد شبانا مستعدين للعلم يرشدوهم الى سبيله بقدر معرفته . مكث على ذلك أكثر من عشرين سنة ثم انقطع عن التدريس البتة وكان يحب أن ينتشر علم اصول الفقه ولخص فيه أوراقاً على الطريقة المألوفة وفي آخريات هذه الحياة التي صرت بالعلم والتعليم يبلغ العلم اقام في حمص ثلاث سنين وهناك اتاه اليقين ورحل الرحلة الأبدية يوم الجمعة رابع المحرم ١٣٢٣ وكان جنازته اختفان يفوق الوصف عليه الرحمة والعارفيه جزاء أسفهم على فضله .

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يدركه إلا أولو الألباب

المعراج

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فينبغون أجمعين
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوي و« منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الخميس غرة صفر سنة ١٣٢٣ — ٦ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٥)

باب المقالات

﴿ الحياة الزوجية ﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (سورة الروم ٣٠)
«وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ» (سورة النساء ٤)
الأزواج تلد الافراد ومن الافراد والازواج تتألف الأمم والشعوب . مجتمع
فردان فيكونان زوجاً ولفظ الزوج يطلق على كل واحد منهما لان الزوجية تحققت
به الآخر كما تحققت بالآخر له فالزوجان كونا حقيقة الزوجية فهما حقيقة واحدة
ظهرت في صورتين ، وروح واحدة انبت في جسدين ، وبناء واحد أقيم بركنين ،
بل هما حقيقة الانسانية الكاملة وكل واحد منهما جزء لها لو وجد وحده لما وجدت
الانسانية ، ولو هدم بناء وحدتهما بعد وجوده لما بقيت لها بقية : « خلقكم من
نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء »

هؤلاء الرجال والنساء الكثيرون هم الأمة فالأمة أثار الزوجية وحياتها العزيرة تابعة للحياة الزوجية فإذا كانت البيوت التي يمرها الأزواج ويبتون منها الأفراد في عيشة راضية وحياة طيبة خرج منها أولئك الأفراد أحياء وكوتوا بيوتاً يكون مجموعها بلاداً ومدائن وقرى ومزارع يطلق على عمارها لفظ الأمة . والمكون من الأجزاء الحية يكون حياً بحياتها ، فالحياة الزوجية الطيبة هي الأصل في حياة الأمة والنظر في الأصل مقدم على النظر في الفرع

الفطرة البشرية هادية الى الزوجية بكمال مناساتها وإلى أثرها في نفس الزوجين وفي آلهما وفيما يرزقان من الولد فهي تسوق كل رجل الى طلب الأزدواج بامرأة وكل امرأة إلى قبول الاتحاد مع رجل وهي التي رتبط قلبهما وتخرج نفسيهما وتوحد مصالحهما وتجعل الصلة بينهما أقوى من كل صلة بين اثنين في هذا العالم حتى يسكن كل منهما الى الآخر عند كل اضطراب ، ويأنس بهما الأيأس بالأهل والأصحاب ، وهي التي تقلل المودة منهما الى أهل كل منهما حتى تكون كل عشيرة عروناً للآخرى على دفع مضار الحياة وجلب منافعها ، وهي التي تربي عاطفة الرحمة فيهما بالتعاون على تربية الولد فتتمو هذه الرحمة فيهما حتى ينفع بهما من يعجز عنهما عن مساعدة الآخر في الشؤون المشتركة لضعف أو عجز فيرى عاطفة الرحمة قد نابت عن عاطفة سكون النفس الى الإتيان عن الاحساس بالحاجة الى التعاون

لكن الانسان قد أعطي من القوى ما يمكنه من التصرف في الميل الفطري فيجعله عن جادته ويسلك به الجاهل والشعاب فيضل ويردى ، لذلك بنى الرجال على النساء في عصور لا يعرف التاريخ أولها واعتزوا عليهن بالقوة حتى الزهوهن بالكيد والمكر والكذب والخلافة والتصنع والدهان فأشققوهن وشقوا معهن في أنفسهن وفي أولادهم فساءت حالة البيوت ، وساءت بها حالة الأمم والشعوب ، فجاء الدين مرشداً الى الرجوع بالفطرة الى جادتها ، بل العناية بتكميلها وترقيتها ، ثم بنى الناس في الدين كما بنوا في الفطرة حتى عميت علينا معالم كثير الأديان ، وحسبنا ما حفظناه من هداية القرآن ،

يتدفع الرجل لطعم حقوق المرأة بدافع الاحساس والشعور بقوة عليها حاجتها اليه ودافع الاعتقاد بأنه سيدها وهي خادمتها المسخرة أو متاعه المملوك . فأما الشعور

بالقوة فهو آلة البغي في البشر ولولا أن للرجل شعوراً آخر بحاجة إلى المرأة وميله إليها يمرض ذلك الشعور الدافع إلى البغي عليها فيكسر من سوره لكان البلاء أعظم والشقاء أشد . وكان يجب عليه أن يحمل عقله مؤدباً للشعور الدافع إلى الشر وهو مؤدباً للشعور السائق إلى الحسنى لولا ما يمرض للعقل من الخطأ في الاعتقاد فيخرج به عن الصواب إذ يعتقد أن له الحق في أن يعامل المرأة بما يسوقه إليه طبيعة الفاسد ورأيه الباطل . ولا مساعدة في الزوجية ولا الأمانة إلا إذا صح اعتقاد الرجال فعلموا أن المرأة هي شطر الحقيقة الانسانية والرجل هو الشطر الآخر وأنه يجب أن يكون كل منهما متمماً لعمل الآخر في الوجود فيما يشتركان فيه وعوناً له على ما يختلف فيه وظيفتهما مع ملاحظة جهة الوحدة كما تساعد إحدى اليدين أخها وتم كل من الرجلين سعي صاحبها وكما يؤدي العقل وظيفته الفكر والقلب وظيفته الشعور والوجد وكما تسمع الأذن وتبصر العين والقرض من عمل كل عضو واحد وهو مصلحة الشخص . فإذا قام بناء الزوجية على هذا الأساس كان بناء الأمة — الذي يتألف من الأزواج والافراد التي ينسلها الأزواج لتكون أزواجاً في البيوت متفرقة وأمة في البيوت مجتمعة — بناءً محكمًا رصينا إذا فسد الشعور القلبي والاعتقاد العقلي في الأمة فقدضت ما أبرمته الفطرة من ميثاق الزوجية حتى صارت المعاملة بين الأزواج كالمعاملة بين التجار والصناع والاجراء يؤدي كل واحد من حقوق الآخر ما يمكنه من استخدامه مع ظلم القوي للضعيف ومكر الضعيف وخداعه للقوي فالواجب المبادرة إلى معالجة هذا المرض فإن انتشاره في الأمة وباء مجتاح، وخسران لا يرجي منه نجاح، لأن من يضيع حقوق أشد الناس صلة به بل من كان متمماً لمنه وحقيقته ومسوقاً هو إلى حبه بمقتضى غريزته فكيف يرجي أن يقوم بحقوق من لا يتصل به إلا بصلة بعيدة هي فرع تلك الصلة القريبة؟ وإذا لم يتم كل فرد من الافراد بما عليه من الحقوق الخاصة والعامة فكيف تكون الأمة وتتحمل على دفع الاذى، وتعاون على المصالح حتى تبلغ المدى ؟

معالجة النفوس أعسر من معالجة الأبدان ومعرفتها أنعم وأدق، والاحساس بالامراض الروحية أخفى من الاحساس بالامراض الجسدية، لذلك كانت الامراض الروحية في الافراد والجماعات أكثر من الامراض البدنية

لا يتم علاج النفس المريضة إلا بإصلاح العقل والقلب معاً وذلك باقناع العقل بما تقدم الألباع إليه من معنى الزوجية ومساكنة كل واحد من الزوجين من الآخر وبترية شعور القلب ووجدانه تربية صحيحة مبنية على احترام ذلك المعنى وإكباره ليكون الوجدان مؤيداً للفكر والاعتقاد بأن تحقق معنى الزوجية وقيام كل من الزوجين بحقوقها من أركان السعادة التي لا تبني إلا عليها . فأما تربية الكبير على ذلك فهي متعمدة أو متعمرة وأما إقناعه بذلك فهو سهل على الطارف به ولكن فائدة العلم بغير إقناع النفس وشعور القلب قليلة الجدى

إذا كان النائي " على فساد الأخلاق وسوء الفعال لا يستطيع أن يقوم من نفسه عوجها فيعامل زوجه بالحسنى التي هي أثر سكون النفس وحب القلب فهذا لا يدل على أن العلم بمعنى الزوجية والافتناع بحقوقها لا يكون نافعا بدون التربية على هذا العلم حتى يصير وجدانا وشمورا فان العلم الصحيح ينزل الوجدان الفاسد ويبعث صاحبه على مقاومته بالتكليف حتى يزول إذا لم يكن راسخا ولا ضعف أثره وحسنت الحال في الجملة ولذلك ترى حياة الزوجين العالمين الفاسدين الأخلاق انما من حياة الجاهلين الفاسدين أو أقل شقاء ونقصاً . ذلك بأن العالمين تجيب كل منهما إلى الآخر حتى يصير التكليف حياً أو تكون له أكثر ثمرات الحب وكذلك يبقى كل منهما ما يسي " قريته بمقاومة طبعه ومثالبه ميله فتكون لهما صورة الحياة الطيبة وكثير من معانيها . ثم ان الزوجين العارفين بمكان الزوجية ووجوب مساواة الزوجين فيما عدا رياسة المنزل وزعامة الشيرة بريان من يرزقان من الولد على ذلك عسى أن يتم لهما في ولدها ما فاتهما من السعادة في نفسيهما . ولو لا أن العلم يكون وسيلة للتربية النفسية التي تجدد بها القلب مع العقل لما رأيت مصلحاً يظهر في الأمة الفاسدة الأخلاق بدعوها إلى التربية كما ترى في أممنا الآن إذن نحن في حاجة إلى العلم بمعنى الزوجية وحقوقها والشروط التي تتم بها حقيقتها حسبنا في بيان معنى الزوجية وسرها تلك الآية التي صدرونا بها هذا المقال وفي حقوقها بعض الآية الذي يليها . تفيد الآية أن أركان هذه الحياة ثلاثة أولها سكون كل من الزوجين إلى الآخر فالمراد بالانفس في الآية الجنس والمراد بالزوج ما يعم الرجال والنساء . فالحكمة الأولى للزوجية أن يكون لكل من الزوجين وجود آخر من جنسه يسكن إليه من اضطرابه

ومنارات الاضطراب في هذه الحياة كثيرة وأنواع المتاعب فيها غير معدودة وما اخترع الناس أنواع الملاهي واللعب الا ليقاوموها على أن اللعب شأن الاطفال لا شأن الرجال وان سيكون الزوج الى زوجه وأنس الانسان بشقيق نفسه وروحه وشريكه في جميع شؤون حياته لما يذهب بكل اضطراب ويزيل كل وحشة اذا تحققت الزوجية بكامل معناها .

يقول المفسرون ان العلة في أنس كل من الزوجين بالآخر الجنسية كما يعطيه ظاهر اللفظ في قوله : وخلق منها زوجها ليسكن اليها وهو صحيح عقلا وطبعيا فقد خلق الله في كل من الزوجين الذكر والانثى جاذبا مجذبه الى الآخر لا جل ان يتحد به وقد يكون هذا الجذب والانجذاب في بعض أطوار العمر مبهما لا يتصور صاحبه الناية الفطرية من ذلك الاتحاد وهو أن ينشأ عنه وحدة أو وحدات أخرى من الجنس بل ولا مقدمة هذه الناية أيضا . ولكن هذا التعليل لا يصدق على إطلاقه في الوجود الخارجي كما يفتل في الوجود الذهني لأمع كل زوجين ولا مع أكثر الأزواج كما قيل فإن الباحثين في حياة البيوت يقولون إنه قلما يوجد زوجان سعيدان كل واحد منهما مغبوط بالآخر راض به يسكن اليه من اضطرابه ويصفيه حبه ووده ظاهرا وباطنا على أن هذا هو غاية الكمال في سعادة الحياة الزوجية وأنى للأكثرين أو الأقلين بالكمال في هذه الحياة .

والصواب أن أكثر الأزواج في البشر يسكن بعضهم الى بعض ويودهمهما كانت حالهم من فساد الفطرة وسوء الاخلاق والجهل بقيمة الطمأنينة والسكينة في الحياة ولكن طولا الأكثرين منقصات في حياتهم هذه لها أسباب تختلف باختلاف البلاد والاسم وباختلاف الأفراد في التربية والعلم والاخلاق والافكار واستقصاء هذا لا يكون الا في كتاب مستقل يكون فيه باب للأزواج في القبائل البدوية وفي البلاد التي تقرب حال أهلها من حال البدو في السذاجة وقلة الحاجة وتقارب النساء والرجال في الأدب والمعرفة . وباب لأهل الحضارة العالية التي عم التعليم والتربية جميع أفرادها أو أكثرهم . وباب أوسع للبلاد المذبذبة التي بددت عن سذاجة الفطرة ، ولم تصل الى شيء من كمال العلم والصناعة كالبلاد الشرقية التي طاف بها طائفت المندنية الغربية فزلزل أخلاقها وعاداتها وعقائدها وأفكارها الأولى ولم يبدلها بذلك الاخلاق الغربية وما يتبعها فهذه البلاد أشقى بلاد الله تعالى وأبعدا عن سعادة الحياة الزوجية وما يتبعها فلك تجد أكثر الذين أصابهم هذا الزلزال في

حيرة من أمر الزواج قبل الاقدام عليه وبعد الوقوع فيه، ونحن الى الدخول في هذا الباب أحوج لانا في بلاد الزلازل نائشون ، ولا أهله في الأكثر مخاطبون وكاتبون ، ونكتفي منه في هذا المقال ببيان طرق اختيار الزوج وما يكون من ورائه

اختيار الزوج : جرى المرف بأن يكون الرجل هو الذي يخير المرأة ويطلبها والاصل في الاختيار أن يكون للمصلحة وهي لا تحقق الا بصحة الجسم والتناسب مع الرجل في الاخلاق والعادات والميل والرغبة والاتحاد أو التقارب في الصنف والطبقة لان النفس لا تسكن وترتاح لمن يباينها في صفاتها وبخالفها في عاداتها . ولكن الناس قلما يجرون على المصلحة الحقيقية في أعمالهم الاختيارية لان اللذة عندهم ليس لها حدود طبيعية يقفون عندها وانما تعرف الحدود بالشرع والعقل والشرع يؤخذ بالتعلم والاقتداء والعقل يتم بالتجارب والاختبار لذلك تختلف الحدود في نظر الافراد وترى بعض الناس يبنون اختياره على الهوى والميل الى الجمال ، وبعضهم يحكم المصلحة ويحمل مناطها الجاه والمال ، فالأصل في اختيار المرأة عند الأمم الجاهلة الفاسدة الاخلاق هو الحسن والجمال اتباعاً لهوى النفس المستند ، او الثروة والجاه إثاراً للمصلحة الموهومة

أكثر ما يقع اتخذه بالحسن أو الاستحسان من طائفتين (أولاهما) الشبان الاغرار الذين يتوهمون ان عاطفة الهوى لمن رأى احدهم فاستحسن وأحب تدوم فاذا هو اقترن بمن أحب كان له نشوة سرور دائمة فيعيش مضبوطاً ناعم البال قرر العين يرى الملك ملكه والزمان غلامه وهيات ما يتوهم ولكن أنى له ان يفهم ذلك وهو محكوم بشهوره ووجدانه تعبت به الخواطر وتقوده الاماني التي يولها عليه ذلك الشهور . ثم أنى له ان يعرف سيرة الناس الذين سبقوه في تحكيم الهوى واتباع لمحات العيون وطلاعة هواجس النفوس فتزوجوا بمن استحسنوا وأحبوا ولم يلبث أن تحول الاستحسان استقباحاً، والحب العارض مقتاً وبفضاً،

الحسن والجمال من الاعراض التي يسرع اليها الزوال . ثم ان سلطانها على القلب الواحد لا يدوم أو لا يطول الا اذا صار عشقاً خيالياً يخطف القلب من عالم الحس ويرج به في عالم الخيال . وهذا الضرب من العشق لا يكون مع ملك الاستمتاع بالحبيب ، على ان هوى الاغرار لا يتقيد بالحسن الرائع والجمال البارع ، قل هؤلاء الاغرار ليست تلك

ال عاطفة الرقيقة التي وجدتكم ، عند إرسال الطرف الى الوجه الذي استملحتم ، هي أثرا طبيعيا لشيء ثابت في ذلك الوجه فتقولوا ان العلة تلازم المعلوم بل هي شيء كامن في النفس تحركه وتهزه في أحد الصنفين رؤية الآخر في صورة تعجب وقد يصف ذلك الشيء في وقت ما وقد عمل الصورة المحركة له او تعرض للمين صورة أخرى فتبطل حركتها وتفسخ آيتها ، فالاعتماد في هناء العيش وسعادة الزوجية على الاستملاح والاستحسان الذي تحدثه النظرة المحلى اعتماد على ركن غير شديد .

والطائفة الثانية هي طائفة المترفين الذين لا هم لهم الا الاستماع والتفكر في الشهوات والذات وهم أعرق في البهيمية من الطائفة الاولى لان الشاب الغر الذي يكسفي في اختيار الزوج بلمحة طرفه وخفقة قلبه دون الوقوف على أخلاق من اعجب بصورتها وخفق قلبه عند رؤيتها ولا على سيرتها وسيرة اهلها وعشيرتها ليعرف المثلث والنبات - قد يتفق أن تكون الفتاة التي اختارها مشاكلة له في طبعه قريبة منه في أخلاقه وعادته فيعيش معها عيشة راضية وتسكن نفس كل منهما الى الآخر ويقيان باقامة هذا الركن الاول ركني الزوجية الآخرين - المودة والرحمة - بحسب حالهما وطبقتهما في الأمة .

واما المترفون الذواقون من الامراء واهل الثراء ومن تسري اليهم سمومهم ممن دونهم فهم اشقى الناس في بيوتهم وما اشقى نساءهم بهم . ذلك ان احدهم لا يلبث ان يمل من زوج بها لحسنها او يستهويه حسن آخر فيهوي اليه وهكذا يتبع مواقع الحسن الجديد ويوغل في المحرمات فلا يكون زوجا حقيقيا للأولى ولا لغيرها وانما هو شقي بشهوته ومثيق لمن يتصل به فان المرأة عنده اما ان تفسد كفساده فتكون من الذواقات وما أسهل ذلك على ذات الجمال البارع التي قلما يسلم مثلها مع تطلع الفساق المترفين اليها واقتانها هي بنفسها ، واما ان تعيش في نكد ، وتظل في كبد ، وكلا الامرين شقاء للبيوت وشقاء للأمة - فهذا اجمال يكشف للمتفكر عن وجه الخطأ في جعل استحسان الصورة والاعجاب بالجسم اسلا لتخير المرأة زوجها واما جماله اصلا لتخير المرأة للرجل فذلك مما لا حاجة الى بيان فساد وخطأ الذاهب اليه

يقول قائلون ان الظن رسول القلب ، وان الاستحسان علة الحب ، والحب هو علة ذلك السكون الذي هو ركن السعادة وسر حقيقة الزوجية فان لم يكن عينه فهو علة

له أو أثر من آثاره. فما بالك تطلق القول في تخطئة من يحكم استحسان الصورة وميل القلب في الاختيار كأنك تؤيد عادة مسلمي المدن الذين يتزوجون غالباً على السماع ، فافلا عما يتبع هذه العادة من التافر بين الزوجين لأول وهلة ، وما برز آن به من الخسار والجفوة : و نقول أننا قد بينا أن استحسان الصورة وميل القلب إلى ما رضى العين عما لا يبقاه ولا ثبات لما يبني عليه وإنما البقاء والثبات للحب الذي علمته تمارف الأرواح ومشكلة الطباع ولا تنكر مع هذا أن حسن الصورة وجمال الخلقة له أثر عظيم في نفوس عشاق المماني ربما يفوق أثره في نفوس عشاق الصور ولكنه عندهم في الدرجة الثانية بل يقرب في ذوقهم من المحسنات المارضة كالثياب والحلي . فان سليم الطبع لا تسكن نفسه إلى دوام مباشرة رث الثياب وسخها ، يألف طبعه من الطعام الطيب في الأثاء الحليث . وإن من الناس من تشتم نفسه وتفر من بعض العيوب الخلقية فإذا هي فاجأته في وجهه من اختيار له زوجاً يلبسه ويمارجه حتى يتحد معه ثم اتحاد يوشك أن تسكن نفسه انكشافاً يهذر معه الاتهام واللائم لذلك كان من السنة في الإسلام أن لا يتزوج المرء إلا بعد الرؤية وما جرى عليه المسلمون في أكثر المدن أوجعها مخائف الفطرة والشريعة جميعاً واسكن حكم المادات أقوى سلطاناً على نفوس الجماهير من كل حكم يخالفه ،

على أن من يطلب الأزواج لأقامة سنة الفطرة ، لا مجرد ارضاء الشهوة ، ولا لاجل التنقل في مهاد اللذة ، فقلما يخون الوصف رغبته فيما يحب من حسن الصورة وجمال الخلقة ، ولما نالوا أحصينا عدد الأزواج الذين مفتوا أزواجهم استقباحاً لصورهن لما وجدنا فرقاً كبيراً بين من تزوج منهم عن رؤية ومن تزوج عن سماع فان للرؤية نظراً أخادعاً ليس معه للرؤية مجال ، والسماع يشبه فيه ويتروى حتى يغني عن النظر في كثير من الأحوال ،

ويقولون في انتقاد ما عليه أكثر مسلمي المدن من التشدد في الحجاب أن الحاجة إلى رؤية الرجل من يريد الاقتران بهما للوقوف على طبعها وأخلاقها وعادها ، أشد منها لمعرفة حسنها وجمالها ، بل لا بد لمعرفة الأخلاق والطباع من المباشرة زمن أطول ولا : ونقول أن هذا هو الذي يظهر بأدي الرأي وأما ما يظهر بعد التدقيق والتمحيص فهو

أنه يمسر أو يتمذر على الشاب أن يعرف حقيقة أخلاق الشابة وطباعها ورغائبها من المعاشرة بقصد الخطبة فإن ما يتنازع الفتاة من ضروب الشهور والوجدان إذا كانت يراها من الفتى ومسمع يخرج بها عن حال الاعتدال الطبيعي الذي طبعت عليه فلا يكون الحكم عليها صحيحا لأن حجابا طبيعيا أسدل على أخلاقها وسجاياها . ثم إن من وراء هذا الحجاب أو من أمامه حجابا آخر صناعيا وهو ما يكون من التكلف والتصنع لتكون أمام الفتى بالمظهر الذي تظن أنه يرضيه ويجذب قلبه ، فالعمدة إذن في معرفة الآداب والأخلاق هي الوقوف على حال المنبت والمشيرة وخبر الصادق الذي يحسن التقدير ويميز بين ما يرغب فيه وما يرغب عنه . وقد يسهل على الخلطاء والخيران من العشائر أن يعرف قبياتهم أخلاق قبياتهم بالاختبار الصحيح إذا لم يكن هناك مقدمات ولا وسائل تشتمل برغبة المختبر في تزوج من يلاحظ أحوالها ويتقيد أعمالها وقلما يكون هذا في المدن إلا بين الأقربين . وحدثني السيد عبد الرحمن الكواكبي (رحمه الله) أن أهل الاستانة إذا رضوا بالخطاب دعوه إلى دارهم وجمعوا بينه وبين بنتهم في مجلسهم فبأرواها وتراءوا ويسمع كل حديث الآخرون تسأله عن آثاره الأدبية والعلمية ثم يكون المقدم بعد ذلك

وجهة القول أن الذين يعتمدون على مجرد استحسان الصور في تخير الأزواج ضالون لا يرجي لهم أن يكونوا بيوتا (عائلات) تكون أعضاؤها حية عاملة لأمة عزيزة . وسيأتي بيان حال من يبنى اختياره على طلب المال والذروة ثم من يبنى اختياره على ما يجب أن يبنى عليه الاختيار وقد ذكر بعضه في هذه المقالة تمهيدا واستطرادا

فتاوى المفتين

فتحنا هذا الباب لأجابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل أن يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف أن شاء ، وأننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالبا ورمقا قد نأخر السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن أعرض على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لإغفاله

﴿ التحكيم بين الزوجين في الشقاق ﴾

(س ٦) الشيخ محمد نجيب التوتاري المدرس بالمدرسة التوتارية (روسيا) :

أعرض على حضرتكم مسألة كثرت البلوى بها في ديارنا مستفتيا من شريف علمكم
متوقفا البيان الواقي بالمقصود في أحد أعداد المنار ليعم نفعه ويكثر أجره وهي: هل يوجد
طريق شرعي من الكتاب والسنة للتفريق بين الزوجين عند طلب الزوجة له وامتناع
الزوج عنه مع وقوع الشقاق بينهما ؟ واني راجت كتب الحنفية الموجودة في أيدينا
فوجدت أن قول امامنا أبي حنيفة (رض) عدم التفريق وقول الامام محمد (رض)
التفريق اذا وجد في الزوج عيب غير متحمل وتقع الفرقة بمجرد اختيار الزوجة كما
ذكره في كتاب الآثار وأما الامام مالك وأحمد والشافعي في أحد قوايه (رض) فذهبهم
التفريق بسبب عيب الزوج اذا كانت الزوجة تطلبه كما هو المنقول في كتبنا فاتفق الأئمة
سوى الامام أبي حنيفة يقوي القول بالتفريق فيكون العمل به أولى وأحوط . ثم اني
بعد ما نظرت في قوله تعالى « وان خفتم شقاق بينهما » الآية ظهر لي بإعادة التفسير
أنه عند وقوع الشقاق (الشقاق هو الخلاف والمداوة على ما ذكره) بين الزوجين
ينصب القاضي الحكمين العدلين ويوليها أمر الجمع والتفريق كما هو المروي عن علي
(رض) فهذان الحكمان بعد ما يطلعا على أحوال الزوجين يجتهدان في الإصلاح بينهما
إعادتهما إلى المعاشرة بالمعروف ان مكن وان لم يمكن ذلك فان كان الشوز من طرف
الزوج فحكم الزوج بفرق الزوجة نيابة عنه على سبيل التطبيق وان كان الشوز من
طرف الزوجة فحكم الزوجة بفرقها على سبيل الجمع فكلا الأمرين أي الجمع بالمعروف
أو التفريق بالمعروف ينفي أن يكون مرادا من الإصلاح المذكور في الآية . وأما الأبقاء
على حال الشقاق فليس هو من الإصلاح في شيء بل هو داخل في ضمن قوله تعالى « فتدروها
كالمعلقة » الآية ومناف لقوله تعالى « وعاشروهن بالمعروف » الآية وقوله « فامسكوهن
بمروءة أو سرحوهن بغير فساد ولا تمسكوهن ضارا » الآية والحاصل أن الإصلاح
إما هو لا فم الشقاق ولا يتصور ذلك الا بأحد الأمرين أي بالجمع بالمعروف أو التفريق
بالمعروف ففي الآية دلالة على كلا الأمرين أي على ثبوت حق الجمع والتفريق للحكمين
لتضمن معنى الإصلاح ذلك . وهذا ما ظهر لي من تأمل الآية الكريمة ولا أدري أصواب
أم خطأ . والمأدول من الاستاذ اصاح هذه المسئلة وتطبيقها على الكتاب والسنة خدمة
للدين والملة حتى يظهر الصواب في هذه المسئلة ولكم الاجر والمنة

(ج) ان الآية الكريمة صريحة في وجوب التحكيم بين الزوجين ان خيف اتفاق بينهما لانه يجب ان يكونا شقيقين لامتناعين ينضوي كل منهما الى شق (جانب) غير الشق الذي فيه الآخر . ولا يجوز الاسلام للمسلمين أن يدعوها يستبد أقواهما بأضعفهما والخطاب في الآية للحكام في قول وللمؤمنين في قول والقرآن يخاطب المؤمنين عامة في الامور العامة لأنهم المسيطرون على الحكام أولاً لأن الحكم شورى بينهم فاذا قصر أميرهم في تنفيذ الشرع ألزموه به أو عزلوه وولوا غيره فالحقولان متلازمان . ويجب على كل من الزوجين قبول ما يحكم به الحكمان فمن أبى الخضوع ألزمه الحاكم المؤيد بجماعة المسلمين بقول تنفيذ الشرع

وقد أخرج الشافعي في الأتم واليهيقي في السنن وغيرها عن عبيدة السلماني قال جاء رجل وامرأة الى علي كرم الله تعالى وجهه ومع كل واحد منهما قمام من الناس فأمرهم أن يمينو حكماً من أهله وحكماً من أهلها ثم قال للحكمين: تدريان ما عليكما؟ عليكما إن رأيتهما أن تجمعا أن تجمعا وإن رأيتهما أن تفرقا أن تفرقا : قالت المرأة رضيت بكتاب الله تعالى بما عليّ فيه ولي وقال الرجل أما الفرقة فلا فقال علي رضي الله عنه كذبت والله حتى تقر بمثل الذي أقرت به : وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في هذه الآية : هذا في الرجل والمرأة إذا تفاسد الذي بينهما أمر الله تعالى ان يبعثوا رجلاً صالحاً من اهل الرجل ورجلاً مثله من اهل المرأة فينظران أيهما المسيء فان كان الرجل هو المسيء حجبوا عنه امرأته وقسروه على التفقة وإن كانت المرأة هي المسيئة قسروها على زوجها وسعوا التفقة فان اجتمع أمرهما على ان يفرقا أو يجمعا فأمرهما جائز فان رأيا أن يجمعا فرضي أحد الزوجين وكره ذلك الآخر ثم مات أحدهما فان الذي رضي يرث الذي كره ولا يرث الكاره الراضي : وليس في قول ابن عباس (رض) شيء لا يفهم من الآية الا مسألة الإيرت بعد التفريق ويقول الاصوليون والمحدثون في مثل ذلك انه شيء لا مجال للرأي فيه فله حكم المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم .

وما قاله بعض الحنفية من ان نفوذ حكمها يتوقف على رضي الزوجين بالتحكيم أخذاً من قول علي للرجل : كذبت الخ غير وجيه لان مضاه الإلزام بالاقرار

وبكونه لا يصدق في الاتباع حتى يخضع له وهذا لا ينافي بإزماءه به كرها أن لم يرض طوعاً
قال في فتح البيان في مقاصد القرآن عند تفسير « إن يريدوا إصلاحاً: أي على
الحكمين أن يسميا في إصلاح ذات البين جهدهما فإن قدرا على ذلك عملاً عليه وإن
أعيانها إصلاح حالها ورأيا التفريق بينهما جاز لهما ذلك من دون أمر من الحاكم
في البلد ولا توكيل بالفرقة من الزوجين وبه قال مالك والأوزاعي وأسحق وهو
صروي عن عثمان وعلي وابن عباس والشعبي والنخعي والشافعي وحكاه ابن كثير
عن الجمهور قالوا لا إن الله تعالى قال « فابشروا حكماً من أمته وحكماً من أئمتها » وهذا
نص من الله سبحانه أنهما قاضيان لا وكيلان ولا شاهدان . وقال الكوفيون وعطاء
وابن زيد والحكم وهو أحد قولي الشافعي أن التفريق هو إلى الإمام أو الحاكم في
البلد لا إليهما مالم يوكلهما الزوجان أو يأمرهما الإمام أو الحاكم لانهما رسولان شاهدان
فليس إليهما التفريق : ويرشد إلى هذا قوله « إن يريداء أي الحكمان » إصلاحاً يوفق
الله بينهما لاقتصاره على ذكر الإصلاح دون التفريق : اهـ

وانت ترى أن القول الأول هو المتبادر ويزيده قوة أنه مروى عن أعلم الصحابة
ولم يرو أن غيرهم منهم خالفهم فيه وأما الاكتفاء في الآية بذكر الإصلاح فلا أنه هو
المطلوب الذي ينبغي الحرص عليه وعدم الصبر إلى غيره إلا للضرورة والتفريق
يؤخذ من المفهوم ولولا ذلك لم يقل به الصحابة والتابعون . على أن الساعي في
الإصلاح لا يحكم له فيسمى حكماً . وقد كان المسلمون في الصدر الأول يعملون بهذه
الآية على أحد الوجهين في تفسيرها وقد تركوها في هذه الأزمنة التي انقضت فيها
عروة الدين ، ونسخ الحكم المستبينون أكثر أحكام الكتاب المبين ، وأهمل الناس
العناية بأمر أخوانهم المسلمين ، ومن قدر على إحياء هذه السنة كان له أجر المصلحين ،

﴿ الأرض - دليل حركتها من القرآن ﴾

(س ٧) ومنه: ثم أيها الأستاذ قد أوردتم في بعض أعداد المنار قوله تعالى « ينشئ
الليل النهار بطلبه حيثما » دليلاً على دوران الأرض ولعلكن لم يظهر لي وجه
الاستدلال في ذلك وراجعت التفسير ولم أجده ما يشفي العلة فأرجو من فضلكم إيضاح
ذلك أيضاً في أحد الأجزاء . وقد أورد الأستاذ العلامة المرحوم شهاب الدين المرجاني

القرآني (رح) دليلاً على حركة الأرض قوله تعالى «وترى الجبال تحسبها جامدة» الآية وفصل ذلك وبسطه حتى لو نظر المتأمل في ذلك يظهر له أن الآية واضحة الدلالة على المدعى. ذكر ذلك في كتابه (وفية السلاف) والحاصل أنه حمل المرور المذكور في الآية على المرور في الحال ولكن سائر المفسرين حملوه على المرور الآخرى على ما هو الظاهر من سوق الآية وفي آيات أخرى أيضاً سيران الجبال سبق لبيان السيران الآخرى والمرجو من الأستاذ إفادة ما هو الصواب فيه أيضاً.

وقد أرسلت لكم مع هذا مقالة المرجاني في ذلك تقلاً عن كتابه (وفية السلاف) ونحية (الاخلاف) وهو كتاب كبير في التاريخ ثمان مجلدات ضخام لم يطبع منها إلا مقدمته وله تصانيف أخرى نافعة معمول بها في بلادنا. وكان رحمه الله سنياً خالصاً على مذهب السلف يمسك بالكتاب والسنة في الأصول والفروع وهذه عبارته :

«ويدل على حركة الأرض قوله تعالى «وترى الجبال تحسبها جامدة» وهي تمرُّ من السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء، أنه خير بما تفعلون» فإنه خطاب لجناب الرسالة وإبذان الأمر له بالأصالة مع اشتراك غيره في هذه الرؤية وحسبان جمود الجبال وثباتها على مكانها مع كونها متحركة في الواقع بحركة الأرض ودوام مرورها من السحاب في سرعة السير والحركة وقوله «صنع الله» من المصادر المؤكدة لنفسها وهو مضمون الجملة السابقة يعني أن هذا المرور هو صنع الله كقوله تعالى : وعد الله وصيفة الله : ثم الصنع هو عمل الإنسان بعد تدرب فيه وترو وتجري اجادة ولا يسمى كل عمل صناعة ولا كل عامل صانعاً حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه وقوله الذي أتقن كل شيء « كالبرهان على اتقانه والدليل على إحكام خلقته وتسوية مسوره على ما ينبغي لأن اتقان كل شيء يتناول اتقانه فهو تنبيه للمراد وتكرير له كقوله تعالى «ومن كفر فإن الله غني عن العالمين» وقد اشتملت هذه الآية على وجوه من التأكيد وأنحاء المبالغة ومن ذلك تمبيره بالصنع الذي هو الفعل الجميل المتقن المشتمل على الحكمة وإضافته إليه تعالى تعظيماً له وتحقيقاً لاتقانه وحسن أعماله ثم توصيفه سبحانه باتقان كل شيء ومن جملة هذا المرور ثم إرادته بالجملة الكلامية الدالة على دوام هذه الحالة واستمرارها مدى الدهور ثم التقييد بالحال لتدل على أنها لا تفك عنها دائماً فإن قوله

تعالى « وهي تمر » حال عن المفعول به وهو الجبال، ومعمول لفعله الذي هو رؤيتها على تلك الحال، وعن هذا استدلوأ على قصر عدد الحل الزائد على أصل الحل بوقوع قوله تعالى « وثني وثلاث ورباع » حالا من الفعل وعلى اشتراط اذن الامام في الجملة لقوله عليه السلام « من تركها وطأ امام عادل أو جائر فلا جمع الله شمله » وغير ذلك فهذه الآية صريحة في دلالتها على حركة الارض وسرور الجبال معها في هذه النشأة وليس يمكن حملها على أن ذلك يقع في النشأة الآخرة أو عند قيام الساعة وفساد العالم وخروجه عن متاعه النظام وان حساباتها جامدة احساسها لعدم تبين حركة كبار الاجرام اذا كانت في سمت واحد فان ذلك لا يلائم المقصود من التهويل على ذلك التقدير على أن ذلك تقضى واهدام « وليس من صنع وإحكام ، والمعجب من حذاق العلماء المفسرين عدم تعرضهم لهذا المعنى مع ظهوره واشتهال الكتب الحكمية على قول بعض القدماء به مع أنه أولى وأحق من تنزيل احتمالات كتاب الله على القصص الواهية الاسرائيلية على ما شخضوا بها كتبهم وليس هذا بخارج من قدرة الله تعالى ولا بعيد عن حكمته ولا القول به بمصادم للشريعة والعقيدة الحقة بهذان فتقد ان كل ذلك حادث بقدرة الله تعالى وارادته وخلقته بالاختيار كائنا ما كان وهو العلي الكبير وعلى ما يشاء قدیر

«واعلم ان هذه الآية وما قبلها من قوله تعالى « ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات يوقنون » اعتراض في تضاعيف ماساقه من الايات الدالة على أحوال الحشر وأحوال القيمة كاعتراض توصية الانسان بالهدى في تضاعيف قصة لقمان ومثل ذلك ليس بمنزلة في القرآن وفائدته هنا التنبيه على سرعة تقضي الآجال ونصر الاماد والتهويل من هجوم ساعة الموت وقرب ورود الوقت المعاد فان انقضاء الازمان وتقضي الاوان انما هو بالحركة اليومية المارة على هذه السرعة المنطبقة على أحوال الانسان وهذا المرور وان لم يكن مبصرا محسوسا لكن ما ينبعث منه من تبدل الاحوال بما نعا يطروه من تعاقب الليل والنهار وغيره بمنزلة المحسوس المبصر « فاعتبروا يا أولي الابصار » فيكون هذا معجزة النبي صلى الله عليه وسلم مخصوصة به إذ لم يخبر به قبله غيره من الانبياء وليس يمكن حمل الآية على تسير الجبال الواقع عند قيام الساعة ووفاء النشأة الآخرة اذ هو ليس من الصنع في شيء بل افساد أحوال الكائنات واختلال نظام

عالم واهلاك بني آدم اه و ذكرناه بنصه ولعله لا يسلم من تحريف
 (ج) قوله تعالى «يشقي الليل النهار يطلبه حثيثا» ليس نصا قطاميا في حركة الأرض
 لكنه يدل على أن الليل الذي هو ظل الأرض يسير مسرعا وراء النهار الذي هو نور
 الشمس الواقع على الأرض حتى كأنه يطلبه بإرادة واختيار ولا يخفى أن النظر إلى تعاقب
 بل والنهار يجيز لنا أن نقول إن كل واحد منهما يشقي الآخر ويتبعه أو يطلبه ولكن
 على الليل هو الغاشي كما يؤيده قوله تعالى «والليل إذا يشي» يشير بأن هذه الحركة
 يدور فيها الليل وراء النهار والنهار وراء الليل هي للأرض وذلك أن العقل جازم
 بذلك لا بد أن يكون بسبب دوران الأرض تحت الشمس أو دوران الشمس وما يتبعها
 الكواكب حول الأرض في هذا المدار الواسع الذي يبلغ نصف قطره بالنسبة إلى الشمس
 باعتبارنا الأرض مركزا نحو ٥٢ مليونا من الأميال. وذكرنا أن مختار باشا الغازي
 هو من أكبر علماء الفلك يقول إن الآية تدل على دوران الأرض قطعا وذلك أنه يجب
 لها على أحد الوجهين المشار إليهما وأحدهما ممنوع بالأدلة الرياضية وهو كون الشمس
 تدور في هذا الفلك الواسع حول الأرض ويتبع ذلك أن كواكبها كذلك تدور
 حول الأرض ومنها ما هو أبعد منها عن الأرض كثير أفتعين الوجه الثاني وهو الذي قامت
 عليه الدلائل الرياضية على أنه أقرب إلى العقل والتصور
 وأما قوله تعالى «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب» الآية فقد استدل
 بها المعاصرون على حركة الأرض وقد قرع هذا الاستدلال سمعي في المدرسة أيام التحصيل
 ولم يحسن أحد في توجيهه إحسان عالمكم القراني رحمه الله تعالى فإن جوابه عن ورود الآية
 في سياق الكلام عن قيام الساعة وأحوال الآخرة بأنه يصح أن يكون مرادا به البرهان بقياس
 النظير في العمران على النظير في الخراب جواب وجيه وما دعم قوله به من بيان معنى الصنع
 والافتقار قد أحسن فيه الصنع كل الاحسان، لولا أنهم أجابوا عنه بأن الله تعالى أحسن الصنع
 واتقنه في تخريب العالم وتبديله كما أحسنه في إنشائه وتكوينه، فكل وجه وليس الآية نصافي
 أحدها ويؤيد قول الجمهور آيات ذكر فيها تسير الجبال في معرض الكلام على الساعة. ولنا
 في حاجة إلى نصوص قاطعة تصف الأكوان بكل أوصافها، وتبين حقائقها وما هيئتها، فحسبنا
 أن الله تعالى أرشدنا إلى البحث وأمرنا بالنظر لنصل إلى ما يمكن الوصول إليه مستدلين به على

علمه وحكمته وشمول قدرته سبحانه فالكتاب مرشد والبحث موصل وقد تركنا هذا
النظر وصارفينا من مجرمه باسم الدين، وان ترك الدين بمخالفة كتابه المبين،

﴿شهادة غير المسلم وخبره﴾

(ص ٨) ومنه: هل تقبل شهادة غير المسلم كالنصراني أو اليهودي في بعض الأمور أم لا تقبل
أصلاً وشهد طبيب نصراني بأن الزوج ضرب زوجته ضرباً شديداً والمرضى حصل بسبب
ذلك. هكذا كتب الطبيب فهل يتبل قول هذا الطبيب؟ وهل هذا القول شهادة أم خبر؟
وما الفرق بين الشهادة والخبر؟ أم هذا القول في حكم الكتاب فيصم به من حين هو
كتاب؟ هذا ما كنا نرجو شرحه من حضر تكلم دام فضلكم وعم نعمكم وعلى الله أجركم
(ج) تقبل شهادة غير المسلم في بعض الأمور وفي ذلك نزل قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا
شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من
غيركم» وهي في سورة المائدة التي لا نسخ فيها فقد أخرج أحمد من حديث جابر بن عبد الله عن
عائشة قال دخلت على عائشة فقالت هل تقرأ سورة المائدة قلت نعم قالت فأتها آخر سورة
انزلت فما وجدت فيها من حلال فأحلوها وما وجدت فيها من حرام فحرموها. وروى البخاري
في التاريخ وأبو داود والترمذي وغيرهم من حديث ابن عباس قال خرج رجل من بني سهم
مع تميم الداري وعدي بن بدء (١) فأتا السهمي بأرض ليس بها مسلم فلما قدموا بتركته
فقدوا جأماً من فضة مخوصاً (٢) بذهب فأحلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد
الجأماً بمكة فقالوا ابتناه من تميم وعدي ابن بدء فقام رجلان من أوليائه خلفاً لشهادتنا
أحق من شهادتهما وإن الجأماً لأصاحبهما قال ففهم نزلت هذه الآية «يا أيها الذين آمنوا شهادة
بينكم»: وروى أبو داود والدارقطني بسند قال الحافظ ابن حجر رجاله ثقات عن الشعبي
إن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقاً (٣) ولم يجد أحداً من المسلمين يشهده على

(١) الرجل السهمي اسمه بزييل (كزير) لا بدليل بالدال أو الراء كما قيل وتميم
وعدي كانا نصرانيين وقد مر قال الجأماً من متاع الرجل ولم يعلم أنه كتب ورقة بجميع
ما أودعهما (٢) الخوص تشديد اللواو المنقوش بما يشبه الخوص وهو مما يعني به الآن في ألعاب
الفضة وأنيها وما يوضع في رؤوس العصي منها (٣) هي بفتح الدال وضم القاف وسكون الواو
والقصر بلد بين بغداد واربعة

وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقديما الكوفة فأتيا الأشعري يعني إمام موسى فأخبراه وقديما بتركته ووصيته فقال الأشعري هذا امر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحلفهما بعد العصر ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها لو صية الرجل وتركته فأمضى شهادتهما:

ظاهر الآية والأحاديث مشروعية اشهاد غير المسلم وخضه من قال به من العلماء بالسفر وعدم وجود مسلمين ولا نعلم ان احدا قال بالاطلاق او بقياس غير السفر عليه عند الحاجة . وعظم على بعضهم جواز اشهاد غير المسلم وحاولوا التفصي منه فزعم بعضهم ان الآية يحتمل ان تكون منسوخة ورد بأن سورتها آخر القرآن نزولا وورد انه لا منسوخ فيها على ان النسخ لا يثبت بالاحتمال . وزعم بعض ان قوله تعالى « او آخرا من غيركم » معناه من غير اقراركم ورد بأن الخطاب في الآية للمؤمنين فقيرهم من ليس على دينهم . وقال بعض العلماء ان هذه الآية في غاية الاشكال . واحتج من لم يجوز لاشهاد غير المسلم ولم يقبل شهادته عليه بقوله تعالى « وأشهدوا ذوي عدل منكم » قالوا والكافر لا يكون عدلا : وقال الرازي في تفسيره « أجاب الاولون عنه لم لا يجوز ان يكون المراد بالعدل من كان عدلا في الاحتراز عن الكذب لامن كان عدلا في الدين والاعتقاد والدليل عليه انا أجمعنا على قبول شهادة أهل الأهواء والبدع مع أنهم ليسوا عدولا في مذاهبهم ولكنهم لما كانوا عدولا في الاحتراز عن الكذب قبلنا شهادتهم فكذا هنا . سلمنا ان الكافر ليس بعدل الا ان قوله « وأشهدوا ذوي عدل منكم » عام وقوله في هذه الآية « اثنان ذوا عدل منكم » أو آخرا من غيركم إن أتم ضربتم في الأرض » خاص فانه أوجب شهادة العدل الذي يكون منافي الحضر واكتفي بشهادة من لا يكون منافي السفر فهذه الآية خاصة والآية التي ذكرتوها عامة والخاص مقدم على العام لاسيما اذا كان الخاص متأخرا في النزول ولا شك أن سورة المائدة متأخرة فكان تقديم هذه الآية الخاصة على الآية العامة التي ذكرتوها واجبا بالاتفاق والله أعلم » اهـ

ولاشك ان المراد بعدل الشهود ما ذكره أولا ومن عجيب أمر الجمود على المذهب والتعصب للتقليد أنه يجبري صاحبه على سوء الادب مع الله تعالى ومن ذلك قول

بعضهم ان الآية تخالف القياس والاصول واي اصل لدين الاسلام غير القرآن فيحتمل عليه أو يرجع اليه . قال في نيل الاوطار : « وأما اعتلال من اعتل في ردها بأن الآية تخالف القياس والاصول لما فيها من قبول شهادة الكافر فقد أجاب عنها من قال به بأنه حكم بنفسه مستثنى عن نظيره وقد قبلت شهادة الكافر في بعض المواضع كما في الطب : الخ

أما قبول قول الطبيب الكافر فقد قال به بعضهم على إطلاقه وقيده بعض الفقهاء في المرض الميسح لا يتيمم أو الفطر في رمضان بما اذا صدقه المريض أي يعمل بقوله اذا لم تقم قرينة أو شبهة على انه كاذب . وكذلك الطبيب المسلم اذا قامت القرينة على كذبه لا يعمل بقوله

ثم ان من العلماء من يقول ان البينة هي كل ما يتبين به المطلوب حتى يعلم الحاكم مثلاً ان الذي حصل هو كذا وقد أطال ابن القيم بيان هذا في كتابه (اعلام الموقعين) واحتج عليه بالكتاب والسنة . وعليه يقال اذا كان بعض الكافرين المعروفين بالصدق شهدوا في قضية شهادة تؤيدها القرائن بحيث يطمئن قلب القاضي وغيره بصحتها وافترض ان من جملة هذه القرائن انها ربما مستهم بضرروا ان كتمانها ربما جر اليهم منقمة فان هذه الشهادة تعتبر على ما ذهب اليه ابن القيم بينة شرعية . على ان مذهب اصحاب الحنابلة تخصيص شهادة الكافر بمسألة الوصية كما ورد وبكون الشاهدين من اهل الكتاب ولو غير ذميين

واما الفرق بين الشهادة والخبر فالاصل في الشهادة ان تكون اخباراً عن مشاهدة وروية ثم انها تطلق على التعمل وعلى الأداء قال في كشف اصطلاحات الفنون : « الشهادة بالفتح والهاء الخفيفة لقمة خبر قاطع كما في القاموس وشرعاً إخبار بحق للخبر على آخر عن يقين وذلك الخبر يسمى شاهداً : وقال في الكلام على هذه القيود : وقولنا عن يقين يخرج الاخبار الذي هو عن حساب وتخمين : وكان ينبغي ان يقول الذي قد يكون عن حساب وتخمين ثم زاد قيداً آخر عن فتح القدير وهو « في مجلس الحكم » .



﴿ رأي عالم أزهري في العلماء ﴾ تابع لما قبله

وقال في فصل عنوانه حال العلماء اليوم ما نصه بحرفه ورسمه :

« ماذا أقول في هذا الباب وماذا ينبغي أن أقول فيه والمقام خرج والحاجة إلى الإبانة شديدة . أخشى سطوة الرؤساء وقيامه العلماء فأكتب من صفائف الاطراء ما تمزقه يد الشهود أم تأخذني العزة بالآثم فلا أرضى أن أنسب لنفسي ولا لابناء جنسي ما حطنا وحقرنا في هذا الوجود أم أسكت وأغاط شعوري وأقول إنني واحد من كثير ، أو اعلم نفسي بالقضاء والتقدير »

ربي أنت أعلم بحيرتي ودهشتي فانشاني من أحوال هذا الترديد ، وألهمني القول الرشيد ووقفني لما فيه الخير لي ولأهل علمي يارب العالمين

تالله ان من أهم ما يستلفت الانظار حال علماءنا اليوم وفائدة الامة منهم فهم بحسب أصل الوضع المرجع الاعلى في اصلاح شؤون الامم الاسلامية وغرس الملكات الدينية في قلوب المسلمين ونشر العلم بينهم ودلائهم على ما ينبغي أن يكونوا عليه في أمري الدنيا والآخرة وإيقاظهم على قبح القبح وحسن الحسن من الاخلاق والعادات والاقوال والافعال اذ هذا هو المقصد من افراد طائفة بالأشتغال بالعلم وتشديد دور واسعة لهم

ولسكن المطامح على حالنا اليوم لا يدري هل المقصود من الاشتغال بالعلم الديني هو هذا ، أو المقصود أن يحوز الانسان مرتباً يقوم بضرووريات معاشه فيكون العلم الديني من الحرف يقصد لتميش أو المقصود أن يحوز شرفاً وجاهاً وصفة بين الناس لا يحوزها إلا من يأدي الامتحان فيقال زكي نحيب حاز قصب السبق الى غير ذلك من العبارات أو المقصود تكميل الفرق وتعيم الطوائف حتى لا يكون المجتمع الاسلامي خالياً من فرقة تسمى (العلماء) تميماً للنظام وان لم تنفع هذا المجتمع بشي يذكر . أو المقصود المحافظة على التقاليد الاولى والاحوال القديمة ولو بغير معنى ، أو المقصود وجود فرقة تمثل تلك الفرقة العالية التي أقامت هيكل العلم الاسلامي وشيدت له بيتاً من

المر في المصور الاولى كما يكون في تشخيص رواية مثلاً

ولا يعرف ايضاً هل المقصود من العلم أن يعرفه الانسان وان كان لا يلاحظه في خلقه وعاداته وعمله او لا بد أن يظهر أثر علمه في شخصه قبل غيره وهل الغرض ان يختصر

العلم بين جذران المدارس الدينية . او الفرض ان تكون المدارس كالشمس تنبث منها
الانوار في جميع أرجاء العالم ويكون لها أثر في ترقى الامم الاسلامية مثل تأثير الشمس
في انماء الزروع وانضاج الثمار واصلاح هذا الكون

على اني لا أريد أن أفيض في بيان حال علماءنا وما هم عليه فذلك شئ مؤلم
وحسبي منه ما يعلمه الناس وما مست الحاجة لإيادته في سابق هذا الكتاب ولا حقه
ولكنني أذكر من ذلك أمراً واحداً مهما هو علة العذل في كل الاحوال . الا انه
مبدأ العلماء اليوم ومشربهم فأقول : ينقسم علماءنا في مبدائهم الى قسمين - آخذين
بالعادة، وآخذين بالفكر - فأما الآخذون بالعادة فهم جمهور العلماء لا يميلون الا
لما وجدوا عليه من قبلهم معتقدين أن الكمال فيه سواء في ذلك علومهم ومعتقداتهم
والكتب التي يدرسونها وطريقة التدريس والامور الشخصية وسائر الاحوال . والاكثر
منهم أهل الكمال هم المتأززون بالصلاح والتقوى والنظر الى الآخرة أو بالتدقيق في
المباحث اللفظية والمعاني الخيالية ولكن مع الجهل بالشؤون العامة وأكثر العلوم
الضرورية والاحوال العمومية ومع التلبس بكثير من المعتقدات الخرافية والاهام
العامة ومع الجمود والوقوف عند حد من الفكر والتعقل أدنى مما ينبغي ومع الاقتصار
من العلم على ما لا يكفي ومع عدم النظر الى نشر العلم أو تقريره من الفهم وعدم السعي
فيما يصلح العامة وما يعود على الامة بالتقدم في أمري الدنيا والآخرة ومع عدم
الجرأة في شئ مما ينبغي الجراءة فيه ومع عدم الاهتمام بحال المسلمين ولا بما يطراء
اليوم على الاسلام من أوجه الطعن وعدم الاكتراث باقناع المعارضين ورد المجادين
بل يكتفون من العلم بتدقيق في الالفاظ وتحقيق لبعض المعاني على ضرب خاص لا يفيد
الا بعد زمن مديد وجهد شديد

وأما الآخذون بالفكر فهم حديثو العهد ولم يزالوا قليلين جداً وهؤلاء يرون
أن ما عليه الاولون غير صواب وينتقدون عليهم في علومهم وأخلاقهم وصلاحهم
وسائر أحوالهم ويرون الكمال في أن يكون الانسان قوي الفهم شديد المارضة
صحيح النظر في الشؤون العامة ويعلم من علوم الكون ما يمكنه أن يترقي به الامة
ويوقفها في صفوف الامم الحية ويخرجها من الاهام وأسر الجهالة ويتغالبون في ذلك

الا أنهم مع هذا يثقون بأفكارهم ويستبدون بها ويحكمونها فيما لا ينبغي أن تحكم فيه ويكرهون كل قديم مما عليه الجمهور مع عدم اعطاء تربية الملكة الدينية وما يتعلق بأمر الآخرة من العناية مثل الذي أعطوه للأمور المتقدمة بل مع اغفال ما يقرب الإنسان من الملاء الأعلى ويظهر عليه آثار العبودية

والذي أراه نقص المبدأين وعدم كمال الفريقين وإن كلا منهما يتعد عن الغاية التي ينبغي أن يصل إليها أهل العلم بقدر ما يقترب الآخر منها وإن أجزاء الكمال الواجب للعلماء موزعة عليهم لا مجموعة وإن كلا مصيب في شيء مخفي في آخر. فإن الغمك بالمادة قبيح كما أن الثقة بالفكر توقع الإنسان في الخطأ من حيث لا يشعر بل المبدأ الصحيح الذي ينبغي أن يسلكه أهل العقول الراجحة هو كما أقول (لا تقديس المادة ولا تثق بفكرك) بل تأمل وتدبر فمسي أن يكون ما عليه الناس حقاً خفي عليك وعسى أن يكون ما رأيته صواباً غفل عنه الناس. وما يتمسك به الأولون من الصلاح والتقوى والانكسار والاقبال على أمر الآخرة والتحقق بالعبودية حسن ولكن في موضعه وعلى وجه لا يؤدي إلى الاقتصار عليه وعدم القيام بالشؤون الواجبة على العالم من حيث هو عالم يلزمه أن يكون ذا نظر وسمة اطلاع والمسام باخلاق الناس وأحوالهم وحسن بيان وعلم بما يلزم من علوم الأكوان لئلا يكونوا يقوموا بالواجب عليه للناس حق القيام ويكون لقومه سمياً مضيئاً ولا إغلاء كلمة الحق وقيام الناس على طريق الهدى سيفاً ماضياً ومناراً عالياً فهذا واجب وهذا لازم ولهذا وقت ولذلك وقت آخر. فالعالم إذا جن عليه الليل ذل وخشع وانكسح وانخلع عن هذا الكون الناقص وأقبل على الحق واقترب من ملكوت الله يسجد ويركع ويسبح ويقدس ويمجد الحق ويناجيه بما شاء حتى تتورم قدماءه ويخل جسمه وإذا أصبح أصبح شهيداً جريئاً في موضع الجراءة والشهامة يعظ ويرشد ويعلم ويقول الحق ويهدي إلى سواء السبيل يسائر هذا ويجلس إلى ذاك. إن استعمل الشدة في موضعها فمن غير عنف وإن استعمل اللين فبغير ضعف لا تفوته شاردة ولا واردة مما يري فيه صلاح الأمة في أمر دنياها وآخرتها فلقد قال الحق في أصحاب رسول الله (أشداء على الكفار رحما بينهم) وقد كانوا إذا رأهم رأوا في النهار ظمهم من قطاع الطريق يشنون الفارة

هنا ويسارضون غير قریش هنا وهكذا لأنأخذهم رأفة في دين الله فإذا اقبل الليل كان لهم ازيز كازيز النحل (*) يذكرون الله تعالى ويسبحونه أنا الليل وأطراف النهار لايفترون

وما يغلب على القسم الثاني من القيام باصلاح الامة وارشادها الى طريق سدادها وعدم إغفال الفكر مع الميل الى الترقى في العلوم والمعارف والاخلاق الخ حسن . ولكن على وجه لايعقل منه قوام الدين واساسه وهو ايجاد الروح الدينية المألوبة والتقرب من الملأ الاعلى وتعمير القلوب بالانوار الالهية والمعارف الوجدانية التي هي غاية الكمال لمؤسسة الانسان والتي تقرب من الحق جل وعلاه وأنت تجد اكثر القرآن انما جاء ليدعو الناس الى سعادة وراء هذه السعادة الدنيوية وكما فوق هذا الكمال الظاهر

هذا ولا بأس ان استعين بالمقارنة والتبثيل بالأمثلة الحائزين لحصال الكمال والمشهورين بأنواعها واقول ان العالم لا بد ان يكون في جرأة وعقل وفكر وحسن بيان مثل فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده وذل وتواضع وخشوع وصلاح فضيلة الاستاذ الشيخ الشرييني

بل اقول ان العالم الكامل لا بد ان يكون في اقدام عمرو وحلم الاخف وزكا اياس وتقوى ووجدان الجيد وبلاغة سحبان وعبد القاهر ونحو سيئويه وفلسفة ابن سينا وحقه ابي حنيفة الخ واقول ثالثاً ان العالم الكامل هو من يجمع من الكمال ما جمع الغزالي او يفوقه او يقرب منه واسأل الله الكريم ان يوجد بيننا علماء اقوياء كاملين يكون هذا حالهم وهكذا شأنهم انه سميع قريب مجيب اهيجر وفه وغلظه وتحريقه

(المنار) هذا هو اعتقاد احد المدرسين في الازهر بعلماء الازهر الذين يقول بعض الناس ان حفظ الدين يتوقف على فهمهم على حالهم . وان حديث الناس في مثل ما كتب هذا الشيخ الازهري كثير ولكن لم يجزأ احد على كتابة ما يعتقد او يسمع وطبعه وتشره بين الناس ولهذا كان لكتابه تأثير عظيم عند خواص الناس ورجال المخلصون

(*) المنار: الدوي هو صوت النحل وكذا صوت الذباب والريح وأما الازيز فإنه

صوت المرحل (القدر) عند الفيلان ويقال ايضاً أزيز الرعد

في حب الخير لملتهم أن يكون هذا المؤلف عضدا عظيما للإصلاح ولكنه ما عثم أن زلزل رجاءهم ببذرة نشرها في بعض الجرائد اليومية عنوانها (كتاب مفتوح) لا مير البلاد خالف فيها بعض رأيه في كتاب العلم والعلماء وكتب في بعض الجرائد ردَّ عليه يشعر بأنه ما كتب هذا الكتاب المفتوح إلا بتأثير لا يقوى مثله على دفعه. وقد بلغنا أن من طلب منه كتابة الكتاب المفتوح هدهد بمحو اسمه من ديوان العلماء والمدرسين إذا هو لم يكتب فصدق القول لأن المهدد اتصالا بمن يظن فيهم القدرة على المحو والاثبات. ولو ثبت على رأيه لكان خيرا له ولو محي اسمه من المدرسين. على أن محوه لم يكن ميسورا لأنك المهددين، وإتانه كراخانا المؤلف بأن المعتقدين مثله بحاجة الأمة إلى الإصلاح الديني والعلمي كثيرون ومنهم من هم أوسع نظرا وأبعد رأيا في طريق الإصلاح وإنما يعوزهم العزم والثبات، وعدم المبالاة بما يلاقون من المعارضة والصعوبات، فإن استطاع أن يكون كذلك فليقدم ولا يخف في الحق لومة لائم والا فليسكت ويسكن خيرا له من أن يكون كبعض أصحاب الجرائد يسير يوما على صراط المصلحين. ويوما على طرق المعارضين.

أنا علي بن شهاب

كلية ودمنة

لهذا الكتاب من الشهرة ما يفي عن اتمريف به والتنويه بما فيه من الحكم الرائعة والآداب العالية في العبارة البليغة والأسلوب الرفيع. قلما يوجد كاتب مجيد في هذه اللغة لم يكن كتاب كلية ودمنة من مادته وهو من الكتب التي عذبت نظارة المعارف في مصر بطبعها وأوجبت على تلامذة مدارسها مطالعته ليكون عوناً لهم على تحصيل ملكة الانشاء والتحرير وايسْتَفيدوا من آدابه وحكمه ما يفيدهم في انفسهم كما يفيدهم بعبارة في أقلامهم وألسنتهم. وقد طبع غير مرة في مصر وبيروت وأوربا ولكن كل طبعته طائلة من حلي الصور التي وضعت في أصله لتمثيل ما فيه من الحوادث والأمثال أو لأجل «زيادة الأنس للقلوب» وشدة الحرص عن المكتوب، كما قال ابن المقفع من ترجم الكتاب حق عز الشيوخ أحد طباعه محرر جريدة ثمرات الفنون في بيروت حق على نسخة خطية من الكتاب منقولة بالصور

في مكتبة الشيخ جمال الدين القاسمي من علماء دمشق الشام كتب عليها أن نسخها قد تم في عاشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين بعد الألف على يد أبي المنا بن نسيم النقاش و عدد الصور فيها ٨٦ فأخذ النسخة وكلف بعض مهرة الصانع الأوربيين بنقلها إلى الزنك ليطلع عليها فجهت كأصلها وطبع الكتاب بالصور وأضما كل صورة في مكانها من الأصل . وقد عني بمقابلة هذه النسخة على النسخة المطبوعة في باريس سنة ١٨٩٦م والنسخة المطبوعة في مصر سنة ١٢٩٧ هـ والنسخ المطبوعة في بيروت قال « واخترت منها ما كان أقربها من الأصل وأبعدها عن التحريف والتبديل وأسلمها من الزيادة والنقصان » وهذه الصور فائدة تاريخية لأنها تمثل لنا أزياء تلك المصور الذي وضع فيها الفيلسوف الهندي كتابه وشيئا من عاداتهم وفائدة صناعية من حيث فن الرسم والتصوير والقاري يرى أن هذه النسخة أحسن نسخ الكتاب وهي مشكولة ومضبوطة وثمن النسخة منها عشرة قروش مكيحة وأجرة لبريد قرشان وتطاب من إدارة المناو بمصر

﴿جواب أهل الإيمان في تفاضل آي القرآن﴾

سئل شيخ الإسلام أبو العباس أحمد تقي الدين بن تيمية الشهير عما ورد في الحديث من أن سورة « قل هو الله أحد » تعدل ثلث القرآن وعما ورد في سور أخرى من التفضيل فأجاب بجواب مطول فيه فوائد كثيرة لا توجد في غيره وطبع في هذه الأيام فكان كتابا مؤلفا من ١٣٢ صفحة ومن مباحث الكتاب بيان معنى المعادلة والتفاضل في القرآن وما ورد في الفاتحة وأحكام المذاهب في قراءتها في الصلاة، وبيان كون قصة موسى أعظم قصص الأنبياء في القرآن، وبيان سبب عدم تكرير قصة يوسف وغير ذلك من الكلام في قصص الأنبياء ومنها مباحث في القرآن وكونه غير مخلوق وفي النسخ ومباحث في التوحيد والاعتقاد والتفسير . وقد طبع على نفقة الشيخ عبد الرحمن زين الدار الحايبي فجزاه الله خيرا

(خطب الأعظمي)

قرطنا في الجزء الرابع والعشرين من المجلد السابع ما طبع من هذه الخطب وانتقدنا على الخطيب الشدة في التعبير في بعض المواضع لعلنا بأنها تهيج عليه بعض الجامدين على ما هم عليه الزاعمين أن كتمان عيوب الأمة والسكوت على ما وصلت من الانحطاط واجب لئلا يطلع الأجانب على نقصنا فيحتقرونا أولاه لا يصح أن نبين أن المسلمين الآن منهطون

عن الكافرين وافر ذلك من الشبه الواهية ، وقد وقع ذلك من بعض أهل الجود في الهند وأما الذين اطلموا على نموذج الخطب في مصر فلم نسمع عنهم انتقادا لانهم تهودوا على سماع وقراءة أمثال هذه الزواجر وانتي لأدري أي القطرين أشد جودا على الحال السيئة التي وصل اليها المسلمون - القطر المصري أم القطر الهندي ولكنني أعلم ان في كل منهما أنصاراً كثيرين لمن ينادي بالاصلاح ويتدد بالتقاليد والمادات الضارة في أمر الدين وأمر الدنيا مهما غاظ وشده ومن يقل منهم بوجوب إلانة القول فانما يريد الرق بأهل الجود لهم يجذبون الى الحق بسهولة ولا يريد أن لشدة في غير محلها أو غير نافعة . واحسن القول عند طلاب الاصلاح ما كان تأليفاً بين المسلمين ، وهو اقبحه عند الجامدين ، كما ترى فيما يلي :

﴿ أهل السنة والشيعة ﴾

ان العلماء الراسخين من هاتين الطائفتين لا يقولون بأن مخالفهم في المذهب كفر خارج من الملة وأهل السنة يذكرون في كتب العقائد أنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة وان أتى بشيء مما يهدونه كفراً متأولاً فيه . ولا شك أن الشيعة يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ويشهدون أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله وأن كل ما جاء به من أمر الدين حق ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت من استطاع منهم الى سبيلها ومع هذا كله تجد من المتعصين الذين يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة من يحكم بكفرهم وأهل السنة والجماعة أحرص على الجمع بين أهل القبلة منهم على التفريق ومن القواعد عند بعض فقهاءهم - وحجبا هذه القاعدة - أنه اذا وجد مئة قول صحيح في تكفير مسلم بقول أو عمل أو اعتقاد وقول واحد ضعيف بدم تكفيره قالوا يجب ان يفتى بالقول الضعيف

لهذا تعجب أشد التعجب مما بلغنا عن بعض المشايخ المتفقهين في الهند أنهم كفروا الشيخ عبد الحق الأعظمي لانه عبر في خطبة له عن الشيعة بقوله « اخواننا » وقد يوجد في مصر من يطلق هذه الكلمة على النصارى أو اليهود ولا يكفره أحد للعالم بأنه يعني بلفظ الاخوان اخوة الانسانية لا اخوة الدين ولا وجه لتكفيره الا اذا علم أنه يعتقد ان عقائد النصارى وعباداتهم هي عين عقائد الاسلام وأنها حق ومرضية عند

الله تعالى مثله لانه بذلك يكون مكذبا للقرآن، وخارجا خروجا حقيقيا عما جاء به النبي من أصول الايمان، وأما اذا أراد مجرد المجاملة كما يحاملونا بمنزل هذا اللفظ ولا يسنون به اتنا على الحق من غير ملاحظة أمر الدين ولا أمر اخوة الانسانية فانه لا يحكم بكفره مادام يعتقد ان دينه هو الحق ولا يكر شيئا من أسو له المجمع عليها المعلوم بالضرورة قائماته يظن هؤلاء الشيوخ الغافلون المفرورون بخضوع العوام لا قواهم من غير دليل ولا برهان أن الاغلاظ على المخالف لمذاهبهم والغلو في عداوته من أسباب تأييد الاسلام وأهله وخذلان الكفر وحزبه والبدعة وفرقها والحق الذي لا صفة فيه هو ان الغلو في الخلاف والعنف في المقاومة هو الذي يجري كل ذي رأي او مذهب او دين بالتعصب فيه والجلود عليه والدفاع عنه من غير تأمل في كونه حقا او باطلا بل مجرد مقاومة المخالفين وبذلك تكون الحسارة على صاحب الحق من المختلفين لانه لو لا الغلظة والتعصب لنظر كل فريق فيما عند المخالف له نظر انصاف والا نصاب اقوى اعوان الحق وانصاره ولو سحرت القرون الاولى بالاسلام على طريق الغلظة والشدة في مقاومة المخالف ومجادلته لما انتشر في الحافقين ذلك الانتشار السريع

هؤلاء الشيوخ الغالون في التعصب على كل من يخالف آراءهم او آراء شيوخهم في مذاهبهم اعدى اعداء الجماعة والسنة، لانهم اقدر من غيرهم على تفريق الكلمة، فهم يهدمون بناء الوحدة الاسلامية في حزب المحافظين على القديم بشبهة تأييد المذاهب، ومن ورائهم المنفرون يهدمون به بشبهة تأييد الوطنية، فالهدم واقع على بناء الاسلام من داخله ومن خارجه ولا نصير له الا فئة تحاول الجمع والتأليف بحمل اهل المذاهب المختلفة على تحكيم الكتاب العزيز والسنة المتواترة فيما شجر بينهم وان يعذر كل فريق منهم الآخر فيما وراء ذلك من الأمور التي فيها للنظر والاجتهاد مجال، وباقتناع المتحمسين للوطنية بأن الاتحاد على عمارة الأوطان، لا يقطع الاخوة بين اهل الاسلام والايمان، فنسأل الله تعالى ان ينصر هذا الحزب ويؤيده على اعداء انفسهم واعداً منهم بأن يوفقهم للدخول في السلم كافة واجتباب خطوات الشيطان الرجيم

(مناظرة متى ابن يونس وأبي سميد السيراقي)

كان بين متى ابن يونس النبطي وابي سميد السيراقي التحوي مناظرة في المفاضة

بين المنطق والنحو وكان الفلج فيها لأبي سعيد في محفل حافل بالعلماء والفضلاء فأدلى
بمحججه على أن النحو قد ينفي عن المنطق وإن المنطق لا ينفي عن النحو ولا شك أن متى قد عجز
عن بيان فائدة المنطق وإن بعض ما قاله أبو سعيد في حججه لا يخلو من المغالطة ولكنه
في بلاغته وقوة عارضته قد اختاب خصمه الذي كان عينا حصره لا يقدر أن يبين ما يعلم
حق البيان . والمناظرة من رواية أبي حيان النوحيدي وهي ببارقة انتهت إليها البلاغة
وبراعة الأسلوب . وقد عني بطبعها صاحبنا الدكتور صرغليوث الأنكليزي المستشرق
الاستاذ بمدرسة أكتفورد الجامعة وطبع معها ترجمتها بالإنكليزية له والطبعة العربية
لا يخلو من تحريف قليل يعرف أكثره مما وضع في الهامش من اختلاف النسخ فتثني على
همة الدكتور لفأيته بخدمة لغتنا حسنا

(الهدى) مجلة إسلامية علمية أدبية عمرانية إصلاحية تصدر في غرة كل شهر
عربي لمديرها سيد أفندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية ومدير المجلة المدرسية وقد صدر
الجزء الأول منها في غرة المحرم الماضي في ٢٨ صفحة كبيرة وفيها بعد فاتحة المجلة وبيان
منهاجها دعوة شريفة يخاطب بها الكتاب علماء هذه الأمة بوجوب مقاومة البدع
الفاشية، وجمع كلمة الأمة المتفرقة، ومقالة في آراء حكماء العرب في المعدن والثبات والحيوان
والإنسان ومقالة في العلوم الاجتماعية لأحد طلبة مدرسة الحقوق ونبذة عن مسلمي
القرآن، وخطرات في الإصلاح، وقصائد لبعض شعراء العصر، وقيمة الاشتراك فيها
للمصريين ٤٠ ولفيرهم ١٢ فرنكا فتتمنى لهذه المجلة التوفيق والثبات

(الصحافة) جريدة أسبوعية تصدر في القاهرة لصاحبها ومحررها مصطفى أفندي
توفيق الجراحي مؤلفة من ثمان صفحات بشكل الجريدة الرسمية وتطبع على ورق جيد
وهي من أحسن الجرائد الأسبوعية بمصر نزاهة واعتدالا وقيمة الاشتراك فيها ٧ فرنكا
في مصر و ٢٢ فرنكا في غيرها فتتمنى لها التوفيق والنجاح

(الهجرة) جريدة أسبوعية تصدر في طنطا لصاحبها ومدير سياستها عبدالرحمن
أفندي الذهبي وهي كسابقها في مقدمة الجرائد الأسبوعية موضوعاً على حداثة عهدهما
وقد قرأنا فيها مقالات مفيدة ولكننا نحب أن ينصحها فيما يأتي أكثر من العناية
به فيما مضى . وقيمة الاشتراك فيها مئة قرش في القطر المصري و ٣٠ فرنكا في سائر الأقطار
فتتمنى لها الثبات والانتشار

البدع والخرافات

وَالنِّقَالِيَّةُ وَالْجَنَابُ

كتب أحد المهندسين في القاهرة إلى مفتي الديار المصرية كتاباً قال فيه بعد رسم الخطاب :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — أما بعد فاني شاب مسلم مصري الجنس تعلمت في مدارس الحكومة وحصلت على الشهادات النهائية التي أهلتني ان اشتغل بوظيفة مهندس الآن وطالما ألهاني الشباب عن تأدية القرائن الدينية حينما من الدهر لأمر يعلمه الله ولما ان من الله سبحانه وتعالى علي بالهداية وهدني إلى الصراط المستقيم قدمت لحضر تكلم هذا الخطاب بصفتهكم أول عالم عامل بمصر كما علمه ويعلمه اخواني جميعا محبون إزالة النقائص التي يقوم بها اخواننا في الاسلام سواء في القرى أو البنادر التابعة لحكومة مصر التي لم تنزل لآن متممة بحرية الاسلام وتلك النقائص كثيرة جداً أهمها زيارة الأضرحة الخطابة يوم الجمعة بالمساجد والتدوير الأذكار (١) زيارة الأضرحة — تعلمون فضيلتكم ان تسعة وتسعين في المائة من مسلمي القطر يعتقدون ان ساكن الضريح له اليد الطولى في شفاء الأمراض وتسهيل الأرواق بل قد أشركوه مع الله سبحانه وتعالى في العمل مع انه بريء من ذلك وانه لم يكن الا مخلوقاً مثناً أطاع الله وعمل بشرائعه في دنياه فأكرمه الله في أخراه واني واثق ان فضيلتكم تعلمون ذلك وسمعتكم بالطلبات التي تقدم لساكن الضريح بل قد تطرفوا فافتعلوا من زيارة صاحب الضريح الى اتبرك بالمقصورة أو التابوت أو عتبة مدخل الضريح الأمر الذي يقضي فيما بعد بتغير العقائد الدينية (٢) الخطبة يوم الجمعة — قد رأيت اغلب خطباء المساجد ليست عندهم مقدرة تامة على أداء وظيفة الخطابة بدرجة تؤهلهم ان يبتوا في أفكار المصلين ما يلزم اتباعه وما لا يلزم شأن كل خطيب في زمن السابق بل انهم جعلوا الخطبة محفوفة بحفظوها حفظاً ورعاً لا توافق الزمن الذي نحن فيه لان فائدة الخطابة حرض المصلين على ترك ما لا يوافق الشريعة ويأتي الخطيب بأحاديث تزجر المصلين عن ذلك بل ان بعض الخطباء يعلو المنبر ويبتدي بالخطبة وينتهي منها ولا يسمع له صوت الا في الصف الأول وربما لا يمتد إلى الصف الثاني فاذا رأيت عمل تعديل في مشايخ المساجد وترك مسئلة الوراثة واستحضار خطباء من المتخرجين من مدرسة دار العلوم يكون ألبق بالاسلام والمسلمين وتكونوا قد وفيتهم الدين حقه وجاهدتم الجهاد المفروض على كل مسلم (٣) أرى لكل ضريح صندوقاً مخصوصاً للتدوير وما يجمع في هذا الصندوق من فقير أو غني جاهل أو عاقل يوزع

في آخر السنة على خدمة الضريح وترون فضيلتكم ان أغاب خدمة الأضرحة هم أناس ذوو
 ميسرة عن غيرهم خصوصاً في هذا الوقت الذي عم فيه جهل الزائرين فاذا وافقتم على أن يعطى
 ما يجمع في تلك الصناديق لديوان الاوقاف كي يصرفه في أعماله الخيرية التي يعم نفعها أو يسلم
 للجمعية الخيرية الإسلامية كي تسعين به على إنشاء المدارس وتربية الأيتام وعلى أن تظروا في
 حالة الخدمة المستحقين الذين ليس عندهم عقارات أو أطيان وتزيدوا مرتباتهم حتى يمكنهم
 التمشيش منها وعلى وضع مبشرين من المتخرجين من مدرسة دار العلوم بالأضرحة كي
 يرشدوا الزائرين الى حقيقة الزيارة وفوائدها فهذا تابون من الله ثواب الدنيا والآخرة
 (٤) الاذكار التي تقام في البلدان أرى أنها مخالفة للشريعة فاذا رأيتم وضع عقاب
 صارم لكل شخص يحدث منه تهكم أو نقص فيها يكون أوفق والله يهديكم ويوفقكم
 لفعل الخير لاخواننا المسلمين جميعاً وفي الختام أقدم لجنابكم احترامي لمقامكم العلمي اهـ
 (تنار) اطمناعاً على هذا الكتاب فنشرناه لعلنا اننا كما قال كاتبه صدى رأي كثيرين من
 المهندسين وغيرهم والشكوى من هذه البدع والتقاليد قد كثرت في هذه البلاد بكثرة
 المعلمين المميزين وأما الخطاب به وهو الشيخ محمد عبده فقد بذل جهده في مقاومة البدع
 بالارشاد في دروسه العامة ومجالسه الخاصة حيث كان وقد سعى لاصلاح حال المساجد وما
 يتبعها من الأضرحة بالفعل فوضع لذلك تقريره المشهور الذي اقترح فيه على ديوان الاوقاف
 ان يجعل خطباء المساجد وأئمتها من العلماء المدرسين وان يكون التفاضل بينهم بالامتحان
 وغير ذلك من الاقتراحات الاصلاحية التي تحمي العلم والدين وبعد ان اقره المجلس الأعلى
 وكاد يشرع في تنفيذه عرض ما اوقف التنفيذ كما ذكرت ذلك بعض الجرائد من نحو سنة
 وذكروا أيضاً. ولما كان هذا الرجل هو الذي انبرى لمثل هذه الخدم دون غيره من
 العلماء الذين وجد فيهم من يسعى لابطال خدمته الاسلام فالواجب على هذا الكاتب وعلى
 من على رأيه من اخوانه المسلمين ان يكتبوا بمثل هذه الكتابة الى شيخ الجامع الأزهر
 طالبين منه ان يكلف طائفة من العلماء بأن يسموا معه في المطالبة بتنفيذ لأئمة المساجد
 والأضرحة وابطال هذه البدع الفاشية في معاهد الدين وأعماله وما كان له وجه شرعي
 من هذه الأعمال التي يستنكرها الكاتب وامثاله فليبينوه لهم بدليله من الكتاب والسنة
 واقوال الأئمة دون اقوال المقلدين ليكنوا على بصيرة من دينهم ومق قام بالدعوة جماعة
 من العلماء ارجي من النجاح ما لا يرجي من الواحد ولهذا قال تعالى «ولتكن منكم امة يدعون
 الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الاباب

المعراج
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الاباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و« منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الجمعة ١٦ صفر سنة ١٣٢٣ — ٢١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٥)

باب المقالات

الحياة الزوجية

٢

اختيار المرأة لها :

ان من يختار المرأة زوجاً له لحسنها وجمالها يختارها لصفات فيها وإنما كان خطأً لأنه عني بصفات الجسد التي يسرع اليها التعبير ولا تكفي للقيام بحقوق الزوجية وما تراد له الزوجية ولم يحفل بصفات النفس الثابتة التي هي مناط السعادة والهناء ، أو مجلبة التماسه والشقاء ، وأما من يختار المرأة لأنها ذات مال وثروة فهو إنما يختارها لأمر خارج عن ذاتها فهي غير مطلوبة له ولا مرغوب فيها وإنما مطلوبه المال يجتمع به وهي عنده وسيلة له فإذا نزلت بلال جاشمة أو اغتالته غائلة صارت المرأة عنده كالشيء اللغا لا قيمة لها ولا حاجة اليها ، وما عساه تصادفه مع وجود المال من الخطوة والكرامة فأجدر به أن يكون مصانعة ورياء وحسب الزوجين شقاء أن يرآي بعضهما بعضاً ويدهن أحدهما للآخر ، وهذا شأن من يطلب المال عفواً بغير عمل لا يكون إلا صرائباً مدهناً

يبش الناس الذين يدهن لهم في اضطراب دائم لأنه يشمر في نفسه بأنه يبش مع خصماء وأعداء فإذا لم يكن له من يخلص هو لهم ويخلصون له مكان عقاؤه دائماً واضطرابه مستمراً ، ومن أحق بهذا الاخلاص من الزوجين الذين خلفا ليسكن كل منهما الى الآخر ويلبسه في جميع شؤونه لباساً يجد به معه حق يكونا كـشخص واحد !! أرايت إذا انعكس الأمر فكانت الزوجية التي هي علة السكون والارتياح ، ومبث الحب والاخلاص ، وسبب المودة والرحمة ، علة للاضطراب والانكاش ، ومثار الرياء والدخان ، أرايت إذا صارت النماية التي يقصد لأجلها الكسب ، وسيلة للرزق وطريقة للربح ، يلجأ اليها الكسالى المترفون ، ويرغب فيها أهل الثمر والطامعون ، أرايت إذا وصل الناس الى هذا الحد في فساد الفطرة ، والخروج عن محيط الشريعة ، أيكون المال الذي يبدون كافيًا لتحقيق سعادتهم ، وحفظ شرف بيوتهم وأمتهم ، ؟ كلا ان هؤلاء

لاحظ لهم في الحياة إلا التوغل في اللذات الجسدية والزينة الظاهرة فلا يبالي واحد منهم بشرف البيت ولا بمزة الأمة، يخرجون بيوتهم بأيديهم، ويسلون أمتهم بسوء مساعيتهم، بل هم آلات التفريق والتحليل لأن كل واحد منهم يهتم بلذته نفسه، ويجهد في أن لا يتصل بغيره، وكيف يمكن أن تجد مجموع قومه، من انكمشت نفسه دون الاتحاد بزوجه، على ما لاتحاد الزوجين من الملل والجواذب النفسية والطبيعية والشرعية والاجتماعية؟

يكثُر طلب للمرأة الغنية لهذا المهد في الطبقة المتعلمة على الطريقة المصرية فلا تكاد ترى بين شبان هذه الطبقة إلا الباحثين عن البنات الوارثات أو اللواتي ينتظر أن يرثن مالا كثيرا وأرضاً واسعة ودوراً عامرة. ولا تكاد نسمع منهم عند ذكر الزواج إلا قولهم انني أطلب فتاة تملك داراً وكذا قداناً من الطين. وهذا دليل على أن التعليم الذي تعلموه ما كان الاضرار بهم بما أقصد من فطرتهم، وياشقاء من تزوج بواحد منهم، فاما يكون حظها منه أن يستعين بما لها على التمتع بشهواته الفاسدة خارج بيتها، وويل لها ان سكنت موافقة، وألف ويل لها ان نطقت بخالفة،

لو ذهبنا نعد مفسد هؤلاء الخذولين في اختيارهم هذا وآثاره خرج بنا القول عن حد المقالة المنبها، ودخل في أبواب الكتب المطولة، وكفى بما ذكرناه منها الغافل وسائلاً لنظر العقلي في ذلك والبحث في حال هؤلاء الناس وفيها عبر وآيات للمتفكرين

وقد يشبهه على بعض الباحثين ما يراه من الحب وسكون النفس والوفاق وحسن المعيشة بين زوجين اختار الرجل منهما المرأة لغناها أو استحسان صورتها فيظن أن ما قلناه غير صحيح. ونحن لا نجعل أن مثل هذا قد يقع فيكون على حد المثل « زمية من غير رام » والسبب في مثله أن يكون بين هذين الزوجين مشاكلة في الطباع وتناسب في الاخلاق وتغارب في العادات من حيث لا يدري بذلك أحد منهما قبل الاقتران. ولكن هذا قليل لا سيما في طلاب المال وعبادة الدين يرضون أن تكون الزوجية وسيلة له لأن من بلغ منه فساد الفطرة هذا المبلغ قلما يهتأ لأحدهما عيش كما قلنا آنفاً

الطريقة المثلى في الاختيار

يجب أن يلاحظ في المرأة الصفات التي يرجى أن تحقق بها مضمون قوله تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » وقوله عز

وجل «ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين» وقوله جل ثناؤه «محصنين غير مسافحين» وهذه الصفات بعضها بدنية وبعضها نفسية وبعضها قومية ومنها مالا بد منه في كل امرأة ومنها ما يختلف باختلاف أحوال الناس فيشترط عند بعض دون بعض .

أما الصفات الجسدية فمالا خلاف في اشتراطها منها الصحة وسلامة البدن من التشويه والامهات المنفرة ولا حاجة لتميل هذا الشرط ولا لبيان سوء حال الحياة الزوجية عند عدمه فإنه من المعلوم بالبدهة ان النفس لا تسكن الى ذوي العاهات والادواء بل تضطرب وتزعج منهم . وأن المرأة المريضة لا تحسن الرجل ولا تكون قرة عين له بل تكون بلاء عليه ، وأما ما يختلف فيه الآذواق فهو ما وراء ذلك مما يسمون الكمال فيه حسناً بارعاً وجمالاً رائماً . والميل الى الحسن والجمال عزيز في البشر وهو مما يختلف فيه الآذواق والمشارب «وللناس فيها يشقون مذاهب» ولا نعرف شعباً من الناس يشترط وجاله الجمال البارع في الزوج وإنما يعدونه من الاوصاف السكالية الا من ذكرنا في التبعة الاولى من هذا المقال وهم الذواقون الذين يتزوجون ميلاً مع الهوى لا اتباعاً للمصلحة ، ولا إقامة لسنة الفطرة .

قد يكون من المصلحة للاكثرين تجنب الجمال البارع لمن يتزوج لما ذكرنا من منافع الزواج وحكمه ولكن يعذر من يفت في المرأة صفة من الصفات اذا لم يرض الاقتران بالمتصفة به كمن يفت بالبحيرة أو البهولة أو الرسحاء أو النقواء . وقد تكون هذه الاوصاف من المنفات لبعض الناس . على ان لكل ساقطة لا قطة وانما يتخير الجمال البارع أو مادون البارع من يكون موضعاً لتسابق رغبات النساء وأهلبي اليه لمكاته وجاهه أو ثروته وماله . فان من طبيعة التفاضل أن يكون فيما تصل اليه يسهل الاستيلاء عليه

وأما الصفات النفسية فهي الاخلاق والملاكات والعلم أو العلوم فأما الاخلاق فانها علة لسعادة الحياة أو شقاءها في جميع طبقات الناس على الجملة . وأفضل أخلاق النساء العفة والصيانة لأن معنى الزوجية لا يتحقق بالاخصاص وإنما تكون المرأة مختصة بملها اذا كانت عفيفة . ثم إن الحكمة في الزوجية هي الاتاج والنسل الذي يحفظ به النوع ويكثر به سواد الامة وتبظم قوتها واختلاف الرجال على امراء واحدة من أسباب قلة النسل فما

هناك النساء حجاب العفة في أمة الا وقل نساها بمقدار شيوع الفاحشة فيها وناهيك
بما في اختلاط الانساب من المفسد • لا يوجد عيب من العيوب في الحلقة أوفي
الاخلاق يذهب بهناء الزوجية وغبطتها ويمحو آيات منافعها وحكمتها، كخيانة المرأة
لرجل في نفسها، ويضيئنا عن الاسهاب في بيان ذلك ما هو ثابت في التراث ومعروف
بالاختبار • وقد من الشاعر العربي على أولاده بخبر والدتهم من ذوات العفة قال

فاول احبائي اليكم تخيري لما جده الاعراق باد عفافها

ومن غريب إكبار الرجال لعفة نسايم أنك تجد الفاسقين من أشد الناس غيرة
لان علمهم بفساد النساء يزيد في حذرهم على نسايم أن يكن كمن يعرفون من غيرهن
وهذا من أسباب قلة الزواج في البلاد التي يكثر فيها الزنا لان أكثر الرجال يخافون
أن يتلوا بمن لاعفلهن • وأغرب منه ما اشتهر عن الفساق من محاولة بعضهم الاختصاص
بعض البنات • يحب الرجل بذا توهه ان له عندها من الحظوة ما ليس لغيره فيبدل لها
المال الجم الكثير لينقيها به عما تكسب من سواء، وتكون خاصة به دون من عداه،
ومنى كانت البغي ترعى العهد، وتصفى الود، ولكن جنون الرجال بالاختصاص
والغيرة يخرج بهم عن محيط العقل والتجارب، وكم أدى ذلك الى دماء تسفك،
وارواح تزهق •

ومن الاخلاق التي لا يثم لاحد هناء العيش مع قدها الامانة والحرص والاقتصاد
فاذا لم تكن المرأة أمينة على ما يهد اليها حفظه حريصة على ما بين يديها من مال
الرجل وكسبه مقتصدة فيما تنفق تسوء حال البيت ويقع فيه الشقاق ويحيط به الشقاء
واما الصفات والملكات، التي تختلف الرغبة فيها باختلاف الأشخاص والطبقات،
فأهمها عند الطبقات المرتقية بالعلم والتربية النظام وتدير شؤون البيت واذا كانت
بيوت الشعر في الصحاري وشعاف الجبال، واكواخ الفقراء وبيوت الفلاحين في
المزارع والقرى، ليس فيها من الاثاث والرياش والماعون ولا من المرافق والاعمال
ما هو في ادارته وتديره ملكة النظام المكتسبة بالعلم والمادة والقناعة فان في دور
الطبقات العالية والمتوسطة من المتعلمين وكذا غير المتعلمين مالا يتم نظامه الا اذا
كانت ربة الدار مدربة على النظام والتدبير • نعم ان غير المتعلمين لا يؤمنهم من فقد

النظام في بيوتهم ما يؤلم الذين عرفوا قيمة النظام وقوائمه وتربوا عليه او حملهم العلم بفائده على طلبه والاستقامة على طريقته . يبلغ حب النظام بعض العارفين مبلغاً لا يهتأ له عيش مادام يرى في داره شيئاً من الخلل الذي لا يشعر غير العارفين معرفته بكونه خلا لا يطالب إصلاحه ككون حجرة النوم قليلة الأثاث تعرض فرشها وحشايا سرورها للشمس والهواء كل يوم ، وككون كل من حجرة الجلوس وحجرة الطعام وحجرة المكتب وغيرهن على طريقة كذا وكذا . ومن المتعلمين من يرى من ضروريات الحياة أن تكون نفقات البيت كلها في يده وبته وأن يكون العمل فيها بمقتضى ميزانية سنوية فإذا لم تكن امرأته قادرة على ذلك فإن نفسه لا تسكن اليها ولا تكون هي قرّة عين له . ولا تقل إن هذا يدخل في صفة العلم الذي ينبغي أن تكون عليه المرأة فإن العلم لا يكفي فيه ولكنه شرط له فما كل من تعلم علماً يقدر على العمل به واعاى قدر عليه من يقرن العلم بالعمل والزاوله .

كثير في الترك عدد الرجال الذين يريدون أن تكون المرأة قهرمانة وريحانة معاً وفي نساتهم (لاسيا في الآستانة) عدد غير قليل قسويين على ما يحب الرجال . وجميع المتعلمين من النصارى وكثير من المسلمين في سوريا ومصر على هذا الرأي أيضاً ولكن عدم المسلمات المتعلمات المتريعات على هذه الطريقة قليل جداً في القطرين ولذلك صار الزواج يقل في المتعلمين رويداً واذالرتقى التعليم والتأديب عما هو عليه الآن في الرجال فإن هذه القلة تزيد زيادة فاحشة ولكن أكثر المتعلمين لم ترتق نفوسهم عن اتخاذ المرأة ريحانة يتمتع بها ماصلحت للتمتع كالزهرة تشم ويستني بها مادامت خضرة ذكية فإذا ذبلت ألقيت . ولا رغبة لهم فيها وراء هذا إلا بأن تكون ذات مال يتمتع به الزوج كما يتمتع بصاحبه فهي عندهم من جهة المتاع لا فرق فيها وبين ما يحصل ممها الى دار الزوج من الأثاث والماعون الا كما يفضل إناء آخراً من جنسه أو نوعه ولو أكثر عدد القتيان المهذبن لبعه كثرة القتيات المهذبات لانهن متى عرف واشتهر أن جواهر الشبان المحترمين لا يرغبون في غير المهذبة القادرة على إدارة المنزل وإقامة النظام فيه بأذن الناس الى تربية بناتهم على الطريقة المرغوب فيها لأن القتيات يطلبن القتيان دائماً بلسان الحال والاستعداد . فكل ما يشكو منه بعض الشبان المهذبين من سوء تربية البنات سببه سوء تربية البنين في الجمهور

وان لي كلمة قلها ثم علمت أن اللاوربيين كلمة تخالفها فاذا ذكرهما هنا أما كلمتهم فهي
 « كما يريد النساء يكون الرجال » وأما كلمتي فهي « كما يريد الرجال يكون النساء » والدليل
 على هذا ان النساء لاستقلالهن في أنفسهن وانما هن تبع للرجال عند جميع الامم.
 يولد للزوجين غلام وجارية فيريان الغلام على أن يكون رجلا مستقلا بيت كيتهما وعلى
 أن ينهض بكفالتهم عند الكبر أو السجز اذا كانا قعيرين ، ويريان الجارية على أن
 تكون تابعة لرجل يتزوج بها فيعولها ويكفلها فيكتفيا نأمرها به فشا في الغلام من أوله
 من الادراك شعورا لاستقلال بنفسه وحاجة غيره اليه ونشأ في الجارية شعورا للقصور
 والحاجة الى كفالة رجل غريب مجهول ستكون تابعة له ، ومن التقاليد العامة في أمتنا
 وفي غيرها أن هم النساء الأكبر هو أن يكن بحيث يحبهن الرجال ويرغبون فيهن لأنهن
 في حاجة الى كفالتهم ولا يسهل عليهن طلبهم الا بلسان الاستعداد وكونهن كما يحبون
 ويرغبون كما قلنا آتقا ثم إن الوالدين اللذين يريان الغلام والجارية يعلمان أن تزويج
 الجارية أعسر عليهما من تزويج الغلام من حيث أنه لا طار عليهما ولا عليه في التماس
 امرأة بالطلب والبحث ولو عن هم دونهم وأنه من المار العظيم أن يحثا على زوج لبقتهما
 ويمرضاها على الرجال وان كانوا من الاكفاء وأشد من ذلك طار ان تجت هي عن الزوج
 وتعرض نفسها على من تظن أنه يرضاها، وان الشرف والمصلحة محصوران في ترضيها
 للخطابين بتريتها على ما يحب الا كفاء ويرضون . نعم أن الأوربيين قد حاولوا تربية النساء
 على الاستقلال وتعليمهن طرق الكسب وجعلوا للبنات رأيا في اختيار الأزواج ولكنهم
 لم يخرجوا عن جعل المرأة تابعة للرجل ولم يقدروا على جعل أكثر النساء مستقلات
 في معيشتهن غنيات عن الرجال بل هم اللذين يربون بناتهم على ما يرغب فيه جمهور قياتهم
 ويخطبون الزوج بالحال وبالمال جميعا ويشعرون من سعادة الحياة الزوجية بما لا يشعر
 بمثله من لم يلبسوا شأوهم في الحياة الاجتماعية والتجارية المطلوبة عندهم مقام رفيع
 ولربة البيت مكانة طيبة ولأم الاولاد المقام الاعلى وانما قالوا كلمتهم تلك للترغيب في
 تعليم المرأة اذ لا يقهر الرجال على إتيان التربية الا باسعاد النساء لهم عليها . ثم ان هذه
 التربية الاستقلالية قد أضرت بالنساء أنفسهن حتى كثرت أصوات الكاتبات منهن بالشكوى
 منها وقلنا بعض ما كتب في المجلد الرابع فليراجع

الدين والأخلاق

ملاك تهذيب الاخلاق وقوام الملكات الدين فلو ربي البنات تربية دينية صحيحة
 لم يكن تهذيب الأخلاق، وكن مصدراً لحسن الأعمال، وقرة أعين لرجال،
 وقد عرفت الأمم الحية ذلك ففتت بتربية البنات على آداب الدين وأخلاقه وأعماله
 على فساد عقائد الكثيرين من علمائها وحكمائها ذلك بأن هؤلاء الذين رأوا في دينهم
 ما لا ينطبق على علمهم القاطع فتركوا الدين للعلم يستقدون أن الدين هو روح التهذيب
 والآداب في البشر وأن هذا الروح هو الأصل في الحياة الزوجية والحياة القومية
 لأسباب في النساء والناسئين فإذا هو زال تعذر الاستغناء عنه أو استبدال غيره به كالشرف
 والعلم بالمصلحة. والذين جروا على هذه الطريقة من نصارى الشرق يحامون الانتقاد
 على الدين في حضرة النساء وإن كانوا لا يستقدون ولا يؤمنون لكلاً يتسرب الشك
 والارتياب إلى نفوس النساء بل أخبرني بعض علمائهم وأدبائهم المشهورين أنهم يكونون
 في النادي أو السامر يتقدون بعض رجال الدين منهم فتدخل إحدى النساء فيحولون
 الحديث لكيلا تسمع اعتقادهم فيقل احترام الدين من نفسها ويضعف الشعور به في
 قلبها ولا تجد جزءاً من هذه العناية عند المسلمين الذين جهلوا الدين فأهملوه، بل
 ولا عند الذين سلم اعتقادهم وحسن عملهم وكل ما عند النساء المسلمات من الدين
 فهو من تقليد الذين نشأن فيهم وتربين بينهم ليس للرجال فيه عناية ولا عمل وبألت
 فساق قومنا وزنادقهم يكتفون بإهمال تربية النساء على آداب الدين وتعلمهن أحكامه
 ولا يظفرون لهن ما هم عليه من الفساد والاحاد فقد حدثني كثيرون من الثقات المختبرين
 أن كثيراً من المسلمين (الجفرايين) (*) يجتمعون مع عيالهم لطعام الغداء بعد الظهر في
 شهر رمضان وإن منهم من يتزوج بالمرأة فيكرهها على شرب الخمر معه وأخبرني شيخ
 من أهل القاهرة أن رجلاً تزوج بنت من أقاربه (أي أقارب الشيخ) فدعاها إلى
 شرب الخمر معه فأبت ولما أعياء إلزامها طلقها وأغرب من هذا ما يتحدثون به عن بعض
 أصحاب البيوت أو البيوتات من إشراك البنات مع الرجال في ساقرة الخمر ومن احضار

(*) نعت على المسلمين الذين ليسوا على شيء من الإسلام بالمسلمين الجفرايين لأن الإحصاء
 الذي يذكر في كتب الجفراية يمدحهم منهم وقد نبهنا على هذا من قبل

أهل الرقص والعزف من الرجال والنساء إلى البيوت واجتماعهم في بعض الحجرات على
المعاينة والمخاصرة والنساء يسمعن وينظرن من وراء السجوف والاسرار
يظن الكثيرون من فساق البلاد المشرقية أن الدين في أوروبا قد صار نسياناً وأن
ذلك لم يزد أمماً إلا ارتقاء لآله أثر الارتقاء وذلك ان هؤلاء لا توجه نفوسهم ولا
يهديهم استعدادهم الا لمعرفة أمثالهم والصواب ان أكثر أهل أوروبا متدينون وإنما
أبطالوا التقاليد النصرانية التي تنافي العمران والارتقاء لأنها ليست الا من وضع الرؤساء
وهم مع ذلك أشد الناس تعصباً لدينهم وعلى من يخالف دينهم ولا ينافي ذلك كثرة
الفسق في بلادهم لاسيما التي تغلب فيها الكاثوليكية كفرسا وإيطاليا فان من الأسباب
في ذلك المذهب الذي يمد من أصوله أن القسوس والرؤساء ينفرون الذنوب كما أن من
أسباب الحرية الشخصية وعدم التكبر وإباحة الخمر أم الحباث . ولقد يسهل على
الفاسق أن يجد كثيراً من الفاسقين والفاسقات في كل المدن العظيمة في الأرض حتى
ما كان فيها الفسق منكراً وممنوعاً اظهاره لا يراه إلا الباحثون عنه ومن بحث عن شيء مما
لا يخلو السران منه وجدته فإذا هو قصر همه عليه وظن أن كل الناس أوجههم على مذهب فيه ،
إذا ساء فعل المرء ساء ظنونه وحسب ما يعتاده من توهم

أهل فرنسا أقل الأوربيين تمسكاً بالدين لتطرفهم في الحرية والجمهورية التي
يرون سلطة الكنيسة الكاثوليكية خطراً عليها ولذلك قاوموا جميعات القسيسين ومدارسهم
وقد سألت فرنسا عن تدين قومه فقالوا أكثرنا متدين يحب الله ولكن لا نحب الكنيسة
إذا فرضنا أن تعمم التعليم والتربية على حب الوطن والآداب القومية قد ينفي عن
الدين في إصلاح حال البيوت والجميعات فأوروبا هي التي يمكنها أن تستغني عنه بذلك
ولكنها لم تقل بذلك ولم تعمل به ولا أدري بماذا يستغني المسلمون عن آدابهم الدينية
التي أمسوا لا يبالون بهاء هل الرابطة الوطنية التي يلفظ بها مصطفى كامل وأضرابه
من الاحداث المتفرجين كافية في هذه الامة التي غلب عليها الجهل والامية ، ووقع
معظم أوطانها في قبضة الدول الاجنبية ، لأن تصالح ما أفسد الزمان فيها من الآداب الشخصية
والروابط الزوجية ، لتكون مهالمة عزيزة قوية ، ؟ وهل يكفي في نفخ روح هذه الحياة
الوطنية أن نعتق ناعتق في الامة بمدحها وان لم يسمع نعاقة الا قليل ولم يفهم مرادهم منهم الا اقل

القليل وأكثروا فهم ومن لم يفهم، يرى أن التفاف وسيلة للدرهم ، ؟؟
ومن العجائب أن هؤلاء الأحداث المتفرنجين يهتدون أحياناً أو كثيراً بالكلام
في الأمة والملة ويشكون بالقول من سوء الحال وخطر الاستقبال ثم لا ينتهون لوجوب
بت روح الدين في البيوت وتربية النساء على أعماله وآدابه ليربوا الأطفال عليها بل
تراهم يسيرتهم عوناً للجهل على إفساد بقايا الدين التقليدية إذ لا يتعلمون شيئاً من
أحكام الدين ولا يعملون بما هو معلوم منه بالضرورة ولا يسألون عن دين من يخطبونها
وانما يسألون هل تعلمت لغة أجنبية هل تعلمت العزف على البيانو والعود هل عندها مال كثير
يساعدنا على المصيف في أوروبا والتجع بلذاتها؟ وأعجب من هذا أنهم يدعون أحياناً الانتصار
للدين بدم أوروبا وذكر طمعها في بلاد المسلمين واعتدائها على استقلالهم وعلى دينهم
بما تبعه من الكتب والدعاة إلى النصرانية، ويزول هذا العجب إذا عرف سببه وهو
مخادعة المسلمين بإيهامهم خدمة للملة لينفعوهم بالدرهم والدينار وأنى بخدم الملة من لا
يفهم كتابها ولا يعرف سنتها ولا يحقق بمبادئها ولا يقيم عباداتها ولا يخلق بأخلاقها
بل أخذ عن أوروبا من الأخلاق والمبادئ السيئة ما يفرق به كتبها، ويطلق به وحدثها،
ويفسخ به شرعها ، ثم هو يشكونها ومن آثارها في إفساد النابتة ومجموع الأمة !!
وجهة القول ان الحياة الزوجية في المسلمين لا يمكن أن تكون سعيدة في نفسها
ووسيلة لارتقاء الأمة وتعزيزها الا اذا كان الزوجان متصممين بحبل الدين مستمسكين
ببروتيه في الاخلاق والاداب والاعمال ليكونا قدوة لاولادها في ذلك . وان الخطر
الذي يهدد المسلمين وينذرهم بزوال سلطتهم من الارض لا يزول الا بصلاح حال
البيوت الادمية على هذا الوجه . ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « تسكح المرأة لأربع لما لها
ولحسها ولجمالها ولدينها فانظر بذات الدين تربت يداك » رواه احمد والشيخان وأصحاب
السنن مامدا الترمذي عن ابي هريرة قال لكن من لنا من يصلح لنا أخلاقنا وآدابنا الدينية وليس
لنا زعماء ولا امرأة من أهل الدين والحكمة . واذا ظهر فينا زعماء فالتضعف استعدادنا
لا نتفهم به بل يحكم فيه جمهورنا كلام الأحداث المخروين ، الذين يضرهم ويفضحهم
ما يدعوا اليه من إحياء روح الدين . !!



فَتَاوَى الْمَسَائِلِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماعداً منا متأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمشاكل هذا، ولكن بمضي على سؤاله شهر ان أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان عندنا سبب صحيح لا نخاله

حقوق الذميين ومعاملة الاجانب

(س ٩) م ١٠٠ في سراي بوسنة : كتب محمد فريد وجدي في كتابه « تطبيق الديانة الاسلامية على نوااميس المدنية » في بحث واجبات المسلمين بالنسبة للذميين أي أهل الكتاب الذين هم في ذمة المسلمين في صحيفة ٨٦ « وقد ترك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أعظم أسوة يجب ان نأتي بها في معاملة الاجانب عن ديننا ومخالفتي معتقداتنا فانه عليه أشرف التحية والسلام كان يحضروا لأئمتهم وينشئ مجالسهم ويشيع جنازتهم ويعزيهم على مصائبهم »

ونحن لم نطلع على ذلك في كتاب غير كتابه المذكور ولا ندري : أيحوز ذلك أم لا وخصوصاً تشييع جنازتهم فانه صلى الله عليه وسلم على ما نعلم نهى عن ذلك بقوله عز وجل : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » وهذا وان نزل في حق الصلوة على المنافقين والقيام على قبورهم الا انه يدخل فيهم سائر الكفار قياساً بدليل قوله عز وجل عقيب ذلك « انهم كفروا بالله وبرسوله وما نواوهم فاسقون » فيجئنا الى حضرتكم سائلين أن تينموا لنا هل صح انه صلى الله عليه وسلم فعل ما نقلناه آنفاً من السكتاب المذكور وهل جاز لنا أن نفعل ذلك اقتداءً بأثر نينا صلى الله عليه وسلم فان صح ذلك وجاز لنا أن نفعل فما هو الجواب عن الآية الكريمة المذكورة؟ أفيدونا بذلك آجركم الله تعالى :

(ج) ما ذكره فريد أفندي في كتابه غير صحيح على إطلاقه وقد بينا غير مرة أنه لا يجوز الاعتماد على ما يذكر في الكتب من الأحاديث والسنة الا اذا كانت معروفة الى مخرجها من المحدثين ليعرف صحيتها من غيرها . وعبارة فريد أفندي تدل على أن ما ذكره

كان سنة متبعة ولو كان كذلك لاتفق الفقهاء وأهل الأثر منهم على القول بوجوبها أو سنيها. نعم ورد في العبادة حديث صحيح ذكرناه في المجلد السابع وفيه حديث ضعيف عند السيوطي عن أنس « كان إذا عاد رجلاً على غير الإسلام لم يجلس عنده وقال كيف أنت يا يهودي كيف أنت يا نصراني ولا يحتاج به » وأي حجة لنا على حسن معاملة المخالفين لنا في الدين أقوى من قوله تعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم » الخ ومن أباحة طمام أهل الكتاب والزواج منهم ومن وجوب حماية الذمي والمعاهد وغير ذلك مما هو معلوم فلا حاجة إلى أن نغزو إلى السنة ما ليس منها ونوجب على المسلمين ما لم يوجب الله تعالى عليهم مما ذكر في السؤال

أما قوله تعالى « ولا تصل على أحد منهم مات » الآية فهو نهي عن جعل المنافقين كالمسلمين في أحكام الدين الظاهرة والاستدلال به على تحريم تشييع جنازة الكافر أو زيارة قبره غير ظاهر ولم أر أحداً من علماء السلف وأئمة الدين استنبط ذلك منها ولكن بعض المفسرين المتأخرين رأى أن من الاحتياط عدم زيارة قبر الكافر لأنه يشبه أن يكون من القيام المذكور في قوله « ولا تقم على قبره » وإن أجاز الزيارة كثير من العلماء بل نقل بعضهم جوازها عن أكثر العلماء لأنهم لا عبرة « والصواب أن القيام المنهي عنه هو ما كان معهوداً من القيام على القبر بعد الدفن للدعاء والاستغفار » ولا شك أنه يحرم على المسلم أن يشارك غير المسلمين في كل عمل من أعمال دينهم وأنه يباح له أن يجاملهم فيما لا ليس من أعمال دينهم ولا مخالفاً لديننا وقد ذكرنا في المجلد الماضي وغيره كثيراً من أحكام معاملات المسلمين لغيرهم وفيها من التساهل ما تقتضيه به على جميع المال فتراجع

﴿ المدالة العامة وحكمة الله في الناس ﴾

(س ١٠) ومنه: ربما يقع البحث عن الواجب الوجودي تعالى وتقدس وأوصافه الشريفة وخصوصاً كمال عدله ورحمته تعالى فيوجد من الشاكين المشككين من يقول لو كان الله موصوفاً بكمال العدل لما جعل بعض الناس مؤمنين وبعضهم كافرين وجعل مأوى الطائفة الأولى الجنة والآخرة جهنم فإذا أُجيب له عن ذلك بما أُجيبتم في واحد من أعداد النار وهو أن الله تعالى لم يخلق كافراً قط إلى آخر ما قلتم وأقنع

بذلك أورد اعتراضاً آخر يقول فيه: نعم سلمنا أنه لم يخلق كافراً قط كما قلنا لكن ليس من العدل أن يجعل بعض الناس مولوداً من الابوين المؤمنين الذين يكونان سبب إيمانه وفي ديار الاسلام التي أكثر أهلها أهل الاسلام والتاشي بينهم في العادة يتخذ ديناً ومذهباً مثل دينهم ومذهبهم وان يجعل البعض الآخر مولوداً عن الابوين الكافرين الذين يهودانه أو نصرانه أو مجسانه وفي دار أهل الكفر الذين بمجاورتهم وانتشور بينهم يكون هو في العادة مثلهم قرب رجل مؤمن لو ولد من الابوين الكافرين وخصوصاً في دار أهل الكفر لم يكن مؤمناً بل قلما يتصور ذلك وبالعكس رب رجل كافر لو ولد له أبوان مؤمنان وخصوصاً لو نشأ بين أهل الاسلام كان مسلماً ولم يكن كافراً . فسهل لبعضهم الدخول الى الاسلام ووعدوا الجنة وسبب ذلك للبعض الآخر وأوعده بجحيم .

واذا جئنا الى البحث عن كمال رحمة تعالى يقول: إما أنه تعالى ليس متصفاً بكمال الرحمة وأما أنه لا يدخل أولاً في النار فان تخليد التعذيب لاسيما بالنار التي هي أشد التعذيب الذي اذا ذكر اقشعر جلد الرجل المدني لا يلقى يا نسان بل يخرج من ان يكون رحيماً بالطريق الاولى عن ان يكون متصفاً بكمال الرحمة فكيف يليق ذلك بالباري تعالى الذي يقول في حقه ان اعمالنا لا تضره ولا تنفعه فحقن ايتنا مسرعين الى باب جنابكم وارجو ان تشفوا غليل صدورنا بحديد الرد على الاعتراضات المذكورة للشاكين المشككين وتروونا بزال اجوبتكم الشافية الوافية التي تكون حبيباً ساطعة للموحدين ، دافعة للذين امتلأت قلوبهم بشبهات الطيحين والدهريين ، وخلصت عن اليقين المخصوص بالمؤمنين ، لازمت ملجأ وملاذ للمحتاجين ، الى الاستنارة بنور علم الدين المبين ، ومورداً للذين صدورهم ظمأى ، وطيباً للذين قلوبهم مرضى ، قاهر للذين اقتدتهم هواء :

(ج) ترى في كتب الصوفية كلمة جليلة يروونها حديثاً عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول المحدثون انها لم ترو حديثاً وانما هي ليحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى وهي « من عرف نفسه فقد عرف ربه » ولا يعرف علو قدر هذه الكلمة الا من عرف نفسه وعرف ربه فان كانت ليحيى فله در يحيى من عرف نفسه بعرفان معنى الانسان وما خص به من المزايا والمقومات لا يصدر عنه مثل ذلك الاعتراض الذي يهذي به

جهلاء للماديين أو المقلدين الذين قال في مثلهم الشاعر:

هي القلوب عموا عن كل فائدة لانهم كفروا بالله تقليدا

لا ينكر هؤلاء المنترضون أن الانسان أرقى المخلوقات المروفة في هذا العالم ثم إنهم على اعترافهم بفضل الانسان وسمو الحكمة في خلقه وتقويته ينبذون من الأقوال ما يستلزم الاعتراض على خلق الانسان والاعتراف بأن عدمه خير من وجوده

ثم إن الاعتراضهم سببا آخر وهو الجهل بمعنى ماورد من إثابة الحسين وعقاب الجرمين إذا ظنوا أنه من قبيل عقاب الحكام لمن يخالف أوامرهم وقوانينهم انتقاما منهم والحق أن ماورد في القرآن من ذلك هو كالشرح لما أودعه الله تعالى في خلق الانسان من المزايا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم والتقيجة أن ذلك الاعتراض جهل بالحقيقة وجهل بالتسريفة

بيان ذلك أن الانسان خلق مستمدا لارتقاء وكال في عقله وروحه غير محدودين على أن يكون ارتقاؤه بسميه وعمله الاختياري كما خلق مستمدا لأن يهبط بسميه واختياره الى أخس دركة من الشر والرذيلة. هكذا خلق الانسان كما هو معروف لنا في أنفسنا وفيما نراه في أفراد جنسنا وجميعة ولم يخلق حيوانا محضا كسائر أنواع الحيوان محدود الادراك والقوى ملهما طلب ما تقوم به حياته الحيوانية واجتناب مالا حاجة له به في تقويمها ، ولا ملكا روحانيا كامل الخلقة محدود القوى لا أثر لسمه في ارتقاؤه ولا في تدهيره فالانسان نوع من أنواع الحقائق الممكنة تعلقت قدرة الله تعالى بإيجاد فوجد على ما نظم من الاستعداد غير المتناهي الذي تظهر آثاره جيلا بعد جيل ولو لم يوجد الله تعالى هذه الحقيقة لكان العالم ناقصا ولم يكن فيه شيء من هذه الآثار البديعة التي تظهر وسيظهر بها من سنن الله تعالى وحكمه في خلقه ما لم يكن يظهر لولا هذا النوع المكرم لأن الحكمة الأزلية قضت بأن تكون آثار مخلوق مختار في عمله غير محدود في قواه وتصرفه لم يخلق الانسان عبثا ولم يخلق قوة من قواه البدنية والروحية عبثا فكل قوة منها آلة لاكتساب الخير والسي في أسباب الرقي إذا لم يفراط ولم يفرط في استعمالها وقد جعل الله ميزانين يعرف بهما القسط في الوزن من التفريط وهو الحصران والافراط وهو الطغيان وهما العقل والدين فمن كان له اعتراض على قوة من قوى الانسان أو منزية من

عن إياه يزعم أنها تنافي العدل الإلهي أو الرحمة العامة فالتا مستعدون لكشف الشبهة له في اعتراضه وإثبات أن تلك القوة آية من آيات العدل والحكمة وأثر من آثار الفضل والرحمة

بعد التسليم بأن الإنسان أثر من آثار الحكمة والرحمة تنظر في تأثير عمله في نفسه التي هي حقيقة وجوهه كما أن البدن صورته ومظهره فتجد أن من تلك الأعمال ما ترقى به النفس في معارفها وصفاتها وهو ما تستنسه من العقائد الصحيحة والمعارف الحقيقية ومن عمل الخير والبر ومنها ما هو بضد ذلك والمرتبون هم الأبرار والآخرين هم الفجار، وإذا انتهينا إلى هذا الحد من بيان حقيقة الإنسان ، فالتا نذكر مسألة الكفر والإيمان، ونذكر بعدها مسألة الرحمة والمذاب متجنين التطويل والأطباء لما سبق لنا من تكرير الدخول في هذا الباب ، فنقول

ينبغي غير مرة أن عقائد الإسلام هي سرقة لا عقل وآدابه وعباداته سرقة للنفس وأحكامه سرقة للاجتماع وقد ذكرنا هذا المعنى في تفسير « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » من هذا الجزء . فن دعي إلى هذه الأصول دعوة صحيحة فلم ينظر فيها أو نظر فظهر له الحق فمأذبه ولم يتبعه يكن في غاية الخطأ العقلي والنفسى ونهاية البعد عن الحق والخير والتوغل في الباطل والشر وهو ما يبر عنه بالكفر والجحود وهو الجاني على نفسه بمماندة الحق والخير ورفض سلم الترقى . وأما من لم يتبعه هذه الدعوة على وجهها الصحيح الذي يحرك إلى النظر ومن بليتة فظهر فيها بالأخلاص ولم تظهر له حقيقتها فهو غير مماند للحق ولا كاره بسوء اختياره للخير . وعلامة مثله أن يتبع ما يظهر له أنه الحق ويحمل بما يراه من الخير بحسب فهمه واجتهاده ولكنه مع هذا لا بد أن يكون منهط العقل والأدراك اذ عرض عليه أرقى العقائد وأسمى الفضائل وأعدل الشرائع فلم يهتد إلى فهم مكانة هذه الأصول فلا يكون ارتقاؤه كارتقاء من فهم هذه الأصول وتقبلها وكل نفسه بها . فالتا طبقات في الارتقاء العقلي والروحي أرقاها طبقة المؤمنين الكاملين وقيل ما هم وأسفلها طبقة الذين يبتدون الحق لا يحفلون به ولا ينظرون في دعوته أو يماندون به ويحاجدون كراهة وعداء لاهله . وبينهما طبقات من الناس كالذين يقبلون

الدعوة ولا يقومون بحقوقها كما يجب والذين لم ينافهم الدعوة بالمرة • وقد أرشدنا الدين الى أن الناس يكونون في النشأة الآخرة في دارين أحدهما دار نعيم ورضوان والثانية دار آلام وخذلان سميت الاولى الجنة لان فيها جنات وبساتين لا يعمى فيها بستان واحد فقط وسميت الثانية النار والجحيم لا يعمى فيها كلها جذوة نار ملتهبة بل ورد ان فيها زمهريراء وانما هما دارا مخلود للسعداء والأشقياء وكلاهما من عالم الغيب لا يجوز لنا البحث عن حقيقةهما والتحكم في بيان كنههما كما هو مقرر في علم العقائد من وجوب التفويض في أمر الآخرة وعالم الغيب

وخلاصة القول إن الانسان خلق مستمداً لقبول الحق والباطل والعمل الخير والشر وهو مختار في أفعاله التي بها يترقى في عقله وروحه وكلها ما أرشد اليه الدين الحق أو يتردى فيها وغاية تربيته الجحود والكفر • وان خلق الانسان على هذه الصفة التي هو عليها من أبدع حكم الله وعدله وأن هذا النظام والإحكام سيكون من أثره سعادة المرتقي بالإيمان الكامل والعمل الصالح في الحياة الآخرة، وشقاوة الكافر المحرم في النشأة الثانية، وكل ذلك نتيجة عمل الفريقين وأثر مسموما كما يتم العالم الحكيم بالذات العقلية والمعارف الصحيحة والأخلاق الكريمة في هذه الحياة من حيث يكون الجاهل الشرير في عذاب أليم من وساوسه وهواجسه ومفاسده أخلاقه • فالجزاء في الدنيا وفي الآخرة كله عدل ورحمة، لانهأثر النظام والحكمة، فالاعتراض على تفاوتهم في الآخرة كالاعتراض على تفاوتهم في الدنيا وما ربتك بظلام المبيد «وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم» وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين»

وقد بينا هذه المعاني مرات كثيرة في التفسير وفي غير التفسير وكنا نود أن نكتب هذا الجواب في وقت صفاء وسعة ليكون آمناً يأنأولكن زارنا عند الكتابة أناس شغلونا بالقبل والقال فان خفي عن السائل شيء أو احب زيادة البيان فيه فليكتب اليانا ثانية والله الموفق

حجرتي فتوى ابن حجر في تحريم الاجتماع للموالد وغيرهما من البدع

كتبنا غير مرة في بيان مفاسد هذه الاجتماعات التي يسمونها الموالد • وقد سمعنا وقرأنا في الجرائد ان مولد السيد البدوي (رحمه الله تعالى) الذي احتفل به في هذه

الايام قد حشر له من الخلائق اكثر من الف الف اي اكثر من ضعفي حجاج
بيت الله الحرام وان اسواق التجارة فيه كاسدة ولكن اسواق الفحش والفجور في
رواج لم يمهده نظير لأن ثروة المصريين كل عام في مزيد وتمسكهم بالدين كل يوم
في نقص . وقد احببنا ان ننشر لهم فتوى في الموالد لاشهر فقهاء الشافعية في عصره .
وأكثر المصريين شافعية . وهي موافقة لسائر المذاهب لان الدليل الذي ذكره
متفق عليه ولانه لو كانت المسألة خلافية لما اطلق القول بحكمها . ليعرف من لم يكن
يعرف ان حضور بعض علماء مصر في هذه الموالد لا يدل على حملها وانما يدل على
عصيانهم لله تعالى وعدم الاعتداد بحكمهم ولا بعلمهم . وهي بحروفها كما في ص ١١٢
من الفتاوى الحديثة :

« وسئل نفع الله به عن حكم الموالد والاذكار التي يفعلها كثير من الناس في هذا
الزمان هل هي سنة أم فضيلة أم بدعة ؟ فان قلتم انها فضيلة فهل ورد في فضلها اثر
عن السلف او شيء من الاخبار ؟ وهل الاجتماع للبدعة المباح جائز أم لا ؟ وهل
اذا كان يحصل بسببها او سبب صلاة التراويح اختلاط واجتماع بين النساء والرجال
ويحصل مع ذلك مؤانسة ومحادثة ومعاينة غير مرضية شرعاً (عل) وقاعدة الشرع
مهما رجحت المفسدة حرمت المصلحة وصلاة التراويح سنة ويحصل بسببها هذه الاسباب
المنذورة فهل يمنع الناس من فعلها أم لا يضر ذلك ؟ »

« فأجاب بقوله : الموالد والاذكار التي تفعل عندنا اكثرها مشتمل على خير
كصدقة وذكر وصلاة وسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه وعلى شرب
شروع لو لم يكن منهما الا رؤية النساء للرجال الاجانب (لكني) وبعضها ليس فيها شر
لكنه قليل نادر ولا شك ان القسم الاول ممنوع لقاعدة المشهورة المقررة ان درء المفسدة
مقدم على جلب المصالح فمن علم وقوع شيء من الشر فيما يفعله من ذلك فهو عاص
آثم ويفرض انه عمل في ذلك خيراً قريباً خيراً لا يساوي شره ألا ترى ان الشارع
صلى الله عليه وسلم اكتفى في الحبر بما تيسر وفطم عن جميع أنواع الشر حيث قال :
« اذا امرتكم بأمر فاقبوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجنبوه » فتأمله تعلم ما
قهرته من ان الشر وان قل لا يرخس في شيء منه والحبر يكتفى منه بما تيسر . والقسم

الثاني سنة تشملها الاحاديث الواردة في الاذكار المخصوصة والامة كقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يقيم قوم يذكرون الله تعالى الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة » وذكروهم الله تعالى فيمن عنده « رواه مسلم وروى ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال لقوم يذكرون الله ويحمدونه على ان هداهم الاسلام : « انا في جبريل عليه الصلاة والسلام فأنفخني ان الله تعالى يباهي بكم الملائكة وفي الحديث اوضح دليل على فضل الاجتماع على الخير والجلوس له وان الجلوس على خير كذلك يباهي الله بهم الملائكة وتنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة ويذكروهم الله تعالى بالتاء عليهم بين الملائكة فأي فضل اجل من هذه « وقول السائل نعم الله به وهل الاجتماع للبدع المباحة جائز ؟ جوابه نعم هو جائز قال العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى : البدعة فعل ما لم يسهل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وتنقسم الى خمسة احكام : يعني الوجوب والندب الخ « وطريق معرفة ذلك ان تعرض البدعة على قواعد الشرع فأي حكم دخلت فيه فهي منه فمن البدع التواجية تعلم النحو الذي يفهم به القرآن والسنة ومن البدع المحرمة مذهب نحو القدرية ومن البدع المدبوبة احداث نحو المدارس والاجتماع لصلاة التراويح ومن البدع المباحة المصاحفة بعد الصلاة ومن البدع المكروهة زخرفة المساجد والمصاحف أي بغير الذهب والاف في محرمة وفي الحديث وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وهو محمول على المحرمة لا غير وحيث حصل في ذلك الاجتماع لذكر أو صلاة التراويح أو نحوها محرم وجب على كل ذي قدرة النهي عن ذلك وعلى غيره الامتناع من حضور ذلك والاصرار شريكاً لهم ومن ثم صرح الشيخان بأن من المعاصي الجلوس مع النساء ائناً لهم « اه « وعبارته تشمر أنه لم يكن في هذه الموالد على عهد من المنكرات عصر معشار ما فيها اليوم اذ لم يكن الفسق مباحاً في عصر من العصور كما هو اليوم مع عموم الجهل بالدين وكثرة الدواهم والدنانير فكيف لو رأى زماننا هذا « واذا كان الاجتماع للذكر أو صلاة التراويح يحرم اذا هو اشتمل على محرم ويجب النهي عنه لمن قدر فكيف لا يجب على شيخ الازهر النهي عن مثل الموالد الاحدي الذي صار موسماً للفحش والفجور وكبائر الذنوب والذي يمتنع لاجله طلب العلم في الجامع الاحدي ليكون مأوى للنساء ينامون مع الرجال ليسلاً ونهاواً وللأطفال يبولون فيه ويغوطون وللمجانين يصيحون فيه ويصخبون « وانما خصصنا شيخ الازهر بالذكر لانه أقدر رجل في مصر على إبطال هذه البدع والفواحش والله الموفق

باب الحجة الأولى

سجل أحوال المغرب الأقصى

كتب إلينا من قاس عاصمة المملكة المراكشية ما يأتي
أحوال المغرب الأقصى الحالية في غاية الارتباك والتشوش وأضحيت أعقد من
ذنب الضب وبيان ذلك : أن سفير فرنسا طلب من السلطان باسم حكومته تقرير
مطالبه الآتية : (١) ترتيب وتنظيم جيش يؤلف من ١٠٠ أورطه ، (٢) أن يكون هذا
الجيش تحت إمرة أحد قواد فرنسا ويعطى هذا القائد صفة وعنوان مستشار لناظر
الحرية الفرنسية ، (٣) أن يكون ضباط الجيش مافوق اليوزباشي من الفرنسيين ،
(٤) مد الأسلاك البرقية بواسطة الفرنسيين ، (٥) تعيين مستشارين فرنسيين للمالية .
ولما أبلغ السلطان طلبات السفير ألف في الحال لجنة من خمسين واحداً من أعيان
البلاد وكلفهم أن يقرروا ما يجب وإن يكتبوا الجواب اللازم لينبغي السفير الفرنسي
 واجتمعت اللجنة قبل تاريخه بثلاثة أيام وقررت باتفاق الآراء رفض طلبات السفير .
ولما أرسل الجواب إليه قال : إنكم تقوم لا تبغون الإصلاح لوطنكم ولكن اعلموا
أن الحكومة الفرنسية تصرف كل سنة ما يزيد عن ستة ملايين في سبيل إعادة
الامن العام على الحدود الجزائرية الذي طالما اختل بسبب ثورات القبائل الماشقة
من قساد أحكامكم وسوء أحوالكم لذا ترى حكومتى أن ترسل جنود المقاومة كل
ثورة تقوم على الحدود في المستقبل وتضرب القبائل الثائرة وتؤديها وتضبط بلادها
وتعين عليها الأحكام والقضاة من قبلها (أي فرنسا) والآن أريد من حضرة السلطان
أن يصدق على طلبي هذا ويأذن أن تعمل بموجبه .

هذا ما قاله السفير الفرنسي وهذا ما طلبه بعد رفض طلباته الأولى على أن
الفتن والقلاقل والمشا كل والثورات الناشئة عما يليق أصحاب الدسائس مثل أبي
حمارة وأبي عمامة امتدت على طول الحدود الجزائرية حتى إن نار الثورة سرت
من الحدود إلى القبائل النازلة قرب العاصمة التي لا تبعد عن ابوابها إلا ساعتين فقط
والحكومة متعيرة في أمرها لا تعلم كيف ترد عنها هذه النازلة والمنتظر أن تصير
الثورة عامة في البلاد المراكشية فتتضي على المملكة . ويوجد الآن جيش مؤلف

من (٥٠٠٠٠) جندي من مسلمي الجزائر في (وجده) على مقربة من الحدود ينتظرون الأمر من الحكومة الفرنسية لتخطي الحدود والدخول في الأراضي المراكشية على أن حكومة المخزن ليس لها حق في ماصتها أكثر من خمسمائة جندي . كل ذلك والسلمون قضاتهم وحكامهم وعلمائهم وعامتهم ينتظرون المدد والفرج من قبل مولاي إدريس والسلطان يستأجر مائتين من طلبة العلوم ويأتي بهم كل ليلة للنداء بكلمة (بالطفيف) مائة ألف مرة فيجلسون عند قبر مولاي إدريس ويرسلون أصواتهم إلى السماء قائلين (بالطفيف بالطفيف ٠٠٠) والناس ينتظرون من تأثير ذلك أن يرض السفير الفرنسي فيموت أو أن ألمانيا تعلن الحرب على الحكومة الجمهورية . ومن المصادقات القريبة أن وردت الأخبار بقرب وصول امبراطور ألمانيا إلى طنجة فابتهدت القلوب واقتضت الثغور ولا تسبل عما دخل من السرور بل من الغرور في قلوب هؤلاء الطلبة قراء (بالطفيف) من فوزهم الامتياز هذا ونجاحهم باستجلاب امبراطور الألمان إلى بلادهم ليدراً عنهم العلة الفرنسية نسئل الله أن يكون في عون هذه الأمة المسكينة المستسامة إلى يد الجهل والغرور

أما السلطان فإنه أرسل عمه مولاي عبد الملك والصدر الأعظم ومستشار ناظر الخارجية لاستقبال عاهل الألمان ومنهم كثير من الهدايا النفيسة ومما يصح أن يذكر أن السفير الفرنسي لم يذكر شيئاً عن نشر المعارف وفتح المدارس في مذكرته بل يظهر أنه يقاوم المعارف فقد علمنا أن بعض الأعيان والأغنياء هنا عزموا على فتح مدرسة حربية وأخرى طبية بشرط أن يكون التدريس فيها باللغة العربية ولما استأذنوا ولي الشأن في المسألة وبلغت مسامح السفير الفرنسي استشاط غضباً وأقام التكبر واعترض اعتراضاً شديداً على فتح المدارس . ولا إصلاح بدونها رأينا في المنار أنكم تازمون على الرد على رسالة المهدي الوثاني ولا حاجة إلى ذلك فإنها ملانة بقال فلان وحكي فلان كأن الرجل مسدود الأذنين عن الآية القائلة (اياك نعبد و اياك نستعين) ولا ينبغي أن هذا الرجل ومن مائة يحصلون على قوتهم من وراء قبور (الأولياء) واتم باجتهاد انكم الديفة المفيدة أقم سدا منيما بينهم وبين مظالمهم فلو استطاع لتسفكم بقنبلة مدفع ولم يكتف بالرد عليكم

هنا ربيعة (الربيعة صندوق الثغور) عيد السلام الوزاني وربيعة مولاي إدريس يملان ما لا يعمل بمعمل (فابريكة) مدافع كروب إذ أن العوام ينثرون نصف ما يكسبونه

علي ربيعة مولاي ادريس قائلين (يا قطب المغرب يا مولاي ادريس) ويضعون النصف
الأخر في جيب الوزاني صائحين (يا دار الضمان) اه

(الشار) اذا سمعت رواية المكاتب ولا تخالها الا صحيحة فالسفير الفرنسي لم يترك لما قبل
منفذا لتحسين الظن بفرنسا لأن مقاومة العلم والاكتفاء من الاصلاح بالاحذ بقوف رقة
الحرية وبمحجزه خزنة المالية وبمناقد المواصفات العمومية مما يثير سوء الظن بأنه لا غرض
لفرنسا إلا الاستيلاء على البلاد لاجل استغلالها لاجل تمدينها. أما غرور المراكشيين
بزيارة طاهل ألمانيا فلننتجة توها أن ذلك كرامة لمولاي ادريس رحمه الله فهو لجهاهم بالسبب
واعتيادهم على جعل الامور العادية من خوارق العادات. السبب الصحيح لمعارضة ألمانيا
لفرنسا في استعمار مرا كشي الآن هو المناظرة والمنافسة المعروفة وشروح الفرصة بانكسار
روسيا في حربها مع اليابان واشتعال ثيران الثورة والفتنة في بلادها. ولولا واقعة مكسار
التي خسرها الروس نحو ١٥٠ رجلا بين قليل وجريح وأسبر وتلك الثورات لم تندفع
ألمانيا الى ما اندفعت اليه. وليت المراكشيين يعلمون ان ألمانيا ليست خيراً من فرنسا في
مستمراتها بل هي شر منها وأنهم اذا لم يستفيدوا من المناظرة بينهما بالعقل والحكمة
دون الاتكال على الكرامات فلا يكون دخول الألمان في بلادهم الا وبالاعلهم

وقعت أخطا في تفسير آية (كان الناس الخ) المنشورة في الجزء الثاني فعملنا لها هذا الجدول لتصحيح

| صفحة سطر خطأ | صواب | صفحة سطر خطأ | صواب |
|--------------------|----------------------------|-----------------|----------------------|
| ٤٢ ٣ الآية | الامة | ٥٧ ١٤ جاءهم | جاءهم |
| ٤٨ ٦ بعد | بعدها | ٦٠ ٢٠ خفيف | ضميف |
| ٤٨ ٩ كاتراه | ولما معنى أنهم كانوا جميعا | ٦١ ٦ مله | عمله |
| ٤٨ ٩ كاتراه | على الضلال، كاتراه | ٦١ ٨ المعلوم | المعلومة |
| ٤٨ ١٦ اولاً يزلون | ولا يزلون | ٦١ ٨ ذلك السن | ذلك السن هي |
| ٥٠ ٥٧ كما كانوا | لما كانوا | ٦٢ ٨ لأدنى | هو المعروف المعروف |
| ٥٢ ١٢ أن لا يؤولوا | أن يؤولوا | ٦٥ ١١ إلى مرحلة | لا رقي |
| ٥٥ ٤ أوروبا | وربما | ٦٥ ١٥ و١٤ وعمدت | أهملت الجمعية |
| ٥٦ ٨ الخاطئين | الخاطئين | ٦٥ ١٩ اختلف | الجمعية لتقويم تقويم |
| ٥٦ ٩ قدمه | قدمه | ٦٥ ١٩ اختلف | اختلف فيه |
| ٥٦ ١٩ الحر | الحر | ٦٦ ١٩ نيه | نيه |

بوقتي الحكمة من يشاء ومن ثوت الحكمة قدأ وني
فيرا كثيرا ومايد كرا لا اولو الاباب

المعراج

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتعلمون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الاباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوي و« منارا » كمنار الطريق)

(مصر — السبت غرة ربيع الاول سنة ١٣٢٣ — ٦ مايو (أيار) سنة ١٩٠٥)

باب المقالات

الحياة الزوجية

٣

وأما العلم فلا يشترطه في المرأة أحد في بلادنا الاثلة من المتعلمين والمتأدين على
الطريقة الافرنجية وقليل من العارفين بكنهه مدنية الافرنج الذين يقدرون محاسنها قدرها وان
لم يتعلموا على طريقهم ولا يزال أكثر المسلمين لا يعقلون لتعليم المرأة فائدة بل يرونه
ضاراً من جهة واحدة هي عندهم لا توازن ولا تقابل بشيء الا وتكون أربى منه وأكبر
وهي أن البنت المتعلمة تجرأ على الرجال وتقدم على مكانة من تيل اليه من الشبان
ولأنه ليوجد في المتعلمات لهذا العهد من يحكي عنهن ذلك ومثل هذه الحكايات تسري
وتذيع بسرعة البرق وتؤخذ بالتسليم ويجري فيها القياس للقطع بأن علماها تعلم وأنه
حيث وجدت العلة لزمها المعلوم لا محالة ولا يمكن إقناع العامة بأن العلم ليس علة لمكانة
البنات للشبان يلزم من وجودها الوجود وإنما هو شرط يلزم من عدمه العدم ولا
يلزم من وجوده وجود ولا عدم لان العامة لا تفهم مثل هذه الحجج وخاصة النساء
قائمة في إقناعهم بجزايا تعليم البنات هو ظهور أثره الحسن في المتعلمات بمصر وتونس

وسوريا وغيرها من الأقطار ولم يظهر على أن التقليد يفعل في الأمم مالا يفصل الاقناع
وأشد الناس استعداداً وقبولاً له الشعب المصري وإذا وجد في أسرته وكبرائه غناية بتعليم
البنات تقليداً للأفرنج الذين يماشرون ويمازجون فلا بد أن يتم التقليد جميع الطبقات
وقد ظهرت بوادر ذلك منذ أعوام، وهي تقوم السنين والأيام، فالأباء والأمهات صاروا
يفتخون بناتهن إلى المدارس وهم لا يدرون ماذا يتعلمن ولا يعرفون من المصلحة في
ذلك إلا أن البنات المتعلمة برغب فيها الخاطبون الأغنياء مالا يرغبون في غيرها، ثم أنهم
بهذا الاندفاع لا يعززون بين مدرسة إسلامية أو غيرها ولا يفكرون في خطر افساد
عقيدة البنت وتحويلها عن دينها وأعادتها قومها وخلافتهم الميزة لهم ولا في كونها تطرح
الحياء ونجراً على مكاتب الرجال كما يعتقدون لأن تيار التقليد الجارف لا تقف في طريقه هذه
الخواطر إن هي طافت بهذه العقول الضعيفة والقلوب المجتة التي اعوزتها البصيرة والعزيمة، فلم
تجد هم في واردة ولا رية، وفي هذا الاندفاع خطر عظيم على الأمة كنا ولا نزال نحدث الناس
به فيقبله المستدلون وينفذ الخلاة في التفرنج وقد أتيح لنا في هذه الأيام ما يقتسمهم وهو ما قاله
اللورد كرومر في تقريره عن مصر سنة ١٩٠٤ وأنا نذكره هنا لأن بحثنا في الحياة
الزوجية إنما هو من حيث هي ركن حياة الأمة وسعادتها أو عكس ذلك قال

﴿ تعليم البنات ﴾

« كثيراً ما أسمع الناس يقيمون الحجيح والأقيسة على حل بعض المسائل السياسية
والإدارية في بر مصر وينوونها على فرض أن المصريين لا يزالون متصفين اليوم بصفات
أجدادهم وخصائصهم، وعندى أن هذه الحجيح والأقيسة لا تخلو من مفسدة، فالتيار
حاصل ولست أقصد أن أعظمه أو أبالغ فيه وإنما أقول أنه لا يمكن أن كل خلق وصفة
من الأخلاق والصفات القومية يتغير تغيراً تاماً في ربع قرن ولو أمكن ذلك لما كان
مستحسناً لأنه يخشى في مثل هذا التغير السريع أن يذهب الحسن من الأمة بجزيرة
الردى، ولكن ليكن معلوماً عند الحكماء المصريين وعند كل من له اتصال بمصر
أن هناك قوات عاملة قد أثرت في أخلاق المصريين القومية فتغيرتها بعض التغير وتغيرها
أكثر من ذلك على مر الأيام، وهذه القوات العامة معظمها يعمل تدريجاً وبغير رويدا
رويدا حتى لقد يخفى عمله عن ميون المراقبين في بعض الأحوال ولكن بعضها يعمل

سرياً حتى لقد تغير تغيراً ظاهراً محسوساً
 مومن الشواهد على ذلك تعليم البنات فان الرأي العام المصري تغير في هذه الاعوام
 الاخيرة تغيراً كلياً في هذه المسألة الجوهرية المنظمة الشأن. ومما يزيدنا استغظاً لهذا
 التغير في الرأي العام أنه آخر ما كان الناس حتى الذين يراقبون منهم أخلاق أهل الشرق
 أدق مراقبة يتوقعون حدوثه بمثل ما حدث من السرعة نظراً الى الآراء المعهودة
 عن مقام المرأة في بلاد مصر. ولكن مصر بلاد المعجائب والعرائب فلا عجب اذا كذب
 أهلها نبوءات المصلحين الاجتماعيين بحولهم عن حال الى حال تحولاً لم يكن يحظر على بال
 فقد كانوا منذ عشر سنوات لا يبالون بتعليم البنات بل ربما استخفوا به واستكفوا منه
 ولذلك كانت كتاباتهم خالية من بناتهم سنة ١٩٠٠ ماعدا ٢٧١ كتاباً من جملة الكتابات
 التي تحت مراقبة الحكومة. وكان عدد كل البنات اللواتي تعلمن فيها ٢٠٥٠ بنتاً أما
 في سنة ١٩٠٤ فبلغ عدد الكتابات التي تعلمن فيها ١٧٤٨ كتاباً وبلغ عدد من فيها
 ١٠٤٦٢ بنتاً وأبلغ من ذلك ان ١٠٠ بنت طلبن دخول المدارس الابتدائية العالية
 ومدارس تعليم الملمات بالقاهرة في السنة الماضية فلم يجبن الى طلبهن لعدم وجود محل
 لهن فيها فأحسن خدمة يخدم بها المصريون المعارف والتعليم في بلادهم تقوم بإنشاء
 مدارس ابتدائية منظمة للبنات في بنادر القطر

«هذا وان قلة الملمات المدرسات على التعليم أفضت الى تأخير تعليم البنات في جميع
 فروعه ولكن المقبات في هذا السبيل أسهل من المقبات التي في سبيل وجود المعلمين
 المدرسين على التعليم. فان عند نظارة المعارف في المدارس الابتدائية العالية والكتابيات
 عدداً قليلاً من البنات المسلمات المرعات على التعليم. وعليه يتسع نطاق تعليم البنات شيئاً
 فشيئاً. وفي مدرسة الملمات الآن ١٥ تلميذة ينهي معظمهن منها في الثلاث سنوات
 القادمة ويتعلمن في سلك الملمات. وقد أخبرت أمهن متى اثنين من المدرسة لم يحضر
 وجود غيرهن من اللواتي يدرسن مكانهن

«أما مقدار ما تؤثر هذه النهضة لتعليم البنات في أفكار الجيل المقبل من بنات مصر
 وفي أخلاقهن ومقامهن فستظهر لنا الايام على مر الاعوام. على أنه اذا تأتى عنها تغير
 في مقامهن فلأما ان هذا التغير يكون تدريجياً وعسى ان المصلحين الاجتماعيين من

أبناء مصر يحفظون في أذهانهم قول مثلهم العربي «المجلة من الشيطان والثاني من الله» وعلى الأخص في هذه المسألة أكثر مما في غيرها لأن المجلة فيها يمكن أن تؤدي إلى طامة أدبية عظيمة على أنه إذا لم يتغير مقام المرأة المصرية تغيراً تدريجياً فهم أقبل المصريون أهل التمدن الأوروبي ظاهراً فهيئات أن يتشربوا روح التمدن الأوروبي الصحيح بأحسن مظاهر حقيقة «أهل كلام الورد

فليتأمل القارئ البصير كيف عدّ هذا السياسي الحكيم تحول أهل مصر بسرعة من حال إلى حال في هذه المسألة من العجائب والغرائب التي لم تكن تخترق في بال أحد من علماء الاجتماع وكيف أشار إلى أن هذه المجلة شيطانية . وقول إن نصيحتها هذه للمصلحين من أبناء مصر سيحفظها له التاريخ ويذكرها له في المستقبل مقرونة باجلال القضية والأخلاص لآسيا إذا كان ثم انقلاب المتظار أكبر من نفعه كما يتوقع ، كانت حال النساء في أوروبا على أسوأ ما يخطر في بال البشر من اللهانة والاحتقار ولذلك كان مايسمونه «رد الفعل» في التحول والاعقاب عظيم فبعد أن كانوا يمتدنون ان المرأة ليست من البشر وإنما هي حيوان دون الانسان وفوق سائر الحيوانات وبعد ان كانوا يسومونها الحسف حتى حرموا عليها أكل اللحم ومنعوها الكلام والضحك في حضرة الرجال وأوجبوا عليها السمع والطاعة لزوجها في كل شيء ولو كان ضاراً أو خبيثاً أو شاقاً لا يطاق أطلقوا لها العنان تتعلم ما تشاء وتعمل ما تشاء وتهلك كما تشاء وتحكم كما تشاء حتى صارت تشارك الرجال في أعمالهم الخاصة خارج البيوت فأهل من امر نظام البيوت بقدر ذلك ولا غنى للبيوت عن النساء وكل عمل خارجها فهو مستغن بالرجال عنهن . وانتهى الأمر بكثيرات منهن إلى اختيار التبتل فرارا من ائقار الزوجية وناهيك بانتشار البغاء وشيوع الفاحشة وما في ذلك من المقاصد والمضرات . وقد انشأ العلماء والحكماء يشعرون بخطر هذا الإطلاق لصنف لاهم لافراده غير الزينة والراحة واتباع هوى النفس لان وجدانهم أقوى من عقلهم ولكن كل ما يتعلق بصفات الامم وشؤونها لا يظهر نفسه أو ضرره ولا يمكن إيجاده أو منعه الا في زمن طويل . ليس من غرضنا في هذا المقال ان نبحث عن أحوال الامم في انتقالها وتحول أحوالها ولا عن حال النساء في أوروبا ومنافع تسليمهن ومضاره وإنما غرضنا أن نبين أن العلم

الذي ينبغي أن تعرفه المرأة هو مالا يخرج بها عن كونها امرأة وهو ما تكون به قرة عين وخير سكن للرجل المتعلم يحسن معها به عيشه ويكون عوناً لها على تهذيب ولده وإدارة شؤون بيته لا ما تكون به فيلسوفة ولا سياسية ولا صانعة، وهذا ما اختاره أرقى دول أوروبا في العلوم والمعارف وهي دولة ألمانيا التي ينسب إليها بعض دول أوروبا التقصير في تعليم النساء وتستعطر كل الدول إلى سلوك سبيلها في يوم من الأيام

ليس البيت عملة فينوقف عمرانه على العلوم المالية والفنون الصناعية والزراعية والتجارة وتوقف إدارته على معرفة الشرائع والقوانين ، وليست العلاقة بين البيوت كالعلاقة بين الدول فتضطرب ربة البيت في حفظ حقوقه إلى التوغل في السياسة والفنون العسكرية . حسب المرأة أن تتقن لغة أمها وتعرف آدابها وأن تعرف الحساب وعلم تدبير المنزل وعلم حفظ الصحة وعلم الأخلاق وعلم التربة وأن يكون هذان العلمان قائمين على أساس الدين مقرونين بمعرفة عقائده وآدابه وأحكامه والتاريخ العام بالأجمال وتاريخ أمها وبلادها بالتفصيل وعلم تهويم البلدان وعلم الاقتصاد . ثم مبادئ وموضوعات سائر العلوم وفوائدها بقوة الأجمال ، وأن تعرف الطبخ والحياطة والتطريز وما يتصل بذلك ، ولا يصدر عنها هذا أنها من بيوت الأغنياء الذين لا يطبخون طعامهم ولا يخيطون ثيابهم بأيديهم فإن علمها بذلك وتمرنها عليه نافع بل ضروري وقد بلغنا أن قيصرية روسيا تحسن الطبخ والحياطة وكانت فيكتوريا ملكة انكلترا وامبراطورة الهند تنسج وتخيط وتطرز فهذا كمال للنساء أن لم يعلمن به فليعلمن أن يعلمن كيف يعملن في بيوتهن ويعرفن نفقته ودرجة جودته ويحسن المراقبة والرياسة على الخدم التي تقوم به

أما معرفة موضوعات وغايات العلوم والفنون المتداولة في الأمم الحية فلها فوائد منها أن لا نكون عدوة أو كارهة لشيء نافع لقومها فإن من جهل شيئاً عاداً مكرهه وإن الإنسان يكون ناقصاً بمقدار ما يجهل من المضار والمنافع . ومنها أن تعرف قيمة زوجها إذا هي تزوجت بمن يشتغل بعلوم أو فن مما يجهل النساء تفصيله فإذا وأنه يشتغل بتجارب زراعية أو كباوية مثلاً عرفت فضله في ذلك ورجت له من الفائدة ما تكون عوناً له على عمله . فإن المرأة التي تجهل قيمة زوجها المنوية ومعارفه التي يمتاز بها لا ينأ

لها مه عيش لأنها لا ترى عمله إلا شاغلا له عنها كأنه ضرة لها وهو لا ينأى له معها عيش لأنه يراها جاهلة بقدره، بعيدة عنه في نفسه وعقله، وإن شئت قلت أنها يكونان شخصين متباعدين بالروح والعقل لا يمكن أن تتكون منهما حقيقة الزوجية التي ينشأ منها في النبذة الأولى، ومن تلك الفوائد أن يكون لها رأي فيما تصرف ووجهة أولادها لا تقاؤه من العلوم والفنون بعد التعليم الابتدائي والثاني، وكثيرا ما يموت الوالد وتكون المرأة هي القيمة على أولادها منه فينبغي أن تعرف وجهتهم في المدرسة وذايتهم في التسلم لتحسن القيام عليهم.

وأما فائدة اللغة وآدابها فهي بدئية لمن يقول بالتعليم فالمرأة التي لا تفهم لغة أمها العلمية الأدبية تكون بمنزلة البهائم لا تشمر إلا بالحاجات الجزئية التي أودع الشهور بها في فطرة كل حيوان ويكون سكوت الرجل العالم الأريب اليها مقدارا لداعية الحيوانية إلى ملامستها وفي وقت هذه الداعية وتكون في سائر الاوقات كلالا عليه وبلاء ومصابا اذ يراها صابئة له في إنسانيته لا تشاركه في حسن تصوره ودقة مداركه ورقة شعوره بالمعاني الأدبية والافكار الاجتماعية، ويرى اقتناعها بالمسائل المعقولة والمصلحة الفطرية متعذرا أو متمسرا عليه لأنها ليس لها لغة تعبر عما وراء الضروريات التي يدور عليها كلام العامة، ثم انه اذا سافر تنقطع الصلة بينه وبينها لا يكتب اليها ولا تكتب اليه فيما يتعلق بشؤون البيت ومصلحة المشيرة الا اعلاما بالصحة واحتلاما عنها ونحو ذلك ويتعذر عليه ان يشمرها بما يشمر به في سفره من لذة وألم وسرور وكتابة كما يتعذر عليها ذلك.

وأما فائدة الحساب فلا يجعلها أحد في البشر الا أن يكون بعض أهل الأزهر، فالمرأة التي تعرفه يمكنها أن تضبط نفقات البيت على القاعدة التي يسمونها الميزانية فتجعل الخرج على نسبة إلى الدخل معروفة فهو عون على الاقتصاد، وقلما توجد امرأة في الأرض لا تشتري ولا تبيع شيئا ولا تعامل أحدا بالمسالك والنساء اللواتي يملكن المسالك والمقار والأرض والعروض كثيرات والأسلام جعل لهن حق التصرف في أموالهن فالمرأة التي لا تعرف الحساب تصكهن عرصة للخطأ في كل معاملة مالية فيفسد البائع والمشتري وأوكيل والأجير ويطمع في غيال ماله زوجها السفيف

ويثبت به ولدها الصغير ،

وأما الاقتصاد الذي يعد الحساب من وسائله فهو روح المعاملة وأسس النظام وملاك المعيشة ودعم السعادة . فإذا لم تكن ربة البيت عارفة بهذا الفن عاملة به فلا يستقيم للمعيشة حال بل تكون مضطربة بين أمواج الحوادث يتقاذفها اليسر والعسر ، ويتناوبها الفنى والفقر ، وليس الرجل بمن في اقتصاده عن اقتصاد المرأة عن رضى واقتناع ولا رضى ولا اقتناع إلا بالمعلم والمعرفة بأن مصلحتها ومصلحة عنها فى الاقتصاد . ألم تر أن معظم المال يذهب فى سرف النساء وخيالاتهن ، ألم تسمع أنهن الرجال وأطيطهم من ثقل النفقة على ما يبتدع النساء كل حين من الأزياء والتقلد فى ضروب الحلوى والحلل ، ألم تعلم بأنهن لا يبدون الرجل إذا قال لا أستطيع لأقدر لا أملك بل ينتصن عيشه ويسلبن راحته أو يبذل هن ما يطلبن ولو استدان بهن بالربا الفاحش أو باع لاجله الغالى النفيس بالثمن البخس ، ؟

هذا مما تعرف فهل لك أن تضم الى معرفة الداء معرفة العلاج وهو ان تزوج بإمرأة صكاتبه حاسبة مقتصدة وتجهل للبيت بالاتفاق معها ميزانية يكون الخرج فيها جزءا من الدخل وتكون هي النفقة والقيمة كما تجهل لأرضك وعقارك ميزانية تكون أنت أنتفد لها وبذلك تكون امرأتك مقتصدة بأن ما توفر من الدخل فى الحال ، هو عدة لها ولأولادها فى الاستقبال ، .

جرب كثير من الرجال هذا العلاج فوجدوه نافعا مفيدا ومنهم من أسندوا الحفظ به على غير علم بفائده فأصاب السعادة عفوا . أعرف رجلا مسرفا كان يضع كسبه الكثير بغير عقل ولا حساب ويضطر الى الدين حتى أخذ الدين بتلايينه لأنه كان جاهلا سكورا تزوج بفتاة كانت يهودية وأسلمت إسلاما صحيحا فذا عم أن حسنت حاله فقل سرفه وحسن عمله وقضى دينه ثم صارت له ثروة مدخرة . وحدثت عن رجل فى مصر له راتب من الحكومة لم يكن كافيا لستة فى نفقاته الشخصية فتزوج بفتاة متعلمة مهندبة فهو يبيت معها فى هناء ونعيم ويقتصد من راتبه شيئا يدخره للمستقبل المجهول . بل أعرف غير واحد من الفقراء جعلوا كسبهم فى أيدي نساءهم فكانوا معهن فى عيشة راضية يزيد فيها دخلهم على نفقتهن زيادة لها شأن عندهم .

ولأنني أظن أنه يصعب على أكثر النساء أن يبذلن جميع مافي أيديهن من المال في الأمور الزائدة على الضروريات أو الحاجيات ولكن يسهل عليهن أن يبذلن أكثر مما في أيدي أزواجهن إذا كانت النفقة بيده. فالمرأة الجاهلة تقدر على الحياة الاقتصادية في بيت فقير ولا تقدر على ذلك في بيت غني ولا متوسط. إلا بالعلم وحسن التربية وأما علم حفظ الصحة فهو ضروري لكل انسان سواء كان يعيش منفرداً أو زوجاً أو صاحب عيال ورئيس عشيرة فمن عرف هذا العلم سهل عليه التوقي من أكثر الأمراض والأوبئة ووقاية من يموله منها وإذا هو أصيب بمرض فإنه يحسن وصفه وبيان أسبابه وكيفية سيره للطبيب فيكون أكبر عون له على تشخيصه ومعرفة حقيقته ثم إنه يحسن العمل بما يأمره به الطبيب من المماثلة. فربة البيت الجاهلة بهذا العلم تكون بلاء على نفسها وعلى زوجها وأولادها ولا يمكن أن تقلل الأمراض والأدواء في أمثالها إذا تعلم ساؤها هذا العلم فكم من طفل قتلك به المرض لجهل أمه بمداواة محنته وكم من امرأة قتلت ولدها أو زوجها بنفس الأدوية التي وصفها الطبيب لشفائه لجهاها بأسمائها وبمقادير ما يعطى المريض منها . ولقد يتمسر على المريض العالم أن يحسن معالجة نفسه في بيت قيمته جاهلة لأن أي عمل في البيت لا يتم إلا بها

وأما علم الاخلاق فهو عون للانسان على تكميل نفسه في الكبر وعلم التربية يتوقف عليه لأن من لا يعرف قوى النفس وكيفية تكوين ملكاتها وانطباع أخلاقها وطريقة تأديتها وآثار صفاتها ووجدانها فهو لا يعرف معنى الانسان أو هو ليس بانسان كامل فيتمدر عليه تكميل غيره بحسن التربية التي هي أهم ما يجب على المرأة وأعلى ما يطلب منها ويدخل كل ما تقدم في علم تدبير المنزل ما عدا مبادئ الفنون وعلم اللغة التي هي وسيلة كل علم لأن المراد بتدبير المنزل سياسة أهله وموضوعه حقوق كل من الزوجين على الآخر وحقوقهما على الاولاد والخدم وحقوق هؤلاء عليهم وطريق قيام كل بما يطلب منه والمرأة هي ربة البيت ومديرة نظامه فينبغي أن تكون عارفة بما عليها ومرشدة للاولاد والخدم الى ما يجب عليهم تحت رعايتها لينتظم شأن البيت فتكون العيشة راضية وليرتبي الاولاد بالقناعة الصالحة فيكونوا أعضاء صحيحة عاملة في الأمة

ومعرفة التاريخ وتقويم البلدان هي التي تودع حب الأمة في القلب وتبعث فيه روح

الفيرة فإذا كانت المرأة جاهلة بتاريخ أمها ومكانها من غيرها فهي لا تشر بأنها عضو من جسد أمة كبيرة لها حقوق يجب على الأفراد القيام بها وعلى الوالدين تربية أولادهم على احترامها والتنافس في المسابقة اليها واعتقاد أنها دعامه الشرف ووركن العزة والسيادة .
 يكون الانسان كبير النفس وعظيم الهمة اذا كان يشعر بأن وجوده غير محصور في مساحة جسمه الصغير وانما هو واسع بروحه المنبثة في عالم كبير يسمى الامة تسلك به كما يصل كل عضو في جسده لمصلحة الجسد كله . ويكون أكبر وأعظم اذا كان يشعر بأن وجوده أوسع وأرقى لانه خلق ليعمل ما يفيد البشر كلهم بالتقريب والجمع بين المختلفين والتأليف بين المتفارين وغير ذلك من الاعمال أو يثبت العلوم التي يتمتع منها الجميع . ويكون الانسان حيوانا حقيرا ضيق الوجود اذا كان علمه وعمله موجّهين لخدمة شخصه ومن عماده يتصل به اتصالا محسوسا كاهله وعشيرته . ومن كانت هذه حاله فإنه لا يرجي منه ان يربي أولاداً ينفعون أمتهم ووطنهم ويتفعلون الناس اجمعين . لذلك كان لا بد لكل انسان من ذكر أو أنثى ان يعرف التاريخ ليتسع وجوده بقدر استعداد اهله يربي من ينفع الامة والناس . وعلم تقويم البلدان في معنى التاريخ بل هو منه في الاصل ثم صار أملا مستقلا تلك إشارة الى ما يطلب من كمال المرأة وتختار لأجله . وسنكتب كلمة في اختيار المرأة لرجل .

فَتَاوَى الْمَسَائِلِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورمافداً من آخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورعاً أحيانا غير مشترك لئلا هذا . ولن نضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لا نقفاله

﴿ أسئلة من السيد محمد بن يحيى الصقلي الحسيني من بلاد الجزائر ﴾

قال بعد رسوم الخطاب: لما نظرنا الى ارشاداتكم العديدة غير المتناهية وبمحكم وتعلمكم في العلوم الدينية الاسلامية ومحققنا بعلومكم في ذلك جزئنا بأن فيكم الكفاية لمن يريد الحصول على استفادة بأكل بيان وأبلغ عبارة قطعت آمالنا بحضرتكم وكتبنا هذا لفضيلتكم والرجاء من الله ثم منكم أن تعيدونا ومن نعمكم لأحرارنا

﴿ تقيل أيدي العلماء ﴾

(س ٩) ما قولكم دام نعمكم في تقيل العامة كبيرهم وصغيرهم غنيهم وفقيرهم لأيدي العلماء وتذللهم لهم حتى جعلوا ذلك من أهم الواجبات الدينية أفيدونا هل ذلك من آداب ديننا الإسلامي الخفيف أم لا

(ج) إذا اعتقد العوام أن تقيل أيدي العلماء من الواجبات الدينية كان تقيلها مصيبة يجب نهيهم عنها ومحرم على العلماء تمكينهم منها لأنهم زادوا في الدين ما ليس منه وشرعوا لأنفسهم ما لم يأذن به الله ولقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يحامي المواظبة على بعض العبادات المندوبة كصلاة التراويح لئلا تعتقد العامة أنها واجبة وفي حديث ابن عمر عند أبي داود : قد نونا من النبي فقلنا يده ولكن لم تمض السنة عنه ولا عن أصحابه ولا عن التابعين بتقيل أيدي العلماء فهي عادة من العادات المباحة ما لم تعتقد مشروعيها وكونها من الدين ولا حاجة لأطالة البحث في هذا فإنه مما لا يختلف فيه عالم بدين الإسلام . وانا نشكر للسائل حسن ظنه بنا على ضيقنا وعجزنا

﴿ نذر الذبايح على أضحية الأولياء والتوسل بهم ﴾

(س ١٠) ومنه : وما قولكم في الذبايح على أضحية الأولياء لسبب نذر أول رجا دفع مضرة أو غيرها وكذلك التوسل بياهم والرجاء منهم نحو قول أهل فارس عند معاناة مكروه نازل بهم ما دام ضريحه . ولاي ادريس في وسط بلده نافلا تخاف لأنه يزود عن بلدة فارس خصوصا وعن قطر المغرب عموما وهو ورجال المغرب (صالحو الموتى) يحفظوننا من فائقة العدو ونفوذ : واقوالهم من هذا القليل كثيرة أفيدونا بما يشفي القليل عن هذا القليل ليم ارشادكم كافة الموحدين الخفيفين ودمتم كعبة للقصادء مأجورين من رب العباد :

(ج) الذبح على القبور بدعة اخذها بعض المسلمين عن اهل الكتاب وهؤلاء اخذوها عن الوثنيين اذ كانت الذبايح لاوثانهم واصنامهم من اركان دينهم واعظم عباداتهم نعم كانت القرابين عبادة في شريعة موسى عليه السلام وما هي الا للتقرب الى الله وحده لا الى شيء والا الى شخص عظيم كما هي عند الوثنيين في الأصل وقد اجمع المسلمون على انه لا يجوز الذبح لغير الله تعالى تقرباً اليه او تعظيماً له اورجا فيه لان هذا من الوثنية وقد صرح الفقهاء بأن من فعل ذلك على سبيل العبادة يكون مرتدأ عن الاسلام

والعبادة هي الخضوع والتنظيم لمن تمتد فيه السلطة الضيعة التي وراء الأسباب فإن وجد هذا المعنى كان الذبح للولي أو عنده كفراً وإن لم يوجد كان مهيبة لأنه يدخل في قوله تعالى «أو فسقا أهل لغير الله به» ويستحق صاحبه الأمن من رسول الله في حديث علي كرم الله وجهه عند أحمد ومسلم والنسائي «لعن الله من ذبح لغير الله» وقال في الإقناع وشرحه ما نصه

«ويكره الذبح عند القبر والأكل منه» خبر الس: لا عقر في الإسلام: رواه أحمد بإسناد صحيح قال في الفروع رواه أحمد وأبو داود وقال عبد الرزاق وكانوا (أي في الجاهلية) يعقرون عند القبر بقرة أو شاة. وقال أحمد في رواية المروزي كانوا إذا مات الميت نحروا جزورا فنهى عليه الصلاة والسلام عن ذلك وفصره غير واحد بغير هذا «قال الشيخ» يحرم الذبح «والتضحية» عند القبر «ولو نذر ذلك ناذر لم يكن له أن يوفي به» كما يأتي في نذر المكروه والمحرم «فلو شرطه واقف لكان شرطا فاسدا» اه نقول وأنت ترى من الأدلة أن القول بالتحريم هو الراجح وإن أريد بالكراهة ما كان للتحريم «ومما ورد في النذر حديث عائشة عن أحمد والبخاري وأصحاب السنن أن النبي (ص) قال «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه» وحديث ثابت بن الضحاك عند أبي داود والطبراني «وقد صحح الحافظ ابن حجر إسناده» قال إن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتني نذرت أن أنحر إبلا بيوتة لأبضم الموعدة موضع فقال «كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا لا قال «فهل كان فيها عبد من أعبادهم؟ قالوا لا قال «أوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر في مهيبة الله ولا فيما لا يملك ابن آدم» وقد يتوهم بعض الجاهلين من العامة أن النهي عن الذبح لتعظيم معاهد الجاهلية لا يقتضي تحريم الذبح لتعظيم أولياء المسلمين «ونقول (أولا) أن الفقهاء اجمعوا على أنه لا يجوز الذبح لغير الله كالأنبياء والحكمة و(ثانياً) أن حكمة ذلك تطهير القلوب من التوجه إلى غير الله تعالى في مثل هذا العمل الذي يراد به الخير والبر لأن ذلك من الأشراك ولا يقبل الله تعالى من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه ومما ورد في ذلك بخصوص النذر حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا نذر إلا فيما ابتغي به وجه الله تعالى» رواه أحمد وأبو داود والبيهقي وأورده الحافظ في التلخيص

وسكت عنه وفي معناه روايات أخرى و(ثالثاً) ان كثير من أئمة السلف والفقهاء صرحوا بأن ما يذبحه النصراني للكنيسة أو مكان أو رجل معظم عندهم محل لنا ولكن لم يقله أحد بأن ما يذبحه المسلم لمعظم عنده يؤكل بل اجمعوا على تحريمه وإثم فاعله وان قام في نفسه معنى العبادة كطلب مالا يطلب الا من الله تعالى كان مرتداً كما تقدم وأما ما يسمونه التوسل فقد بسطنا القول فيه مرات كثيرة في كل مجلد من مجلدات المنار فليراجع ذلك السائل في مواضعه من المجلد السابع وغيره مسترشداً في القهرس بكلمة التوسل من حرف التاء وبكلمة قبور من حرف القاف ويجدد في العدد السابق كلاماً عن اعتقاد أهل فاس بمولاي إدريس وغرورهم في ذلك ولكن هذه الاعتقادات المبنيّة على وعت البدع والتقاليد لا تثبت أمام سيول الحقائق فهذا سلطان مراکش قد اضطرب وخاف سقوط مذكفلم يكتف بالهجا إلى إدريس بل أشرك معه ملكاً نصرانياً يتز به ويستعين به على فرنسا وهو طاهل ألمانيا وقد أرسل اليه عند زيارته طنجة هدية تساوي مئتي ألف جنيه ولو كان موقفاً بحماية قبر إدريس للمملكة لكان غنياً عن ذلك، ولما ذالم يحرم إدريس البلاد من الفتن التي انهمكتها وكانت حجة فرنسا في التصدي لها؟؟؟

سبحر قصة المولد للشيخ ابراهيم الرياحي التونسي

(ص ١١) أحد القراء (بتونس) : اشتبه على بعض الناس طعنكم في بعض أعداد المنار بروايات قصص المولد النبوي وقد وجهت لكم في البريد نسخة من مولد الشيخ ابراهيم الرياحي التونسي المتوفى سنة ١٢٦٦ وهي الرواية المعتمدة رسمياً في تونس فهل لكم أن تنظروا فيها وتنبهوا على ما فيها من الغلط

(ج) ان هذه القصة كغيرها من حيث وجود الموضوعات والواحيات فيها ولكنها في اختصارها وعزوها بعض الروايات فيها أمثل من غيرها واملنا نذكر تخريج هذه الروايات في جزء آخر وهذا قوله في أول القصة (ص ٤) «ان أول ما خلق الله، نور هذا النبي الاواء» لم تصح به رواية وأقوى الروايات وأكثرها في بدء الخلق ان أول شيء خلقه الله القلم وكذلك ما ذكره في خلق آدم غير صحيح ومثله ما في (ص ٥) من نطق الدواب وبشارة أهل البحار وانقلاب الأصنام وما ذكر عن آمنة وغير ذلك وكان يجب الاستغناء عن هذه الروايات بالثاقب والآثار التي هي أوضح من النهار

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ

هداية استاذ الاسلام

(نقلها عبد الرحمن أفندي شهنشدر من مجلة الملل الصادرة في مارس (آذار)

سنة ١٩٠٥ إلى العربية)

لدينا الآن رسالتان بقلم الأستاذ نشكنتايا دهايا الرئيس الماضي لكلية حيدرآباد
(وأستاذ التاريخ في كلية مهرانجاني ميسوري)

والأولى منهما موضوعها « لماذا اتخلى الاسلام » والثانية « محمد نبي الاسلام »
وقد أصبح اسم المؤلف بعد إسلامه محمد عزيز الدين وهو من العلماء الأفاضل
الذين ساحوا في البلاد زمناً طويلاً ودرسوا الأديان المختلفة وفي الرسالة الأولى ذكر
أسباب هدايته واتخاذ الإسلام ديناً لا يبارى في الصحة والسلامة .

كان المؤلف في أول أمره كثير الإعجاب بمذهب العقليين لكنه لم يلبث أن تحول
لأن هذا المذهب لم يرو له غليلاً فأخذ في درس الدين البوذي وأعجب بظواهر وفعته
الاخلاقية لكنه وجدته أخيراً على عكس طبيعة البشر فله وكان ذلك اثناء وجوده
في البلاد الألمانية حيث أتى خطابين موضوعهما البوذية بلغة تلك البلاد . ومن ثم
ذهب إلى باريس وبطرسبرج وبعد ما تعلم الفرنسية أعجب (برنان) وكان من تأثير ذلك
انه أخذ في درس لغات الساميين وأديانهم وكرس قسماً عظيماً من حياته لدرس المقابلة
بين الأديان العظيمة يعني اليهودية والزرذشتية والبرهمنية من الجهة الواحدة والبوذية
والنصرانية والاسلام من الجهة الأخرى . ووقف في سبيله إلى التصبر مسألة الفداء
ومسألة الهلاك الأبدي وما يضاف إليهما في الكاثوليكية من اعتقاد العصمة البابوية
والتحول في العشاء الرباني ثم رجع إلى البلاد الهندية على هذه الحال من تبلبل الفكر
وهناك فرغ نفسه مدة لدرس الرياضة (التصوف) لكنه عاد منها أيضاً غير مقتنع
ولم يعط البوذية والاسلام حقهما من الدرس حتى ذلك الحين فدرس الأولى منهما
ثم جاء إلى الاسلام الذي استماله أخيراً وأثر في نفسه أثراً باقياً وكان قد شمر بصحته
منذ مدة طويلة لكن الظروف الخارجية منعت من التصريح بذلك حتى الثامن والعشرين من

شهر آب (أغسطس) حين صرح في محفل بدخونه في الاسلام برسالة « لماذا آتحت الاسلام »
 وفي رضاء بالاسلام على ثلاثة أسباب رئيسة (١) صحة أخبار الاسلام وانه
 الدين التاريخي الوحيد (٢) موافقته للعقل (٣) أنه عملي (لا خيالي) . ويقول في
 رسالته « ان ميدانه التاريخي قد أثره حق في أعداء محمد واتباعه واستشهد بكلام
 للاستاذ (سورث سمث) ذكر في خطبه وهو « إنا في الحقيقة نعرف بعض تنب من
 تاريخ المسيح ولكن اني لنا من يكشف الحجاب عن السنين الثلاثين التي أعدت الطريق
 الى الثلاث وفي الاسلام كل شيء على خلاف ذلك . هنا يقوم التاريخ بدلاً من
 الغناء المظلم وهنا لا تفصل المرء نفسه او غيره من الناس لان نور النهار
 يسطع على كل ما يمكن أن يصل اليه »

والنقطة الثانية في بحثه جري الاسلام على قواعد العقل وقد ذكر القاعدتين
 الاساسيتين في الدين - توحيد الله ورسالة النبي محمد - وقال: يجب على كل صحيح عاقل
 أن يقاد لهذه الحقيقة البسيطة الجلية وهي توحيد الله الخالص (لا كتوحيد اليهود
 الذين جعلوه الهاً خاصاً بهم) ولا يوجد في الاسلام تعاليم مثل « ثلاثة في واحد » أو
 ثلاثين مليوناً من الآلهة

ولا يرد قاعدة الرسالة النبوية باحث لانه « متى نسبت الحقائق الاساسية التي
 تبني عليها الحياة الاخلاقية الدينية أو أهومت ومتى أصبح الانسان مفرطاً في حب
 دنياه طامعاً سيء الاخلاق مادياً بخنا يظهر في تاريخ الامم أناس أخلاقيون احبهم
 الروح الخالصة في مولدهم ونشأتهم حتى يصبحوا أنبياء ورسالة الله ووظيفتهم تذكر
 الناس ما كانوا لسوء وإحياء ما كانوا فقدوه » . ويضاف الى ذلك كله ان الاسلام
 على طبق حياة الانسان العملية . وربما توهم الناس في بعض الأحيان أن تعاليم بوذا
 والمسيح على أحسن الكمال لكن هذا خطأ وهذه التعاليم أشبه بالكالات الباردة
 الواردة في القصص والروايات وربما كان فيها (جمال شعري) الا انه لا يمد طريقة لحكم
 الانسان المدني الصناعي على صحة التعاليم والمبادئ : فمن الواجب علينا ان ننظر الى
 حاجات البشر أولاً ثم نحكم على كمال التعاليم بالنسبة لفائدتها . وعلى هذا المبدأ تماماً
 (بني النظر الى حاجات البشر) أباح الاسلام تعدد الزوجات . وسنن الزواج في

هذا الدين أقرب للعمل وأشد موافقة لحاجات الجمعية البشرية وأجلب لترقيتها من
الجهة الاخلاقية الروحية (يمرض بانتشار الفحش في البلاد الغربية الى حد لا يوصف)
ولبادئ الاسلام الاخر هذا الحظ من الرفعة والمكانة *

وذكر في رسالته التالية «محمد نبي الاسلام» مختصرات من حياة النبي (ص) ونبدأ
من التحويل المدهش الذي أجراه في العالم وفي الحتام يجيب الكاتب عن اعتراضات
المتقدين المتعصبين * (قالت المجلة) ونحن نلفت أنظار المسلمين الى هاتين الرسالتين
وكذلك كل طلاب الحقائق وتطلبان من محن لوزاك وشركاه في لندن أو من شوز
رثغات في حيدرآباد الدكن

الدولة الطلية في نجد وخوف الفتنة

جاءنا من بلاد العرب رسالة كتبها رجل كبير من أهل نجد في غرة صفر يخبرنا
فيها بمعنى ما وصل إلينا قبل من طرق ضعيفة ويزيدنا خبراً ورأياً قال حفظه الله ما
ملخصه : أرسلت الدولة الى الشيخ عبد الرحمن الفيصل بأن يواجه والي البصرة
مع (الشيخ مبارك) فتوجه الشيخ عبد الرحمن من نجد الى اطراف الزبير وطلع
الشيخ مبارك والتقوا مع والي على مسافة ساعتين من بلد سيدنا الزبير وقدم الشيخ
عبد الرحمن الطاعة لمولانا امير المؤمنين وكذب جميع ما نسب اليه وانه خاضع لأوامر
مولانا امير المؤمنين الا ان ابن رشيد ليس له يد على أهل نجد وبعد ذلك توجه والي
الى البصرة وبلغ الاستانة ما كان ولية ٩ ذي الحجة وصل تلمذراف من امير المؤمنين
بتولية الشيخ عبد الرحمن على نجد ورفع يد ابن رشيد وبأن يكون في القسم عسكر
«رسم طاعة» وامرهم راجع الى الشيخ عبد الرحمن وابنه عبد العزيز آل سعود
وبلغ والي عبد الرحمن وبعد ذلك مشى العسكر الذي كان بأطراف النجف الى نجد
وهو ستة توايزه وفي نجد عند ابن رشيد ثلاثة توايزه وبهذا السبب صار عند أهل
نجد شك في مشي العسكر زيادة على ما في نجد «والجميع حذر نظار بن رشيد» والمشير
بنفسه طلع ومعه ابن هذال شيخ عنزه وشوشوا أهل نجد واستعدوا للفتنة ان كان
العسكر جاء محارباً وان كان مصلحاً فلا حاجة الى هذه الكثرة * والظاهر ان
الفتنة لا تسكن على هذه الحال * وعبد الرحمن ما توجه الى نجد بل تربص بالسكوت

ينتظر نتيجة وصول العسكر الى اهل القصيم وابنه عبدالعزيز الظاهر انه جهز غزوانه (أي غزاته) ونحر القصيم (قصده) واهل القصيم مستعدون . نسأل الله ان يطفىء الفتن ويصلح احوال المسلمين وحسبنا الله على من ايقظ الفتن بينهم والا فأي نبي للدولة من المصالح في نجد ولكن يفرهم المفسدون بالدسائس الفاسدة حتى يلجئوا اهل نجد اليها اذا لم يكن لها علاج ونتظر الحوادث ونرجو الله يصلح الاحوال ويصير الدولة بما فيه صلاح المسلمين .

(الشارح) لم يذكر الكاتب ماذا كان بين الوالي والشيخ مبارك صاحب الكويت وقد بلغنا من مصدر آخر دون هذا المصدر ان الشيخ قال للوالي انه خاضع للدولة ونادم على تورطه مع الانكليز . ولكن الدولة قد أعوزتها السياسة الحكيمة في هذا الزمان ولذلك غلبتها سياسة الاجاب في البلاد التي لا يوجد فيها احد يميل اليهم اويضا بدينهم كالذين وحضر موت والكويت . واتنا كما بدأنا التصيحة لها نسيدها ونؤكددها بأن تخامي منار سوء ظن اهل نجد بها وان لا تحدث نفسها بمعاملتهم بالقوة وتحكم رجالاتها وقوانينها فيهم وان لا تخادعهم كما يخادع الاعداء بل يجب ان تقبل الطاعة من آل سعود وتستقد صدقهم وتمضي الامر بولاية الشيخ عبد الرحمن على نجد ظاهرا وباطنا وتتفق معه على عدد العسكر الذي يجب ان تجمله في القصيم والا كان صليها هو المنذر بالخطر الذي تريد تلافيه به . وقد جاء امر في بركات روتر ان الباب العالي سأل ناظر خارجية انكلترا عن البوارج الانكليزية الراسية في ميناء الكويت فاجاب بأنه لم يأت به نأ عنها وانه لا يقبل البحث معه فيها على ان البوارج انزلت العسكر فاحتلت الكويت . وتصح للشيخ عبد الرحمن ان لا يني على سوء الظن وان يخبر الدولة في مسألة كثرة العسكر ويقنعها بعدم الحاجة اليه ويتوقى الفتنة لئلا يؤل الامر الى ما يندم هو والدولة عليه وتلحق بنجد فير ها ولا ت حين مندم

المسلمون في روسيا

تأثر الشعب الروسي القمع الارثوذكسي العريق على حكومة القيصر الذي يسمى في التقاليد الروسية الاب الصغير أي الرب صاحب السلطة الدينية الآلهية وثارت أيضا سائر الشعوب كالارمن واليهود والفيلنديين وأما المسلمون فكانوا أشد العناصر الروسية مسالمة للحكومة ولكنهم طالبوا بحقوقهم ومنحتهم الحكومة ما اختلفت فيه الروايات ففي جرائد أوروبا بان منفي القزان الذي يدعى شيخ الاسلام (وهو محمد يار سلطانوف) دعي من أورنبورج الى

بطرسبرج وأمرته نظارة الداخلية بأن يرفع اليها تقريراً يبين فيه مطالب المسلمين فطلب ما يأتي ملخصاً بناء على منشور القيصر الصادر في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤ التاطق بأنه عزم على منح الرعايا غير الارثوذكس جميع الحقوق التي يتمتع بها الروسيون وهو

(١) أن يعطى المسلمون الذين يتأهلون للشهادات من المدارس الروسية حق التدريس بالمدارس غير الاسلامية كمدارس الحكومة (٢) أن يعطى من يتم منهم الدراسة في المدارس الثانية حق التعلم في المدارس الروسية العالية (٣) تعيين أئمة لتواير العسكريين المسلمين لاجل أن يؤدوا الفرائض الدينية في موتاهم وأحيائهم وقال ان القرعة العسكرية تناول في السنة نحو ٤٠ ألفاً من المسلمين وان القيصر كان أمر بتعيين أئمة لهم ولم ينفذ ذلك !! (٤) إلغاء مانوجيه المادتان ١٥٤ و ١٥٧ من القانون المدني (المجلد الثاني) من عدم السماح للمسلمين بإنشاء مسجد الا بإذن الاسقف الارثوذكسي في الجهة التي يراد إنشاؤه بها (٥) منع اضطهاد الولاة والحكام لرجال الدين كهنل والي اوفلا لامامي مسجدين من مساجد المدينة في حادثة ١٦ أغسطس سنة ١٩٠٤ بدون ذنب ولا محاكمة بل اقتتلتا عليهما بأنهما ليسا اهل لوظيفة ما على انه اعادها بعد ثلاثة اشهر !! (٦) اعادة ادارة المدارس والمكاتب (السكرتاريات) الاسلامية الى رجال الدين المسلمين وكذلك مايجأ الصبيان والبنات في اوفلا وقال ان هذا ما كان متبعاً الى سنة ١٨٧٠ وبمدها اخذت نظارة المعارف على نفسها حق مراقبة التعليم فتأخر التعليم الاسلامي وقل التبرع له بقله الثقة به (٧) جعل الاظامات والقوانين للوضوعة للمسلمين متعددة موافقة للزمان وقال ان النظام لمسلمي أورنبورغ باق على ما وضع عليه في اوائل القرن الماضي مع ان الحكومة سنت أخيراً لمساحي القوقاس قانوناً مثل منه (٨) اعضاء رجال الدين من الخدمة العسكرية ماداموا يؤدون وظائفهم وفقاً للمادة ١٢٣١ من القانون العسكري الذي وضع سنة ١٨٥٧ التي استبدلت في القانون الجديد بمادة خصت فائدتها برجال الدين المسيحي ومعلمي المدارس منهم وان كان لفظها طاماً ذلك أن هذا القانون يطلب الصبان للقرعة في الحادية والعشرين والقانون المدني لا يسمح تعيين امام لمسجد الا اذا كان بالغاً الخامسة والعشرين ونتيجة ذلك الايعين الامام الابد الخدمة العسكرية وقال ان كثيرين من طلاب العلم يساقون الى العسكرية قسرا وانه كتب الى الحكومة في ذلك مراوا فلم تسمع له هذا ما نقله بريد أوربا ولم يذكر ماذا أجيب منه ولكن كتب اليه أحد مسلمي روسيا ما يأتي وقد حذفنا منه رسم الخطاب والمقدمة قال:

ان المسلمين الروسين قد أرسلوا وفودا من الولايات المختلفة الى عاصمة الروسية « بترسبورغ » كما ان شيخ الاسلام القزائي « محمديار سلطانوف » قد ذهب نفسه الى بترسبورغ وطلب من حكومتهم اعادة حقوقهم الدينية التي قد وهبت لهم أولا . ثم كادت ان تسلب سلبا كلياً بل سلبت حقيقة فباقي للمشيخة الاسلامية الا اسم يذكر في الاسن وهيكل مخيل في الهواء .

والآن قد شاع الخبر وداع بأن الحكومة قد سمحت لهم ببعض ما طلبوه من حقوقهم المسلموبة . وهي هذه : (١) ان النكاح والطلاق وتقسيم التركات ونصب الامام وعزله يكون تحت ادارة المشيخة الاسلامية كما كان (٢) رخص للذين أكرهوا من المسلمين على التنصر منذ سنة ١٨٤٢ فتنصروا بعد ما أحرق اكثر اخوانهم بالثار ان يرجعوا الى دينهم الاسلام (واذا فصلت أحوالهم يرتش كل مسلم بوجوده وتكاد ان تخرج روحه) و (٣) رخص للوثنيين مثل « آره » و « جرمش » ان يسلموا او يقبلوا أي دين شاؤا ومعلوم ان أكثرهم كانوا يتدينون بدين الاسلام وكثرا ما استرحوا من الحكومة ان تسمح لهم بأن يلحقوا بالمشيخة الاسلامية ولكن منهموا وبقيت الكنائس في قراهم والزمهم القسيسون بتعلم دين النصرانية الزاما وأكرهوهم عليه اكراها (٤) ان طائفة القزاق ستلحق بادرارة المشيخة القزائية كما كانوا أولا ثم قد فصلوا بدساتس القسوس وسبهم حتى أن الحكومة سمتهم أهل الظن ونزعت عنهم ثياب الاسلام (٥) ان إلزام الأتمة والمدرسين بتعلم اللغة الروسية قد رفع (ومع ذلك ترى المسلمين يتعلمون اللغة الروسية ويجعلون قانون المعارف الزمانية منطبقا على پروغرام أوربة والروسية) (٦) ان المشيخة الاسلامية ستدعو العلماء الاجلاء والمدرسين النباه لينظموا قانون (بروغرام) المكاتب والمدارس الدينية الاسلامية وسيرسلون وفدا الى بترسبورغ هاهنا هذا ما كتبه لنا (ض . ك) وأتبعه باقتراح له ضاق عنه هذا الجزء . والناظر فيما طلبه شيخ الاسلام يرى أنه لو لم يكن مطلعا على قوانين الدولة وواقفا على أعمالها لما عرف ماذا يطلب ولكن من يطلب شيخ الازهر او طائفة من علمائه هنا بمطالعة القوانين التي يعدمون او يحكمون بها ويحكم بها اخوانهم المسلمون في بلاد أخرى بعد عند الازهريين وعند الذين يجاهدون لا بقائهم في سياهم عدوا الاسلام والمسلمين ، قليلا مل ويصير المعتبرون

﴿ ألمانيا في مستعمراتها الافريقية ﴾

نشرنا في العدد العشرين من المجلد السابع من هذه المجلة (الشار) انه كتب الينا بعض من حضر المعرض الذي أقامته الحكومة الألمانية في دار السلام قاعدة مستعمراتها في شرقي افريقية ان الحكومة تمنع العرب من ركوب العربات وأنها هدمت المسجد الجامع وأعطت المسلمين جزاء حقيرا عنه ثم منعت الخ وكان ماساءنا من ذلك هو السبب في قولنا ان ألمانيا ليست امثلة من فرنسا في مستعمراتها وقد اطلعت الوكالة السياسية لدولة ألمانيا في مصر على ما كتبناه فاهتمت به وكتبت الى حكومة دولتها في دار السلام تسألها عن صحة ذلك فجاءها الجواب بأن مسألة منع العرب من ركوب العربات لا اصل لها وأما هدم المسجد فانما كان بطلب المسلمين أنفسهم لبعده عن يوتهم وقد أبدلتهم الحكومة مكانا آخر قريبا وزادتهم على ذلك مالا وافراء وقد أبلغتنا الوكالة الألمانية ذلك ف نحن ننشره شاكرين لها اعتنائها بالبحث وراء الحقيقة كما اننا نؤمل ان نسمع دأما ما يسرنا عن حكومتها في مستعمراتها فاستمرت البلاد بمثل العدل والانصاف

(نائبة الازهر والاستاذ الامام)

لقد كبر على نائبة الازهر ترك الاستاذ الامام له وذكرنا الجرائد اليومية أن نحو ٥٠٠ أو ٦٠٠ منهم كتبوا اليه عريضة يستطفونه بها يعود الى التدريس فيه . ونقول ان منهم من كتب يسترمد في أمره وقد اطلنا على صورة كتاب لبعضهم فرأينا أن ننشره على انتقادنا قوله كلهم شره ليري القراء حسن عبارة وافكار تلامذته الذين يشكون الجبل قال بعد رسم الخطاب: انني نظرت في أمري بعد أن قضيت ما قضيت في الجامع الازهر وأضمت ما أضمت من محقق وشبابي في طلب العلم فلم أجد ثمنا لما بذلت الاجشدا من الصور والخيالات لا يضيء البصيرة ولا يبعث الغزيرة ولا يهدد السعادة في الحياة الدنيا ولا في الآخرة

ليت الحوادث باعني الذي أخذت مني بعلمي الذي أعطت وتجريبي طلبت السبيل الى الكمال والعلم النافع فما وجدت الدليل ولا اهتديت الى السبيل وكيف اطلب الخير من بين معشر أعينك يا مولاي كلهم شر وقد هدتني اليك سخامة اللطاف وفاتحة اللطاف فجتك أسألك أن تعلمني بما علمك الله وأن لا تكفي الى رأيي وها أنا ذا أبسط يد الرجاء إليك ولم أبسط لغيرك يدا و ارفع اليك أمني في الحياة وقد وضعت أمني يا بك ومثلك من لا يحجب بيا به الأمل



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتعبدون أحسنه
أولئك الذين هدانا لهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و« منارا » كنار الطريق)

(مصر — الأحد ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٢٣ — ٢١ مايو (أيار) سنة ١٩٠٥)

باب المقالات

الحياة الزوجية

٤

اختيار المرأة للرجل

ان الشروط التي تعتبر ضرورية في اختيار المرأة زوجاً يجب أن تعتبر ضرورية أيضاً في اختيار الرجل زوجاً وهي صحة الجسم وصحة النفس أعني حسن الخلق والاستقامة وصحة العقل وهذه لازمة لما قبلها . ويزاد عليها القدرة على النفقة اللائقة كما يقول الفقهاء أو القدرة على الاستقلال بإنشاء عشيرة أو أسرة كما يقول الحكماء وهو ما يريده العوام بقولهم : فلان قادر على فتح بيت : والقدرة على النفقة اللائقة بحال المرأة تختلف بحسب طبقتها فزيد يستطيع كفاية من نشأت في بيت الذمة والترف ، وعمر يستطيع أن يموت من نبت في أرض الفاقة والشظف ، والناس أصناف وطبقات ، والله فضل بعضهم على بعض درجات ، وهذا الشرط هو ركن الكفاية الركن في نظر أكثر النساء ، وعرف أكثر الأولياء ، وإن شئت قلت في عرف جميع الناس لأن وضاء امرأة أو أولياء امرأة بزواج غير قادر على كفايتها مما تعودت من طعام وكسوة وخدمة نادر لا يعتد به ، والمرأة الغنية أحرص من الفقيرة على التزوج بالغني لأنها وأهلها يحتقرون الفقير وما زال الأغنياء يتعابرون بمصاهرة من ينزل عن درجاتهم في الثروة إلا أن يعلوهم بمجد أثيل ، أو جاءه عريض ، فيمت إليهم بشرف صاعد ، أو جد مساعد ، ومن رفقه المال ، لا يلبث أن يمد عنقه إلى الجاه ، ويحاول أن يصيبه بقمي أهل السؤدد (*) وتذري ذوي الجحد المؤئل ، لاسيما من قل من هؤلاء ما لهم ، وساءت في الثروة حالهم ، فلالمال والشرف إذا انفردا كان كل منهما ماضياً للآخر ومن جمع بينهما لا يكاد يرضى بمصاهرة من فاته أحدهما : لا إذا لم يجد له صهر أمثله . وإنك لتجد من العوانس في بيوتات الجحد والغنى ما لا تجد مثله في بيوت المتوسطين ، واكواخ الفقراء والمعوذين ، وذلك خطأ كبير . وعنو عظيم

(*) تنص القوم تزوج في نواصيهم أي اشراقهم ومثله تذراهم أي تزوج في ذروتهم

تعذر المرأة ويمدح وليها وذو قرابتها إذا لم يرضوا بظهره يهجز عن كفايتها لأن المرأة ضعيفة الاستقلال، قليلة الاحتمال، إذا مسها العوز والاقلال، لا تستقر من القلق على حال . ثم انها ولوع بالخلية، نخور بالزينة، هلوع عند الحاجة، ضجور من الشدة، فهي أحوج من الرجل الى الكفاية ، وأشد تطلعا الى السعة والزيادة، وأن قومها ليألمون لاعوازها مالا يألمون لعوز الرجل منهم وهو وارث مجدهم، وحافظ نسبهم، ونصيرهم عند الشدة، وغوثهم عند الحاجة، لما انطوت عليه نفوسهم من الثقة باستقلاله ، وجدارته بإصابة الخرج من اقلاله، وما أودعته قلوبهم من الشهور بركة سائيتها دون التحمل، وضيق مذاهبها عن التدول، وإن حظ الولدان والاقربين وغيرهم من الرحمة والحنان والخوف والاشفاق والحزن والامتعاض والفضاضة والنقرة وغير ذلك من ضروب الشهور والوجدان انما يكون على مقدار الداعية الطبيعية لذلك فيهم . قيل لبعضهم أي ولدك أحب اليك ؟ فقال صغيرهم حتى يكبر ، وغائبهم حتى يحضر وسبقهم حتى يبرأ :

يشبه أن يكون الناس عندنا ماديين فانهم يننون بالبحث عن ثروة من يخطب اليهم طائفتان ان سمادة بنهم وهناء عيشها مقرونان بمال من يتزوج بها وقلمما يحنون عن دينه وأخلاقه وآدابه . ذلك بأنهم يجهلون ان السمادة في النفس لافي اليد او الجيب ويقفون عن حال الجسم الفقير من أصحاب الجيوب الملأى والقلوب المرضى الذين شقيت بهم نساؤهم فهن يمتنين لو كانوا فقراء الجيوب أغنياء القلوب بالعفة والوفاء والحب والاخلاص، اذا لسنن أنهن بالآ وأقر عيتاً وأهنأ عيشاً ، فان الانسان ليطنى ان رآه استغنى، الا من هذب نفسه الايمان والتقوى، وان من طغيان الغنى ، اذا لم يقترن بالادب والتقى، ان يغير صاحبه وزوجه وسكنه ويتغير عليها - يغيرها بانخاذ الاخذان ، واتباع خطوات الشيطان، ويتغير عليها اذا زارت أو زارها الاهل والخيران، فيمذبها بالغيرة عذاب الضعف ، أو يضارها ليضيق عليها من غير ذنب ، وانما هو ملل الذواقين، وتقل المسرفين، ومن وراء ذلك ان ارشاده عسير ، والاتصاف منه عزيز، لاسيما في بلاد فسدت حكوماتها ، وأكل السحت قضاتها ، فأين السمادة والهناء، في مصاهرة أمثال هؤلاء ،

يسهل على الرجل المسلم أن يخبر من ربات الخدور من ترصيه فيصرف عنها من وراء الحجاب كل ما يجب أن يعرفه ويسر على القتيات أن يعرفن ما يجب معرفته لصحة تخير الزوج وإن فارقن الجمال ، وعاشرن الرجال ، لأن المرأة سريرة التصور سريرة التأثر سريرة الحكم سريرة الانخداع فهي لهذا قليلة الروية وكثيرة الخطأ لاسيما إذا كانت عذراء ، خاضعة لسلطان الحياء ، تخضعها النظرة ، وتجاذبها الفرة ، ولذلك حظرت الشريعة الإسلامية على المرأة أن تزوج نفسها وجعلت أمرها في ذلك إلى وليها واليه لا بد من رضاها معاً على أنها منحتها من حقوق التصرف في أموالها ما لم تمنحه لها شريعة سواها بل تجدد معظم البشر من جميع الشعوب والقبائل المختلفة في المال والنحل متفقون على استقباح استقلال المرأة بتزويج نفسها وعلى وجوب تفويض أمرها في ذلك إلى أوليائها وعصبتها ومنهم من لا يتقيد باستئذانها واستئثارها كما أمر الإسلام بل سكثت هذه العادة في المسلمين على ما ورد عن الشارع من الأوامر باستئذان البنت في أمر زواجها واستئذان أمها أيضاً فليس للولي أن يستبد بذلك فيزوجها بمن تكره ولو كان أباً أو جداً

بحسب أكثر الرجال أن للحسن والجمال سلطاناً على قلوب النساء لا يدع فيه لغيره أمراً ولا نهيّاً وأن شغف النساء بالحسن يملو شغف الرجال به فلو اطلقت هن الحرية في تخير الأزواج لما اخترن إلا ذا الوجه الجميل والطرف الكحيل وإن كان خسيس الأبرين صفر اليدين عادم الفضيلتين — فضيلة العلم والأدب — وهذا هو الوجه في الحجر عليهن أن يخبرن لأنفسهن فانهن يتبعن الهوى دون المصلحة فيصبحن على ما فعلن ناديات بعد أن يقاسين من استبداد سلطان الجمال ، مالا طاقة لهن به ولا احتمال ، وهذا الحساب خطأ سببه قياس أحد الصنفين على الآخر ، وهو السبب في تصدي حسان الوجوه من الشبان لتصبي النساء وانغواثن وقد يمد نجاحهم في التصبي دليلاً على صحة القياس وما هو بدليل إلا عند من مجهل التعليل

إن الفتنة بالجمال أولع بالرجال منها بالنساء فيقل في النساء من قننت بجمال الرجل كأمراة عزيز مصر وصواحبها ولا يتناول الإحصاء عدد الرجال الذين فتوا بجمال النساء كفي عذرة وأمثال بني عذرة من جميع القبائل والشعوب وهذا هو السبب

عندي في شكوى الرجال من قلة انوفاء في النساء . انما يفتن المرأة من الرجل تحبها
اليها فهي مجنونة في حب الحب أي حب أن يحبها الرجل كما قالت عليّة بنت المهدي
حكاية عن مخبزة صنفها * تحب فان الحب داعية الحب * فهن يفتن بالرجال على قدر
تصميمهن وتحميهم اليهن اذا هن صدقن وأمنن الخلاية والحيلة ، وما أسرع تصديق
الفتاة الفروحي الصيون ، واتخذاعها بقول الزور ، واستسلامها للود المذوق ، والحب
المصنوع ، بل هي فتنة لا تكاد تسلم منها العوان ، التي مارست الرجال وعرفت الزمان ،
قرأت قصة (رواية) في امرأة كانت تدعى (فاتنة باريس) وكانت تهوي اليها افئدة
الرجال ، وتمطرها سحاب الاموال ، فتفوز لديها آمال وتخب آمال ، حتى اذا ما عرض
لها مرض حال له لونها ، وحال بين طلاب التمتع وبينها ، انقض من حولها الناس
الا رجلا واحداً كان الحب قد أخذ من نفسه ، وران على عقله وحسه ، ثم اختطفه
من طبيعة الرجال ، وطار به في فضاء الخيال ، ولم تلبث المرأة ان أفاقت من غشية
المرض فلم تر من تلك الجموع الا ذلك الرجل فاعتقدت انه محب لها مخلص في حبه
فاصطنعته لنفسها ، وثابت على يديه الى رشدها ، وهجرت الرجال وهاجرت معه من
باريس الى أريافها وهناك تزوجت به ومكنته من جميع ممتلكاته .

هذا الذي ذكرته من افتتان النساء بالتحبيب والتصبي هو الملة الأولى فيما هو
معروف بين الناس من ميل نساء المدن الى المتورنين والمتطربين ، وزهدهن في
أهل العلم والدين ، فهن يعتقدن ان هؤلاء في شغل عنهن ، وان اولئك لم يبالغن في
التطيب والتزين الا لاجلهن ، ثم صار ذلك عادة موروثة فيهن ، وقد فشت هذه المادة السوءى
في بيوت المترفين من أهل مصر وغيرها حتى ان العذاري ليقترحن أن يتبرأ الخاطب لهن زيه
الملمي ان كان طالما وقد يكون هذا التغير وبالاعلمين بعد الزواج لانه يسهل على صاحبه
الدخول في بيوت الفسق التي تحرب بينهما وتوقع بينهما امأهل البادية ومن في حكمهم فان
نساءهم لا يملن الا لمن اشتهر بالشجاعة والشهامة والرجولية والكرم وبهذه الصفات يتقرب
الرجال الى النساء عندهم ولو وجد في المدن شبان يعرفن بهذه الصفات لما فضل النساء عليهن
أحدأ فان من صفات الفطرة ان تحب المرأة من الرجل ما هو من شأن الرجولية والعكس
بالعكس وهذا الذي يحكى عن نساء الامصار من وامهن بالهتئين ومن يقرب منهم هو

من فساد الفطرة ، وقد كان من حسن تربية النساء في بلاد الانكليز انهن قرين من الفطرة السليمة فقد اقترح عليهن في بعض الجرائد ان يذكرن أحب صفات الرجال اليهن فكان الجواب من أكثر من أجبن ناطقاً بحب صفات الرجولية من الشجاعة والاستقلال والسلطة عليهن

يقول اناس : ان الحب بين الزوجين هو الاساس الذي تقوم عليه جميع اركان سعادة الحياة الزوجية فاذا كان قويا راسخاً فلا يضر هذه الحياة ضعف الاركان واذا كان غير قوي فان الاركان لا تثبت ان تسقط فيجب ان يؤخذ للمنداري والاياشي بمعاشرة العزاب على عين اهلهم ومراقبتهم ليتخيرن منهم من يبعهن قلبه ، ويصفين حبه ، وقد سبق القول في بحث تخير الرجل للمرأة بأن هذه المعاشرة ليست سبيلاً موصلة الى الامنية التي يتمنون . واذا كان يصبر على الرجل ان يعرف قلب المرأة بمنزل هذه المعاشرة التي يقصد بها الخطبة افلا يكون وصول المرأة الى قلب الرجل اعسر لاسيما اذا كانت فتاة غرا ؟ ونريد ههنا ان كثرة معاشرة افراد كل من الصنفين الآخر يجب اليهم التقليل في هذه الرياض ويزينه في قلوبهم حتى اذا ما ازدوج اثنان منهم عن حب ثم فتر الحب للمال او للمعاشرة يبدو لاحدهما او كليهما ما لم يكن في الحسبان تحن القلوب الى من كانت عرفت بالمعاشرة وتنجح الى التقل ولا يصبر ذلك على من سبق له التمرن عليه والانس به

الحب هو الركن الاول او الاساس لسعادة الزوجية وهو السكون المذكور في الآية الحكيمة « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها » وهو علة وقد تقدم شرح ذلك فلا نعيده ولكننا نزيد على ما قلنا هناك ان دوام الحب وسكون القلب انما يرجي بين زوجين لم يتعود الرجل منهما معاشرة النساء ولا المرأة معاشرة الرجال اذا كان اختيار كل منهما للآخر على الوجه الذي يناسبه فان علة سكون كل منهما الى الآخر ثابتة في اصل الفطرة وإنما يجب التخير لاحذر من الصفات العارضة التي تشترك الفطرة في الاستحسان والاستهجان ولا شيء اقطع لرابطة الزوجية وأذهب بسعادتهما من ميل احد الزوجين او كل منهما الى غير وجهه ميلاً للمعنى الخاص بالزوجية ان الحب الذي يكون للزوجين رابطة الزوجية نفسها هو الحب الذي يرجي

دوامه اذا روعي في عقد الرابطة صحة الجسم والنفس والتقارب في العادات والتأديب بأدب الدين وأهم هذه الآداب عفة الزوجين ورضى كل منهما بالآخر نصيباً له لا يفضي الى سواء . ذلك بأن النزعة الطبيعية في كل من الصنفين الى الآخر مبهمة مضطربة في أصل الفطرة فاذا تهينت في اثنين فأفضى بهما الى بعض وقد وطنا أنفسهما على إقامة سنة الفطرة والدين باحسان كل منهما للآخر وعدم التطلع الى سواء فهناك السكون التام والحب الخالص . وليس وراء الفطرة والدين مطلع لهناء العيش وسعادة الحياة ولكن هذا الانسان يخرج عن سننهما ليتمتع بالهناء وسعادة الحياة فيضل ويشقى يقول غير المسلم: إن حب الزوجية لا يكاد يتذوق حلاوته الزوجان المسلمان لأن المرأة تكون مهددة دائماً بأحد الأمرين الطلاق أو الضرة ؛ ونحجب عن هذا القول من وجهين أحدهما دفعه بقول مثله في الزوجين النصرانيين ومن في حكمهما وثنائهما البحث فيه وتعرف حقه من باطله . أما الاول فان الزوجين اللذين يرى أحدهما انه ملزم بالاخر إلزاماً إجبارياً جعله كالوفاق في عنقه ، والوفاء على كاهله ، فانه يمله ويستقله فلا تسكن نفسه اليه ، ولا تهر عينه به ، ولا يخلص وده له ، وان كان قد رضي به قبل العقد انخداعاً بما يتخدع به الشباب ، أو ذهاباً وراء الطمع في مال أو جاه ، فالمرأة تلج في الزهو والصلف ، وتبادى في الخيلة والسرف ، والرجل يجرع صرارة الصبر ولا يكاد يسيغه ، وينشد استقلال الرجال فلا يجده ، وربما لجأ الى السلوة باتخاذ الاخدان ، أو الاختلاف الى ذلك المكان . . . ان كان ، وليس هذا القول من تخيل الشعر بل هو الحقيقة حكاية عن شعور أهلها فقد سمعت أحد فضلاء الانكليز وهم أحسن الاوربيين حالاً في الحياة الزوجية يقول ما مثاله : ان تحريم الطلاق ومنعه يشعر الرجل بأنه ملزم بالمرأة مجبوراً على ودها والتعجب اليها لافضل له في ذلك وما اعصى الحب والود على الإلزام كما يقول المثل «حبي غصباً» واذا كان يعلم من نفسه القدرة على فراقها فانه يكون على فطرته وأدبه في معاملتها يشعر بالسرور والارتياح لاختيار المعاملة الحسنة التي هي مناط السعادة الزوجية ؛ فهذا هو شعور المهذبن المتنوعين من الطلاق فما بالك بغير المهذبن اللذين يعجزون عن مكابرة شعورهم ، وتكلف المحاسنة لمن يرتبط بهم ، والمرأة مع الفريقين شعوران مختلفان أحدهما الضعف والعجز وبهما

ترى نفسها أسيرة للرجل وثانيهما أنه لا بد للرجل منها ولا قدرة له على الانفصال عنها والأثر الطبيعي لذين الشعورين هو الكيد من جهة والصلف والعناد من جهة أخرى. ولا يقال إن هذه فلسفة لا يصدقها الواقع فانه إن كذبها في الزوجين المتشاكسين في الطباع المتناسين بالتهذيب فانه يصدقها في الأزواج الذين غلب الخلف فلم يمنعهم المشاكسة والتناسب لاسيما إذا كانت المرأة عاقرة أو ظهرت آيات الخيانة من أحد الزوجين أو كل منهما للآخر. ناهيك بالمرأة العاقرة عند ملك أو أمير قد جعل الحكم إرثا في ذريته أو غني عظيم يمز عليه أن لا يكون له وارث يتمتع بماله

وأما الوجه الثاني وهو البحث في فرق المرأة وحذوها من الطلاق أو الضرة فقد يقال فيه أنه يكون من أسباب تحببها إلى الرجل وغايتها بمرضاته وإن هذا السبب للتألف يقابله في الرجل حذوه من خسارة المال إذا أراد استبدال زوج بزوج لأن الشرع يوجب عليه أن يمنع المتروكة بما تنفق على نفسها مدة العدة التي لا يباح لها الزواج فيها وهذه خسارة فوق خسارة المهر وما عساه يكون مع المرأة من متاع وأثاث وماعون أو يكون لها من مال تسعفه به أو تدخره لولده، ثم إنه لا بد أن يبذل للزوج الجديدة المهر اللائق بها. وهذان السببان في حرص كل من الزوجين على التعلق بالآخر يدعمان سكون النفس الفطري في كل منها إلى الآخر. على أن الطلاق والمضارة بزواج أخرى هو خلاف الأصل الذي عليه الأكثر من المسلمين وأما المسلم أن الأكثرين من المتزوجين في بلادنا لا يخطر في بال الرجل منهم ولا المرأة أمر الطلاق أو المضارة أعني أن الرجل لا يتوهم والمرأة لا تتوقعه منه وأن أكثر الذين يقع منهم الطلاق من غوغاء المسلمين فانما يقع منهم على سبيل المنع من شيء كأن يقول واحد منهم عليه الطلاق إن فعل كذا أو إن فعلت كذا ونحو ذلك. وما كان من ذلك تمليقا حقيقيا على فعل المرأة وهو الأكثر يجعل الطلاق في يدها كما هو في يده فيشتد كان فيه. وقد ذهب الكثير من الأوروبيين إلى صحة الطلاق من كل من الزوجين وهذا شيء منه. ومن أئمة السلف من يقول بعدم وقوع الطلاق بإيمان اللجاج وكل لفظ لا يقصد به حل عقدة الزوجية قصدا صحيحا وعليه بعض علماء الخنابلة ولو حرر المسلمون مسائل الطلاق من غير التزام مذهب بأن يأخذوا من مجموع كلام الأئمة

ما يوافق النصوص المنطبقة على المصلحة العامة لما كان يقع الملاق من المسلمين الا مثل ما يقع من قلد هم فيه من الافرنج . ولعله يكون في بعض البلاد الاسلامية اقل منه في بعض بلاد الافرنج بل هو الان اقل في بعض البلاد .

نعم لا شك ان المسلمين في بلاد مصر قد اسرفوا في الطلاق وفي الزوج بأكثر من واحدة فسأت حالة الحياة الزوجية فهم وفي أمثالهم ممن على شاكلتهم وان قلوا وأنهم في ذلك على غير ما يجب الاسلام ويرضى كما يعلمون في الطلاق وكما بيناني حكم تعدد الزوجات وشرطه في المجلد الماضي ولكن سوء هذه الحال خاص بالمسرفين من أهلها ومن يقربون منهم بما يروعون نساءهم ويوقعون الريب في قلوبهم بكثرة الحديث في الزوج وإظهار الميل الى بعض العذارى أو الايامى بالقول أو الفعل . وقد مرضت الفطرة في هؤلاء واعتل مرشدها وهو الدين حتى كان انحلال الرابطة الزوجية بعض أعراض ذلك المرض الذي فقد علاجه فهم لا يذوقون للحياة الزوجية طعماً ولو لم يروعوا نساءهم بالطلاق والمضارة الا أن يقيموا وجههم للدين خفيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها فإن السعادة الزوجية كغيرها من ضروب السعادة لا تكاد تناول الا بمكارم الاخلاق ومحاسن الآداب التي جاء بها الدين ولذلك قال المصاحح الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه . الخ (رواه الترمذي والبيهقي بن سعد) ومن يطلب السعادة بغير ذلك فهو من الخاسرين

(لا كلام بقية)

فَتَاوِي الْمُبْتَلَيْنِ

فتعنا هذا الباب لا جابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماعاً قد منأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجنبنا غير مشترك لمثل هذا . ولن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكرك به مرة واحدة فان لم تذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

﴿ تزيج الشريفة بغير كفؤ وسبب العلماء واهانة كتب العلم ﴾

(س ١٤ و ١٥) : ض . ع احد المشتركين بالمنازل في (سنن فوره) : قاض زوج

شريفة : علوية صحيحة النسب شهيرة برجل هندي مجهول النسب شهد له انسان

عند القاضي قالا : في بلدنا يقولون سيد : وبعد الفحص عارض ذلك القاضي العلماء العارفون حتى اتضح بطلان العقد وفساده عند الجميع وعند القاضي أيضا فأبى الرجوع الى الحق والاعتراف بفساد العقد وساعده رجل آخر جهلا وهوى وتعتنا حتى ان المساعد لما روجع بما يقوله الشرع والعلماء وأحضرت له الكتب طفق يسب العلماء وقال لمن عارضه اطرح هذه الكتب في استك (قالها بالعبارة العامية المتبدلة) فال مؤمل من فضلكم الجواب مبسوطا على القاضي ومساعده وماذا يترتب على سب العلماء وعلى توله اطرح هذه الكتب في . . . فالمسألة واقعة حال والرجل والمرأة مقترنان حتى الآن سناحا وعندنا بسناقوره اختلفت الاجوبة فمن قائل بكفر المساعد وغيره ولا يرضي الجميع الا بجوابكم فانشروا جواب سؤالنا على صفحات مجلتكم النار لازلم ذخرا للخاص والعام وناصرين لشريعة أفضل الانام عليه الصلاة والسلام (ج) نشرنا في الجزء العاشر من المجلد السابع مقالة في الكفاءة ينافيها أن الكفاءة في النسب من المسائل الاجتهادية وأن العبرة فيها بالتعير وعدمه ولذلك صرح بعض الفقهاء بأن الشريف غير المشهور بالشرف ليس كفوًا للشهيرة بالشرف والظاهر من السؤال ان الواقعة لو ثبت فيها شرف الهندي لكنت من هذا القبيل ولا حاجة لبسط القول في هذا المقام بعد العلم بان العلماء العارفين حاجوا القاضي حتى حجوه واقنع ببطلان العقد ولكنه لم يرجع اليه . ثم انكم لم تذكروا في السؤال هل كان لهذه الشريفة ولي ام لا فان لم يكن لها ولي وكانت هي راضية بهذا الزوج فالعقد صحيح لانها اسقطت حق الكفاءة وليس لها أولياء يلحقهم النكاح بزواجها من غير الكفو فيعارضوا فيه . وان كان لها ولي فكيف زوجها القاضي بدون اذن وليها وهل عارض الولي أم لا ؟ كان ينبغي بيان ذلك

واما سب ذلك الجاهل للعلماء واهائمه للكتب الدينية فهو من اكبر المعاصي لانه يسقط احترام العلم والدين وأهلها من نفوس الجاهلين ويجري السفهاء على الفضلاء حتى تكون الامة فوضى ليس فيها كبير يحترم لفضله ، ولا صغير يؤمن بمجهله ، ولا يتجه كون ذلك من الكفر الا اذا احتفت به القرآن والدلائل على أنه قال ما قال في كتب الدين وحملتها هزوا بالدين نفسه لان غير معتقد به . وقد أفق بعض فقهاء الحنفية

بردة من يحقر علماء الدين أو كتبه ونصوصه حتى قالوا ان من يعطى الفتوى فيلقبها
في الارض ازدراء واحتقارا يكفر . ولما ذكر ابن حجر من الشافعية قاعدة ان من
الردة كل فعل أجمع المسامون على انه لا يصدر الا من كافر عد من ذلك قوله «أو يلقي
ورقة فيها شيء من قرآن أو علم شرعي أو فيها اسم الله تعالى بل أو اسم نبي أو ملك
في نجاسة قال بعضهم أو قدر طاهر» الخ ثم قال فيما سرده من أعمال الردة أو تشبه
بالعلماء أو الوعاظ أو المعلمين على هيئة مزورية بمحضرة جماعة حتى يضحكوا أو يلعب
استخفافاً أو قال قصصة تريد خير من العلم استخفافاً أيضاً ويشترطون في كون هذه
الأعمال كفراً ان لا تدل قرينة على عذر صاحبها أو تأوله لاخلاف بينهم في هذا .
والتحقيق ان الكفر هو انكار شيء مما علم من الدين بالضرورة وكان مجملاً عليه ومثله
تكذيب شيء من الدين يستند المكذب له أنه مما جاء به الشارع أو اعتقاد قبحه
وبطلانه لان كل ذلك تخطئة للرسول فيما جاء به عن الله تعالى . وما ذكره الفقهاء
من المكفرات غير ذلك فهو في رأيهم يرجع اليه لانه دليل عليه أو لازم له أو ملزوم
ولذلك رد بعضهم منه ما قاله بعض لاسيما ما كان كفراً بالضرورة وقد قالوا «إن لازم
المذهب ليس بمذهب» وانفقوا على ان التأول يمنع التكفير فاذا أتى إنسان بشيء عدوه
كفراً وردة فذكر ان له تأويل لا يتفق مع اعتقاده بأن جميع ما جاء به النبي صلى الله
عليه وسلم من أمر الدين حتى امتنع الحكم بردته وقالوا اذا وجد مئة دليل أو قول
على كفر أحد وقام دليل أو قول واحد على عدم كفره يعمل بالواحد لانه يجب درء
الحدود بالشبهات والتباعد عن التكفير ما أمكن . ولكن هذا لا يمنع من تشديد التمهيز
على من كانت الشبهة على كفره أقوى لاسيما اذا كانت أقواله أو أفعاله المشتبه في كونها
كفراً مما يفتن العامة وبضر بالناس والله أعلم

﴿مصرف الهدايا والنذور لأضرحة الأولياء﴾

(س ١٦) السيد عوض جمان سعيدان في (سناقوره) : أرجو من سيادتكم الإفادة
عما يأتي وإني من الله الفضل . سيدي من المشهور ان عند قبور بعض الأولياء
صناديق حديد يضع فيها من يريد قضاء حاجته شيئاً من الدراهم وعندنا كثير من
هذه القبور خصوصاً في جهة (جاوا) وتوجد تلك الصناديق عند نهاية الشهر

ملائة بالدرهم ينفق منها القائمون بحراستها ما يقوم بنفقة المقام والباقي يصرف على وريثة الولي ان كان له قرابة وقد التمس مني أحد الاخوان بالطاح أن أعرض على سيادتكم هذا السؤال راجياً نشره في أحد أعداد المنار والجواب عليه بما يمكن العمل به وهو هل يجوز للورثة أخذ تلك الدراهم مع العلم بأن طالب الحاجة لا يقصد تقديم تلك الدراهم للورثة أو غيرهم بل يقصد بها ان تكون لذلك الولي فقط أفيدونا لازلتم مؤيدين وبمين الضاية ملحوظين :

(ج) الميت لا يملك فيكون ملكه لورثته فإذا كانت الحال كما ذكرتم في السؤال فلا يجوز لقرابة صاحب الضريح أكل ما يلقى في الصندوق من المال لا بعد الاتفاق على القبر ولا قبله . وكذلك لا يجوز الاتفاق منه فيما جرت به العادة من إبقاء المخرج والشموع على قبر الولي والمسجد الذي يبنى عليه لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نهى عن ذلك ولعن فاعله وقد عدد العلماء اللعنة علامة على أن الذنب من الكبائر ومنها حديث ابن عباس قال « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وفي إسناده أبو صالح بازام أو بإذن تكلم فيه . وما قاله ابن عباس تشهد له الأحاديث الصحيحة سواء سمع منه أبو صالح أم لا ففي حديث الصحيحين « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي رواية ابن عبد قاتل وقد فسرت هذه بذلك وفي حديث مسلم أن النبي قال ذلك في مرض موته وزاد « فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » وفي رواية في الصحيحين « أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فأتوا على قبره مسجداً » الخ ومنها حديث جابر عن أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي وحسنه والنسائي قال « نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر وإن يقدم عليه وإن يبنى عليه » وفي رواية أخرى « وأن يكتب عليه » وقد ذكرنا من قبل هذه الأحاديث وغيرها فمن شاء فليراجع أولي راجع ما كتبه ابن حجر في بيان الكبيرة الثالثة وعده و٦ و٧ و٨ والتسمين من الزواجر فانه بحث في كفر الذين يعظمون قبور الصالحين تعظيماً يشبه العبادة كما هو المعروف في زماننا

أما الأموال التي يلقونها الجاهلون في تلك الصناديق توهم أنهم يستميلون بها أصحاب

القبور لتقضى حاجاتهم بواسطتهم فهي لا تخرج عن ملكهم وكان يجب على من حضرهم أن ينههم عن وضعها ويبين لهم حكم الله في ذلك ولكن من يحضرونها هم الذين يأكلونها بالباطل ويشركون فيها من يشركون . وقاعدة الفقهاء في الأموال التي لا يعرف لها مالك أن ترصد لمصالح المسلمين العامة ومن للمسلمين بمن يقوم بمصالحهم العامة وليس لهم حكومة إسلامية تلتزم الشرع وتقيمه في كل أعمالها وأحكامها وليس لهم زعماء وسراة يرجعون إلى رأيهم وأرشادهم فحسبنا الله وإياه نسأل أن يهدي لنا من يقوم بأمر ديننا قبل أن نكون من الهالكين الميؤس منهم

حجج تلقين الميت وابن مجلس الملقن

(ص ١٧) الحاج وان أحمد في (سنغافوره) : ما قول أثمتا الشافعية فيما يأتي : هل يسن للملقن أن يجلس قدام وجه الميت أو فوق رأسه أو وراءه أو يفرق بين كون الميت رجلاً أو امرأة

(ج) هذه المسألة مما يؤخذ فيه بالاتباع ويبعد فيها القياس والاختبار والآثار الواردة فيها ضعيفة ولكن قد استحب أصحاب الشافعي الأخذ بها . والوارد أن يقف الملقن عند الرأس . أخرج الطبراني في الكبير وعبد العزيز الحنبلي في الشافي وابن منده في كتاب الروح وابن عساكر والديلمي عن سعيد بن عبد الله الأزدي عن أبي أمامة قال (وفي رواية شهدت أبا أمامة وهو في النزع فقال يا سعيد) : إذا أتت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصنع بموتانا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره فليقل يا فلان بن فلانة فانه يسمعه ولا يجيب ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثانية فانه يستوي قاعداً ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثالثة فانه يقول : ارشدنا يرحمك الله ولكن لا نشعرون : فليقل إذا ذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنت ربي بالله رباً وبالاسلام ديناً ومحمد نبياً وبالقرآن اماماً : فان منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا ما يقصدنا عند من لقن حجته » وفي لفظ ويكون الله حجيجيه دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم أمه قال « فلينسبه إلى حواء » قال الحافظ ابن

حجج في التلخيص واسناده صالح وقد قواه الضياء في أحكامه . ولكنهم تكلموا في
سعيد راويه وفي اسناده طاصم بن عبيد الله وهو ضعيف وقال الميثمي في اسناده جماعة
لم أعرفهم . وأخرجه ابن منده بلفظ آخر ورووا آثارا بمنزلة لأجل ذكرها هنا
وإنما المقصود بيان أن الرواية صريحة في أن الملقن يقوم عند رأس القبر . وقد ورد في
أحاديث القيام عند القبر للدعاء بالثبوت أنه يستحب أن يقف مستقبلاً وجهه الميت .
ولا وجه تقياس الوقوف للتلقين أو الدعاء على الوقوف للصلاة قبل الدفن إذ فرقا
فيه بين الذكر والاشي لمكان النص ولوجود الفرق والله اعلم

رش القبر بالماء

(س ١٨) ومنه : رش القبر بالماء مستحب هل هو عام لكل وقت أم خاص

بعد الدفن

(ج) ذكروا رش القبر بالماء في أحكام الدفن وعلوه بما علوا به وضع الحباء عليه
وهو أن لا تذهب الرياح بالتراب وهو دليل على أن المراد رشه بعد الدفن وعليه العمل والأصل
فيه ما رواه الشافعي عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رش
على قبر ابنه إبراهيم ماء ووضع عليه حصاه وروى البيهقي أن بلال بن رباح رش قبر
النبي صلى الله عليه وسلم بالماء وفي إسناده الواقدي تكلموا فيه

شعر الرأس - حلقة أو تركه

(س ١٩) ومنه : ببقية الشعر في الرأس سنة ومنكرها مع علمه يجب تأديبه كما

في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية فهل لها كيفية مخصوصة أم لا

(ج) إن إرسال الشعر وحلقه من العادات لا من المبادات إلا ما يكون في
النسك من الحلق أو التقصير نعم أنه لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم حلق في
غير النسك وكذلك الصحابة كانوا يرسلون شعورهم وكان ذلك من عاداتهم ولم يكونوا
يعمدونه ديناً ويمجني قول الغزالي في الأحياء ولا بأس بحلقه لمن أراد التطييف ولا
بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله إلا إذا تركه قزاعاً أي قطعاً وهو دأب أهل الشطارة
أو أرسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعاراً لهم فإنه إذا لم يكن
شرفاً كان ذلك تلبساً أه وهو يريد أن المؤدب بأداب الدين لا ينبغي أن يتشبهه

بالسفيه كاهل الشطارة ولا بمن يلزم من تشبه بهم تبليس على الناس وغش لهم .
وانما صرح العلماء بكرهه خلق الرأس وكونه مخالفاً لسنة لانه كان في الصدر الاول
شمار الحواوج فاذا اخذنا باطلاقهم كان اللوم في ترك هذه السنة موجهاً في هذا العصر
الى علماء الدين فانهم يحلقون بل يشكرون على من لم يحلق وهم مخطئون
نعم ان من ارسل شعره بنية الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في طائفة الشريعة
كان ذلك مزيد كمال في دينه اذا كان مقتدياً بسننه الدينية ومتحرياً للتخلق بأخلاقه
الكريمة وقد ورد في أحاديث الشمايل ان شعره كان إلى أنصاف اذنيه وكان لا يجاوز
شحمة اذنيه غالباً وقد يصل الى منكبيه وقد يدل ثم فرق فأما السدل فهو أن يرسل
الشخص شعره من ورائه وعلى جبينه أي يتركه على طبيعته وأما الفرق فهو أن يجعله
الى جانبه وزعم بعض العلماء ان السدل نسخ بالفرق ولا تقوم له حجة .
وقد جرى أكثر الافرنج وبعض المتفرجين في هذا العصر على سنة ارسال الشعر
وفرقه رأيت اذا فعل ذلك شيخ الأزهر أو بعض شيوخه المشهورين . الا بعد هذا
عند العامة وبعض من يعدونهم من الخاصة خرقاً لسياج الدين ؟ بلى ان حكمكم
العادات نافذة في العلماء والجهلاء وهو كثيراً ما يزيد في الدين ما ليس منه في شيء
وينقص منه ما هو من سننه التي لا خلاف فيها ولا تبعث في طلب المثال فهو بين يديك
وفي استلك وما قبلها . فشايخ الأزهر يقرءون في كتب الحديث نهى الشارع عن
بناء القبور واتخاذ المساجد عليها واتخاذها اعياداً وتعظيمها ثم انهم يشاركون العامة في
هذه الاعياد التي يسمونها موالد على ما فيها من المنكرات التي نهى عنها أئمتهم في الفقه .
ثم انهم يقرءون في شمائل نبيهم انه كان يسدل شعره الشريف ويفرقه وهم يشكرون
على من يفعل ذلك من اهل العلم والدين وقد أمرني بذلك بعضهم وكان شيخاً للأزهر
قائلاً انك من اهل العلم لا يليق بك ان ترسل شمرتك فاحلقه فحججته بالسنة فاجني
بأن ذلك شمار العامة الآن

﴿ صلاة الظهر بعد الجمعة والخلاف في الدين ﴾

(س ٢٠) ومنه : هل يجوز لاحد أن ينهى أهل بلدنا (سنغافورة) وأشباهاها كما
حدث الآن عن إعادة الظهر بعد الجمعة ام لا يجوز لانهم يعتقدون أنها سنة منهم فكيف

يقول العلامة ابن حجر الهيتمي في الجمعة من الإيعاب بعد كلام قرره فيه : وعلى كل فلاحتياط لمن صلى جمعة بلك تمتدت فيه الحاجة ولم يعلم سبق جمعه للكل ان يسيروها ظهرا خروجا من هذا الخلاف : الخ ولانه اي النبي يوقسهم في محظورات منها وقوعهم في امراض اهل العلم الذين اسروهم باعادتها واعادوها بأنفسهم في تلك البلدة وغيبتهم كبيرة بالاجماع ومنها مفسد آخر كالزراع والشقاق المتولد بين اهل تلك البلدة بسبب العاس في علماءهم المتقدمين وغير ذلك فيكون هذا الرجل سببا لذلك نعوذ بالله من غضبه

(ج) تعلمون ان الخلاف واقع بين علماء الشافعية بعضهم مع بعض وبين علماء سائر المذاهب كما وقع بين الأئمة ومن فوق الأئمة من علماء الصحابة رضي الله عن الجميع ولاشك ان كل من ذهب الى شيء فهو بري مخالفه فيه مخطئا ومن كان غير معسوم فهو عرضة للخطأ وقد نقل عن الصحابة والأئمة انهم أخطأوا في مسائل ثم ظهر لهم الصواب فرجموا اليه ومنها ما هو اهم في الدين من اعادة الظهر بعد الجمعة احتياطا او غير احتياط فاذا كان هذا سببا للوقوع في امراضهم فمن يسلم لاء قالوا ان ابن عباس رجع في آخر حياته عن القول بجواز المتعة فهل كان هذا سببا للوقوع في عرضه عن كانوا سمعوا منه الفتوى بالجواز او عملوا بها ؟ هل كان اهل العراق يقومون في عرض الامام الشافعي لانه رجع عن مذهبه القديم بعدما عاد الى مصر . كلا ان هذا من عمل السفهاء وما كان لاهل العلم ان يحفلوا بقبح هؤلاء السفهاء ولا يجد حرجهم فيتركوا ايمان العلم والدين لاجلهم وهذه سنة الله تعالى في اهل البغي والشقاق يظهر تفرقهم وخلافهم بعد ظهور الحق وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بشيا بينهم » (س ٤٢) وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم اليقنة » (٩٨) وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بشيا بينهم فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه » (٢١) فعلى المؤمن بل من خواص المؤمن أن يأخذ بالحق متى ظهر له ويرشده الى متى عرفه لا يخاف فيه لوم لائم ولا خوض آثم واذا كان قد سبق له عمل بخلافه عن خطأ في الاجتهاد فهو مثاب على نيته وان كان قد أسره بذلك عالم فذلك العالم ايضا مثاب ان كان قد تخرى الحق بقدر طاقته وهو يستحق الدعاء واتساء لا السب واللعن

واذا حسب السائل نفسه ورجع الى وجدانه يبين له ان الذي أكبر هذه المسألة

في نفسه وفي نفوس الكثيرين من أهل سنا فوره وجاؤه هو تهودهم صلاة الظهر بعد الجمعة فالامر من قبل حكم سلطان العادة الذي ذكرناه في جواب السؤال السابق والافلو كان المسلمون يهتمون كل هذا الاهتمام بكل مسألة حتى ما قال بعض الفقهاء المتأخرين انها من الاحتياط لكان اهتمامهم بما أجمعت عليه الامة من المحرمات والمكروهات والواجبات والمندوبات أعظم وأشد وأين هم من ذلك ؟ فوالذي أحيا سلفهم باتباع الحق حيث كان هو الاعتصام به بقدر الامكان ، وأما هم بابتداع البدع ، والتفرق في الدين الى شيع ، لو أنهم كانوا يعملون بما أجمعت عليه الامة لكانوا في هذا العالم هم السادة الأئمة ، ولكانت الامم التي أزالت ملكهم وورثت عزهم ، تابعة لهم خاضعة لامرهم ، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ، ووعد الله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية

هذا هو رأينا في الخلاف في هذه المسألة الاحتياطية التي كبرت عند بعض أهل سنا فوره وجاؤه حتى عدها بعض أهل الهوى والجهل منهم فتنة من فتن النار الذي بين حكم الله فيها اذ كتب واحد أو ثمان منهم لامثالهم من أصحاب الجرائد الذين لا يصلون ظهرا ولا عصرًا ولا يفهمون كتاباً ولا سنة يستفتحون بهم على النار ويطلبون منهم الرد عليه أو تحريض العلماء على ذلك والنار يطلب في كل عام غير مرة من كل عالم يرى فيه شيئاً مخالفاً لكتاب السنة ان يكتب به اليه ، وقد زعم الكتابان ان النار هو الذي يفرق بين الناس في الدين وجرأهم على سب الأئمة والسلف والنار هو الداعي لإزالة الخلاف بالاعتصام بالكتاب والسنة والاقداء بالسلف ولا نعرف داعياً الى ذلك بالقول والكتابة والتشريع غيره ففي اي جزء وفي اية محيطة منه تكلم في السلف والأئمة ؟ ان هذا الاختلاق يعرف منه ان المشاعين في مسألة صلاة الظهر بعد الجمعة لا يتبعون الا الهوى فان الكذب والبهتان والفية لاسما لخدمة الدين وأهل البيت النبوي من أكبر المحرمات باجماع المسلمين واما صلاة الظهر بعد الجمعة فهي مسألة خلافية بينا الحق فيها من قبل ، فهل من الاحتياط الذي قاله ابن حجر ان يكذبوا ويتنبأوا ويخوضوا في اعراض العلماء ويلصقوا ذلك بغيرهم قد أطلت القول في هذه المسألة لان الناس قد اهتموا بها عندكم أكثر مما تستحق وهو لاهل مصر أكثرهم شافعية ولم يهتموا بها بعض هذا الاهتمام وهذه سنة الله في الخلق يهتم الناس

على قدر جهلهم بالأمور التي لا يترتب عليها نفع ولا ضرر ويتركون عظام الأمور لا يبالون بها. أو أيت إياها الأخ السائل إيتهم قومك بالإنكار على تارك الصلاة أو مانع الزكاة كما يهتمون بمن يصلي الظهر بعد الجمعة احتياطاً ويتركوها لاعتقاد أنه لم يكلف بها وفقاً لأكثر المسلمين ؟ إذا كان هؤلاء قد تركوا كل ما حرمه وكرهه الدين وقاموا بكل ما قدروا عليه من أحكام الدين فرائضه وسننه وآدابه لأنفسهم ولأنهم فاهم الحق في الاهتمام بهذه المسئلة وأنني اعتقد حينئذ أنهم يكونون سعداء مرضيين عند الله صلوا الظهر بعد الجمعة أم لم يصلوها وإن كانوا قد قصرُوا في شيء من الفرائض والسنن انتفى عليها أو يرتكبون شيئاً من المحرمات التي لا خلاف فيها فزعمهم الاهتمام والعاية بالدين لأجل مسألة خلافية لم يقل بها إلا الأقلون من المسلمين زعم باطل لا سبب له إلا التمسك بالمادة والتعصب على المخالف بنياً واتصافاً للنفس. والخلاصة أن من اعتقد أن شيئاً غير مشروع فضليه أو فله أن يدينه للناس غير مبال بلفظ الاغطين ، واختلاف الجاهلين ، والله ولي المتقين .

امسؤ الكم في سماع الدعوى في بيع الرهن فليس من موضوع المنار البحث في الأحكام القضائية غير الدينية وظاهر أن الدعوى لا تسمع ممن سكت عنها المدة التي حددها الامام أو نائبه

أنا علي بن أبي طالب

التقريظ

الشريعة الإسلامية - والقوانين الوضعية

رسالة لعل بك أبي الفتوح من علماء القوانين الاماميين بها في نيابة محكمة الاستئناف بمصر ابتدأها بقوله : لا يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادئ المقررة في الشريعة الفراء لا توافق هذا الزمان الذي بلغ فيه الانسان من التقدم والترقي درجة رفيعة ويتوهمون أن الأحكام والروابط الموجودة في القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل لها في الأصول الإسلامية وإنما هي بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التي أنتجها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد ولكن الباحث في الفقه الاسلامي ولو قليلاً

لا يلبث أن يغير هذا الظن ويحقق من أن أسلافنا وصلوا في الرقابة وتقرير المبادئ العمرانية والاجتماعية والقضائية شأوا قلما يجاريهم فيه أحد الآن صعوبة كتب التأخرين وكيفية تأليفها وما هي عليه من التعقيد قد أوصدت الباب في وجه من يريد الوقوف على حقيقة الشريعة الفراء غير المنقطعين لدراستها ولذلك فاني أشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد التأليف القربة لأنها أسهل موردا وأعزر مادة مع خلوها من التعقيد وبعدها عن المشاغبات اللفظية وليترك هذه الكتب الحديثة للمنقطعين لفهمها بدون ملل ولا حساب للوقت

ه اذكر هذا على أثر مطالعتي لكتاب الخراج للإمام أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢ هجرية وقد ألف هذا السفر الجليل برسم أمير المؤمنين هارون الرشيد وفيه من النصائح والأحكام ما يجدر بأمرء المسلمين اتباعه والعمل به . عثرت في هذا المؤلف الصغير الحجم على درر كثيرة لا أبخل بنظمها في هذه المقالة حتى يرى المسلمون وخصوصا المشتغلون منهم بالقوانين الأفرنجية ان التقدم لم يترك شيئا للتأخر ولعلهم ينكبون على دراسة الشريعة والآداب الإسلامية لانهما لا ينافيان العصر الحاضر ولا المدنية الحديثة اذا فهمها حق الفهم ودرسوا بعقل وتمعين

ه وما أجدر الحكومات الإسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الأكثر مناسبة للزمان والمكان لتكون هذه القوانين والأحكام أكبر احتراماً في النفوس وأكثر موافقة لأخلاق وعوائد من وضعت لهم ه اه ثم ذكر مسائل من كتاب الخراج وذكر ما ورد بمعناها في القوانين الحديثة واستخرج العبر منها وقال ان أهل القوانين يظنون ان هذه المسائل من أوضاع علماء أوربا المتأخرين فهذه الرسالة مفيدة للمتعلمين في المدارس النظامية بمصر وأوربا الذين لم يلقوا شيئاً من علوم الشريعة فهم يضطوئونها للجهل وهذا الذي ذكره قليل من كثير ، ونقطة من بحر كبير ، ومفيدة لعلماء الأزهر وامثالهم من المعلمين على طريقةهم ان كانوا يقرءون ويستبرون - بما تين لهم من سوء أثر هذه الكتب المتأخرة التي اختاروها للتدريس وأثر طريقة التعليم المتمحجة التي يتعمقون فيها فان ذلك أقوى اسباب بعد المسلمين عن دينهم وشرائعهم

أما تعجب الكاتب من جدارة الحكومات الإسلامية بأخذ قوانينها وأحكامها من الشريعة القراء فيقال فيه انه لو كان في الدنيا حكومات اسلامية لما كان لهم معدل عن الشريعة وهل من معنى لكون الحكومة اسلامية الا كون تشكيلها وأحكامها على حسب الشريعة . وهل توصف بالاسلامية الحكومة الاستبدادية الشخصية التي ينفثها أو يرثها رجل يفعل فيها ما يشاء ويحكم ما يريد لا يتقيد من شريعة الاسلام بشيء الا ما لا يرى بدا منه في اخضاع العامة لسلطته أو ما يراه موافقا لمصلحته ؟ هذه مجلة الاحكام العدلية التي ألفها لجنة من علماء المسلمين هي أحسن من القانون المدني الفرنسي وقدامه السلطان العثماني بالعمل بها عند ما أسس نظام العدلية، وابطل به الامتيازات الاجنبية، فلماذا لم تتبعه الحكومة الحديثة، بل اختارت على احكام الشريعة الاسلامية قانون الحكومة الفرنسية . كلنا يعرف السبب في ذلك وهو طمع اسما عيل باشا بالاستقلال والانفصال عن الدولة بمساعدة أوروبا التي يتزلف اليها باتباع خطوات مدينتها فالنظر ماذا حل به وباستقلاله . والرسالة قد طبعت فتمت القراء على طلبها ومطالعها

﴿ شرح التلخيص وطريق البلاغة وكتبتها ﴾

سأت طرق التعليم في المدارس الاسلامية بسد ضعف العلم بضعف الامة وساء اختيار المعلمين للكتب فهارت العلوم في المسلمين رسوماً منها الدارس ومنها المائل . ثم تلاشى من العلوم ما لا يقوم بالرسم ، لانه أشبه بلروح منه بالجسم . كعلم البلاغة الذي هو ذوق معنوي ، وشعور روحاني ، تطبع بمذكته النفس ، ثم يظهر أثره في الحسن ، وهذه الكتب التي اختارها المتأخرون هي شروح لتون جملة مذكورة لاصول المسائل ومهمات القواعد فكانت مناقشات في ألفاظها، واستنباطات من عباراتها تقطع على من اتبلي بها طريق التحصيل ، وتضلعه عن سواء السبيل ، وأشهر هذه لتون متن التلخيص للشيخ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب بدمشق الذي اختصر به كتاب المفتاح لابي يعقوب يوسف السكاكي . وقد كان البلقاء المتقدمون الذين انتهت اليهم البلاغة والقدرة على البيان يأتون البلاغة من بابها بما يراولون من قراءة الكلام البليغ وفهم معانيه، والتفطن لاساليبه ومناحيه، حتى اذا ما أحسن الامام عبد القاهر بضمف عناية الناس بفهم الكلام البليغ ورأى النفوس منصرفة الى الناية بزخرف

اللفظ وإن مجز عن أداء المعنى المراد وقصر عن التأثير المطلوب فوضع كتابه (أسرار البلاغة) في البيان و (دلائل الإعجاز) في المعاني ليصرف الناس عن الجاهل التي تصفوا فيها ، ويهديهم إلى الطريق التي ضلوا ، ولكن جاء بعده السكاكي فاقبس من كتابه القواعد والأحكام التي وضعها لاقناع الجاهلين ، وتسهيل الفوص على الدرر للفواصين ، فجعل الفن رسماً محدوداً واصطلاحات نظرية حظ الذهن منها بالتصور والتصوير ، أكبر من حظ النفس بالتأثر والتأثير ، ثم اختصر الخطيب بتلخيصه ما كتبه السكاكي فكان كتابه أو غل في الرسم والاصطلاح ، وأبعد عن النفوذ إلى مواقع التأثير والتأثير من الأرواح ، وجاء بعد ذلك سمد الدين النفاذاني الذي صرف كل ذكائه في ممارسة العلوم النظرية من المتعلق والجدل والمناظرة والفلسفة والكلام فشرح (التلخيص) على طريقته في العلوم النظرية ، فخرج بذلك علم البلاغة عن موضوعه بالكلية ، وأبليت كتب السمد بأناس وضعوا عليها حواشي للبحث في ألفاظها وأساليبها دون البحث في أساليب الكلام البليغ المأثور فصارت هذه الكتب عقبات أو عوائق في طريق البلاغة بل صرفت الناس عنها ، وحالت بينهم وبينها

مرت قرون على المسلمين وهم يتسكعون في إيل من الجهل بهم حق إذا ليل عسس ، وكاد الصبح أن يتفس ، هدى الله أناساً إلى أن يقبسوا الألف من مقبسيها ، ويحبوا البلاغة من مفرسيها ، وما عثم أن استبان للازهرين المقصود ، وظهر فيهم الامام المرشد ، ثم طبع الكتابان الجليلان ، (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز) وقرأهما في الأزهر الاستاذ الامام ، فحاول تلامذته الجمع بين العلم والعمل ، وظهر فيهم من فاتوا شيوخهم الآخرين في بلاغة اللسان والقلم ، فكتبوا المقالات والرسائل الادبية ، وتسلقت آمال بعضهم تأليف الكتب العلمية ، وهذا كتاب شرح التلخيص لواحد منهم وهو الشيخ عبد الرحمن البرقوقي

جرى هذا الشارح في شرحه على أن يبين المراد من الجملة ويدعمها بشيء مما ينصر جند المعاني على جند المباحث العقلية التي اعتادها اهل الأزهر مستمداً ذلك من أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز اللذين هما عمدة وعقده وفي هذا من جذب طلاب الأزهر الذين لم يحضروا الكتابين على الاستاذ الامام إلى جانب البلاغة الحقيقية

ما يرجح منه ان يكون الشرح سلماً لهم يرتقون به الى مطالعة الكتابين ، ويبتدرون به الى
خير التجدين ، وهو ما يطبع البلاغة في النفس ، ويظهر أثرها في عالم الحس ، على أنه
يكون عوناً لهم على فهم شرح السعد الذي قضي عليهم بآقيه ، وأداء الامتحان فيه ،
وما ينتقد على الشارح انه يأخذ الكلام من أحد الكتابين (استمرار البلاغة
ودلائل الاعجاز) فيسند الى نفسه وان كان طويلاً لا تصرف له فيه وتارة تصرف فيه
تصرفاً يسيراً لا يكون عذراً له أن يترك عزوه الى أبي عذره كما فعل بالفصل الذي عقده
عبد القاهر في استمرار البلاغة لبيان مواقع التثيل وتأثيره في النفوس فانه أخذ صفحات
من صدر الفصل ووضعها في أول باب التشبيه متصرفاً في جعل من أولها نقلها من صيغة
الماضي الى صيغة المضارع كأن حقي المصنف فيها مضى وانقضى وصارت في مستقبلها
الى مالك آخر قال في ص ٢٢٧

« اعلم ان التشبيه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وأن تعقيب المعاني به لاسيما
قسم التمثيل منه يكسبها (١) أبهة ويكسبها منقبة ويرفع من اقدارها ، ويشب من نازها ،
ويضعف قواها في تحريك النفوس لها ويدعو القلوب اليها ، ويستثير لها من أقاصي
الأفئدة صباية وكنا ، ويقسر الطباع على ان تعطى محبة وشغفا ، فان كان مدحا كان
ابهي وأنخم ، الخ ما لا تصرف فيه وعبارة أسرار البلاغة هكذا (ص ٨٦)

« واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه ان التمثيل اذا جاء في اعقاب المعاني أو برزت هي
باختصار في مرضه ، ونقلت عن صورها الاصلية الى صورته ، كساها أبهة ، وكسبها
منقبة ، ورفع من اقدارها ، وشب من نازها ، وضعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا
القلوب اليها ، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباية وكفاء ، وقسر الطباع على ان تعطى
محبة وشغفا ، فان كان مدحا كان ابهي وأنخم ، الخ وما لا تصرف فيه

وبعد ان نقل بالحرف مواقع التثيل وتأثيره في كل موقع وانشأ ينقل الامثلة
تصرف فيها وفي الكلام عليها بعض التصرف وكان غنياً عن ذلك كله

وقد وضع لشرح مقدمة تكلم فيها عن الفصاحة والبلاغة وعن المؤلفين في فن
البيان وألم بما يشترط له من علم العربية ولكن هذه المقدمة كلها اوجلتها مأخوذة من

(١) يقال كساه الثوب بكسه واوي ويقال كسي زيد كرضي فهو كاس ولم ينقل كسبه

من كلام عبد القاهر وغيره وما كان ينبغي للمؤلف ان يتجاوز في مقدمة كتاب له أخذ الجلة والجللة على سبيل التضمين . وأكثراً ما أخذ قد سلخه بلفظه ومعناه فانك تجد قوله (في ص ٧) « أما النحو فهو ميسر » الى جمل بعده كله من (ص ٢٣ و ٢٤) من دلائل الاعجاز ولا تذكر ما قاله في ص ٨ من التعميل بالآية وكونه من ص ٢٦ من دلائل الاعجاز ايضاً فإنه ليس من روائع الكلام التي تملك لقائلها ولكن قوله في ص ١٣ في عبد القاهر « واهتف عليهم لساناً آخر من الشقاشق » راعى نطق الناطق . وأسأل الوادي عليهم عجزاً ، وأخذ منافذ القول عليهم أخذاً ، مأخوذ من قول عبد القاهر في ص ٧ من المدخل الذي هو مقدمة دلائل الاعجاز فقد وصفه بكلامه فام تكن السركة لأجل أجنبي . وممظم ص ١٤ و ١٥ مأخوذ من ص ٦١ و ٦٢ من دلائل الاعجاز ولكن فيه شبهة عزو لانه يحكي عن رأي عبد القاهر

وقوله في آخر ص ١٥ ونحو ثلثي ص ١٦ مأخوذ من ص ٦٦ من دلائل الاعجاز وقوله عقبها : وزبدة القول : الى نحو ثلث ص ١٧ مأخوذ من ص ٣٤ و ٣٥ من دلائل الاعجاز وما بعدها مأخوذ من ص ٣٧ منه . والكلام على الآية في ص ١٨ مأخوذ من ص ٣٦ من دلائل الاعجاز . والكلام على بيت ابن المعتز في ص ١٩ مأخوذ من ص ٧٤ منه

وقوله في ص ٧ « لكن لأبد لا امرء قبل ذلك ان يختل رس من الامة ويصيب ذروا من النحو » فهو مأخوذ من فاتحة اساس البلاغة لازم مخشري بتصرف ، وقوله في ص ٣ « لا يقوم بفصاحته لسان ولا يطاع فيه إنسان » هو من كلام الشريف الرضي في وصف كلام لأمير المؤمنين لما بويج بالمدينة . ومثله قوله في هذه الصفحة ايضاً « وقع في كسر بيته لا يرى الا نفسه » ولا يسمع الا حسه ، « فهو من فاتحة نهج البلاغة للشريف وقوله فيها قبل المبارتين » كتب في هذا الفن قبل الامام عبد القاهر الخ مأخوذ من مقدمة اسرار البلاغة . وكذلك قوله في ص ٤ « وهو وان فاق عبد القاهر في التقسيم والتبويب الخ ما قاله في السكاكي فهو منها بالمتى لا بالنص

هذا واتنا نرى ان هذا الشرح مفيد لطلاب علم البلاغة لاسيما الازهرين . فانهم لا يجدون ما يفهم عنه . ولا يحسن أحد ان ذلك الاخذ الذي نهىنا عليه يقال

من فائدته أو يدل على ضعف مؤلفه . كلا أن الشيخ عبد الرحمن من أحسن نابتة الأزهر تحصيلاً وفيها وصفاً يدل على ذلك حسن تأليفه لما أخذ به وبط به فيه بعض وحسبه أن يختار الجيد النافع وإنما كان من الكمال في العمل ومن الأمانة في العلم أن يأخذ المعاني ويستقل بالمباراة حتى إذا احتاج أخذ شيء بنصه عزاه إلى صاحبه . ولكن لو كانت المبارزة كلها له لكان الكتاب أقل فائدة إذ لم يصل إلى درجة عبد القاهر في التحرير والتجوير . ولعل الذي سهل عليه ترك المزوهر واعتقاده بأن أكثر المؤلفين المتأخرين ليس لهم إلا جمع الأقوال وتسيقها فإذا كان منهم من جمع المشاغبات الضارة فهو قد جمع الفرائد النافعة . والكتاب مطبوعاً طبعاً جيلاً وقد جعل منه أربعة قروش صحيحة وهي قليلة جداً بالإضافة إلى ما نفع عليه بصرف النظر عما يستفاد منه

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ

﴿ رأي رجل عظيم في المسلمين والنار وترك الاستاذ الامام للأزهر ﴾

كتب ائنا الكتاب الآتي أحد أعلام الأمة الإسلامية . وأركان نهضتها المصرية . ناظم مدرسة العلوم « الكلية » ومدير جريدتها (على كده انسيوت) الشهيرة . وصاحب المصنفات الكثيرة . محسن الملك بهادر سيد مهدي علي خان . ففشرناه ووصلناه برأينا فيه . قال حفظه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

فب اهداء سلام ألد من تغاريد الحمام ، واصفى من قطر الغمام ، وأحلى من صفو اللدام ، واشهى من انفاس الرياض إذ هطل عليها الغمام ، وأعبق من رواج المسك الحمام ، وأبرق من البدر التمام ، واشرق من الشمس إذ ينقشع عنها الظلام ، أخص به حضرة المولى العلامة التحرير ، والعلامة القرم الكبير ، مولانا الشيخ رشيد رضا لم تزل الاقدار تمضده في كل حال ، وتمصده للظفر بالأمانى والآمال ، ملع آل ونكرت الصدور والآصال ،

(وبعد) فقد عرفت يا سيدي ما قد أصاب المسلمين من الشرور والفتن ، والدواهي والحن ، وأن الاسلام قد ادبر وأذن بوداع ، وأن النفاق قد اقبل واشرف باطلاع ، وإن الدين قد استتر وتسكر بوجهه ، وتولى بركنه ، ونأى بجانبه ، وتطرفت البدع المحدثه ، وتسربت الاحداث المستحدثة ، ورفمت الامانة من المسلمين ، وكنت الديانة عن المؤمنين ، وبدأت الحياة في حزب سيد المرسلين ، قد أعم بنا عالم الفتن ، وجللتا خنادس الحن . وغشيتا نياهب الاحن ، وتسربلتا بسر ايل العدم والاملاق ، وتقمصنا بقمص الجهل والنفاق ، وطبختا الجهالة بكلكلة البلى ، وعركنا الجهل فسوانا بنجوم النري ، لا شكر من الشر نكرأ ، ولا نعرف من الخير اصرا ، سلب منا الاخاء ، وبدأت فينا السداوة والبغضاء ، وسرت فينا الجهالة العمياء ، فضربت بذلك علينا القربة ، وحاقت بنا المسغبة ، وجللتا المعطبة ، لا نكثرت بما صارت اليه حالنا ، ولا نخفل بما تحولت اليه احوالنا ، ولا نبالي بما خابت منه آمالنا ، قوضت عنا خيام المجد والاعتلاء ، واسرجت لنا رواحل الذل والبلاء ، ونحولنا عباديد بعد الألفة ، وتباديد بعد اجتماع الكلمة ، وتركزت فينا أصول الفرق ، وتشتت ألام وتفرقت ، وتمزقت كل ممزق ، يزري بنا العيون ، ويزدرينا ريب المتون ، رحل الاسلام عن عقر داره ، وتربيع اتفاق في محله وقراره ، ومن ثم ترى الاجتماع قد تهدمت مبانيه ، وتبصر الائتلاف قد خوت صراجه ومفاتيحه ، ونذكر دكت من الاتفاق القنان ، وانهدمت منه المصدان ، (١) وتصرمت أيامه ولياليه ، واستبدلت بالانخفاض معاليه وعواليه ، وبالفل والصغار قصوره ومعالیه ، خدت منه كل نار ، وانقل منه كل شرارة وعفت منه كل دار ، وطمست منه الآثار ، وعطل كل فلكه عن المدار ، وكسوت شمس علائه ، وخسفت منه بدر سمائه ، وأرجفت منه أرضه المريضة ، وانفجرت صفحتها فأضحت مريضة ، ولم يبق من الاسلام إلا رسم خلق في المقام ، ضمنه كامن الرحي السلام . (٢)

(١) النار : القنار بالكسر جمع قن وهو الجبل الصغير والاكزه والمصدان باضم جمع مصاد بالفتح وهو اعلى الجبل والمهضبة العالية الحمراء
(٢) النار : قوله رسم خلق بالتحريك أي بال . وقوله ضمنه الخ الاسلام بالكسر فيه معنى الحمازة ومن امثالهم «اكنم للسر من السلام» ومنها «وحي في صجر» يضرب

يسومنا الأقوام خسفاً من كل جانب ، ويستصغرنا الرجال عسفاً على ظهر كل لاحب ،
لم يستبق الدهر لنا قوة ولا دولة ، ولم يرع لنا إمرة ولا صولة ،
وقد كان يعجبني منكم بين تلك الأحوال المزعجة ، وبرتوني من جنابكم في تلك
الحالات الموحمة المفجعة ، ما حباكم الله سبحانه بفضله ، واصطفاكم ببره ، لاستفراغ
الوسع في اصلاح المسلمين ، والاجتهاد الباطح التام في حفضهم على النهضة لامور الدنيا
والدين ، وذلك بما كنتم تنشرون من إعضات بلغة ، وتنشرون من رسالات بديعة
أنيقة ، ومكانيات بهيمة شهية رشيقة ، تحضون بها المسلمين على النهضة ، وتحثونهم على
الأوية ، إلى ما كانوا عليه من سائب الجسد والاعتلاء ، وماضي الكرم والعلواء ،
وسابق السبق في مضمار العز والعلاء ، والاقترحام في مفاوز الكرب والبلاء ، والأهيام
في استجلاب المجد من كبد السباء ، فيألفها ما قد تضمنت جريدتكم الباهرة الغراء ، من
عبارات مهيبة ، واستعارات مستعزية ، وأساليب موشعة ، واساميج مستملحة ، فقد
وشيم اذ أنشأتم ، وحبرتم حينما عبرتم ، واعجزتم حينما أوجزتم ، وأذهبتكم متى
اسهبتكم ، وخرعتم متى اخترعتم ، وانتم بعون الله قارع هذه الصفات ، وقريع تلك الصفات ،
وقرن ذلك المجال ، وقرين هذا النضال ، وما برحنا تنقل تلك الامضات الأنيقة
من مجلتكم الرشيدة ، الى اللغة الهندوستانية ، من العربية العقبانية ، وتنشرها في مجلتنا الشهيرة
« بعل كده السيوت » يستفيد منها اخواننا الجاهلون ، ويستضي بها المستضيئون ، ويستعين
بها من أضر به ريب المتن ، لدفع كل ملءة ملذكية ، وكشف كل مهمة سياسية ،
وقد كان قبل ذلك بمدة تنيف على ثلاثين سنين ، قد نشأ في تلك الآفاق والارضين ،
رجل من أفاضل الاعيان ، اسمه السيد أحمد خان ، كان رجل همة في اصلاح المسلمين ،
والنور التام في دفع الصفار والنكبة عن إخوانه في الدين ، وكان رجلاً متطوعاً منطبقاً
ذالسان ، ومنطق وبيان ، يمد في مصاقع الخطباء ، ويخروط في سلاك بها ليل الادباء ،
يهر الساس بأساليب خطابه ، ويستجلب الخلق ببديع خطابه ، ونادر سمعه وتسكابه ،
لمن يكتم سره والمراد ان الرسم البالي الذي بقي من الاسلام هو سر مكتوم خفي
غير ظاهر وقد يضرب المثل للشيء الظاهر لان من معاني الوحي الكتابة والكتابة في الحجر
تكون نقشاً ظاهراً وليس بمراد هنا

فبادره العلماء الاعلام، بالنسب والشتام، وشقوه بنبال المذل واللام، ولضوه على
المنابر في جوامع الاسلام. على صرا الدهور وكر الاعوام، وأعلنوا بكفره، واذنوا
بالخروج عن ملته، وألقوا بأية ماحدة منه، وهو بعد كان لا يكثر بما كان يقع عليه، وما
يألى بما كانوا يذنون له من سيوف العداوة معه، وكان لا يفر عن جده
واجتهاده، والضرب بمصا اتسيار في ميادين بلاده، ولما صبر على كل ذلك الاذى،
وتجهد كالبطل الكمي في ميادين النوحى، لم يبرح من وطنه، أن تثقل له الظفر وخذا
بين يديه وسار من مكان عطفه،

ولكن قد قل منكم نصر تلك الامضات البديعة في اصلاح المسلمين، واجتهادكم
في تحسين أمورهم من الدنيا والدين، منذ حين، وأراكم قد اقتصرتم على اقتباس
جزء يسير من تفسير العلم الرزين، حكيم الاسلام والمسلمين، ونخار الملة والدين،
وسناد العلماء السادة الأساطين، حضرة مولانا الفاضل العلامة الشيخ محمد بن
عبد مفي الديار المصرية متعنا الله ببقائه ولعمري هو اليوم فارس رجالنا، ورأس
أمانتنا وآمالنا، نأمل به الفوز في السعادة القصوى، ورجو منه الظفر بما هو غاية
أربنا في الحياة الدنيا، من حصول النهضة الاخرى غب النهضة الاولى، ولا نجد لذلك
مثله في جديد تلك الخلقاء الهابطة السفلى، (١)

* * *

وقد أدهشنا خبر هائل وصل إلينا من الجامع الازهر وأوحشنا وأقلق جل
أصحابنا والامة وأراق الدماء من الجفون والقلوب لها أن تهبل، (٢) وقد
انصدعت له الصدور، وتصدعت لها المنهج في شلو كل مصدر، وذلك ما شاع
عن هذا الفيلسوف السرسور، (٣) والخلال الوقور، والتبراس في ظلمات الديجور،
من رفض ما كان إليه من نظارة الجامع المذكور، أسفاً على ما تجرب من جفاء
أهل عصره، ولا سيما علماء مصره، ومساعدة الحضرة الخديوية للعلماء، وقضائها

(١) لمار: الخلقاء مؤات الاخلق ومن معناه الاماس وتسمى السماء خلقاء وخلقاء
الجهة مستواها يريد في مستوى هذه الأرض (٢) يقاب تهبل لعياله واهتبل اذا
اكتسب ولعل الكلمة في الأصل تهبل من هبل ولده واهتبله اذا نكته (٣) السرسور
بالضم الفطن المالم الدخال في الامور والخلال السيد في عشيرته الشجاع الركين في مجلسه

بمخلاف ما كان يرجى من تلك الحضرة الفراء ، لما كان أيده الله تعالى يريد من اشاعة العلوم الحديثة ، واذاعة المعارف والحكم الجديدة ، زيادة على ما كان يجري فيه من دروس العلوم الشرعية ، والمسائل الفرعية ، ولما لم يصنع أحد الى رآيه ومقاتله ، ولم يكثرث رجل الى ما كان فيه من محض نصاحته ، تمثل لنا عند ذاك الياس ، ومجسد لنا شيخ القنوط والابلاس ، (١) لجود هذا النبراس ، فقد كنا نظن قبل ذلك ان سوف يحفل به عنا ليل الحزن ، ويقلع عنا دامن الفتن ، وتقوض عنا خيام البلاء ، وتطف عنا سهام الضراء ، ويتنفس علينا صبح الاقبال ، ويطلع على وجهنا فجر الآمال ، من أجل ذلك البارع الحكيم المفضل ، وكنا نظن انه قد توقد في الاسلام مصباح يستوقد منه آلاف الوف من المصاييح ، ومفتاح يفتح به مغاليق أبواب الفرج والتراويج ، ولكن قد تبين الآن اننا لم نبرح عرضة للبلاء ، ودرية لرماح الضراء ، وجزراً لسيوف البأساء ، مازالت هذه الحضراء تدور على الفراء ، وما أشبه حال هذا الحكيم الرزين في المصريين ، بحال السيد أحمد الذي اعثرناك على حاله في الهنديين ، فقد عظمت الرزية ، وجلت المصيبة ، فانا لله وانا اليه راجعون « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون »

علي كده (الهند) (محسن الملك)

جواب المنار

يريد السيد المحسن حفظه الله بالامضات التي كانت تنشر في المنار ثم تركت تلك المقالات الخطائية التي تمثل للمسلمين ضعفهم الحاضر، وتذكرهم بمجدهم الغابر، وتحثهم على اصلاح شأنهم في الدنيا والدين، والاعتبار بتلقي المعاصرين، وهذا ما كنا نكثر منه في اول نشأة المنار ليكون تمهيدا لعند النفوس قبول ما نعرضه من الرأي في الاصلاح الديني والاجتماعي ولاعمال الفكرة وتوجيه الهمة، الى السعي والعمل لخدمة الامة، ولكننا رأينا الناس قد استحسنوه، وكثيرا من أصحاب الصحف قد احتذوه وتقليدوه ، حتى صار كانه مقصود لذاته ، لا لاجل عمل من ورائه ، ولذلك صرت ترى في الصحف المصرية التي تسمى اسلامية كلاما كثيرا في حال المسلمين حتى من الذين لم يعرفوا من الاسلام ، الا ما يعرف اجهل السوقه والعوام ، وان ما غنيا به في المدة الاخيرة يشبه ان يكون مقصدا أو غرضاً لتلك المقدمات او المهدات . ولا يحسن الاخ الكريم أننا تركناها يأسا من صلاح حال المسلمين . أو فرقا من

(١) الابلاس هو الغم من اليأس والحيرة

مناصبه المشاغين ، التي لا بد ان يكون عرفها من تصدي جريدة المؤيد للوقوع بنا ،
بعد ما كانت تشيد وتنوه بعملنا ، كما ان هذا لا يزيدنا الا قوة في الامل ، وهمة في
العمل ، لان اللوم بطبعه اغراء ، والمقاومة من بواعث الاعتناء ، كما رأيتم في فاتحة
المنار لهذه السنة . على ان ما انتشره من الحكم والمواعظ في التفسير ، وما نودعه في مطاوي
سائر المباحث من التنبيه والتذكير ، هو في معنى تلك المقالات التي انفشدون ولا تخلو
من الخطايات التي تخطبون ، وقد طابنا غير واحد صريحا ، بمنزل مأمرا السيد به تلويحا ،
ولذلك وعدنا في خاتمة السنة السابقة ، بالموود الى تلك المقالات في سنتنا الحاضرة ،
وقد نشرنا في الجزء الثاني منها مقالة (حياة الامم وموتها) مقدمة لاكتتاب في أنواع
الحياة وحالتها فيها ، وسيتلو الكتابة في الحياة الزوجية ، مقالات في الحياة المالية والوطنية
والسياسية . ونرجو من فضل الله وكرمه ان لا نزداد الا ثباتا واعتناء مادامنا آمنين
في سربنا معافين في بدتنا قادرين على النفاة على نفسنا وصحيفتنا

واما ترك الاستاذ الامام للازهر فهو لم يكن من بأس الم بنفسه الكبيرة ، ولا عن
ضعف في همته العالية ، ولا لمقاومة علماء الازهر لما يريد من اصلاح التعليم ، او
اضافة علوم جديدة على ما يقرأ في الازهر من العلوم ، وانما هو ما تنسجموه من
الجراءد المصرية ، ونزيدكم فيه بياناً بمكاتب شخصية ، وقد ظلم العقلاء عندنا وعندكم
علماء الازهر فأزولهم من درجاتهم في العلم والفهم ، كما أعطوهم اكثر من سدهم
من الشعور والاخلاق ،

أما ظلمهم إياهم فهو اعتقادهم وقولهم فيهم أنهم يعتقدون بأن العلوم الدنيوية
تقوض بناء الدين ، وتفسد العقائد في قلوب المسلمين ، وإن إصلاح طريقة التعليم ،
خروج عن صراط السلف المستقيم ، وكل هذه الظنون فيهم باطلة فان من أصحاب
الدرجة العلمية الاولى فيهم من يعلمون أولادهم العلوم الدنيوية في المدارس الاميرية
وغيرها فكيف لا يخافون الكفر والضلال على أفلاذ أكبادهم مع عدم تمكنهم من
العلوم الدينية ويخافون ذلك على طلاب الازهر المتوغلين في علوم الدين ؟ ان هذا
شيء لا يعقل . ثم كيف يطمنون بأكابر علماء الاسلام الاعلام الذين تمكنوا من علوم
الدين وصاروا يعدون من الفلاسفة كالامام الغزالي والامام الرازي وفلان وفلان ؟
ثم كيف لا يطمنون بدين أكابر امراءهم وحكامهم في هذا العصر وهم قد تعلموا
هذه العلوم في مدارس مصر وأوروبا وقلمنا يوجد فيهم من تلقى عقيدة الاسلام

ببراهينها أو عرف مهمات أحكامها ولو غفلا من دلائلها وحكمها وإن منهم من يصف بعض هؤلاء الأصراء بالتقوى والصلاح . فظلم وألف ظلم لعلماء الأزهر أن يقال فيهم إنهم يعدون علوم الدنيا خطرا على الدين أو عائقا عن علومه وأنهم يجهلون أن الإسلام جمع بين مصالح الدارين وأنه دين عام وأن لادين بعده أوفق لمصلحة جميع البشر منه مع استلزام هذا لكون الإسلام يتفق مع علوم البشر ومدنيهم في كل زمان والا كان متضمنا لتكليفهم ما لا يطيقون . نعم إنه يوجد فيهم بعض الأغبياء الذين يثبت بهم هذا الوهم ولكن الحكم على جميعهم أو أكثرهم بذلك ظلم وجور . وإني أقول إن الأستاذ الامام لم يقرر في إصلاح الأزهر شيئا إلا برأي جماعة من كبارهم واستحسانهم وقد نفذ بعض ما طلبه وحاوله برضاهم وموافقتهم وأوقف بعض الإصلاح للأسباب التي لا أصرح بشرحها بعد رضاهم به واعترافهم بفائدته

وأما وصفهم بأكثر مما يستحقون من الشعور بالمصلحة وإرادة الخير فهو تابع لذلك الظلم وهو اعتقاد كثير من العقلاء في مصر وفي أقطار أخرى أن هؤلاء الناس أعداء الإصلاح الذي شرف سيرة الأمة وعقلاؤها شدة الحاجة إليه لما في قلوبهم من الشعور بضرره ولما عندهم من الإرادة القوية والمزمنة الصادقة والغسيرة الملتهبة على الإسلام والمسلمين وأنهم لا يخافون في ذلك لومة لائم ولا سطوة حاكم ولا حرمانا من منفعة مالية ، أو كدوة تشريف قصية ، والحق أن هذا الضنف الشريف الذي كان له من قوة المزمنة بالائحاد والاتفاق ما يقيم به محمدا عليا حاكما على البلاد المصرية قد استضعف فضعف حتى صار لا يجهر برأيه إلا إذا أيقن أن قويا يمدده أو حاكما يستنده ، وكثيرا ما يستحسن أمرا ثم يستهجنه ، أو يستبج شيئا ثم يستجده ، . . . ولقد كان أكبر علماء الأزهر موافقين للشيخ محمد عبده في كل شيء . يقترحه لإصلاح الأزهر أيام كان مؤيدا بنفوذ الأمير وإنما كانوا يرغبون إليه في أن يكون ذلك بالتدريج البطيء لأنهم لم يتمودوه ويشغل على المرء لاسيما الكبير المضي فيما لم يتمود . ولما بدا للأمير في تأييده ومساعدته وقف كل اقتراح ، وعورض كل إصلاح ، حتى لم يبق للحكومة الحريوية ثقة بتخريج القضاة في ذلك المكان فهي ستبني مدرسة جديدة لتخريجهم فيها ولم يبق لها من العناية بالأزهر إلا حفظ الأمن فيه كما هو حق كل صنف وكل شيء على الحكومة لأجل هذا ترك الأزهر ولكن آثاره الصالحة لن تتركه فهو قد وضع أساس النظام الذي قد يصف تارة ويقوى تارة وقد زاد فيه وينقص منه ولكنه لا يزول .

وهو قد نفخ في نفوس كثير من الأذكياء فيه روح الشعور بالحاجة إلى إصلاح التعليم وإصلاح الاخلاق وخدمة الاسلام والمسلمين والسمي في ازالة ما غشهم من البدع والفتن فاضمهم وأذلهم فلن يموت هذا الشعور ثم انه لم يزد الا رجاء بالله وهمة في خدمة ملته بالعمل والتدريس والتأليف لا يثنيه عن ذلك فان الاما يعلم به من المرض احيا شفاه الله ونفع به آمين

هذا وان العبرة الكبرى فيما كتب هذا السري الكبير هو احساس المسلمين المخلصين الذين يعرفون الاسلام ويغارون عليه بأن الإصلاح اذا ظهر في أي قطر ففائده لا بد أن تكون عامة لكل البلاد الاسلامية وان النور اذا ظهر في هذه الامة من أي مطلع فانه ينسبط على جميع البقاع لان هذه الامة أمة واحدة ربها واحد وكتابتها واحدة ونبيها واحد والهداة في دينه على ملة واحدة وهي ما جاء به نبيه عنه ومصلحتها لذلك واحدة فما يضرها يضر جميع المتبعين لها وما ينفعها ينفعهم أجمعين . لاجل هذا أحس الاحياء من مسلمي الهند بأن ما دهي به الإصلاح في الازهر هو مصيبة على الاسلام والمسلمين في جميع الارض لانه كان يرجى أن يكون خيره . فثبت ونجح عاجلاً لجميع مسلمي الارض ولو بعد حين . فاذا يقول أرائك الذين يريدون أن يقطعوا أوصال المسلمين بنزقات « الوطنية » الفاسدة في هذا الاحساس الشريف من إخواننا في الهند وكذا في غيرها كما نشير اليه في النبذة الآتية ؟

تأثير ترك الاستاذ الامام الأزهري في المسلمين

لقد اضطربت قلوب عقلاء المسلمين ووجهت نفوسهم لهذا النبأ في كل قطر فقد جاءتنا الكتب والرسائل في ذلك من السودان وسوريا ومن بلاد المغرب والمشرق ما بين شاكية وباكية منها ما يعرف مرسلوها عند الامام، ورون أن لا عتب عليه ولا ملام، لو قدر فهم على حقيقة أحوال هذه البلاد فرأبهم في ذلك كراي أكثر العقلاء في مصر الذين استشار الامام بعضهم فأشاروا بوجوب تركه، ومنها ما يتضمن اللوم لاعتقاد أصحابها أن الاستاذ الامام قد ينس من إصلاح المسلمين فترك خدمة الملة مللاً من مقاومة الجامدين ، أو علماً بأنهم خبر مستعدين ، وقد آلمهم ذلك لانهم يعتقدون أنه أكبر زعيم للاسلام في هذا العصر وأقوى نصير له في علمائه ويشعرون بأنهم يستمدون مناهلهم والفيرة والرأي الصحيح على يده الديار وتثاني الافطار ولا أنكر انني أعرف من أذكى العلماء المسلمين الاقربين دارا بل ومن المصريين أنفسهم من

سرى اليه شيء من هذا الوهم . وقد آلمني وسيؤلم كل ذي غيرة وشعور قول (محسن الملك) ان اليأس والقنوط قد تمثل لأهل النهضة الإسلامية في الهند وشروا بأن قد طغى نور الإصلاح المتبعث من هذا الامام فوقعوا في خنادق الظلام — يحزننا وبمضنا هذا القول من قوم نعتقد ان نهضتهم أعلى من نهضتنا وهمتهم أعلى من همتنا والامل فيهم أقوى من الامل فينا ، ولا نفضلهم الا بهذا الرجل وبأن اللغة العربية لاتا نراهم يرجوننا أكثر مما يرجون أنفسهم كما أنه يسرنا شعورهم بارتباطهم بنا ولا يأس منا ولا منهم ان شاء الله

ان من أغرب ما كتب اليها في هذه الحادثة نبذة لاحد الفضلاء في قاس وهي :
« قد ساء لنا وإيم الله ما بلغنا من استقالة حضرة جناب الاستاذ الامام ، وعالم علماء الاسلام ، فريد هذا العصر ، وغرة جبين الدهر ، ذروة جهاينة الاتفاق ، ونخبة كبراء الصالحين بالاتفاق ، مولانا وسيدنا الشيخ محمد عبده أدام الله بقاءه مرشدا للعالمين من عضوية إدارة مجلس الازهر الشريف الذي كان متعنا الله بوجوده مجتهدنا في اصلاحه كإساءتنا تلك الخطية ولكن » ان تقصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وقد كدر ورود هذا الخبر جميع محبيكم ومحبي الاستاذ الامام لمعلمتائكم من المجدين في اصلاح الأمة الإسلامية « الخ وإنما كان هذا غريباً لان تلك البلاد أبعد بلاد المسلمين عن التفكير في الإصلاح أو الشعور بالحاجة اليه ولكن هذه الافكار قد سرت في كثير من أهلها من بعض المهاجرين اليهم من المسلمين ومن قراءة بعض المصحف كالنار » وقد ختم هذا الكاتب كلامه بقوله « وأدام الله بقاءكم ونحاً عن أتف الجاهلين والمستبدين والمفسدين والمقلدين » اه وبوشك ان تنشر آراء أخوي في جزء آخر

— صدي الحادثة في أوروبا —

(أومقاومة النفوذين الفرنسي والانكليزي الاستاذ الامام في الإصلاح)
نشرت جريدة اللواء في عدد يوم الخميس (١٣ ربيع الاول) خبرا قالت انه مترجم عن جريدة (اللوب) الانكليزية بغير تصرف وهذا نصه بغير تصرف
« اختلف العلماء من عهد قريب بشأن التعليم في الازهر وسبب ذلك ان رئيسهم الشيخ محمد عبده حاول إدخال نظام للتعليم أوسع من النظام الحاضر — الذي وضع من قرون مضت والذي لا يتضمن غير بعض تعليم مواد الاجرومية وقليل من بعض

العلوم الأخرى ... بقصد تكوين قوة جديدة في الإسلام ويريده الشيخ محمد عبده
السلف أن ذكر إدخال العلوم الحديثة في بروغرامه الجديد ليستعين بها العلماء على
اكتساب أوزانهم من طرق العمل والجهد لا الكسل والتواكل

«وقد قاومه العلماء في مشروعه هذا مقاومة شديدة وأصل بناءه قال في حديث
له أن السبب في عدم نجاحه وفشله النهائي راجع إلى محاربة النفوذين الفرنسي
والإنكليزي السياسيين له واستشهد عبارة نشرت في الكتب السياسية الفرنسية
مؤداها أن سواس فرنسا من الحزب الاستعماري لا يقلون بوجه من الوجوه تور
المغاربة بنور العلم» اهـ

﴿ملاحظة المنار أو اتقاهه على ذلك﴾

يجب المصريون أن يروا في الجرائد الإنكليزية من يخط في النائل المصرية
على غير هدى مع وقوف الإنكليز هنا على حقائق الأمور وقد ذكرنا وذكر غيرنا
من قرأ تلك النبعة في جريدة اللواء ما كان أشيع هنا بعد ترك الشيخ محمد عبده
لمجلس إدارة الأزهر من أن بعض المصريين الذين لهم حظ فيما حدث في الأزهر
كلفوا أحد مكاتب الجرائد الإنكليزية أن يكتب لجريدته التي يكتبها شيئاً يفيد معنى
ما كتب في بعض الجرائد المصرية التي لها هوى في الحادثة من أن جميع علماء الأزهر
مضادون للشيخ محمد عبده فيما يريد من إصلاح التعليم وزيادة العلوم في الأزهر
ويتضمن شيئاً آخر يفيد سخط الإنكليز على الشيخ وأتذكر أن بعض الجرائد
الأسبوعية في مصر كتبت شيئاً عن هذه الإشاعة وقالت إن ذلك سيكتب ثم ينقل في
بعض الجرائد المصرية اليومية

مالنا ولما أشيع في سبب الكتابة ولما قيل في مصدرها انما نحن أمام قول
يتضمن خبرين أحدهما أن علماء الأزهر ككارهون ومقاومون لما يريد الشيخ
محمد عبده من النظام وتوسيع دائرة العلم في الأزهر وقد بينا في كلامنا على رسالة
محسن الملك أن هذا غير صحيح وأن علماء الأزهر برآء مما يرمون به من الغلو في
بعض العلم والنظام ، والجهل بما يعني شأن الإسلام ، وثانيهما أن الشيخ يقول أنه لم
ينفخ في حائل من إصلاح الأزهر إلا بمقاومة النفوذ الفرنسي والإنكليزي له

لأن ترقية المسلمين تناقض مصالحهما في استثمار بلادهم . ونقول إن هذا القل
هن الشيخ غير صحيح وإن كان أكثر المسلمين يمتد بصحة علمه المذكورة . ولا
يعقل أن يقول الشيخ ذلك لأن فرنسا لا نفوذ لها في الأزهر ولا في مصر فتقاوم
ولأن الإنكليز لم يقاوموه لما هم عليه من الحرية وعدم التعرض للمصالح الدينية
على أن المصريين الذين لم يقدرُوا حرية الإنكليز حتى قدرها ، ولم يعلموا أنها تمثلت
مع الفضيلة في اللورد كرومر في أبهج صورها ، يمتدحون من عدم مقاومة الإنكليز
لإصلاح الأزهر في السنين الماضية ويظنون أن لهم بدا في المقاومة الآن

أما الشيخ محمد عبده فقد سمعناه غير مرة يقول أنه ما قصد إلى خدمة المسلمين
في شيء ولقي مقاومة فيه من غيرهم لأمم الإنكليزي ولا من أفرنجي ولا من قبضي
ولأمم شامي . ولا غرو فإن جهل المسلمين وتخاذلهم في هذا العصر كافيان لأحباط
كل سعي لترقية شأنهم لا يحتاجون إلى مساعد في ذلك ومن يسعى بعقل لا يقاومه العقلاء

هذه فرنسا التي كان منهجها في مقاومة تعلم المسلمين في الجزائر أصراً معروفاً
قد أنشأت ترجع إلى منهج الإنكليز في التساهل وقد تكلم الشيخ محمد عبده مع رجالها
في تونس والجزائر في مساعدة المسلمين على التعليم فوجد منهم ارتياحاً إلى ذلك
وقد نشرت جريدة الطان من عهد قريب مقالة في الاحتفال بمدرسة الجمعية الخلدونية
ذكرت فيها أن مصدر هذه الحركة العلمية في تونس هو الشيخ محمد عبده وبعض
المجلات العلمية المصرية التي تحت المسلمين على الجمع بين علوم الدنيا والدين وترد في رأيي
الذين يظنون أن تعليم المسلمين بصر بفرنسا لأن هؤلاء المسلمين يكونون دعاة لاستقلال
البلاد وقيامهم على المستعمرين لها وترجمت الأهرام مقالة الطان فسر بها المسلمون هنا

(الاحتفال بالعبد المثنوي لمحمد علي والإيماء لانفصال مصر عن تركيا)

احتفل جماعة من المصريين بتذكار تولية محمد علي باشا على مصر منذ مئة سنة
ميلادية . وقد اعتبروا ابتداء ولايته اختيار المصريين له دون فرمان السلطان بتوليته
الذي كان بهد منل يوم الاحتفال بشهر وأيام كأنهم يريدون أن هذه الحكومة استقلت
بذاتها من طريق الانتخاب لاتباعية للدولة ذات السيادة عليها وكذا نهج بأمثال هؤلاء
المحتفلين الحرص على إظهار ربط مصر بالاستانة فاعدا بما بدا ؟



بوقتي الحكمة من يشاء ومن بوقت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوي و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الأحد غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢٣ — ٤ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٥)

فتاوى المبتدئين

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واثنان ذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وروعا قد منما آخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لئلا هذا. ولما ينهي على سؤاله شهر ان أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

﴿ ذبائح أهل الكتاب في عصر التنزيل ﴾

(س ٢٠) السيد محمد بن عقيل في سنقا فوره : اطلمت على جميع ما كتبتم في ذبائح أهل الكتاب ثم وصل الي من أحد أهل مصر كتاب يسمى التحاديل الاسلامية في الرد على شيخ الاسلام (يعني الاستاذ الامام) وكنت قد رأيت منذ نحو ١٤ عاما فتوى لشيخنا العلامة السيد سالم بن أحمد الفطاس العلوي الحضرمي مفتي جمهور تضارع فتوى شيخ الاسلام ولكن يختلف في صدي شيء لم يذكره شيخ الاسلام ولا غيره فيما أعلم وهو هل لأهل الاسلام نقل صحيح في التاريخ يفيدنا بكيفية

ذبح أهل الكتاب أوقلتهم لما يريدون أكله في عصر المصطفى صلى الله عليه وعلى آله فإن وجد فهل يجب قصر حكم الحل على ما كان لأنه المفهوم ويكون ما توسموا به بعد ذلك من بدعهم فلا يفيد الحل ؟ فلو صرح النقل بأنهم كانوا يصرون عتي نحو الدجاج ويوقدون نحو البقر لم يبق للمشايخ كلام . والمظنون أن لأهل الكتاب كفيات في الذبح في ذلك العصر كما نقل أن لهم في التسمية عند الذبح عادات وما صرح به النقل لا نزاع فيه فهل ظفرتم بنقل عن شيء من تلك الكفيات التي أحل الله لنا طعامهم وهو يعلمها ينبغي به غبار كل إشكال أفيدونا بما تعلمون لازتم مرشدين

(ج) يتنا فيما كتبناه في المجلد السادس في مسألة طعام أهل الكتاب أن المسألة ليست من المسائل التعبدية وأنه لا شيء من فروعها وجزئياتها يتعلق بروح الدين وجوهره الأحرىم الأهلل بالذبيحة لغير الله تعالى لأن هذا من عبادات الوثنين وشعائر المشركين فحرم علينا أن نشايهم عليه أو نشاركهم فيه ولما كان أهل الكتاب قد ابتدعوا وسرت إليهم عادات كثيرة من الوثنين الذين دخلوا في دينهم لاسيا النصرانية وأراد تعالى أن نجاملهم ولا لعاملهم معاملة المشركين استثنى طعامهم فأباح لنا إلا شرط ولا قيد كما أباح لنا الزوج منهم مع علمه بما هم عليه من نزغات الشرك التي صرح فيها بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون . على أنه حرم علينا الزوج بالمشركات بالنص الصريح ولم يحرم علينا طعام المشركين بالنص الصريح بل حرم ما أهل به لغير الله . فأمر الزواج أهم من أمر الطعام في نفسه والنص فيه عام قطعي في المشركين وهو لم يمنع من الزوج بالكتانية ولا جل كون حل طعام أهل الكتاب ورد مورد الاستثناء من المحرمات المذكورة بالتفصيل في سورة المائدة صرح بعض أئمة السلف بأن التصرائفي اذا ذبح الكنيسته فان ذبيحته تؤكل مع الاجماع على أن المسلم اذا ذبح وذكر اسم النبي أو الكعبة فان ذبيحته لا تؤكل وترى هذا في تفسير الامام ابن جرير الطبري وما نقلناه في المنار عنه وعن غيره . فكاف في هذا الباب . وقد رأيت في التفسير من هذا الجزء النسبة بيننا وبين أهل الكتاب وما ورد فيهم وما أرشدنا اليه سبحانه من مجاملتهم ومحاسنتهم فهذه هي الحكمة في حل طعامهم لا كونهم يذبحون على وجه مخصوص أو يطبخون بكيفية مخصوصة . ولو كان يجوز لنا أن نقيد نصوص الكتاب المطلقة بمنل هذا التقييد لكان

يجب علينا أن ننظر في كل حكم فتقول إن إحلاله أو تحريمه مقيد بما إذا كان على الكيفية التي كانت في ذلك العصر فتقيد بما كان عليه أهل العصر الأول في جميع عاداتهم وأحوالهم لأنهم سخطوا بالأحكام وهم على ذلك وهذا حرج عظيم وتحكم لم يقل به أحد بل قال أهل الأصول ~~حكم~~ المطلق أي يجري على إطلاقه ومن ثم نقول أنه لا وجه للبحث عن عدد الذين أقيمت بهم الجمعة أو صلاة العيد ولا عن كيفية المسجد أو المصلى الذي صليا فيه عند التشريع والحكم بأن ذلك شرط لصحة الصلاة ثم إن المشايخين الممارين لا يقنعهم شيء فأنت ترى أن فتوى الأستاذ الامام لم تكن في حل الموقوفة من أهل الكتاب ولا كان السؤال عن ذلك وقد سموا الذبيحة موقوفة وأكثروا من الغلو ولا غرض لهم من ذلك إلا إيهام العامة بأن فلاناً قال قولاً مخالفاً للشرع لعلهم أن العوام لا يفهمون الدلائل ولا يميزون بين الحق والباطل وإنما يفهمون بالاجمال أن فلاناً أخطأ فيخوضون في عرضه وهذه هي لذة الذين يحبون أن تسمع الفاحشة في الذين آمنوا • ولذلك لم يورد الذين كتبوا في هذه المسألة شيئاً من كلامنا المؤيد بالكتاب والسنة وبقه الشريعة وأسرارها والمأثور عن سلفها لا بالتسليم ولا بالانكار فذرهم في خوضهم واشتغالهم بالسفاسف وصرفهم قلوب المسلمين عن كل نافع فيهم ساع في اقاتلهم من عثرتهم أو انجائهم من هلكتهم حتى يبلغ انتقام الله تعالى بهم منهم حده وخذ بما صفا ودع ما كدر وادع الى الحق من تراه مستعداً لله والله الموفق

﴿ عذاب القبر ﴾

(س ٢١) الشيخ منصور نصار من مجاوري الازهر : قد سألني بعض الناس ببلدتنا عما يحصل للميت في قبره من النعم أو العذاب هل النعم أو المذهب هو الروح فقط أم الروح مع الجسم فأجبت بما أعلم من نص ابن عمر والفزالي الموصوف بحجة الاسلام من أن المذهب هو الروح فقط • وقد وقع اضطراب بين أهل بلدتي في هذه المسألة فأرجو من حضرتكم توضيح الحقيقة على صفحات مناركم الاغفر حيث ان الله تعالى نصبكم لخدمة الدين والدفاع عن شبهات الفالين لازام هادين مهديين

(ج) قد سبق لنا الإجابة عن مثل هذا السؤال في المجلد الخامس وبيننا أصل الخلاف في عذاب القبر وأن مذهب السلف عدم البحث في كيفية ما يرد في الكتاب والسنة من أحوال الآخرة لأنها مما يجب الإيمان به كما ورد من غير فلسفة فيه ولا تحكم على القبر إذ لا يقاس عالم القبر على عالم الشهادة ولو أنكم دعوتهم أهل البلد إلى هذا التسليم لأقفتم باب الجدل في وجوههم ولا أقبح من الجدل في أمر الآخرة الذي لا مجال للعقل ولا للحس فيه والذين فتحوا هذا الباب هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً فقامت الممثلة تقول إن من الناس من تأكلهم السباع والحيتان في البحر وتصير أجسامهم أجزاء من أجسام هذه الحيوانات ومنهم من يحرق ويندري رماده فكيف تقولون يا معشر الأشاعرة إن في القبر عذاباً على الروح والجسد والصواب أنه لا عذاب إلا عذاب الآخرة بعد البعث . وقامت طائفة أخرى تقول إن الجسم لا احساس فيه فالحديث الوارد في عذاب القبر يراد به تعذيب الروح مجردة . ويقول آخرون الروح لم تعمل السيئات إلا بواسطة الجسد فلا بد أن يكون العذاب مشتركاً ويصدق ذلك بأن تصل الروح بجزء أو أجزاء من البدن ولو كان رمياً أو داخل في بنية حيوان وقع العذاب عليهما معاً وهو قول أكثر المسلمين . ثم إن الأشاعرة يقولون بأن الإعادة في الآخرة تكون عن عدم بانعدام الجسم من الوجود ثم يخلق الله تعالى بذاته ومع أعراضه في قول وهذا القول لا يتفق مع القول بأن عذاب القبر على الروح والجسد معاً إلا أن يقال أنهم استثموا بحجب الذنب فقالوا أنه لا ينفى فعلهم يقولون إن عذاب القبر يكون على الروح مع اتصالها بحجب الذنب وليسكن قال المزني من الشافعية إن عجب الذنب ينفى أيضاً فأنت ترى أن الباحثين بقولهم فيما ورد من أحاديث عذاب القبر في خلاف لا يكاد يسلم واحد منهم للآخر ونحمد الله تعالى أنهم لم يجعلوا هذه المسئلة من أصول العقائد التي يكفر منكرها ولا شك أن مذهب السلف هو الحق الذي يجب الأخذ به وهو أن تقول إن كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أمر البرزخ والآخرة حق يؤمن به ونفوض الأمر في حقيقته وكيفية إلى الله تعالى مع العلم بأن الأرواح هي التي تشعر باللذة والألم وأن الأجساد لباس لها وآلات لتوصيل بعض الذات والآلام وإي قول قلت في هذه المسئلة لا يخرجك من الدين ، فعلام التنازع بين المسلمين ،

﴿الحكمة في انزال القرآن﴾

(س ٢٢) عبد الحميد افندي السوسي في (الاسكندرية) : ماهي الحكمة في انزال القرآن الحكيم هل الحكمة بذلك التمد بتلاوته كما يقول العلماء - وهل من نص قطعي يؤيد قولهم - أو أن جملة حائناً نبيع منه (عدية بس) وتقرأه على الموقى ونكتب آياته في آنية ونحجوها بالماء ونعطها للنشفي من داء كذا أولئك قرأوا للتبرك وما هو التبرك ؟ ألم يكن هو فهم آياته حق الفهم والتأدب بادابه الكريمة واتباع أوامره واجتناب نواهيه وليتدبروا آياته كما قال جل ثناؤه أرجو الجواب على صفحات مناركم . ولستم الاجر من ربي وربكم

(ج) الحكمة من انزال القرآن مبينة في القرآن ليس فيها شبهة لمن جعلوه حرفة بل فيه الحجة واللغة على من يشتركون به ثناً قليلاً وليس فيها نص قطعي يؤيد قولهم بالتعب بتلاوته على اطلاقهم الذي يتناقضونه ولكنهم يستدلون عليه بأحاديث هم يتفقون على انها ليست نصوصاً قطعية كالأحاديث التي وردت في كون تالي القرآن يعطى بكل حرف عشر حسنة ونحو ذلك من الثواب وهناك أحاديث أخرى في وعيد من يتلو القرآن وهو غافل عن هدايته لا بد من الجمع بينها وبينها واتنا نذكر المؤمنين بشيء من الآيات والأحاديث في الحكمة والفائدة التي أنزل الله لها القرآن لأن أهل الأهواء السياسية والشمخية في مصر قد جعلوا القرآن في هذه الأيام موضعاً لأهوائهم فكل يزعم نصره ونصر حفظه والله أعلم بالصادقين . ولا نخفي على الناس آيات المناققين ومهما تكن عند امرئ من خائفة * وإن خالها نخفى على الناس تعلم

وهاك طائفة من الآيات الكريمة في حكمة تنزيل القرآن

(١) ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (البقرة ٢)

(٢) أنا أنزلناه قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون (يوسف ١٢)

(٣) الر . كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم

إلى صراط العزيز الحميد (ابراهيم ١٤)

(٤) الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً . فلينذر بأساً شديداً من لدنه

ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ما كثين فيه أبداء (الكهف ١٨)

- (٥) طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى (طه ٢٣)
- (٦) تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً (الفرقان ٢٤)
- (٧) طس — تلك آيات القرآن وكتاب مبين • هدى وبشرى للمؤمنين • الذين يقيمون الصلاة الح (التمل ٢٧)
- (٨) الم — تلك آيات الكتاب الحكيم • هدى ورحمة للمحسنين • الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون • أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون • ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين (*) وإذا تلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعهما كأن في أذنيه وقراً فبشره بذياب أليم (لقمان ٣٠)
- (٩) حم تنزيل من الرحمن الرحيم • كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً تقوم يعلمون • بشيراً ونذيراً فانعرض أكثرهم فهم لا يسمعون • وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وحجاب فاعمل أننا عاملون (فصلت ٤٠)
- (١٠) أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً (النساء ٤)
- (١١) أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين (المؤمنون ٢٣)
- (١٢) أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها الح (محمد)
- (١٣) كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب (ص ٣٨)
- (١٤) هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون الح (الاعراف ٧)
- (١٥) يأيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم الح (يونس ١٠)
- (١٦) وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين (هود ١١)
- (١٧) لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب الح (يوسف ١٢)
- (١٨) وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ومن اتبع أهواءهم من بعد ما جاءك من
-
- (*) اني لا أخشى أن تحسكون الجرائد التي تسكلم في الدين بالهوى لا بالمسلم والاخلاص مما يدخل في هو الحديث هنا

العلم مالك من الله من واق (الرعد ١٣)

(١٩) هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذکر أولو

الآل (إبراهيم ١٤)

(٢٠) وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون (النحل ١٦)

(٢١) قل نزله روح القدس من ربك بالحق لينبت الذين آمنوا وهدى وبشرى

للمسلمين (النحل ١٦)

(٢٢) ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون

الصالحات أن لهم أجراً كبيراً (الاسراء ١٧) (وفي هذه السورة آيات أخرى فيها

عبر كبرى)

(٢٣) فأنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لئلا (صريم ١٩)

(٢٤) لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك

الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون (الحشر ٩٥)

والآيات في هذه المعنى كثيرة وكلها ناطقة بأن القرآن أنزل هداية للناس وبشيراً

للمحسنين في أعمالهم ونذيراً للمسيئين وأنه عبرة وتذكرة وموعظة وشفاء لما في

الصدور أي القلوب من أمراض الجهل بالله وبما له على عباده من الحقوق ومالبعضهم

من ذلك على بعض وأمراض الأخلاق السيئة والعادات الضارة . وهناك آيات

كثيرة في وعيد المعرضين عن هدايته الغافلين عن تدبره والذين يشتركون بآيات الله

ثمناً قليلاً وكون هذه من صفات الكافرين ومن أشد ما نزل في المؤمنين الأولين

على علو كبرهم وقوة يقينهم من قوله تعالى في (سورة الحديد ٥٧) « ألم بأن الذين آمنوا

أن نخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من

قبل فطال عليهم الأمد ففقت قلوبهم وكثير منهم فاسقون » ذكر الله وما نزل من

الحق هو القرآن . قال في الجلالين إن الآية نزلت في الصحابة لما أكثروا المزاح

وقال السيوطي في أسباب النزول أنها نزلت فيهم بعد أن قدموا المدينة فأصابوا من

عيشها بعد ما كان بهم من الجهد وكانهم فترت في الصل . فهذا هو القرآن وهذا وعظه

وتربيته للمؤمنين فانظر إلى حفاظه اليوم وإلى الذين يزعمون أن من تعظيمه وتكرمه

أن يكون حافظه أمياً لا يكلف قراءة ولا كتابة ولا فهماً ولا عقلاً ولا تدبراً ولا تذكراً ولا تفكيراً بل يكلف أن يتلوه ولو بغير تجويد وإن يأكل به أوقاف الأموات ومال الأحياء ، أين هم من هدايته وأين هم عما جاء به ؟

وأما الأحاديث الواردة في القرآن فمنها ما ورد في حفظه وتعلمه وتعليمه وهذا مطلوب لأمرين أحدهما فرض عيني وهو معرفة العقائد الصحيحة والآداب الكاملة وفقه الأعمال التيمدية والدينية التي فصلت السنة كقياسها وبينت صورها ، والثاني فرض كفاية وهو تبليغه وحفظه لأجل تبليغه بلفظه على الوجه الذي أدى إليه وبمعناه في الدعوة إلى مادها إليه من العقائد والأحكام والفضائل ليكون الدين بذلك محفوظاً ولا ينسى أن الترغيب في قرأته وحفظه يستلزم الترغيب في فهمه والاهتمام به لأنهم كانوا يفهمونه بل ذلك مما يتضمنه الترغيب بلفظه . ومنها ما ورد في وعد العاملين به ووعد المرشحين عنه والواجب فهم مراد الشارع من مجموع كلامه فلا تؤمن ببعض ونكفر ببعض . وهذه طائفة من الأحاديث في ذلك

(١) عن أبي هريرة (رض) أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لا أحد إلا في اثنين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جاره فقال ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل . ورجل آناه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل . رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي والمراد بالعمل مثل ما يعمل فلان في الأولى هو العمل بالقرآن كالتدبر عليه المقابلة ورواية ابن عمر في الحديث نفسه «فقام به آناء الليل» الخ قالوا والمراد قام به تلاوة وطاعة . وفي الحديث رواية أخرى أبين في المراد وهي عند البخاري ومسلم وغيره وفيها بدل أوتي القرآن «ورجل آناه الله الحكمة فهو يعمل بها ويعلمها الناس» والمراد بالحكمة القرآن جميعاً بين الروايات

(٢) عن عثمان (رض) عن النبي (ص) قال «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» رواه البخاري وغيره وفي رواية عنه أن أفضلكم : الخ قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري : ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر والنفع الممتد ولذا كان أفضل وهو ممن عني الله سبحانه وتعالى

بقوله « ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين »
والدعاء الى الله يقع بأمور من جعلها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع وعكسه الكافر
المانع لغيره من الاسلام كما قال تعالى « فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها »
فان قيل فيلزم على هذا ان يكون المقرئ أفضل من الفقيه قلت لا لأن مخاطبين بذلك
كانوا فقهاء النفوس لانهم كانوا أهل اللسان فكانوا يدرون معاني القرآن بالسليقة أكثر
مما يدرى بها من بعدهم بالاكتساب فكان الفقه لهم سجية فمن كان في مثل شأنهم شاركهم
في ذلك لامن كان قارئاً محضاً لا يفهم شيئاً من معاني ما يقرؤه أو يترثه فان قيل
فللزم أن يكون المقرئ أفضل ممن هو أعظم غناء في الاسلام بالمجاهدة والرباط
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلاً : قلنا حرفة المسئلة يدور على النفع المتعدي
فمن كان حصوله عنده أكثر كان أفضل فلهل « من » مضمرة في الخبر بعد إن (١)
ولا بد مع ذلك من مراعاة الاخلاص في كل صنف منهم، ويحتمل ان تكون الخيرية
وان اطلقت لكنها مقيدة بناس مخصوصين خوطبوا بذلك وكان الائق بمجالهم ذلك،
أو المراد من المتعلمين من يعلم غيره لامن يقتصر على نفسه، أو المراد مراعاة الحيثية (٢)
لان القرآن خير الكلام فتعلمه خير من متعلم غيره بالنسبة الى خيرية القرآن
وكيفما كان هو مخصوص بمن تعلم وعلم حيث يكون قد علم ما يجب عليه عينا اهـ

(المنار) هذا كلام الحافظ في معنى الحديث وفيه بيان مراد الثوري بتفضيل اقراء
القرآن على الجهاد اذ لا يمكن أن يكون من لا يفهم القرآن ولا يفيد الناس احكامه
كالمجاهد في سبيل الله فانظر اين هذا من زعم بعض الناس أن امثال الحفاظ للالفاظ
في مصر أفضل من المجاهدين بالاجماع فما أجراً الناس على دعوى الاجماع بغير علم
اعتماداً على ان العامة تقبل منهم كل قول بغير دليل

(٣) عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم
وعملكم مع عملهم ويقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم » أي لا تنفذهم قلوبهم ولا

(١) اي ان التقدير : ان من أفضلكم : وكثيراً ما يطلق اسم التفضيل على تقدير من
كحديث « خيركم خيركم لاهله » (٢) أي انه أفضل من حيثية لتعليم لامن كل جهة

يَتَفَعَمُونَ بِمَا تَلَوْنَهُ مِنْهُ « يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ » الخ رواه البخاري (٤) عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :
 « الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالْأَرَجَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ وَالْمُؤْمِنُ
 الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالثَّمَرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحُ طَاءٍ وَمِثْلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي
 يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا سُرٌّ وَمِثْلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ
 كَالْخِطَلَةِ طَعْمُهَا سُرٌّ أَوْ خَيْثُورِيحُهَا سُرٌّ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَنْتَ تَرَى أَنَّهُ جَمَلَ
 الْمُؤْمِنِينَ قَسَمَيْنِ قَسَمًا يَقْرَأُ وَيَعْمَلُ بِمَا يَقْرَأُ وَهُوَ النَّافِعُ لِنَفْسِهِ وَلِقَوْمِهِ أَوَّالُ الَّذِي هُوَ طَيِّبٌ
 فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ وَقَسَمًا يَعْمَلُ بِهِ وَلَكِنْ لَا يَقْرَأُ وَهُوَ الطَّيِّبُ فِي نَفْسِهِ وَبَاطِنِهِ وَإِنْ
 كَانَ لَا يَنْتَفِعُ بِظَاهِرِهِ وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَسَمًا آخَرَ وَهُوَ الَّذِي يَقْرَأُ فَقَطُّ بَلْ
 عَدَّ هَذَا مِنَ الْمُنَافِقِينَ « فَانْظُرْ أَيُّنَا عِلْمُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عِلْمِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
 يَقُولُونَ إِنَّ حِفَاطَ الْأَلْفَاظِ الَّذِينَ لَا يَقْصِدُونَ بِهَا الْإِهْتِدَاءَ وَلَا الْإِرْشَادَ بَلِ الْكُتُبِ
 وَالِاسْتِجْدَاءِ أَئِمَّةٌ فِي الدِّينِ وَإِنْ مِنْ إِهَانَةِ الْقُرْآنِ أَنْ يَقَالَ أَنَّهُمْ يَحْتَاجُونَ مَعَهُ إِلَى
 الْعِلْمِ بِالْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ أَوْ شَيْءٍ آخَرَ ... أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الزَّمَانِ ، الَّذِي عُبْتُ
 فِيهِ الْجَاهِلُونَ بِالسُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ ،

(٥) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَفِينَا الْأَعْرَابِيُّ وَالْمَعْجَمِيُّ فَقَالَ « اقْرَءُوا فَكُلُّ حَسَنٍ وَسَيِّئٍ
 أَقْوَامٌ يَقِيمُونَهُ كَمَا يَقَامُ الْقُدْحُ يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي شُعَبِ
 الْإِيمَانِ « وَالْمَعْنَى أَنَّ الَّذِينَ يَجْبُونَ مِنْ بَعْدِهِ يَقِيمُونَ ظَاهِرَ اللَّفْظِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ لِأَقَامَةِ
 عَقَائِدِ الدِّينِ وَأَحْكَامِهِ وَهَدَايَتِهِمْ بِهِ فَهَمُّ كُلِّ ذِي قُدْحٍ يَقُومُ الْقُدْحُ وَهُوَ بِالْكَسْرِ السَّهْمُ الَّذِي
 لَا رِيشَ لَهُ وَلَا نَصْلَ فَلَا تَمَكَّنُ لِلْمُنَاضِلَةِ بِهِ « وَمَعْنَى يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ يَطْلُبُونَ الِاتِّفَاعَ
 بِهِ وَالْإِجْرَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ « وَهَذَا الْحَدِيثُ يَصْدُقُ عَلَى الْقُرَّاءِ لِأَجْلِ
 الْكُسْبِ فِي هَذَا الزَّمَانِ وَأَوْضَحَ مِنْهُ الطَّبَقَاتُ عَلَيْهِمُ الْحَدِيثَ الْآتِي

(٦) عَنْ حَذِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اقْرَءُوا
 الْقُرْآنَ يُلْحُونَ الْعَرَبُ وَأَصْوَاتُهَا وَأَيَّاكُمْ وَلُحُونَ أَهْلُ الْعَشَقِ وَلُحُونَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ
 وَسَيِّئٌ بَعْدِي قَوْمٌ يَرْجِعُونَ الْقُرْآنَ تَرْجِيعَ الْغَنَاءِ وَالنُّوحَ لَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ

مقتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم» رواه البيهقي في شعب الايمان وروين في كتابه. والذين يعجبهم شأنهم هم الذين يطربون بقراءتهم أو يستأجرونهم لها والذين يرون الفضيلة والخدمة للاسلام في تكثير سوادهم وشدة احترامهم

(٧) عن جابر (رض) مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم «اقرأوا القرآن وابتغوا به الله تعالى من قبل ان يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه» رواه أحمد وأبو داود

(٩) عن عبد الله بن عمر (رض) قال قال رسول الله (ص) «اقرأ القرآن ما نهاك فان لم ينك فليست تقرؤه» رواه الديلمي في مسند الفردوس

(٨) عن عمران بن حصين قال قال رسول الله (ص) «اقرأوا القرآن واسئلوا به الله قبل ان يأتي قوم يقرءون القرآن فيسألون به الناس» رواه أحمد والبيهقي والطبراني

(١٠) عن صهيب (ض) مرفوعا ما آمن بالقرآن من استحل محارمه: رواه الترمذي

(١١) عن أبي هريرة (رض) مرفوعا «من اخذ على القرآن اجرا فذاك حظه من القرآن» رواه ابونعيم في الحلية

(١٢) عن بريدة (رض) مرفوعا «من قرأ القرآن يتأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم» رواه البيهقي

(١٣) عن أبي الدرداء (رض) مرفوعا «من اخذ على تعليم القرآن قوساً قلده الله مكانها قوساً من نار جهنم» رواه البيهقي وابو نعيم في الحلية والطبراني بلفظ آخر والروايات في القوس متعددة وكان اهدي مقرأ قوساً فأخذها

(١٤) عن ابن عباس (رض) مرفوعا: «من اخذ على تعليم القرآن اجرا فقد سجل حسنة في الدنيا والقرآن يحاجه يوم القيامة:» رواه ابونعيم

(١٥) حديث أبي هريرة المرفوع في الثلاثة الذين هم اول من تسجروهم النار وفيه أنه يقول الله تعالى يوم القيامة «تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن» وان الله تعالى يقول له «كذبت انما تعلمت ليقال إنك ظالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ» ثم يسحب على وجهه ويبقى في النار. والاحاديث في العمل بالقرآن وابتغاء وجه الله تعالى به كثيرة ومنها ما فيه ترغيب في البكاء فكنتي بهذا القدر ونذكر جملة في ذلك من سيرة السلف الصالح الذين كانوا مهتدين بالكتاب والسنة. جاء في كتاب احياء علوم الدين الفصل الآتي

حجج في ذم تلاوة الغافلين

قال أنس بن مالك رب نال للقرآن والقرآن يلعنه وقال يسيرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وقال أبو سليمان الداراني الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن وقال بعض العلماء إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرأ قيل له مالك ولـ كلامي وقال ابن الرماح ندمت على استظهار القرآن لأنه باخني أن أصحاب القرآن يسئلون عما يسئل عنه الأنبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون ونهاره إذا الناس يفطرون وبحزنه إذا الناس يفرحون وبكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكيناً ليناً ولا ينبغي له أن يكون جافياً ولا ماريّاً ولا صياحاً ولا صخاباً ولا حديداً وقال صلى الله عليه وسلم «أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها» وقال صلى الله عليه وسلم «اقرأ القرآن ما نهاك فإن لم ينهك فاستقرؤه» وقال صلى الله عليه وسلم «ما آس بالقرآن من استحل محارمه» وقال بعض السلف إن العبد ليفتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها وإن العبد ليفتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقليل وكيف ذلك فقال إذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والالعتة وقال بعض العلماء إن العبد ليلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول «ألا لعنة الله على الظالمين» وهو ظالم لنفسه «ألا لعنة الله على الكاذبين» وهو منهم وقال الحسن إنكم أنخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملاً فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحلها وإن من مكان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فأنخذوا دراسته عملاً إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما لقد عشنا دهرنا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجلاً يؤتى أحدكم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما أمره ولا زاجره ولا

ما ينبغي أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التوراة يا عبدي أمتسحي
مني يأتبك كتاب من بعض اخوانك وأنت في الطريق تمشي فتسدل عن الطريق
وتقعد لاجله وتقرؤه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي
أنزله اليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتأمل طوله
وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي تقعد
اليك بهض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك ونصفي الى حديثه بكل قلبك فان
تسلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أو مات اليه ان كف وها أنا ذا مقبل عليك
ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني أفجملتني أهون عندك من بعض اخوانك هـ
وأما علماء الخلاف وأئمتهم فهم متفقون مع السلف على ذلك هـ قال الامام محمد
الدين النووي في آداب حملة القرآن مانصه

(فصل) وينبغي ان لا يقصد به توصلا الى غرض من اغراض الدنيا من مال
أو رياسة أو وجاهة أو ارتفاع على اقرانه أو تناء عند الناس أو صرف وجوه الناس
اليه أو نحو ذلك ولا يشوب المقرئ إقراءه بطمع في رفق يحصل له من بعض من
يقرأ عليه سواء كان الرفق مالا أو خدمة وان قل ولو كان على صورة الهدية التي
لولا قراءته عليه لما اهداها اليه قال الله تعالى «من كان يريد حرث الآخرة نزد له في
حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤنه منها وما له في الآخرة من نصيب» وقال
تعالى «من كان يريد المجالة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد» الآية هـ وعن أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تعلم علماً مما يبتغى به
وجه الله لا يعلمه لا يصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة) رواه
ابوداود بإسناد صحيح ومثله كثير هـ الخ

وقال (فصل) ولا يتعلم الا ممن تكلمت أهليته وظهرت ديانته وتحققت معرفته
واشتهرت حياته هـ الخ ونكتفي بهذا القليل من الكثير في هذا المقام

(النتيجة) علم مما تقدم من الآيات والاحاديث واثار السلف الصالح ان القرآن
هو الهداية العظمى وان حملته وحفاظه هم أئمة المسلمين ومرشدوهم ولذلك أمر
عمر رضي الله عنه ان لا يقرئ الناس القرآن الا عالم بالمرية ليقم اللفظ فلا يسري

إليه الخطأ والغلط ويفهم المعنى فيعمل به ويعلم الناس . وقد كان المشتهرون من الصحابة باقراء القرآن أكابر علمائهم كعلي وعثمان وأبي زيد بن ثابت وابن مسعود وأبي الدرداء وأبي موسى الأشعري . وعمن قرأ على أبي ابو هريرة وابن عباس . فينبغي الاقتداء بالسلف بأن يكون حفاظ القرآن الذين يؤخذ عنهم هم الذين ينقطعون لاقتان علوم القرآن اللفظية والمعنوية فيتقنونها ولا يجوز أخذ القرآن عن الجاهلين باللغة وبأحكام الدين والمركبين للمحرمات والدنات لأنهم ليسوا عدولا يوثق بروايتهم

استطرد في حفاظ القرآن بمصر . وحادثة جديدة

جرت الحكومة المصرية على إعفاء حفاظ القرآن من الخدمة العسكرية فكثروا حافظوه لذلك وهؤلاء الذين يحفظونه لهذا الغرض لا يريدون به وجه الله تعالى كما ورد ولا يلبث الكثيرون منهم بعد سن القرعة العسكرية ان ينسوه الا من انخذه حرفة يكتسب به . ولما أُنشأت نظارة المعارف تنظم المكتاب أو الكتاتيب التي يعلم فيها القرآن أو فدت اليها المفتشين من أهل العلم المتخرجين في الأزهر ثم في دار العلوم وقد تبين هؤلاء أن الكثيرين من الحفاظ الذين انقطعوا لا قراء القرآن لا يحسنون تلاوته بالتجويد المطلوب شرعاً وأنهم على جهل ومهانة لاتليق بعملهم . وقد اقرت الحكومة في مجلس النظار الذي اجتمع في هذا العام برئاسة الامير أن لا ينفى حافظ القرآن من الخدمة العسكرية من بعد الا من يتمنح فيظهر انه حافظ للقرآن وحسن تلاوته بالتجويد الواجب شرعاً ومعلم مبادئ القراءة والكتابة التي يتعلمها الصبيان أي لا يشترط أن يكون الخط جميلاً والاملاء صحيحاً ولا ان تكون القراءة بدون لحن ، وعارف بالقواعد الاربع الصحاح في الحساب . وغرض الحكومة من ذلك فيما يظهر ان تكثر عدد الحفاظ الذين يسلحون لانشاء الكتاتيب وان يكونوا محترمين في الجملة بالارتقاء عن الامة المهضمة فينتفع الناس بهم

ومن عجائب مصر أم المجائب أن قام بعض الناس يكتب المقالات الطويلة في جريدة المؤيد ممزوة الى أزهرى مجهول يحاول اقناع الناس بأن هذا الذي قرره الحكومة إهانة للقرآن ولحمة القرآن وحبسه أن الذي يحفظ ألفاظ القرآن يجب أن يستغنى بها عن كل شيء حتى ما يهده لتجويد تلاوتها وفهم عبارتها وكتب مجهول

آخر في المؤيد في تقييح ما تريده الحكومة وجريدة المؤيد مؤيدة لهم ولها معهم حجة أخرى وهو أن من تكريم حفاظ القرآن أن يعاملوا كبعض خدمة الكنائس والادبار الذين ينفون من خدمة العسكرية وهم غير متعلمين! الوطنقوا يصورون للعامة أن هذا إهانة للقرآن وأن بعض العظماء في الأمة يذرون الدموع أسفاً وحزناً على مصاب الاسلام باخراج حفاظ القرآن من الامية والجهل بالقراءة والكتابة الى أدنى مرقاة من سلم العلم والمعرفة . وقد نشرت في المقطم مقالة مهزوة الى أحد العلماء جاء فيها أن تعلم الفنون العسكرية من فروض الكفاية فلا ينبغي أن يسداهة لاهل القرآن وإذا كان الناس لا يستفنون عن الحفاظ في البلاد والقرى ابرجعوا اليهم في ضبط القرآن وأحكامه فالجنود يحتاجون أيضاً الى الحفاظ في سفرهم واقامتهم لمثل ما يحتاج اليهم غيرهم فقام الازهري المجهول بهزأ بهذا القول الحق، يزعم أن الفنون العسكرية ليست مفروضة في مثل هذه البلاد يشير الى أن هذا الفرض سقط عن المسلمين في مصر لاحتلال الانكليز فيها وقد نسي هذا الازهري — ان كان هنالك ازهري — حكم مذهب به الذي يتلقاه هو وامثاله في الازهر في دخول الاجانب في بلاد المسلمين فأنجب ويعتقدون انه محكم يعمل به في كل زمان وهو أن الجهاد عنده يكون حينئذ من الفرائض الدينية التي يجب على كل مكلف حتى مشايخ الازهر ومجاوريه وكذا النساء في قول فان كان يعتقد أن الانكليز فتحوا هذه البلاد وملكوها وصارت في عرقه دار حرب فكيف يكتب ما عزام المؤيد اليه وان كان يعتبر الظاهر الرسمي وهو ان هذه البلاد لا تزال إسلامية وان حاكمها هو الامير عباس باشا حامي الذي ولاه عليها السلطان عبد الحميد وان البلاد دار إسلام وان الانكليز فيها معلمون ومصلحون لفساد حكامها حباً في الانسانية فكيف يزعم أنه طراً عليها ما أسقط الفرض عن مجموع أهلها حتى لا يتعدا له ؟ لعله عرض بذلك التعريض لاعتقاده أن ذلك العالم الذي كتب في المقطم لا يقدر أن يبين رأي فقهاء الازهر في هذه المسألة وينشره في المقطم أو في غيره خوفاً من الانكليز وان كان الانكليز فوق ما يظن من احترام الحرية الدينية وغير الدينية لأن نفوذهم لم يكن يمنع الناس من اظهار ما يريدون اظهاره وانما هو بالسماح لهم بذلك لانهم لا يخافون بماقته ذلك ماداموا واقفين بأن سبهم هي العون لهم على ارضاء الناس وتنفيذ ما يأمرونهم

على الظالمين الذين غلوا أيديهم عن الظلم

ماتنا ولا بحث مع الجهوليين في أمر الدين ونحن نعلم مبلغ علمهم وقاية صرامهم في كتابتهم وهذا مما نحب الأعراض عن الخوض فيه ولكن هناك أمراً آخر جديراً بالاعتبار وعرضه على ما تقدم من النصوص وهو أن الشيخ عبد الرحمن الشريفي شيخ الجامع الأزهر كتب إلى نائب أمير البلاد (قائمقام خديوي) رئيس مجلس النظر كتاباً رسمياً عن قرار من مجلس إدارة الأزهر يطلب فيه أن تعدل الحكومة عن مشروع امتحان الحفاظ بما تقدم ذكره وهذه عبارة الكتاب • بعد حذف رسم الخطاب • منقولة عن المؤيد

• فقد علمنا أن نظارة الحرية وضعت مشروعاً جديداً لتعديل بعض مواد قانون القراءة العسكرية وأنه معروض الآن على مجلس شورى القوانين وأنه يقضي بأن من يحفظ القرآن الشريف ويحسن تلاوته وليس له حرفة ولا يفتي من القراءة العسكرية إلا إذا كانت له دراية بفن الحساب ونحوه

• وحيث أن كتاب الله تعالى (القرآن) هو أفضل الكتب السماوية وهو أساس دين الإسلام • وقد انعقد الإجماع على أن حفظه والتعبد بتلاوته هو من أهم أمور الدين وأن حملته من أشرف الناس وأولاهم بالاحترام والتكريم • وأن حفظه من فروض الكفاية • وأن القائمين به كالمجاهدين في سبيل الله تعالى • وأنه أصله الأصول فكل شيء يرجع إليه ويتبعه • فهو بمفرده كاف لاحترام أهله وتوقيرهم بدون ضم شيء آخر إليه

• فلذلك وما رأيناه من ميل علماء الأزهر وغيرهم من التحرير لجانب الحكومة السنية بالناس المدول عن المشروع الجديد وإبقاء الحال على ما كان عليه قد جرت المذاكرة في هذا الشأن بمجلس إدارة الأزهر بجلسته المنعقدة يوم الأحد ٢٨ مايو الجاري فتقرر أن يرفع الأمر إلى عطوفتكم وإلى هيئة الحكومة رجاء المدول عن هذا المشروع وإبقاء الحال على ما كان احتراماً لكتاب الله تعالى وأجابة لنداء علماء الأمة • وأن لا يكون الامتحان في نظارة المعارف كما يقتضيه المشروع

فإننا اقتضى تحريره ومع الموافقة يرسل من هذا المحرر صورة إلى مجلس شورى

القوانين للعلم بما فيه أقدم اهـ

وهذا الكتاب مستند من وجوه (منها) أن عبارته كعبارة بعض الجرائد فيها ما يتقد لغة ولا نطيل في هذا . (ومنها) أن الحكومة لم تشترط في إعفاء الحفاظ من القرعة العسكرية الدراية بفن الحساب ونحوه . وإنما اشترطت معرفة ما بقواعد الحساب الأربع في الصحاح دون الكسور وهو ما يمكن تحصيله في أسبوع وأتقانه في شهر ومعرفة كمرقة الاسم والفعل والحرف في النحو بتمييز بعضها من بعض بالأجمال فإن كان العارف بهذه يعد ذا دراية بفن النحو فالعارف بالقواعد الأربع الصحيحة يعد ذا دراية بفن الحساب . والدراية هي العلم وقيل هي أخص من العلم . ثم إن المفهوم من كلمة ونحوه سائر الفنون الرياضية كالخبر والمقابلة والهندسة وليس شيء من هذا مشروطاً (ومنها) قوله انعقد الاجماع على أن حفظه والتعبد بتلاوته من أهم أمور الدين وقد علم مما تقدم أن كلا من الحفظ والتعبد إنما يكونان من مهمات الدين بالشروط والآداب التي فهمت من الآيات والاحاديث السابقة وذلك لا يتحقق الا في الحفاظ وأهل القرآن الذين ينطبق عليهم معاني الآيات والاحاديث وأقوال العلماء التي تقدمت وهي لا تنطبق على الحفاظ الاميين الذين لاحظ لهم من القرآن التحريك اللسان بها للكسب أو لهبادة فأما تحريكها للكسب فقد علمت ما فيه على أن بعض العلماء أجاز أخذ الاجرة على تعليمه بعقد صحيح وقلما يصلح لتعليم الامي المحض الذي لا يعرف ما اشترطته الحكومة في إعفاء الحفاظ . وأما التعبد بالقراءة فلا منية له على القاري بالمصحف بل صرح العلماء بأن القراءة في المصحف أفضل وروي الحديث في ذلك ، وهذا التعبد عندهم سنة لا فرض كفاية فهو من قبيل الذكر والتسبيح . فكان شيخ الازهر لا يريد الا إعفاء الحفاظ القائمين بحقوق القرآن وقليل ما هم وهو خلاف المتبادر من غرض كتابه (ومنها) قوله ان القائمين به أي بالحفظ كالمجاهدين في سبيل الله تعالى والظاهر ان هذا من المجمع عليه في رأي الشيخ وقد رأيت كلام الحافظ ابن حجر فيه وأنه لا ينطبق على هؤلاء الحفاظ الجاهلين بمعاني القرآن وإفادتها (ومنها) قوله وأنه أصل الاصول فكل شيء يرجع اليه ويتبعه : وليس حفظ القرآن من غير فهم أصلاً لأصول الدين يرجع اليه كل شيء

وأما ذلك القرآن نفسه من حيث فهمه واستنباط الأحكام منه والاهتداء والارشاد به وهؤلاء الحفظة المطلوب امتحانهم بالقراءة من غير اشتراط الصواب وعدم اللحن ليسوا على شيء من ذلك . فطام ان دعوى الاجماع على ما فهم من الكتاب غير صحيحة بل لم يقل احد من الائمة بأن امثال حفاظ الالفاظ الذين يدعى واحد منهم في مصر بانفقي لهم تلك المزاي والحقوق والاحترام الديني فالنتيجة المرادة من كتاب الشيخ المبينة وهي العدول عن المشروع احتراماً لكتاب الله تعالى لا ترتب على تلك المقدمات بل تنفيذ المشروع اقرب الى احترام القرآن وأهله من العدول عنه لان اللاتقي بحملة القرآن أن يكونوا من أهل السلم باللغة والقراءة والكتابة بل ان يكونوا أعلى من ذلك كما علم مما تقدم

ومما اتقد به الكتاب كونه بقرار من مجلس إدارة الازهر الذي يعد من مجالس الحكومة وهو مقيد بقانون ليس له أن يهداه رسمياً فكان اللاتقي ان يكون نصيحة دينية غير رسمية ان كان هناك وجه للنصيحة

ارسل الكتاب الى رئيس النظار وبعد ارساله يوم نشره المؤيد بتاريخه (وهو ٢٤ ربيع الاول) وعدده الرسمي (وهو نمرة ٦٦٧) وفي اليوم التالي لنشره اجتمع شيخ الازهر ببعض اعضاء مجلس الشورى فسألوه هل في مشروع الحكومة شيء مخالف للدين فقال لا وتذاكروا في كتابه الى رئيس النظار فقال لهم على ما نقل اليانا ان الكتاب الذي نشر وكتب لم يكن مطابقاً لما أمر هو به وانه رأى فيه بعد النشر ما لم يكن يعلم واقترح بأن ارساله كان في غير محله وبادر الى ملاقة رئيس النظار واعتذره عن ارسال الكتاب ورغب اليه في (سحبه) واهاله وحسابه كان لم يكن فقبل الرئيس منه ذلك . وكان هذا من دلائل سلامة قلب الاستاذ شيخ الجامع وحسن نيته على ان سحب الكتاب قد ساء الذين سعوا فيه وحملوا الشيخ عليه كما ساء ارساله جميع العقلاء الذين علموا ان عاقبته لا تكون حسنة وهو الآن حديث العامة والخاصة وجميع المسلمين متعضون لما صار اليه مجلس إدارة الازهر من التأثير بكلام أهل الاهواء الذين يذمون الحسنة ويدعون القبيح ومجاراتهم التي تفضي الى ما لا محمد عقباه

أثر علي بن أبي طالب

كتاب الشعر والشعراء

هذا الكتاب مشهور عند أهل الأدب المتقدمين والمتأخرين بفائدته وبشهرة مؤلفه أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أحد أئمة اللغة والأدب وصاحب (أدب الكاتب) وغيره من التأليف المفيدة المتوفى سنة ٢٧٦ وموضوع الكتاب ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى بقوله في أوله

هذا كتاب الفته في الشعر أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجد من شعره وما أخذته العلماء عليهم من الفاظ والخطأ في ألفاظهم وما سبق إليه المتقدمون فأخذوه عنهم المتأخرون . وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها إلى غير ذلك مما قدمته في هذا الجزء الأول . وكان قصدي للمشهور من الشعراء لذين يعرفهم جل أهل الأدب والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب والنحو في كتاب الله عز وجل وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأما من خفي اسمه وقل ذكره وكسد شعره فما أقل من هذه الطبقة (كذا) إذ كنت لأعرف منهم إلا القليل ولأعرف لذلك القليل أخبارا وإن كنت أعلم أنه لا حاجة بك إلى أن أسمى لك أسماء لأدل عليها بنجر أوزمان أو نسب أو نادرة أو بيت يستجد أو يستعرب ، الخ ما قاله وهذا كاف في التعريف بفضل الكتاب فهو من الكتب التي تطبع ملاكة البلاغة في النفس وتعدّها للإجادة في الشعر والكتابة . ومن مختار الشعر الذي أورده وهو يحكي عن أخلاق العرب وشهامتهم قول سعد بن ناسب

سأعمل عني العار بالسيف جالبا
عني قضاء الله ما كان جالبا
ويصغر في عيني تلاوي إذا اتنت
عيني بأدراك الذي كنت طالبا
فيالرزام وشعروا بي مقدما
إلى الموت خواصا إليه الكتاببا

إذا هم التي بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانباً
ولم يستشر في رأيه غير نفسه ولم يرض الاقائم السيف صاحباً
وقول محمد بن عمير المعروف بالمقنع الكندي

ولا أحل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقد
وليسوا إلى نصري سراغا وانهم دعوني إلى نصر أتيتم شدا
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم وان هدموا عهدي بيت لهم مجداً
يعبرني بالدين قومي وانما ديوني في أشياء تكسبهم حمداً
وقد طبع الكتاب على نفقة محمد أمين أفندي الخانجي الكتبي الشهير وهو
يطلب منه ومن إدارة المنار ونمن النسخة منه خمسة قروش صحيحة ماعداً أجره البريد
(ديوان الحماسة)

هو مجموع ما اختاره من شعر العرب أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر
الشهير وهو أشهر من نار على علم وكان الأدباء يتنافسون في استظهاره، واقتباس
جذى البلاغة من ناره، وقلمانغ شاعر أو أديب ولم يكن حفظ ديوان الحماسة أو كثرة
مطالعته من أسباب نبوغه . ولما فترت همم المتأخرين عن تآقي مثله من كلام العرب
فتر الشعر وبرد حتى صار يقف لسماعه شعر صاحب النوق وتغنى نفسه عند انشاده
واتنا نرى في زماننا هذا نهضة في احياء اللغة نشكر للوراقين اسعادها بما يطبعون
من الكتب النافعة كهذا الكتاب والكتاب الذي قبله وما سيذكر بعده . فقد طبع
الشيخ محمد سعيد الرافعي صاحب المكتبة الازهرية ديوان الحماسة طبعاً مضبوطاً
بالشكل وفسر في أدنى كل صفحة جميع الايات فيها مختصراً ذلك من شرح التبريزي
المشهور وجهله في جلد واحد بحجم أصغر من حجم المنار ليسهل تناوله على الطلاب
ويخفف حمله على المتأدبين وجعل ثمنه اثني عشر قرشاً فقط فقد اجتمع المرید المرحبان
في اقتنائه كثرة الفوائد وقلة الثمن وهو يطلب من طابعه بالسكة الجديدة بمصر

(ديوان أبي تمام)

أبو تمام من شعراء الطبقة الاولى من المولدين وجيده أعلى من جيد البحري
والمتنبي اللذين يقرنان به ولكن من رديته ما هو دون رديتهما وله لولاه حب الجناس

لما ارتكب التكلف ولما وقع في التسف فأكثر ديبته في ذلك وهو عند أكثر المتأخرين
لا يعد ردياً بل ربما فضله عشاق المحسنات اللفظية على سائر شعراء وهو على كل حال
من أهل الرعي الأول ، والذين على بلاغتهم المول ، وقد احتذاه وأخذ عنه من
بعده حتى المتبني . وكنت ترى من العجب أن الشعر ترتقي صناعته في هذه السفين
وديوان أبي تمام لا يطبع المرة بعد المرة وقد أحس بهذه الحاجة محمد أفندي جمال
البيروتي فالتدب لطبعه ورغب إلى الشيخ محي الدين الحياط أن ينشر غريبه ويضبطه
بالشكل ويصح طبعه فأجابه إلى ذلك ووضع للديوان مقدمة تكلم فيها عن الشعر بكلام
شمري أي بالتحليلات والتشبيهات وعلى البلاغة والشعر المصري وعلى وجوب التوسع
في اللغة وقبول الدخيل فيها وتعميره وختمها بترجمة أبي تمام . وقد بلغت صفحات الديوان
خمس مئة وثلاثون وثم في مصر اثني عشر قرشاً وأجرة البريد قرشان وفي سائر البلاد
٣٠ فرنكات ونصف ويطلب من طابعه بيروت ومن إدارة مجلة المنار بمصر

(ديوان ابن نباتة المصري)

جمال الدين محمد بن نباتة المصري من شعراء القرن الثامن
والادب ومدح الملوك والسكباء والعلماء وهو مشهور بالبرقة والسلاسة
ما يحب المتأخرون وخاصة المصريين فإن كلامه أحلى في ذوقهم وأدنى مر
ومن ذلك قوله في المقامط

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| يا واهماً بلامي حسبك الله | كم ذاهباً مغري القلب مضناه |
| هذا الحبيب وذو فكري وذو جلدي | في راحته فقل لي كيف أنساه |
| إني لأعلم أن الرشيد أجفاه | في تركه غير أن النفس تهواه |
| ساجي الاواظ خري مقباه | داخي الدوائب بدري محباه |
| ان كان للحب شخص فهو مهجته | أو كان للحسن لفظ فهو معناه |
| أفديه بدرا بقلب الحب غزونه | وفي السماء برغم الحب لقياه |
| لولم يكن ريقه خمرًا ومرشفه | ما عربت عينه واهتز عطفاه |

وله في شعره نكت وكنايات مما يعرف الآن بالنكت البلدية لا تسلم من المجنون

وابن حجة بطريه في الشتاء

وقد طبعه في هذه الايام الشيخ محمد القليلي وكتب له مقدمة ذكر فيها أن الذي أسعده على ما همت به رغبته وقصرت دونه يده ابراهيم بك رمزي صاحب مطبعة ومسبك النمدن . وامري أنه قد طبع طبعا جميلا على ورق جيد يليق باتقان رمزي بك وبلفت صفحات الديوان ٥٩٦ صفحة وقد جعل منه ٢٠ قرشاً ولجنتاه كفلا من الفائدة أحدها الانس بالديوان والتمتع بمطالعة وثانيهما إطاعة طابعه على أعماله الادبية التي انصرفت همته اليها، واراد رمزي بك إسعادها عليها، وهو يطلب منه ومن مطبعة النمدن بجوار طابدين

(مجلة سر كيس)

سلم اقصدي سر كيس نشأ في حجر الصحافة حتى ترعرع وشب واكتمل فذاق حلوها ومرها، وعرف وصلها وهجرها، وفارق فيها الدار والوطن، وهاجر بالاهل والسكن، فاشتغل بالكتابة في الجرائد بيروت ومصر وأمريكا ثم عاد الى مصر واختار ان ينشئ مجلة يقصر مباحثها على الافاكية والملح الادبية ففعل فجاءت (مجلة سر كيس) وحيدة في موضوعها لا يستغنى عنها في هذه البلاد بصحيفة من نوعها . واذا كانت المسائل العلمية والسياسية والاجتماعية والدينية وغيرها من حاجات اصناف من الناس قالفكاهة من حاجات جميع الناس يرغب فيها العالم والفقيه والفيلسوف والاديب والعامي والخاصي ومن ثم كان الرجاء بنجاح مجلة سر كيس قويا لاسيما اذا أصاب في ملحه ونوادره مواقع الاعجاب من نفوس أبناء هذه البلاد وهو جدير بذلك اسمه اختباره . والمجلة تصدر في الشهر مرتين وقيمة الاشتراك فيها ٦٠ قرشاً في مصر و ٢٠ قرناً في سائر البلاد

بَابُ الْحَبْلِ الْأَلْوَنِ

(حضر موت واليمن)

نلخص ما يأتي من رسالة صديق لنا في حضر موت قال
كان خروجي الى حضر موت من عدن برا لاني لم أجده مراكباً بحرياً اذ ذاك

فازددت بذلك علماً عن تلك القباني والفقار والبدو والحضر والعرب بتلك الجهات ووقفت على أحوالهم وعاداتهم وحالة الدين واندراسه ودسائس الانكليز هناك وما ينظر للدولة العلية في اليمن قطعت في سيري أرض الفضلي وهي أول دولة من دوله العرب هناك تلي انكلترا وتواليها ولها سواحل بالقرب من عدن أشهرها يسمى (شقره) ودولتها بدوية استبدادية وعسكرها هم عصبة الملك وقيلته وهم بدو حريونه ولها سياسة وادم ملكها أحمد بن حسين الفضلي وهو باسط بساط المدول والامان ومن عادته أن من سرق له شيء أو نهب من بلده يجيئه فيعطيه من خزينته عوض ما سرق أو نهب منه ويذكره هو المليون على المئتي حتى يظهر به ويسترد منه ما أخذه وله راتب سنوي من انكلترا نحو ١٣٠٠٠ روية ويسمونه (مشاهرة) وقد وقع

بينه وبين الانكليز تنافر من مدة لانه طلب سلاحاً مدافع فلم تسمح له بذلك عليه (يافع) ويقدرون ساكنيه بنحو ٧٥٠٠٠ ألفاً ويجلب منه (يصدر) الجلود والبن والورس والزعفران والذرة والقمح وغيرهما من الحبوب وهم بدو قبائل متفرقة يتحاربون ويتصالحون ولهم من الانكليز مراتب وقد أريدوا على الدخول في الحماية البريطانية فأبوا ولما قاتلوا الانكليز منذ عامين عاتبهم الباشا صاحب قحطبة من ولاية الدولة العلية

يلهم الجبال البيضاء وهي أرض ذات أنهار وخصب وأهلها بدو وهم موالون لانكلترا ولهم راتب منها - والموالون وهم دولة وقصبتهم تسمى (دثينة) وهي خصبة ذات تربة طيبة ولم يطاوعوا انكلترا ولذلك أجلت المهاجرين منهم من عدن بالسقط لما طرأوا جنوده التي وجهها الانكليز الى بلاد الموالي

يلهم بلاد الموالي وأهلها قبائل لهم دولة من غيرهم ولا نفوذ له (يريد بالدولة الحاكم) وعاصمتهم (أنصاب) وهي ذات آثار وبقرها أحجار عليها كتابات حميرية وللملكهم ورؤساء القبائل مراتب ولعلمهم (عائق باكر) الذي له نفوذ هناك حتى أنه ليجمع الزكاة من البادية وراتب شهري من الانكليز قدره ٥٠٠ روية على أنه يأخذ راتباً من الدولة العلية فهو منافق وميله القايي الى بريطانيا ولذلك يوصح نفوذها هناك أما الموالي فيقدرون عسكرهم الذي يمكنه القتال بنحو ٤٠٠٠ النب (كذا

في الاصل فان كان مراده أربعة آلاف كما هو الظاهر فلا حاجة الى كلمة «الف» بعد الرقم ويقرب أن يكون عددهم أربعون ألفاً ويبدو أن يكون أربع مئة ألفاً فكتب خطأ رجو من الكاتب إصلاحه بعد وصول المنار اليه) حدثني بذلك رئيسهم أخذنا من عددهم في الوقائع (الفروات) القومية التي حشدتهم فيها

يلي المواق الى ناحية الشرق والبحر دولة الواحدي عاصمة حبان وهي بلدة قديمة أسس جامعها سنة ٢٦٦ للهجرة وكان بها من العلماء جهابذة فصحاء وقفت على بعض قصائدهم الفصيحة التي تكاد تسيل انسجاماً وحالتها اليوم جاهلية وهي تحت حماية الانكليز وقد عقدوا عهداً على خروجه اليهم (كذا) وساحلهم بالخاف وقد أخذ نصفه أمير المكلا القميطي من أخي ملكها شراء فقامت انكلترا تمارض فيه والله يعلم هل يسلم له أم تأخذه انكلترا

(وهنا رسم الكاتب صورة تلك البلاد من عدن الى الشحر وانصاب المواق وكتب عند ذكر (الحج) ان ملكها أحمد فضل العبد قد باع أرضه من انكلترا وله راتب منها وعند (قحطبه) انها اول ولاية لدولة الثمانية وعند ذكر (الشحر) أنه عند أمير المكلا القميطي وهو داخل تحت حماية انكلترا وعند ذكر (سبا) و(مأرب) ملكهما من الاشراف وهو محالف لانكلترا وله راتب وبينهم عهود وقد أوفدت انكلترا الى تلك البلاد وفداً علمياً فقلوا رسوم الآثار والكتابات الحميرية التي على الصخور والاسطوانات الرخامية الحميرية الخ وقال ان من يشاهد نفوذ الانكليز هناك يعتقد أن الدولة العلية سيتفاد ملكها عن قريب بسعي أولئك الرجال) ونزبد قوله تعالى «وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين» فان عادوا لله مدد، عاد الله عليهم بالفضل، ثم قال على انني لم أخبركم ببعض الحيات والمراكز والقبائل فانظروا تروا انه اذا نشبت الحرب بين انكلترا والدولة فان انكلترا تأتيا من فوقها ومن أسفل منها وهذه المراكز الداخلة تحت حماية انكلترا أوفى محالفتها تسمى باليمن الاسفل الاضالع فانها من اليمن الاعلى ونفوذ انكلترا في اليمن الاسفل يمتد مسافة شهر تقريباً وتتمدد سكة حديدية تقطع هذا البر الى (انصاب) عاصمة المواق التي تم بسد ذلك في البوادي التي تحملها كنده ونهد والكرب الى السكويت ولم يدع انكلترا رأساً من رؤوس

القبائل الا واعطته مرتباً جاريّاً وكان تداخلها في هذه البلاد بواسطة واحد من أبنائها دخل البادية ونشأ فيها فهو يتكلم بلغتها وإذا دخل فيها يلبس لها لباسها الذي هو من السن الى الركبة (كذا) ورداء وعمامة وتسميه البادية (عبدالله بن منصور) وأهل البادية يتحدثون بعدل انكلترا وبدياتها التي تعلمها عليهم القسوس بعدن ولقد حرت من تقريرهم لها اذ لا يعرفون معنى الدين الاسلامي ماهو وسيكون لتلك الأثر السيئ في تلك الاقطار اذا خالط أهلها الانكليز فالعارف الدينية معدومة بالكلية حتى ان هناك الموائق السفلى والمتنالة منهم يقدرّون بنحو ٢٠٠ لا يعرفون شيئاً من الدين ونكاحهم إنما هو سبب ينهب الواحد بنت الآخر ويتزوج بها فاذا ولدت ذهب أولادها يأتون بالمقد عند أبويها وانما لتفتخر على من تزوجت بالتراضي وينكح أحدهم أخته وظلته وزوجه أيه بعدهم ولا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم والبادية كلها متساعجة بالسلاح الحديث المكتوب عليه (كارديف) و(مارتين) و(سن ايمنس) وانكلترا مشددة على الخراطوش فلا يصل اليهم الا بسد الجهد وهم يشترونه بأثمان باهظة وانك لترى اهل البوادي يتسابقون الى عدن تسابق الحياع الى القصاع والمال ينال عليهم حتى ان البدوي الذي يقنع بالروبية يعطى من المئة الى المئتين بلصة أو بخشيش ويسمونه فشع وسأخبركم بأخبار تلك الجهة على التحقيق وبما للسادة (الشرفاء) من النفوذ هنا ككون كل قبيلة لها (منصب) منهم أي رئيس روجي يعقد الصاح ويأخذ الثدور ويستغاث بجده المعروف بالولاية مكنت في تلك الجهات شهرين في حل وتراحال الى أن وافيت حضرموت وأهلها في الحملة (قبورية) وسأخبركم بحالها وبسياسة أمير المكلا فيما يأتي أما واردات المكلا خاصة فهي ٣٥٠٠٠٠ جنيه يأخذ عليها الأمير مكلا باهظاً وأما الصادر وهو التبنك والسمك وغيره فتحو ١٠٠٠٠٠ جنيه ولا تزال أساطيل انكلترا ومدركاتها تطوف بهذه السواحل تنضم الاخبار وعسى أن نوفق هنا للدعوة فانا وجدنا حزباً يوافق ما نحن عليه واناساً يعرفون المنار اكثرهم ممن يتاجرون الى جاوه ودولة المكلا (اي اميرها) غائب بالهند وسأوافيكم بما يتجدد اه المراد منه

(تنازع الدول في جزيرة العرب)

كثرت أقوال الجرائد المصرية وغيرها في عناية الانكليز بتقوية نفوذها في بلاد

العرب وقد علمنا انه جاء مصر في هذه الايام وقد من فرنسا و آخر من ألمانيا وكل منهما يريد الذهاب من هنا الى بلاد العرب مستعيناً بالمصريين فأما الوفد الفرنسي فاني من أعضائه علي أفندي زكي المصري وكيل المؤيد في باريس وصاحب المقالات الكثيرة التي تؤيد نفوذ فرنسا في بلاد العرب وقد سعى صاحب المؤيد نفسه هنا في مساعدة هذا الوفد الذي سيذهب الى الخليج العربي ويكون وكيل المؤيد في البصرة مساعد له. وأما البعث الألماني فقد استأجر من العربان هنا خمسين ذلولا واتخذ له مترجماً من شبان المصريين بأجرة كبيرة واشترى كثيراً من المصاحف المذهبة والكتب الدينية ووجهته الامير ابن الرشيد في نجد والعبرة في هذا ظاهرة لكل طاق - وسيرة الدولة العلية في بلاد العرب معروفة لأحاجة الى شرحها والامر لله العلي الكبير.

باب الانتقاد على المنار

وعدنا في آخر المجلد السابع بأن نجيب عن بعض الانتقادات التي وردت علينا في العام الماضي ولم تمكن من ذكرها والجواب عنها الان كثرة المسائل العارضة اضطررنا الى الإرجاء ولـ كننا نرجل الآن بذكر انتقاد جديد جاءنا من أحد اقرء الفضلاء الواقفين على كنه الحال في الجزائر وغيرها من مستعمرات فرنسا قال بعد التناء والتحية

«قد اطلعت في العدد الرابع من المجلد الثامن من مجلة المنار الاسلامية القراء ما ياتي : وليت المرء كشيبين يعلمون ان ألمانيا ليست خيراً من فرنسا في مستعمراتها بل هي شر منها وانهم اذا لم يستفيدوا من المناظرة بينهما بالذل والحكمة دون الاتكال على السكرامات فلا يكون دخول الالمان في بلادهم الاوبالا عليهم : وبعد ان نظرت في هذا المقال أنا وأصحابي وتأملنا فيه من جميع أركان لم نجد له إلا عظاماً عظيماً ولم نظن قبل اليوم أن أهل الفضل مثل سيادتكم يقولون كلاماً مساعداً لاهلاك خمسة عشر مليوناً من المسلمين مما هو السياسة المرئوسين انفساء»

ثم طفق يمد سيئات لفرنسا في الجزائر كهدم المساجد و غصب الارزاق ومناهضة العرب ونصر اليهود عليهم ويبرئ ألمانيا من مثل ذلك ويندكرها بالتناء وقال لا تفتروا بكلام الموسوي لوسباني وغيره مع الاستاذ الامام ولا بتجديد مدرسة لاربعة ملايين ، عدد تلامذتها عشرون ، فانه في عهد الحاكم الجديد جنار كثر الكذب والتفريروا شقريت

بعض الجرائد المصرية... بمائتي ألف فرنك لتكون عوناً له في سياسته ضد الاسلام
حول المغرب وتوليته عليه - الى آخر مقال

ونحن نخشى أن يكون فهمه سياسة فرنسا كفهمة لقيادة النار التي انتقدتها فإنه ليس
الفرض منها الا نصيحة المراكشيين بترك الغزو بالقبور وتوجيه العناية الى الاستفادة
من تنازع المانيا وفرنسا على البلاد على حد قول الشاعر العربي
تفرقت نخعي يوماً فقات لها يارب سلط عليها الذئب والضبع

فان كان يرى الفائدة في استيلاء المانيا على مراكش بغضاً بفرنسا فإنه يريد في
غيفه بما يضر المسلمين ويذهب باستقلالهم كما كان بعض المصريين يفعلون بالسمي
لدى فرنسا لخراج انكلترا من مصر ولو أخرجتها لحت محلها . فالذي نوده نحن
أن تبقى البلاد مستقلة ولكن مع سمي حكومتها وزعمائها في عمراتها والا كنا طالين
للخراب والجهل الدائمين وهو طلب لا قيمة له عند الله ولا عند الناس فالارض يرثها
من هو أصاح لعمارتها شئنا أم أبينا ، سخطنا أم رضينا ، وأما قولي ان المانيا شر من
فرنسا فهو مبني على ما كان كتب الي من مستعمرتها في شرقي افريقية كما بينت ذلك في
الجزء الخامس (ص ٢٠٠) فكيف غفل عنه

أما رأينا في سياسة فرنسا مع المسلمين في مستعمراتها فقد بيناه غير مرة وقلنا أنه
يستحيل أن يطمئن المسلمون لحكمها ما لم تمنحهم الحرية التامة في الدين والمسلم
وتساعدهم على التعليم وال عمران بالفعل لا بالقول ولا بإيها الجرائد وان سميت
اسلامية وقد سمعنا وقرأنا ما دلنا على انها قد اهتدت الى هذا الرأي فان كان ذلك
حقاً فترى حسن طاقته وان كان تمهوها كما يقول المنتقد فلا يثبت ان ينكشف ولكن
من يخلو في الانتقاد قلما يؤخذ كلامه بالقبول فليتهم هنا
(استدراك)

نقلنا في الجزء الماضي ما ترجمته جريدة اللواء عن جريدة الفلوب الانكليزية في
حادثة ترك الشيخ محمد عبده اللازم وقد سقط مما حكته الجريدة من كلام الشيخ لحدته
هذه الجملة: "ثم قال - أي الشيخ - فهل يسر الانكليز تخريجهم لهم رجالاً مستعدين يفهمون
حقوقهم ويسرفون كيف يدافعون عنها بقوة مستمدة من العلم والمعرفة ؟ " اهـ



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب

المعراج
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و«منارة» كنار الطريق)

(مصر - ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢٣ - ١٩ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٥)

فَتَكُنِ الْمُبْتَلَىٰ

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين له اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرزالي اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج فالأول مما قدمنا تأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا فيه مشترك لثقل هذا، ولأن بعضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر مرة واحدة فان لم يذكره كان منداً ناسب صعب لا غفاله

الاتصال بين الآيات والسور وجمع القرآن

(س ٢٣) اهـ بقران (روسيا) : أعرض عليكم أيها الأستاذ ما اعترض به عليّ أحد الروسيين بعد ما ترجمت له تفسير القرآن من مجلتيكم المنار الاغفر على قول الأستاذ بالاتصال بين الآيات والسور قال: ان المتفق عليه عند علماء المسلمين أن القرآن نزل الى الرسول عليه السلام مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة وأول سورة أنزلت «اقرأ باسم» على قول الاكثرين ، وهذا المصحف الذي أوله سورة الفاتحة ليس على ترتيب النزول بل جمع ورتب بهذا الترتيب في عهد أبي بكر رضي الله عنه فكيف تكون الآيات والسور متصلة مع ما يليها — على أن بعض الآيات من السورة الواحدة أنزلت بمكة وما يليها بالمدينة وبين نزولهما عدة سنين ؟ وأيضا كيف جمعوا السور والآيات على هذا الترتيب هل كان بتعيين من النبي عليه السلام أم لا؟ وهل في هذا خبر متواتر أو مشهور ؟

وأنا الحقير أجبت الروسي بقدر وسعي والآن أرفع المسألة الى حضرتكم راجياً منكم الجواب ولكم من الله الاجر والثواب

(ج) لا خلاف بين المسلمين في أن بعض السور نزل جملة واحدة وبعضها نزل متفرقاً على حسب الوقائع والأحوال وأن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي كان يجمع كل سورة عندها ويملأها على كتبه الوحي ويقرئها القارئون ولكن جمع السور كلها في مصحف واحد هو الذي كان على عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه وكتبت النسخ ووزعت على الأمصار في خلافة عثمان فملئهم هذا كان عملاً إجماعياً واثلاً متواتراً لم يختلفوا في ترتيب السور فضلاً عن ترتيب الآيات وإنما تردد عمر أولاً في جمع القرآن في مصحف واحد لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ثم وافق منشرح

الصدر وكأنه تذكر أن زمنه عليه السلام كان كله ظرفاً للوحي وانما يكون الجمع بعد التمام وقد روى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال آخر ما نزل من القرآن كله هو اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ، الآية وطاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال ثم مات فأنت ترى أن تسع ليال في المرض لا تنفع لجمع القرآن في مصحف واحد وأنه لم يكن ذلك ضرورياً فانه عليه الصلاة والسلام كان يأمر عند نزول كل آية بأن تلحق بسورة كذا ويعين موضعها ويقرئهم السورة بعد تمامها وكان عالماً بأن كل ذلك محفوظ في الصدور وفي الطروس ونحوها مما يكتب عليه ولو لم يكن هذا الترتيب متفقاً عليه لانه مأخوذ عنه صلى الله عليه وسلم بالتواتر لاختلفوا فيه اختلافاً عظيماً فلا حاجة إلى الاطالة بذكر الروايات مع هذه الحجة

وأما الاتصال بين الآيات وبين السور وما فيه من التناسب والتساقق ونكت البلاغة فهو تابع للترتيب وقد علمت أن الترتيب كان مقصوداً بتوقيف من الشارع وما كان بالقصد يراعى فيه مثل ذلك ولوربت الآيات كلها على حسب النزول لكان اتصال بعضها ببعض والتناسب بين المتقدم منها والمتأخر من مميزات العجب التي يستلزمها عن السبب اما قدرت بالقصود وبالتوقيف من الوحي فهي كلها نزلت مرة واحدة بهذا الترتيب فاعتراض الرومي على ما ذكره من وجوه الاتصال والتناسب بين الآيات مبني على الجهل بأن ترتيب الآيات كان توقيفياً على أنه لو كان من عمل الصحابة لما كان ذلك فيه غريباً الا اذا ثبت ان هذا التناسب قد انتهى في البلاغة إلى حد الإعجاز فكان بنفسه معجزاً وليس هذا بعيد فوجوه الإعجاز في القرآن كثيرة ومنها هذا الوجه الوحيد هذا وان التناسب في اتصال الآيات بعضها ببعض بين ظاهر لا تكلف فيه ولا نصف وليس هو من قيل الدطوي النظرية فيورد عليه ما أورد بل هو من الأمور الوجودية الحقيقية فليفرض ما شاء في جمع القرآن وترتيبه فهو شيء قدمضي وهذا شيء حاضر لا يمارين فيه الامكار ، واتا ان شاء الله تعالى من مجرد تفسير المتار ونطبعة على حديثه ونضع له مقدمة لشرح فيها هذه المسائل وأماها شرحاً كافياً والله الموفق والعين

*** (بلاد روسيا دار حرب أو اسلام والروسيون كتايون أم وثنيون) ***

(س ٢٤) ومنه: قد اختلف علماءنا في روسيا في دارنا هل هي دار حرب أم دار اسلام وهل الروسيون كتايون أم وثنيون؟ نرجو من جنابكم الافادة بلسان مجتكم النار. عز الله بها المسلمين وأتارها

(ج) قد اختلفت عبارات الفقهاء والمحدثين في تعريف دار الحرب ودار الاسلام فلا جرم أن الذين يأخذون العلم من الاماظ يختلفون في تطبيق تلك الاقوال على كل دار وكل مملكة فيمكن أن يقال أن بعض البلاد التي لا يوجد فيها مسلم أصلي ولا حكم فيها للاسلام لها دار اسلام بناء على قول بعضهم أن دار الاسلام هي ما يمكن المسلم اظهار دينه فيها ولا يخاف فتنة في دينه فأكثر بلاد أوروبا وأمريكا كذلك ولكنها ليست دار اسلام. وإن كثيراً من البلاد التي يحكمها مسلمون يفتن المرء فيها عن دينه فلا يقدر على اظهار جميع ما يعتقد ولأن يعمل بكل ما يجب عليه لاسيما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتخاذ الأحكام المخالفة للشرع فهي على قول بعضهم دار حرب. والذي يؤخذ من مجموع الأقوال التي يعتد بها أن العبارة هنا بظهور الكلمة ونفوذ الحكم فإذا كانت الأحكام لأهل الاسلام لا معارض لهم في تنفيذ شريعتهم وإظهار دينهم وكان غيرهم آمناً في سريرة بتأمينهم حراً في دينه بسلطتهم وحمايتهم فالدار التي هذا شأنها دار اسلام والافهي دار كفر وحرب. ولعلنا نشرح هذه المسألة وما يتعلق بها من حكم الهجرة وغيره في مقالة مستقلة. وأما الروسيون فهم أهل كتاب وإن شابت عقائدهم الوثنية وأعمالهم الشرك لأنهم يؤمنون بالله وبالوحي والأنبياء واليوم الآخر وتجد تفصيل هذا البحث في التفسير من الجزء السابع (الماضي)

عمل الفقهاء بأقوال مذاهم وإن خالفت الحديث الصحيح

(س ٢٥) الشيخ صحيح أحمد المصري إمام المسجد الكبير ببلكتة (الهند) : قد وقف بعض من ينتمي لطائفة العلم الشريف بالهند على قول الاستاذ الامام في صفحة ٣٣٦ الجزء (٩) من المجلد السابع من مجتكم الفراء في خلال يانه ترك الاهتمام بالكتاب والسنة واستبدال أقوال الناس بهما. ولكنا إذا نظرنا في أقوال الفقهاء وتسميها وخلافاتهم وعالها فالتناحار في ترجيح بعضها على بعض إذ نجد بعضها

يحتاج عليه بحديث صحيح وهو ظاهر الحكمة معقول المعنى ولكنه غير مقنع عندهم بل يقولون فيه المدرك قوي ~~واصح~~ لا يفتى به ولماذا لأن فلاناً قال : الخ فأنكر ذلك واستكبره وقال لا ينبغي لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول مثل ذلك نعم قد يترك الفقهاء العمل بظاهر الحديث لسبب من الأسباب لكن من بعد تبين السبب الموجب للعدول عن ظاهره أو عنه بالكلية كما مرسته بحديث آخر مثله في الصحة أو أصبح أو أقل منه في الصحة ولكنه مؤيد بأدلة أخرى أو بأن الإجماع أو عمل الصحابة على خلافه ونحو ذلك كما أن مالكا روى أحاديث القبض ورفع اليدين عند الركوع والرفع منه في موطنه وترك العمل بها لأنه أدرك عمل أهل المدينة على خلافها وأما ترك الحديث الصحيح بطلان فلاناً قال فواقفنا عليه في شيء من الكتب التي بأيدينا وتبعه على ذلك جميع المقلدين بكلية فلما رأيت القوم في شك من صحة قول الأستاذ الإمام وكانت غيرة الجنسية والوطنية باعثاً قوياً على الانتصار لفضيلته ولم يكن لدي ما أتصبر به لجلبي وعدم وجود الكتب اللازمة بطرقنا فلم أجدي ملجأ إلا إرشادكم لازلت ملجأً للسائلين فحررت إليكم هذا السؤال والغرض من سعادتكم أن تبينوا لنا من القائلون في مثل هذا المدرك قوي ولكنه لا يفتى به لأن فلاناً قال : من غير بيان وجه العدول عن الحديث وفي أي كتاب ذكرت هذه المسئلة واشباهها أدركونا سيدي بالجواب والأصبح علماء الهند في شك مما ينقل عن الأستاذ الإمام

(ج) إن ما قاله في تعارض الحديثين هو المذكور في كتب الأصول التي يرون العمل بأحكامها خاصة بالمجتهدين وقد صرحوا بأنه يجب على المقلد أن يعمل بقول علماء مذهبه وإن خالفت الأحاديث الصحيحة التي لا يشك في صحتها ولا يعرف لها معارضاً ثم حكموا بأن الاجتهاد ممنوع فيجب على جميع المسلمين أن يكونوا طاعة على ما دونه الفقهاء وإن رأوا فيه ما يخالف السنة الصحيحة فإن كان المعارض يشكر هذا جتهاء بنصوصهم التي لا يجملها إلا إذا كان لم يقرأ الفقه لاسيما فقه الحنفية . بل الأصراعظم من ذلك فانهم قبل منع الاجتهاد والأخذ من الكتاب والسنة قد اتخذوا لهم أحكاماً طامة جعلوها أصولاً للشريعة وقالوا إن ما يخالفها من الكتاب والسنة يحمل على النسخ أو على الترجيح أو التأويل فهم قد جعلوا الكتاب والسنة فرعاً يحمل على

غيره لا أصلاً يحمل غيره عليه كما ترى في أصول السكرخي المتوفى سنة ٣٤٠ هـ وقد ذكرنا قوله وبيننا وأينا فيه في المجلد الخامس واذكر بعض ما قاله ويراجعه هناك من يريد التفصيل قال:

(الاصل) «ان كل آية تخالف قول أصحابنا فانه يحمل على النسخ أو على الترجيح والاولى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق» : وذكر مسائل يمكن أن يحمل الآيات فيها أصلاً ويستغنى عن قاعدته مع بقا الحكم كما قال أصحابهم ثم قال :

(الاصل) «أن كل خبر يجي بخلاف قول أصحابنا فانه يحمل على النسخ أو على أنه معارض بمثله ثم صار الى دليل آخر أو ترجيح فيه بما يحتاج به أصحابنا من وجوه الترجيح أو يحمل على التوفيق وإنما يفعل ذلك على حسب قيام الدليل فان قامت دلالة النسخ يحمل عليه وان قامت الدلالة على غيره صرنا اليه» : ثم ذكر أمثلة تحكم فيها بالنسخ مع عدم العلم بالتاريخ وبالطرازة والترجيح . وكان يجب أن يجعل الكتاب والسنة هما الاصل ويعرض قول الأصحاب وأدلتهم عليهما فان وافقت وإلا تركت ومحل بالكتاب والسنة

ومن فروع هذا الاصل عند المتقدمين أنهم يحتجون ببعض الحديث على ما يوافق قول أصحابهم ويتركون الاحتجاج ببعضه الآخر اذا خالف قولهم وفي المجلد السادس من الآثار ٦٦ شاهداً على ذلك فلتراجع في الاجزاء ١٤ و ١٥ و ١٦ منه ومن راجع كتب الحديث يجد كثيراً من ذلك . وقد استقر رأي أهل التقليد المتأخرين على أن العلماء طبقات أعلاها المجتهد المطلق وهو الذي يأخذ الاحكام من الكتاب والسنة والاجماع والقياس زاد الحنفية والاستحسان وأدناها طبقة الثاقبين عن أهل التصحيح والترجيح في الاحكام المروية في المذهب وهؤلاء يجب عليهم الاخذ بأقوال من فوقهم من غير تعقيد بمعرفة دليلهم ومحرم عليهم ترك رواية المذهب لما يفهمونه من الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة وقد صرح بذلك ابن عابدين وغيره من المؤلفين فان كان المعارض ينكر ذلك ذكرنا له المبررات بنصها وان كان يعترف به فليخبرنا هل دلت عبارة التفسير على ما هو أكبر منه؟

ثم بعد هذا كله ان كان يلتمس لهؤلاء القوم عذراً في هذا فلماذا لا يلتمس العذر

لمن يجعل الكتاب والسنة هما الأصل وهو الموافق لما كان عليه السلف الصالح والائمة
المجتهدون رضوان الله عليهم أجمعين فقد نقل عن الأربعة وعن غيرهم التصريح بحريم
تقليدهم وتقليد غيرهم

(إيراد على ترك التقليد)

(س ٢٦) (ومنه): قال ذلك البعض عند قول الأستاذ في الصفحة المذكورة في السؤال
الاول: بل نحن نقول أنه يجب على ذي الدين أن ينظر دائماً الى كتابه حتى لا يختلط
ولا يشبه عليه شيء من أحكامه ولا يجوز لأحد الخ يفتهر من هذا الصنيع أن مراده
ترك التقليد بالكلية والرجوع الى الكتاب والسنة وعدم التحويل على قول أحد من
الفقهاء والائمة المجتهدين ونحن نقول الداعي الى ذلك لا يخلو عن مقصد حسن يعود
نفعه على الأمة أولاً فان كان الاول بأن كان مراده ترك المشاغبات بين المسلمين
المؤدية الى تأخيرهم في أمردنيهم وديناهم فنقول له هل أنت بعد هذا تطلق الحرية
للافكار والآراء في الاخذ من الكتاب والسنة أم تحمل جميع الآراء على اتباع رأي
نراه مطابقاً للكتاب والسنة فان قلت بالاول وهو الظاهر من صنيعك فأتينا نحن أن
تعدد المذاهب بتعدد الآراء فان اتفاق جميع الآراء على قول واحد غير معقول وان
قلت بالثاني فقد دعوت الى ما اتدبت لابطاله وان كان الثاني فقد دعا الى ذلك محمد
ابن عبد الوهاب التجدي من نحو مائة وخمسين سنة ولم يفسد ذلك شيئاً في عقائدنا مع
أما نعلم قطعاً أن اتباع الائمة الأربعة كانوا على هدى من ربهم متبعين لكتاب الله وسنة
رسوله الأماخذ عنهما فطريقه اما القياس واما الاجماع قبل ظهور هذه الدعوة وقبلها
دعوة الوهابي والحاصل ياسيدي انه لا يخفى على فضيلتكم بما ذكرنا ان الناس بطرفنا
قد اتهموا الأستاذ ومن نقل عنه بأنهم داعون الى اتباع مذهب التجدي وترك المذاهب
الأربعة فالمرجو من سيادتكم أن تبينوا لنا مراد الأستاذ بان تحيوا عن الاعتراضات
المتقدمة في قول ذلك البعض لينكشف لنا الخطأ عن خرافات هؤلاء الأعاجم جزياً كم
الله عن الاسلام والمسلمين خيراً

(ج) اما زعم المعارض انه يلزم من تلك العبارة الرجوع الى الكتاب والسنة
فهو صحيح وأما قوله « وعدم التحويل على قول أحد من الفقهاء والائمة » فهو

غير صحيح على إطلاقه وإنما المراد عدم تقديم قول فقيه على قول الله ورسوله ويمكن الجمع بين الاهتمام بالكتاب والسنة والاتفاق في ذلك بكلام الأئمة بأن تنظر في أقوالهم ولعرضها على الكتاب والسنة كما أمروا ولستين بها على فهمها فما وافق أخذنا به وما خالف ضربنا به عرض الحائط كما قال الامام الشافعي رضي الله عنه ولا نجعل كلامهم أصلاً تعرض عليه الكتاب والسنة فان وافقاه والا ولناها أو تركناها لملا باحتيال النسخ والاصل عدمه باتفاقهم .

وأما سؤال المتعرض هل نطلق الحرية للأرا والأفكار في الأخذ من الكتاب والسنة أم نحملهم على رأي واحد وإيراده على كل واحد من طرفي الترديد ما أورده فأتينا بحججه عنه بما ليس في حسباننا فنقول : لا شك أن الكلام في المسائل الخلافية وقد كان السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين يطالبون الحرية في المسائل الاجتهادية لكل أحد في المسائل العملية المتعلقة بالشخص لا بالحكومة وكانوا لا يرون ذلك موجباً للخلاف والتفريق ولا للتنازع والتقاطع كما حدث بعد التزام المذاهب والتعصب لها بل كان كل يندر الآخر فيما خالفه فيه .

وأما المسائل المتعلقة بالسياسة والقضاء لا بالأعمال الشخصية كالعبادة فكانوا يدعونها إلى الأحكام الفقهاء القادرين على استنباط الأحكام وكان هؤلاء يتشاورون في الأمر ويردون ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله بعرضه على الكتاب والسنة ثم تطبيقه على مصلحة الأمة حتى صار أئمة الجور ثم سلاطين الجهل والبيهي هم الحاكمين . والواجب الآن أن نجتمع كلمة المسلمين على المسائل الاجتماعية ونحیی روح الدين فيهم بهدي الكتاب والسنة ونطلق الحرية لكل مسلم أن يهتدي بالكتاب والسنة بحسب فهمه إن كان من أهل الفهم الذين أعدوا له عدته وأولها معرفة العربية وأساليبها وما قاله علماء السلف وأئمة الحلف ممحماً تمحيصاً وكل ذلك مدون في كتب التفسير والحديث وإن لم يكن من أهل الفهم وعرض له أمر كان عليه أن يسأل من يتق بهديه وعلمه عن قول الله ورسوله في ذلك فيرويه له ويبين له معناه كما يسأل الجاهلون الآن عن فهم علماء عصرهم في كتب مذاهبهم . وأما الأحكام المتعلقة بالسياسة والقضاء وسائر الأمور العامة فالواجب على الأمة أن تعرف الحق الواجب اتباعه فيها لتلزم به

الحكام عند القدرة على ذلك وإنما القدرة بالعلم والاعتقاد . وليس الحق الذي نهض به الأمة ان تفوض به أمرها لرجل واحد ظالماً كان أو جاهلاً يدعي انه ينتمي الى مذهب عالم معين يحكمكم به ان شاء فيسمى عادلاً أو يتركه فيعد ظالماً بل الحق ان يكون امام المسلمين ظالماً بالكتاب والسنة مقيداً باستشارة أولي الامر وهم أهل الحل والعقد الذين كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستشيرهم ويعمل برأيهم ولو فيما خالف رأيهم كما فعل في غزوة احد وكما كان الخلفاء الراشدون يستشيرون . ولا يحل للتوسع في هذا المقام وقد فصلنا هذه المسائل من قبل تفصيلاً ولعل المعترض لو اطلع على ما كتبناه من قبل في هذه المسائل لما ضاق صدره بتلك الجملة الوجيزة وطفق يستنبط منها ويصترض على ما يستنبط وسنطالعك على مقالات (محاورات المصلح والمقلد) فقد طبعت على حديثها وهي من التفصيل الذي نشرناه في المنار وصادف استحسان العلماء والفضلاء

وأما قوله انه يعلم قطعاً ان أتباع الأئمة الاربعة كانوا كذا وكذا فنقول فيه ان المنقول عن الأئمة وأصحابهم تحريم التقليد ومنعه ووجوب الاخذ بالكتاب والسنة وتستجد طائفة من هذه النقول عنهم في كتاب محاورات المصلح والمقلد ولكن لم يتبعهم في هذا كل من اتى اليهم لاسيما في هذه الازمنة المتأخرة فان كلام الأئمة الأولين صار مجهولاً حتى للمتقطنين الى السلم والاستاذ الامام يسمى في احياء كتبهم وهو رئيس جمية ألقت لهذا الغرض وأما النوام فأكثرهم لا يعرف الآن من الدين الا بعض مسائل الخلاف بين المذهب الذي يدعيه والمذهب المنتشر في بلده كاستشار مذهب المدعى ثم ان أكثرهم لا يعملون الا بقليل مما يعلمون من مسائل الوفاق والخلاف والمعارض وامثاله لا يخافون من هذا الضياع للدين ولكنهم يخافون من الدعوة الى الكتاب والسنة والاهتداء بهما بحجة الخوف على المذاهب التي لم يبق منها الا الجدل فيما بقي من دروس المقلدين الدارسة

وأما اتهام الاستاذ الامام وغيره بالدعوة الى مذهب الوهابي فهو من ضيق العطن وقلة العلم فقد أخذ المنتهصون اسم الوهابي سبعة وصاروا يهدون به الناس والاستاذ الامام لا يدعو الا الى الكتاب والسنة فمن اتبعهما فهو المهتدي عنده وعنده ناوان سمي وهابياً ومن اعرض عنهما

فهم الضال وان سمي نفسه سنياً أو أشعرياً أو حنيفياً أو شافعيّاً أو مالكيّاً أو حنفيّاً من التبدل باللقاب من لا يعرف الله ولا يرجوه بعمله وانما يرجوه من ضالة العوام الذين يشتمون كل مخالف لتقاليدهم التي ليس لهم بها من علم ان هم الا يخرصون

وجملة القول ان من يرغب عن الكتاب والسنة فقد سفه نفسه وكان برئاً من الائمة وادعى اتباعهم فاتهم حرماً والتقليد الاعمى كما ستعرفه تفصيلاً من الرسالة التي ترسلها اليك ورجوان تكتب اليها ثانية بما يشبه على المترض او عليك

﴿ خرافة في سبب تحريم الخمر ﴾

(ص ٢٢) سيد أفندي قاسم حمود في كتون أوهايو (أمريكا): داريني وفيه جماعة من النصارى حديث أفضى الى تحريم الخمر فقال أحدهم لماذا حرمت الخمر عليكم طائفة الحمديّة؟ فأجبه على حسب معرفتي وما كنت أسمعها شاملاً على السنة الطاء في سورية قبل هجرتي الى الولايات المتحدة: حرم لأجله ذبح الراهب بحيرا: قال وسم ذبحه؟ قلت أحد الصحابة الكرام قال وهل تعرف اسمه؟ قلت كلا قال ألم يعرف النبي من نجره؟ قلت نعم (لمه يريد لا) فقال الملعون في الدين لماذا لم يقتله وكيف يسكر النبي ويؤخذ سيفه من جنبه ولا ينأى بذلك؟ فضايق ذرعي ولما كان للاسلام في مشارق الارض ومزارها صوي ومنار كنار الطريق أتيتكم في عريضي هذه كي تفيدونا ما سبب تحريم الخمر ومن قتل الراهب بحيرا ولكم الاجر والثواب من العزيز الوهاب

(ج) بعد ان أرسلتم هذا السؤال وصل اليكم الجزء الخامس من المنار الذي فيه تفسير «يسألونك عن الخمر والميسر» فعلمتم سبب تحريم الخمر وانه كان بالتدريج فله يكن تأخير الجواب عن هذه الخرافة النصرانية ضائراً بعد ما علمتم الحق ومن لوازمه زهوق الباطل. أما حكاية قتل الراهب بحيرا فهي من أكاذيب الرهبان وقد سمعها لأول مرة من أحد رهبان دير قزحيا في لبنان طرقت في ليلة شاتية وكنا في سامرنا (حجرة السهر) بالقلعون فأكرمنا مشواه واجتمع عليه الصبية وكنت منهم فقص علينا قصة الراهب بحيرا ووصف من حب النبي صلى الله عليه وسلم له واصطحابه اياه وتحريمه الخمر لأجله والقصة في ذلك ان بعض الصحابة اشعروا بالراهب وخافوا غضب النبي على قتله اذاهو عرفه فكادوا له حتى سكروا مع النبي (حاشاه من ذلك فانه لم يشرب الخمر قط)

ذات ليلة فأخذ أحد المؤمنين سيف النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو نائم مستغرق وقتل به الراهب وأعادته إلى غمده فلما استيقظوا غضب النبي غضباً شديداً أن رأى حبيب الراهب مقتولا وسأل من قتله؟ قالوا من كان سيفه ملطخاً بالدم فهو قاتله فاستلوا سيوفهم فاعتقد النبي (ص) أنه هو القاتل في حال السكر (حاشا لله) فحرم الحمر لاجل ذلك وكان غرض الراهب من ذلك أن يبين لنا أن نبينا عليه الصلاة والسلام كان يحب الرهبان ويصطفهم وقد كان منا من أجاب الراهب بأن القصة كاذبة لأصل لها وما كنا نظن أنها شائعة وإن من طامة المسلمين من يصدقها ولهم أكاذيب أخرى في هذا الراهب المغمول لا يعرف لها أصل غير اختراع تخيلاتهم حتى زعم بعضهم أنه هو الذي علم النبي صلى الله عليه وسلم الدين والشريعة والحق أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير الراهب بحيرا غير صرعة واحدة في الشام وكان عليه السلام ابن تسع سنين وبيان ذلك مفصل في المجلد السادس من المنار (راجع ص ٣٩٤ منه) وحكى بعض المؤرخين من النصارى أن بحيرا قتله اليهود والصحيح أنه لا يعرف له تاريخ ولم يكن له شأن وإنما اهتم النصارى بالكلام عنه بعد أن رأوا في كتب المسلمين أنه بشر بنبوة محمد عليه السلام عند ما رآه مع عمه بالشام فحاولوا الإصرار إلى ما علمت

(ترجمة النبي (ص) في أوراق البردي)

(س ٢٨) محمد أقدي كامل الكاتب بمحكمة (أسيوط) الأهلية: اطلعت بحريشة مصر في العدد ٣٨٠٤ الصادر يوم الأربعاء ٧ يونيه سنة ١٩٠٥ ضمن الحوادث المحلية على الفقرة الآتي نصها بالحرف الواحد
«تفيد أبناء ألمانيا الأخيرة أن رئيس غرفة التجارة في مدينة هديلبرج أعطى مكتبة المدرسة الجامعة هناك مجموعة من أوراق البردي مكتوبة باللغة العربية وتحتوي هذه المجموعة على ألف ورقة خطيرة جدا يرجع بعضها إلى السنين الأولى من الهجرة وكثير من هذه الأوراق يسفر عن أمور جديدة في تاريخ سيادة الإسلام على مصر ولكن الأهم من كل ذلك هو العثور على ترجمة حياة النبي (ص) ويقال أنها ترجمة غريبة جدا وأن فيها سرا جديدا يجلو شيئا من أسرار التاريخ الغامضة» اهـ
ولما كان ذلك يوم العالم الإسلامي مرفقه والمطلع على هذه الفقرة يستشعر أمرين

(أولهما) أن وجود مثل هذه الكتابة باللغة العربية على ورق البردي الذي لم يكن معروفاً إلا في زمن الفراعنة انصح كان مما يدعو الى الظن بأن ذلك من عمل المدلسين (ثانياً) ان جريدة مصر قالت انه وجد بين هذه الأوراق ورقة فيها ترجمة حياة النبي صلعم ويقال انها ترجمة عربية جداول فيها سرا جديداً يحلو شيئاً من أسرار التاريخ الفاضلة . على ان مثل هذه الترجمة ان لم تكن موافقة لما أتى به القرآن والمتواتر بالدليل القطعي عن صاحب الترجمة صاعم فلا بد وان يكون عدم ذكر هذا السر سرا آخر تقصد به جريدة مصر الاتهام بان هناك شيء يناقض ما عليه المسلمون من العقائد فهل للاستاذ علم بتلك الأوراق يرفع النقاب عن ذلك السر الذي أشغل الالباب هذا ما نرجو الجواب عنه على صفحات المثار زادكم الله بسطة في العلم والرزق .

(ج) قد كتب الينا غير واحد فيما نشرته جريدة مصر وكان منشأ الاهتمام بذلك توهم أن كل ما كتب وقدم عهده يصير مسلماً به مقطوعاً بصحته والصواب ان ما كتبه الناس في الزمان الماضي هو كالذي يكتبونه الآن والذي سوف يكتبونه في الزمن الآتي . منه الحق والباطل والخطأ والصواب والصدق والكذب ومنه ما يكتب عن علم وما يكتب عن ظن وعن جهل . والقاعدة المقررة ان المكتوب كالمسموع لا يوثق به الا اذا روي بسند متواتر أو سند متصل يحتاج برواه ويوثق بهم للعلم بمدااتهم فما عساه يوجب في أوراق البردي المسؤول عنها من سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعرض على المعلوم من الدين بالضرورة او الرواية الموثوق بها فان وافقه كان له حكمه والاخر بناه عرض الحائط ولا زاء شبهة على المعروف عندنا بل ما عندنا يكون حجة قاطعة على ان ما في تلك الأوراق كذب لا قيمة له في التاريخ . أما الأوراق البردي فقد استعملت في الاسلام وفي دار الكتب المصرية أوراق منه اقدم ما عرف تاريخه منها قد كتب في الربع الاخير من القرن الاول للهجرة واحده كتب في اوائل القرن الرابع

أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ

حَرَّرَ النَّقْرِ

(معمونة الرحمن في مذهب أبي حنيفة النعمان)

أرجوزة في مذهب الحنفية من نظم الشيخ اسماعيل أحمد الاسلامبولي أصلاً
المصري وطناً وقد كتب الينا صاحبها « بحث في الكتبخانة مدة على منظومة في المذهب

الحنفي كالألفية في النحو فوجدت منظومات كثيرة منها ماهو أربعة آلاف بيت ومنها ماهو سبعة آلاف بيت وماين ذلك فاستضت الله وطلعت المذهب في ألفي بيت وسميتها كذا وقد طبعها بعد أن قرنها الشيخ محمد راضي والشيخ محمد نجيت والشيخ محمد عمري وتباع النسخة بقرشين في مصر بمكتبة الشيخ أحمد المليجي قرياً من الأوغر ومكة بدار دويش سليمان بالسيدة زينب الخ وهاك نموذجاً من الأرجوزة من أول كتاب الصلاة

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| فرض على مكلف وتطلب | من ابن سبع وابن عشر يضرب |
| تاركها تاركاً لا يصدر | بجسده وجهدها مكفر |
| والصلوات فرضت في خمس | فصل ركعتين قبل الشمس |
| وأربع العشا وظهر عصر | ثم ثلاثاً منرباً كالوتر |
| فالظهر من زوالها حتى ترى | ذلك مثليتك بمثل قدرا |
| والقنء لا يحسب عند القيس | ظل يرى عند وقوف الشمس |
| والعصر منه للغروب في الأفق | ومغرب منه إلى غيب الشفق |
| ثم العشا فالوتر لانفلاق | والصبح بين الفجر والاشراق |
| ولم تجز صلاة فرض أو وجوب | عند شروق واستواء وغروب |

وقد وصف الشيخ محمد راضي نظامها بالسهولة في المارة والارقة في الإشارة:

ووصفه الشيخ نجيت برقة المارة ودقة الإشارة .

حجج العقل والدين

ه قصة أدبية تاريخية موضوعها حياة موسى المشرع الاسرائيلي العظيم ومحرره
المبرانيين من عبودية المصريين وتأسيس المملكة الاسرائيلية والشريعة الموسوية
ومصادرها مؤلفها رفول أفندي سمادة صاحب مقالات سوريا والاسلام التي لم ينس
القراء ودنا عليها في السنة الماضية . حاول المؤلف في هذه القصة إقناع القارئ بأن
موسى عليه السلام قد اخترع الشريعة التي جاء بها اختراعاً اعتماديه على ما اقتبسه من
الشريعة والديانة المصرية التي تلقاها من أعظم الكهنة المصريين وأعلمهم . واتنا نقول
إذا جاز للإنسان أن يبتدع قصة يمزقها اقوالاً وأعمالاً إلى أناس مجهولين لأجل العبرة

والموعظة أو الفكاهة والتسلية فلا يجوز أن يعزو مثل هذا إلى الأنبياء وأهل الشرائع والأديان لأجل زلزلة الاعتقاد بهم أو إزائه . وقد كنا ننسجنا مما كتبه واضع القصة في الإسلام أنه لا يؤمن بدين من الأديان فحققت لنا هذه القصة ما كنا قد استبطناه من كلامه المخترع في الإسلام . ولست أعرف ما يقصد إليه المؤلف بكلامه في إبطال الأديان ومحاولة إقناع الناس بأنها وضعية مخترقة ، أيظن أن ترك الدين يرقى البشر في آدابهم وأخلاقهم التي هي منبع سعادتهم وهناء معيشتهم أم يبتغي بما يكتب الشهرة والانتظام في سلك ملاحدة الفلاسفة ؟

أكثر البشر يؤمنون بالدين ومنهم العلماء والفلاسفة وقدار ناب كثيرون في دينهم لأنهم وجدوا فيه ما لا يمكن التصديق به سواء كان منه أو عما ألحق به الرؤساء المتبعون حتى تذر الفصل بين الأصل والدخيل ولكن أغلب هؤلاء المرتابين لم ينكروا فائدة الدين الذي أنكروه ولم يستحلوا تشكيك العامة فيه . وقد قال أحد الفلاسفة الأوربيين المتأخرين قبل موته إن هذا الشيء الذي يسمونه ديناً نافع للبشر وليس عسدي من الدلائل العلمية ما يثبت ولا ما ينفيه والأولى للناس أن يثبتوا عليه

إذا أمكن أن يتربى أفراد من الأمة على الفضائل بالعمل وحسن القدوة من غير تلقين للدين بحيث ينشؤون على حب الخير واجتناب الشر فلا يمكن أن تتربى الأمة كلها أو أكثرها على ذلك وأما الدين فيصح أن يكون وازعاً عن الشر وباعثاً على الخير لجميع الناس إذا عرفوه برؤيى وجوهره وأزاحوا عنه غوائى التقاليد التي غشيتهم وعلموا أنه سار على سنة الارتقاء كسائر الشؤون البشرية فاتبعوا فيه الهداية الأخيرة التي جاء بها خاتم النبيين والا كان نافعاً للأمة دون الخاصة فهو على كل حال نافع للناس فالجهاد لإبطاله بالمرّة جناية عظيمة لا تأتي إلا عن هوى ضار

يقول رفول أفندي سمادة وأمثاله ممن صرخوا من الدين ثم انبروا لتناصك أن للدين مضرات مشهورة في افساد عقول الناس بالخرافات وحملهم على عداوة العقل والعلم التامع : ويقول عليكم بمحاربة الخرافات والالوهام ومناهضة أهلها من الأخبار والقسيسين وترية الأولاد على الاستقلال ودعوا الأنبياء وأصول تعاليمهم النافعة أن كنتم تحبون أن تهيدوا الناس والأفانم للشهرة الضارة تطلبون

(كلم القرآن)

وضع العلماء كتباً كثيرة في تفسير ألفاظ القرآن العريضة منها المطول والمختصر ومنها المنظوم وغير المنظوم وقد انبرى في هذه الايام محمود أفندي شكري كاتب السر في مديرية المنيا لوضع كتاب في ذلك امتاز على غيره بوضع كلم القرآن على حديثها مفصلاً بينها وبين تفسيرها بخط عمودي ورتبه على ترتيب السور واعتمد في تفسير الالفاظ على كتب اللغة غالباً وقد طبع الكتاب في مطبعة المنار طبعاً جميلاً بلغت صفحاته ١٩٢ وهو يطلب من مؤلفه في المنيا

(الفصول البديعة في أصول الشريعة)

كتاب جديد وضعه محمود أفندي عمر الباجوري لخص فيه كتاب جمع الجوامع المشهور وضم الى ذلك فوائد أخرى فالفصل الاول في العقيدة وهي جمل وجيزة على الطريقة النظرية التي جرى عليها المتكلمون والفصل الثاني في مقدمات أصول الفقه وسائر الفصول الى التاسع في مباحث الأصول والفصل العاشر في اصول ومسائل ادية وفلسفية . وصفحات الكتاب تناهز المئة وثمة اربعة قروش ولعله يكون مرغباً للمتخرجين بالمدارس المصرية في النظر في علوم الاصول الاسلامية لاجل الوقوف على تفصيل ما اجمله هذا المتن الوجيز .

(الدروس الابتدائية في المبادئ الجغرافية)

كتاب يندل اسمه على مسماه اودعه مؤلفه سيدا قنديل محمد ناظر المدرسة التحضيرية ما تعلمه تلاميذ المدارس الابتدائية في السنة الاولى حسب قانون المعارف . وقد راج هذا الكتاب في المدارس الاهلية لسهولة وحسن وضعه فأعاد المؤلف طبعه في هذا العام وزينه بالرسوم التي تشوق التلميذ وتعين الأستاذ على التعليم

(هداية الطلاب إلى حل مسائل الحساب)

عني بوضع هذا الكتاب عبد المزين أفندي وعلي أفندي صبحي المستخدم في دار الكتب المصرية (الكتبخانة الخديوية) وقد طبع الجزء التحضيري منه وهو يشمل على مسائل محلولة وغيرها وقوانين عمومية لتلاميذ السنة الاولى والثانية من المدارس الابتدائية حسب آخر بر وجرام قررته نظارة المعارف العمومية . وسيتلوه الجزء الثاني لتلاميذ السنتين الثالثة والرابعة ولا شك ان هذا الكتاب يعين التلاميذ على اتقان الحساب بالسهولة فتحتم على مطالعته وهو يطلب من مؤلفه وثمان النسخة منه ١٥ ملماً

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك انطفاء فتنة نجد واستقرار الامر في آل سعود

قد علم القراء عما قصصنا عليهم من قبل أن ابن رشيد الذي كان متعلباً على بلاد نجد جار وظلم معتمداً على أن الدولة تؤيده وتصره بما كان يوهما من أن آل سعود الوهابية يريدون محو سلطتها من بلاد العرب وهو الذي يؤيد نفوذها وكان هو وانصاره يستمينون على ذلك بعض رجال الحكومة في البصرة والشام والحجاز وبعض الجرائد المصرية التي توصف «باسلامية» فقد حاول هؤلاء الانصار إقناع الأستاذ أويلدز بأن آل سعود متفقون مع الاجانب على عليكم بلاد نجد وما كانوا ينطقون ولا يكتبون الا بأجرة عظيمة يأخذونها من بعض كبار التجار الاغنياء المشايخين لا بن رشيد فكانوا يوقعون الفتنة بين المسلمين ويهشون دولتهم وسلطانهم حباً في منفعة أنفسهم . ولما تمكن اهل البصرة والتجدة من امراء العرب وغيرهم من إقناع الدولة العلية بخضوع آل سعود لها وبعدهم عن الفتن والاستظهار بالاجانب لشدة تمسكهم بدينهم عمدت الدولة الى التحقيق فأرسلت المشير أحمد فيضي باشا الى نجد ليدعوا أهل البلاد النجدية ورؤساء القبائل الى الطاعة ويتبين هل هناك جنود اجنبية كما زعم الواشون فأجيبته دعوته وعلم ان آل سعود هم المخلصون الصادقون وان ابن الرشيد وانصاره هم الفاشون المخادعون

فحصر سلطة ابن رشيد في بلده وعشيرته وجعل عبد الرحمن الفيصل أمير سائر بلاد نجد وقبائلها فاستراحت الدولة بذلك من الدسائس والفساد التي كانت تسري الى بلاد نجد من مصر وغيرها فالشيخ عبد الرحمن الفيصل وولده عبد العزيز آل سعود لا يعرفان غير بلادهم وسلطانهم ولا علاقة لهم بمصر ولا غيرها ولا يبالون بصت العاشقين ولا بدسائس المفسدين . واتنا نشر هنا ما جاءنا من بلاد العرب من صور الرسائل التي أرسلها المشير أحمد فيضي باشا الى أهل نجد المتهمين والى الأستاذة وولاية البصرة لان هذه رسائل رسمية قاطعة لاسنة الفسدة من أصحاب الجرائد الكاذبة في مصر وغيرهم

كتاب المشير أحمد فيضي باشا إلى عنيزة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

نحمد الله الواحد مستوجب الفكر والحمد ، مالك الامر من قبل ومن بعد ،
والصلاة والسلام على نبينا الذي أرسله بالهدى ودين الحق ، وعلى آله وأصحابه وأولياء
الخط ، وبعد فإن خليفة الله في الآفاق ، الثابت اليعة في الاعناق ، مصباح مشكاة
الخلافة ، مفتاح باب الرحمة والرأفة ، ولي الامر بالنصوص على طاعته بلسان الذ كر
المحكم ، سلطان البرين والبحرين عنوان الشرف والاقدام ، أمير المؤمنين ، حامي حوزة
الدين ، إمام الاسلام والمسلمين ، مظهر العدل والإحسان ، مصدر العطف والامتنان ،
حضرة السلطان بن السلطان ، والحقان بن الحقان ، مولانا الغازي عبد الحميد خان ،
قوى الله شوكته ، وفسح كما تهوى الشريعة مملكته ، أمرنا بالسير اليكم مع جنوده
الشاهانية المنصورة لاصلاح أحوالكم وبلادكم فامتثلنا أمره ، وعملنا إرادته العالمة
(كذا) فارتحلنا وجئناكم كما أمر دامت ذاته المقدسة سعيًا نسير فيكم بسيرة الحسنة
صونًا لكم ورعيًا ونبت الانصاف حسبما يريد فيكم ، وننضي عما سلف من وقائعكم
ومنازيركم ، ونعفو كما من شأنه العفو عن الكثير ونرفع اعلام الاصلاح بين شعوبكم
وقبائلكم ، ونوصل وسائلكم لباب النجاح على حسب منازلكم ، ولا تحسبوا عدتنا
لاراقة دم ، ومؤاخذه بما مضى وتقدم ، فارقدوا أمانا ، وأطيعوا أولي الامر منا ،
وتدبروا « إن أحسنتم أحسنتم لانفسكم وإن أسأتم فلها » وسابقوا لمرضاة ، وتقربوا
من الطافة ، أيها المسلمون ، « السابقون السابقون أولئك المقربون » أنا لا نقضي فيكم
بسوى الكتاب والسنة ، ولا نولي أعمالكم من تشب به فارقتة ، بل نولي عليكم
من تحمدون ولايته ، وتقبلون بأحكام روايته ، فادخلوا تحت رواق صفح الملك فقوه
ممدود السراقد ، وولوا ركنه الشديد واستظلوا بطود حلمه الشاهق ، واستقبلوا الإنعام
والفي ، واعتصموا بعروته الوثقى « وذرُوا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم
سيجزون بما كانوا يفترون » ولا تتبعوا المجرمين ليذكروا فيكم » وما يذكرون الا
بأنفسهم وما يشعرون » عجّلوا بالجواب النصاب ، وأرسلوا من تعتمدون عليهم لاجل
المواجهة والاستقبال ، ولهم منا الرأي وأمان الله فلا يحصل عليهم سوء ولا مكروه ،
فاغتمدوا وبالله الاعتماد ، والسلام على من سبح في كفه الجماد ، والسلام

(الامضاء)

في ٣٠ المحرم سنة ١٣٢٣

وكتب المشير مثل هذا الكتاب لبريدة وذلك بعد أن فتح المعاهد التي زعم ابن رشيد أن فيها عسكراً من الأجناب وكان مقامه حينئذ في (القوارة) على مسافة يوم ونصف من عنيزة ويوم بل بعض يوم من بريدة وكتب امضاءه مأموراً بصلاحات القسم مشيراً وقد جاءه الجواب ناطقاً بأنهم لم يكونوا عاصين للدولة فيطيعوا الآن بل هم طائعون من قبل ومن بعد ولكن الدولة ألبستهم ثوب العصيان بغزو ابن رشيد وأرسل كل أمير مستمداً من قبله لمواجهة الوالي وكشف الحقائق فأكرمهم وخلق عليهم ولما رأى ما يحاولون من خطوط الأصرار شد رحله ونزل بريدة فواجهه أمير البلد صالح بن حسن المينا فكساه وعاهده وأقره على بلاده وترك عنده خمسين جندياً ولواء عثمانياً ثم رحل إلى عنيزة فواجهه الأمير عبدالعزيز المبداهة السليم فلقى منه ما لقي ابن مهنا من اللطف والاکرام وكان كتب إلى عنيزة الكتاب الآتي جواباً عن كتابهم إليه

(الكتاب الثاني من المشير إلى أهل عنيزة)

إلى كافة أكابر وأصاغر أهل عنيزة : الحمد لله ولي الأحسان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بعث الله رحمة لأكوانه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد وصل إلينا متمدكم عبدالله بن محمد القاضي وصحبه المضبطة المهردة من طرفكم وعرض طاعتكم وانقيادكم لاوامر حضرة أمير المؤمنين فصرنا نحن ونحنين لذلك ، وحدثنا الله على ما هنالك ، ثم نحن يناله مقصودنا ، وعرفناه كما كتبنا لكم سابقاً مطلوبنا ، وهو سيصل إليكم ، ويكشف الحال لديكم ، وطلب منا متمدكم المشار إليه لكم الأمان والمقو مما سلف وعدم تولية ابن رشيد عليكم فلکم أمان الله وقد عفونا عما سلف ولا تولي ابن رشيد عليكم ولا نهكم بغير أحكام الشريعة ليصير معلومكم والسلام ،

٤ صفر سنة ١٣٢٣ (الامضاء)

وقد أطاع المشير أمراء نجد على ترجمة ما أرسله إلى الأستانة وإلى ولاية البصرة في ذلك وهو كما جاءنا من البلاد العربية

(ترجمة الرسالة البرقية التي أرسلها المشير إلى باشكاتب الماين الهمايوني)

بمقتضى تعليمات حضرة خليفة رسول من خصوص أهالي القسم قد عفا الله عما سلف منهم أو قد أطاعوا وأتقوا لاوامر الدولة العلية والجميع لاؤموا الدعوات

بزيادة ودوام عروشكة سلطتنا العظم فبناء على هذا فالذين كانوا بالبصرة وأعزموا
الى استنبول محمد الشيلبي ومحمد وعبدالله الشيلبي قد استرحم أقرباؤهم الذين ساكنين
في عنيزة المستظهرين للنفو العمومي ان يشغلهم هذا النفو فاعفوا عن الموصي اليهم
واعيدوهم الى البصرة وبشروهم بالنفو كي يوجب المسرووية وهذا المسترحم منكم
(الامضاء)

وقد كتب رسائل أخرى الى والي البصرة وقومندان موقسها العسكري بالنفو
عن أهالي القصيم والامر باطلاق المحبوسين ومساعدة المتجربين وهذه ترجمتهم لها
ترجمة الرسالة الاولى

الى قومندان البصرة صاحب السعادة حضرة الافندي
من جملة أهالي القصيم آل الشيلبي وسائرهم حيث استفادوا من النفو العمومي
فلبداوموا على أمور تجارتهم وقضاء مصالحهم ومن سكنة ولاية البصرة سليمان الشيلبي
وأولاده وأعوامه فلا يتعرض لهم أحد بسوء ومن طرقتكم أيضاً ابدلوا لهم التأمين
ولا تخلون أحدا (اي لا تدهوا احدا) من أتباع ووكلاء ابن رشيد يتعرضهم بسوء من
(التوقيع)

سبب المادة السابقة ولأجل البيان حرر هذا الامر

(ترجمة الرسالة الثانية)

الشيلبي محمد السليمان بحسب وصول العساكر الشاهانية الى القصيم ابرز من حسن
الخدمة في طرفنا والدم الذي في البصرة ووكلائه في دائرة الاصول أجروا في حقهم
رعاية مخصوصة وأشغالهم الذي تقع في الحكومة تأمرون بنائيتكم بترويجها (التوقيع)
(المنار) هذا ما كتب اليانا من البلاد العربية بنصه وقد سرنا أن الدولة وفقها الله
أرسلت الى نجد هذا الرجل الذي سلك مسلك الحكمة وحفظ كرامة الدولة وحقن
دماء المسلمين وأنام الفتنة التي كان يقظها ابن رشيد وهذا ما كنا أشرفنا به وتمنيناه
وليتمها وقتئذ مثل ذلك في اليمن قبل استفحال الفتنة واشتعال نيران الثورة ، ولكنها
لم ترسل الى اليمن الا أهل السلب والنهب المبرورين بقوة الدولة على رعيها وان
الولد الذي يربي بالقسوة والظلم لا ينشأ الا طاقا ينتظر الفرصة للانتقام من صريته
فلبت محال الدولة القساة في سوريا وغيرهم يفهمون هذا القاعدة الطبيعية

مسجد لائحة المساجد وما اتخذ منها

واضع هذه اللائحة ومقترح إصلاح المساجد معروف وهو الاستاذ الامام فانه
بمعد ان صار عضوا في مجلس الاوقاف الاعلى واشرف على احوال هذه المصلحة
الاسلامية العظيمة رأى ان غلات الاوقاف تزيد عاماً بعد عام وان مرتبات المستخدمين
في هذه المصلحة عظيمة تضاهي نفقات مصالح الحكومة ورأى من ناحية ثانية ان
المساجد التي أوقفت عليها الاوقاف العظيمة مهملة والمستخدمين فيها من الائمة والخطباء فمن
دونهم لا يرضخ لهم الا بالقليل جزاء على خدمتهم فمنهم من راتبه خمسون قرشاً في الشهر
ومنهم من يعطى أقل من ذلك والامام أو الخطيب الذي يرتقي راتبه إلى مئة قرش
أو يزيد قليلاً بعد من ذوى الطبقة العليا ورأى هذا المصالح ايده الله بروح منه ان
أكثر المستخدمين في المساجد لا يقدر على أداء وظائفهم على وجهها وان استبدال
القادرين بالمعجزين متمذر مع قلة الرواتب اذ ينبغي أن يكون الامام والخطيب من
أهل العلم والحلاد منقطعاً لا يخدمه قادراً عليها ولا يكون هذا مع قلة المرتبات

أحال هذا المصلح النبور قداح الفكر في هذه المسألة فرأى ان السبي في إصلاح
حال المساجد يستتبع إصلاحاً آخر وهو خدمة العلم والاعانة عليه بإيجاد مورد
جديد لرزق أهل الازهر يرغب الناس في طلب العلم ذلك ان أول ما يهيم الانسان
في هذه الحياة الدنيا أمر رزقه ويرى الناظر في تقلب الزمان أن الاقوات تغلو في
هذا البلد حتى ان عن أكثر الاشياء قد تضاعف في زمن قليل فاذا استمرت هذه
الحال في مصر كان المقام فيها عسيراً على غير الموسرين وقلت الرغبة في طلب العلم
بالازهر وهذا ما بحث المصالح على البحث عن احوال المساجد والمستخدمين فيها
ووضع تلك اللائحة التي اشتهر أمرها وإنني أثبت هنا نص لائحته التي وافق المجلس
الاعلى على تنفيذها بعد البحث والتعديل ثم أوقفت بأمر الأمير في العام الماضي وتبعها
بما أخذ منها وصدر الأمر في هذا العام بتنفيذه وهو

مسجد اللائحة الاولى

(المادة الاولى) ان هذا الترتيب لا يترتب عليه رتبة احد من وظيفته الأبقائه او وقوع
أمر يستوجب رفته حسب الجاري كانه لا يقتضي الاخلال بشي من اختصاصاته المالية

الباب الأول في ترتيب الخدمة

- (المادة الثانية) توحد الامامة في جميع المساجد ماعدا الجامع الازهر والمساجد التي فيها عدة اماكن يمكن اعتبار كل منها مسجداً مستقلاً ويجب في هذه الحالة ان يؤدي الصلاة احد الائمة بعد الآخر ولا يجتمع امامان للصلاة في آن واحد الا اذا اختلفت الاماكن بحيث لا يشوش احدهما على الآخر ومع ذلك فتعدد الائمة لا يستلزم تعدد الائمة بل لا يكون ذلك الا للضرورة
- الامام هو رئيس المسجد في جميع شؤون ماعدا المساجد التي فيها دروس منتظمة مثل الازهر وما يلحق به مما يكون له شيخ خاص يديره من حيث هو مدرسة
- (المادة الثالثة) يقوم الامام بوظيفة الخطبة والمساجد التي تتعدد فيها الائمة وهي المذكورة في المادة الثانية يقوم بالخطبة أوفر الائمة راتباً فان تساوا في الراتب قدم اقدمهم في وظيفة الامامة
- (المادة الرابعة) توحد وظيفة المؤذنين في كل مسجد الا عند تعدد المآذن فيكون لكل مأذنة مؤذن واحد لجميع الاوقات
- (المادة الخامسة) يبين ملاحظ في المساجد التي يري لزوم وجود ملاحظ فيها وهذا الملاحظ يكون رئيس الخدمة وعليه القيام بمراقبتهم في جميع اعمالهم تحت رئاسة امام المسجد
- (المادة السادسة) اعمال الميقاتية تضاف الى المؤذنين
- (المادة السابعة) يضاف عمل المبلغين الى المؤذنين وفي مساجد القسم الرابع التي لا منارة فيها تكون قراءة السورة على المؤذن
- (المادة الثامنة) العمل الذي يؤديه الآن المرقى والمستقبل بموضع يسير عنه شرعاً بالاذان الثاني ويحول على المؤذنين
- (المادة التاسعة) تالي القرآن في المسجد يعطى ما يرتب له على سبيل الصلة
- (المادة العاشرة) ملاحظو المساجد هم عهدتها ويستثنى من ذلك بعض المساجد التي لها خزنة مخصوصون في جدول الترتيب ويدخل في وظائف الملاحظين ما كان للتنقيب
- (المادة الحادية عشرة) يدخل تحت لفظ الخدمة ارباب الوظائف الآتية ولا يقيدون

بسمية - الفراشون والوقادون والملاؤون والسقاؤون والبوابون والسعاة
وخدمة الأسبلة في المساجد وما شبه ذلك

(المادة الثانية عشرة) الوظائف الآتية لأعلاقة لها بترتيب الخدمة وليس النظر
فيها من عمل المجلس الآن - خدمة الأسبلة المستقلة عن المساجد والفقهاء والدلايلة
والساقيات ومنهدين السواقى وخفراء القبور والتربة والخدمة المختصون
بالأضرحة من جهة كونها أضرحة بأنواعهم وشيوخ البثية وقراء الرقة وكتبة النذور
(المادة الثالثة عشرة) وظيفة المبخر والبخورجي تكون من أعمال أحد الخدمة

والمبالغ المرتبة لها تكون من ضمن مرتبه

(المادة الرابعة عشرة) وظيفة الداعي «الدعجي» لا تكون مستقلة وإنما تضاف الى
عمل أحد موظفي المسجد ومرتبتها بحسب في مرتبه

﴿ الباب الثاني في المرتبات ﴾

(المادة الخامسة عشرة) أئمة الجوامع بجميع أنحاء القطر يحملون أربع درجات
الاولى ثمانية جنيهات والثانية بخمسة والثالثة بأربعة والرابعة بثلاثة

الملاحظون يكونون مجنبيين

الحزنة يكونون كذلك مجنبيين

المؤذنون ينقسمون الى أربع درجات الاولى ١٥٠ قرشاً لمصر والاسكندرية
والثانية ١٢٥ قرشاً لعواصم المديرية ومحافظات بور سعيد ودمياط والسويس
والثالثة ١٠٠ قرش لعواصم المراكز والبلاد التي عدد سكانها عشرة آلاف نسمة فما
فوق وان لم تكن عواصم مراكز والرابعة ٧٥ قرشاً لبقية القرى

سائر الخدمة يكونون كالمؤذنين ماعدا المستثنى مثل خدمة الجامع الأزهر ونحوه

قراء القرآن في الجوامع يكونون أربع درجات الاولى ٥٠ قرشاً والثانية ٤٠

قرشاً والثالثة ٣٠ قرشاً والرابعة ٢٠ قرشاً على حسب درجات الجوامع

﴿ الباب الثالث في شروط التوظيف ﴾

(المادة السادسة عشرة) الامام يشترط فيه أن يكون عالماً حائزاً لشهادة العالمية

فان لم يوجد مرشح حائز لشهادة العالمية يكتفى بشهادة الاهلية فان لم يوجد أيضاً

مرشح حائز لشهادة الأهلية ينتخب اللائق بالامتحان على حسب القواعد المتبعة الآن
(المادة السابعة عشرة) الملاحظون يشترط فيهم أن يكونوا أقوياء البنية ويفضل

أولاً من يقرأ ويكتب ويحفظ القرآن ثم من يقرأ ويكتب فقط

(المادة الثامنة عشرة) الحازن يشترط فيه أن يعرف القراءة والكتابة ومبادئ الحساب

(المادة التاسعة عشرة) المؤذنون يشترط فيهم مثل الملاحظين ولا يمنع فقد البصر

من التوظيف بوظيفة المؤذنين

(المادة العشرون) يشترط في الخدمة أن يكونوا سليمي البنية وأوجه التفضل

تسري عليهم وهي المذكورة في الملاحظين

﴿ أحكام صومرية ﴾

(المادة الحادية والعشرون) عدد الموظفين ومراتبهم في كل مسجد يكون على

حسب الجدول الذي قرره المجلس وأردق بهذا

(المادة الثانية والعشرون) إذا وجد في شروط الواقفين زيادة في عدد الموظفين

مما هو وارد في الجدول فيعطى للزائد ما هو مقرر له بشرط الواقف فقط كذلك إذا

وجد في شروط الواقفين زيادة في مراتب اية وظيفة مما هو وارد في الجدول فتعطى

الزيادة بحسب شرط الواقف

﴿ باب توزيع الملاوات ﴾

(المادة الثالثة والعشرون) يلاحظ في إعطاء الملاوات على حسب الترتيب الجديد

في كل مسجد أن لا يتجاوز مجموعها مع ما هو جار صرفه الآن مجموع ما يخصه على

حسب هذا الترتيب

يبدأ في التوزيع لكل وظيفة على الوجه الآتي

أولاً الأئمة الحائزون لدرجة العالمية أو الشهادة الأهلية أو الذين يحصلون على

أحدى هاتين الشهادتين بعد الآن

ثانياً من يقرأ ويكتب ويحفظ القرآن من الملاحظين والمؤذنين والخدمة ثم من

يقرأ ويكتب فقط منهم

ثالثاً الحازن الذي يعرف القراءة والكتابة ومبادئ الحساب

وحيث أن مبلغ الواحد عشر ألف جنيه لم يكن مقرراً فقط لمساجد القاهرة بل
 لمساجد عموم القطر فيشترط أن لا يزيد مجموع هذه الملاوات هذه السنة في مدينة
 القاهرة عن سبعة آلاف جنيه فازداد يقطع من كل وظيفة بنسبة الناقص
 اذا بقي شيء من مبلغ سبعة الاف جنيه بمسند التوزيع على الوجه المشروع فيما
 سبق فهذا الباقي يوزع على من يتلوهم ممن هم طائرون لشروط هذا الترتيب
 ومع ذلك اذا خلت في مسجد وظيفة زائدة عن المقرر في هذا الترتيب يوزع
 مرتبها لتكملة مرتبات موظفي ذلك المسجد الذين تنطبق عليهم قواعد هذا الترتيب
 من جهة العدد المرتب وشروط التوظيف

(المنار) قد تركنا الجدول الملحق بهذه اللائحة لبيان المستخدمين والمرتبات لهم على
 حسب الترتيب الجديد لانه لم يعمل به وانما العمل بالجدول الملحق بالمذكرة الآتية المبينة على
 اللائحة الاولى ولكنها دونها في الفائدة والاصلاح وهي

في مذكرة

(مرفوعة الى مجلس الاوقاف الاعلى)

يعلم حضرات اعضاء المجلس حالة خدمة المساجد وفقدهم وقلة المرتبات المقررة
 لهم مقابل خدمة هذه المحلات الطاهرة وقد ترتب على اهتمام الديوان بشدة المراقبة في
 نظافة المساجد وترتيب انارتها وأدواتها ان صار أولئك الخدمة مسؤولين عن أعمال
 كثيرة وبما كانت سبباً للتضييق عليهم عن السعي في الكسب والارتزاق من الخارج
 وقد كثرت شكاويهم لجانب المية السنية والديوان وعلى لسان الجرائد المحلية من عدم
 كفاية مرتباتهم خصوصاً مع غلاء الاسعار في الوقت الحاضر والتمسوازيادتها لمساعدتهم
 في معاشهم وبالبحت في مرتبات هؤلاء الخدمة تبين انه عددهم في مساجد مصر
 وبولاى بلغ ١٦٢٧ منهم ١٣٦٠ رواتبهم تخسر بين الخمسين والخمسة وسبعين قرناً
 فأقل وهذه ماهية لا تنفع فرداً واحداً في أمور معيشته فكيف بهم وهم ذوو عائلات

وحيث ان ميزانية الديوان وارد فيها مبلغ احدى عشر ألف جنيه لزيادة ماهيات خدمة
 المساجد ومخصص منه مبلغ سبعة آلاف جنيه لتوزيعه على مساجد مصر على الطريقة
 المذكورة في قرار المجلس الصادر بتاريخ ٨ فبراير سنة ١٩٠٤ عن ترتيب المساجد

وحيث أن هذا الترتيب صدر لنا أمر عال بتاريخ ٣١ مايو سنة ١٩٥٤ بإيقاف تنفيذها لحينما ينظر فيه بطرف جناب ولي النعم الانعم
وحيث أن ترك هؤلاء الخدمة بتلك المرتبات القليلة وهم يصيحون ويستشيون مما لا يلقى بمصلحة خيرية تجود بالكثير من أموالها في وجوه البر والخير وعلى الفقراء والمساكين وأجدر بها أن تفيض بشيء على من يقيمون شعائر الدين ويقومون بخدمة تلك المحال الطاهرة

فبناء على كل ذلك رأينا أن نضع مشروعا لعلو تلك المرتبات حتى إذا وافق عليه المجلس انقذ وارتفع الضرر نوحا عن أولئك المساكين وهاهنا

﴿ الأئمة والخطباء ﴾

حيث أن الأئمة والخطباء بالمساجد تختلف حالتهم بعضهم عن بعض فقد رؤي تقسيم مرتباتهم إلى ثلاث درجات

الاولى الأئمة والخطباء الحائزون لدرجة العالمية وماهية كل منهم أقل من جنيهرين ونصف شهرياً تكمل الى هذا القدر بشرط ان الوجود منهم ولم يكن مكلفاً بأعطاء دروس لتعليم الموام يكلف به مثل غيره لا ترفع العامة بالامور الدينية
الثانية الأئمة والخطباء الحائزون لشهادة الاهلية وماهية كل منهم أقل من جنيه وخمسمائة مليم شهرياً تكمل الى هذا القدر بالشرط المتقدم ذكره

الثالثة الأئمة والخطباء الغير الحائزين لدرجة العالمية ولا لشهادة الاهلية وماهية كل منهم أقل من جنيه واحد شهرياً تكمل الى هذا القدر

(المدرسون) المدرسون الموجودون في بعض المساجد من كان منهم ماهية أقل من جنيهرين اثنين ونصف شهرياً تكمل الى هذا القدر

(مشايخ الخدمة) هؤلاء من كان منهم مرتبة أقل من جنيه ونصف يكمل الى هذا القدر (المؤذنون) من كان منهم ماهية أقل من سبعمائة وخمسين ملياً شهرياً تكمل الى

هذا القدر ماعدا المؤذنين في المساجد الشهيرة وهي الجامع الازهر ومسجد سيدنا الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة والسيدة فاطمة النبوية والسيدة سكينة والامام

الشافعي والسايلان أبو العلا فتكون ماهية الواحد منهم جنيهاً شهرياً

(قراء السورة) هؤلاء من كان منهم ماهية أقل من مائتين وخمسين ملياً شهرياً تكمل الى هذا القدر

فبلغ الستة آلاف وستمائة وثلاثون وثمانين جنبها هو اللازم زيادته على ماهيات خدمة المساجد بمصر على الكيفية التي توضحته ونؤمل التصريح لنا ببلغ ٣١٧ جنباً لتوزيعه بمصر فتنا على بعض الوظائف التي لم يثلها شيء من هذه القاعدة بحسب ما نراه من الضرورة والاهمية فيكون المقتضي التصريح به من المجلس مبلغ سبعة آلاف جنبه وهو المخصص لمساجد مصر في القرار السابق

بناء عليه قد تخرجت هذه المذكرة للنظر وتقرير ما يترآى

(النتائج) قد تقررنا هذه المذكرة كما وصلت إلينا لم تصلح من لحنها شيئاً وهي مصرحة بأن الترتيب الأول أوقف بأمر الأمير وقد كنا ذكرنا هذا وذكرته بعض الجرائد في وقته وبأن ما عرض في هذه المذكرة على المجلس الأعلى إنما يرفع الضرر عن المستخدمين في المساجد نوطاً ما فهو جزء من الإصلاح المطلوب في تلك اللائحة ويترجم منها أن الرجاء غير مقطوع من تنفيذ الترتيب الأول الذي وضعه الاستاذ الامام وماهي الأكلة من الأمير وفقه الله وقد نفذ ولو كان في مسلمي مصر طامة وعلماء الأزهر خاصة أمة تهتم بمصالح المسلمين العمومية وتسعى لها سعيها لا كبروا أمر هذا الإصلاح الذي اقترحه الملقى وأجمعت كلمتهم على استعطاف الأمير والشفاعاة عندهم والالحاح على جنابه في تنفيذ هذا الإصلاح الذي يحجي بيوت الله تعالى ويعين على إقامة شعائر الدين على وجهها كما يرغب الناس في طلب العلوم الدينية ويكون سبباً للانتفاع بها

وقد ذكرت جريدة المؤيد أن جماعة من المستخدمين في المساجد شكروا للجناب العالي إيقاف تنفيذ الترتيب الجديد لما فيه من الرحمة بهم ورعاية مصالحهم وهذا جهل منهم لأنهم ظنوا أن الترتيب يقضي باستبدال العلماء بالجاهلين في الامامة والخطابة حالاً فلا بد من عزلهم ووضع بعض علماء الأزهر في مواضع الخطباء والائمة الجاهلين منهم وليس الامر كذلك كما رأيت وانا نسأل الله تعالى أن يلهم قلب الأمير تنفيذ الأصل كما ألهه الرضى بهذا الفرع الذي لا يرفع الضرر كله

وجملة القول ان ما عرضه ديوان الاوقاف على مجلسه الأعلى في هذه المذكرة قد أقره المجلس بعد تنقيح قليل كاشتراط بعض الشروط في وظائف الخدمة وصدر الأمر العالي بتنفيذه وسيكون مقدمة لتنفيذ الترتيب الأول ان شاء الله تعالى

مخاربة الوهم للعلم

﴿ أو تأثير السعاية في الدولة العثمانية ﴾

زار القطر المصري في ربيع هذا العام الحاج محي الدين بك حماده فنزل ضيفاً عند
صهره الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ثم عند ابن أخيه خليل باشا حماده في
الاسكندرية وكان الغرض من هذه الزيارة صلة الرحم والاستراحة من ضياء العمل
ولما علم بقرب عودته إلى بيروت السعاة المحالون الذين يطلق عليهم لفظ الجواسيس
في عرف هذا العصر كتبوا إلى المايين الهمايوني يشنون به وقد شاع أن مما كتبوه
أن هذا الرجل الخليل البعيد عن السياسة بجميع معانيها يحمل فتوى من صهره
بوجوب خلع السلطان ويحمل كتباً ضارة يريد توزيعها في سوريا وقد بلغنا أنه كتب
من المسابن إلى أمير مصر سؤال عن الحاج محي الدين وابن نزل وماذا يفعل. وأن
الأمير ذكر ذلك لخليل باشا حماده وأخبره بأنه أجاب المسابن أحسن جواب واثق
على الحاج محي الدين ولكن ذلك لم يفتن شيئاً
ولما عاد الحاج محي الدين إلى بيروت وكان ذلك بعد سفر الأمير إلى الاستانة
قبض عليه عند نزوله إلى البلد وأخذ إلى دار الحكومة وقتشت أمتعه وجميع
ما يحمله فلم يروا فيها شيئاً يثير عليه شبه السياسة إلا تفسير جزء «عميقاء لون» وأسماء
جماعة من فقراء بيروت بأزائها أرقام. فأما التفسير فقد أرسلوا إلى لجنة التفتيش
بديوان المعارف فقرأه فقبل أن فيه عبارة ضارة وهي تفسير لفظ الزبانية في سورة
العلق بالشرط وأعوان الولاية على أن هذا التفسير يوجد في جميع كتب اللغة وكتب
التفسير فلا يبعد أن يمنع دخولها إلى الممالك المحروسة إذا دامت الحال على ما هي عليه
الآن، وأما أسماء الفقراء وما جمع باسمهم من الصدقات فلعل الحكومة المظفرة
المنصورة ظنت أن الغرض منها تأليف حزب للقيام بهمل سياسي ثم علمت أن الحاج
محي الدين رجل معروف بالبر وعمل الخير يصدق إليه الفقراء والمعوزون المتعففون وأن
ثروته لأنفي باسماف كل من يقصد إليه فانضم فرسة وجوده في قطر إسلامي غني
للاستعانة بكرام أهله على ما يطلب منه لاسيما لعيال بعض العساكر الذين يخشى أن
يلجئهم العوز إلى الثورة فعمله هذا خدمة جليلة لسولته ووطنه. على أنه لو لا تدخل

سفارة انكلترا في الاستانة في أمر هذا الرجل لظل ضيف الحكومة العادلة ولكنه
افرج عنه بأمر السلطان

الحاج محي الدين حماده رجل وحيه عند جميع طبقات الناس من جميع الملل
في بيروت وغيرها ومحترم عند الحكومة ومشهور بالاستقامة والتقوى والاخلاص
للدولة وقد ناهز الثمانين أو زاد عليها ولم يزن برية سياسية ولا غير سياسية فسمع
حكومة الاستانة لقول مقصد دني في معاملتها إياه بمثل تلك المعاملة قد نفخ الرعب
في قلوب أهل ولاية بيروت من الرجال الى الرجال لأن سماع الوشاية في مثل هذا
الرجل ممن لا قيمة لهم يقتضي أن يسمع مثله في كل أحد وما من أحد الا وله عدو
او أعداء لا يأمن أن ينقموا منه بورقة يكتبونها وإذا كان القبض على الحاج محي
الدين حماده قد أظهر فضله وشرفه باهتمام الناس بأمره واقبال وجهاء جميع الطوائف
على زيارته وتداخل سفارة انكلترا بطلب الافراج عنه فغيره لا يرجو مثل هذه العناية
والحفاوة وما كل الناس كأهل بيروت في الجزاء والاقدام

حمل هذا الرعب بعض أهل الحذر في بيروت وطرابلس وصيدا وغيرها من
البلاد على إخفاء كتبهم أو على إحراقها بالنار وما عثم أن ظهر أن الحذر كان غيداراً
(الغيدار هو من يظن سوءاً فيصيب) فإن الوشائات كثرت وانشأت الحكومة تدمر
على بيوت الناس (دمر دخل بدون استئذان) وتأخذ جميع ما فيها من الكتب
والاوراق الى دار العدل والانصاف وتقبض على من وقعت عليه الشبهة من أهلها
وتحبسه لترى ما يستحق من العقوبة على اقتناء الكتب التي تسميها ضارة أو ممنوعة ومن سرف
ما يسمونه ضاراً أو ممنوعاً ومعرفة متوقعة على تعريفهم به وإعلانه للناس وهم يسرونه
ويكتتمونه الا عند العقوبة

بدءوا في طرابلس الشام بيت الشيخ عبد الرحمن الكمال في دمره وأعلوه في داره
واخذوا كتبه وأوراقه وقبضوا على ولده من طلاب العلم وحبسوه في دار الحكومة
وفعلوا هذا بأخربين . وكان من مثار الرب بل دلائل سوء القصد عند هذه الحكومة
أن وجدت في الكتب لمختبين من صحيح البخاري فاستنبطت من ذلك أن صاحب
الكتب قد أخذ على نفسه أن يوزع نسخ البخاري على الناس وذلك لا يكون الا

يقصد مني: يضر بالسياسة ويخترق منه الخطر على حكومة العدل والسلام والدين .
ووجدوا قصيدة في مدح رجل يسمى منصوراً فسأل من عنده القصيدة عن منصور
المدح ابن هو قال في جبل لبنان قيل كذبت بل انت تعني اميراً في مصر

وقد أرسلت حكومة طرابلس وكيل المدعي العمومي (رئيس النيابة) والمستعلق وبعض
شرطتها الى القلمون فدخلوا دارنا واخذوا ما فيها من الكتب والاوراق وقبضوا على
شقيقنا السيد ابراهيم ادهم فأودعوه مع الكتب في دار الحكومة مهد العدل والامن
وانما ننتظر ما يكون بعد ذلك من حسن معاملتها لآل بيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم . ودخلوا دار علي كسن من القلمون لأن له ولداً مجاوراً في الازهر ولا ادري
ما ذا وجدوا فيها ولعلمهم لم يجدوا شيئاً وقد وقع مثل ذلك في بيروت حتى ان حكومتها
فتشت مطبعة الاقبال ومكتبة الانبيى واخذت ما فيها من الكتب للبحث فيها

اهل من يستعد ان آفة السلطة المطلقة العلم يظن ان خوف الناس ورعبهم من
الكتب وتوقعهم العقاب الشديد على اقتنائها آية نجاح هذه السلطة وقد يكون هذا
الظن ضد الحقيقة فان مقاومة العلم وإمالة اهلها ربما كانت سبباً في إيقاف الاذهان القائمة وإشهاد
الابصار المنفضية ما لم تكن تشاهده من مضرات هذه الحكومة بل قد تكون سبباً
لإحفاظ قلوب جميع طبقات الامة على هذه الحكومة ومتى حققت الامة فسلاً
يلبث صرهل حقدتها ان ينفجر بجوارث الزمان مهما كانت صاغرة مستسلمة وجاهلة
بمطرق تغيير الحكومات وقلب الدول . فان لم تكن لدى حكومة متاعبرة بالامة الروسية
التي يكاد تعظيمها للقيصر يكون عبادة حقيقية فلتعتبر بالامة المصرية التي هي أشد
الامم استسلاماً للحكام كيف نارت في وجه توفيق باشا الذي كان ألين اصراء هذا
البيت عريكة وأبعدهم عن القسوة والعنفان

لنا فاعلم علم اليقين ان أهل سوريا لا يفكرون في مسألة الجنسية المشؤومة ولا
يخطر على بالهم ان يسعوا للاستقلال ويجهلوا حكمهم منهم وأبعد من هذا عن أذهانهم
التفكير في الانصال بسائر البلاد العربية على ان يكونوا جزءاً من مملكة عربية مستقلة
وانما أقصى أمانهم ان تكون حكومتهم الألمانية عادلة معينة لهم على العلم والترقي ولكن
لا يوجد احد من البشر يضطهد على فكره واعتقاده ويسلب الامن فلا يدري متى

يرجم عليه في بيته ويروع به أهله وعياله ثم يكون راضياً من المظلمين لا يجب
زلزالهم ولا يتنى زوالهم ولا يسي في ذلك متى وجد طريقاً للسي
إن هذا الهجوم على البيوت ومؤاخضة الناس على ذنوب لم تكن ذنوباً إلا باختراع
خيالات الظالمين ككون الرجل يملك من الكتاب الفلاني نسختين وكونه يقتني السمك
الفلاني وإن سماع الحكام لأقوال الجواسيس والسعاة في مثل ذلك - كل ذلك يعد من
سوالب الأمن فكل أحد يتوقع في كل ساعة من ليل أو نهار أن يفاجأ بمفوجي به سواء
أوقفوا أيها الحكام السلطان جهلاء الضعفاء الذين مكنتهم من ظلمهم تفرقهم
وما فرقهم إلا عدم وجود ألم شديد تام يجمعهم فربما كان ظلمكم إياهم هو الجامع
لظلمهم عليكم. ارحموا فإن الرحمة خير لكم على كل حال وقد تكون القسوة نافعة لهم
ضارة بكم ولو بعد حين. لا تعلموا الناس ما لم يكونوا يعلمون ولا تذكروهم بما لم يكونوا
يذكرون واتقوا الله إن كنتم به تؤمنون

حذر حكومة مدينة حلب من الثورة

من أخبار حلب أن الحكومة السنية أرسلت شردمة من زبائنها ليلالي سوق
البازستان وهي التي تباع فيها العاديات والامتعة المستعملة وفيه كثير من الاسلحة القبيحة
فأحاط الزبانية بمئة دكان وأرسلوا إلى أصحابها فحضر بعضهم وفتحوا لهم دكاكينهم
فأخذوا ما فيها من السلاح ومن لم يحضر كسروا دكانه وأخذوا ما فيها فاعتقد الناس أن
الحكومة خائفة وجلة من رعيته فحذر أن يقتدوا بالروسين فيقوموا عليها طالين نصير
شكل الحكومة المطلقة وإقامة العدل وإباحة العلم وإطلاق الحرية للناس ولولا هذا
العمل لم يكن يخطر ببال أحدشئ من ذلك،

ونحن نعتقد أن هذه الأعمال سيندم عليها فاعلوها اذ تأتي بضد ما أرادوا منها
وسيفتح لهم ذلك إذا استمروا عليها واتناؤد من صميم قلوبنا أن نترك دولتنا محاربة
وعيتها ونزع من ذهابها وساوس الجرائد الأفريقية التي تخدعها بإيهامها أن البلاد مستعدة
للخروج عليها لتصرفها بذلك عن اغتنام فرصة انكسار روسيا واستغال أوروبا بالنازعات
لإصلاح بلادها. وقد نصحنالدولة مثل هذه النصيحة في فتنة نجد فظهر صدق قولنا وتبين
بعد الحرب بوالخصام أن الدين في المعاملة هو الذي يأتي بالخير ويجمع الكلمة والله الموفق

الوفدان الفرنسي والالمانى في بلاد العرب

ذكرنا في الجزء الماضي خبر هذين الوفدين كما أخبرنا بعض العربان النجديين في مصر ثم أن المخبر أضاف واستقصى فاعلم انه لا وفد الا الوفد الفرنسي وأن أعوانه كانوا يشترون المصاحف والكتب باسم وفد ألماني تورية أو تمضية وان وجهة الوفد نجد من طريق العقبة وانه قد سمع أن الحكومة العثمانية قد علمت بالوفد فانتظرت ريثما دخله في حدود بلادها فردته على أعقابها وانا انتظر التفصيل في ذلك ولعلنا نقف عليه بعد أيام

الجمعية الخيرية الاسلامية

تنشر هذه الجمعية في كل عام تقريراً تلخص فيه أعمال مجلس إدارتها في السنة الماضية ونذكر فيه ميزانيتها ومشرعواتها للسنة القابلة بعد أن تعرض ذلك على الجمعية العمومية التي تجتمع في شهر المحرم. وقد حضر الاجتماع في هذا العام ثم أرسل إلينا التقرير بعد طبعه فأرجأنا الكلام فيه إلى الآن.

علم من التقرير أن عدد تلامذة مدارس الجمعية في مصر والاسكندرية وطنطا وبني مزار وأسبوط والمحلة بـور سعيد ٧٦٦ تلميذا منهم ٤٦٩ يتعلمون على نفقة الجمعية و٢٩٧ تلميذا يتعلمون على نفقة أنفسهم. وقد بلغ ما أنفقته الجمعية على مدارسها في السنة الماضية ٤٦٣٩ جنياً وكسور الجنيه وبلغ ما أخذته من الأجرة على التعليم فيها ٨٤٢ جنياً ونصف تقريباً.

وقد بلغ ما حصلتته الجمعية من الاشتراكات السنوية في السنة الماضية ١٣٥٣ جنياً لأن المشتركين قد زادوا ٨٠ عضواً والمساعدين زادوا ٢٠ عضواً فصار عدد الأعضاء ٥١٨ شخصاً والمساعدين ١٠٠ وقيمة اشتراكهم السنوي يبلغ ١٨٣٦ ولكن منهم من يشترك ويحضر في الدفع ومنهم من لا يدفع ما يفرضه على نفسه حتى تأس الجمعية منه ويأمر الرئيس بمحو اسمه!!! ولو انكلت هذه الجمعية على كرم أغنياء البلاد ومروءتهم لسقطت منذ سنين كما سقط غيرها من الجمعيات الأدبية والخيرية التي أسست في هذه البلاد قبلها وبعد تأسيسها ولكن مؤسسيها الحكماء قد عرفوا أخلاق أهل بلادهم ودرجة سخاء أغنيائهم وثبات أهل بلادهم فوضعوا في قانون الجمعية مادة لولاها لم تقم الجمعية قائمة وهي أن نصف الإراد يحصل للاستقلال والنصف الآخر

يصرف على التعليم وإعانة الفقراء فانظر كيف صارت على قلة المشتركين فيها تنفق على التعليم وحده أضعاف ما يأتي من الاشتراك ببركة الملك المادة. وقد يتعجب الغريب اذا علم ان الجمعية الخيرية الاسلامية الوحيدة في اثني الاقطار الاسلامية لم يشترك فيها من نحو عشرة آلاف ألف مسلم الا ٥١٨ وان أعظم مبلغ دخل في خزيتها من هؤلاء المشتركين في السنة الماضية لم يزد عن ربع نفقات الجمعية على التعليم الا قليلا ولكن المصريين الفضلاء العقلاء يرون ان هذه خطوة كبيرة بالنسبة لضعف الاخلاق في بلادهم وانه اولا غايات الشيخ محمد عبده ونفوذه الديني والادبي ومساعدة أعضاء الجمعية الوجيهاء له لما وصلت الجمعية الى عشر هذا القدر بأريحية أغنياء القطار وشعورهم النلي والاجتماعي فأهل مصر لا يميزهم الا الاخلاق كالكرم الحقيقي والثبات والعزيمة فاذا اكثر فيهم أصحاب هذه الاخلاق فانهم ينهضون بذكاوتهم وثروتهم في زمن قريب

أما ما أنفقته الجمعية في سنة ١٣٢٢ على الفقراء فنحو ٤٣٠ جنيهاً والنتائج لتقديم اعانة الفقراء من صافي الإيرادات العمومية بلغ خمس مئة جنيه وثلاثة جنيهات تقريباً. ومعظم إيراد الجمعية من أطيانها ومن الاحتفال السنوي في حديقة الأزبكية وقد بلغ ما وصل الى الصندوق من هذا الاحتفال في العام الماضي ١٥٥٧ جنيهاً ولو كان أصحاب الجرائد وأهل الفيرة على الأمة والبلادية قومون بالدعوة الى هذه الجمعية على وجهها لكثير المشتركين والمساعدون والمتبرعون واقدرت الجمعية بذلك على ان تخدم البلاد خدمة لا ترجى من سواها بمال أكثر من مالها لان رئيسها ووكيلها والعاملين من أعضاء ادارتها هم خيرة من انبتت ارض مصر في هذا العصر وهم يخدمون الجمعية بقدره وهمة واخلاص بأموالهم وانفسهم فمسي ان يوفق الله من اراد به الخير الى هذه الدعوة الصالحة

جمعية العروة الوثقى الخيرية

اسست هذه الجمعية لاجل نشر التعليم في الاسكندرية فنجحت بهمة اعضائها الكرام من وجهاء الثغر الاسكندري حتى صار لها خمس عشرة مدرسة تسع منها لذكور عدد تلاميذها ١٥٧٨ وست للبنات عدد تلميذاتها ٥٤٩ وكان عدد المجموع في السنة الحواسيه الماضية ١٥٧٥ منهم ٩١١ تعلمون بأجرة و٦٦٤ بغير اجرة والمجموع في هذه السنة ٢١٢٧ منهم ١١٢٦ بأجرة و١٠٠١ بلا اجرة فنرجو لهذه الجمعية مزيد النجاح ولعلنا نعود الى ذكرها في فرصة اخرى

يوتي الحكمة من يشاؤون يوتي الحكمة فقد أوتي
خير ما كثرها وما يذكرك إلا أولو الألباب

الحكمة

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للسلام صوى ودهنارة كنار الطريق)

(مصر - غرة جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ - ٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥)

باب المقالات

المسلمون والقبط (*)

أو آية الموت وآية الحياة

قرأنا في جريدة الوطن القبطية مقالة عنوانها (التعليم الديني والحكومة) بحث فيها

(*) أشرت في مقالة (حياة الأمم وموتها) التي نشرت في الجزء الثاني من هذه
السنة إلى الفرق بين المسلمين والقبط في النهاية بالمعارف • وطالما هزمت على كتابة

كاتبها في مشروع الحكومة الجديد من إعفاء حفاظ القرآن من الخدمة العسكرية بحثاً قال فيه أن الحكومة المصرية رأت أن هؤلاء الحفاظ كثروا في هذه الديار كما كثر الرهبان والشمامسة والقسيسون في كل بلاد نصرانية تعامل خدمة الدين معاملة الحكومة المصرية لهم فأرادت حكومة مصر أن تخص هذا الإعفاء بمن يستحقه أي وهو من يتعلم من مبادئ القراءة والكتابة ما يمكنه من خدمة الدين بتعليم القرآن الكريم وغيره مما يتعلمه الأولاد في المكتاب لا من يدعون أنهم يخدعون الدين والعلم وهم أبعد الناس عن ذلك . قال الكاتب

« وظاهر من هذا أن الحكومة المصرية أرادت أن تلي قدر الدين الإسلامي بما نوت من الإصلاح لانهارأت ان الاعفاء بلا تدقيق ولا حساب يجعل الدين سلاحاً يتسلح به كل طالب للتخلص من الخدمة المفروضة على كل وطني فالذين يتذرعون بهذه الذريعة ويجهلون أنفسهم من الفقهاء حباً أي الخداع والتخلص من خدمة الوطن وليس حباً بالعلم والدين إنما يؤدي فعلهم الى إسقاط حرمة الدين بين الناس » - الى أن قال « فحكومة مصر قصدت خدمة الدين بتنقية صفوفه من الذين لا يصلحون لخدمته والاشتهار بين الناس باسمه وبإعادته الى مجده الاول حين كان العلماء والنقهاء (هم) الذين توفرت فيهم شروط العلم والفقه وأمس الذين هربوا من واجب وطني وجعلوا الدين حيلة واسطة للفرار منه »

جعل الكاتب القبطي الغيور على ملته وقومه هذا الكلام مقدمة وتمهيداً لمطالبة الحكومة بأن تعامل خدمة الدين من القبط كما تريد أن تعامل خدمة الدين من المسلمين بأن تشترط في إعفاء الشمامسة والعرفاء وغيرهم من خدمة الكنيسة أو الدين من الفرعة العسكرية أن يكونوا متعلمين من مبادئ القراءة والكتابة ما يجعلهم محترمين في أعين المتعلمين ويمكنهم من إحسان خدمة الدين . وقال اذا كانت الحكومة تشترط عليهم مثل الذي تريد أن تشترطه على الفقهاء (أي الحفاظ) « فانها تحسن الى الامة

مقالات في المقاتلة بين مسلمي مصر وقبطها وبين المسلمين والنصارى عامة ثم أرجأتها. وقد نشرت من عهد قريب مقالة في المقطم تتناول بالموضوع خاصة بمسألة إعفاء حفاظ القرآن من الفرعة العسكرية بأمره (مسلم غيور) فأحييت نشرها هنا لما فيها من الذكرى والاعتبار

القبطية أكبر احسان وترقي درجة الذين يخدمون دين التصراية بين رعاياها وهي
تخطو خطوة كبرى في سبيل الإصلاح المطلوب للبطر كخانات ثم أطال في بيان أعمال هؤلاء
في خدمة ملتهم وقال ان الامة القبطية كلها السنة صارخة بمطالبة الحكومة بهذا الإصلاح
قرأت هذه المقالة فكان يمثل لي عند كل جملة منهما ما كتب في المؤيد من المقالات
الطويلة العريضة والنبداء وجزة في أخباره الخفية الصارخة بالنالم والشكوى من مشروع
الحكومة : انه اهانة للدين والقرآن وتحقير لخدمة الاسلام، وانزال لهم عن مرتبة خدمة
التصراية في الاحترام، اذ لا تشترط الحكومة في اعطاء القسوس والرهبان والشمامسة
ونحوهم معرفة بالقراءة والكتابة ولا بمبادئ الحساب ولا بانقان ما يقرأون من كتب
الدين : وتمثل لي بالمقابلة بين ما نشكو منه الجريدتان الفرق بين آيات الموت وآيات
الحياة — الجريدة الاسلامية تشكو من العلم وتعهده اهانة لدينها وعضما لحقوق حملة
كتابه وذلك أظهر آيات موت الامم ان كانت الامة على رأي المؤيد أو واضحة بقوله
وقول من شابهوه على ذلك . والجريدة القبطية تشكو من الجهل وتعد اقرار خدمة
دينها عليه اهانة لهم وتقصيرا من الحكومة في مساواتهم بالمسلمين في العناية بدينهم
واعانتهم على اصلاح قومهم وذلك أظهر آيات الحياة والطائفة القبطية على رأيها لا محالة
عجبا للمؤيد يذكر كل سنة في الكلام على نتيجة الامتحان في المدارس سبق القبط
للمسلمين في التعلم اذ المشتغلون والتاجحون من الاولين أكثر منهم في الآخرين ويظهر
التبرم والشكوى من ذلك فما باله قام بحارب العلم والتعليم في مشروع حفظ القرآن
ومشروع الكتاتيب ؟ ان كان لا يعرف فضيلة العلم لذاته قل أو أكثر بل يعرفه بميله
القائمين بأمر البلاد أو عدمه فيندم ما رغبوا فيه ويمدح ما رغبوا عنه فليست غن
الشكوى من قلة المتعلمين من المسلمين لان جناب اللورد كرومر الذي يدهامزة البلاد
يشكو من ذلك في تقاريره كل عام
ان رغبة القبط فيما يزعم المؤيد ان المسلمين يرغبون عنه وبكاء الجريدة القبطية
على ما تبكي منه الجريدة الاسلامية هو ادل على الفرق البعيد بين الفريقين من كثرة
عدد المتعلمين في احدهما وقلته في الآخر لان الرغبة عن العلم والبكاء منه ادل على
موت الامة من ترك الكثيرين له اذ يجوز ان يكون التارك لعذر غير الكراهة والتور (١) .

(١) التور هنا لا معنى له فهو مخرب حقا

كذلك الرغبة في العلم وطلبه والبكاء من فقدده أدل على الحياة من مجرد القيام به من أفراد كثيرة الخ (مسلم غيور)
(المثار) اننا لم نقرأ كل ما نشره المؤيد في هذه المسألة ولكننا قرأنا بعضه فلم نره سوا باء في هذه المقالة حدة في الانحاء عليه قد استنقذناها فحذفناها ومقصودنا بالذات المقابلة بين المسلمين والقبط في هذا الامر لاسيما بعد ان مضى زمن على ما نشرته جريدة الوطن القبطية فلم نر من القبط من انتقده وما حذفناه ليس منه وقد بينا رأينا في المسألة معززا بالدلائل والبراهين

باب العقائد

نشر المقالة الآتية لصاحب التوقيع الذي رأينا منذ عرفناه يشتغل بعلوم الفلسفة والكلام مع رفيق له من المشتغلين بالطب حتى انهما صارا يطالعان الكتب العالية كالواقف وقد منج مقاله الآتية بنظريات المتقدمين وطريقة التأخيرين الذين درس علومهم في المدارس النظامية وهذه هي المقالة

الدين في نظر العقل الصحيح

قرأت في إحدى المجلات العربية مقالة بقلم أحد طلبة المدارس العالية ذكر فيها شيئاً من المذهب المادي في مصير الانسان وأصله وتبجح بأن هذا هو مستقده وأن لاحق بعد ذلك ولما كانت هذه الافكار وأمثالها مما يحتاج قلوب شبابنا اليوم حتى صار جمهورهم لا يبايأ بعقائد الدين ويظن انها ضرب من أساطير الاولين لا حاجة لمصرنا الحاضر بها تحركت نفسي لكتابة شيء في هذا الموضوع بعد عمله الفكر واجالة النظر في أطرافه وجعلت اعتمادي فيما أقول على البراهين العقلية الصحيحة التي تنتهي الى البديهيات بحيث لا تجد فرقاً بينها وبين البراهين الرياضية لتكون أعظم مؤثر في قلوبهم وليعلموا أن الدين في حجبته يفوق المادية في نظرياتها وأوهامها ولا يفاء المقام حقته رأيت أن أبدأ بذكر حكم العقل في المادة من جهة تركيبها وتحليلها وأصلها من حيث الحدوث والقدم ثم انتقل الى براهين وجود الخالق وما يليق به من الصفات ثم أتكلم عن الروح والبعث وأختم كلامي بأدلة النبوة عموماً والمحمدية خصوصاً وبذلك يتم الاعتقاد الاسلامي ويكون الانسان مؤمناً بالله واليوم الآخر والنبوة وما أتت به

المادة وتركيبها

الاجسام التي تراها شاعلة حيزاً من الفراغ تقبل القسمة الى أجزاء أصغر منها وكل جزء يقبل القسمة الى ما هو أصغر منه وهكذا فإذا استرسل العقل في القسمة فلما أن يقف عند حد أو لا يقف فإن لم يقف كان ذلك قولاً بأن كل جسم أخذناه بيدنا وحصرناه بين أصابنا مركب من أجزاء لانهاية لها وهذه الأجزاء مهما صغرت فلا يمكن أن تحصر لعدم تنهايتها . لكن هي محصورة بالحس إذا هذا الفرض باطل . بقي القول بأن العقل لا بد أن يقف عند حد في القسمة فهذا الحد إما أن يكون له امتداد أو ليس له امتداد فإن كان له امتداد فالعقل يتصور قبوله للقسمة ورجوعه الى ما قبله في الشق الأول إذا لم يبق الا القول بأنه لا امتداد له . وإذا ثبت هذا علمت أن جميع الاجسام مركبة من أجزاء لا امتداد لها مطلقاً ولكن لها وضع معين فهي مثل النقطة الهندسية وإنما تمتاز عنها في أنها أشياء وجودية لا وهمية . هذه الأجزاء هي ما نسميه بالجواهر الفردة ويسمى جهتها الماديون (بالمادة) أو (الأمير) وقالوا إن اجتماع بعضها ببعض على أوضاع مختلفة وبأعداد مختلفة قد نشأت عنه العناصر الأصلية فيجوز أن تكون كل ذرة من الاوكسيجين مركبة من جوهرين مثلاً والذرة من عنصر آخر مركبة من ثلاثة أو أربعة وباتحاد العناصر المختلفة بعضها ببعض تكونت المركبات وسواء سمحت هذه النظريات أو لم تصح فالشيء الذي لا شك فيه هو وجود الجوهر الفرد وأنه الجزء الذي لا يتجزأ ومنه تركبت الموجودات

حدوث المادة

قلنا ان الجوهر الفرد هو ما ليس له امتداد وله وضع معين وهو شيء وجودي . كل ما كان له وضع معين فالعقل يتصور جواز انتقاله من موضع الى آخر وهذا الانتقال هو الحركة فلو فرضنا أن الجوهر الفرد قديم لتصور العقل إمكان تحركه من مكان الى آخر ولو أمكن ذلك لأمكن وجود حركات في الأزل لأول لها وهذا محال لانه يستلزم جواز تحرك الجوهر حركات لا عدد لها قبل كل حركة . وكونها لا عدد لها يستلزم أنها لا تحصر ولا تدخل تحت عدد وإتيان الجوهر الفرديها يدل على أنه يمكن عددها وعد ما لا يعد تناقض بديهي البطلان إذا ثبت ان الجوهر لا يجوز أن يتحرك

في الازل لكن جواز تحركه من لوازم ذاته بحيث لا يتصور وجوده بدون ذلك الجواز
وحيث ان فرض وجوده في الازل يؤدينا الى المحال وما يؤدى الى المحال محال ثبت
انه لا يمكن أن يكون موجوداً في الازل أي انه حدث بعد أن لم يكن

﴿ وجود الواجب ﴾

يقسمون المسلمون إلى قسمين واجب لذاته وغير واجب لها فالواجب لذاته هو
ما كان وجوده من لوازم ذاته بحيث لا يمكن أن ينفك عنها وغير الواجب قسمان موجود
بالفعل وغير موجود وغير الموجود قسمان جائز وجوده ومستحيل والمستحيل هو
ما لا يمكن وجوده فكل موجود إما أن يكون واجباً أو جائزاً ولا ثالث لهما أما
الواجب فسبق تعريفه وأما الجائز فهو ما جاز عليه الوجود والعدم ولا يرجع أحدهما
إلى الآخر إذا عرفت هذا نقول

الجوهر الفرد موجود فإما أن يكون واجباً أو جائزاً لا يمكن أن يكون واجباً
لانه قد ثبت أنه كان مسبوفاً في الازل والواجب لا يمكن أن ينفك عنه الوجود لأزلا ولا
أبداً إذاً هو جائز والجائز لا يمكن أن يرجع وجوده على عدمه إلا يرجع والمرجع لا يمكن
أن يكون سوى الواجب إذ لم يسبق سواه غير المستحيل إذاً الواجب موجود قطعاً

﴿ أحكام الواجب ﴾

قد سبق أن الوجود لا ينفك عنه أي انه قديم باق فلا أول لوجوده ولا آخر له
وهذا يقتضى التعريف السابق . ومن أحكامه أنه ليس له وضع معين ولا جهة إشار
إليه فيها ولا لتصور العقل جواز تحركه ولو جازت عليه الحركة لكان حادثاً ولو كان
حادثاً لما كان واجباً وحيث ثبت انه لا وضع ولا جهة له ثبت أنه لا امتداد له ولا
لشغل حيزاً من الفراغ وتبين له الموضع والجهة

إذا عرفت هذا علمت أنه لا يجوز عليه الحلول ولا الاتحاد ولا التجسد لانه لو حل
أو اتحد بجسم المسيح على مذهب أو تجسد وظهر بصورة المسيح على المذهب الآخر
كما يقول النصارى لوجب له الحركة والامساك كان للحلول والاتحاد والتجسد معنى
حقيقياً تعالى الله عن أن يظهر في مخلوق أو يتصور بصورة

ومن أحكامه التفرد بالوجود لانه لو كان هناك واجباً فأكثر وخلق أحدهما جائزاً ما من

الجانزات قام ما أن يبقى الآخر قادراً على خلق هذا الشيء بغيره أو غير قادر فإن بقي قادراً أمكنه
تحصيل الحاصل وهو محال لأنه يستلزم أن يكون للشيء الواحد وجودات متعددة وإن لم يبق
قادراً زالت قدرته القديمة عن بعض الأشياء القديمة لا يزول لأن قدمه إما أن يكون لذاته
أو لشيء آخر فقد اقتضى وجوده فإن كان قدمه لذاته فلا يمكن أن يزول من الذات
ما هو لها وإن كان لغير ذاته فما دام المقتضى موجوداً فلا يمكن أن يزول المقتضى
هذا واعلم أن قول النصارى إنه واحد في الذات ثلاثة في الأقسام محال لأنهم
يتقدمون أن كل أقنوم يمتاز عن الآخر بخواص كثيرة فالأول يمتاز بخاصية الأبوة
والثاني بالبنوة وبالخلول أو التجسد والثالث بالانثاق وإن الامتياز بينهم حقيقي بحيث
أن ما يثبتونه لأحدهم لا يمكن أن يثبتوه للآخر إذا عرفت هذا أقول الشيء الذي
به الامتياز إذا ثبت لأحد الأقسام فهو ثابت لذاته وإذا ثبت لذاته فهو ثابت لذات
الله تعالى وبما أنه علة الامتياز فلا يمكن أن يثبت للأقنوم الآخر وإذا لم يثبت له لم يثبت
لذاته وإذا لم يثبت لذاته لم يثبت لذات الله وعليه يكون الشيء الواحد ثابتاً لذاته وغير
ثابت لها فضلاً إذا قلنا إن الابن حل أو تجسد أي إن ذاته حلت أو تجسدت كانت ذات
الله حالة أو متجسدة ولكن الآب لم يحل ولم يتجسد فذات الله لم تحل ولم تتجسد
وعليه تكون ذات الله حالة أو متجسدة وغير حالة ولا متجسدة وهذا تناقض
ظاهر البطلان

بشيء عليّ أن أذكر كلمة صغيرة في القدرة قبل ترك هذا الموضوع وهي أنها لا تتعلق
بالمستحيل ، وخافى حوادث في الأزل مستحيل لأنه يستلزم وجود حوادث لا أول لها
وهو باطل وعليه فالقدرة الأزلية لا توجد لحوادث الأفي غير الأزل والأزل لا يمكن
المسئل تصوره فهو ليس مركباً من لحظات لا أول لها لأن ذلك أيضاً باطل فلم يكن ثم
دهر ولا زمان بخلاف ما إذا فرضنا أن الجوهر الفرد قديم فإنه يستلزم جواز
وجود الحركات في الأزل وذلك يستلزم تماقباتها وتعاقبها يستلزم وجود الزمان أما خلق
الحوادث في غير الأزل فلا يستلزم وجود لحظات متعاقبة ولا وجود متجددات في الأزل
والخلاصة أن الواجب قديم باق قدير متفرد بالوجود ليس كمثل شيء وهو

السميع البصير

مبحث الروح والبعث

عناصر الجسم الكيماوية معروفة ومشهورة وعناصره (الهستولوجية) هي ما يسمونه بالخلايا وكل خلية حية بذاتها بحيث يمكن بقاؤها حية بعد انفصالها عن الجسم مدة من الزمن وتأتي من الأعمال مثل ما تأتيه في الجسم فتلا كرات الدم البيضاء إذا فصلت عن الجسم ووضع في وسط مناسب لحياتها تبقى حية مدة فتتحرك وتتغذى وتقسم وليس الأمر قاصراً على الخلايا بل ما تركب منها من الأعضاء والمضلات وغيرها وإذا فصل من الجسم يبقى حيامة فتلا قلب الضفدعة يستمر على ضرباته بعض دقائق وكذا المضلات الأخرى من الجسم تنقبض وتنبط إذا نهت ثم إن جميع وظائف الجسم وحواسه ومدركاته لها مراكز مخصوصة في المخ والنخاع الشوكي بحيث إذا تألفت هذا المراكز بطلت الوظيفة وبين المراكز والأعضاء اتصال بالأعصاب الحساسة والحركة وهذه الحقائق المحسوسة ظن الماديون أن لا معنى للقول بالروح إذا لا أثر لها في الحياة ولا في غيرها ولو كان هناك شيء يلحق أن يسمى روحاً قلنا أولى الأشياء بهذه التسمية ثم إنهم شاهدوا أن الجسم دائماً في التغير والانحلال والتركيب بحيث أن جسم الإنسان في صغر سنين يكون قد تغير كله وأتى بدله جسم آخر وفسروا شعور الإنسان بشخصه أنه لم يتغير طول حياته بأن الانطباعات والتأثرات المخصوصة في جوهر المخ تجدد في كل مادة وبعد أن أنكروا ما يسميه علماء الأديان روحاً وأنه شيء يقوم بذاته ولا يتغير وأنه ليس من مادة ظننا هذا إلى آخره بعد أن أنكروا ذلك ووجدوا أن جسم الإنسان بعد الموت يخل ويدخل في تركيب النباتات والحيوانات الأخرى ومن بينها الإنسان قالوا إذا البعث مستحيل لأن الإنسان ليس له روح مخصوصة تمتاز عن جسده وليس جسده ثابتاً له بل ربما دخل في جسم إنسان آخر وعليه فالخسر روحياً كان أو جسدياً ضرب من الخيال

هذا هو ملخص مذهبهم والناقد البصير يرى أنه مبني على المحسوس والمقول إلا في نقطة واحدة هي محور غلطه ومن كثر شططه وهي قولهم إن شعور الإنسان بمشخصه من أول العمر إلى آخره ناشئ عن الانطباعات المخصوصة وتجدها في كل مادة تدخل في تركيبه لا شيء ثابت من أول الحياة إلى آخرها إذا لا علاقة بيني

الآن وبين شخصي بعد بضع سنين سوى الانطباعات المخصوصة المتماثلة في المادتين .
أقول المتماثلة لانها لا يمكن ان تكون هي بعينها لانها اعراض لاقيام لها بذاتها ولا تنتقل
من مادة الى أخرى فكانه بعد مرور بضع سنين على الانسان يعدم من الوجود ويوجد
شخص آخر غيره ومع ذلك يشعر كل بأنه هو الآخر بعينه لتماثل الانطباعات فيهما
ولو سلمنا ذلك فلهذا لا يكون البعث من هذا القبيل وإذا وجد شخص آخر فيه مثل
ما في من الانطباعات فهل أشعر بأنني أنا هو وهو يشعر بأنه أنا وما الفرق بين هذين
وهل إذا عدم أحدهما يشعر الآخر بأنه هو الاول بعينه كلامهم كلا إذا لا بد ان يكون
هناك شيء ثابت في الانسان من أول الحياة الى آخرها وبه تحقق شخصيته ويمتاز وجوده
وسواء كان هذا الشيء من طائفة هذا أو من عالم آخر فلا يهمنا وهذا الشيء هو روح
الانسان وجوهه وحقيقته وحيث أننا لا ندري مكانه ولا كنهه فلا يمكننا الحكم بأنه
يدخل في تركيب انسان آخر ولم لا يجوز أن يبقى محفوظا الى يوم القيامة ثم يعاد في
جسم جديد ولا عبرة بالجسم الاول المتبدل المتغير الداخل في تركيب غيرنا بعد
انحلاله فان شخصية الانسان لا تحقق به ولا تتوقف عليه . اذا علمت هذا أيقنت ان
للانسان روحاً بلعنى المتقدم وكذا لكل حيوان له شعور بشخصه وان ليس البعث
ضرباً من المحال بل هو من الجائزات وسأني في مقال آخر بأدلة النبوة وصدق ما أتت
به وبمد ذلك ثبت بالبرهان الثقل وجوب البعث يوم القيامة
الامضاء
محمد توفيق صدقي الطيب بسجن طرى

بَابُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ

﴿ شذرات من يومية الدكتور أواسم (*) ﴾

يوم ١٥ يولييه - سنة ١٨٦٦

﴿ فوائد الشدائد - بذل النفس للمحبوب أول الحب ﴾

كان منا خرق وطيش كادت عواقبه تكون علينا خساراً ميثناً ذلك اني و«أسيل»

(*) مغرب من: باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر تابع في ص ٧١٢م ٧

وهلولا ه خرجنا عشية أمس تنزه والساحل ممتطين أفراساً فأوقعنا في مسيرنا ممتسفين
ولا يلبث الانسان بأدنى بحث في شكل هذه السواحل الظاهري أن يدرك أن البلاد
نشأت من الزلازل الارضية

من أسمى الافهام التي انتهت اليها حكمة العلوم الحديثة على ما أرى (١) ادراك
ان للناس فوائد فيما يتلون به من النصاب فان لها دخلاً عظيماً في تكون العالم المادي
وما أدراك ما هذه النصاب ؟ إذا رجت الارض رجاً وتولاه الاضطراب عم
الفرع كل من على ظهرها ممن يشهدون زلزالها ورأيت الحيوانات جافلة حيرى
لا تدري ماذا يراد بها .

وان لمن شهد الزلازل من سكان هذه البلاد قصصاً عنها يروونها الا جانبها كي
قصص التوراة فكأنهم من قرية سكنت بالامس عاصمة سميدة أصبحت خاوية على
عروشها فلا يجد الباحث عنها في عرساتها الا اطلالا بالية ورسوماً دارسة واذا اقتننت
الزلازل لم يكن للناس حديث مدة الشهر التالي لوقوعها الا قصصها المخرقة فن رجال
ذهبت عقولهم من الفرع وأموال لمبت بها أيدي الضياع ونساء وأطفال وشيوخ
مخرب عليهم بيوتهم نخفتهم ردها

لا يسلم تاريخ هذه الرزايا من اختلاط القصص به فما يحكيه الناس هنا أنهم
شاهدوا في زلزلة ليلية على وميض البروق المشؤم ان الارض قد انشقت وبرزت
ها كل قدماء الاقبن (٢) من قبورها ثم مادت فقيت في هذه المهادي التي ما لبثت
ان التأم عليها

سكان شطوط المحيط في هذه البلاد أشد مرضاً للمطرب فان البحر في بدء الزلزال
يتقهقر عن الارض كأن قد ملكه الذعر ثم يعاود الكرة وقد هاج غضبه واشتد صخبه
ولجه وهناك تتكسر أناجر السفن وتقطع سلاسلها وتأخذها أعاصير الماء فتدور
بها دوراً نأوياً جسور المياه فانها تستسلم لضغط الامواج فتفتح أبوابها للخراب والهلاك

(١) لقد طاش رأيه فان القرآن القديم نطق بهذه الحكمة التي رآها حديثة
في آيات كثيرة جدا ولكنه لا يعلم ذلك (٢) الاقبن جمع اتي وهو أحد اشرف
قدماء الهنود بأمريكا

والبيروين من المعرفة الصحيحة بما لا رضىهم التي استودعوا حياتهم وعيالهم
وآمالهم من ضروب الختل ما يجعلهم في عامة أوقاتهم على حذر منها فتراهم لا يذوقون
النوم الاغرازا مستعدين على الدوام للهبوب من يوتهم لأقل لفظ أو أدنى رجة
سائلين ما الخطب فإذا قيل زلزلة برزوا جميعاً
على أن لهم بهذا القطر الذي تتمد بهم أرضه كلف الشاقين الجماله وخصبه فأنك
تجد في البقاع المزروعة منه حقول الذرة وقصب السكر والقطن والقوا كما الاسبانولية
كالبرتقال والليمون والرمان والتين والزيتون قد ازدوجت بجميع فواكه المنطقة
الحارة كاللوز والاماناس فكلك الارض المتزلزلة حبل بالحياة فهي تموت وتتلو وتنفس
ولا ينبغي ان يقيم منها انها في عملها هذا تشوش نظام عمل الانسان احياناً بما لها من
صنوف التدمير وضروب التخريب

﴿ الآثار والمدن المجهولة في البيرو ﴾

والموازنة بين القوى والأعمال

يوم ٢٨ يولييه سنة ١٨٦٦

كثيراً ما نلاقي هنا هنوداً أصليين يشتغل بعضهم بالتماس الثلج من رؤس الجبال
ونقله على ظهور البغال الى (ليا) حيث يستبر من أوائل مشهيات المائدة وبعضهم ينقل
الملح اليها من سواحل البحر على قطعان الالاما (١)
باله من يون بعيد بين ما عليه هؤلاء الهنود الآن من النذل والشقاء وما كانوا فيه
من العظمة والرخاء

معابد الاتيين التي يرشد أهلها السائح الى زيارتها وطريقهم الحربي المشهور
الذي اختطوه لقائتهم ونظام ريتهم العجيب الذي كانوا يلغون به مياه الجداول
الصغيرة الى الحقول بما كانوا يحتفرونه من الخنادق ليخصبوا به من الارضين ما صار
بقدمهم محلاً لذلك مما يحمل على الاعتقاد بأن الاجيال الاصلية التي كانت متوطنة
وسط أمريكا أوقفت في سبيل تقدمها بحلول الجيل الابيض الذي اقضى عليها في بلادها
انقراض العقاب فعاثها عن رقيها فانها كانت تسقى اليه ومن ذا الذي في استطاعته أن

(١) الالاما حيوان من حيوانات البيرو باصريكا يشبه الجمل

يخبرنا بما كان يحصل لو أنهم أمهلوا حتى بلغوا مثال تمدنهم الصحيح ربما كان العكس
الامر فذهب مثل خير يستوف كلومب من بحر الجلود فاكتشف الدنيا القديمة
قبائل الهند التي لم تخضع الى اليوم للحكومة الامريكية تحذر ما يقدم لها من
الهدايا وما تدعو به من الزايا على حد قول القائل «الروم أخشى» (١)
ولم تفاج الحكومة في ارسال الدعاة اليهم لدعوتهم الى التصراية فانهم يعلمون
ان لفظ الخيل في قم الايض معناه الاستعباد لحيلهم ومصادرهم في ارضهم
لم يسلم الساحل الذي كنا تنزه عليه من فعل الزلازل الارضية التي لاشك في
انها تشدى من سلسلة جبال الاندز (٢) فان الانسان فيما يلاقه هنالك من الشقوق
والانحجار والافوار التي لا تلبث بعد انحسافها ان ترتفع لا يزال يسرف ميدان تكافح
الفواعل النارية

كانت «لولاء» تسير على الساحل وكلها زهو وعجب باستقبالها «إميل» في بلادها
ومرحبتها اياه غير مفكرة في شيء عسى أن يكون من الجبال تحت هذا الساحل
التيابن الذي دعوته المواصف والأصير فهمزت جوادها بجدة مفرطة وأخذت به
شط البحر وكنا نحن تبعها ولكن من بعد لبلاد فرسينا على أن «إميل» لم يلبث ان
خف اليها خفة المستئثس لما نهته هيئاتي الى الخطر الذي كانت ملاقيه له فلما بلغ تلك
الفارسة المرحلة لم تكن الا على نحوثة متر من هوة بين صخرتين كان لا محيص لها من
التردي فيها بجوادها مرسلة الشمر في الهواء مشرعة السوط فأخذ بسان فرسها وقسره
على التحول يسرة فرفع يديه قائماً على رجليه وحرن ثم مالبت أن وقف كأنه ألهم
الوقوف فجاءة

فأما «لولاء» فقد امتقت (تغير لون وجهها) وارتعدت فرائصها لأنها كانت أبصرت
الهوة وشكرت «إميل» منه بأن قبلته تقيلاً يشف عن الوداعة وسلامة القلب كالذي
يحم من أخت لاخيها

(١) الروم أخشى جزء من بيت شعر لشاعر لاتيني « اذكر منه شطره الاول
ومثاله «الروم أخشى وأن هم قدموا نحفا»

(٢) سلسلة جبال الاندز هي سلسلة عظيمة من الجبال في امريكا الجنوبية

وفي يقيني ان هذه الحادثة لم تزد شيئاً على ما يضره كل منهما للآخر من المحبة والوداد ولكني أحسب أنني لاحظت من عهد حصولها فرقاً دقيقاً في «ميل» لها بزيادة تمحبه عليها فكان بذل النفس للمحبوب أول الحب ذلك أسراً لا بد أن تكشفه لنا الايام لاني وهيلانة قد عودنا هذين الغلامين على أن

نصدقهما بمجرد قولهما فلا اخالهما يحسran على غشناه اه
يعتقد بعض اهل لبا ان من المدن البيروية او الكسيكية القديمة ما لا تزال موجودة لم يلبثها الفاتحون من اسبانيا واذا سألتهم اين هذه القرى لا تجد منهم احدا يستطيع ان يجيبك عن هذا السؤال ثم اذا قلت كيف ان احدا من سائحي اليوم لم يثر عليها اجابوك ان هؤلاء الاقوام القدماء سكان تلك المدن مكشوفون من كل ناحية بالصحاري والآجام والمستنقعات وسلاسل الجبال وغيرها من العقبات الكثيرة وبذلك حفظوا استقلالهم على ان الوصول اليهم يقتضي وطء قبائل متوحشة تمنع الاجانب من دخول أرضها ونجزي عليه بالقتل واسمهم الهنود البلاء (انديوس براقوس) هم جيل حربي يسكن الهضاب الواقعة شرقي البيرو والقوانشوس ويقال انهم من أكلة لحوم البشر ولقد ذهب فريق آخر من البيرويين في دعاويهم الى ما هو أبعد من ذلك فلم يقتصروا على القول بوجود المدن المذكورة بل قالوا ان بعض ركاب التماسيف الحاملي الذكر والمترفقين من التجار وطلاب المهن زاروها المرة بعد المرة ومن هؤلاء الزوار من اقتطع ذكرهم فلم يسمع عنهم شيء ومنهم من حكوا ما طعنوه منها فهم مصدر ما عرف عنها غير انهم لبعدهم عن الحضارة بل وعن العلم لم يخبروا بما اكتشفوه الا بعض التجار الرحل أو الصيادين ولم يستطع هؤلاء عند حكايتهن لما وعوه أن يؤدوا لمن سمعوا منهم الا اخباراً مبهمة جداً

والذي يقيني أن يعتقد في مثل هذه الاحاديث هو انه يحسن قبل نبذها واعتبارها من الاساطير أن يفكر فيها مرتين لأنها على كل حال ليست بجيدة عن الحقيقة بعد ان اكتشف استفسر (١) وغيره من السائحين الذين جاؤوا وسط أمريكا ما اكتشفوا من الآثار الحقيقية وبعد الابحاث التي حصلت وسط الغابات الكثيفة ولم يشهدوا الا البقاآت والقرود

وخصوصاً إمدان ثبتت للعالم صحة بعض الآثار المروية عن الخلود ثبوتاً واضحاً من اطلال القرى المكتشفة مثل قوبان وقيشي وأوقوزينجو وبالاتقا وغيرها من القرى الكثيرة المدفونة تحت جذور الأشجار من قرون طويلة

نعم أن موضوع البحث والنظر هاهنا ليس مدناً بائدة بل هو مدن حية قد يمر فيها أن وجدت على تاريخ جيل من أجيال البشر برمتهم ومعاييدهم وآلهتهم وقسيسهم وشرائعهم وعوائلهم

وبعالم «إميل» و«لولا» إذا سمعنا مثل هذه الحكايات فأتقنت بها مخيلتهما إلى أن يباشر البحث عن تلك المدن المجهولة فإن من هو مثلهما في سن المراهقة لا يفكر في العقبات ولا يحسب لها حساباً فهما من هذه الجهة شيهان بعامة الناس ولواني تبعت عزم هذين القرنين الصغيرين وأخذت توقد ذهنهما للبحث نفسي على ذلك ولكنني انتهزت هذه الفرصة فقلت لهما أنه لا يزال في بلاد البيرو كما في غيرها كثير من الأشياء التي يلزم اكتشافها غير أنه يجب على الإنسان قبل كل شيء أن يعرف كيف يزن قواه بطبيعة ما يريد مباشرة من الأعمال . اهـ

أنا علي بن أبي شيبة

مجلس أعمال إدارة الأزهر

يرى كثير من الناس أن الجرائد في هذا العصر هي بمثابة كتب التاريخ لأنها تصدى لك جميع الحوادث وتبحث في عللها وأسبابها ونتائجها ومسبباتها فإذا أراد مؤرخ تأليف تاريخ لامة أو بلاد تنشر فيها الجرائد فاعليه إلا أن يراجعها ويستمد منها إذا كانت حرة لم يستعبد بها الحكم المستبدون وعلى هذا الرأي يمكن أن يبريد كتابة تاريخ حديث للأزهر أن يراجع الجرائد المصرية في دار الكتب المصرية ويأخذ عنها ما كتبه عن هذا المكان . ولعله لا يوجد عاقل عارف بحال هذا القطر يثق بحرية جرائده في نفسها وتحريرها الصواب والحقيقة في الحوادث المهمة التي لها شأن في تاريخها وسردها بأسبابها ونتائجها الحقيقية خدمة للتاريخ فإن هؤلاء العقلاء يعلمون أن لهذه

الجرائد مذاهب شتى وأهواء مختلفة ولا يبنى أصحابها بيان كل شيء له شأن في التاريخ وقلما يوجد فيها من يتحرى الحق في أكثر ما يكتب بل يكتبون ما يبايعهم على غره اذالم يكن مخالفاً لمذاهبهم ولا نصر قوا فيه أو سكتوا عنه . هذه مسألة الأزهر قد خاضت فيها الجرائد واختلفت فيها أقوالها بعضها مع بعض بل اختلفت فيها أقوال الجريدة الواحدة هذه تستحسن مرة ما كانت تستبجح وتلك تدم اليوم ما كانت تمدح بالأمس ولو قرأ قارىء جميع ما كتب عن الأزهر منذ عشر سنين أي منذ تأسيس مجلس الإدارة له ودخوله في طور النظام وان لم يحمل بذلك النظام كله رأى أقوالاً مضطربة لا تحبلى منها حقيقة . والسبب في ذلك أن العامل الحقيقي في هذا النظام هو الشيخ محمد عبده وله حزب على رأيه يضاده حزب آخر يود ان يبقى كل خال على ما كان وقد اختلفت الأهواء لذلك فاختلعت الأقوال وضاعت الحقيقة حتى ان أكثر المصريين القارئين الكاتبين لا يعرفون حقيقة ما كان عليه الأزهر ولا حقيقة الإصلاح والنظام الذي سمي اليه الشيخ محمد عبده فتم له شيء منه باسمه الامير عباس وفعه الله تعالى لمرضاته بل هم يسمون في أودية الظنون في هذه المسألة كثير من أمثالها ومنهم الذين يصدقون بعض الجرائد في قولها ان هذا الإصلاح كان افساداً لعقائد أهل الأزهر

ظهر في هذه الأيام كتاب جديد اسمه «أعمال مجلس إدارة الأزهر بمصر من ابتداء تأسيسه سنة ١٣١٢ الى غاية ١٣٢٢» أي الى أن استقال من ادارته ذلك المصالح العظيم والعامل الذي كان ينسب اليه كل عمل في هذا الجامع مدة وجوده فيه .

ان مؤلف الكتاب لم يذكر اسمه عليه ولكن كل قارىء له يثق بكل ما كتب فيه وان لم يعرف كاتبه لانه يرى انه تاريخ رسمي أو شبه رسمي فهو قد جرى على طريقة الجبرتي في البحث عن كل شيء في وقته وقدم له ما لم يتم للجبرتي من التدقيق فهو يذكر كل مسألة مبنياً تاريخياً ومادار بين الأزهر ومعية الامير والحكومة فيها وما وضعه أو قرره مجلس الادارة إما بالنص وإما بالمعنى الذي لا يخرج عن مفهوم النص في البيان والتاريخ وعدد الخطاب (التمره) وغير ذلك ومن احتياطه وتحرره ان سكت عن بيان ما لم يقف عليه باليقين وهو قليل كهدد الطلاب الذين امتحنوا في سنة ١٣١٤ فانه لم يبينه بالجدول الذي وضعه لذلك

ومن انصاف المؤلف ان نسب الاعمال المتفق عليها الى مجلس الادارة لا الى شيخ
الأزهر الذي هو رئيسه ولا الى بعض الاعضاء بالتعيين وما كان فيه خلاف ذكره
وما انفرد به بعض شيوخ الأزهر من سعي أو عمله ذكره كما هو وقد خص الأمير بالتناء
وبين انه كان المؤيد والمضد لكل ما جرى في الأزهر في هذه المدة ولولا له لم يمكن
شيء مما كان

وانما نذكر عناوين فصول الكتاب ليكون قارئ هذا التقرير على بينة منه
وهي (١) تشكيل مجلس إدارة الأزهر وأسبابه (٢) قانون المرتبات (٣) حال الأزهر
ومرتبات الشيوخ قبل النظام الجديد (٤) إلحاق التعليم في الجامع الاحدي بالأزهر
(٥) إلحاق التعليم في المسجد الدسوقي ودمياط بالأزهر (٦) كساوي الشريف (٧)
نظام التدريس والامتحان (٨) المساحة أو عطلة الدراسة (٩) مساعدة الخباز العالي
على تنفيذ القانون بالمال من الاوقاف (١٠) نظام التدريس والامتحان (١١) مكافأة
امتحان الطلبة (١٢) مشايخ الأروقة والحارات والملاحظون (١٣) فائدة الامتحان
والعلوم الحديثة (١٤) دار الكتب و المكتبات في الأزهر (١٥) اصلاح
التعليم (١٦) نظام الجرايات (١٧) امتحان التدريس وشهادة العالمية (١٨) العلوم
والكتب ونظام التدريس (١٩) مسألة زاوية الميمان (٢٠) الشيخ حسونة النواوي
(٢١) الشيخ عبد الرحمن القطب (٢٢) الشيخ سليم مطر البشري (٢٣) جدول
مواد التعليم في الأزهر (٢٤) احصاء أصحاب الكساوي المظهرية في عشر سنين (٢٥)
السيد علي البيلاوي (٢٦) تأخر العلوم الشرعية بالأزهر (٢٧) تأخر اللغة العربية
بالأزهر (٢٨) إلحاق الاسكندرية في النظام والتعليم بالأزهر (٢٩) الشيخ محمود
باشا والشيخ أحمد باشا (٣٠) الشيخ محمد شاكر (٣١) مرتبات أولاد العلماء وما
تمنحه الحكومة على الأزهر (٣٢) حالة الأزهر الصحية وتعيين طبيب له (٣٣)
اعانة ديوان الاوقاف لمجاهد العلم بالمال (٣٤) محافظة المجلس على حقوق الأزهر
وشرفه (٣٥) الشغب الذي انتهى باستقالة البيلاوي والعضوين العاملين بالمجلس
وقد فسر طابع الكتاب عبارات مجاملة أو مبهمة منه لمن المؤلف ما كان يجب أن يفسر
بدل اسم الكتاب وعناوين فصوله على أنه تاريخ لهذا الطور الذي دخل فيه

الازهر منذ عشرين وفيه ما هو أهم من ذلك وأكثر فائدة للمسلمين وهو بيان أخلاق علماء الازهر وأفكارهم وشؤونهم في هذا العصر فإن لحال هذا الصنف من الناس شأنًا عظيمًا في حال الاسلام والمسلمين فهم منها بمنزلة القلب من الجسد اذا صلح صلحت واذا فسد فسدت وهذا هو السبب في شدة عناية الشيخ محمد عبده بأمر الازهر وسميه في اصلاحه واحتمال الشدائد في هذه السبيل على أنه في بلاد لا تعرف قيمة سميح حق المعرفة وان كان لا يفوق احترامه فيها احترام أحد الكتاب مطبوع طبعا نظيفا وضمن النسخة منه أربعة قروش وأجرة البريد قرش واحد وهو يطلب من ادارة مجلة النار ومن مكتبة هندية والمعارف والهلل وغيرها وقد أتيح لادارة النار أن تبيعه من الازهرين خاصة بثلاثة قروش صحيحة ولا شك في أنه سيصادف رواجًا عظيمًا لما فيه من الفوائد العظيمة

كتاب زهر الريح * في المعاني والبيان والبدع

كان الشيخ أحمد الحللاوي مدرساً في مدرسة دارالعلوم فطلب منه ناظرها أن يؤلف كتاباً في البلاغة خالياً من الحشو والتعقيد جامعاً للقواعد والمسائل المهمة في الفنون الثلاثة فبدأ بوضع هذا الكتاب وحال دون اتمامه نقله الى مدرسة المتصورة ثم أتم تأليفه في سنة ١٣٢٠ وكان عين ناظر المدرسة عثمان باشا ماهر وقد طبعه في هذا العام بالمطبعة الاميرية فكانت صفحاته ٢٣٧ واتت لكثرة الشواغل في هذا الصنف لا يرجو أن نجد وقتاً نطالع فيه بعض أبواب الكتاب لتبين مكائده من سائر كتب البلاغة التي هي على نسقه في سرد المسائل مع أمثلتها ولكن من اولة المؤلف للتعليم في المدارس الاميرية بعد تعلمه فيها وفي الازهر مما يرجح كون الكتاب مختصراً مفيداً سهلاً نافعا ان شاء الله تعالى

تاريخ دول العرب والاسلام

سبني لنا تفریط الجزء الاول من هذا الكتاب في المجلد الاول من النار ويسرنا أن مؤلفه محمد طلعت بك حرب قدأعاد طبعه في هذا العام لان نسخته الاولى قد نفدت وانه قد شمر عن مساعد المهمة لاتمام تأليف الكتاب وطبعه * ونريد التذكير بمباحث الجزء الاول وهو مؤلف من تمهيد وثلاثة أبواب في كل باب منها فصول * قائم به

في حدود بلاد العرب ومواطنها وحاصلاتها ومناخها ومساحة الجزيرة وتشوف الافرنج
 البهاء والياب الاول فيما كانت عليه العرب قبل الاسلام وفيه مباحث في طبائع العرب
 وأحوالها وصفاتها واقضيتها وحكوماتها وأحكامها وحروبها وفي الزواج والطلاق
 والاعتقادات والخرافات واللغة والشعر والشراء والاسواق والمعارف والكتابة
 والصناعة والتجارة والنقود والمسكوكات والموازين . والفصل الثاني في العرب
 البائدة والثالث والرابع في العرب الباقية . والباب الثاني في العرب بعد الاسلام وفيه
 فصلان الاول في الوحي والدعوة والهجرة وملخص السيرة النبوية والثاني في القرآن
 والاسلام وهو مختتم بفصل نفيس من رسالة التوحيد للأستاذ الامام . والكتاب
 يطالب من مؤلفه ومن ادارة مجلة المنار وثمنه ثمانية قروش صاغ

الروزنامة التونسية

محمد ابن الحوجه رئيس قلم المحاسبة بوزارة تونس من سرورات التونسيين وفضلائهم
 وهو يضع تقويميا سنوياً بسميه الـروزنامة التونسية سنة ١٣٢٣ هي السنة الخامسة لهذا
 التقويم وقد زادت صفحاته فيها على خمس مئة صفحة من القطع المتوسط والكلام
 فيه على خمسة أقسام فلكي وأدبي وسياسي وإداري وتجاري . وقد ذكر في القسم
 الادبي من هذه السنة زيارة رئيس جمهورية فرنسا لتونس سنة ١٣٢١ وزيارة باي
 تونس لباريس ١٣٢٢ وما لقيه كل واحد من الاحتفال والحفاوة، وتاريخ نشأة الملائق
 بين فرنسا وتونس . وذكر من القسم السياسي نظام الحماية في تونس والقواعد
 النظامية فيها ودوائر الحكومة وكبار عماها ورجالها . وتكلم في القسم الاداري على
 الوزارة والكتابة العامة والادارة والمجالس الشرعية وجامع الزيتونة الأعظم والجمعية
 الخلدونية وغيرها من الجمعيات وعلى المدارس والمستشفيات والمجالس والمصالح الكثيرة
 والمعارف وجيش الاحتلال والبحرية الفرنسية والمذاهب والملل وغير ذلك . فهذه
 الـروزنامة تاريخ رسمي أو شبه رسمي لتلك المملكة لا يستغني عنه حب التاريخ وثمنها
 في تونس خمسة فرنكات وأجرة البريد فرنك واحد

تذكارات المهاجر

ديوان شعر لقيصر اقندي ابراهيم معلوف البناني نظمته في مهاجرة بالبرازيل

أبام كان مشغولاً بجريدة ("برازيل") العربية كتابة وإدارة وكان ينشر ما ينظمه في جريدته
وبعد أن ترك الجريدة وانصرف إلى الاشتغال بالتجارة جمع تلك القصائد والمقاطع
وطبعها في ديوان سماه تذكار المهاجر وقد تقدمت علينا بأهداء نسخة منه كتب عليها
بخطه هذين البيتين بعد ذكر الأهداء إلى المجلة

لسأرتك للمعارف ناسراً وبكرمة الآداب أفضل عامل

أهديت ديواني بفضلك واحياً منك التشرف بالتقادم عادل

وقد كان هذان البيتان سبباً في إرجاء تقرير الديوان إلى هذا اليوم لأننا كنا ننتظر
فرصة نقرأ فيها بامعان وننظر فيه نظر الناقد حتى سنحت لنا الفرصة في الأسبوع الماضي
إذ سافرنا إلى الإسكندرية فجعلنا الديوان رفيق الطريق فقرأنا مقدمته وكثيراً من
قصائده ومقاطعها فتجالت علينا روح الناظم في جلباب من الظرف والالطاف والاحلاس
بمز على من تجلت عليه فيه أن ينظر إلى أثرها بعين الاتقاد، دون عيني الحب والوداد،
فأنا أخطب وداؤه على البعد، وأرغب إليه أن يعفني من نظرة النقد، وإن كان
لا يقبل من المجلة التي وصفها بالحرمة هذا المذمر، فليأذن لي بأن أفرض لها النقد وأفرض
على نفسي المذمر، تقول المجلة إن هذا الشعر لم يجز على أساليب فحول شعراء العرب
الجاهليين أو الخضر بن أو الوليد بن وأقول لو عني الناظم باحتذاء مثال أولئك الفحول
لملاقوله على أفهام أكثر قراء جريدته لأنهم من المهاجرين إلى أمريكا لأجل التجارة
والكسب وأكثر القارئ منهم لم يتعلموا غير مبادئ القراءة والكتابة فهم لا يفهمون
شعر بشار بن برد وأبي نواس ولا شعر البحتري وأبي تمام وإنما عني الناظم بما نظم لأجلهم
لأجل أولئك المعاصرين مثل من ذكرنا من المقرئين، وتقول المجلة إن في الديوان
كثيراً من الانحطاط والأساليب العامة كان للناظم مندوحة عنها وأقول إن أكثر الكتاب
والشعراء المعاصرين يستعمل مثل ذلك لأسيا كتاب الجرائد وأكثرهم يخطئ، وهو
يظن أنه مصيب وصاحبنا يمتاز بأنه عالم أن شعره لم يسلم من ذلك الخطأ وقد اعتذر عنه في الصفحة
الثالثة عشرة من المقدمة بأنه نظم ما نظم بعيداً في بلاد بعيدة عن بلاغة اللغة العربية
وأساليبها الشعرية وكتبها الانوية الخناق له ثم إن هذا الديوان يمتاز على الدواوين التي
وضعت لجمهور أهل هذا العصر بأنه لا يختص بالمدح والنسيب والرتاء والهجو بل جال

فيه الناظم في المسائل الاجتماعية والموضوعات الأدبية وهو بداية نظمه فسي أن نرى
في الجزء الثاني من ديوانه ما هو أرقى معنى وأسلوباً
(نظرة في المبارزة)

رسالة وجيزة في المبارزة التي اعتادها الأفرنج ومن يقتدي بهم من الشرقيين كتبها
سليم أفندي عواد بين فيها أنواع المبارزة وتاريخها وحكمها في قوانين الدول الأوروبية
واليابان والولايات المتحدة وهي تطلب من مكاتب الاسكندرية وثمنها قرش صحيح

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِلْهَامِ

سوريا المزعجة - الدولة والرمية

قد تبين أن حكومة (المابين الهمايوني) في خوف ووجل من سوريا أن تخرج
عليها كلين أو مع اليمن، وسوريا أبعد بلادها عن هذا الممل وعن التفكير فيه ولكن
المابين قد صدق فيها تقارير الجواسيس والمفسدين وأقوال المشاغبين الخناتين الذين
يخونون المابين بما يكتبون من الرسائل والكتب في الدعوة إلى الاستقلال وزاد
الطين بلة ما تكتبه الجرائد الأوروبية في هذه الأيام عن ثورة اليمن مدعية أنها ثورة
مدبرة لها انصار ودعاة في الحجاز وسوريا وسائر البلاد العربية وكل ذلك أكاذيب
يخونون بها الفتنة وإغراء الحكومة العثمانية برعيها التي في السلمون أنفسهم بأيديهم

صدق المابين كل ذلك فأسى الولاة والمتصرفين بالاغارة على بيوت من يظن أن
هذه كتباً أو جرائد أو وسائل من مصر وأخذ كل ما يوجد في تلك البيوت وقراءته
كلمة كانهو محاسبة أصحابه على كل ما يشتم منه رائحة الشبهة وقد ذكرنا في الجزء الماضي
بعض هذه الحوادث ثم جاءتنا الجواب بعدد بأنه قد جاء إلى بيروت لجنة عسكرية
ملكها أرساها الساطحان من الاستانة لتتولى التحقيق في هذه الأمور المهمة ولا تدع
بيتاً من بيوت الكبراء إلا وتفتشه وقد كان من أوائل عملها الاطاحة بدار عباس
أفندي رئيس ملة الباية في عكا ودار الفريق رمزي باشا وغيرها وأخذ ما فيها من

الأوراق والكتب المشتبه فيها . وقد فعل متصرف طرابلس مثل ذلك بيت عبد
اللطيف افندي الغلاييني وبيوت أخرى . وفتشوا في حمص بيت قائمقام نقيب الاشراف
ولا يزال الهجوم على البيوت مستمرا في كل مكان .

وقد بلغنا ان الكتب التي أخذت في بيروت من المكتبة الانسية ومن مطبعة
الاقبال قد اعتبرت من النوع الذي يسمى غير لائق وانها حوت الى العدلية وانه
ورد نأ برقي من الاساتذة الى بيروت بوجوب العناية والتشديد في شأن ضبط كتب
ابن الهدى افندي التي وجدت في مطبعة الاقبال .

وان للحكومة في الكتب والأوراق والجرائد تقسيما غريبا فانه ما يسمونه الأوراق
المضرة والمقوبة عليه شديدة جداً ومنه ما يسمونه الأوراق الممنوعة وهو أعم من
المضرة اذا أطلق يراد بالعام ما وراء الحجاز والمقوبة عليه اخف ومنه ما يسمونه غير
لائق وهو أهون عندهم . ومن البلاء أن الرعية لاتعرف شيئا من حدود هذه
الاقسام ورسومها فقد صار ما لم يكن ممنوعاً من قبل من الممنوع أو الضار والناس
لا يشعرون . نوّش عبد اللطيف افندي الغلاييني الحساب أن وجد عنده نسخ من
مجلة نور الاسلام الدينية التي كانت تنشر في الزقازيق وكان عبد اللطيف افندي وكلاء
لها في طرابلس لم يخرج من ذلك لانها كانت ترد اليه في البريد العثماني وعمال البريد
هم المعلنون بالممنوع من الكتب لانهم يؤمرون بما ساءه وعدم إيصاله الى أربابه .

ولو كانت سوريا مستعدة للخروج على الدولة لا ينقصها الا الحوادث التي تؤلم
الجمهور وتجمع الكلمة لحشي أن تكون هذه الاعمال هي السبب في الثورة والخروج
ولسكتنا نعلم علم اليقين ان سوريا غير مستعدة لذلك وسنعلم ذلك الدولة بعد هذا
التحقيق والتدقيق فتقدم أنها آلت الناس وظلمتهم وذكرتهم بما لم يمكن يحظر على
بال أحد منهم .

وأما الذين يكتبون في ذلك ما يكتبون من المنشورات والمقالات في جرائد البلاد
الحرّة فلا غرض لهم الا ابتزاز المال أو الرتب والالوسمة من الدولة كما ينأ ذلك صراخاً
وانه ليؤلم العثماني الفيور ان يرى الانكليز آمنين على سلطتهم في مصر لا يبالون
بما يقال ولا بما يكتب حتى أنهم يعتقدون انه لم يبق لهم حاجة بحين الاحتلال القليل

الباقى فى البلاد ويرى دولته فى وجل شديد من رعبها فتداوى هذا الرجل بالشديد والقوة وهو دواء غريب فى بابة فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومن أعجب ما تناقله الناس ، مما يوسوس به فى هذا الباب الخناس ، خوف المابن من مصر والمصريين طامة ، والأتاذ الامام خاصة ، والمصريون أشد من الترك حباً فيه الا افراد علماء السماية واتجسس من الاسنانة وكل المصريين بمقتونهم والاسناد الامام ، مشغول عن هذه الميخانات بخدمة مصر والاسلام ، وهو يعتقد ان السمي من جهة السياسة ، لا يأتى الا بالحلية والنعاسة ، فهو يرى السلام فى السلطة والخلافة ، من قبل الله والسخافة ، ومن المضحكات المبكات ان حكومة بيروت ظلت ثمانية أيام تقتش فى الساحل وتجسس فى البيوت لعلها تثر على الشيخ محمد عبده لاعتقادها انه جاء بيروت مستخفياً وأنزلته الباخرة الحديدية فى جهة رأس بيروت وانه سيتولى زمامة قلب السلطة فى سوريا بنفسه والرجل مريض لا يقدر على مفارقة سريره الذى ترفرف عليه قلوب العقلاء والفضلاء مشفقة أن يخترمه حكم القضاء ، فحبط أعمال ، وتقطع آمال ، ويخشى من سوء المآل ، هذه حال الرجل هنا وتلك حال الحكومة الثمانية هناك ولم يشفق عليها رئيس الجواسيس الذين شنلوا فى كنفها بالحفيظة التي تسكن روعها وتراب صدعها

قلنا ان ذلك الخوف من اعجب ما ينقل وما هو بالمعجب ولا بالا عجب فان الدول فى مثل هذا الطور الذي وصلت اليه دولتنا أصلحها الله تعالى تبني أكبر من هذا البناء على أساس أوهن من هذا الأساس ، بل يقول الحكم المطلق فى طور الحياة والقوة مثل هذه الفعال ، ويفتك بحكم الوشاية بأعظم الرجال ، ألم يأتك بأومى بن نصير فى الاندلس وكيف فتح البلاد وكيف ساء ابنه عبدالعزيز أحسن سياسة ثم كيف كافأ سليمان بن عبد الملك بآثراءه وولده عبد الله من السلطة ، وقتل ولده عبدالعزيز غيلة ، سمع وشاية المفسدين فيه فأوعز الى من قتله وهو يصلي بالناس صلاة الفجر كما قتل الامام العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وانا نقص على القراء ما دار بين سليمان وموسى ليلاموا كيف ظهر لسليمان خطاؤه ويصبروا بذلك ، قال ابن قتيبة فى كتاب الامامة والسياسة :

قدوم رأس عبد العزيز بن موسى على سليمان

وذكروا أن سليمان لما ظن أن النوم قد دخلوا الأندلس وفعلا ما كتب به إليهم عزله عبد الله بن موسى عن أفريقية وطنجة والسوس في آخر سنة ثمان وتسعين في ذي الحجة وأقبل هؤلاء حتى قدموا على سليمان وموسى بن نصير لا يشعرون بقتل عبد العزيز ابنه فلما دخلوا على سليمان ووضع الرأس بين يديه بمث إلى موسى فأناه فلما جلس وراء القوم قال له سليمان: أتعرف هذا الرأس يا موسى؟ قال نعم هذا رأس عبد العزيز بن موسى: فقام الوفد فتكلموا بما تكلموا به ثم إن موسى قام فحمد الله ثم قال وهذا رأس عبد العزيز بن يديك يا أمير المؤمنين فرحمة الله عليه فلهذا الله ما علمته نهاره الأصوام، وليله الأقوام، شديد الحب لله ولرسوله، بمسند الأثر في سبيله، حسن الطاعة لأمير المؤمنين، شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين، فإن يك عبد العزيز قضى نحبه، وفنصر الله ذنبه، فوالله ما كان بالحياة شحيحا، ولا من الموت هائبا، ولعز على عبد الملك وعبد العزيز والوليد أن يصرعوه هذا المصراع، ويفعلوا به ما أراك تفعل، ولو كان أعظم رغبة فيه، وأعلم بصيحة أبيه، أن يسمعوا فيه، كاذبات الأفاويل، ويفعلوا به هذه الأفاعيل،: فرد سليمان عليه قال بل إنك المارق من الدين، والشاق عصا المسلمين، المناذير المؤمنين، فهلا أيها الشيخ الخرف: فقال موسى: والله ما بي من خرف، ولا أنا عن الحق بذي خنف، ولن ترد محاوراة الكلام، مواضع الجلام، أنا أقول كما قال العبد الصالح: فصر جليل والله المستعان على ما تصفونه فتأذن في رأسه يا أمير المؤمنين: وأغرورقت عيناه فقال له سليمان نعم فخذ فقام موسى فأخذه وجعله في طرف قيصر الذي كان عليه ثم أدبر في السباطين فوق الطرف الآخر عن منكبيه وهو مجرء لا يحتمل به ولا يرفعه فقال له خالد بن الريان أرفع ثوبك يا ابن نصير فالتفت موسى وقال ما أنت وذلك يا خالد: قال سليمان دعته حبيبه ما فعلنا به، فلما توارى موسى قال سليمان إن في الشيخ لبقية بعد، ثم إن موسى التفت إلى حبيب بن أبي عبيدة (قاتل ابنه) فكلمه بكلام غليظ حتى ذكر أصرا خفيا من نسيه فأفجعه

ثم أن سليمان كشف عن أمر عبد العزيز فأبى ذلك باطلا وأن عبد العزيز لم ينزل صحيح الطاعة مستقيم الطريقة فلما تحقق عند سليمان باطل ما رفع إليه عن عبد

العزيز ندم وأمر بالوفد فأخرجوا ولم ينظر في شيء من حوائجهم وأهدر موسى بقية القضية التي كان قاضاه عليها وكان سليمان قد آلى قبل خلافته لنظر بالحجاج ابن يوسف وموسى بن نصير ليعزلهما ثم لا يلبان نفسه من أمور الناس شيئاً فلما رضى عن موسى جعل يقول: ما ندمت على شيء ندمتني أن لا كنت خلوا من اليمين على موسى في أن لأوليه شيئاً، ما مثل موسى استغنى عنه. اه ثم ذكر شيئاً من خبر موسى مع سليمان

وانظر الفرق العظيم بين عصرنا وعصر بني أمية الذي مازلنا نشكو منه اذ هم الذين حولوا الحكومة الإسلامية الى ما يسمى في عرف السياسيين اليوم بالسلطة المطلقة فقد بين موسى للملك خطأ ولما ظهر ذلك لسليمان بن عبد الملك ندم على ما فعل بالرجل وولديه ولم يكافي الذين امتلوا أمره بالظلم الا بالاعراض عنهم فبالت حكامنا في هذا العصر يرجعون عن خطأهم اذا ظهر لهم ويمرضون عن شأبهم على الظلم ولا يشركونه معهم في رأي ولا حكم. وفي القصة عبرة بصبر موسى بن نصير عند ما فوجئ برأس ولده بين يديه وولده من يحزن على مثله الغريب انفضته وشجاعته وحسن ادارته وسياسته واتنا في هذا المقام نذكر شيئاً من خبر موسى إماماً للعبرة وليتذكر نابتة عصرنا شيئاً من تاريخ سلفهم الذين فتحوا البلاد وأحسنوا فيها السياسة وأقاموا العدل على أنهم لم يعرفوا من علوم السياسة والقضاء والادارة بعض ما يعرف اليوم بعض المحامين المختالين على سلب الاموال واضاعة الحقوق ونصر الا باطيل أو الموظفين الذين تشكو منهم السماء والارض أو بعض الذين يسمونهم (مترين) لانهم تعلموا في أوروبا وهم الذين أفسدوا أخلاق أممهم وأغروها بالخمور والفجور والفساد وغير ذلك من أسباب الدمار حتى فسد بأسها وذهبت سيادتها وانما الفرق بيننا وبين أولئك السلف الحياة الملية والاعتقاد الصحيح والأخلاق العالية

خطبة موسى بن نصير في ذات الجماجم

لما ولي عبد العزيز بن مروان موسى بن نصير أفريقية وعزل حسان بن النعمان الذي ولاه عليها عبد الملك رجل اليها وواته الجيوش في ذات الجماجم فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن أمير المؤمنين أصلحه الله رأي رأيا في حسان بن النعمان فولاه ثم كره وجهه أمراً عليكم وانما الرجل في الناس بما أظهر

والرأي فيما أقبل وليس فيما أدبر ، فلما قدم حسان بن النعمان على عبدالعزیزاً كرمه الله كفر الثمة وضيع الشكر ونازع الأمر أهله فقير الله ما به . وإنما الأمير أصلحه الله صنفوا أمير المؤمنين وشريكه ومن لا ينهم في عزمه ورأيه وقد عزل حسان عنكم وولاني مكانه عليكم ولم يأل أن أجهد نفسه في اختيار ملكم وإنما أنا رجل كاحدكم فمن رأى في حسنة فليحمد الله وليحضر على منالها ومن رأى في سيئة فليذكرها فاني اخطئ كما تخطئون وأصيب كما تصيبون وقد أمر الأمير أكرم الله لكم بعطايكم وتغنيفها ثلاثاً فخذوها هنيئاً مريئاً ومن كان له حاجة فليرفعها اليأوله عندنا فاضاؤها على ما عز وهان من المواساة ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله ،

﴿ خطبة موسى بأفريقية ﴾

وذكروا ان موسى لما قدم افريقية وانظر الى جبالها والى ما حولها جمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس انما كان قبلي على أفريقية أحد رجلين مسلم يحب العافية ويرضى بالدون من العطية ويكره ان يكلم ويحب أن يسلم أو رجل ضيف العقيدة قليل المعرفة راض بالهوناء وليس اخو الحرب الامن اكتحل السهر ، وأحسن النظر ، وخاض الفمر ، وسمت به همته ولم يرض بالدون من الفم لينجو ويسلم ، دون ان يكلم أو يكلم ، ويبلغ النفس عندها في غير خرق بريده ولا غف يقاسيه فتوكلا في حزمه حازماً في عزمه ، مستزيداً في علمه ، مستمسراً لأهل الرأي في احكام رأيه ، مستحكاً بجاربه ، ليس بالمتجانب اقحاماً ، ولا بالمتخاذل احجاماً ، ان ظفر لم يزد الظفر الا حذراً ، وان نكب اظهر جلادة وصبراً ، راجياً من الله حسن العاقبة فذكر بها المؤمنين ورجاهم ايها اقول الله تعالى « ان العاقبة للمتقين » أي الحذرين ، وبعد فان كل من كان قبلي كان يعمد الى العدو الاقصى ، ويترك عدواً منه أدنى ، ينهز منه الفرصة ، ويدل منه على المورة ، ويكون عوناً عليه عند النكبة ، وايم الله لا اريم هذه القلاع والجبال الممتعة حتى يضع الله ارفمها ويدل امنعها ، ويفتحها على المسلمين بعضها او اجمعها أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين

(المنار) لا يضمن ظان أن هذا الكلام صادر عن تصورات وخیالات لأثر

لها في النفس ولا يشهد لها من قائلها العمل كما يعلمون عن بعض خطباء هذا العصر وكتابه

الذين يقتبسون اقوال الناس ويخيلون عبارات ثم يؤلفون ذلك على الصورة التي يظنون انها تسمى الناس وتطلق السنتهم بالثناء عليهم ويسمون ذلك خطبة او مقالة . كلا ان موسى هو فاتح بلاد المغرب وبلاد الاندلس وهو مؤسس الحكومة الاسلامية فيها فعمله خير من قوله واخلاقه وآدابه مصدر اعماله ولا مرشده في ذلك الا الدين المبين وقد سأله سليمان بن عبد الملك اسئلة عن سيرته في حربه فأجاب به بما يدل على فراسته وبمد نظره وسعة اختياره وقوة دينه

قال له سليمان ما الذي كنت تفرح اليه في مكان حربك من امور عدوك؟ قال التوكل والدعاء الى الله يا امير المؤمنين فقال سليمان هل كنت تمتع في الحصون والخوانق او كنت تخدق حولك؟ قال كل هذا لم افعله؟ قال فما كنت تفعل؟ قال كنت اتزل السهل، واستشعر الخوف والعبر، واتحصن بالسيف والمقعر، واستعين بالله وارغب اليه في النصر؟ قال سليمان فمن كان من العرب فرسانك؟ قال حمير: قل فأبي الحليل رايت في تلك البلاد أصبر؟ قال شقرها: قال فأبي الامم كانوا اشد قتالا؟ قال انهم يا امير المؤمنين اكثر مما اصفهم: قال له اخبرني عن الروم قال اسود في حصونهم عقبان على خيولهم نساء في مواكبهم ان رأوا فرصة افترصوها وان خافوا غلبة فأرعال ترقل في اجبال لا يزول عار في هزيمة تكون لهم منجاة: قال فأخبرني عن البربر قال هم يا امير المؤمنين اشبه المعجم بالعرب لقاء ومنجدة وصبرا وفروسية وسباحة وبادية غير انهم يا امير المؤمنين غدور. قال فأخبرني عن الاشبان (اهل اسبانيا) قال ملوك مترفون، وفرسان لا يجبنون، قال فأخبرني عن الافرنج قال هناك يا امير المؤمنين العدد والمعدة والجلد والشدة وبين ذلك امم كثيرة، منهم العزيز ومنهم الذليل، وكلا قد لقيت بشكلك ففهم المصالح ومنهم المحارب المقهور، والعزيز البذوخ. قال فأخبرني كيف كانت الحرب بينك وبينهم؟ كانت عقبا؟ قال لا يا امير المؤمنين ما هزمت لي راية قط ولا نص لي جمع ولا نكب المسلمون. هي نكبة مذ اقمحت الاربعين الى ان شارفت الثمانين: قال فضحك سليمان وقال نأبن الراية التي حانتها يوم مرج راهط مع الفتحاك؟ قال تلك يا امير المؤمنين زيمرية وانما غنيت المروانية: قال صدقت وأحجبه كلامه

فلينأمل قومنا اليوم بسيرة سلفهم ولينظر المتارنجون في آثرهم وليقتبسوا انفسهم

بهم ليعلموا هل صاروا بغيرهم الى تدل وسقوط، ام الى رفعة وصعود، اللهم انهم قد ارتقوا في قنن الزينة والتفنن في اللذات الجسدية، غير انهم تدلوا في الاخلاق والازايا الانسانية، فليحاسبوا انفسهم ان كانوا يعقلون

اصلاح الطرق الصوفية

(مقالة ارسلها شيخ مشايخ الطرق الى جريدة المؤيد وقتلناها عنها)
من أهم الاشياء التي كان العقلاء يطلبون المبادرة باصلاحها في الطرق الصوفية الامور التي لها مظاهر عمومية والتي لا تحصل بين طائفة من الصوفية او بين الرجل منهم ونفسه بل يشترك في رؤيتها والتأثر منها الصوفي وغيره والوطني والاجنبي معاً وهذه الامور أهمها

١ - المواكب التي كان يراها الناس كل يوم في أزقة المدن وطرقات القرى وبلدان الارياف وما يتخلل الكثير منها من المنكرات كالوكب الاحدي وغيره وكانت في الاصل موعداً سنوياً لاجتماع رجال الطريقة أو الطرق ثم صارت الى هذه الحالة السيئة
٢ - اجتراء البعض على تقليد احتفالات دينية في مكان عمومي أو مجتمع عمومي بقصد أن يفرج عليه الحضور كما وقع كثيرا امام السباح وفي بعض منازل الانرج في مصر
٣ - الموالد التي تقام وما يصاحبها ويغفلها من الامور التي تخالف آداب الشرعية وينعكس به الفرض الخيري الموضوع له المولد بالارة

٤ - والثالث الاذكار التي يقيمها الصوفية في كل محل وناد وكثير منها مبين بالارة للذكر الشرعي المندوب اليه في الكتاب والسنة وهو توجه المرء الى الله تعالى سواء نطق باسمه الكريم أو لم ينطق قائماً كان او قاعداً قال تعالى (واذ كر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) وقال تعالى (فاذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم)

فمن الامر الاول كتبت لطوفة رئيس الداخلية وقد تفضل بها من النافع من الامر وعمل منشورا هذا نصه

الخطارة الداخلية منشور نمرة (٨٠) بتاريخ ١١ مايو سنة ١٩٠٥ بدم عمل مواكب

صوفية الأباذن من مشيخة الطرق

طلب سماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية بكتوبه لمارقم ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٥
 نمرة ٩٩ انفذ ماقرره المجلس الصوفي من منع حمل المواكب باسم الصوفية في القاهرة
 والأقاليم الأباذن من المشيخة لاجل مراقبة ومنع ما يخل بها من الامور المفايرة للآداب
 وحيث اتنازى موافقة ذلك فأكدوا باجراه ايجابية بأعفاء جهتهكم ومرسل بهذا عدد
 () من نسخ هذا المنشور لتوزيعها على الفروع التابعة اليكم

سماخلو حضرة شيخ مشايخ الطرق الصوفية

هذا صورة ما كتب للمدريات والمخافضات بناء على طلب سماحتكم بشأن المواكب
 التي باسم الصوفية وتأمل أن لا يخطى الأذن بمثلها الا لمن يتحقق أنه ممن يحافظون
 على الآداب تمام المحافظة ولا يقدم على شيء يخل بها أقدم

تأطر الداخلية

مصدق في قهني

تحريراً في ١١ مايو سنة ١٩٠٥

وهي نفذ هذا بما استمع كل هذه الموقوفات المرفوعة وأبطلت المواكب الا
 ما كان ضرورة كالمواكب التي تحصل في المولد النبوي وغيره مع مراعاة الآداب النامة
 وعن الامر الثاني عند تعديل قانون العقوبات المصري في سنة ١٩٠٤ تكلمت
 مع اللجنة المكلفة بدرسه في مجلس الشورى في وضع مادة لمنع ذلك فوضعتها في ضمن
 المادة ١٣٩ وجعلت العقوبة المجهولة عليها هي الحبس مدة لا تزيد عن سنة أو غرامة
 لا تتجاوز الخمسين جنياً مصرياً

والسبب في وضع ذلك في قانون العقوبات أن من يفعل ذلك قد لا يكون من رجال

الصوفية فلا يمكن اجراء العقوبات الصوفية عليه

فاذا أنفذ رجال البوليس هذه المادة والمنشور السابق ذكره حتى تنفيذها امتنع

حصول هذه المنكرات من الآن تماماً

وعن الامر الثالث وجد أنه لو قيد عدم حمل أي مولد الأبرخنة من المشيخة

الممومة كان في ذلك تضيق وصعوبة على الناس . ولكن وضعت مادة خصوصية

لذلك في لائحة الصوفية له خاتمة وهي المادة السادسة من الباب الخامس قبل فيها

(ويشترط أن لا يجاور مكان المولد نبي، بما في الآداب الشرعية كالاعقاب والسخرية

ونحوها) وكان المولد النبوي في مصر في هذا العام الماضي مثلاً لذلك

وتفقد هذا الامر منوط بوكلاء المشيخة في الجهات وبالرأي العام فحيثما وجد
شيء مغاير لذلك فله أن يحيط المشيخة العمومية علماً به وهي تجري ما يلزم حاله
وعن الامر الرابع اشترط في المادة الثانية من الباب الخامس من اللائحة الداخلية
الصوفية أن يعقد عن الطرق كل من أقام الذكر هيئة مخالفة للآداب الشرعية كالتمايل
المشبه للرقص والتخبط ونحوه وتنفيد ذلك يكون بمنى تنفيذ الامر المتقدم تماماً اهـ
(المنار) يعلم القراء اننا انشأنا لطالب باصلاح أهل الطرق منذ انشأنا المنار وقبل
إنشائه كنا لطالب شيخ مشايخ الطرق في مصر بذلك وقد ذكرنا في المنار منذ سنين انه وعدنا
بذلك صراحة وهذا الاصلاح الذي كتب عنه الآن لا ينبغي فتيلاً فأما جعل الاحتفالات
بأذن شيخ المشايخ في القاهرة ووكلائه في سائر بلاد القطر فليس بالامر المهم بل خاص
الناس وببعض الجرائد في ذلك وقالوا ان الاذن لا يعطى الا لمن يدفع مبلغاً من المال
وأما وضع القانون العقوبة على الامر الثاني فهو بجمله كسائر ما يماق عليه لا يأتيه الا من
أمن العقوبة وما هو من جوهر الطريق وانما هو من اهائته والامر المهم ما قال شيخ
المشايخ انه منته في اللائحة التي وضعها لمشيخة الطرق ويظهر من عبارته انه في ريب
من تنفيذها بل هو مقتداً بها لا تنفذ لانه ناطق برأي ووكلائه والجاهل على أن الجاهل كوكلائه
جاهلون يرغبون في هذه البدع نعم ان سرادق الرقص وأكواخ الزنا قد منعت من
المولد النبوي كما منعت قبله من مولد له سرادق ولكن لا يزال الذكري المولد على ما ينكر
شيخ المشايخ وهو بين يديه وخلفه وعن عيونه وشماله وفي داره أيضاً وقد كان
المعش والزنا وغيرهما من المنكرات في مولد السيد البدوي أهم وأكثر في هذا
العام منها في الأعوام السابقة وكتب في ذلك كثير من الجرائد فلم تبال مشيخة
الطرق بذلك ولم تعتمد الى منعه ولا الى التهي عنه فلما نأخذ من شيخ المشايخ همة
عملية في ازالة هذه البدع من مدنكون بداياها بطل الاغاني الغرامية والرقص والتمايل
بالذكر من داره في رمضان وياليت بيننا وجه الضرورة في المواكب التي تعرض أمامه في
المولد النبوي ان يندر على إقامتها

مرض الاستاذ الامام

لقد مرض استاذنا منذ أشهر مرضاً شديداً نأظن أنه من الأمراض الهينة التي

كانت ثماده ولكن طال الزمان ورأينا كل من عرض عليه من الاطباء ينهاء عن الاعمال العقلية واجهاد الفكر ويأمره بالحمية والراحة التامة وهو لايزداد الاجتهاد لنفسه وجهادا لأمته وكان موضع المرض المدة والامعاء فالتقل الى الكبد فاختلف الاطباء حينئذ بين قائل ان المدة هي الاصل والكبد تأثرت منها وقائل ان الكبد بتددها تضغط على المدة فتضعها من وظيفتها واجفوا على اختلافهم في أي العضوين هو الاصل على وجوب ترك العمل بتاتا والتعجيل بالسفر الى أوروبا وكل منهم أشار بترجيع بلاد واختيار أطبائها فرضي الاستاذ بالسفر ولكن لم يرض القدر اذ كانت السفن الدورية التي تنقل الناس الى أوروبا لا تقبل زيادة على من سبق الى أخذ جوازاتها من السائحين والمصطافين الى ١٤ من الشهر الافرنجي الماضي (يونيو) فأخذ جوازا وصبر عن السفر ولكنه لم يصبر عن العمل كدأ به وطأه فكان يبيت على فراش الآلام ويندو الى محل عمله فينظر في الفتاوى وفي اعمال مجلس الشورى ومجلس الاوقاف الاعلى واعمال الجمعية الخيرية الاسلامية وأوقاف الحنفية ويشغل مع اللجنة التي يرأسها الوضع نظام لمدرسة القضاء الشرعي ويحضر امتحان مدرسة دار العلوم وينظر في حاجات الفقهاء وطلاب المساعدة والشفاعة عند الحكام فيقضي حاجاتهم حتى تقلت عليه وطأة المرض وعجز عن الخروج واشتدت عليه الآلام حتى كان - والذي خلقه حجة على هذه الامة التي زرئت بالكسل والجمول - يشغل على فراشه عند سكون نوبة الآلام ولم يكن شيء من ذلك الشغل لنفسه ولا لاهله وولده ولكنه للناس، وهل كان الناس يشفقون عليه ادخارا له او تأديبا معه او عملا بالذوق الذي يفخر به اهل هذا البلد ؟ كلا انهم كانوا يكلفونه النهوض بأثقالهم وقوفاً على سريره وهو مضطجع او مستلق عليه وكان يعمل ما قدر ويستدرع ما يجز طالبا لا نظارا والامبال الى ان تحسن الحال جرى على هذه الحال يعمل للناس والمرضى يعمل فيه عملة، وينهك قواه ويحل جسمه، حتى اذا ماد نام وعد سفره رآه بعض الاطباء فقال ان المرض يندربا لخطر، ولا يجيز له الاقدام على السفر، فجئ، بطبيب آخر فقال قولة الاول فكتم هذا القول من عرفه من الاصدقاء وذوي القربى وساروا به في اليوم التالي الى الاسكندرية (١٠ ربيع الآخر) ورآه من ليلته بعض أطبائها فقالوا مثل ما قال الاولان وهو لم يعلم بهذا القول بل قيل

له ان الأطباء قالوا ان جسمك لا يقوى على مشقة سفر البحر فيجب ان ترتب في الاسكندرية لعلك بتغيير الهواء تجد قوة تمكنك من السفر وعند ذلك هيأه الصديق الوفي محمد بك واسم دار أخيه في رمل الاسكندرية ونقله اليها كانت الجرائد اليومية أذاعت خبر سفر الاستاذ الى أوروبا ثم ذكرت أنه أوجأ السفر بأمر الأطباء فعلم القاصي والداني من أهل هذا القطر بمرضه وظهر من آيات مكانته في نفوس الناس ما لم يكن يعلم كله فكان شغلا شاعرا للعقلاء والفضلاء من جميع الاصناف والطبقات فكان اصراء البيت الخديوي ومن حضر من ائطار الحكومة لاسيما رئيسهم القائم مقام الخديوي وغيرهم من كبراء الامة يترددون على الدار التي يقيم فيها المرة بعد المرة وكان بعض الأمراء يرسلون اليه اطباءهم وكانت الرسائل ترد كل يوم في البرق والبريد من جميع أنحاء القطرين - مصر والسودان - تسأل عن صحته وكلا وجد يوماً راحة تبشر الجرائد بها الامة فيصبح الناس مطمئنين فاذا سكنت الجرائد يوماً عن البشارة لجوا في السؤال مستخبرين

أما نحن - معشر اهليه واقرب اصداقائه وصريديه - فالتنا نتراوح بين اليأس والرجاء اذا راينا في راحة من الالم يرجع املنا حتى اذا ماتنا لم عظم خوفنا ووجلنا فنلتنا في ذلك مثل مقياس الحرارة كل يوم في صعود وهبوط بحسب ما نرى من حاله ولا غرو فهو كالهواء حياة المعنوية كالشمس لامتنا المسكنة ونسأل الله تعالى دفع البلاء والاطف في القضاء وتمجيل الشفاء انه سميع الدعاء

اعتذار للقراء الكرام

لا يجهل احد من قراء النار صلتنا بالاستاذ الامام ولا حاجة لان نقول ان مرضه قد شغلنا عن كل شيء فقد كنا نزوره في مصر كل يوم ونمكث عنده ماشاء الله ان نمكث ولما سافر الى الاسكندرية سافرنا معه واقفنا اياماً رايانا فيها حاله حسنت بعض الحسن فعدنا الى القاهرة وكتبنا بعض الجزء الثامن ثم جئنا الاسكندرية فأقنا عنده اياماً كان آخرها خيراً من أولها فعدنا الى القاهرة واتمنا الثامن وكتبنا بعض التاسع ثم جئنا الاسكندرية وعدنا مرة بعد مرة ولم تصدر الجزء الثامن لانه لم يتم الا وقد جاء موعد التاسع فغزنا على إصدارها معاً وقد مر على الموعد ايام والعذر ظاهر ولا شك ان تأخير هذين الجزئين يستتبع تأخير ما بعدهما ايضاً وهو تأخير لا يضر لان ما يكتب في

المنار لا يخلقه تأخر الزمان لانه ليس من الاخبار الطارئة التي تسبقنا الجرائد اليها
فتفتي القراء عما نكتبه وبهذا قد ظهر عذرنا للذين كتبوا اليانا من بلاد كثيرة فلم نجبه
ولله لا يضيع عندنا شيء ان شاء الله تعالى

اعذار بعد اعتذار

أخبرنا محصل المنار في القاهرة بأن كثيراً من المشتركين يقولون له انهم يريدون
زيارتنا ودفن قيمة الاشتراك في الادارة . فحين نشكر هؤلاء المحبين رغبته في زيارتنا
ونحن أشد رغبة في التشرف بزيارتهم ونرجوهم مع ذلك ان يدفعوا الاشتراك لانه محصل
لتكون الزيارة بيتنا ودية دية فقط واكي لا يحرم المحصل من اجرة التحصيل منهم
اذ ليس له شيء الا على ما يحصله بيده فاندفع اليه احب اليانا وانفع له فلدل اخواننا
الكرام يرضوننا جميعاً . ثم اننا نذكر السادة المشتركين في القطر المصري والسودان
بأن يفضل اهل الفضل منهم بارسال قيمة الاشتراك اليانا بالتحويل على البريد ولا
يلجئونا الى الكتابة اليهم أو التحويل عليهم ولا شك ان من يرجع الى وجدانه
ويفكر فيما نحن فيه من الشواغل ياتي مسرعاً ويحملنا من الشاكرين

رأي غريب في عاقبة السكر

جاء في بعض الجرائد أن بعض حكماء أمريكا يرى ان الناس بعد كذا الف من السنين
يصيرون كلهم مجانين بتوارث تأثير السكر في دماهم وأعصابهم فأولاد السكرى دائماً
مستعدون للجنون فإذا هم اعتسبوا مثله على السكر جاء أولادهم أشد استعداداً له
منهم وهكذا يتسلسل نمو الاستعداد للجنون حتى يصير جنوناً في بعض طبقات النسل
ولذلك يكثر الجنون في الناس عاماً بعد عام وأكثر ما يصيب السكرين فإذا دام انتشار
السكر واقبال الناس على هذه الخمر الكثيرة الانواع فانها يوشك أن تم البشري بعد
ألف من السنين فيكون كل واحد منهم مستعداً للجنون فيظهر فيهم بالتدريج حتى يقتلهم
قول السكر اجمعين

يبدأ أكثر الناس هذا القول علواً في المبالغة ولكن لا يوجد عاقل عالم ينكر أن السكر
بعد الفسل للجنون فهل تعظم بذلك الفساق وعبيد اللذة ويخافون على نسلهم اذ لم
يخافوا على أنفسهم من سائر عواقب السكر في الدنيا والآخرة ؟ كلا ان الانسان خالق
ضعيفاً لا يقوى على مقاومة الشهوة الا اذا أدب تأديباً دينياً من العشر فانه حينئذ

يرجى له أن يقوى على جند الشهوة المحرمة في الغالب فإن غلبته نفسه على الاسلام بشيء
تذكر الله فلا ذنب لثوبه والآنابة

لقد ران حب الله على المقول فأضف السكر وختم على القلوب فأما شعور
الحق والخير وصبر الحواس عن الاعتبار بما تربي وتسمع فكان هؤلاء المدمنين
لا يفتنون ان في السكر شيئاً من الضرر ولذلك يوجد فيهم من يلزم به أهله وولده ويجمعهم
عليه. رأيت في بعض الجرائد أن رجلاً من الأغنياء أخذ ولده ليلاً الى بعض ملاهي
الازبكية حيث المقامرة والسكر فطلق الوالد يقاسر حتى رأى ولده يهوى طلباً لثوم فطلب
له كأساً من الجمرة (البيرة) فأنكره الولد وعاقبه فألح عليه والده ومصر به حتى شر به بالتدريج
وكان ذلك مفتاح الشرور فلم يلبث الولد ان عاد الى ذلك حتى اعتاد وانغمس في الفساد
واقطع عن الدرس والمدرسة فيا لله وهذه التربية

آفة هؤلاء الجاهلين الذين سفهوا أنفسهم فساد الدين ومن العجائب أن منهم
من يتوهم أن عقله وفكره أرقى من أن يقبل الدين وأن المتدينين لا يكونون الا
منحطين في مراتب البشرية كأن أعلا مراتب البشرية عندهؤلاء السفهاء ان ينصرف
الانسان الى المذات البهيمية فلا يكون بينه وبين الثور والخنزير والقرود فرق في غيب
الصورة الجسدية الا بخروجه هو في طاعة شهواته عن مقتضى الفطرة والاسراف
في كل شيء حتى يكون حراً أو يكون من المالكين ولو صح هذا الرأي لكان البهائم افضل
من الناس كما هو ظاهر

هو انتخار جريدتي الاواء والعالم الاسلامي بالكذب

من القواعد المعروفة أن الانسان يتكبر اذا كان يشعر في نفسه بأنه وضيع بين
كبراء لا يجار بهم الا اذا تكلف الظهور بظهورهم لأن صفة التكبر تدل على
التكلف . ومن لوازم التكبر الكذب في القول ليم به التكبر بالفعل . وكان صاحب
جريدتي الاواء والعالم الاسلامي على غروره بنفسه يشعر بأن جريدته لا قيمة لها فهو
يخترع الرسائل ويدهي أنها جاءت من الهند وجاره والامانة وغيرها من البلاد ثم
يقبجج ويفتخر بذلك ويدهي ان جريدته موضع ثقة الامم والشعوب الاسلامية في
العالم الاسلامي ولملك لا تجد شيئاً من هذا التبجح والتعج في جريدة يومية أخرى

ولا في جريدة أسبوعية الا أن يكون بعض ما يسمونه في مصر بالجرائد الساقطة فائيس والتان ونيويورك هراك وأمثالها تستحي أن تفخروا بكلمة حق لأنها ترى الكمال في أن يفخر بها الناس لا في أن تفخر هي بنفسها

وإذا أحببت أن ترى شاهدا من شواهد رسائل اللواء المكذوبة فراجع العدد ١٧٥٤ و العدد ١٧٦٢ نجد في الأول منهما مقالة وفي الآخر مقالة أخرى زعم أنها جاءت من جلاوه تؤيد ما كتبه في العدد ١٧٥٤ من جهة وتستدرك عليه من جهة أخرى وأنت ترى أن مدة ما بين العددين سبعة أيام في هذا الأسبوع طار عفريت من الجن بعد اللواء من القاهرة فقطع البحر الأحمر والمحيط الهندي إلى جلاوه ثم حمل رسالة من أحد المسلمين هناك وطأها إلى إدارة اللواء الأغر ولولا هذا العفريت لما وصل اللواء إلى جلاوه وكتب ذلك الكاتب ووصلت رسالته إلى مصر إلا في زهاء شهرين من الزمان

يقول الناس في أمثالهم إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً أي اثلا تفضح عند الناس فتحقر ولكن صاحب الجريدتين قدأمن من أهل وطنه المحبوب أن يحتقروه مهما قال وفعل فهو مستغن عن تكلف عناء التذكر والتوفيق بين الكذب السابق واللاحق يسهل على اللواء الأغر أن يكذب في يومه على أمس فكيف يطالب بأن لا يكذب

في أسبوع على ما قبله رأيت بالمصادفة مائة من جريدة الاهرام في استرجاع شيخ الجامع الأزهر لكتابه الذي أرسله إلى رئيس النظارة القائم مقام الخديوي في مسألة إعفاء حفاظ القرآن من الخدمة العسكرية - جريدة الاهرام قالت يوم الجمعة ان شيخ الجامع اقتنع بأن أو سال ذلك الكتاب لم يكن من الضواب فاسترجعه رسمياً وأبطل عدده (نمرته) الرسمي وجريدة اللواء زعمت في يوم السبت التالي ان تلك الجمعة ان جريدة الاهرام قالت ان الحكومة كلفت شيخ الجامع بسحب كتابه ولم يكن أحد من الناس نسي ما في جريدة الاهرام لانهم لم يرو عليه سوى ليلة واحدة

وكأننا ببعض الذين يعرفون كنه اللواء وصاحبه يذلوننا على إضاعة نحو صفحتين من المنار في بيان كذبه واطلمهم يرجعون عن غلظهم إذا علموا اننا لا نقصد بهذا الرد على الذين أخبرونا بأن اللواء نشر مقالة من جلاوه وأخرى من كذبت في ذم المنار وطلبوا منا الرد عليهما ليعلموا اننا لا نتق بما يكتب في هذه الجريدة ولا نقرأ على أنه لم يكن في تلك المقالتين إلا السب والشتم فلوانهما تضمنتا قتل شيء من المنار والرد عليه لينا للناس الحق في ذلك



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

الحكمة
١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستعجلون القول فينبهون أحسنه
أولئك الذين هدهم الله فبما وفقهم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للسلام صوي و«منارة» كنار الطريق

(١٩٠٥ - ١٩٣٣) ١٩ جادى الأولى سنة ١٣٣٣ - ١٩ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥

مصائب الإسلام • يموت الاستاذ الامام

مات الاستاذ الامام ولو كان كبر النفوس وطهارة الارواح وعلو
الهمم مما يحول دون الموت لما مات أبدا ولكن كل حي يموت إلا الحي القيوم
«إنا لله وإنا إليه راجعون»

مات الاستاذ الامام فمات ذلك العلم الواسع، والحكمة البالغة، والحجة
الناطقة، والمعارف الكونية والالهية، والمعلوم الكسبية واللدنية، مع البيان
الساحر، والأدب الباهر، والبلاغة التي تمتلك المقول والقلوب، والفصاحة
التي تستهوي الاسماع والنفوس،

مات الاستاذ الامام فمات تلك الاخلاق القدسية، والشجائل الحمديّة،
والصدق في القول والفعل، والاخلاص في السر والجهر، والوفاء في القرب
والبعد، والسخاء في السر واليسر، والعفة في الشباب والكهولة، والحلم عند
الغيظ والمفاضية، والمنو مع القدرة على المؤاخذه، والتواضع وخفض
الجناح للمخلصين، والشهامة والترفع على المنافقين والمستكبرين، واللين للحق
وأهله، والشدة على الباطل وجنده، والشجاعة التي تنهاها الأصرار والمظالم،
والقناعة التي رفعت رأسه فوق الرؤساء

مات الاستاذ الامام فمات تلك الاعمال النافعة، والمشروعات الرافعة،
والمساعي الجديدة، والوسائل المفيدة، والاجتهاد في ترقية الأمة، والدفاع
عن الملة، والدعوة إلى التوحيد والتأليف، والاشتغال بأفضل التعلیم والتأديب،
والترية الصحيحة للمريدين، والجمع بين علوم الدنيا والدين، ومواساة البائسين
والمعوزين، وكفالة أولاد الفقراء والمساكين،

مات الاستاذ الامام فمات تلك الآمال البعيدة، والمقاصد الحميدة،

التي كانت مطوية في ذلك الجرم الصغير ، الذي انطوى فيه العالم الكبير ،
 تلك الآمال التي تتضائل دونهاهم الملوك والأمرء . وتتصاغر أمامها
 نفوس الرعاع والأغنياء ، الذين هم عن استعمال واهبهم مصروفون ، وعن
 الثقة برهم محجوبون ، وعن سنته في خلقه غافلون ،

مات الاستاذ الامام فراع موته الناس ، من جميع الطوائف والأجناس ،
 فلم علماء الدين ، أنهم فمدوا ركنهم الركين ، الذي يحمل عنهم رد الشبهات ،
 وغير ذلك من فروض الكفايات ، وعلماء الدنيا ، أنهم خسروا ركنهم
 الأقوى ، الذي يدفع عنهم مطاعن المتعصبين ، وتكفير الجامدين ، وثبت
 ان الاسلام جمع بين المصلحتين ، ولا يتم ذلك الا بالجمع بين العلمين ،
 وشعر طلاب الإصلاح بأنهم فقدوا إمامهم العظيم ، الذي كانت فيه
 صفات الزعيم ، وأحسن الفقراء والمساكين ، بأنهم رزءوا بكافل اليتامى
 وغوث المجزين ، ولم يجهل القائلون بالشؤون العامة ، شدة وقع هذه
 الطامة ، وانهم نكبوا بصاحب الرأي الناقب ، والعمل النافع ، مربى
 الرأي العام في الشورى والجمعية العمومية ، صاحب اليد البيضاء في الاوقاف
 الاسلامية ، المضطلع باصلاح الأزهر والمحاكم الشرعية ، الناهض بأعباء
 الجمعية الخيرية ، الموفق بين الحكومة والرعية ، واعترف أهل الملل بأن
 مصابه مصاب الانسانية ، والخسارة الكبرى على العلم والمدينة ،

مرض هذا البر الرحيم فكان على فراش الموت يسأل عن بعض
 الضعفاء ، ويبحث عن مساكن القواعد من النساء ، ليواسيهم بالبر ، من
 وراء الستر ، وقال لي ان فلانا القريب قد انقطع عن السفر بدين عليه ،
 واني مستغن الآن عن مئة جنيه فان كانت كافية أرسلتها اليه ، ولكنه غاب

عن الوجود ، قبل ان يقضي لباته من البر والجود ،
مرض هذا المصلح العظيم فاضطربت الامة المصرية لمرضه فكانت
الدار التي يمرّض فيها كعبة المائدين من العلماء والاصراء والوزراء والادباء
والفضلاء والفقراء والأغنياء وكان البرق يناجيه كل يوم مع البريد ،
بالنيابة عن الحاجز والبعد ، سائلين عن صحته ، أو مهشين بما يقال عن
راحته ، فكان بحمد الله ان جعل الدهماء من أمته يعرفون لخادمها
خدمته ، ويشكرون للعامل لها عمله ، ويقول لئن شفيت لاجهدن النفس
في خدمتهم اجمعين ، حتى أكون حرضا أو أكون من الهالكين ،
مرض الاستاذ الامام ، فلم يعبه المرض عن خدمة المسلمين والاسلام ،
واحتضر الاستاذ الامام ، وهو يفكر في مصلحة المسلمين والاسلام ،
ومات الاستاذ الامام ، وهو يلهم غيره على المسلمين والاسلام ،
نقول مات الاستاذ الامام فنبدي القول ونبيده نصير الحس ،
ونكار النفس ، فقد كادت تحسب ان موته رؤيا منام ، وأضغاث أحلام ،
وما هو الا الحق اليقين ، ومصير الاولين والآخرين ، « وما جعلنا لبشر من
قبلك الا للهدى أفان من فهم الخالدون » كل نفس ذائقة الموت وتبلوكم بالشـر
والخير فتنة والينا ترجعون » مات استاذنا وإمامنا ولك اللهم البقاء فلا
تقتنا بعده ، ولا تحرمنا أجره ، واغفر اللهم لنا وله ،
نعم إنه قد مات ولكن لم تمت علومه ومعارفه ، وما آثره وعوارفه ،
فلقد ربى أرواحا ، واصلاح إصلاحا ، وألف كتبا ، وترك علماء وأدباء ،
وأما سنننا سنة له أجر إمامتها ، وأحيا سننا حسنة له أجرها وأجر من يعمل
بها ، وعلمنا كيف تفهم القرآن ، وقيم شرائع الاسلام ، مع توخي قمع

الناس أجمعين ، والاخلاص لله رب العالمين ،

مات أستاذنا وإمامنا فكبر علينا موته ولكنه ربانا على الصبر ووطننا
كيف تعزى عنه حتى في مرض موته ، فقد كان هجيرا في تلك الكربات
والسكرات ، كلمة الله التي أمرنا بتكرارها في الصلوات • (الله أكبر) فلئن
كان بفضل الله كبيرا فينا فأنه أكبر ، ولئن كان مرضه وموته كبيرا علينا
فأنه أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ومن يتصم بالله فقد
هدي إلى صراط مستقيم

لبي دعوة ربه برمل الاسكندرية في الساعة الخامسة بعد الزوال من
يوم الثلاثاء ثامن جمادى الاولى فنماه البرق بآلاته الناطقة والكاتبة الى
العاصمة وغيرها من مدن القطر فاضطربت لنصيه القلوب وذرفت العيون
واسترجعت الألسنة وحولت وطفق الناس يعزى بعضهم بعضا متفقين
على ان المصائب به عام ، وأشد وقعها على المسلمين والاسلام ، وما كنت
تسمع من القريب والغريب ، والبنيع والحبيب ، والوطني والاجنبي ،
والرشيد والنوي ، والعالم والجاهل ، والمفضل والفاضل ، إلا كلمة « خسارة
لاتعوض » أو كلمة « عوض الله الأمة به خيرا » أو قول الشاعر

وما كان فيسا رزءه رزء واحد ولكنه ببيان قوم تهدما

أو قول الآخر

ولكن الرزء فقد حر بموت لموته خلق كثير

وقد اجتمع مجلس النظار فقروا ان تحتفل الحكومة رسميا بتشيع
جنازته في الاسكندرية ومصر وان تنقل جثته على قطار خاص الى العاصمة
قصلت وشاركتها الأمة ونزلاؤها والمحتلون بهذا التشيع الذي لم يسبق

مثله لغيره حتى كان يخيل للمشيّع انه لم يبق أحد من سكان الاسكندرية ولا من سكان القاهرة الا وقد حضر ليودع هذا الامام الوداع الاخير وقد صلي عليه في الجامع الأزهر ودفن في قرافة المجاورين لقمده الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه فسيح جناته

ولما كان المنار هو الداعي الى الانتفاع بهذا الامام المصلح في حياته ، فجدبر به ان يرشد الى الاستفادة بسيرته بعد مماته ، فلا نطيل في الرثاء والتأبين وان كان بالحق ، ولكننا نقص على القراء ملخص سيرته مع التزام الصدق ، ليظهر لهم كيف تعلم وتربي حتى صار إماما حكيما ، وماذا عمل حتى صار مصاحفا عظيما ، وسنضع له تاريخا معقولا تفصل فيه ما أجلنا ، ونشرح فيه ما خلصنا ، ونودعه كثيرا من رسائله ومكاتباته ، وخطبه ومقالاته ، وما كتب به اليه بعض العلماء والمعلماء ، ومقاله فيه نوابغ الكتاب والشعراء ، وما ابتغى به الجرائد ، وما رثي به من غرر القصائد ، ونسأل الله تعالى ان يحسن عزاءنا وعزاء الامة فيه ، ويوفقنا في مصابنا لما يحبه سبحانه ويرضيه ،

ملخص سيرة الاستاذ الامام

(اصله ونسبه ومولده)

هو محمد بن عبده بن حسن خير الله من مديرية البحيرة في القطر المصري . وبيت خير الله تركاني الأصل كما اخبرنا الفقيد رحمه الله تعالى ولا اذ كرمته شيئا من تاريخ قدوم عشيرتهم الى القطر المصري الا أنهم كانوا يقيمون في الخيام وان علي باشا مبارك أخبره ان عبد اللطيف البغدادي المؤرخ الشهيرة كرم في الرحلة الكبرى انه جاء (محلة نصر) ونزل ضيفا في بيت التركاني . وأمه من عشيرة كبيرة في مديرية الغربية تعرف بمائلة عثمان وتنسب

إلى بني عدي قبيلة سيدنا عمر بن الخطاب ويقال إنها من ذريته. وكان والده
شهما شجاعا وقورا سخي النفس وكانت والدته برة رحيمة بالمساكين ذكية
النواد شديدة الحياء ولا أبسد إذا قلت إن والديه كانا من أسلم الناس فطرة
وأحسنهم خلقا. وكانت هذه الأخلاق فيهما موروثا ومكتسبة بالمعاشرة
والقدوة لا بتعليم المدارس ولا بتأديب المعلمين. وهذا أصل عظيم في استعداد
الرجل لما وصل اليه من الكمال الذي لم نرو ولم نسمع بمثله وقد قال صلى الله عليه
وسلم «الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»
رواه البخاري ومسلم

ولد قدس الله تعالى روحه في أواخر سنة خمس وستين أوست وستين
ومتين وألف من الهجرة الشريفة (روايتان من كتابته) في قرية من قرى
مديرية القريّة كان والده هاجر إليها هو وأخوه بهنس فرارا من ظلم حكام
مديرية البحيرة في أواخر حكم محمد علي باشا الكبير وكان له قرابة في تلك
القرية وفي أثناء إقامته فيها كان يتردد إلى بعض القرى القريبة فيها ويتعارف
هو وأهلها فأدى ذلك التعارف إلى المصاهرة إذ تزوج بوالدة التقيد وهي
من قرية تسمى (حصّة شبشير) قرية من مدينة طنطا وأقام معها في قرية
تسمى (شتر) إلى أواخر مدة عباس باشا الأول والي مصر ثم أُلجأته
الحوادث بعد ذلك إلى الرجوع إلى بلده وهي قرية تسمى (محلة نصر) في
البحيرة وفيها نشأ وترعرع

في تعليمه وتربيته

نشأ كما ينشأ أمثاله من أبناء البيوت المعروفة في القرى ولم يدخل
المكتب لتعلم القراءة والكتابة إلا بعد أن جاوز العاشرة من سنه وقد

كتب هو عن مبدإ نطقه وتأدبه مائمه : « تعلمت القراءة والكتابة في منزل والدي ثم انتقلت الى دار حافظ قرآن قرأت عليه وحدي جميع القرآن أول مرة ثم أعدت القراءة حتى أتممت حفظه جميعه في مدة سنتين ادركني في ثابتهما صبيان من أهل القرية جاءوا من مكتب آخر ليقرأوا القرآن عند هذا الحافظ ظنا منهم ان نجاحي في حفظ القرآن كان من أثر اهتمام الحافظ . بعد ذلك جئني والدي الى طنطا حيث كان أخي لأبي الشيخ مجاهد رحمه الله لأجود القرآن في المسجد الاحمدي لشهرة قرائه بفنون التجويد وكان ذلك في سنة ١٢٧٩ هجرية

ثم في سنة احدى وعشرين جلست في دروس العلم وبدأت بتلقي شرح الكفراوي على الأجرومية في المسجد الاحمدي بطنطا وقضيت سنة ونصفا لأفهم شيئاً لداء طريقة التعليم فان المدرسين كانوا يفاخثوننا باصطلاحات نحوية أو فقهية لا تفهمها ولا عناية لهم بتفهم معانيها لمن لم يعرفها فأدركني اليأس من النجاح وهربت من الدرس واختفيت عند اخوالي مدة ثلاثة أشهر ثم عثر عليّ أخي فأخذني الى المسجد الاحمدي وأراد اكرامي على طلب العلم فأيت وقلت له : قد أيقنت ان لا نجاح لي في طلب العلم ولم يبق عليّ الا أن أعود الى بلادي واشتغل بملاحظة الزراعة كما يشتغل الكثير من أقاربي : وانهى الجدل بتقلي عليه فأخذت ما كان لي من ثياب ومتاع ورجعت الى محلة نصر على نية ان لا أعود الى طلب العلم وتزوجت في سنة ١٢٨٢ على هذه النية

« فهذا أول أثر وجدت في نفسي من طريقة التعليم في طنطا وهي بعينها طريقته في الازهر وهو الاثر الذي يحده خمسة وتسعون في المئة ممن

لا يباعدهم القدر بصحبة من لا يلزمون هذه السبيل في التعليم - سبيل
إلقاء العلم ما يعرفه أو مالا يعرفه بدون ان يراعي المتعلم ودرجة استعداد
لفهم غير ان الاغلب من الطلبة الذين لا يفهمون أنفسهم أنفسهم فيظنون
أنهم فهموا شيئا فيسترون على الطلب الى أن يلبثوا سن الرجال، وهم في
أحلام الاطفال، ثم يتلى بهم الناس وتصاب بهم المامة فتعظم بهم الرزية
لانهم يزيدون الجاهل جهالة ويضلون من توجد عنده داعية الاسترشاد
ويؤذون بدهاويهم من يكون على شيء من العلم ويحولون بينه وبين
تق الناس بطله

وبعد ان تزوجت باربعين يوما جاءني والدي ضعوة نهار وأزمني
بالذهاب الى طنطا لطلب العلم وبعد احتجاج وتمنع وإباء لم أجده مندوحة
من إطاعة الأمر ووجدت فرسا أحضر فركته وأصحبني والذي بأحد
أقارب وكان قوي البنية شديد البأس ليشعني الى محطة (إيتاي البارود)
التي أركب منها قطار السكة الحديدية الى طنطا . كان اليوم شديد الحر
والرياح عاصفة مائية سافياء، تحصب الوجه بشبه الرضاء، فلم أستطع
الاستمرار في السير فقلت لصاحبي أما مداومة المسير فلا طاقة لي بها مع
هذه الحرارة ولا بد من التعرّيج على قرية أنتظر فيها ان يخف الحر، فأبى عليّ
ذلك فتركته واجريت الفرس هاربا من مشافته وقلت اني ذاهب الى
(كيتنة ادوين) - بلدة غالب سكانها من خوولة ابي - وقد فرح بي
شبان القرية (*) لانني كنت معروفا بالقروسية واللعب بالسلاح وأملوا

(*) في العبارة ايجاز بديع بالحذف اذ لم يذكر انه وصل الى القرية ولقي شبانها بل
طوى ذلك لدلالة ما بعده عليه . وقد اتقدي رحمه الله في هذا بأسلوب الكتاب الترتيبي

أن أقوم معهم مدة يلهو فيها كل منا بصاحبه . أدركني صاحبي وبقي معي الى مصر وأرادني على السفر فقلت له خذ القرص وارجع وسأذهب صباح الغد وان شئت قلت لو الذي انني سافرت الى طنطا فانصرف وأخبر بما أخبر وبقيت في هذه القرية خمسة عشر يوما تحولت فيها حالتي ، وبدلت فيها رغبة غير رجعتي ،

« ذلك ان أحد اخوال أبي واسمه الشيخ درويش سبقت له أسفار الى صحراء ليبيا ووصل في أسفاره الى طرابلس الغرب وجلس الى السيد محمد المدني والد الشيخ ظافر المشهور الذي كان قد سكن الاستانة وتوفي بها وتعلم عنده شيئا من العلم واخذ عنه الطريقة الشاذلية وكان يحفظ الموطأ وبعض كتب الحديث ويجيد حفظ القرآن وفهمه ثم رجع من أسفاره الى قريته هذه واشتغل بما يشتغل به الناس من فلاح الأرض وكسب الرزق بالزراعة » وإن هذا الشيخ جاءني صبيحة الليلة التي بها في الكنيسة ويده

كتاب يحتوي على رسائل كتبها السيد محمد المدني الى بعض مريديه بالأطراف بخط منبري دقيق وسألني ان أقرأ له فيها شيئا لضعف بصره فدفت طلبة بشدة ولغت القراءة ومن يشتغل بها وتفرت منه أشد النفور ولما وضع الكتاب بين يدي رميته إلى بعيد لكن الشيخ تبسم وتجلى في ألطف مظاهر الحلم ولم يزل بي حتى أخذت الكتاب وقرأت منه بضعة أسطر فاندفع يصر لي معاني ماقرأت بعبارة واضحة تغالب إعراضي فتدلبه وتبقى إلى نفسي . وبعد قليل جاء الشبان يدعونني الى ركوب الخيل والامب بالسلاح والسباحة في نهر قريب من القرية فرميت الكتاب وانصرفت اليهم . بعد مصر جاءني الشيخ بكتابه وألح علي في قراءة شيء منه

فقرأت وفسرتم تركته إلى اللب وفعل في اليوم الثاني كما فعل في الأول
أما اليوم الثالث فقد بقيت اقرأ له فيه وهو يشرح لي معاني ما أقرأ نحوه
ثلاث ساعات لم أمل فيها فقال لي إني في حاجة إلى الذهاب إلى المزرعة
ليعمل بعض العمل فيها فطلبت منه إبقاء الكتاب معي فتركه ومضيت
أقرأه وكلما مررت بعبارة لم أفهمها وضمت عليها علامة لأسأله عنها إلى
أن جاء وقت الظهر وعصيت في ذلك اليوم كل رغبة في اللب وهوى
يأزغني إلى البطالة، وعصر ذلك اليوم سأله عما لم أفهمه فأبان معناه على
عادته وظهر عليه الفرح بما تجدد عندي من الرغبة في المطالعة والميل
إلى التعلم

« كانت هذه الرسائل تحتوي على شيء من معارف الصوفية وكثير
من كلامهم في آداب النفس وترويضها على مكارم الأخلاق وتطهيرها من
دنس الرذائل وتزهيدها في الباطل من مظاهر هذه الحياة الدنيا
« لم يأت عليّ اليوم الخامس إلا وقد صار ابتض شيء إليّ ما كنت
أحبه من لب ولهو، وفنخنة وزهو، وعاد أحب شيء إليّ ما كنت أبغضه
من مطالعة وفهم وكرهت صور أولئك الشبان الذين كانوا يدعونني إلى
ما كنت أحب ويؤهدونني في عشرة الشيخ رحمه الله فكنت لا احتل
أن أرى واحدا منهم بل أفر من لقاءهم جميعا كما يفر السليم من الأجرب
في اليوم السابع سألت الشيخ ما هي طريقتكم فقال طريقتنا الإسلام
قلت أو ليس كل هؤلاء الناس مسلمين؟ قال لو كانوا مسلمين لما رأيتهم
يتنازعون على التافه من الأسرولما سمعتهم يحلفون بالله كافرين بسبب
وبغير سبب. هذه الكلمات كانت كأنها نار أحرقت جميع ما كان عندي

من المتاع القديم - متاع تلك الدعاوى الباطلة والمزاعم الفاسدة، متاع الغرور
 بأننا مسلمون ناجون، وان كنا في غيرة ساهين، سأله ما وردكم الذي
 ينلى في الخلوات أو عقب الصلوات، فقال لا ورد لنا سوى القرآن قرأ
 بعد كل صلاة أربعة ارباع مع الفهم والتدبر: قالت أنى لي أنت أفهم
 القرآن ولم أنسلم شيئا قال أفرا معك ويكنيك ان تفهم الجملة وبيركتها
 يفيض الله عليك التفصيل وإذا خلوت فاذكر الله: على طريقة يدها. وأخذت
 أعمل على ما قال من اليوم الثامن فلم تمض علي بضعة أيام إلا وقد وأيتني
 أطير بنفسي في عالم آخر غير الذي كنت أعهد، (١) واتسع لي ما كان
 ضيقا، وصغر عندي من الدنيا ما كان كبيرا، وعظم عندي من أمر العرفان
 والذوق بالنفس الى جانب القدس ما كان صغيرا، وتفرقت عني جميع الهموم
 ولم يبق لي الا هم واحد وهو أن أكون كامل المعرفة كامل أدب النفس ولم
 أجد إماما يرشدني الى ما وجهت اليه قسي الا ذلك الشيخ الذي أخرجني
 في بضعة أيام من سجن الجهل الى فضاء المعرفة، ومن قيود التقليد، الى
 إطلاق التوحيد، - هذا هو الأثر الذي وجدته في نفسي من محبة أحد
 أقاربي وهو الشيخ درويش خضر من أهالي (كنيسة ادرين) من مديرية
 البحيرة. وهو مفتاح سعادتني ان كانت لي سعادة في هذه الحياة الدنيا،
 وهو الذي رد لي ما كان غاب من غيوتي، وكشف لي ما كان خفي عني مما
 أودع في فطرتي،

«وفي اليوم الخامس عشر صرّ بي أحد سكان بلدنا (محلة نصر) فأخبرني

(١) سندكرهنا تم في تاريخه الطويل معنى ما قاله في تأثير التصوف في نفسه ومالم

يقوله وبين ما كان له من المنفعة والضرر الذي تلافاه السيد جمال الدين في رؤية تفيدنا الثانية

ان والدي ذهبت الى طنطا اتراني فعلمت ان سيقول لوالدي انني لا ازال في الكتبة فأصبحت مبكرا الى طنطا خوف عتاب الوالد واشتداده في اللوم لانني لو كنت اُقت له ألف دليل على انني وجدت في مهربي مطالبه ومطاي لما اقتنع

«ذهبت الى طنطا وكان ذلك قرب آخر السنة الدراسية في شهر جمادى الآخرة من سنة ١٢٨٢ هجرية لكن اتفق ان بعض المشايخ كانت مات بنته فماعة الحزن عليها عن اتمام شرح الزرقاني على العزية وآخر عرض له عارض منه عن اتمام شرح الشيخ خالد على الأجرومية فأدركت كلا منها في أوائل الكتاب الذي كان يدور به وجلست في الدرسين فوجدت نفسي افهم ما أقرأ وما أسمع والحمد لله. وعرف ذلك مني بعض الطلبة فكانوا يلتفون حولي لأطالع معهم قبل الدرس ما استلقاه. وفي يوم من شهر رجب من تلك السنة كنت أطالع بين الطلبة وأقرر لهم معاني شرح الزرقاني فرأيت أمامي شخصا يشبه ان يكون من أولئك الذين يسمونهم بالمجازيب فلما رفعت رأسي اليه قال ما معناه: ما أجلي حلوى مصر البيضاء: فقلت له وأين الحلوى التي معك؟ فقال سبحانه الله من جد وجد ثم انصرف فمددت ذلك القول منه إلهاما ساقه الله الي ليحمني على طلب العلم في مصر دون طنطا

وفي منتصف شوال من تلك السنة ذهبت الى الازهر وداومت على طلب العلم على شيوخه مع محافظتي على العزلة والبعد عن الناس حتى كنت استنفر الله اذا كلمت شخصا كلمة لغير ضرورة. وفي أواخر كل سنة دراسية كنت أذهب الى (محلة نصر) لأقيم بها شهرين. من منتصف شعبان الى منتصف شوال. وكنت عند وصولي الى البلد أجد خال والدي

الشيخ درويشاً قد سبقني اليه فكان يستمر معي بدارسني القرآن والمسلم الى يوم سنري . وكل سنة كان يسألني ماذا قرأت فأذكر له ما درست فيقول : ما درست المنطق ما درست الحساب ما درست شيئاً من مبادئ الهندسة : وهكذا وكنت أقول له بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة في الأزهر فيقول : طالب العلم لا يمجز عن تحصيله في أي مكان : فكنت اذا رجعت الى القاهرة أتمس هذه العلوم عند من يعرفها فتارة كنت أخطئ في الطلب واخرى أصيب الى ان جاء المرحوم السيد جمال الدين الافغاني الى مصر أواخر سنة ١٢٨٦

«وقد صاحبه من ابتداء شهر المحرم سنة ١٢٨٧ وأخذت أتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمة (الفلسفية) والكلامية وأدعو الناس الى التلقي عنه كذلك وأخذ مشايخ الأزهر والجمهور من طلبته يتقولون عليه وعلمنا الاقاويل ويزعمون أن تأتي تلك العلوم قديفسي الى زعزعة العقائد الصحيحة وقديهي بالنفس في ضلالات تحرمها خيري الدنيا والآخرة فكنت اذا رجعت الى بلدي عرضت ذلك على الشيخ درويش فكان يقول لي : ان الله هو العلم الحكيم ولا علم يفوق علمه وحكمته وإن أعدى أعداء العلم هو الجاهل وأعدى أعداء الحكيم هو السفه وما تقرب أحد الى الله بأفضل من العلم والحكمة فلا شيء من العلم بمقوت عند الله ولا شيء من الجهل محمود لديه الا ما يسميه بعض الناس علماً وليس في الحقيقة بهلم كالسحر والشعوذة ونحوهما اذا قصد من تحصيلهما الاضرار بالناس : »

هذا ما كتبه الفقيد عن مبدأ تربيته وتعلمه في رغبته التي كتبها لي قبل اشتداد مرضه الاخير وكان حديثي قبل بشيء من ذلك ومنه أنه لم يكن

يواظب على حضور دروس من لا يفهم أو لا يستفيد منهم وانه ربما كان يحضر درس أحدهم وفي يده كتاب آخر يطالع فيه مدة الدرس وان من شيوخه الذين فهم منهم واستفاد في أول تحصيله الشيخ محمد البسيوني وانه بعد الحضور في الازهر ثلاث سنين مل الدروس المعتادة كأنه أخذ حظه منها وصارت نفسه تطلب شيئاً جديداً وتميل الى العلوم العقلية ولكنه حضر جميع الكتب وفهمها ولم يكن يرتاح الى إعادة شيء منها وكان الشيخ حسن الطويل ممتازاً في الازهر بعلم المنطق فحضر عليه ولم يكن يشي ما في نفسه بل كانت تشوف دائماً الى علم غير موجود فكان يبحث في خزائن الكتب الازهرية عن طلبته المجهولة فيظفر ببعض الشيء ومما ظفر به القطب على الشمسية نافصاً . وقرأ الشيخ حسن الطويل لهم شيئاً من الفلسفة ولكن لم يكن يجزم بأن المعنى كذا بل كان الدرس احتمالات أو أشبه بالخزر فيما بينهم حتى جاء السيد جمال الدين فسكنت اليه نفسه من اضطرابها ووجدت عنده جميع طلبتها ، وأقصى أمنيته ، وأخبرني رحمه الله تعالى ان الذي أخبره بقدم السيد جمال الدين هو أحد المجاورين في رواق الشوام قال له انه جاء مصر عالم افقاني عظيم وهو يقيم في خان الخليلي فمر بذلك وأخبر الشيخ حسنا ودعاه الى زيارته معه فألفياه يمشي فدعاهما الى الأكل معه فاعتذرا فطلق يسألهما عن بعض آيات القرآن وما قاله المفسرون والصوفية فيها ثم بفسرها لهم فكان هذا مما ملأ قلب فقيدنا به عجباً وشغفه بها لان التصوف والتفسير هما قرّة عينه أو كما قال مفتاح سعادته . وأخبرني رحمه الله تعالى انه قرأ على السيد كتاب الزوراء للدواني في التصوف، وشرح القطب على الشمسية والمطالع وسلم العلوم من كتب المنطق ، والهداية والاشارات وحكمة العيون

وحكمة الاشراف من الفلسفة ، وعقائد الجلال الدواني والتوضيح مع
التلويح في الاصول ، والجفيني في الهيئة القديمة وكتابا آخر في الهيئة
الجديدة نسبت اسمه .

ثم ان السيد أرشده كثيره من تلامذته الى الانشاء وكتابة المقالات
الادبية والاجتماعية والسياسية وصرهم على الخطابة فبرع فقيدها في ذلك حتى
صار أجمع من أستاذة نفسه لان عبارة السيد رحمه الله تعالى كانت على متانها
وبلاغتها لم تصف من كدورة العجمة الى صفاء الانسجام العربي الخالص
كمبارة الشيخ ثم ان مجالس السيد في نادية وسامره كانت كلها مجالس علم وحكمة
وأدب وسياسة وقلماء كان يفوت فقيدها شيء منها اذ كان يلزمه ملازمة
ظله وما يستفيده المرء بالذاكرة في ساعة لا يستفيده بالدرس في ساعات
لان المدرس يكافئك كل ما يلقيه اليك سواء كنت تشمر بالحاجة اليه وتمتد
الاستفادة منه أم لا وسواء كنت مستعدا لفهمه أم لا ، وأما المذاكرة
فهي مشاركة اختيارية في البحث والانسان لا يختار الا ما يرى نفسه
محتاجا اليه ومستعدة لفهمه فمثل الدرس يلقي اليك كمثل من يكافئك أن
تأكل مقداراً معيناً من الاطعمة التي قد تماف بعضها ولا تستطيع تناولها
الا بكثرة وغثاء فأنت لا تغذي الا ببعضها والباقى إما أن يضر وإما أن
لا ينفع ومثل المذاكرة كالطعام الذي تشربه وتناول منه ما يكفيك فيكون
كله غذاء نافعا . وقد قل بعض علماء التربية من الافرنج انه كلما يطلع من
يقيم في مدارس العلم زمانا طويلا . ولقد كانت مجالس استاذنا المقيده
كمجالس استاذة (رحمهما الله) تفيض علما وحكمة وأدبا ولكن الفصل
بينهما في هذا هو ان السيد كان يلقي الحكمة لكل أحد وأما الشيخ فكان

مخاطب كل أحد أو كل فريق بما يرى انه مستعد له ومتوجه اليه وقد قال
 لي رحمه الله تعالى ان السيد جمال الدين كان يلقي الحكمة ليريدوها وغير مردها
 ومن خواصه انه يجذب مخاطبه الى ما يريد وان لم يكن من أهله وكنت
 أحسده على ذلك لانني تؤثر في حالة المجلس والوقت فلا تتوجه قسي
 الكلام الا اذا رأيت له محلا وهكذا الكتابة الخ ما قاله وسند كره في عمله
 من تاريخه ان شاء الله تعالى

تدريسه ودعوته الى اصلاح التعليم في الازهر

كان مفا الله عنه قبل أخذ شهادة التدريس يطالع مع بعض الطلاب
 الدروس التي يحضرونها في الازهر ثم اتفقت الرغبة على أن يقرأ لطائفة
 منهم بعض الكتب فقرأ لهم إيساغوجي في المنطق ثم شرح العقائد النسفية
 للسعد التفتازاني مع حواشيه ثم مقولات السجاني بحاشية العطار وغير
 ذلك من الكتب التي لم تكن تقرأ في الازهر فكثير سواد المجتمعين عليه
 وكان يدعوهم الى مطالعة ما لم يعودوا من الفنون والكتب ويفتح لهم
 أبواب المذاكرة والمناقشة ليلا فكانوا يفتالون الليل ولا يشمرون بطوله
 وقتن الاذ كياه بحسن بيانه ودقه فهمه وحسده أناس منهم فأحفظوا عليه
 قلب الشيخ عيش فكان ما كان من حادثته معه اذ ذهب ابن الشيخ
 عيش مع طالب آخر فقالوا ان فلانا يقرأ شرح العقائد النسفية وقد رجح
 في درسه أمس مذهب المعتزلة على مذهب الاشعرية وكان الشيخ عيش
 رحمه الله أذنا يصدق بكل ماسع وكان شديد القيرة في الدين حديد
 المزاج سريع الغضب فكبر عليه أن يقرأ أحد الطلاب مثل ذلك الكتاب
 الذي لم يكن الشيوخ الكبار يتسامون لقراءته فأرسل الى الفقيه فجاءه وهو

يقرأ الدرس في المسجد الحسيني فقال الشيخ عlish بلقني انك تقرباً شرح
المقائد النفسية درساً قال نعم : قال الشيخ عlish وبلقني انك رجعت
مذهب المعتزلة على مذهب الاشعرية قال اذا كنت اترك تقليد الاشعري
فلماذا اقلد المعتزلي اذا اترك تقليد الجميع واخذت بالدليل قال الشيخ عlish
اخبرني الثقة بذلك قال هلم الثقة الذي يشهد بذلك فليميز اماننا هنا بين
المذهبيين وليخبرنا أيهما رجحت : قال الشيخ عlish أو مثلك يفهم شرح
المقائد قال الكتاب حاضر وأنا حاضر فسألني ان شئت : فكبر على الطلبة
الحاضرين مثل هذه المراجعة من طالب للشيخ عlish المهيب وقال بعضهم
ان هذا يرسل شعره ويجمعه تحت عمامته وأخذ عمامته عن رأسه ولقط
الحاضرون قتر بهم الفقيه رحمه الله تعالى وذهب حاسراً عن رأسه فقال
أناس ان الشيخ عlishا ضربه وقال آخرون انه منعه من الدرس وكثرت
الاشاعات والافوال والروى والاحلام فيه وفي السيد جمال الدين والصواب
ان هذا كل ما حصل وان الفقيه لم يتمتع من قراءة الدرس ولكنه كان
يضع بجانبه عصا وقال اذا جاء الشيخ بمكازه فله هذه العصا وكان من
الشجاعة على ما يعهد عارفوه كما سنبين ذلك في الكلام على أخلاقه . أما
تأثير هذه الحادثة فقد كان أكبر منها بل كان هو مبدأ خوض بعض
الجامدين في دين كل من السيد الحكيم والاستاذ الامام رحمهما الله تعالى
وسنقتد لذلك فصلاً خاصاً في تاريخ الفقيه نبين فيه انه لم يسلم أحد من
أئمة الدين ولا من كبار الحكماء والصوفية من مثل هذا الطعن وأنه من
منافح حكيمينا قدس الله روحهما وان الذين يتشفون بمثل هذا الخوض من
الاعداء والحاسدين ومن يقاتلهم من السالكين والمجاهدين لو عاقبوا لكتفوه

وسموا في ازالته

نعم ان ذلك الخوض والتقول مما نزين به تاريخ الحكيمين
ولكن لانكر ان تأثيره السيء وقع على الامة الاسلامية عامة وعلى
الازهر خاصة دون الرجلين اللذين لم يحترم الناس لاسما عقلاء الامة
الاسلامية في هذا المصير أحداً من أهل المشرق كاحترامهم لهما فذاك انه
كان عقبة في سبيل إصلاحهما واستفادة الامة منهما وهما مأجوران عند
الله تعالى بحسن نيتهما وبذلهما جهده المستطاع في خدمة امتهم وملتهم
وقد كاد يترتب على ذلك حرمان فقيدنا من شهادة العالمية ومرتبة التدريس
في الازهر لولا عدل الشيخ البياضي وإنصافه كتب الاستاذ الامام رحمه
الله عن امتحانه ما نصه :

« عرضت نفسي على مجلس الامتحان في ١٣ جمادى سنة ١٢٩٤
هجرية وابتليت في الامتحان أشد الابتلاء لتعصب الأكثر من أعضائه
مع المرحوم الشيخ عايش وكان يعاديني على الشيب اتباعاً لآراء من لا رشد
عندهم من بلقاء الطلبة ، وكانوا قد أجمعوا أمرهم على ان لا يمنحوني
درجة ما في العلم وجرت أمور قبل الامتحان يطول شرحها ولكن كان
أمر الله أغلب فخرجت من هذا الامتحان بالدرجة الثانية وصرت مدرسا
من مدرسي الجامع الازهر وأخذت أقرأ العلوم الكلامية والمنطقية الخ
وقد أخبرني رحمه الله ان بعض الشيوخ تقاسموا قبل الامتحان بيننا
مؤكدة لا يأخذن فلان درجة ما ولما وقع الامتحان ورأوا من حسن
الجواب عما سألوه فوق ما كانوا ينتظرون ، طفقوا يناقشون ويراجعون ،
وينقلون به ويستطردون ، حتى صار الامتحان مناظرة ، تتولاها المشاغبة

والمكابرة ، فمعد ذلك حلف الشيخ المباسي انه لم يواحد امتحن في عصره مثله وأنه لو كان فوق الدرجة الاولى درجة ممتازة لاستحقها فأراد أحد الشيوخ واظنه الشيخ الرافعي ان يوفق ويصلح فأخذ الورقة وكتب له بالدرجة الثانية وطفق يمرضها على اخوانه الذين كانوا متفقين على حرمانه ليوتموا عليها فوقعوا ثم أعطوها للشيخ المباسي فأمضاها لهم ولم يحجب ان يراجعهم بعد أن رأى منهم ما رأى فظفروا ببعض المطلوب وهو حرمانه من الدرجة الاولى وما كانوا ضائرين .

حرف طلبه العلم بعد التدريس والدخول في الاعمال

هذا مجمل سيرة الرجل في تاتي العلم عن الشيوخ منذ بدأ الى أن صار مدرسا وانك لتجد أكثر طلاب المعلوم عندنا يمدون أخذ شهادة العالمية غاية التحصيل والتعلم فلا توجه همتهم بعده الا الى استغلال العلم وطلب المال به واحراز الجاه والمكانة عند الناس بما ينالون به من وظيفة وعمل . وان صاحبنا لم يسلك مسلكهم بل سار على سبيل سلفنا الصالح الذين يؤثر عنهم : اطلب العلم من المهد الى اللحد : فكان يقول الى آخر حياته انني لا أزال طالب علم أبتغي المزيد منه في كل يوم . فكان له في طلب العلم ثلاثة أدوار أولها الطلب على طريقة الازهر المعروفة من المناقشة في عبارات مكتب المؤلفين وقراءة المتون مع الشروح والحواشي والتقارير . سلكها زمنا حتى ملها وتوجهت نفسه الى علم أعلى وفهم أجلى فقبض الله تعالى له ذلك العلامة الحكيم السيد جمال الدين فقرأ له علوم أخرى على طريقة أسهل مسلكا وأقرب غاية ، فانتاشه من الاخلاص الى أرض العبارات الركيكة والاساليب الضعيفة ، والاحتمالات البعيدة ، ورفع الى سماء فان الحقيقة ،

والافصح عنها بالمباراة الرشيدة ، بعد إطلاقة من قيود تقليد المؤلفين ،
وتمويده على الحكم باليقين ، فهذا هو الدور الثاني وهو خاص كسابقه
بالعلوم الاسلامية ، التي صكت باللغة العربية ، مع شيء قليل من العلوم
الحديثة ، وتطبيق العلم على حال المسلمين الاخيرة ، وأما الدور الثالث فهو
النظر في علوم الافرنج قرأ رحمه الله كثيرا مما ترجم من الكتب ثم تعلم اللغة
الفرنسية فصار يقرأ الكتب فيها لا يكاد يتركها يوما من الايام . وكانت
عنايته بعلوم الاخلاق والنفس وأصول الاجتماع الانساني والتاريخ وفلسفته
وفن التربية أشد من عنايته بعلوم وقلما علم بكتاب لافرنجي يتكلم فيه
عن الاسلام والمسلمين الا واستحضره وقراه وقد قرأ عدة كتب في تربية
الارادة خاصة ، وفي سفره الاخير إلى سويسره تعلم هناك القلم المسند لانه علم
ان في بعض المكاتب الاوربية كتبافيه وان الانكليز نقلوا من حضر موت بعض
ما هنالك من الآثار الحميرية ولذلك دخل شأن في تاريخ العرب والاسلام .
وهذه العلوم الافرنجية هي التي أعطته القوة المظيمة في المدافعة عن الاسلام
وفي زيادة البصيرة بخدمته لانه عرف من أين يهاجمه أعدؤه وكيف ترد
هجماتهم . وكان يقول من لم يعرف لغة من لغات العلم الاوربية لا يعد عالما
في هذا العصر وقد كتب لي في ترجمته عن تعلمه اللغة الفرنسية ما نصه :
« بدأت بتعلم اللغة الفرنسية عند ما كانت سني أربعا وأربعين
سنة ولكن مبلي الى تعلم لغة أجنبية ابتداء في أثناء الحوادث العراقية فتعلمت
الهجاء ثم تركته ونسيته تقريبا وعند ما سافرت الى فرنسا أول مرة أقيمت
هناك عشرة أشهر كنت أحرر فيها جريدة العروة الوثقى ولم أنعم شيئا من
الفرنساوية لان اجتماعي كان بالسيد جمال الدين وبرفاق من العرب واشتغالي

بتحرير تلك الجريدة كان لا يسمح لي بوقت كاف للتعلم بدراسة منتظمة فذهب علي ذلك الزمن بدون فائدة في اللغة لا كثيرة ولا قليلة . أما بعد عودتي من النسي الى مصر واشتغالي بالقضاء في المحاكم الاهلية والحكم بها خصوصا في الجنايات علي أصول القوانين الفرنسية وجلوسي بين قضاة ينال عليهم العلم بتلك القوانين في لغتها فقد قوي عندي الميل الى تعلم اللغة الفرنسية حتى لا أكون في معرفة القوانين أضف بمن أجلس معهم مجلس القضاء وبعد عرجي الى القاهرة واشتغالي بالقضاء في إحدى محاكمها وجدت الوقت والحال مناسبين للبدء في العمل فبحثت عن معلم فوجدت أستاذا لا بأس به فدعوته فجاءني حاملا كتاب نحو في يده (كرامير) فسألته ما هذا فقال كتاب نحو فقلت له لا وقت عندي لأن ابتديء وإنما عندي زمن لأن أنهي ثم ناولته قصة من تأليف الكسندر دوماس وقلت له أنا أقرأ وانت تصالح لي النطق وتفسر لي الكلم وما عدا ذلك فهو علي والنحو يأتي في اثناء العمل ، وهكذا أتممت الكتاب وكتابا بعده وثالثا عقبه وكنت أطالع وحدي بصوت مرتفع كلما وجدت نفسي في بيتي خاليا فتعلمت مبادئ اللغة الفرنسية وحصلت منها ما كان يمكنني من القراءة والفهم لكن ما كنت أستطيع الكلام

« سافرت بعد ذلك الى فرنسا وإلى سويسرا عدة مرات في أيام البطالة الصيفية وكنت أحضر دروس المعطاة في كلية جنيف وبهذه الطريقة تعلمت اللغة الفرنسية في أوقات الفراغ مع اشتغالي بالقضاء في المحاكم الابتدائية ومحاكم الاستئناف ، ثم ان الذي زادني تعلقا بتعلم لغة أوربية هو أنني وجدت انه لا يمكن لاحد ان يدعي انه علي شيء من العلم يتمكن

به من خدمة أمته ويقتدر به على الدفاع عن مصالحها كما ينبغي الا اذا كان يعرف لغة أوربية كيف لا وقد أصبحت مصالح المسلمين مشتبكة مع مصالح الاوربيين في جميع أقطار الارض وهمل يمكن مع ذلك لمن لا يعرف لغتهم أن يشتغل للاستفادة من خيرهم أو للخلاص من شر الشرار منهم» اهـ

الكلام في تربيته خاصة

هذا ما يقال في طلبه للعلم وأما تربيته فقد علم مما صر شيء منها وهو أنه نشأ في بيت يوصف أهله بالاخلاق الفطرية الحميدة التي لا ينقصها الا نور العلم وقد كان له ولم يمن في صباه الا بالفروسية وأعمال الرجولية فكان يلعب بالسلاح ويسابق الناشئين معه على ظهور الجياد ويكثر من السباحة وهذه الامايب مما يحسن أن يربي عليها الولدان بالتصدد كما قال الحكماء وعلماء التربية وهي مما يربي عليه أولاد الملوك والامراء في أوروبا . بعد ان أخذ حظه من هذه التربية الفطرية أخذ الشيخ درويش خضر بالتربية الدينية فالزمه العزلة ومجاهدة النفس . وكان من جبلته أن يأخذ كل شيء بقوة فكان في مدة طلبه للعلم يصوم النهار ويقوم الليل بالصلاة والتلاوة والذكر ويمشي مطرقا لا ينظر الا حيث يضع قدميه ولا يكلم أحدا الا لضرورة وقد ظل عدة سنين لا يلقى نظره على امرأة أجنبية حتى في الطريق . وقد كان لكثرة الانهماك في الذكر والفكر والنظر في كتب التصوف والتنقل في أحوال القوم ومقاماتهم يخرج عن حسه ويزج في عالم الخيال أو عالم المثال كما يقولون فيناجي أرواح السابقين . ولو كان يجيز شرح ذلك لشرحناه ولكنه كان يقول ان ما يحصل للصوفية من الاحوال غير الطبيعية لا يجوز ذكره لفير العارف به ولا يجوز كتابته بحال ولو

كنت ملاكاً لحكمت بقتل الذين يكتبون ذلك لانهم يفتنون كثير من الناس ولا يسمون به أحداً. وقال ما معناه ما زج أحد نفسه في عالم الخيال ثم قدر على الخروج منه الا ان يجذب به جاذب آخر ويخرجه منه وذلك قليل. وأقول إن السيد جمال الدين هو الذي أخرجه منه ، ورفق به الى ما هو خير منه ، ولم يتمكن من ذلك الا بعد ان جاراها عليه زمنا عرفه به أنه أعرف بتلك المعاهد، وأسبق الى تلك المشاهد، بما كان يحل له من عقد كلام الصوفية التي يهجر عن حياها ، حتى أقنعه بأنه من أفراد أهلها، وسند كوفي التاريخ الكبير الذي نضمه لفقيهنا شيئاً مما كتبه على طريقة الصوفية ، وأقول هنا لو كان الجماهير من الناس يعرفون في أيام حادثة الشيخ عايش شيئاً من أمر الرجل في تصوفه وتنسكه لاجوا على الشيخ عايش وان كانت شهرته بالصلاح عظيمة وعلى من وثق اليه من فساد المجاورين ولما خاضوا في فقيدنا بالذي خاضوا ولكنه كان يبالغ في كتمان ذلك خوفاً من الرياء وحب السمعة والامة مستعدة للشر والشبهة عليه حضور كتب الفلسفة والكلام على عالم غريب وهو السيد رحمه الله أجمعين

قلنا ان السيد جمال الدين هو الذي نقل فقيدنا من حال الى حال في الترية كما نقله في العلم وكان الشيخ درويش هو الذي مهد له السبيل للأصوين. وقبل ان ننقل من الكلام في تربيته وتعاليمه الى الكلام في عمله وإصلاحه نذكر ان الشيخ درويش هو الذي رباه أيضاً على التعرض للإرشاد الديني والتصدي لتبصيرة الناس فهد السبيل التي سلكها به السيد جمال - سبيل الإصلاح العلمي والسياسي - ذلك ان الشيخ درويش رأى ان صريده قد كملت نفسه بعد المزلة الطويلة وكل سلوكه فصار بئامن من المماثرين الذين يقطعون الطريق على المرادين فأصره بمخالطة الناس والتعرض للإرشادهم وقد كتب رحمه الله في ذلك ما نصه:

« قلت انني كنت في أوائل مدة طلب العلم بعد مجيئي الى الازهر في عزلة عن الناس الا من استفيد منه علما أو نصيحة لكن بعد مضي سبع سنين على ذلك - والشيخ يقودني في سبيل الرياضة وقهر النفس على المكاره بالصوم تارة ولبس الخشن والتعرض لانتقاد الناس تارة أخرى - قال لي عند ما رجعت الى محلة نصر في سنة ١٢٨٨ : الى متى هذه العزلة وما الفائدة في العلم وتحصيله اذا لم يكن لك ورا تهتدي به ويهتدي به الناس ؟ ان من المكروه أن تستأثر بالفائدة دون أهل ملتك وان من لم ينفع بما تعلم فقد أضاع أهم ثمرة تقصد من غراس المعرفة فملك ان تخاطب الناس وتعلمهم وترشدهم الى الطريق القويمة والسنة الصالحة : فذكرت له اسم نازلي من الناس وزهادتي في معاشرتهم وثقلهم على نفسي اذا لقيتهم وبعدهم عن الحق وتفرتهم منه اذا عرض عليهم فقال لي : هذا من أقوى الدواعي الى ما حشنتك عليه فلو كانوا جميعهم هداة مهديين لما كانوا في حاجة اليك : ثم أخذ يستصحبني في مجالس العامة وينتج الكلام في الشؤون المختلفة ويوجهني الى الخطاب لا تكلم فيتكلم الحاضرون فأجيبهم وانطلق في القول على وجل في أول الامر وما زال بي حتى وجد عندي شيء من اللفة مع الناس والاستئناس بكلماتهم وفي شوال من تلك السنة ودعني وبكي بكاء شديدا ومات في السنة الثانية رحمه الله تعالى ، اه أقول يظهر انه أحس بأن عمله قد تم بتكميل تربية مريده وأنه ألهم بأنه قد دنا أجله إذ تم عمله فبكي بكاء مودع وللصوفية من هذا الإلهام والشعور ، ما هو معروف مشهور ،

حفظ طور العمل والاصلاح

(تمديد) لو سأل سائل أي الرجال أعظم في الامة وأفضل لاختلف

الجواب باختلاف أفهام الافراد ومذاهبهم فهذا يقول أعظمهم العالم وذلك يقول بل الفلاسفة ، ويقول ثالث بل هو الرجل الصالح فينبري رابع قائلاً بل القائد الفاتح ويختلفهم رجل آخر يدعي ان أفضل الناس السياسي الحاذق ويقول آخرون أقوالاً أخرى . وإذا رجعت بالجميع الى البرهان رأيهم يتفقون على ان أعظم الرجال وأفضاهم المصالحون الذين يوجهون عزائمهم الى رفع الأمة من الدرجة الدنيا الى الدرجة العليا ، وهؤلاء قلما تجود الاجيال بواحد منهم على كثرة العلماء والصالحاء والقوادح السياسيين في كل زمان إنما يكون الرجل عظيماً بأمرين أحدهما فطري لا يأتي بالكسب وهو الاستعداد الذي يكون له بكمال الخلقة واعتدال المزاج ، وحسن الوراثة والوالدين والاجداد ، وثانيهما كسبي وهو التربية القويمة والتعليم النافع ، وقد كان استعداد الاستاذ الإمام لكل أمر عظيم حتى كان استعداده هو الأصل في حسن تربيته وتعليمه . فقد علمت مما مر أن فطرته السليمة لم تقبل الاستمرار على حضور دروس لا تفهمها ولم يعرف هذا عن غيره من المبتدئين بطلب العلم حتى أذكيائهم الذين استفادوا بمد المنة فقد كانوا يصبرون على ما لا يفهمون زمناً طويلاً وإذا حفظ أحدهم شيئاً بالتكرار ظن انه هذا فهم وعلم لا سيما اذا حفظ تفسير المائتين من شرحه وحاشيته . ولكن صاحبنا لم يكن يترك المسألة حتى يفهمها ويوقن أو يرجع ان الحكم فيها كذا . ولذلك أسرع اليه المائل من دروس مشايخ الاحتمالات . وكان يقول ان حضور كتب العربية على طريقتهم قد أضرب ذهنه وعقله وانه ظل يكمن ذهنه وينظفه منها بضع سنين فلم ينظف تمام النظافة . وأما السيد جمال الدين فانه كثيراً ما كان يشرح معنى المسألة حتى تتجلى للأفهام ثم يقرأ عبارة الكتاب ويطبّقها

عليها فان انطبقت والا بان ما فيها من التقصير أو يقرأ العبارة ويبحث في دليلها
 فيقره أو يفنده ويحزم بغيره وبهذه الطريقة ارتقى الى أن يحكم بنفسه في المسائل
 ولا يرضى بالفهم مع التسليم لؤلف الكتاب فالذي امتاز به صاحب الترجمة على
 اخوانه الازهرين هو أنه في بدايته لم يرض أن يحضر شيئاً لا يفهمه، وفي نهايته لم
 يرض بما يفهمه الا بعد أن يستشير فيه الدليل فيرضاه له، وأنه لم يقنع بالعلوم المتداولة
 في الازهر بل كان من أوائل عهده بالعلم الى يوم وفاته يطلب العلوم ويقدم منها ما
 يزيد كماله في نفسه ويمينه على رفع شأن ملته وأمه، ولوانه تعلم في حداثة على
 طريقة قوية كما تعلم النابليون من حكماء أوروبا وعلمائهم في المدارس النظامية ولم
 يضع ذلك الوقت الطويل في البطالة وفي الطريقة الازهرية الماتوية لرايان من آياته
 العلمية أضفاف ما رأينا على أن ماراً يناه يكاد يكون من الخوارق فانه لم يكن يتكلم
 في علم الا وراه صاحب القديح المبلى فيه حتى كأنه هو الواضع له، فمن شاء أن
 يقتدي بطريقته المبلى من الازهرين وغيرهم فليعمل عسى أن يكون من الفلاحين
 وأما تربيته فقد علمت مما تقدم آتقانه تربى على طريقة الصوفية القوية الخالية
 من البدع والخرافات حتى ملك نفسه وكنى أخلاقه وصار الدين وجدانا له ثم
 انتقل من ذلك الى أخذه بالبرهان وأهم ما اتقى له تربية الأرواد أي ملكة
 العزيمة والإقدام فقد كان فيها نسيج وحده في أمته
 تقدم ان الرجل توجهت نفسه الى العمل والاصلاح قبل ان يصير
 مدرسا رسميا فبدأ بإحياء اللغة ونفع روح العلم والدين في الازهر ثم ان
 السيد جمال الدين وجه وجهه الى الاصلاح الاجتماعي والسياسي فجعله ساعده
 وعضده في ذلك فاشتغل بها مدة ثم استقر رأيه على ان الاصلاح محصور في
 إحياء لغة الامة وإصلاح نفوسها بالتربية الصحيحة والتعليم النافع

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب

المعراج

في شهر جمادى الثاني يستمعون القول فيقيمون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوى وقد مناراً كنار الطريق)

(مصر - غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٣ - ٢ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٥)

تتمت ملخص سيرة الأستاذ الامام

دخوله في الماسونية - من التهديد

كان السيد جمال الدين قد أخذ على نفسه اليهود والمواثيق أن يعمل
عملاً عظيماً ينهض بدولة إسلامية نهوضاً يعيد للاسلام مجده وكان مضطراً
بذلك إلا أنه كان مستعجلاً يريد أن يعمل هذا العمل العظيم ويرى أثر نجاحه
وعمرة غراسه في حياته لذلك جاءه من طريق الحكومة والسلطة وتوسل
إليه بالعلم فأتخذه في مصر تلاميذ بدأ يقرأ لهم كتب أصول الدين والفلسفة
حتى إذا ما وثق بهم مزج لهم السياسة بالعلم وخاف استبداد اسماعيل باشا
أن يحول بينهم وبين ما يشتهون فانتظم مع مردييه في سمط الجمعية الماسونية
وكان بآمحادهم رئيس محفل مرن فيه تلامذته على الخطابة والبحث في حياة
الامم وموتها ونهوض الدول وسقوطها وقد دخل في هذا المحفل شريف
باشا وبطرس باشا غالي وكثيرون من الكبراء والأفكاء وكان توفيق باشا

ولي عهد الخديوية مشايخا للسيد وعنفه ومكان صاحب الترجمة من السيد مكانه المعلوم فكان دخوله في الماسونية مميا لثريته وتعليمه ومصلحة بينه وبين توفيق باشا وكثير من رجال مصر وسببا لبحثه في أحوال الحكومة المصرية ووقوفه على نقائصها ومساوئها وتوجهه إلى السعي في إصلاحها ومجهودها له الطريق للعمل الذي قام به قبل الثورة وبعدها على ما تقتضيه هنا بالاجاز وفي التاريخ الذي سنؤلفه للنقيد بالتفصيل . وقبل أن ننقل من هذا التمهيد نقول ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى ترك الماسونية من زمن طويل وقد أكثر أبناءها من دعوته الى محافلها بعد رجوعه من المنفى الى مصر فلم يجب وأهدوا إليه وساما فلم يقبله . وقد سأله عن حقيقة ما صرة فقال ان محافلها في البلاد التي وجدت فيها للعمل قد انتهت وهو مقاومة سلطة الملوك والباباوات الذين كانوا يحاربون العلم والحرية وهو عمل عظيم كان وكنا من أن كان ارتقاء أوروبا وانما يحافظون عليها الآن كما يحافظون على الآثار القديمة ويرونها جمعية أدبية تفيد التعارف بين الناس . وأخبرني بأن دخوله مع السيد فيها كان لغرض سياسي اجتماعي وانه قد تركها من سنين وان يعود اليها وانها ابتدأت في مصر ابتداء لم يكن من قبل . وأخبرني أنه أرشد صرة أحد ولاة بيروت الى إبطال محفل ماسوني علم انه يكيد للدولة المليية بإيماز بعض الدول الأوروبية فماب ذلك الوالي وخن أنه فوق قدرته ولكن النقيد رحمه الله تعالى هداه السبيل الى ذلك وشد من عزيمته ففعل ، بل كان مبدأ ان يجابه مع السيد جمال الدين من الماسونية عند ما جاء الى مصر رئيس الشرق الاعظم الانكليزي وهو يومئذولي العهد للدولة الانكليزية فاجتمعت المحافل الماسونية حفاوة به وذكر أحد رؤسائها ولي العهد هذا اللقب فاعترض

السيد جمال الدين وقال انه لا يسمح بأن يحتفل بأحد على أنه ولي العهد للدولة من الدول لاسيما الدولة الانكليزية التي من وصفها كيت وكيت وليس لها فضل على الجمعية الخ ما قاله ولا أذكر منه الا مثل هذا الاجمال فرد عليه بعض رؤساء المحافل وبعد مناقشة انسحب من الماسونية هو وخواص صريديه . ولما رأى بعض علماء الازهر بعد ذلك ترقى الأستاذ الامام وتنوذه في الحكومة توهموا ان ذلك بمساعدة الجمعية له فدخل كثيرون منهم فيها ومنهم من دخل بدعوة بعض أصحابه من أهلها ولم يدخل أحد منهم لأجل عمل يفيد الأمة والبلاد الا جماعة السيد جمال الدين

حجرات إصلاح في مدارس الحكومة والازهر

إذا تمهد هذا فنقول : قد عين الفقيد في أواخر سنة ١٢٩٥ مدرسا للتاريخ في مدرسة دارالعلوم والعلوم العربية في مدرسة الألسن الخديوية فكان يدرس فيها مع الاستمرار على التدريس في الجامع الازهر فبدأ في دارالعلوم بقراءة مقدمة ابن خلدون لانها مقدمة للتاريخ وإنما عرضت أفكاره السياسية والاجتماعية في أذهان التلاميذ فكان يطبق ما فيها من الكلام عن نهوض الدول وسقوطها وشؤون المعمران وأصوله على أمته ويبين أسباب ضعفها والوسائل التي تذهب به وتميد اليها ما فقدت من عزها ومجدها . وكان يكلف التلاميذ كتابة المقالات والمصول في ذلك فكان كل واحد يشتر بروح جديد يدب في هيكله ويرى نفسه مخلوقا لخدمة بلاده وإعلاء شأن أمته . وقد كتب رحمه تعالى في ذلك المهد كتابا حائلا في علم الاجتماع وفلسفة التاريخ انتقد فيه بعض ما قاله ابن خلدون واستدرك عليه وبين ما نسخته طبيعة الاجتماع في هذا العصر

من أحكام الممران في العصور الغابرة . وكان في مدرسة الألسن آية
البيان في إحياء اللغة العربية وإشراع الطريق اللاحب في التعليم ، والخروج
بالطلاب من مأزق المهمل القديم ، ثم ان دروسه في الأزهر كانت بناء جديدا
للمقائيد على أسس البراهين القطعية ، وتجديدا لما بلي من سائر العلوم العقلية ،
وكانت حلقة درسه في الأزهر واسعة جدا تحيط بأعمدة كثيرة وكان يقرأ في
بيته درسا في الاخلاق أو السياسة لطائفة من المجاورين قرأ في ذلك كتاب
تهذيب الاخلاق لابن مسكويه الرازي . فكان ذلك سبب طبعه المرة الاولى
وقرأ كتاب (كنز) في السياسة ولا أدري أنه أم لا

كان القصد من هذه الدروس تكوين نابة جديدة من السكان في
مصر تحيي اللغة العربية والعلوم الاسلامية ، وتقوم عوج الحكومة المصرية ،
فقد كانت هذه الحكومة لذلك المهمل قد رثت ووهت ، ووقفت في التفرع
أو اوشكت ، عظم فيها سلطان الاجانب ، وأحاطت بها سيول الفتن من
كل جانب ، ومنيت الامة التي تمدّها بالترربة والمسغبة ، وضربت عليها الذلة
والمسكنة ، ذلك بما سرف اسماعيل باشا في الضرائب والمكوس ، وتهذيب
الاجساد والنفوس ، فاما آثار اسماعيل باشا في البلاد فلا يزال الكهول
والاشياخ يجدهون بها الشبان والعلمان ، وامامافعله السيد جمال الدين ومريده
الشيخ محمد عبده من السعي في إصلاح الحكومة في الحال ، وتربية الرجال
لأجل المستقبل ، فلا يعرفه الا من كان يعمل مههما ، ويشلق عنهما ،
ومن شاء من أهل هذه الديار ، أن يروي شيئا من تلك الاخبار ، فليراجع
من بقي من تلامذتهما الاخبار ، كالشيخ عبد الكريم سلمان وسعد بك
زغلول و ابراهيم بك اللقاني وحفني بك ناصف ومحمد بك صالح وسلطان

افندي محمد وغيرهم. ولو طال العهد على عملهما أتم لهما المراد ولما حدثت الثورة العرابية، ولكن خاها الزمان، وما قدر كان،

كان من عمل السيد جمال الدين ومريديه أن اتصلوا بولي العهد توفيق باشا الخديو السابق واتفقوا معه على تغيير شكل الحكومة واصلاح شؤونها فكان يمد السيد والشيخ من أقوى أنصاره وأوليائه ولما انتهى الحيف والجور والخلل بخلع اسماعيل باشا ونصب توفيق باشا أميراً على مصر في رجب سنة ١٢٩٦ طفق السيد جمال الدين يطالبه بانجاز وعوده وأولها إنشاء مجلس نواب للحكومة وجعل الوزارة مسئولة وظهرت طلائع الاصلاح على يده ولكن وجد من الواشين من غير قلبه على السيد والشيخ وأوهمه لهما يسميان في تقييد سلطته أو إزالتها فأمر بنفي السيد فأخذ من داره ليلاً في عربة مقللة وليس عليه غير قميص واحد وأرسل في قطار خاص الى السويس ومن هناك ذهب الى الهند وأمر بزل الشيخ من مدرسة دار العلوم ومدرسة الآلن وبأن يقيم في قريته (محلة نصر) لا يفارقها الى بلدة أخرى وخاصة عاصمة البلاد والمدن الكبيرة كالاسكندرية وغيرها . وكان ذلك في رمضان سنة ١٢٩٦

عمله في المطبوعات والحكومة

وفي أواسط سنة ١٢٩٧ توجهت عناية رياض باشا الى تحسين كتابة الجريدة الرسمية وجعلها مفيدة مرغوباً فيها من الناس فاستشار الشيخ حسين المرصفي ومحمود باشا سامي البارودي كلا علي حديثه فأشارا برأي واحد كأنهما توأما به وهو جعل الشيخ محمد عبده محرراً فيها ففعل بمدا ان استرضى توفيق باشا فصدر الامر العالي بتعيينه محرراً ثالثاً وانتظر رياض باشا

مدة من الزمن فلم ير تغييرا بمحمد . ثم إنه كتب من الاسكندرية بأمر قلم المطبوعات في مصر بأن تكتب مقالة في مالية مصر تلم بشيء من تاريخها الماضي وحالتها الحاضر الذي وضع له قانون التصفية وان تنشر هذه المقالة في أول عدد يصدر من الجريدة الرسمية وكان قد بقي له يوم واحد خاص بكتاب الجريدة وحاروا وأرسلوا الى صاحب الترجمة من أحضره من الازهر وكافوه بكتابة المقالة فكتبها في مجلته ونشرت فلما قرأها رياض باشا أعجب بها أشد الإعجاب وسأل عن كاتبها فقبل له هو فلان فزاد عجبه أن وجد في الازهر شاب واقف على تاريخ المالية في مصر عارف بجميع شؤونها قادر على بيان ذلك والافصاح عنه . وفي أواخر هذه السنة طلبه رياض باشا وسأله عن رأيه في اصلاح الجريدة فبين له رأيه في تقرير ضاف فأمر بأن تؤلف لجنة للنظر في التقرير من وكيل الداخلية ومدير المطبوعات وكاتب التقرير وان توضع لائحة لقلم المطبوعات وتحرير الجريدة فكان ذلك وعين الفقيه رئيسا لقلم تحرير الجريدة الرسمية العربية فاختار لها من المحررين المهرة الشيخ عبد الكريم سلمان والشيخ محمد زغلول (هو محمد بك زغلول المستشار بمحكمة الاستئناف لهذا العهد) والشيخ سيد وفا (رحمه الله) وهم ممن كانوا يحضرون دروسه ودروس السيد جمال الدين وبرعوا في الكتابة معه على يد السيد . ثم ماذا كان من شأنه ، كان مالم يكن يخطر على قلب بشر وهو أن رئيس التحرير للجريدة الرسمية صار مهيما على الحكومة والامة ينتقد الاعمال والاقوال ، وينتقل بالناس من حال الى حال ،

وضع لائحة أوقافنا لقلم المطبوعات أجازته وأنفذه رياض باشا فكان

من أحكامه أن جميع إدارات الحكومة ومصالحها ومجالسها في العاصمة وغيرها ملزمة بأن تكتب إلى إدارة المطبوعات بخبرة بما سمعت فأنتت وما شرعت فيه وكذلك المحاكم ترسل إليها نتائج أحكامها ، وأن لإدارة المطبوعات الحق في انتقاد كل ما رآه متقدما من الأعمال ، وأن لها حق المراقبة على الجرائد الوطنية والاجنبية التي تصدر في القطر المصري وأن تبحث عن حقيقة ما تنقله في رجال الحكومة وأعمالها وعلى الحكومة مساعدتها على ذلك بمعنى أنه إذا نشر في بعض الجرائد ما رتاب إدارة المطبوعات فيه فإن لها أن تسأل المصلحة أو الإدارة التي يسند إليها ذلك عن الحقيقة بواسطة نظارة الداخلية إن لم يكن مباشر مسند إلى النظارة والأسألها هي مباشرة فإن كان حقا ما نشر في الجريدة وجب على الحكومة مؤاخذة من نسب إليه الذنب وذكر ذلك في الجريدة الرسمية وإن كان كذبا طواب مدير الجريدة بإثباته والا انذروا إذا تكرروا إنذار جريدة ثلاث مرات يمنع إصدارها ألبتة أو إلى الأجل الذي تراه الإدارة . وإن من حق رئيس تحرير الجريدة الرسمية أن يجعل فيها قسما غير رسمي ينشر فيه لنفسه ولغيره ما يراه نافعا من المقالات الادبية (ويدخل في الادبية الاجتماعية والاقتصادية وما أشبه ذلك) وقد أجاز هذا القانون واتخذ رياض باشا لئلا من العناية بالاصلاح ولتفتت بكفاءة صاحب الترجمة وغيرته وإخلاصه في الخدمة العامة وإن في هذا لمبة لا ولي الا الباب صاحب همامة أزهرية يدخل في حكومة مطلقة بميدة في أعمالها عن رجال العلم والدين فيشرف من نافذة غرفة تحرير الجريدة على نظارات الحكومة ومجالسها ومحاكمها ومصالحها فيصالح لهم ما يكتبون ، ويرشدهم إلى اصلاح العمل فيما يعملون ، ثم يشرف من نافذة اخرى على الامة فيقوم من اخلاقيها ،

ويصلح ما فسد من عاداتها، بالوعظ الصحيح، والارشاد الحقيقي، وبطلان من نافذة نائلة على الجرائد العربية فيعلمها حسن التحرير وربها على الصدق في القول ويجعل للصادق منها سلطانا نصيرا، وتأثيرا أثورا، ياله من عمامة شرفت برأس صاحبها حتى حسدتها الطرايش، وهابها التيجان والبرانيط، ونذكر هنا على سبيل الفكاهة ان بعض الكبراء رغبوا الى الاستاذ الامام في ذلك الدهد أن يستبدل الطربوش بالعمامة لان صاحب العمامة لا يرتقي الى مراتب الرؤساء والنظار كصاحب الطربوش فأبى عليهم ذلك فأرادوا الاستعانة عليه برياض باشا فأوصوه انه يميل الى لبس الطربوش ولكنه لا يلبسه الا بأمره فسأله فظهر له انه لا يرغب في ترك زيّه وأنه اذا ألزمه بذلك إلزاما فانه يمثل مادام في عمل الحكومة فاذا خرج من عمله عاد الى عمامته فقال رياض باشا كلا اني لا أَرْضِي لك الطربوش لاني أحب أن يعلم الناس انه يوجد تحت العمام من المقول والافهام مثل ما يوجد تحت الطرايش وغيرها . فلهذا درّ رياض باشا وجزاه الله الخير فانه هو الذي أحضر السيد جمال الدين ومكن له في أرض مصر وهو الذي كان السبب في ظهور مواهب الشيخ محمد عبده في أول نشأته حتى انه حكمه في انتقاد نظارة الداخلية وهو أحد العمال المتوسطين فيها

كان من أثر مراقبة ادارة المطبوعات للجرائد ان اجتهد أصحابها في انتقاء المحررين وتداولهم عامله الله تعالى باحسانه مدير جريدة شهيرة بمنع جريدته اذا لم يختر لها محررا صحيح العبارة في مدة عينها ففعل ذلك ذلك المدير . ولم يكن يأذن بطبع كتاب من الكتب الضاربة . وكان من أثر انتقاد كتاب الحكومة أن به شأن المجيدين عنهم وقتحت مدارس ليلية

لتعليم المقصرين وتبرع بعمده الله برحمته بقراءة درس في بعضها . فهذا هو مبدأ النهضة القلمية الحقيقية في مصر فالفضل فيها للسيد جمال الدين والشيخ محمد عبده رحمهما الله تعالى

وأما انتقاد أعمال الحكومة فكان من أسباب تحريك الحق والعدل والاجتهاد في اصلاح كل نظارة وقد عني الفقيد يومئذ بنفسه في انتقاد نظارة المعارف ومثل مساوي التعليم والترية في مدارسها شر تمثيل فضاك فرع ناظر المعارف لذلك العهد فلاذ رياض باشا كيامن الجريدة الرسمية فقال له رياض باشا ان كان ما كتب حقا فلا وجه للشكوى منه وان كان باطلا فمليك أن تبين ذلك بالدليل والبرهان وقلان ينشره في الجريدة الرسمية نفسها فانه لا يقصد بما يكتب فيها الا المصلحة فسكت الناظر واجا

حججه عمله في مجلس المعارف الاعلى

اقتنع رياض باشا بما في نظارة المعارف من الخلل وعلم ان ما يكتب في الجريدة الرسمية حق فذا كر الفقيد في ذاك وفي وسائل تلافيه فمرض عليه ان يكون للمعارف مجلس أعلى يكون له الحكم الفصل في ادارة المعارف العمومية ويكون الناظر منفذا لما يقرره فانفذ ذلك رياض باشا وجعل صاحب الترجمة عضوا في هذا المجلس فكان له فيه الاقتراحات النافمة ولولا كثرة ما جعل فيه من الاعضاء الاجانب الذين كانوا يعارضون المشروعات النافمة للبلاد ثم حدوث الثورة لارتقت معارف البلاد في ذلك العهد ارتقاء عظيما . صدر الامر العالي بتشكيل هذا المجلس في ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٢٩٨ وقد تألفت منه لجنة للنظر في اصلاح طرق التعليم والترية في جميع المدارس وكان الفقيد الكاتب العربي لجلساتها وكان

له فيها الآراء الصحيحة والحجج القوية على ما يطلب من الإصلاح
 إذ كرم من اقتراحه شيئا سمعته ولا ادعي انني أحطت به كل الاحاطة
 وهو انه اقترح مسرة على المجلس ان يطلب من الحكومة مبلغا عظيما من
 المال يوزع على المدارس الاجنبية مكافأة لها على خدمة العلم ونشره في
 البلاد فهش الاعضاء الاوربيون لهذا الاقتراح وعارض فيه بعض الاعضاء
 الوطنيين ووافق الآخرون الذين عرفوا ما يرمي اليه المقترح فتقرر بأكثر
 الآراء . ثم انه اقترح في جلسة أخرى أن يقرر المجلس وجوب جعل
 المدارس الاجنبية تحت مراقبة نظارة المعارف لينظر منشو النظارة في نظام
 التسليم فيها فهش الاعضاء الوطنيون لهذا الاقتراح وعارض فيه الاجانب
 فأنقام عليهم الحجة بأن جميع الدول الأوربية تراقب جميع المدارس التي
 تأخذ منها إعانة وتفتش مدارسها اذ يجب على الحكومة أن تعلم انها
 لا تضع دراهمها بل تنفقها فيما ينفع بلادها . فقال بعضهم ان هذا قول
 حق وانما نعارض الآن في هذا الاقتراح لاننا نعلم أن المعارف في مصر منعطة
 وانما اجتمعنا لثقيتها وأرباب المدارس الاجنبية مرتقون في العلوم والمعارف
 ولا يصلح السائل للإشراف على من هو أعلى منه ولا المنحط للحكم على
 المرتقى . فقال النقيذ رحمه الله تعالى كان يصح هذا الدفاع لو لم تكن أنت
 ورفائك من أعضاء مجلس المعارف المصري فاذا كان الطلب في نفسه حقا
 وعدلا فلا يصح أن يرفض لأن المعارف العمومية لم ترتق في البلاد المصرية
 لأن عدم ارتقاء المعارف وانتظام المدارس لا ينافي وجود أفراد من
 الموظفين في النظارة من الأوربيين أو المصريين المتعلمين في مدارس أوروبا
 المالية يصلحون لفتيش المدارس الاجنبية : فهضت حجته وتقرر اقتراحه .

وانها لأمنية يتاحز على ذكرها السلطان والامير ، ويسيل لتوهمها العاب
 الناظر والوزير ، واكن نقف دونها الآمال حسرى ، وتنحني أمامها العقول
 حيرى ، وتكبو فى غايتها جياذ السياسة ، ويصفر عن الطمع فيها أهل
 الرياسة ، ثم تسمو اليها تلك الهمة ، وتنزلها من أعلى القمة ، ولولا الفتنة
 المراية لجل لنا ذلك المضو أو الكاتب ، سيطرة على مدارس الاجانب ،
 على ما كان لهم فى ذلك الزمان ، من النفوذ والسلطان ، فكيف لو كان
 ذا منصب أعلى ، ونفوذ أقوى ،

(دعوته نظارة الاوقاف الى الاسلاح)

كان لنظارة الأوقاف من حظ إرشاده تقمنا الله بعلومه وآثاره نحو
 ما كان لساير النظارات ومصالح الحكومة وكان من تأثير إخلاصه أن
 عزمت هذه النظارة يومئذ على عمل جليل وهو أن تصل دار الكتب المصرية
 (الكتبخانه) ومدرسة دار العلوم بالأزهر وتوسع دائرة المدرسة بحيث
 تدرس فيها جميع العلوم ويبلغ عدد طلابها ٥٠٠ طالب ويكون المتخرجون
 فيها هم المتقدمين فى أعمال الحكومة ولو تم هذا لكانت الاوقاف ينبوع
 الحياة لهذه البلاد . ولكن حال دون هذا ودون ما كانت الحكومة
 شرعت فيه من الاسلاح الاداري والقضائي والمسكرى تلك الفتنة المشؤمة

ثورة العرابية

علم مما تقدم ان البلاد المصرية كانت فى أواخر إمارة إسماعيل باشا
 فى ظلمات بحر من الظلم لجى ينشأ موج من فوّه موج من فوّه سحاب
 ظلمات بعضها فوق بعض - ظلمة الجور والظلم وظلمة الفقر والفاقة وظلمة
 الشرور وفساد الاخلاق والآداب وظلمة تحكم الأجانب وسيطرته

على الحكومة بحجة المراقبة المالية للامم من الديون على اسماعيل باشا و ساطتهم على الرعية التي أغرقها في الاستدانة منهم كثرة الضرائب والجزى، وكثرة الضرب وسوء الجزا، . وكان يظهر من غمرات هذه الظلمات بصيص من النور في مواضع مختلفة لمت جذوة منه في الازهر فتفتح الشيخ عيش تنقذ أخذتها ولكنها ما أطفأها ثم كان هذا النور يظهر في معاهد خاصة فتشوا اليه الابصار، ويسير في ضوءه من سار، حتى أشرق وتلا لأ في ادارة المطبوعات، وانتشر نوره في سائر الجهات، وكان ما كان من أخذ الحكومة والناس بوسائل الاصلاح ومقاصده فرحين مستبشرين بأمرهم الجديد (توفيق باشا) لعفته عن أموالهم، ورغبته في إصلاح حالهم، وبوزيرهم العامل المخلص (رياض باشا) واذا بنا جرم الفتنة قد نجم، وطائر الشر قد وقع، إذ هب ضباط الجيش من المصريين يطالبون بحقوقهم، وأيديهم على مقابض سيوفهم، وتلك هي ما يسمونه بالثورة العربية

لا يمتينا في هذا المقام خبر هذه الثورة ولا تاريخها وانما يمتينا أن نبين في تاريخ أستاذنا انه كان كارها لها منددا بزعمائها وهو يذم لأنه كان يعلم انها تحبط عمله الذي مضى فيه، وكل إصلاح عمله الحكومة أو تنويه، وانما تمهد للأجانب سبيل الاستيلاء على البلاد بل كان هو واستاذاه يتوقسان ذلك من سيرة اسماعيل باشا وقد صرح السيد بذلك في خطبه وفي بعض ما كتب وطبع لذلك العهد وحاول أن يحول دون ما يخشى ويتوقع بالسمي في الاصلاح فليس ما نقوله عن أستاذنا من أنه كان لا يجهل خطر الثورة بالذات والرجم بالغيب، بل هو قول مؤيد بالدلائل وثابت بالرواية الصحيحة عنه وعن الصادقين من العارفين بما كان .

كان ينتقد على زعماء الثورة بالقول خطابة وجدالا في اندتيمهم وسماهم
وبالكتابة في الجريدة الرسمية حتى أرسل اليه عرابي مرة من يهدده ويقول
انك أهنت الشرف العسكري بما كتبت عن الجيش ورؤسائه . أرسل
اليه ضابطين الى قلم المطبوعات من الداخلية فطردهما وهددهما بالضرب
اذا هما لم يخرججا . وكان عرابي وأعوانه يتفضون من المجلس يدخل فيه
زار مرة طلبه باشا في أيام عيد الفطر فاذا بعرابي وأعوانه جلوس
يتكلمون في الاستبداد والحرية والحكومة المطلقة والحكومة النيابية
الدستورية واتفقوا على أن الأمن على الارواح والاموال ، وصعود الأمة
في صراحي الكمال ، من آثار الحكومة المقيدة بلا جدال ، وان هذا
التحويل قد آن في مصرأوانه ، وأدركها إبانه ، فعارض الاستاذ في ذلك
وقال ان أول مايجب ان يبدأ به التربية والتعليم لتكوين رجال يقومون
بأعمال الحكومة النيابية على بصيرة ، مؤيدة بالمزينة ، واهل الحكومة على العدل
والاصلاح ومنه تمويدها الاهالي على البحث في المصالح العامة واستشارتها
إياهم في الامر بمجالس خاصة تنشأ في المديریات والمحافظات ، وليس من
الحكمة أن تعطى الرعية مالم تستعد له فذلك بمثابة تمكين القاصر من التصرف
بماله قبل بلوغ سن الرشد وكال التربية المؤهلة والمعدة للتصرف المفيد .
فطفق عرابي يجادله هو وأحد أساتذة المدرسة الحربية وكان مما احتج به
القيدهما أن الأمة لو كانت مستعدة لمشاركة الحكومة في ادارة شؤونها لما
كان لطلب ذلك بالقوة العسكرية معنى فإطالب به رؤساء العسكرية الآن غير
مشروع لانه ليس تصوير الاستمداد الأمة ومطلبها ويخشى ان يجر هذا
الشغب على البلاد احتلالاً أجنيا يسجل على مسيبيه اللعنة الى يوم القيامة ،

عند ذلك أبدى المجادل نواجهذه لغير تبسم وقال أرجو أن لا استحق هذه اللعنة وإس الجند هو يطلب مجلس النواب ولكنه مؤيد لطلاب أعيان البلاد ووجهائها، ثم أسر إلى الاستاذان سلطان باشا جمع الأعيان لهذا الطلب، وقد كتبنا في ص ٥١٢ من مجلد المنار الرابع ردا على صحافي عرض بأن الاستاذ الامام مكان من أركان الثورة المرايية نذكره هنا وهو

« عرض هذا الانفجاني المتذبح بذكر الفتنة المرايية وباليته كان يعرف حقيقة الفتنة المرايية ويعرف المتهورين فيها والناصريين لهم بالاعتدال فهو لا يعرف ولا يحب أن يعرف وإذا أحب فليسأل العارفين، وليراجع كتابة الكاتبين، وعند ذلك تظهر له مزية من عرض به ان كان من المنصفين، يظهر له أن هذا الرجل الكبير العقل البعيد الرأي كان ينتقد أعمال عرابي وتهوره في جريدة الوقائع الرسمية في القسم الادبي منها نلى حين ترتد فرائض تصر الخديوية من عرابي وحين يرى هذا المنتقد الشجاع ان رئيس النظار ينزل من ديوانه بأمر عرابي مكرها ويسمع من أتباعه ما يكره . وتظهر له تلك الخطبة التي خطبها هذا الرجل العظيم في زعماء الثورة المرايية عند ما ألزموه بحضور مجتمهم وان يقوم فيهم خطيبا . ماذا كان موضوع خطبته ؟

« كان موضوعها يان تاريخي بأن المعهود في سير الأمم وسنن الاجتماع أن القيام على الحكومات الاستبدادية وتقييد سلاطتها وإلزامها بالشورى وبالمساواة بين الرعية انما يكون من الطبقات الوسطى والدنيا اذا فشا فيهم التعليم الصحيح والتربية النافذة وصار لهم رأي عام، وانه لم يمهدي أمة من أمم الارض ان الخواص والاغنياء ورجال الحكومة يطلبون مساواة أنفسهم

بساثر الناس وإزالة امتيازاتهم واستئثارهم بالجاه والوظائف ومشاركة الطبقات الدنيا لهم في ذلك فكيف حصل في هذه المرة ومن أهل هذا المجتمع ؟ (قل) فهل تغيرت سنة الله في الخلق وانقلب سير العالم الانساني أم بلغت الفضيلة فيكم حدالم يبلغ اليه أحد من العالمين حتى رضيتم واخترتم عن روية وبصيرة أن تشاركوا سائر أمتكم في جاهكم ومجدكم وتساووا الصماليك حبا بالعدالة والانسانية ؟ أم تسировون الى حيث لا تدرون ، وتعملون مالا تعلمون ؟ : وأمثال هذا الكلام الذي فهمه بعضهم فطفقوا ينفضون رؤوسهم وعلا على أفهام الآخرين

« هذا ما قاله الشيخ محمد عبده في أعظم مجتمع رؤساء العرايين ولو كانوا يبتلون لرجعوا به الى رشدهم ولكن الامة لم تكن استعدت لنهم ارشاد هذا الحكيم ولما تسعد الى الآن ، ولهذا الاستاذ ان يتمثل بقول ابن الفارض رحمه الله تعالى

ونرج سبيلي واضح ان اهتدى ولكنها الاهواء صمت فأصمت
هذاما كتبناه منذ أربع سنوات كاملة . ولا حاجة الى كثرة الشواهد والوقائع في هذه السيرة المختصرة

ولا يلتبس على القارىء معارضة الاستاذ الامام للعرايين في مشروع مجلس النواب وتقييد السلطة مع أنه كان الداعي الثاني الى ذلك بمسئد أساذه وأول من تلقى ذلك عنه فانه كان يحاول أن يكون ذلك برضى الامبر وحكومته لا بالخروج عليه وأن يكون في البداية من قبيل التحرين والتعويد مقرونا بالتربية والتعليم الى أن تبلغ النابتة الجديدة أشدها وتصل من طريق الحكمة الى رشدها وقد رأيت كيف كان التوسل منه ، فيها

روينا ذلك عنه، وهو لم يفارق القوم المطالبين بالصلاح عندهم هيب الفتنة، ويلجأ الى قصر الامارة أو نيفاً ظلال العزلة، لانه في فكره وسط بين الطرفين، وفي عمله بين المصلحتين، وقد قال لمرابي صرارا كثيرة عليك بالهدوء والسكينة وأنا أضمن لك أكثر مما تطلب في بضع سنين ونهاه بعد ذلك عن محاربة الانكليز.

انتهت الثورة بالاحتلال الانكليزي وقبض على زعمائها وألقوا في غيابة السجن ليحاكموا فيقبلوا تقيلا . وجعل الفقيد منهم لاصرا ما صدر الامر بأن تكون محاكمتهم بالقانون الانكليزي وعين لهم محام انكليزي جاءهم فسمع منهم وكافهم ان يكتبوا دفاعهم بأيديهم كل يكتب عن نفسه، ولا يطمئن في غيره، فلم يرفى كتابة أحد ما تقوم به الحجة، وتقدم به التهمة، ويدل على الفروض في أعماق الحوادث، والاحاطة بما لها من الأسباب والنتائج.

الا ما كتبه وما قاله فقيدنا بالامس، وقد زاد المحامي على بيان ذلك ان اشمره باخفايا، وأطلعه على ما في زوايا القصر من الخبايا، كقوله ان الحاشية خاطبت محافظ الاسكندرية بلسان البرق بكذا في يوم كذا وعدد كذا بأن يفعل كيت وكيت . وأعطاه من المستندات ما يقلب وجه المسألة، ولا ترضى إظهاره السياسة، وسنشرح ذلك في تاريخ الفقيد بالتفصيل . حكم على عرابي ورفاقه المبروفين بالنفي الابدي وعلى صاحب الترجمة بالنفي ثلاث سنين وثلاثة أشهر، وقد كان النفي بلاء وشقاء على كل المنفيين حاشا لامام فانه كان رحمة له ونعمة عليه ومزيدا في كمال علمه وتربيته وسببا لنشر علمه في بلاد كثيرة. ذلك انه كان من أهل الاخلاص والتقوى فجعل الله تعالى له من كل ضيق فرجا ومخرجا بل بدل له النعمة نعمة والسيئة حسنة فكان مبدأ حياة جديدة له نبينها فيما يلي هذا

الدين في نظر العقل الصحيح

في المقالة الثانية - اصحاب الامضاء

النبوة

النبوة إصلاح في الارض من قبل الله تعالى على يد شخص مصطفيه من بين خلقه .
 معنى أنها من قبل الله أنها ليست مستمدة من معلومات من جاور هؤلاء المصطفين
 الاخبار من الاقوام بل هي أرقى بكثير مما عليه الناس وما وصلوا إليه . وفائدتها تقديم
 العالم بسرعة إلى الامام وإصلاح ضماير الخلق وماتكنه صدورهم بسبب ما توجه به من
 الايمان باليوم الآخر وما فيه من عقاب أو ثواب وبذلك تستقيم أمورهم في السر والعلن
 فذكرنا الايمان باليوم الآخر وحده ولم نذكر الايمان بالله مع أنهما مرتبطان أتم
 ارتباط لأن الاول لا سبيل للعقل أن يحزم به بدون النبوة بخلاف الثاني فالعقل وحده
 كاف لمعرفته ومعرفة صفاته كما بيناه آنفاً إذا افترضنا الاكبر من النبوة حمل الناس
 على الايمان بذلك اليوم وإصلاح حالهم الدينية والنبوية إصلاحاً لا يصلون إليه بأنفسهم
 ولو بعد مئات من السنين إن لم نقل آلاف منها وهذا ولما كان محمد عليه السلام المثال
 الاكبر للانبيا وتاريخه أقرب عهداً وأصح سنداً رأيت أن أتكلم على حياته بما يقتضيه
 المقام ، ايضاحاً لما أجمعت فيما مر من الكلام ، وهذا يستلزم ذكر أحوال العالم في ذلك
 الوقت ثم أحواله عليه السلام وما أتى به من الإصلاح في الارض ولذا ابدأ الآن بوصف
 حالة العالم في عصره فأقول

كثرت المشاغبات في الدين ، وطمس نور الحق بين العالمين ، تشعبت الآراء ،
 وتعددت الأهواء ، وعبد كل ما شاء الشيطان من الأباطيل ، عم السجود للأوثان ، وهبت
 الصور والصلبان ، واعتقد الناس الألوهية في التماثيل ، خاط الخلق في شأن اللاهوت ،
 وتوهموا ظهوره في الناسوت ، فأنخذ البشر آلهة من دوز واجب الوجود ، سهل على الناس
 اعتقاد الساطة في بعض الافراد ، وظنوا ان يدهم الاشياء والاسعاد ، فبابوا مقامهم ،
 واعلوا شأنهم ، فطنى اولئك وبهواء وانثروا ما شاءوا من الاحكام ، وقالوا لما تصف
 السثم الكذب هذا حلال وهذا حرام ، أصبح الناس عبيداً اذلاء ، في جهالة عمياء ،

اشتغل الرؤساء بالمطامع الشخصية وتفانوا في الحصول على ثباتهم البهيمية، واحتدوا الحويص من المسائل الدينية ذريعة للمشاجرات والمباحكات، فتعددت البدع وكثرت الفرق وظهرت مذاهب الاباحيين والدهريين، اتارك كل رئيس من تحت يده من المرءوسين، واشهروا الحرب على الآخرين فأريق دماء المائين،

هذا كان حال الامم في كل بقعة من الارض وفي بلاد العرب ادهى واصرع الفساد وزاد العناد وزال العلم وحل الجهل وفسدت الاخلاق في سائر الآفاق ليس ماذ كرتحيالات شمرية، ولا افكار وهمية، بل هي حقائق تاريخية، اتفق عليها اهل العلم، ولم يشذ عنهم ذوقهم،

ظهر في هذا الوسط الجاهل والظلام الخالك، الذي يضل فيه كل سالك، محمد العربي والنبي الامي، ولما يتما فقيرا لا أب له يهذه ويريه ولا معلم يرشده ويهديه قد يزعم بعض المجادلين انه تعلم القراءة والكتابة ليدفع بذلك ماسياتي على سمعه من قوة البرهان ولكنه وهم زيلة بما يأتي من الدلائل الواضحة:

(١) إن الجمهور الاعظم من امته كان اميا لا تقرأ قليلا فاذا أضفتا إلى ذلك يته و فقره واميته فلا نجد أي حامل يحمله على تعلم القراءة والكتابة إذ اولى له أن يسمى على عينه من أن يصرف وقته في الحصول على شيء لا يسرفه الا القليل من جواره
(٢) تعلم القراءة والكتابة يحتاج إلى زمن ليس بقصير وخصوصاً في بلاد ليس فيها دور للمعلم ولا كتب ولا مدوّنون فلو سعى في تعلمها لوجد مشقة عظيمة ولما أمكنه إخفاء أمره إذ لا بد أن يشاهده الناس ولو مرة واحدة مع أنه كان يجاهر بأميته على رؤوس الاشهاد ولم يوجد من يمارضه (وما كنت تتلون من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذ لا تراكب المبطون)

(٣) لم يهد عنه أنه كان عاقل أحد أي شتهر بمرونة اقراءة والكتابة قبل نبوته
(٤) لو كان أحد من الناس يعلمه لاضطر النبي إلى تقديمه على أصحابه ولا تظهر له احتراماً زائداً ولما للمعلم بذلك لبعض الناس مع أنه لم يحصل شيء من ذلك مطلقاً
(٥) لم يشاهد أنه في منزله أو خارجه قبل النبوة أو بعد ما كان يستعمل قرطاساً أو قلماً في تأليف شيء ما أو تدوينه فلو فرضنا أنه لم يشاهد وهو يعلم فيجد جداً أن

لا يشاهد وهو يستعمل القراءة والكتابة في شؤونه الخاصة .
 (٦) لو كان ابتداء تعلم القراءة والكتابة لا يقصد دعوى النبوة لظهر اقتضاره
 بذلك وجاهر به ولو كان لقصد دعوى النبوة فمن البعيد جداً أن يدبر حيلة كهذه
 وخصوصاً إذا أضفناها الى غيرها مما يسميه أعدؤه حيلة فاتها تقيب عن أذهان
 الفلاسفة والسياسيين لانهم اذا دبروا عدة حيل يظهر أمرهم ولو في إحداها على عمر
 الأزمان فكيف يتأتى لواحد مثل محمد في أول نشأته أن يدبر كل ذلك بنفسه ويكتسه
 حتى يصير كهللاً ولا يشتدح أمره مرة واحدة إن ذلك ليهتان عظيم
 والخلاصة أن حاله ووسطه الذي تربى فيه كان اليم والفقر والجهل والامية ،
 والاهتمام والاضلال والوثنية ، وقد احتاط به فساد الاخلاق من جميع الجهات ، والتف
 حوله عشيرة الفارقة في بحر من الحرافات والقرهات ، فكيف كان تأثير ذلك في نفسه ؟
 لم يكن له ذلك التأثير المهود بل نشأ منشأ يخالف ما عليه أهله وقومه . بنضت اليه الوثنية
 في مبدأ عمره فلم يعرف عنه أنه سجد لهم قط أو احتفل بمسبوحهم أهله كانوا يشربون
 حوله الخمر ، وينغمسون في الشهوات والفجور ، وهو بهمس عنهم منكراً عليهم ، كانوا
 يشتغلون بالنافه من الامور ويشربون الخمر ويسائلوا هبة ولم يكن هو منهم ، كانوا يقومون
 ويقعدون ، ويقتلون ، ويقصده أو بيت شعرو هو لا يحفل بذلك ولا يجاريهم
 عليه . ماذا كانت حاله اذا ؟ لجرو الاستقامة دأبه ، والصدق والامانة طبعه ، حتى عرف
 بين أهل مكة بالامين وهو في ريعان شبابه . يهملك الشبان عادة في الشهوات ولو كانوا معلمين
 مهذبين ولكنه هو يزوج الموان ويبقى معها الى ما بعد الاربعين حتى حين وفاتها ولا ينظر
 الى سواها ويعيش معها بكل طهارة وعفة فلم يسمح عنه أنه ارتكب منكراً في زمن شبابه
 أو خلق بحب فتاة أو مال الى عشقه مع أن قومه كانوا غارقين في هذه البحار وقصائدهم
 تشهد بذلك . ماذا كان شأنه اذا ؟ كان شأنه زعمي الاغنام ثم التجارة ثم التمسيد في الخلاء
 والتحدث بمناجاة الله تعالى

قام عند بلوغه الاربعين بدعوى الخلق الى عبادة الحق وقرر ان للعالم إلهاً واحداً رباً من
 كل ما يفسونه اليه مما لا يليق به . ثبت ذلك بالحجج اليقينية التي استعملها الفكر والعقل
 في كل شيء ونهى عن التقليد وحض على النظر في الموجودات . اطلق للناس الحرية الصحيحة

وحرم عليهم الخضوع لرئيس في الدين أو لأي أحد سوى رب العالمين ومنعهم من الالتجاء إلا إليه مباشرة وأصرهم بالاستعانة به وحده اعطى الروح والبدن ما يطلبانه بشرط أن لا يضرهم. وأولم يحث على المبالغة في الزهد ولا الرهبانية بل أصر بالسعي والعمل وتصريف الأعضاء فيما خلقت لأجله مع مراعاة أن لا يضر ذلك بالمرء أو غيره. أباح الطبيات وحرم الخبائث. وأمر بالمعدل والمساواة ومسالمة المخالفين في الدين ومعاملتهم بأني هي أحسن والتوفيق بيننا وبينهم ونهى عن الكراهة في الدين وأوجب تأمين الراغبين في النظر فيه ولو وقت الحرب (وإن أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم بلغه ما منه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) إلى غير ذلك مما لم تهتد إليه الناس في الغرب إلا بعد أن وصل اليهم شعاع من نور الإسلام في الشرق. فارجع البصر إلى تاريخ أوروبا قبل الإصلاح الديني بلوتر وقبل الإصلاح السياسي بالثورة الفرنسية تعرف ما كانوا عليه أتى مع ذلك بجميع الأخلاق الفاضلة المعتدلة والمبادئ السليمة والمعاملات الكاملة والمبادئ السليمة والسياسات القوية وغيرها مما كان السبب في إصلاح أمر الإنسان وتحريره من العبودية والله أعلم من الأسر وردده إلى مملكته ليحكم فيها بالقسط فنقض الشرق نهضة سرية عالمية لم يهد لها مثيل في التاريخ ثم امتدت إلى الغرب

فهذه هي آثار ذلك الأمل وهذه هي أعماله فماذا يجب الضالون ؟
 زعم بعضهم بعد أن سلم بأيمته أنه لا بد أن يكون باقي ما أتى به من أحد الناس بالمشافهة فتجيب بأن ذلك التلقي الموهوم إما أن يكون حصل قبل النبوة أو بعدها
 فإن كان قبل النبوة فإما أن يكون حصل ذلك في بلاده أو في غيرها أما في غيرها فهو لم يسافر إلا إلى بلاد الشام وذلك مرتين الأولى مع عمه أبي طالب قبل بلوغه وشده والثانية في سن الخامسة والعشرين مع غلام خديجة وفي كليهما لم يكن منفرداً ولم يشاهده أحد من التجار المسافرين من باقي العلم عن أحد ولم يجب عن قومه إلا مدة التجارة والالو غاب عنهم بضع سنين فلما رأوا له الملك تعلمت هذا مدة غيابك هذا وهم لم يفوهوا بمثل هذا مع أنهم كانوا يحاولون أن يلقوا به هذه الشبهة وهي التلمس من الناس وأيضاً فأي حامل يحمل هذا الفقير الذي نشأ هذا المنشأ الذي بناه ولم يوجد من ينهيه ويرشده ففكره لقضية العلم حتى يترك ما يقتات به وهو في تلك البلاد

الاجنبية وما به إرضاء خديجة التي بعثت إلهاً ويجهده نفسه في البحث عن عالم ليس من أمته ولم يكن على عقائدهم ويرضخ له حتى يبعث في قلبه كل هذه التعليمات ويسلم له فيما يخالف معتقد آباءه وأجداده . وان زعم انه حصل ذلك في بلاده فهو غير ممكن لاسباب :

(١) انه كان يشاهد يفعل ذلك ولو مرة واحدة

(٢) ان المعلم له إله انه كان من الوثنيين وهذا لا يمكن أن يعلمه ما في التوراة والانجيل وغيرهما من عقائد الموحدين واما انه كان من اليهود وهذا لا يمكن أن يعلمه أخبار المسيح وأمه والاقرار لهما بالفضل والتزامة واما انه كان من النصارى وهذا لا يعلمه أن ينكر لاهوت المسيح ولا الثابت ولا الصلب ولا أن يرمي النصارى بالتحريف في كتبهم ولا غير ذلك مما يوجد في القرآن من الانكار عليهم واما انه كان من المبتدعين ومثل هذا أولى أن يشتهر بين الناس بنفسه أو تعرف له علاقة في التاريخ بمحمد عليه السلام تؤهله أن يعلم منه

(٣) أي حامل يحمل هذا المعلم على اجتهاد نفسه وصرف وقته في تعليم هذا الغريب الالهي ولم لم يدع الناس الى هذه الاشياء بنفسه او يخار احداً ممن اشتهر بشعر او بخطابة أو شيء من العلم أو كان له جاه أو أعوان أو مال أو غير ذلك مما يكسب المهابة في قلوب الناس

(٤) انه من الصعب جداً ان يقدر احد من الناس ان يهذب هذا الالهي كل هذا التذيب وان يخرج من عقائد آباءه واجداده ويدخل في ذهنه مسائل النبوة والوحي والتزبه والنوحيد ويحمله يعتقد ذلك اعتقاداً يقينياً الا اذا كان هذا المعلم مقتدرأ طاماً حكماً ومثل هذا لم يعرف له ذكر في بلاد العرب ولا فيما جاورها فكيف لم يشتهر بانعام والفضل وأي مؤرخ لذلك العهد ذكر كلمة عن أحد مثل هذا متمسكاً بما يوجد في القرآن من العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والمبادئ وغيرها

(٥) لم لم يسر هذا المعلم الى احداً بأنه يعلم محمداً ويهذبه وما الذي حمله على اخفاء هذه المسألة وكتبها هذا الكتمان المطلق

(٦) لم لم يشاهد محمداً يحترم أحداً قبل نبوته أكثر من غيره أو يلوذ به

ويلازمه كاهو شأن التلميذ مع معلمه

(٧) أي شيء أئزمه الصبر أربعين سنة ولم يجمله يسارع إلى دعوى النبوة ولم لم يبادر إلى سرد القصص التي تعلمها مرة واحدة . وكذلك الأحكام والمقائد وغيرها خوفاً من الذهاب من الذاكرة والنسيان وهو الأمي الذي لا يمكنه أن يستعمل مذكرة شيء مطلقاً خوفاً من أن يطالع عليها أحد وهي معه . شأن الذي يريد أن يدعي شيئاً مثل هذا أن يظهر عليه عدة محاولات تدل على ما تطويه سريرة ثم يجبراً فيزداد شيئاً فشيئاً لا أن يسكت أربعين سنة ثم يدفع بدعواه مرة واحدة بترجمة واحدة قوتها في الأول كقوتها في الآخر

(٨) كيف أن هذه الذكرة لم تأخذ بلبه ومنشاعره فتجمله مشتتلاً بها طول السنة وكيف يتناساها إحدى عشر شهراً ويشتمل بها شهر رمضان فقط من كل سنة فيستمد فيه لما سيدعيه كما يزعمه اولو الأهواء في عزلة الشبهة . عادة المفترين أن تأخذ مثل هذه التيات بحواسهم وعقولهم حتى يظهر للناس أنهم دائماً في الشغال بال ولكن النبي ما كان يشغله شيء عن شيء . والآنك الفكر بدنه وصار سقياً وكنت قواء العقيلة من كثرة الخيل وتمدد الصعوبات التي كان يلاقها فتضعف عن أن تدبر كل ما كان يدبره لولا الارشادات الالهية والالهامات الربانية . وكيف علم أنه لن ينقضي أجله حتى يتم القرآن في آخر سنة من حياته ويؤمن على نفسه فيأتي به نجوماً نجوماً

وان كان التلم حصل بعد ظهوره بالنبوة

(٩) فكيف ابتداء دعواه على جهله وأي منه قام بفكره حتى حمله على ذلك وكيف ضمن أنه مجده من يعلمه

(١٠) لم يشاهد مرة يلجأ إلى أحد الناس ليعلم منه

(١١) لم لم يقدم هذا الملم ويفضله على أصحابه أو يوصي به بأخلاقه ولم يجي معلمه سرؤوساً له ولم يكن رئيساً عليه (راجع أيضاً لوجه السابقة)

(١٢) لم لم يوجد بين أصحابه من كان يألف من أن يتلقى العلم عنه ويخضع لأمره وينتهي به فأن كان هذا الملم حتى ساوى نفسه بأصحابه . هذا ولم يعرف أحد منهم محاراً بل لم

سوى ما أخذ به باقرارهم جميعاً عن كتاب الله وحديث رسوله فان كان هذا المعام موجوداً في عصر النبوة فلم لم يشتهر قبل دعوى محمد بالام والفلسفة ولم أخفى نفسه حتى ادعى محمد النبوة ولم لم يظهر بين العرب حتى تجلوه وتحترمه احترامها لمحمد وأي شيء استفاده حتى يكتم كل هذا قباله من التعصب الذي يعمي ويصم

علمت مما تقدم أنه كان أمياً وأنه لم يتاق العلم عن أحد شفاهاً فكيف أتى بمأني وكيف هل ما حمل ؟ شيء آخر في تاريخه وهو أنه لم يجاز العرب في الاشتغال بالشعر أو النثر أو الخطابة أو غير ذلك مما كانت تنفني فيه العرب ولم يشتهر بينهم بشيء من ذلك مطلقاً ولم ينقل عنه أنه قال كلاماً في منتهى البلاغة قبل نبوته وكان قليل العناية بمجتهماتهم واقتضارهم بشعرهم ونظمهم فكيف أتى بهذه البلاغة الخارقة للعادة؟ وكيف أتى بهذا الأسلوب المعجز واخترعه؟ وكيف لم يوجد فرق في البلاغة بين أول ما نزل من القرآن وآخره مع أن العادة أن الانسان يسدح في الشيء فيكون آخر ما أتى به أحسن مما ابتداءاً بإنشائه وكيف يكون الكل جزءاً مع أن المتبادر من البقاء أن يكون بعض كلامهم في منتهى البلاغة والبعض الآخر ايسر كذلك . كيف لم تجرد العرب بمجرا أي كلامه الذي ينسبه لنفسه قبل النبوة أو بعدها مع أنه لم يظهر عليه شيء يدل على عناية بإنشاء أحدهما دون الآخر بل كثيراً ما كان يقول أحدهما في عين الظروف التي يقول فيها الآخر بدون تكلف أو تحوير فيما يليق به من أول وهلة . كيف أمكنه الجزم بأن جميع الناس لن تقدر على الاتيان بكلام مثل القرآن منفردين ومجتهدين ويخبر بذلك قبل وقوعه ويصدق خبره (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) الآية وغيره فهاهذه الحجج المايجات وماهذه البراهين المفحمت ؟

قام بالدعوة الى الله وحده ولا حول له ولا قوة والناس حواليه . أحباء ما ألفوا أعداء . مدعووا اليه . فدفع آراءهم . ونكس أصنامهم . ولاقى بسبب ذلك منهم ما لاقي مما يشبط الحمم ويذهب بالزائم لولا تشبهه في امره وجزمه بالظفر والنجاح . نجاة من جميع الشرك التي كانت تنصب له في الحروب وغيرها وسام من الدسائس التي كانت تسدل له والتربصات لقتله غيلة التي كانت تتقد عليه ووعد المحاربة بالنصر والفتح والتمكن في الارض والحلافة فوق كل ذلك لهم وصدق في جميع ما أخبر به من المنبيات . تحققت نبوته وصدق اخباره بانتصار الروم على الفرس في السورة المعروفة مع انهم كانوا في حالة

لا يوجي منها نصر لشدة ضعفهم وقوة عدوهم وهو لم يكن من السياسين ولا النطاشين على مواقع البلاد واحوال الامم وتاريخها فكيف يأتي له الحكم شيء مثل هذا ويعرض نفسه للتكذيب والخذلان مع ان المسألة ليست مما يهم كثيرا حتى يبت الحكم فيها فلو لا ثقته بالوحي لما تجرأ على القول بأنهم سيفلبون في بضع سنين وعرض نفسه للسخرية والتكذيب وهو احرص الناس على عدم اقتضاح امره كما يقول اعداؤه (وإذا صحت قراءة من قرأ سيفلبون بالنسالة جهول أي إن المسلمين تعلمهم فيها أيضا الاخبار فيجب لو لم يقع لظهور كذبه) اجتمعت عليه العرب مرة لحزباً واحداً وادلى بحوذ كره من الوجود انتقاماً فارسل الله عليهم ريحاً وألقى في قلوبهم الرعب من غير سبب ففروا انهزاماً ونهى الله المؤمنين القتال . فما كل هذه المصادقات ان صح ما يقول الواهمون الذين يسمعون بهذه التاويلات الفارغة ويتمسكون بالتأويلات الباردة . سمعت من بعضهم بعد ان ادهشه الدليل بان النبي لم يعلم من واحد مخصوص قولاً يريد به تكذيب نفسه وتهدئة خاطره وهو ان ما كان يسمعه النبي عن حوله من الناس في مسائل الدين سهل عليه الاتيان بما أتى به وانه كان يصيد معلوماته ممن جاوزه من النصاري واليهود باستراق السمع منهم فاقول له مهلاً ايها المسجب بتفسيراته المغرور بتعليلاته واستمع اساساً لو علمت وانت شهيد، ولا تكن ممن عن الحق بحيد؟

انه لم يكن في مكة من أهلى الكتاب الا أشخاص يمدون على أصابع اليد الواحدة وكانوا من أجول الناس وأحطهم مقاماً في الهيئة الاجتماعية وكانوا يحترفون بدني الحرف كخدمة بعض العرب او الاتجار في بعض اشياء حذيرة . وقد نزل في مكة من القرآن ما كان محمد في اشد الحاجة الى من يلقنه إياه فهل يسلم العقل ان هام محمد مستفاد من هؤلاء الأشخاص

وب انه مكان يصيد المسائل من نصارى العرب ويهودها فكيف أمن من الوقوع في خرافاتهم التي يحزم العقل بطلانها كقصة شمشون وما يتعلق بقوته وشعره ونحو ذلك من الاوهام التي كانت ولا تزال منتشرة بين النصاري واليهود الى اليوم . لم تنزه كلامه عن اضلاله في المسألة اللاهوتية كمقائدهم في المسيح والصلب والتناثير ومصارعة الله بعض الانبياء وظهوره بمظهر شخص لم يتروقوا فعله فقدم بسد ذلك

على ما وقع منه كأنه لم يكن يعرف عواقب الامور. اليس من اليهود ان الانسان يقع في بعض غلطات من كان يجمل كلامهم مقتبده فيها يستقد انه صواب فلماذا لم يقع محمد في خطأ واحد من خطاهم

كيف سلم كلامه من الغلطات في المسائل العلمية التي كانت منتشرة بينهم في ذلك الوقت كما عقدهم ان الشمس وقفت لفلان او رجعت بعض درجات وان الحياة لا تأكل إلا القراب مع انها لا تأكل التراب وكالاوهام في شأن جنة عدن وما ذكر معها من الانهار مما لا يصدق به الا الجوهلة من اهل التعريف الى غير ذلك مما كان دائماً بينهم ولا يزال الى الآن . هل يعرف الامي الذي نشأ في وسط الجهل وفي زمن الجهل ما صح من المسائل وما قد منها حتى انه لا يقع في كلامه الا الصحيح مع ان انتشار الخرافات والاقوال الفاسدة كان بحيث اذا كلف فيلسوف باتقاده واختيار صحيحها لوقع في الوهم والحكم على بعض الصحيح بأنه باطل وعلى كثير من الباطل بأنه صحيح وخصوصاً في ذلك الزمن وفي تلك البلاد العربية التي كان فيها السام عبارة عن مجموع خرافات للمجائز اختلطت بشيء لا يخلو من الصحة من بعض الوجوه فبالك بمحمد الامي والرجل العامي .

ايتصور ان هذا الرجل الذي كان يعتقد في اهل الكتاب انهم غاشون ما كرون يحرفون الكلم عن مواضعه ويفترون على الله الكذب ويكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ايتصور منه وهو يعرف كل هذا عنهم ان يثق بأقوال بسمه هان افوا اما الجوهلة منهم ونزعهم بذلك اسباب من عند الله مع انه ما كان يثق بقول اعظام عالم من علمائهم بل كان يريهم بأنهم لا يفهمون حقائق ما عندهم من الكتاب وأنهم يختلفون اشياء كثيرة لتضليل عامتهم وغشهم . فكيف يقول النبي الذي لا ينكر أحد رجحان عقله على قلوبهم مع انه شرح للناس مكرهم وكذبهم ، وكيف لا يخاف ان يكذبوا عليه ويبروه ويوتوه في الخطأ الذي لا يمكنه التخلص منه . وكيف يسلم لاحد منهم ما يقوله في دينه مع انه يجوز ان يكون مخطئاً ولا ار لما يقول في الدين لما شاهد ذلك كثيراً في المسلمين وغيرهم فكم من غلط وقع فيه الكتاب الغربيون أثناء كلامهم عن الاسلام وعن عقائدهم بسبب ما يسمعون من حملة المسلمين .

هل يمكن للعالمى الأسمى اذا سمع خليطاً من قصص بني اسرائيل من افواه آحاد الناس فى مجالسهم مشوهة ممزوجة بكثير من الخرافات كاهو شأن العامة فى أحاديثهم غير مرتبة على حسب وقوعها وغير مفصلة تفصيلاً يزيل ما تشبه على الأفهام بحيث لا يدرك صحتها من كذبها ان يفهم منها حقيقة تاريخهم وعقائدهم ودعوى انبيائهم ويأتى بعد ذلك بتفاصيلهم حوادثهم وذكر اعظم رجالهم وما حدث لهم ويشير الى ترتيب أزمنتها والى بعض البلاد التى وقعت فيها والى موقعها الجغرافى كأن يوصى الى موقع البحر الاحمر بالنسبة الى مصر بقوله (فأتبعوهم مشرقين) ويأتى على القصص الطويلة كقصة يوسف وموسى وابراهيم ولوط وغيرهم ويعرف نسبة كل منهم الى الآخر ويرتبها على حسب ترتيبها الطبيعى من غير تقديم او تأخير فى حوادثها او يخلط فيها مع ان هذا التاريخ اجنبى عنه وعن قومه ولم يدرسه دراسة تمكنه من ان يكتب إحدى حوادثه الكبيرة تصور حالة عالمى من عامة المصريين اذا سمع اقوالاً متفرقة متشعبة من افواه بعض جهلة الاوروبيين عن تاريخهم فهل يمكن هذا العالمى ان يأتينا بشيء عظيم صحيح من تاريخهم مثل ما اتى به القرآن ويسرد علينا آراءهم ومبادئهم ومعتقداتهم ويذكر أهم رجالهم ونسبتهم وتاريخ حياتهم وما اتوا به من الاصلاح فى بلادهم ونبه على وجوه العبرة فى كل ما يقص علينا وعلى ارتباط الحوادث بعضها ببعض ولا يذكر إلا الصحيح منها ويترك الاباطيل التى ألحقها الاوهام بها قل لي بأبيك هل هذا ممكن ؟ يزعم البعض أن فى القرآن خطأ فى هذه المسائل ويأتوننا بأشياء تهد على أصابع اليد الواحدة ويترحمون أنها غلط من غير اعتماد على دليل صحيح يمتد به . فلو كان مصدر القرآن كما يقولون هل كنا نجد فيه هذه الغلطات القليلة (على زعمهم) فقط غير الثابتة أم كنا نجد كل عهيفة بمنزلة بالاوهام والخرافات والخلط فى المسائل والخلط من غير احتذاء الى صحتها وذلك من غير كثير عناء وتعب بل بمجرد مطالعها كان يضحكنا ويجعلنا نمزأ بها وتجب من زعماتها وخصوصاً فى زماننا هذا الذى صار فيه تلازمة مكاتبنا يضحكون من أفكار بعض فلاسفة من سبقنا ويفككون بذكرها ولا يحتاج إلى البحث والتقيب وصرف الوقت فى الحصول على حقوة قل أن نجد ما فى القرآن وإذا وجدناها قاتماً لا نثبت أن نزول بعد التزوي والتأمل والتعق فى البحث . فهل

هذا هو ما نتظره في قول العاصي المصري الذي ضربناه لك مثلاً كنا نستلقي على قفانا من الضحك عند سماع بضعة أسطر من كلامه في المسائل الطبيعية والتاريخية والعمرانية والاخلاقية واللاهوتية والشرائع المدنية والمبادئ الدينية إذا حاول أن يولي علينا شيئاً من ذلك. استحضرن الآن في فكرك ما أتى به القرآن. أليست الشريعة الإسلامية تضارع أعظم الشرائع كالرومانية وغيرها. أليست الاخلاق المحمدية أكمل الاخلاق لتقويم النفوس مع خلوها من النصف وما يوجب المسكنة وإذلال النفس وغير ذلك مما ورد في غيرها من التفريط أو الإفراط. أليست قصص القرآن عمرة لمن اعتبر مع بعدها عن مفاسد الامور والنحو الذي لا فائدة فيه (قارنها ببعض أسفار اليهود القديم مثلاً ككفري الملوك واخبار الايام) أليس من المبادئ الإسلامية ما لم تهتم الناس إليه الا في العصر الحاضر

(لها بقية)

محمد توفيق صدقي حكيم بسجن طره

باب الثرية بالتأثيرات الطبيعية

محدثات من يومية الدكتور أرامس (*)

(الثرية بالتأثيرات الطبيعية)

يوم ١٤ أغسطس سنة ١٨٩٦

صادقنا غداة اليوم على مقربة من ليا زنجيا آتيا إليها تمس رزقه من عرض حيوان يسمى البوما وهو المثل للأسد في أمريكا كانت قبيلة من المتوحشين اصطادته حياً وكان ربه وهو شبه مشمود يؤمل أن ينال بعض النقود من عرضه على النظار كان هذا الرجل على شدة فاقه وعجزه عن القيام بفنقة نفسه مصحوباً بصديقه زنجية عليها طمر أزرق رأيت في مشيتها قولاً فسألها بالاسبانية التي لا أحسنها عما أصابها فجعلها تخرج كما رأيت فكان جوابها أن اوتني إحدى ساقها فإذا جرح دمي ورأيت قدمها قد دورت وورما مفرطاً ولما أمعت النظر في ساقها المجروحة عثرت على طرف شوكة

(*) مررب من باب ثرية اليافع من كتاب اصيل القرن التاسع عشر

خليطة في سمك لحمها وهي التي تسبب عنها الجرح قطعاً ثم خبث بما اعتوره من المشي والوصب
ولمخ الحشرات فان هذين المسافرين كانا آيبين من مسافة بعيدة جداً

مازلت بهذه الشوكة حتى نجحت في سلبها ثم ضمنت أجزاء الجرح بعصها الى بعض
ولم أجد خرقه أعصبه بها اولتي «لولا» منديلها ولم تقتصر على ذلك بل دعيتها رحمتها
بهذه الفتاة الى خلع نساها ووضع قدميها المرصوختين فيهما فلاقتها أشد الملاعة كأنما
صنعتا لهذه المسكنة فأعربت «لولا» عن شكرها ثم غادرناهما ومضينا في سبيلنا

انبتت «لولا» الى عمائها هذا باعث من بواعث الخبر القليلة الا انها ما لبثت ان أدركت
صعوبة الاختفاء في أرض صلبة خشنة كارض اليروقان طرقها لا مشابة بينها وبين مخاريف
الساكنين الكبرى في انكسارها

انما «إميل» أو لا يستخر من حيرة صديقه في مسيرها حافية ولكنه لتأثره من صبيحتها
دبت فيه النخوة فأحتملها على ظهره فقبلت ذلك مبتسمة

ان الباقي من طريقنا لم يكن طويلاً جداً ومع ذلك وقف «إميل» في أثناء الاستراحة
صرتين أو ثلاثاً متباعدة في ذلك نصيحتي وفي آخر وقفة منها بصرنا من بعيد بللعهود يهود
اليوما وعرفت «لولا» الصبية الزنحية وقد خلعت الثملين وحملتهما في يدها فما كان أشد
غمها لهذا المرائى انظر كيف نجستها منحتها وكيف استعملتها

فسررت عنها ما خسر قلبها من الكدر بأن قالت لها ان المادة طبع ثاب وان هذه
الصبية لا بد أن تكون تعبت من الاتصال لا عتيادها الاختفاء على ان نية اسداء المعروف
محمودة على كل حال ولو أخطأ صاحبها فيما يتخذ من الوسائل لا يصل النفع

والذي رأيته خير من هذه المظلة كلها هو ان ما وجده قلبها الطاهر من السرور
يا حبال «إميل» اياها قدر لها فيما أرى على ان الانسان لا ينحصر شيئاً مما يسديه من
المعروف. اهـ

يوم ٢٨ أغسطس سنة ١٨٩٦

زرنا بعض أجزاء من جبال القوردبير ولم يكن سقى «إميل» أن شاهد مثل هذه
الجبال التي يصح أن تسمى بالآلب (١) الأمريكية فراءه كل الرعع ما لهذا الخلق لها من

(١) جبال الآلب هي سلسلة جبال عظيمة في أوروبا

من مظاهر الفخامة والعظم مع اتالم نافع منها إلا أدنى شأنها
لابدي أن ألاحظ هنا أن القدماء كانوا قليلي التأثير بالجبال الشاخنة من المحامن
الرائمة فانالم تراهم من اللاتين من الكلام فيها إلا الذنور اليسير ومعظم ماقلوه استهجان
واستقبح وقد يحدو بي ذلك الى القول بأنه كان يلزم ان يدهمهم من الكوارث الهزنة
ماتهز له نفوسهم وأن تستضيء بصائرهم بنور العلم ويتمكن منها الاستعداد للبحث
والنقيب الذي هو من منيا المصور الحديثة ولو تم لهم هذا لأدركوا أن في سيارنا الذي
يسيش على ظهره من المظاهر المائلة البديمة مايدعو الى الاعجاب الحقيقي اه

يوم ٢ سبتمبر سنة ١٨٦٦

كبت «لولا» دعواها وان شئت قلت خسرتها فكلما القولين صحيح باعتبار جهة النظر
اضطربنا للمصالحه في هذه القضية الكثيرة الارتباك لما يقتضيه الفصل فيها من
الاتظار أشهراً بل سنتين فرض على الخصم أن يعطوا لبنت السفان مقداراً زهيداً
من النقود وبعض ما كان لوأدها من الأرضين - والأرض ما هنا لا قيمة لها اليوم أصلاً
مالم يستغلها صاحبها بنفسه أو بواسطة وكيل له يقيم في هذه البلاد
فأما أنا وهيلانة فاحببنا لتقيم في «لما» بل قد انتهت مهمتنا ولم يبق إلا السفر لاسياني
تلقيت مكتوباً من الدكتور وارنجتون بدعوني الى لوندرة لأمور نافعة لي فيها فيه
وأما قوبيدون وجورجيا فانهما خيران بفن الزراعة خصوصاً زراعة الاقطار
الحارة وليسامن ذوي العقول الضعيفة وأماتهما تقوّم بكل ما في بلاد البيرو من الذهب
ولا أرى ما يمنع من العهد بهما بزراعة أطميان «لولا»
وانه ليشق عليّ مفارقة هذين الشبهين غيراني أرى أن أقام انكسرا لم يخاف لثقلهما
من الزوج وأما أقام جنوب امريكا فانه يؤذن بأن سيكون لهما فيه بتوالي الايام مناخ
جميل ووطن سعيد اه

رجعت السفينة التي كانت حملتنا من لوندرة الى قلاو منذ ثلاثة أسابيع ويعلم الله
مق يكون مجيئها ولهذا رأينا بدلاً من اجتياز رأس القرن أن نركب هذه المرة في سفينة
تجارية على نهر الامازون (١) تسير بنا والشاطئ حتى نلح سواحل البرازيل حيث نجد

(١) المعروف ان الامازون أكبر انهار الدنيا ولعل المؤلف يريد بقوله نهر أحد

فروع القربة من لما

مقينة تكون مسافرة الى انكلترا فان هذه الطريق أقصر من الاولى بمسبع وعشرين يوماً
توي هولاء أن تمود معنا لان بلادها لقلة ماعرفته منها لم تبث في نفسها شيئاً

من الرغبة في توطنها ولأنها تعلم فوق ذلك أننا نحبا
مأدمت على هذا السفر بحال قابل وقدمضى وقته هنا في الالتفات الى العلم
والامان في مسأله فهو يهود الى بلاده الآن ناقلها اليها مجاميع في علم التاريخ الطبيعي
بل حاملها هو خير له منها - ضروب الافعال الكثيرة بما رأى وصنوف الذكرا وما
وقد تربى طبعه في مدرسة الاختبار والحياة التي لا يربى الرجال غيرها
نعم اني لأعني بهذا القول أن أزم جميع من هم في سنه من المراهقين أن يقتعدوا
عن أوطانهم بقدر ابتعادهم ولكن رأيت الذي لأحول عنه هو انهم لو خرجوا قليلا من
أصدانهم ورأوا الكون في الكون قبل أن يروه في الكتب لضموا من ذلك أكثر
عما يتوهم . اهـ

الكتاب الرابع في تربية الشاب

المكتوب الاول من إميل الى والده

وصف مبعثته - نادي الطلبة الالمانيين ومحاوراتهم - تهاقهم على خدمة الحكومة
تفكر «إميل» في أمره - تأله من عدم فهمه اللغة الالمانية - ذكره هولاء -
استيحاشة من غربته

برلين في ٨ يناير سنة ١٨٦٠

انتظمت في سلك المدرسة الجامعة بعد امتحان كان لابد من تأديته وصرت أدمى
منذ أسبوع بالسيد الشاب

من المفروض على أن أكتشفك بشيء من تفاصيل مبعثتي وأنا طالب :أما نهاري
فأصرفه في تلقي دروس الحكمة والتاريخ والقوانين وعلم تركيب الحيوان والنبات
ومنافع أعضائهما والمقارنة بين اللغات وغير ذلك وأما ليلى فأنضيه في مسكن استأجرته
سنة أشهر نحو مائة وخمسين فرنكا وأما طعامي فأتناوله في مطعم على مائدة جامعة
في مقابل أربعة وعشرين صولدياً (١) وبعد العشاء تارة آوي الى حجرتي وطوراً

(١) الصولدي جزء من عشرين جزءاً من الفرنك فقيمة طعامه هي فرنك وربع

أنزه في المدينة ولكوني أجنبياً لما أطلع علي أسرار طائفة الشبان كلها على أن أحدهم قد أخذني معه ذات ليلة إلى مدخن (مكان للتدخين التبغ) يجتمع فيه بعض الطلبة الألمانين فما فتح بابه حتى رأيتني قائماً منموراً بسحاب من الدخان حال بيني وبين رؤية جدران المكان وسقفه بل رؤية السكان برمتهم وكان يخيل إلي أنه يمتد إلى غير نهاية وكنت أسمع أصواتاً وأغاني وقهقهات ولا أبصر شيئاً من الصور الحية وأرى أضواء حمراء تبدو في بعض جهات هذا المكان يشاعها ذلك السحاب كأنما تسبح منه في بحر لحي وكنت أمشي كخابط ليل وراء الدليل وعلى مقربة منه بين صفين من الموائد خيل إلي أنها تهوم في الضباب ورأيت عليها رؤية غير مستبينة آتية من القصدير كان لماها الممدني يجهد في صدع حجاب الظلام الدخاني المنسدل على القاعة كلها ثم لفت من خلال هذه الآتية وجوها آدمية لأن بصري كان يتدرج في اعتياد هذا الجو الغريب والانس به ولم يكشف عني الحجاب كشفاً تاماً الا عند ما بلغت نهاية القاعة حيث اقيم مصطلى عظيم فرأيتني في جمع حافل من الشبان على رؤسهم القلنسوات وفي أيديهم كواب الحجة وبين هذا التشويش واللفظ عثرت على حلاق من الطلبة قامت بينهم مناظرات في مسائل مهمة ولم تفهم عن مداومة التهرب والتدخين

ان أذني لم تسمع الاصوات الألمانية اعتياداً يكفي لمناجاة مجرى الحديث وفهمه ومع ذلك قد فهمت من فحوى ما سمعته أنهم يتناظرون في مقاصد ووسائل بعضها اسمي من بعض تتعاقى باصلاح أحوال البشر وكانت البراهين والتكث والمغاني تنبعث من أفواههم كأنها سهام تارية تقذف بين أنفاس الدخان ولما أنصف الليل غادر القاعة جميع الطلبة ورأيت بعض من لاحظت فيهم الحجة والغيرة على مصالح الانسان منصرفين إلى بيوتهم وقد جعلوا يفتون جهاراً في وسط الشارع أغاني مبتذلة ولم يسه عليهم حينئذ ما يدل على أنهم ذاكرون لما شاهدوا عليه من اصطلاح شؤون الكون أخض غاية للطلبة من اختلافهم إلى المدارس الجامعة هنا بحسب ما سمعت هي ان يلوا عملاً من أعمال الحكومة فتكلمهم يؤمل أن يكون خادماً لها على تفاوت بينهم في ذلك فاذا حصل أحدهم على لقب دكتور مثلاً رأته بتقديم الباحاملا شهادة واحياً أن توليه أحد الاعمال الخالية في ادارتها ومعظم هذه الاعمال لا يولي الا بالاستعانة ولا يزال الامن

يظهر أنهم أعلم من غيرهم وحينئذ يقول الذين يخيبون فيه على الاشتغال بالأعمال
للسئلة ولا أدري اهذه الحالة وهي فرط الرغبة في تقلد المناصب العامة هي التي ينبغي
ان ينسب اليها التغير الذي يحصل في عقول شبان الدكارة عند خروجهم من الجامعة
أم له سبب آخر

فالواقع هو انه ليس بين اخلاق الطلبة واخلاق غيرهم من الالمانين ادنى مشابهة
الطلبة يتظاهرون بالتفجع (١) والشذوذ والعريضة وبخيل الى من يرى غيرهم من الالمانين
انهم غنائون سكية بل جوداً وبلادة والاولون مشهورون بالميل الى الثورة وبحب
الحكومة الجهورية وبعدد المبالاة بالخصوص في أي بحث نظري وبالهجوم على جميع
المائل سياسي كانت او دينية او قومية بما بدعش من جرأة الجنان وبقيسة الأمة
يظهر عليها التشدد في الاستمسك بالمواثيق القديمة وبالحكومة الملكية وترى الطلبة
يتباهون باحتقارهم جميع المميزات التي لا منشأ لها لاتفاق النسب على حين ان أواسط
الناس يحملون ألقاب الشرف اجلالاً لاحدله فترى الفريسيين كاتبين متبايزتين وليس
للطلبة في الحقيقة ارتباط بباقي الأمة الارغبهم المظمى في أن يلوأهم بعدد مبارحة
الجامعة اعمالاً رسمية على ان هذا الارتباط كاف في عدم اكترات الحكومة كثيراً بما
يدونه من حدة أفكارهم الحرة.

دعني سيرة هؤلاء الشبان الى التفكير في سيرتي فاني قد بلغت التاسعة عشرة من
عمري ولا مقام لي بين الناس بل لم يقف بي الاختيار حتى الآن على صناعة نافعة اشتغل
بها واذا أردتني على الاقرار لك بما أجده قلت اني أحياناً آتس من نفسي فتوراً في
الهمة وضعفاً في العزيمة وأصائلها عما أصاح له من الاعمال وأنا ضائق بذلك صدراً
نعم انك قد رأيت هي تقدماً سريعاً مناسباً طالي في العلوم ودروس كتب المتقدمين
في أربع سنين أو خمس مضت وما ذلك ولا شك الامن الطريقة التي أهلتني بها أنت
ووالذي للعمل التالي وهي مراقبة الأمور والاسفار وما تنقته منك من الدروس
النافعة ولا اشك ان لي طمناً في العلم ولكني اجهد فكري في استقصاء ما يوزني
من الخصائص فأؤله اتوهم اني احس في نفسي بروح إلهي يقودني على كل شيء

وساعات ينجل إلي أي قد قيت في عجزى وتجردت من حولي وقوتي وتارة تملكني الأفكار وطوراً يستحوذ علي جدران الحاجة الى العمل والذي اراه يقيناً في لم اجدا الى الآن استقامة واستقراراً فيما لنفسى من القوى ان صح ان يسمى بها الشاب مثلي من الشهوات القوية التي تدعوه الى السعي لادراك مقامه في هذه الدنيا لما بلغت لها منذ شهرين كنت اعتقد اني على علم باللغة الالمانية لما قرأته منها في الكتب فما لبثت ان تبين لي خطأي في ذلك ومنشأ هذا الخطأ اني كنت احسن قراءة الصحف وضاوين الحوائث واسماء الشوارع وما على الجدر من الاعلانات فان الجدر هنا كما تعلم تتكلم بالالمانية فاذا عبرت حولي المحاورات اصفيت اليها وما كنت أسمع الا اصواتاً لأفقه شيئاً من معانيها فكنت مطلق البصر اسير السمع لان من الاسر المنوي الحقيقي ان يبين الانسان بين قوم لا يفهم لغتهم . كان الفلام الذي في الثالثة من عمره وهو في هذه السن لا يعرف من هذه اللغة الا التامم ببعض ألفاظها يعرف منها أكثر مما اعرف حتى اني لا كنت احاول مخاطبته كان ينفض الي رأسه استهزاء كانه يقول عليك عني اني لا افقه لك قولاً

كنت بين اولئك القوم كالاصم الا بكم الذي فقد كل وسيلة التفاهم حتى لغة الاشارات فهل يمكن ان يتساءل عن الامواج الصوتية اذا اختلف انتقالها الى الاذن اختلافاً بسيطاً باختلاف كيفية تحريك الشفتين مثل هذه الحوائث والحجب التي تبعد الناس بعضهم عن بعض

استأت جدّاً من هذه العزلة فجاهدت جهاداً عظيماً في التجرد من الانكاس الذي احده من حياتي الطبيعي وانشأت اليوم النطق بالالمانية نطقاً مفهوماً وانى لا علم انه لا يزال يوزني تحصيل الكثير منها ولكن من هو في مثل سني قديميدان لا يحصل في قليل من الزمن لغة هو لا ينفك يسمع اصواتها من افواه جميع الناس في هذه البلاد وليس اصعب ما في هذه اللغة التكلم بها فيما أرى بل هو فهم ما يسمع من التجاور بها بين اثنين من أهلها فقد كنت ذات مرة في الملعب وكان اثنان من المتعبين تجاوران فما استطعت في سرعة تجاورهما ان افهم كله منه اللهم الا ما كان من تحية الملام وهي: هيلتك سعيدة

مثل اللغات الاجنبية ان لم اكن واحدا كنت قد دخلت السجن بالنادي الذي حدثتك عنه في كونه كان يحجب عني بديء بدء رؤية ما كان فيه من الاشياء والاشخاص فهي حجاب مبزول على الحجاب وأمل ان سيظهر لي النور عما قليل

ارجوك ان تتوب عني في قبيل لولاء واود لو ادري هل هي مواظبة على سقي الازهار وتعام العناية بالطيور وتديق مجاميع الاعشاب والفاثن وآمل منك إحصاءها بأن تذكرني كما اذكركها

إذا أنا كتبت ايك فقد كتبت الى والدتي فاتها في قلبي لا تفترقان ولهذا لا ازيدها شيئاً الا اسقي على حرماني من حجرتي الصغيرة التي كنت أسمع منها حركة غدوكم ورواحكم في البيت وعلى أنسي بركما عند اصطلاء النار ليلا فاني هنا في وحشة أي وحشة . اختم لك هذا للكتوب في الساعة الحادية عشرة من الليل على ضوء مصباح يملؤه طاكس ضوئي يسقط منه نور ضارب الى الخضرة وفي إحدى زوايا حجرتي ساعة دقيقة من الصنف الذي يصوت كطائر الكوكو عند انقضاء كل ساعة تحسب وتكتبها التي لا تتعب واسمع حبس احترق الخطب في التور وصرير الباب من صفق الريح اياه وارى البدر من خارج الحجرة شاحب الوجه يرتو الي من خلال ستارتي كبيرتين موشاتين بالاشجار والازهار ما بين يضاء وحرارة وقد أحسست بأثر يراق عني مع ان هذه الاشياء في ذاتها لا تدعني الى الحزن ولكن لأفاني فاني مازلت طفلا ولست آسى على بلادي وانما آسى على مفارقة مهدي فاني احبها وأرجو من هذه الجهة على الأقل ان اعيش طول عمري طفلا

أنا علي بن أبي طالب

تاريخ الاستاذ الامام

ان التربة بناء بوضع على اساس القدوة ، ويرتفع على قواعد الاسوة ، فسير وظلال الرجال ، أنفع مبدخر للاحياء ، وان الميرة بغير الماصرين ، أقوى من الميرة بغير الفابرين ، لانظمة الناس عندنا تعتقد ان الاولين من عصر ازكي ، واستمداد أقوى ،

فلا يضرب معهم المتأخر بسهم ، ولا يدانهم في فضل أو علم . - لذلك رأينا ان من انفع ما نخدم به الامة وضع تاريخ مطول للأستاذ الامام رحمه الله تعالى وقد نوهنا بذلك فيما نشرناه من سيرته . وريد ان نقول هنا ان وريثة الفقيده واصدقائه وصديديه الذين نعرفهم هنا عون لنا على هذه الخدمة وزجروا من اخوانهم في الصداقة والوفاء من سائر الافطار ان يتفضلوا علينا بما يرون من النماذج ، وما يعرفون عن الفقيه من الاعمال والمآثر ، مما يخفى مثله علينا . ويعلن ان لا يكون وصل الينا ، كـ بعض الكتب والرسائل ، وما رواه من الاعمال او سمعوا من المسائل ، ومن ارسل الينا شيئاً من خط الفقيه فانتا نعيد اليه على عهد الله ورسوله

ثم ان ما يرسل الينا ان كان اثاره من علم او ادب فانتا نقشرها حتماً ونكافي مرسلها بنسخة من التاريخ نهدى اليه وان كان كتاباً خاصاً بمن كان ارسل اليه فانتا لا نشره الا اذا كان فيه فائدة عامة من حكمة تؤثر او بلاغة تؤثر على انما يخلو كلام له من كلام النزيهين مهما كان الموضوع الذي كتب فيه . ولا شك ان الذين توجد عندهم هذه الآثار والخبار يحرصون مثلاً على تدوينها واستفادة الناس منها في الغلب فلا يدخلون علينا بما ينفع الامة ويحفظ اثر الامام فهذا الاستجداء سيصادف بذلك ما شاء الله تعالى واتا نهدر ان التاريخ لا يقل عن الف صفحة وقد يزيد عليها وان تجزئته الى جزئين او ثلاثة اولى وربما نجعل له اشراً ثانياً

وليعلم الشراء الذين نظموا المراتي ونشروها في بعض الجرائد اننا لا نشر منها الا ما نختار مما ارسلوه الينا او الى الشيخ عبد الكريم سلمان او حموده بك عبده لاننا لم نتبع الجرائد ونحفظ ما فيها من القصائد واميحس المانع من اثبات المرقية في التاريخ هو سبق نشرها في بعض الجرائد وإنما هو ما ذكرنا من عدم التبع والحفظ فمن شاء ان يرسل الينا شيئاً ما نشر فليقل

وكما نود لو بين لنا كل من ارسل او يرسل الينا شيئاً من كتاب وشاعر اقبه الذي يخاطب به ووظيفته التي يذكر بها لندكره بما هو معروف به ان لم يكن متكرراً فذلك خير من نشر القصيدة او المقالة بالتوقيع الذي يذكر فيه الاسم غفلاً لا يعرف به ما الا المتصلون به وقد يشبه غيره لكثرة المشاركة في الاسماء واللقاب هنا (اي في البلاد المصرية)

كتاب الهدية العصرية إلى الجامعة الوطنية

كتب سليمان أفندي مصوبع الحامي السوري مقالات في الاجتماع البشري وال عمران ونشرها في جريدة ثمرات الفنون وغيرها من جرائد بيروت ثم اقترح عليه أن يجمع شملها في كتاب فجاء الكتاب يناهز ثلثي صفحة في عشرة أبواب (١) في العمران أساسه وتحديد به وسره ٢ في الحاجة تأثيرها والوقاية منها ٣ في الخلقاء ٤ في الانتقاء ٥ في مسؤولية الانسان ٦ في أدوار الحياة ونحو ذلك . وفي هذه المباحث آراء صحيحة وفيها مسائل غامضة ولعل أكثر الفصوص من ضعف التأليف وإعواز البيان حتى كان الكلام كثرة بجملة اصطلاحات جديدة وأسلوب لم يخاض دأبنا إلى الأسلوب العربي الصحيح من حيث تقنية الأفعال وربط الكلام ببعضه ببعض ووضع الكلام موضعاً على أن فيه جملاً رائعة وتجاوزاً حذراً في بعض المواضع . وقد كان أعجب الكتاب إلي وأحسنه عندي كلامه في الدين والشرائع الثلاث الموسوية والمسيحية والاسلامية فانه قد بناء على قاعدة انشؤ والارتقاء وبذلك تبين ان دين الانبياء واحد وان الأخير مكمّل لما قبله وعليه المعول في الخلاف ولولا التطويل لقلت كلامه هذا على انه قد سبق لنا اقتباس ما كتبه الأستاذ الامام (رحمه الله تعالى) في ذلك من رسالة التوحيد وهو الكلام الذي ليس فوقه مطالع ولا وراءه غاية . واتسأتني على سليمان أفندي لسانه بما نقلت العناية به في تلك البلاد ، ونرجوه زيادة التحرير والاجتهاد .

كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة

لهذا الكتاب ذكر في دواوين المتقدمين لشهرة مؤلفه أبي نصر التماري فياصوف الساميين في القرن الرابع وقد كان من كنوز الكتب الخفية فظفر في هذه الايام وطبعه الشيخ فرج الكندي والشيخ مهدي في قفاني الدمشقي . يطالع من المكتبة الموكية بمصر مسائل الكتاب تدور على أقطاب الفلسفة اليونانية في وجود الاول وما يجب له من الصفات ، في أقسام الموحودات الاخرى ومنها النفس ومن هنا ينتقل إلى الكلام في الوحي والشيرة ثم إلى حاجة الانسان إلى الاجتماع والتعاون وانما يكملان بالمدينة لذلك بين معنى المدينة وقسمها إلى أقسام المدينة الفاضلة والمدينة الجاهلة والمدينة

لفاسقة والمدينة المتبدلة والمدينة الضالة . ثم ذكر في التفصيل أقساماً أخرى منها مدينة
 حسة والشقرة قال «وهي التي قسداً أهلها التمتع بالمنة من الماء كولد والمثروب والمنكوح
 بالجملة اللذة من المحسوس والتخيل وإثارة الهزل واللعاب بكل وجهه ومن كل نحوه
 بهذه المدينة قسم من أقسام المدينة الجاهلية . أما المدينة الفاسقة فهي أرقى من المدينة
 الجاهلية وقد عرفها بقوله «وهي التي آراؤها الآراء الفاضلة وهي التي تعلم السعادة
 والله عز وجل واشتواني والعقل الفعالي وكل شيء سبيله أن يعرفه أهل المدينة الفاضلة
 ويعتقدونه ولكن تكون أفعال أهلها أفعال أهل المدن الجاهلية» وجميع مباحث الكتاب
 يجري على طريق الفلسفة اليونانية

واعلم من اطلع أو يطلع على هذا الكتاب يتذكر أننا كنا نبرنا عن هذه المدينة
 بالفاسقة فقام بعض الذين لم يرتقوا عن أهل المدينة الجاهلية يسألوننا بألسنة حسداد
 زاعمين أن ذلك يتضمن الطعن بمرض كل من يقيم في هذه المدينة فيقولون بألسنتهم
 ما ليس في قلوبهم «على أنهم هم الطاعنون واسكن لا يخرجون
 (مرور في أرض الهناء . ونبأ من عالم البقاء)

كتاب جديد الوضع والاسلوب والتخيل أنه شكري أقدي الحوري اللبناني
 المقيم في البرازيل . فلما أرض الهناء فهي المدينة الفاضلة أو الكاملة في رأي فلاسفة
 هذا العصر وعلمائه وهي سعادة الحياة التي يتخنون أن يصل إليها البشر بالعلم والعمل
 والآفاق والنواد بين جميع الناس وبلوغهم العمر الطبيعي (مئة سنة أو أكثر) مع
 التمتع بالصحة والعافية لم يتربون عليه من الرياضة البدنية والعقلية وتجنب الإفراط
 والتفريط في الأمور كلها لأسباب المرف في الطعام والشراب . صر بهذه الأرض
 روح بشري فارقي جسده وذهب إلى الدار الآخرة فكانت في طريقه إليها وقد
 كتب إلى صديق له في الدنيا ينهيه بوصفها على ما خياله . مؤلف الكتاب

وأما عالم البقاء فهو معروف والمؤلف يصور فيه موقفاً الحساب والجزاء يحضره
 ملك شرقي ظالم وأحد المتصرفين في جبل لبنان وراهب وشيخ مسلم وتخيّل وأص
 وقاهن (قسيس) ومخافي وطبيب وسكبر ومحام . يحاسب كل منهم ويهاقب على ما
 أفصل في الأرض . تذكر ذنوبه ، وتشرح عيوبه ، ويمنذرو ويتصل ، فلا يذرو ولا يقبل .

وأما أسلوب الكتاب فهو فكاهة سلسة يقرب من أسلوب العوام ويخاطبه كثير من عباراتهم وأمثالهم وتشبيهاتهم ومن قرأ طائفة منه يدفع إلى إعجابه بسائق الرغبة وحادي اللمذة وقلما ترى بين الكتب التي تؤلف وتنتشر ويتناجح بين اللمذة والفائدة لاسيما في شؤون المدينة والاجتماع والسياسة . نعم ان الفكاهة لا تليق في مقام الرحمة والجبروت وفي مواقف الحساب والجزاء . ولكن غرض المؤلف من ذلك تشييل سميات هذه الاصناف من الناس التي تشغل بالمصالح العامة فتفقدوها وهم الملوك المستبدون وأعوانهم والاطباء والصحافيون والمحامون والقسوس وغيرهم من رجال الدين وقرنهم بالمصوص والبخلاء . وليس الغرض الاول تمثيل أهوال الحساب والجزاء وارهاب الناس منه بل هذا وسيلة وذلك هو المقصد .

ومما يفتقد عليه أن ماذا كره من حال الملائكة التي تذهب بالارواح والتي تتولى الحساب والجزاء لا يتفق مع عقائد الناس أو تخيلاتهم فيهم ولا هو في نفسه مؤثر بصادف من النفس موقفاً يليق به وأكثره لافكاهة فيه الاماذ كره من فتنة المحامي . ثم يبيح الشعب في ذلك العالم لاجل ان يجور من العقاب فلا يستطيع احدا ان يملك ضحكك عند قراءة هذا

وقد انتقد عليه زميلنا انوم افندي لكي صاحب جريدة المناظر الحرة في مقدمة وضعها له اكتفاء بذكر الراهبات من الاجواق التي رأها مساعدة الى السماء . حيث تأتي أحسن الجزاء . ففي الناس من يستحق ذلك غيرهم . وانتقد عليه انا بقوة زعمه ان النصراني تقرب من المسلمين في جرائمهم ومدارسهم والمسلمون لا يزدادون الا تباعداً والصواب ان في قتلاء الفريقين من يسهى المتساهل والتقرب منهما وان جرائم المسلمين أبعد عن اثمارة التعادي من جرائم النصراني فاننا لا نرى فيها جريمة منتشرة تعرض للنصارى فيما يخص دينهم ورؤسائه كما نرى في جرائم النصراني بمصر من ذلك حتى ان بعض الجرائد اليومية كانت من عهد قريب تطعن وتحمي عن العقائد الاسلامية في الازهر وتعرض لبعض كبار العلماء والأئمة وتحاول اشراك لانهايم انهم يمشون في الازهر الاطحاد ويفسدون الدين ومثل هذا كثير في الجرائد كالمناظر وأما المدارس النصرانية فأكثرها أو جميعها تلزم التلاميذ المسلمين بالعبادات النصرانية ولا تعرف مدرسة اسلامية في الدنيا تحامل التلاميذ النصراني بمثل هذه المعاملة .

ثم انه ليس لشايخ المسلمين من الناية بامتهم وتلقينهم التعاليم والتقاليد الدينية مثل ماله قسوس وأكثر من ذيت الشايخ مع غيرهم في الامور المادية وباليهم كانوا يبنون بنشر مسائل الدين اداً لقل التافه فان رأى الاسلام في النصرانية ليس كراي النصرانية في الاسلام. الاسلام ثبت ان كتاب النصرانية حق وبوجب الايمان بمن جاء به وانما ثبت ان اهلها حرفوا وانحرفوا عن صراطها وان ابداءهم حرام والبر اليهم مشروع. والنصرانية تعد الاسلام كذراً في اصوله وفروعه وقد ألف القسوس في ذمه كتاباً حشوها بأكاذيب لم تخطر على قلب مسلم في الارض ثم انه لم يقدر احد من الشايخ مجالس وسماراً لاجل الطعن في النصرانية ولم يمتوا احدا منهم لفخوة النصارى الى الاسلام كما يفعل القسوس بالمسلمين، فأى الفريقين هو المفرق بين العالمين ؟

لهذا أرى ان أقرب طريق الى التأليف بين الفريقين نشر تعاليم الاسلام الصحيحة في المسلمين واقتلاع قسوس النصارى الذين لهم السلطان الاعلى على قلوب عامتهم عن تنفيرها من المسلمين وكفهم عن الطعن في الاسلام ولا أبرئ بعض الشايخ من كلام ضار يؤولونه في المجالس عند ما يذكرون نصب النصارى ولكن مثل هذا الكلام لا يكاد يجي مني درس ديني ولا كتاب تعليمي وقد اذنت من لأحصى من المسلمين بأن الساهل والاتفق على الصالح الديني خيراً من به الدين فهاجده مقاومة تذكر، ولا رداً يؤثره وقد كتبت من قبل ان الصواب في التأليف ان يحمل الاحرار من كل طائفة على التحسين المفرقين منها واما حمل كل طائفة على الاخرى فهو الداء الذي لا يرجى منه شفاء.

تهذيب الاخلاق

يولد في كل أمة ألوف من الاولاد على استعداد فطيم العلوم والنضال فيضيع استعدادهم بالغفال تربيتهم وتعليمهم وفيهم من لو علم وربى لهم بالامة أولئك ركناً من أركان ارتقاها على أن يغفل تربية الاولاد وتعليمهم لا يكون من والديهم بالصد والاختيار وانما هو الجهل والعجز وقد تحمل التربية الصحيحة والتعليم النافع في الامة حتى لا يوجد أحد يقوم بهما ويقيمهما على قواعدهما وأمة مثل هذه يلوح لناظر انها قد تودع منها حتى لا رجاء فيها. ولكن هذا انظر غير صحيح فديق بعض الله لهم في الجهل والفساد من يربي فيه بعض الافراد، فيكون منهم التور المستطير

والخير الكثير، كما علمت من سيرة الاستاذ الامام رحمه الله تعالى . وقد ينهض الاستعداد
بعض الناس الى ان يربي واحدهم نفسه بعد الرشد واستقلال الفكر ثم يبري تربية
غيره ولا بد لائل هذا من الاسترشاد بالكتب النافعة . ومن هذا الصنف العالم
الفيلسوف أحمد بن محمد بن مسكويه صاحب كتاب (تهذيب الأخلاق) الذي هو أحسن
المختصرات في هذا العلم الجليل .

ولست بهذا الكتاب منذ رأيت فطالعت ثم قرأته درساً ثم علمت بعد الهجرة الى
مصر ان الاستاذ الامام قرأه درساً كما ذكرت ذلك في ترجمته وكان الكتاب يومئذ مجهولاً
عند المشتغين بالعلم فصرف وميتاً فاستحيي ويسرنا ان الناس أقبلوا عليه في هذه
السنين فقد كان طبعاً طيباً قيماً وفقدت نسخة فأعاد طبعه عبد العظيم ابي صالح
منذ سنين بالحرف الاسلامي الجميل على ورق جيد فأقبل الناس بسميه عليه حتى فُقدت
نسخته ورأى من الاعانة على الترية أن يطبعه ثانية ففعل وله من الفضل في اتخاذ
الوسائل لنشره ما يضاعف قيامه باجادة طبعه فمضى أن يكون في هذه الكرة اسرع
انتشاراً لتبشر بأن أمتنا تزداد حباً في العلم النافع وميلاً الى التربية الصحيحة علماً
بعد عام . وثمن النسخة من الكتاب خمسة عشر قرشاً وأجرة البريد قرش ميسر
ويطلب من طابعه ومن إدارة النازع مصر

شكر واعتذار

نشكر الذين عزونا بترقياتهم وكتبهم عن مصائبنا عولانا الاستاذ الامام طاب من أمكاناته
مكان الولد البار من الوالد الرحيم، والريد الصادق من المرشد الحكيم، على انه تقدمه الله
برحمته كان أبا الامة ومربيها، ومشردها وهاديها، فامن منزلنا الا وكان يعزي نفسه ثم
يذكر الامة والاسلام، ويمتدح بأن له صاحب عام، وكذلك رأينا التمازي التي خوطب بها
اخونا حموده بك عبده والسبح عبد الكريم سلمان بل وأينا مثل هذه التمازي في أيدي
بعض الريد بن ومنشور مؤذناً من ذلك في كتاب التاريخ ان شاء الله تعالى . وأما الاعتذار فهو
عن عدم محاولة التزني وبدخل في الاعتذار ان كانوا منذ أشهر في مسائل أخرى ونخص
بالله كراي البحر بن وزنجبار والغرب الاتقي . ولعلنا نكتب اليهم عن قريب

(تقريباً) لانسخة لجرائد المصرية بنالي ترجمة لاستاذ الامام عن انوار ولا يضر اقتباس

قليل من المارة مع الزو وكثير من الذين ولو بدونه والحمد لله آمناً بين أهله



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

الحكمة
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيقيمون أحسنه
أولئك الذين هم لهم الله أولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صرى و«مناراه» كنار الطريق)

(مصر - ١٦ جادى الثانية سنة ١٣٢٣ - ١٧ أوغسطس (آب) سنة ١٩٠٥)

تجربة سيرة الاستاذ الامام

حياته في الثاني

لا تكمل تربية الرجال ، الا بمكافحة الالهوالات ، فمادن النفوس لا تصفو من شوائب الضعف في الخلق ، وتمكن من مقعد الصدق ، الا بعد ان تعرض على نيران الفتن ، وتذاب في بواقي المحن ، « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » ، ولذلك يتلى الله سبحانه وتعالى عباده المصلحين بفتن المفسدين ، ليصام الصابرين والصادقين ، وليحص الله الذين آمنوا ويحق الكافرين ، فالتق والذكوراث تمحص نفوس المؤمنين بالله السائرين على سننه فتزكيا وتطهرا ، وتمحق الكافرين بنعمه والمنحرفين عن سننه فتدسيها وتفتنها ، وقدامهم فقيدا في الثورة بما هو بريء منه ، وتنتن المنافقون يومئذ بأخبار السوء منه ، حتى أنذر بالأعدام ، ثم استبدل ذلك بالنبي ثلاثة أعوام ، فما حقد علي واش ولا محال ، بل كتب من السجن الى صاحب له يجب من كيدهم ثم قال ،

« واثني عشت لأفعلن المرووف ، ولأغثن الملهوف ، ولا تقفن الهاوي في حفرة الصدر ، ولا آخذن يدي المتضرع من ضنط الظلم ، ولا تجاوزن عن السيئات ، ولا تنسين جميع المضرات ، ولا بينن لقومي أنهم كانوا في ظلمات يمهون » ، ولا تظهرن الصديق في أجل صورته ، ولا جلونه للناس في أبهج حلاله ، ولا تبين لهم برهان العمل انه فكرك الثاني في روحك الواحدة ، وجسمك الآخر في حياتك المتحدة ، وأنه صاحبك اذا طال ليل الكدر ، ومصباحك اذا غسق دجى الهموم ، تستضيء به في حل ما انعقد ، وتستعين بقوته في تبسير ما عسر ، وتذهب به إلى أوج المعالي والناس من

معجزات الصديق يمتعجون * - الى ان قال - لكنني أقول لكم ان هذه
الحوادث المريبة سوف تنسى ، وان هذا الشرف سوف يرد ، واثنأت
طبيعة هذه الأرض بخسها ان يكون لها من عوده نصيب فليعودن في
بلاد خير منها ، ولا تجدن الى المجد احبتي ومن الى المجد ينجذبون * كل
ذلك ان عشت وساعدتني صحة الجسم ولا أطاب شيئا فوق هذين سوى
معرفة الله الذي عرفه بعض الناس وبعضهم له منكرون * والكتاب طويل
ومنتشره برمته في تاريخ التقييد

وله قصيدة في الثورة نظمه في ظلمة السجن أيضا تزيد على مئة بيت وقد
مرض في آخرها بما يانه في آخر كتابه هذا من صدق العزيمة والثقة بنفسه
والاعتماد عليها في مقابلة الزمان بعد الانكسار على الله تعالى وكونه لا يخاف
شيئا يقطع عليه طريقه في عمله لوطنه وأمه الا الموت قال

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| وأحفظ الدهر أني لا أشاكه | فما تبطن من شس وتمويه |
| أحارب الدهر وحدي ليس يتمني | الا الثبات وحسبي من أضافه |
| تسلم الدهر مني كيف يطمني | فخاب ظنا وخاتمه مزاكبه |
| وليس يعجزني عن كسر فيلته | الا المنايا تشاجيني فتحمية |
| ان المنايا سهام الله سددها | وليس يخطئ سهم الله مرميه |

أرأيت من كانت له هذه النفس العالبة ، والمزمنة الماضية ، المحط
من قدره ان يتم بالسياسة فباقي في غيابة السجن ، أم يطاف نور استعداد ،
الاخراج والنفي ، ؟ كلا

(عمله في اوربا بمصر والاسلام)

سافر رحمه الله تعالى الى سوريا فأقام فيها نحو سنة ثم سافر الى أوربا

على اتفاق بينه وبين استاذة وصديقه السيد جمال الدين لأجل الاشتغال بما كان يسمى « المسألة المصرية » فأقام فيها عشرة أشهر معظمها في باريس حيث أصدر جريدة العروة الوثقى وكان أسسها جمعية من مسلمي الهند ومصر والعرب وسوريا غرضها السعي في جمع كلمة المسلمين وإيقاظهم من رقدهم وإعلامهم بالآخطار المحدقة بهم وإرشادهم إلى طريق مقاومتها.

كان السيد جمال الدين مدير سياسة الجريدة والشيخ محمد عبيد المحمود الأول لها، على أنهم يكن لها محررين سواء لا من كان يترجم بعض الأخبار من الجرائد الأوروبية ويلقيها إلى الشيخ بصحتها وينسخ فيها من روح العبارة ما ينفخ، كان السيد منبع الأفكار والآراء السياسية التي تنشر في الجريدة لأنها مأخوذة من سيئات الانحياز في الهند وغيرها وكان الشيخ يبرز هذه المسائل في صورة تروع الأبصار وتحرك الأفكار ويتصرف فيها ماشاء أما المقالات التي كان يكتبها في الاجتماع والوعظ والأخلاق والسياسة الإسلامية فقد كانت من الآيات البينات التي لا يكاد يوجد في كلام البشر ما يساهمها في البلاغة والتأثير حتى كان علماء المسلمين وعقلاؤهم في كل قطر يتوقعون أن يحدث تلك الجريدة انقلابا عاما في المسلمين : حدثني الثقة عن السيد سلمان فندي الكيلاني نقيب بنده أنه كان يقول كلما قرأ هذا من جريدة العروة الوثقى : يوشك أن يحدث انقلاب في بعض بلاد الإسلام قبل أن يصدر العدد الذي يمد هذا . والسيد سلمان هذا كان من بقايا زعماء المسلمين يخضع له مئات الألوف من العرب والمسلمين وسمعت شيخنا الشيخ حسين الجسر الهام الطرابلسي الشهير يقول: لو طال الزمان على جريدة العروة الوثقى لأحدثت نهضة جديدة للمسلمين وانقلابا عظيما.

أقول وهي هي التي نقلتني من طور الى طور وحيث الى صاحبها حتى جذبني الحب الى مصر ووصل جبل ودي بالاستاذ الامام وحملني على نشر حكمته ، وإعلان دعوته ، فقد كنت مرة أبحث في أوراق والذي المتيقنة وأنصنع ما فيها من الجرائد المطوية فعثرت على أعداد من العروة الوثقى فطقت أقرأها المرة بعد المرة وهي تعمل في نفسي فعلمت تهديم وتبني ، وتمد وتمني ، وما كان وعدا الا حقا ، ولا تمنيا الا رجاء وأسلا ، أحدث إصلاحا وعملا ، فكانت هي أستاذي الثاني الذي أثر في نفسي ، وأقيم عليه بناء عملي وأملي ، وأما الاستاذ الأول فهو كتاب إحياء العلوم للامام الفزالي الذي كان أول كتاب ملك عقلي وقلي . أنشأت بعد ان ظفرت بتلك الاعداد أبحث عن اخواتها في طرابلس فكنت أجدها عند الرجل المدعو عند الآخر المدعوين فأنسخ ما أجده ثم علمت ان الشيخ حينما الجسر احتواها كلها ومن عنده أتممت استنساخها . وأكبر أثرها عندي أنها هي التي وجهت نفسي للسعي في الإصلاح الاسلامي امام بعد ان كنت لا أذكر الا فيمن بين يدي وأرى كل الواجب علي أن أظهر في دروسي المقيدة الصحيحة والاخلاق القاضية وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأفر عن المعاصي وأنا لا أعلم سبب الفساد الذي فعل في العقائد والاخلاق ما فعل ، ودفع المسلمين الى مزالق الزلل ، حتى هدتني العروة الوثقى الى المناسي والمال ،

لم تكن خدمة الشيعين للاسلام في أوروبا قاصرة على الوعظ والإرشاد بل كان لها سعي لدى فرنسا وانجلترا نفسها في المسألة المصرية ومسألة السودان وكان سعيها لو ظهر غريبا . وكان منه إقناع ناظر خارجية انجلترا بعد فصل السودان عن مصر وسفر الاستاذ الامام الى بلاد كثيرة لتوثيق

المروءة والتمهيد للعمل أن يترك السودان لأهله ويمدوا عن محاولة فتحه،
وكان لهما في ذلك آمال، ومقاصد ذات بال، وقد كان تقرر هذا وما حال
دون إرضائه رسمياً إلا موت محمد أحمد هدي السودان، ولو شرحنا
الوسائل التي اتخذها الشيخان لذلك لحار في براعتيهما لثلاثين، لأنكر ان
هذه الاعمال السياسية كان السيد جمال الدين هو المقترح لها ولكن كان
فقيدنا عضده وساعده ولسانه وقلمه ولولاه لما استطاع انضي فيها على أن
فقيدنا كان بما جرى له ولشيخه مع توفيق باشا في مصر قد ضمت أمله في
الاصلاح السياسي ووجه همه الى الاصلاح القومي في التربية والتعليم.
حدثني انه قل للسيد في أوروبا إن هذه السياسة لا يأتي منها خير لان تأسيس
حكومة اسلامية عادلة مصلحة لا يتوقف على ازالة الموانع الاجنبية فقط
فتخير لنا ان نذهب مما الى مجهول من مجاهيل الارض لاسلطان للسياسة فيه
ونحاول تربية افراد على ما نحب فاذا تيسر لنا تربية عشرة رجال يذلون
انفسهم لخدمة الامة لا يصدهم عن ذلك الجثوم في وطن، ولا الاخلاص
الى الاهل والسكن، بل يكون همهم الا كبر الضرب في الارض لتربية مثاهم
على ما ربوا عليه فلا يبعد ان يرثي الواحد منهم عشرة فيكون لنا في زمن قريب
مئة رجل يعملون للاسلام والرجال هم الذين يعملون كل شي، فقال له السيد
انما أنت مشيط قد شرعنا في عمل فلا بد من المضي فيه حتى يتم أو نمتجر

كان لذلك السعي في انقاذ مصر والسودان أو السودان فقط طريق في
ذلك الوقت لان الاحتلال الانكليزي كان في نظر أوروبا كلها موقفا ولم تكن
قدم انكلترا واسنخه في مصر، وبعد ان رسخت القدم وتمكنت السلطة من
البلاد قام بعض الأحداث يكتبون ويخطبون ويقولون ما بعداً امام ماتاله وكتبه

الشيخ في وقته لتواو كانوا يمدون أنفسهم بذلك خدمة مصر ومنقذوها
فبرءون مثل الفقيه بالتصير في خدمة الامة ولوطن دلي انه هو المصري
الوحيد الذي قدر على استخدام السلطة الانكليزية في مصر لخدمة مصر
والاسلام، بعد ان صارت الخدمة بمقاومتها من الحال، ولو كانت الخدمة النافعة
هي مقاومة القوة بالكلام والكتابة لكانت العروة الوثقى أخرجت الانكليز
من مصر قبل ان يتمكنوا منها

(مناظرة الفقيه لوزراء الانكليز في المسألة المصرية)

ذهب الفقيه الى لندن في تلك الاثناء وتكلم مع وزراء الانكليز
في المسألة المصرية ومسألة السودان وفي المالية المصرية وغير ذلك ونشرت
الجرائد الاوربية بعض محادثاته معهم. نذكر هنا محادثة نشرت في العدد
الرابع عشر من العروة الوثقى الذي صدر في ٢٢ شوال سنة ١٣٠١ - ١٤
اغسطس سنة ١٨٨١ تحت عنوان (هؤلاء رجال الانكليز وهذه أفكارهم)
والكلام بلسان السيد قل:

« تأخر صدور الجريدة أياما للضرورة مامنا من ضعف في المزاج
مع مصادفة رداءة الهواء في البلاد المترساية هذه الايام والحمد لله دلي
زوال المانع. الا اننا مع ذلك لم نقصر في أداء الواجب من العمل الذي قنا
به في المدافعة عن حقوق المسلمين فقد خلقنا والشكر لله لهذا العمل وطبعنا
عليه ونرجو ديان السماوات والارض ان نموت في هذه البيل وان نبعث
في ذمرة السالكين فيها.

وأنا إن يذهب الشيخ محمد عبده (المحرر الاول لهذه الجريدة)
الى لوندرا إجابة لدعوة من يرجى منهم الخير للثنا ومن يؤمل فيهم صدق

النية في رعاية مصالح المسلمين من رجال السياسة الانكليزية ، وليستكشف
 مناصب الفخاخ السياسية التي ماصرت عليها قدم شرقي الاستقطت منها فيما
 يصير الخلاص منه ، وليسبر أغوار المطامع الانكليزية التي لا يدرك منهاها -
 تلك المطامع التي بعد ما التهمت ثلث المسكونة وطوت كرة الارض بالفتح
 والاستملاك لم تزل في مد لا جزر معه ولا يزال رجال حكومة بريطانيا
 في قرم شديد لا يتلاع بمالك العالم وكلما أساغوا قطرا طلبوا اليه آخر ،
 وليستطلع خفايا المقاصد من أثناء الافكار وغضون الاقوال ، وليقف على
 الطرق المألوفة بين أولئك السياسيين في التلون ويتبين كيف يتمكنون
 من ابراز محاسن الاعمال في صفات رديئة يستنكرها كل ناظر اليها واظهار
 السيئات في ألوان بهجة تسر الناظرين حتى يمكن بعد ذلك وضع ميزان
 قسط يتميز به الزيف من التضار الخالص كي لا يفتقر الجاهل ولا يزل
 العالم . لاني (محرر الجريدة) كثيرا من رجال السياسة الانكليزية وأتقد
 الناس رأيا فيها وقد جرت بينه وبينهم محادثات طويلة في الاحوال المصرية
 ومن محادثاته الابتدائية ما نشر في بعض الجرائد الانكليزية كجريدة «البال
 مال كازيت» وجريدة «النروت» التي يحررها النائب الشهير مستر لا بوشير
 وجريدة «التيمس» وسيد كرشي ، مما جرى بينه وبين بعض الاكابر من رجال
 الحكومة الانكليزية مما ينفذ منه الشريكون عموما والمصريون خصوصا
 وسنأتي جريدتنا على بعض ما استنبطه من خوى أقوالهم وأدركه من
 صرامي أفكارهم . أما الآن فنأتي على جملة واحدة من محادثة طويلة كانت
 بينه وبين اللورد (هرتسكنون) وزير الحرية الانكليزية ليأخذ كل مصري
 منها حظه ويصيب كل شرقي سهمه ويقف جميعهم على مواقع الشرفين من

أَنظار رجال الحكومة الانكليزية.

سأل اللورد هرتفوردون وزير الحربية الانكليزية: ألا يرضى المصريون أن يكونوا في أمن وراحة تحت سلطة الحكومة الانكليزية أو لا يرون حكومتنا خيرا لهم من حكومة الأتراك وفلان باشا وفلان باشا؟ فأجاب الشيخ (محرو جريدتنا) كلاً إن المصريين قوم عرب وكلهم مسلمون إلا قليلاً وفيهم من محبي أوطانهم مثل ما في الشعب الانكليزي فلا يخطر ببال أحد منهم الميل إلى الخضوع لسلطة من يخالفه في الدين والجنس ولا يصح لحضرة اللورد وهو على علم بطبائع الأمم أن يتصور هذا الميل في المصريين: فقال الوزير هل تذكر أن الجبهة عامة في أقطار مصر وأن الكافة لا تفرق بين الحاكم الاجنبي والحاكم الوطني وأن ما ذكرته من النفرة من سلطة الاجانب إنما يكون في الأمم المهدبة؟ فأخذت الشيخ حدة تليق بمسلم لا يتهاون في أداء ما فرض الدين وأوجبه حقوق الملة وقال: أولاً أن النفرة من ولاية انجليزي ونسب الطبع لسلطته مما أودع في فطرة البشر وليس يحتاج للدرس والمطالعة وهو شعور إنساني ظهرت قوته في أشد الأمم توحشاً كالزولوس الذين لم تدسوا ما كابدتموه منهم في الدفاع عن أوطانهم. وثانياً أن المسلمين مهما كانوا وعلى أي درجة وجدوا لا يصلون من الجهل إلى الدرجة التي يتصورها لوزير فان الاميين منهم ومن لا يقرأون ولا يكتبون لا يفوتهم العلم بضروريات الدين ومن أجلاها وأظهرها عندهم أن لا يدينوا المخالفين فيه وأن لهم في الخطب الجمية ومواعظ الوعاظ في مساجدهم ما يقوم مقام العلوم الابتدائية وأن جميع ما يلقونه من النصائح الدينية يحذروهم من الخضوع لمن لا يوافقهم، ويحدث فيهم من الاحساسات

الشرفمة الانسانية مالا ينحطون منه عن سائر الأمم خصوصاً المصريين الذين ينطقون باللسان العربي وفهمون دقائق ما أودع في ذلك اللسان وهو لسان دينهم . وثالثاً إن أرض مصر من زمن محمد علي قد انتشرت فيها العلوم والآداب الجديدة على نحو ما هو موجود في بلاد أوروبا وأخذ كل مصري نميها منها على قدره ولا تخلو قرية من القرى الصغيرة من أن يكون فيها قارئون كاتبون والاخبار العمومية توصلها إليهم الجرائد المصرية ومن لم يقرأ يستفيء الاخبار من القارئين فهذا أضافوا إلى الشهور الطبيعي والتقليد الديني محبة وطنية منشأها التهذيب العمومي قوي بها الميلاق الاولان ولا أظنهم يخالفون في ذلك سائر الأمم : اهـ

«أين العلماء الا ذكياً، أين الجملة الا غيياً، أين الأباة الا علياً، أين السفلة الا دنياً، ليرى كل واحد منهم منزلة الشرقيين عند رجال الحكومة الانكليزية كل ذي شكل إنساني وصورة بشرية يدرك ما وراء هذه الاسئلة وما تشق منه هذه الظنون المجيبة .

«هذا الاورد هرتكتون وزير الحرية الانكليزية يظن ان الجهل يلغ من المسلمين عموماً والمصريين خصوصاً الى حد سلب عنهم كل إحساس إنساني وانهم في حضيض من الجهل لا يميزون فيه بين الغريب والقريب، ولا بين العدو والحبيب

هذا دليل على ان الانكيز (لا من أنار الله بصيرته ووقفه لفهم الصواب) يعتقدون ان الأمم الشرقية والأمة المصرية في درجة الحيوانات السائبة والدواب الراحية لا تنألم الا من الجوع وفواعل الطبيعة المادية وليس لها من الاحساس إلا نوع من الاتصالات البدنية ولا تعرف من شؤونها

الإمامة تقوم حياتها الحيوانية فتألف راكبا والعامل عليها ومستخدمها في أي عمل من الأعمال الشاقة مادام يقدم لها طعاما وشرايا وإنها تهش وتبش لرؤية من يقدم لها غداها وعشاءها وإن كان من أشد البلاء عليها بما يسومها من مشاق الأعمال فإذا عجزت عن العمل فبحها وتمذى بلعومها: الخ الخ ضاقت الحرية الانكليزية الواسعة أن تسع جريدة المروعة الوثائق فمنعتها من الهند ومصر واشتدت الحكومة الانكليزية في إعانات من تصل اليهم وفرضت الحكومة المصرية غرامة وعقوبة على من ترى عنده فكان ذلك مانعا من الاستمرار في إصدارها وقد كان صدور آخر عدد منها (وهو الثامن عشر) في ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٠١ - ١٦ أكتوبر سنة ١٨٨٤ ثم سافر النقيب الى تونس فأقام فيها أياما ثم سافر الى بلاد أخرى متشكرا فوثق عقود المروعة السرية التي كان من أغراضها ما أشرنا اليه ولو ذكرناه مرثيا منفصلا لكان مثارا للمجب من ركوب هذا الرجل مع استاذ الصواب واقنعاهما الاخطار في خدمة هذه الأمة التي كانت ولا تزال كالمرضى الاحق بأبي السلاج لأنه علاج وان كان سهلا سائغا ، ويمتد حكمه وطيبه وان كان برا راحيا ، فليحفظ القارئون هذا الايجاز ليذكروه عندما يصلون في تاريخه الى سلوكه الاخير في مصر إعلان رأيه بتحتيم مسألة المحتارين والاستفادة من حريتهم وحجهم للمعمران ليعلموا انه هو عين الحكمة التي اختيرت بعد مساع جلية ، وتجارب طويلة ،

عمله في البلاد السورية

وبعد الاخفاق في ذلك العمل السري ، دون ذلك الهدي النبوي ، أتى مصالىب في بيروت أعظم ثغور سوريا وأقربها من المعمران فأقبل عليه

أهل العقل والفضل ، وأرباب الذكاء والنبيل ، يستفيضون منه سماء الحكمة ،
ويتلقون هدي الحكماء والأئمة ، فكانت داره مدرسة عامة يؤمها الأذكاء
ومشاق المعارف ، من جميع المال والطوائف ، ومما كان يقرأ عليه فيها
السيرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والتعزية ، وكان يقرأ التفسير
في الجامع الكبير وفي جامع الباشورة لا يلتزم فيه كتابا وإنما يقرأ في
المصحف ويلقي ما يفيض الله على قلبه وكان الناس يقبلون على درسه إقبالا
لم يبرف في تلك البلاد لأحد من قبله حتى حصد انصارى عليه المسلمين
فكانوا ينسلون إليه زرافات ووحدانا ويقفون بباب المسجد يعدون أعناقهم
ويشخصون بأبصارهم ويصيحون بأذانهم لعلهم ياتقطون شيئا من تلك
الدرس . ثم إنهم استأذنوه في دخول المسجد والجلوس في ناحية من حلقه
الدرس فأذن لهم « فأجره حتى يسمع كلام الله »

وفي أول سنة ١٣٠٣ دعي إلى التدريس في المدرسة السلطانية لإحياء
الآفة والدين فيها فلم يكن في المدرسة من العلوم العربية الا مبادئ
النحو والصرف وما تسميه الترك « علم حال » وهو ما يلحق للولدان من أحكام
المبادات . فلما دخل المدرسة أدخلها في طور جديد كما كان شأنه في عامة
أعماله يدخل في العمل مرعوسا فيكون في الواقع رئيسا . ذلك انه أصلح
إدارتها بالاتفاق مع مديرها ووضع قانونا جديدا (بروجرام) للدروس
وزاد في العلوم التوحيد ومعاملات الفقه والتاريخ الاسلامي والمنطق والمغاني
والانشاء زادها لنفسه فكان هو الذي يدرسها حتى كانت دروسه تستغرق
عامة النهار . وكانت دروسه كلها للتلاميذ على نحو ما ذكر في رسالة التوحيد
وأما في مختلفه تنغير بتغير طبقاتهم . . . في أسلوب لا يصعب تناوله ، وإن

لم يهد تداوله، إلا معاملات الفقه فكان يقرأ فيه مجلة الاحكام العدلية التي يحكم بها في المحاكم العثمانية . وكان يكاف تلاميذ الانشاء حفظ شيء من نهج البلاغة وديوان الحماسة والالفاظ الكنائية ويشرحه لهم . وكان له هم عظيم وعناية تامة بملاحظة آداب التلاميذ في المدرسة حتى إنه كان يزورها ليلا لأجل ذلك . وقد تخرج على يديه نابتة هي الآن تخدم البلاد بغيرتها واستقامتها، وعرفاتها ونباها،

ثم إنه في سيرته كان صريحا للجماهير الذين يترددون عليه فقد كان يجلس اليه السني والشيعي والدرزي والنصراني واليهودي فيوسع صدره للجميع ويعامل كل واحد بالأدب الذي يليق به لا يؤذي جليسا ولا يفض فضل مذاكر ولا مناظر على أنه لم يكن يقول غير ما يعتقد سواء كان القول في الدين أو في العلم أو في العادات والأموال الاجتماعية فكان رضي الله عنه نسخة كاملة من رجال سلفنا في التسامح والتساهل وجمع الكلمة واحترام العلم وأهله كما وصف في كتاب (الاسلام والنصرانية) دغد أدعش أهل الفضل بعلمه وأدبه وبلاغته لاسيما في الخطابة والاربعالية التي لا يكونوا يعهدونها

وكان هنالك يشغل بالتأليف فقد نقل إلى العربية رسالة الرد على الدهريين أو المقابلة بين الايمان والكفر في العمران التي كتبها السيد جمال الدين باللغة الفارسية . وشرح كتاب نهج البلاغة ومقامات بدیع الزمان الهندي . وقد أقبل الناس على هذه الكتب وانفقوا بها حتى انها طبعت مرارا . وكان يكتب المقالات النافذة في الجرائد وينشر ما عثرنا عليه منها في تاريخه . ولم يكتب بهذا الاصلاح المعنوي بل كان يسمى لدى الحكومة في اصلاح البلاد الاداري فوضع في ذلك لائحة قدمها للوالي

وسنشرها في تاريخه أيضا وكتب لأئمة أخرى في الإصلاح الديني وقع عليها بعض الوجاهة وقدمت بواسطة الوالي الى السلطان . وكان قد جال في أرجاء الولاية واختبرها أتم الاختبار

✽ عودته الى هذه الديار ✽ وما استفاده من الاسفار ✽

وفي سنة ١٣٠٦ عاد الى القطر المصري وقد كمل تهذيبه بالاسفار ، وركوب الاخطار، ولذلك كان يسافر بعد ذلك في أكثر السنين مختارا كما كان يكرر المطالعة والمداورة من رغبة، بعد أن ألزم بالدروس أولا بالقوة، وقد كتب عن تأثير الاسفار في نفسه ما نصه :

«أما الاسفار الى البلاد المشائية ومداورة كثير من المسلمين غير مسلمي مصر فقد كان من نتائجها عندي أنني عرفت حق المعرفة أن مرض المسلمين نشأ من أمرين الأول الجهل بدينهم، إبداع ما لا يمكن منه، إحصائه به واختلاط ما هو من الدين بما ليس منه حتى صار ما هم عليه دينا أجنبيا عن أصل الدين الاسلامي الطاهر الرفيع . والامر الثاني استبداد الحكام الظالمين من المسلمين في جميع أقطار الارض

وقد سافرت بعد ذلك مرات الى أوروبا وأفريقيا فكان أثر الاسفار في بلاد المسلمين زيادة البصيرة في ذلك الذي عرفت لأول الامر، وأثر الاسفار في أوروبا قوة الامل في إصلاح أحوال المسلمين فقام من مرة اذهب الى أوروبا الا ويتجدد عندي الامل في تغيير حال المسلمين الى خير منها وذلك باصلاح ما أفسدوا من دينهم، وتشجيع عزائمهم الى معرفة شؤونهم، وامتلاك ناصيتهم بأيديهم دون افراد ظلمتهم. وهذه لا أمل وان كانت تضاف في نفسي عند ما أعود الى ديارى لكثرة ما ألاقى من العنف

وشدة ما أصادف من المصاعب وسوء ما أرى من انصراف المسلمين عن النظر في منافعهم وشدة عداوتهم لا تقسمهم وقوة رغبته في تمكين ظالمهم من رقابهم وحبهم في الاستعباد لهم لغير سبب معتول ، لكنني متى عدت الى أوروبا ومكنت فيها شهرا أو شهرين تمود لي تلك الآمال، ويسهل علي تناول ما كنت أعده من المحال ، ولا تسألني عن السبب في ذلك فإني لا أستطيع تفصيله ولكن هذا ما أحدثه الأسفار في نفسي « اه

أقول والمتبادر الى الذهن ان السبب في ذلك هو ما يسمى في العرف الآن بتأثير الوسط أي البيئة من المكان والمكين لأن كل انسان يحل في مكان وبشاهد حال قوم لا بد ان يتأثر بشيء مما هم عليه بحسب استمداده وما وجهت اليه نفسه . وبلاد أوروبا تدرت ارتقت ارتقاء عظيم في العلوم والصناعات والكسب والسياسة وغير ذلك فمن سافر اليها وكان من همه التجارة يزداد معرفة بطرقها ونشاطا في عملها ومن كان همه غير ذلك يتأثر بارتقاء القوم فيه فتعرض همه اليه وناهيك بملوك كسب القوم في خدمة أمتهم ، وإزاء شأن ملهم ، وما يبدون في هذه السبيل من الاموال ، وما يركبون لها من الالهوال ، فمن ير ما هم عليه من العزة والسيادة ، وهو يعلم ما كانوا فيه من الضمة والمهانة ، فهو جدير بأن يكبر أماله في قومه ، ولا يأس من غده في يومه ، وكان تتمده الله برحمته يقول لي عندما يريد السفر الى أوروبا : انني أذهب لأجد نفسي : أي فقد أخلقها معاشر الكسالى واليائسين . وقد توجهت همه في هذه السنين الأخيرة لزيارة الشعوب المسلمة فبدأ بزيارة تونس والجزائر وكان عازما على زيارة الهند وإيران وقزاقان والتقو قاس في هذه السنة وما بعدها فصرفه المرض عن همه في هذا العام ، ثم قطع آماله كلها الحمام ،

سيرة في القضاء الاهلي

لما عاد من سوريا الى مصر تباين العظماء الى توفيق باشا في طلب
 المنوع عنه فكان من الثائمين بعض الاسرة الخديوية ومختار باشا الفازي
 والورد كرومر ولم يكن أحد منهم يعرفه من قبل معرفة شخصية ولكنهم
 سمعوا بفضل خنظل لكل منهم جملة وعفا عنه الامير وهو يعلم انه كان خصما
 للشورة العسكرية وإن كان روحا مدبرة لتلك الحركة الفكرية، وأن الحكم
 عليه لم يكن عادلا ولذلك قال كاردوى الثقة لا تقيد: ما عرفت عن أحد عنوا
 كان أشبه بالاعتذار من هذا المنوع: ولكنه كان يخاف أفكاره السياسية
 وميله الى تربية ملكة الاستقلال في الامة ولذلك أمر بأن يمين قاضيا في
 المحاكم الاهلية فلما نمي الخبر الى الفقيد امتعض وقال إنني لم أخلق لأكون
 قاضيا أقول حكمت على فلان بكذا وعلى فلان بكذا وانما خلقت لأكون
 معلما وقد جربت نفسي في التلميم فنجحت ثم طلب من ناظر الداخلية أن
 يشفع له عند الامير باستبدال التدريس في مدرسة دار العلوم بالقضاء وقال
 انني أعلم انه لا ارتقاء في التدريس وانني ارتقي في القضاء ولكنني لا احبه
 فلم يرض توفيق باشا وقال انني لأحب ان يربي لي التلاميذ على أفكاره
 السياسية فرضي الفقيد بالقضاء وما زال يرقى فيه الى ان بلغ أعلى درجة منه

وقد كان قاضي العدل والانصاف لا قاضي القانون والرسوم وان
 شئت قلت القاضي المجتهد لا المتقاع ذلك انه لم يكن يحكم بظاهر عبارة القانون
 وتطبيق الودع عليها بادي الرأي بل كان يتجرى اظهار الحق واصابة العدل
 في القضايا فان انطبقت على القانون والاعمد الى الصالح وكأين من قضية
 خالف فيها القانون عمدا حتى وثي به بعض حساده الواقفين على ذلك

وذكر شيئا من مخالقاته هذه فسأه المستشار القضاة السابق (مستر سكوت) عن حقيقة ذلك فقال هل العدل وضع لأجل القانون أم القانون وضع لأجل العدل ؟ قال المستشار بل القانون وضع لأجل العدل والعدل هو المقصود بالذات : فأنشأ حينئذ يشرح له النضاي وبيّن أنه لم يحكم فيها الا بالعدل فقتنع المستر سكوت ومصر منه سرورا عظيما لأنه كان منصفاً عارفا بقيمة الرجال على ان هؤلاء الامكان ابداء الشكوب الأوربية عن الرسوم في القضاء وأقربهم الى اعتبار الانصاف ووجدان القاضي ولو كانت هذه البلاد محنة من دولة أوربية أخرى لنمذرت ارتقاء الفقيه فيها

ومما كان يحكم فيه باجتهاده واعتقاده مسائل الربا فإنه كان اذا تمذره عليه الصلح يحكم برأس المال دون الربا فيا جأرب المال الى الاستئناف ليحكم له بالربا. ومما كان يخالف القانون فيه حبس الشهود الذي يظهر له تزويرهم فإنه كان يخرجهم من الجلسة الى الحبس. ثم ان الحكومة أقرت عمله هذا وأدخلته في القانون بالتعديل الأخير . وقد أساء الادب بعض الاجانب صرة في الجلسة بأسر مجبسه فحبس ثم جاء قنصله البيرال الى نظارة الخزانة شاكيا من ذلك . وكلام المستشار القضاة الفقيه في ذلك قائلا ان هؤلاء القناصل ليس لهم عمل بشأهم في مصر فهم يفترضون شيئا بما يحكون به الحكومة ونحن نحب ان لا نجعل لهم سبيلا إلى القبل والقال : فذكر له الفقيه ما كان من ذلك الاجنبى في الجلسة من رفع الصوت وعدم التزام الادب المعروف وقال إنني مادمت جالسا على هذا الكرسي لتقرير العدل فأنا لا أقصر في احترامه اذ لا يمكن احترام القضاء الا بذلك الخ ما قال وكان مستحسنا عند المستشار وقد كان يحكم على الاجانب وينفذ أحكامه من ذلك أن كثيرا من

الفلاحين كانوا اذا حكم على أحدهم بنزع أرض من يده يلجأ الى رجل أجنبي أو رجل داخل في حمايتهم فيعطيه الأرض بعقد كاذب نكاي في خصمه فينتقم الأجنبي الحكومة من تنفيذ الحكم أو ترفع الدعوى إلى المحكمة المختلطة فتحكم فيها وكان من المحكوم لهم من يترك الأرض للأجنبي لا اعتاده بهجزه عن انزعائها منه في المحاكم المختلطة ومنهم من كان ياتي بنفسه في مهاوي لدعوى ويخسر فيها ماشاء الجهل ان يخسر. فعلى أمثال هؤلاء الأجانب كان ينفذ أحكامه بالقوة متحملاً تبعه لتنفيذ لعله بأن ذلك لأجنبي المختال لا يتجرأ على مقاضاة الحكومة في دعوى هو فيها مبطل يسجز عن إثبات دعواه

ذلك شأنه في القضاء وقد كان فيه تسبج وحده ولم يكن مشغولاً فيه مما خاف لأجله من تربية الأمة فقد كان يماقب الزورين وشهداء الزور حتى طهر كثيراً من البلاد من شرهم بعد ان استفحل وطغى سيئه وكان يجتهد في الإصلاح بين أهل البيوت وذوي القربى ويبالغ في حفظ حقوق الناس. وكان يطارد الفحش والتجور حتى كادت الزفة زبقي تآمر من رجس ليل يا أيام كان قاضياً فيها كما طهرت من الزور. ذلك أنه كان يحكم بأشد العقوبة التي يسمح له القانون بها على كل بغي تبرجت في الشوارع وعلى أعين الناس حتى كاد يجماهن من ذوات الحجاب وقد نقل إلينا عن بعض النساك هناك انه قال مرة لبني برفها: كيف الحال؟ قالت: زي الزيت وإذا بقي القاضي أبو عمة (ذوالعمامة) هنا فانه يقطع رزقنا من هذه البلد. عاين يرجع الدنيا لزمان سيدنا النبي: أو قالت مامعناه ان النبي ظهر ثانية وأما براعته في تحقيق القضايا وفراسته في تمييز البريء من ذي الرية فعُدت عنهما ولا حرج وقد كان مؤيداً بالوجدان الصحيح

والإلهام الصادق فان كان كغيره من البشر عرضة للخطأ في رأيه فقد
كاد لا يخطيء في وجدانه أو إلهامه . وسمته يقول في بحث الكسب
والاختيار اني كثيرا ما أنظر في قضية فاستخرج من التحقيق الطويل
وجوها كثيرة للحكم بالادانة مثلا حتى اذا مائت المحاكمة وأردت النطق
بالحكم تقوض كل ذلك البناء الذي كنت بنيت من وجوه الادانة وظهر
لي بينة ان المتهم بريء . هتما فأحكم بالبراءة فسيحان مقاب القلوب .

حججه عمله في الأزهر

كان أول حديث دار بيني وبين الاستاذ الامام (قدس الله روحه) في
مصر الحديث في إصلاح الأزهر . زرته في اليوم الثاني من وصولي إلى القاهرة
بداره (في أواخر رجب سنة ١٣١٥) وهدد التحية والسلام وما يتصل بذلك
من كلام كاشفته باعتقادي واعتقاده من أعرف من العقلاء فيه وانه بقية رجاء
المسلمين في السعي للإصلاح وأنه بانني انه يعمل لذلك في الأزهر فأفاض
في كلام لخصته بعد مفادرة المجلس في عشر مسائل . قال (١) إن إصلاح
الأزهر أعظم خدمة للإسلام فان إصلاحه إصلاح لجميع المسلمين وفساده
فساد لهم و(٢) ان أمامه عقبات وصعوبات من خلة المشايخ ورسوخ العادات
القديمة عندهم . و(٣) ان هذا الإصلاح لا يتم إلا في زمن طويل وانه اذا رأى
حال الأزهر قد صلت قبل موته فاته يموت قريبا ويرى نفسه سميذا
بل يرى نفسه ملكا . و(٤) انه لا يرى لدخوله في الحكومة فائدة الا الاستعانة
على إصلاح الأزهر فانه لولا مكانته عند الخديو والحكومة لما كان يسمع
له في الأزهر كلام ولا يقبل له رأي . و(٥) انه لم يحصل شيء من الإصلاح
ذكر حتى الآن و(٦) انه أراد أن يبدأ بأعمال عظيمة في الإصلاح اعتنا

لفرصة فأشير عليه بوجوب التدريب ولكن لا بد له من المسيرة وإن كان يخشى أن تضيق الفرصة بما يسونه التدريب

هذه ست مسائل في موضوع الازهر أطال القول فيها وانتمل منها الى المسائل الاخرى وأهمها تخطئه أذكاء المسلمين الذين يريدون خدمة الاسلام من طريق السياسة والى يأس من يعرفه من كبراء المسلمين من نهوضهم وتخطئهم في ذلك . وقال لي في حديث آخر ان نفسي توجهت لاصلاح الازهر منذ كنت مجاورا فيه بعد التقي عن السيد جمال الدين وقد شرعت في ذلك قبل بيني وبينه ثم كنت أرتقب الفرص فاستنحت الا واستشرفت اليها وأقبلت عليها حتى اذا ما صادفت الموانع لويت وصبرت متربيا فرصة أخرى . وبعد ان عدت من التي حاولت اقناع الشيخ محمد الانبائي بشيء فلم يصادف قبولا . قلت له مرة هل لك أيها الاستاذ ان تأمر بتدريس مقدمة ابن خلدون في الازهر ووصفت له من فوائد ما شاء الله ان أصف فقال ان المادة لم تجر بذلك . فانتقلت به في شجون الحديث الى ذكر الشيوخ وسأته منذ كم مات الاشعري والصباني ؟ قال منذ كذا قلت انهما حديثا عهد بوفاة وهذه كتبهما تقرأ بعد ان لم تجر المادة بذلك . فكنت ولم يدخل في الحديث

وقال لي مرة أخرى ان بقاء الازهر متداعيا على حاله في هذا العصر محال فهو إيمان بعمر وإما ان يتم خرابه وانني أبذل جهد المستطيع في عمرانه فان دفعتني الصوادر الى اليأس من اصلاحه فانتني لأأياس من الاصلاح الاسلامي بل أترك الحكومة وأختار افراداً من المستعدين فأريهم على طريقة التصوف التي ربيت عليها ليكونوا خلفائي في خدمة الاسلام ثم

أؤت كتابا في بيان حقيقة الازهر أمثل فيه أخلاق أهله وعقولهم ومبلغ
 علومهم وتأثيرهم في الوجود وأنشره باللغة العربية ولفه أفرنجية حتى يعرف
 المسلمون وغيرهم حقيقة هذا المكان التي يحلمها الناس حتى من أمته
 لما جلس عباس باشا حلي على كرسي الخديوية مجددت للبلاد المصرية
 آمال، وتوجهت الى أعمال، كان افترض منها إزالة الاحتلال، ولو كان هذا
 الفرض مما ترجى اصابته بسهام المصريين، لكان التقيد يكون في طلبية
 الامامين، لأنه كما نعلم أنفذهم رأياه وأثروا هم عزماؤه وأخلصهم قلباء، ولكنه كان
 يعتقد بعد ذلك السمي الذي أشرنا اليه أن المسألة لا يمكن أن تحل الا باتفاق
 الدول المظام وأن الرجاء في اتفاقهم بعيد كاتين، فأراد أن يكون حظه
 من حب الأمير الجديد للعدل السمي في اصلاح الأزهر بنفسه واقناع
 الأمير بالسمي في اصلاح المحاكم الشرعية والاوقاف لأن هذه المصالح
 الثلاث الإسلامية محضة لا مقاومة في اصلاحها للقوة المحتلة ولا منها فاقبل
 بالامير وحظي عنده وكافه برأيه كما كاشف الحكومة بأمله في الأزهر وجاء
 بما جاء من آيات الاقناع به حتى توصل الى إنشاء قانون تمهيدى للإصلاح
 يديره مجلس مؤلف من أكابر علماء المذاهب في الأزهر ينتخبون انتخابا
 وقد جمل هو وصديقه الشيخ عبد الكريم سليمان من أعضائه على أنهما من قبل
 الحكومة لا رأي لشيخ الأزهر ولا للمجلس في انتخابهما ولا في استبدالهما
 وكان الشيخ محمد لاناى الذي هو شيخ الأزهر لذلك العهد صريضا
 وقد كثرت شكوى الشيوخ من إدارته فمضى الشيخ حسونة وكيله
 بعد أن أخذ عليه العهد باقامة النظام والاتفاق مع التقيد على اصلاح
 عين الشيخ حسونة وكيل الشيخة الأزهر مأفونا بإدارة شؤونه لسبع

خلون من جمادى الثانية سنة ١٣١٢ وصادر الأمر العالي بتشكيل مجلس إدارة الأزهر لست خلون من رجب من تلك السنة أي في الشهر الثاني ثم كان سمي في إقناع الشيخ الانبائي بالاستقالة يكاد يكون أمراً حتمياً فاستقال وصادر الأمر العالي بتولية الشيخ حسونة شيخنا للأزهر في ٢ المحرم سنة ١٣١٣

كان الاستاذ الامام ، روح الله روحه في دار السلام ، يجب أن يجري الإصلاح في الأزهر بإقناع كبار مشايخه ورضى أهلهم فبدأ باستأنتهم بتكثير رواتبهم فسمى لدى المستشار المالي الأسبق وطلب تعيين مبلغ من خزينة المالية لمساعدة الأزهر الذي يخرج للحكومة كذا رجلاً من القضاة الشرعيين والمفتين والمأذونين فأجيب الطلب وعين في ميزانية سنة ١٨٩٥ م مبلغ ألفاً جنيه للأزهر على أن تصرف بنظام معلوم لا يرى شيخ الأزهر وميله على ما كان يهد في الأزهر مع الوعد بالزيادة على هذا المبلغ في فرصة أخرى إذا جاء بفائدة فكان هذا حجة لا تقيد على وجوب وضع قانون للمرتبات في الأزهر ليكون لكل عالم حق معلوم يتناوله في وقته من غير تواف إلى شيخ الجامع أو غيره وتلا هذا القانون قانون كساوي التشريف ومرتباتها وكان الرأي فيها من قبل شيخ الجامع يعطي من يشاء ويمنع من يشاء فصارت تعطى لمستحقها من غير سمي ولا زلف فسر الشيوخ بذلك سروراً عظيماً

بعد هذا وجه انتقيد عنائته في المجلس إلى نظام التدريس والامتحان وبيان وسائل العلوم ومقاصدها وجعل التدريس فيها على طريق توصل إلى الغاية منها وبعد اجتماع ومذاكرات طويلة وضع القانون لذلك واحتجج في تنفيذه إلى المال فلجأ القعيد إلى ارجحة الأمر فصدر الأمر لديوان

الاوقاف بصرف ٣٣٧ جنيهًا للأزهر بنت مصارفها ومنها ٤٦٤ جنيهًا
لإنشاء دار الكتب الأزهرية ، ثم وضع نظام آخر لتوزيع الجرايات بالمعدل
أما نظام التدريس واختيار كتب العلوم فهو الذي أحب الاستاذ
الامام رحمه الله تعالى ان يجعله برأي كبار الشيوخ ليسهل تنفيذه بالرغبة ،
ولا يثقل عليهم إلزامهم به من جانب القوة ، وليتمود أهل هذا المكان على
البحث في الأمور المهمة ، والتعاون على ما ينفع الأمة ، فوضع مشروع
نظام التدريس واختيار الكتب واقترح ان تؤلف لجنة من كبار الشيوخ
للبحث فيها واقرار ما يرونه نافعا فألفت اللجنة من أكثر من ثلاثين عالما
وجعل الشيخ سليم البشري أحد أعضاء مجلس الإدارة رئيسا لها ، ثم
انتخب منها لجنة للبحث في كل فرع من المشروع وابداء رأيها فيه للجنة
الكبرى وكانت هذه اللجنة مؤلفة من بضعة قهرهم أكابر شيوخ الأزهر
وضم اليهم الاستاذ الامام من قبل مجلس الإدارة وبعد ان تمت هذه
اللجنة عملها قدمت إلى اللجنة الكبرى فأقرته هذه بعد تحوير قليل لا يذكر .
وكانت مشيخة الأزهر قد أسندت يومئذ الى الشيخ سليم البشري الذي
أوقف كل ما كان المجلس شرع فيه فأوقف أيضا مشروع اصلاح التدريس
بل كان المجلس يقرر الشيء بالاتفاق مع رئيسه الشيخ سليم ثم انه لا ينفذه ولم
يكن القصد من ذلك الا إحباط سعي الاستاذ الامام وابقاء القديم على
حاله ولقد كان قادرا على الالزام بالتنفيذ بطالبه رسميا من الحكومة ولكنه لم
يكن يجب أن يكون الحكومة تصرف في الأزهر بل ان يبقى مستقلا بصاح
أهله برفق وانتاع وهل بقي كذلك بعده ؟ الله أعلم والايام تظهر ما يعمل
وكان من الاصلاح الذي تم في الأزهر بسميه رحمه الله تعيين طبيب للأزهر

وصيدلية (أجزاءه) خاصة به في نفس الجامع واناارة المسجد بالثأز البخاري
وانشاء الميضة على الاصول الصحية وتجديد مباني صحبة في الاروقة وغير ذلك
مما فصله في التاريخ. ومن شاء ان يطالع على ذلك بالتفصيل التام، فليرجع الى
كتاب (أعمال مجلس ادارة الازهر) الذي طبع في هذا العام (١)
وقد انتقل الازهر بهذا الاصلاح من خلل عام الى شيء من النظام، ومن
حالك الذي مجور، الى بصيص من النور، ولم يتم عمل من الاعمال على ما كان يجب
رحمه الله تعالى. ولكن الاصلاح الحقيقي الذي كان روحا محيا ونورا مبصرا
فهو ما كان يلقبه من دروس التوحيد والتفسير والبلاغة والمنطق فهذه الدروس
هي التي حولت نفوسا كثيرة عن السبيل المتفرقة الى سبيل الله وصراطه وهي
عمل الرجاء في هذا المكان،
(للسيرة بقية)

مرثية محمد حافظ افندي ابراهيم في الاستاذ الامام رضي الله عنه

| | |
|------------------------------------|------------------------------|
| سلام على الاسلام بدم محمد | سلام على ابامه النضرات |
| على الدين والدينا على العلم والحجى | على البر والتقوى على الحسنات |
| لقد كنت اخشى عادي للموت قبله | فأصبحت أخشى ان تطول حياتي |
| فوالهني والقبر بيني وبينه | على نظرة من تذككم النظرات |
| وقفت عليه حاسر الرأس خاشعا | كأنني حيال القبر في عرفات |
| لقد جهلوا قدر الامام فانزلوا | تجاهلوه في موحش بفلاة (٢) |
| ولو أضرخوا بالمسجدين لانتزوا | بخير بقاع الارض خير رفات |

(١) هو تاريخ بين ما كان عليه الازهر قبل الاصلاح وما صار اليه بعده
صورة ومعنى وصفحاته ١٢٤ وثمن النسخة منه ٤ قروش واجرة البريد قرش واحد
ويطلب من ادارة المطبع ومن بعض المكاتب بمصر (٢) تجاهلوا الانسان جنته

تباركت هذا الدين دين محمد أبترك في الدنيا بغير حجة
تباركت هذا عالم الشرق قد قضي ولانت قناة الدين للغمزات

زرمت لنا زرعاً فأخرج شطأه وبنت ولما نجتني الثمرات
فوهاً له ألا يصيب موقفاً يشارفه والأرض غير موات
مددنا إلى (الأعلام) بمدك راحنا فردت إلى اعطافنا صغرات
وجالت بنا تبني سواك عيوننا فسدن وآثرن السبي شرقات
وآذوك في ذات الاله وأنكروا مكانك حتى سودوا الصفحات
رأيت الأذى في جانب الله لذة ورحت ولم تهتم له بشكاة
لقد كنت فيهم كوكبا في غياهب ومعرفة في أنفس نكرات
ابنت لنا التريل حكما وحكمة وفرقت بين النور والظلمات
ووفقت بين الدين والعلم والحجى فاطلمت نورا من ثلاث جهات
وقفت لها نوتو ورينان وقفة امدك فيها الروح بالنفحات
وخفت مقام الله في كل موقف فخافك أهل الشك والنزغات
وكم لك في إغفاءة الفجر يقظة نفضت عليها لذة الهجمات
ووليت شطر البيت وجهك خاليا تناجي إله البيت في الخلوات
وكم ليلة عاندت في جوفها الكرى ونبت فيها صادق العزمات
وارصدت للباغي على دين أحمد شاة يراع ساحر النشأت
إذا مس حد الطرس فاض جبينه بإسطار نور باهر اللمعات
كأن قرار الكهرباء بشقه يريك مناه أيسر اللمعات

فياسنة مرّت بأعواد نمشه
 حطمت لنا سيفاً وعطلت منبراً
 واطفأت نبراساً واشعلت انفساً
 رأى في لياليك النجم ما رأى
 ونبأه علم النجوم بمحادث
 رمى السرطان الليث والليث خادر
 فأودى به ختلاً فال إلى الثرى
 وشاعت تعاويذ الشهب باللمح بينها
 مشى نمشه يحتال عجباً بربه
 تكاد الدموع الجارية تقله
 بكى الشرق فارتجت له الأرض رجة
 ففي الهند محزون وفي الصين جازع
 وفي الشام مفجوع وفي القرس نادب
 بكى عالم الإسلام عالم عصره
 ملاذ عيايل شمال أراميل
 فلا تنصبوا للناس شمال عبده
 فاني لا خشي ان يضلوا فيومثوا
 فياويح للشورى اذا جد جدها
 وياويح للفتيا اذا قيل من لها
 بكينا على فرد وان بكاءنا
 نهددها فضل الامام وحاطها

لانت علينا أشام السنوات
 واذويت روضانا زهرات
 على جبرات الحزن منظويات
 فأنذونا بالويل والمثرات
 تبيت له الابراج مضطربات
 ورب ضعيف نافذ الرميات
 ومالت له الاجرام منحرفات
 عن النير الهاوي الى القلوات
 ويخطر بين اللبس والقبيلات
 وتدفقه الانفاس مستمرات
 وضائق عيون الكون بالعبرات
 وفي مصر باك دأثم الحشرات
 وفي تونس ماشئت من زفرات
 سراج الدياجي هادم الشبهات
 غيات ذوي عدم إمام هداة
 وان كان ذكرى حكمة وثبات
 الى نور هذا الوجه بالسجادات
 وطاشت بها الآراء مشنجات
 وياويح للخيرات والصدقات
 على أنفس الله منقطعات
 بأحسنه والذهر خير موات

فيا منزلا في عين شمس أظلني وأرغم حسادي وغم عدائي
دعائه التقوى وآسسه الهدى وفيه الأيدي موضع اللبانت
عليك سلام الله مالك موحشا عبوس المناني مقتر العرصات
لقد كنت مقصود الجوانب أهلا تطوف بك الآمال مبتهلات
مثابة أرزاق ومهبط حكمة ومطلع أنوار وككنز عظات

المنار الاسلامي واللواء الوطني

بين المنار الاسلامي وجريدة اللواء الوطنية تضاد فيما يسمونه المبدأ فالمنار يدعو الى اصلاح الاسلامي ويثبت ان المسلمين لا يرتقون الا بترك البدع ورجوعهم في الدين الى ما كان عليه السلف وبأخذهم بوسائل القوة والمدنية العصرية في أمر الدنيا ويدخن في الاول ان كل مسلم أخ لكل مسلم وفي الثاني ان أهل كل قطر من الاقطار ينبغي لهم التعاون على صمرانه لا يفرق بينهم في ذلك دين ولا مذهب وجريدة اللواء لأراي طافي الدين والاصلاح بسقطها ولكن لها وطنية عيها من معناها انه يجب على كل مصري ان يتعصب على كل من يقيم في مصر من غير أهلها الاقدمين وان كان مسلما وعلى كل مصري مسلم ان يتعصب على كل مصري ليس بمسلم وهذا مما يقتضيه المنار ولذلك ترى جريدة اللواء تقترح في المنار وقلما نطالع على شيء من طعننا وقد صارت في هذه السنة تسند الطعن الى بعض الاقطار إما اختلافا وإما لأن مثل أحمد النوفى كتب اليها بذلك (هذا الرجل من باعة الكتب كاذب بطوفون بالازبكية وسافر الى كلبكته فصار امام مسجد بها) فتسبحي ذلك صوت اللواء في الهند!! وقد بجيئها ما يقد مطاعها فلا تنشره كما ترى في الرسالة الآتية التي كتب اليها من سنغافورة صورتها وكلفنا نشرها ان لم تنشر في اللواء وهي

عن سنغافورة في ٢٧ جماد أول سنة ١٣٢٣ الى مصر القاهرة.

حضرة الناضل سعادتلو أقدم صاحب اللواء دام علاه

بعد السلام قد اطلمت على ما كتبه في جريدتكم القراء في العدد ١٧٥١١ حضرة

الفاضل الهندي المولوي عبد المجيد المراد آبادي أحد مدرسي العلم الشريف بكمبكتا فأسف كثر لاني لم أكن طالعت شيئا من أفكار علماء الهند قبل في هذا الموضوع

وظننت حينئذ أنهم في جود ووجود لا كما كنت أظن وأسمع حتى رأيت ما كتبتموه من كلام حضرة الفضال الأبواب محسن الملك كثراً اللهأ مثاله وحفظه فسري نقي ذلك الأسف وحل محله الرجاء وقد أعجبت كثيراً كثيراً عما كتبتم على كتابه الأخير فجزى الله أحسن الجزاء كل داع إلى الهدى نابذاً لتصبب الأعشى

اللهم إلا أنه وقع عني موقع الاستغراب جهول المولوي بتأثيراتنا بالهند وخصوصاً في كلكتة إذ حضر لدي وقت قراءتي تلك الرسالة أهدأ أهل كلكتة ممن يقرأ المنار منذ سنين من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويمر فون الرجال بالحق لا بالمكنى وقد أفادني أن المنار هناك سمعة حسنة ولا كغير من الجرائد والمجلات العربية والمصرية.

أما حصر المولوي ما وجد في المنار في نبذ المذاهب الأربعة فشيء اختص هو به فليعد النظر أن لم يسمه تعصبه ليملم أن المنار يدعو إلى نبذ حقوقهم (إذا زنى الرجل بأمة أو بخته بعد أن يمقد علم أصارت له قرناً ولا حد عليهما) وأمثال ذلك وصاحب المنار ومن على شاكلة هم المتبعون للأئمة عليهم الرضوان لأن الأئمة لم يكونوا مقلدين جامدين بل أقوا أعمارهم في اقتباس العلم من الكتاب والسنة

وتتظيره بالخوارج مما دلنا على كمال علمه وعلمه بالدين والتاريخ فضلاً لا طيل الكلام مع من كان اعشى أو يتعاضى لكنائته مع لدوي الشأن في المدارس بأن لا يثفوا بمن هذا علمه وعذله وغالب الظن أن ذلك الكاتب لا مالاً ولا متمم بل متعصب متعيط أراد التضييل فنسب نفسه إلى العلم والتدريس والأفليكيب لنا العبارة المتقدمة بنصها ثم ليرد عليها بالدليل لا بقال وقيل. وأنى له ولا مثاله ذلك فيقال له (أييس بمشك فادرجي) ولنا ممن يمتد العصمة للمنار ولكننا نمام أن المنهصين لا يشكرون إلا ما الحق. وأما تربصه الدوائر لن يفي تحريف المبطلين واتجاه الغالين عن هذا الدين فقول له ولشيعة تربصوا فانامكم متربصون والعاقبة للمتقين ولا عسدوان الأعلى الظالمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين أقدم شيخ بن احمد الهادي

﴿ مشروع بناء مسجد في باريس ﴾

خطر هذا المشروع للخواجه (ليور لاسير) المفاول في ممر من عدة شهور وكاشف به بعض وجهاء مصر فلم منهم أنه لا يرجي نجاحه إلا إذا كان تحت رئاسة فقيهد الإسلام والشرق الأستاذ الامام رحمه الله تعالى فأرسل أحد أولاده (فيكي لاسير) بكتاب منه إلى الامام عنده ما ذهب إلى رمل الأ. كندرية مريضاً فنضاه من مقابله لأن صحت لا تسبح

له بالكلام ولا الفكر في الاعمال فباد الى مصر وأرسل الي بعد ذلك كتاباً في ٢١ يوليو
 يرجوني فيه رجاء مؤكداً أن أعرض المشروع على الامام في الوقت المناسب وأرسل معه قائمة
 كتب في أعلاها (أسما) للتجدين على مشروع بناء جامع في مدينة باريس تحت رعاية
 فلان الخ) ورغب الي أن أكلف الامام باضاء القائمة ثم أعرضتها على بعض وجهاء
 الاسكندرية ثم أرسلها الي لكي ييسر له امضاؤها من وجهاء مصر. وانني لم أر فرصة
 مناسبة لمذاكرة عقيدتنا في هذا المشروع لاعرف رأي فيه وبعد ان توفاه الله تعالى بانني
 ان الرجل وغداً في شيخ الاظهر ان يجعل المشروع تحت رايته فقبل فصي ان ينجح
 المشروع ويبقى الله جدد في مكان يسهل على المسلمين في باريس التمسك به والصلاة فيه ولا
 يكون كجامع لوندن (لوندن) الذي حدثنا عنه الأستاذ الامام رضي الله عنه بما يأتي قال

خطر لرجل يهودي مستخدماً في الهند ان يجمع من المسلمين مالا يبني به مسجداً
 في لوندن فجمع خمسين الف جنيه ثم جاء لوندن فبنى مسجداً في خارجها على مسافة
 ساعة في السكة الحديدية وهو مكان لا يصل اليه احد من المسلمين في لوندن فهو مطلق
 انما لا يصل اليه احد وقد اشترى الرجل ارضا لنفسه عند الجامع وبني فيها بيتاً لزوجته
 اذا علم بأن بعض اصراء المسلمين او اغنيائهم زار لوندن يبحث عنه ويدعوه الى داره
 الى رؤية المسجد ولما زار امير الافغان لهذا المهدي لوندن - وكان يومئذ ولي العهد
 الامارة - اجاب دعوة هذا اليهودي وبعد الطعام اعطاه خمس مئة جنيه ولا يخالف احد
 ن الامير كان مبسوط الخدف لكل احد يتصل به او يخدع فقد كان خالداً اقصى استاذ
 لانة التركية في مدرسة كبرج (هه منداراً) للامير في لوندن لزم خدمته واعد له كل وسائل
 الراحة وهو لم ينعم عليه الا بحبسه واحداً لم يقبله

المرة في هذا المقام ان المسلمين قد فتوا هؤلاء الاجانب فتوناً فالخواجه
 يهول منهم يخشى عند كبيرهم وصغيرهم ويسهل عليه أن يبالغ منهم بالايابة او سمعهم
 اما وابدهم فهما واشدهم غيرة واطهرهم سريرة فلوان مسلماً حاول جمع المال من
 هند او مصر لبناء مسجد في لندن او باريس لم يجز ولكن الاجنبي لا يجز عن استخدام
 تونذ كل كبير فيهم حتى رجال الدين وما احوجنا الى رجال يسيرون غور الاجانب
 يستفيدون من خيارهم باينفع الامسة ويتوقون شر شرارهم ويدفعونه عنها كما كان
 فعل الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وجزاه عن هذه الامة افضل الجزاء



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي
غنياً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

الحج

١٣١٥

فبشر جادى الذين يستمعون القول فينبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوى و«منارة» كناه الطريق)

(مصر - غرة رجب سنة ١٣٢٣ - ٣٩ أو غسطس (آب) سنة ١٩٠٥)

تتمت سيرة الاستاذ الامام

(افتاء الديار المصرية وخدمة الأوقاف والمحاكم الشرعية)

في ست بقين من المحرم سنة ١٣١٧ (٣ يونيو سنة ١٨٩٩) صدر الامر العالي بناء على قرار مجلس النظار بتعيين الفقيه مفتيا للديار المصرية وكان الأمير أيده الله بتوفيقه هو الذي اختاره لذلك أولا . وقد رأته في أول الامر غير مرتاح الى هذا المنصب وإن كان شريفا لانه ليس فيها أعمال عمومية ولكن الرجل الذي قدر على ان يحمل التحرير في الجريدة الرسمية وسيلة للاصلاح في الحكومة والارشاد للأمة لا يهجز عن التوصل بأكبر منصب شرعي الى الخفصة المالية العامة وكذلك كان فانه به خدم القضاء الشرعي والأوقاف الاسلامية أجل خدمة وزادت في أيام هذا المنصب شهرته وكثر عدد المارفين بفضلته حتى كاد يكون المرجع في الفتوى لجميع مسلمي الأرض وناهيك باستفتاء مثل مفتي بنجاب اياه

كان أول محمل جليل له بعد ان صار مفتيا تقتبس المحاكم الشرعية في القطر كله وإظهار جميع ما فيها من الخلل وبيان مناشئه فيها ما كان من تقرير الحكومة ومنها ما هو من تقرير القضاء والكتاب وقد كتب في ذلك تقريره المشهور فكان مدهشا للأفكار في دقة بحثه وتشخيصه فاه هذه المحاكم ، ووصفه للملاج الذي لا شفاء بدونه وقد عجب الجبناء من شجاعته اذ خاطب الحكومة رسميا ببيان تقريرها وطالبها بإزالته . وقد أملت الحكومة هذا التقرير على الاعتبار وألفت لجنة في نظارة الحفانية للبحث في تنفيذ ما يتيسر تنفيذه منه بالتدريج

وكان وجهه الله صاحب الرأي النير في مجلس الأوقاف الأعلى بما كان

يطبق الأعمال على الشرع والمصلحة وأهم خدمة له فيه مشروع المساجد الذي وضعه لخدمة بيوت الله تعالى وإحياء الدين وعلومه وترقية الخطابة وبت الإرشاد في الأمة وقد نوهنا به في المنار من قبل ونشرنا في الجزء الثامن من هذا المجلد ما أقره المجلس من ذلك المشروع ثم صدر الأمر المالي بتوقيف تنفيذه ثم صدر أمر آخر بتنفيذ شيء منه . ومن هذا المشروع تعلم انه رحمه الله تعالى كان يتوسل بكل عمل يدخل فيه الى إحياء العلم وهداية الدين وتربية المسلمين

عمله في مجلس الشورى

في سنة ١٣١٧ - ١٨٩٩ عين عضوا دائما في مجلس الشورى فانتقل المجلس به من حال إلى حال . وكانت الحكومة قلما تحفل برأي المجلس وكان المجلس في نظر الأمة وفي نظر أعضائه الوكلاء عنها غير مضطلع بما أوجد لا جله حتى ان جلساته كانت قلما تتم على أصول نظامه بحضور جميع أعضائه أو معظمهم . فلما دخله فتحت فيه روح جديدة زال بها سوء التفاهم بينه وبين الحكومة فصارت تحفل برأيه وتحله من الاعتبار ما لم تكن تحله فتأخذ برأيه فيما يمكن الأخذ به وتبين له سبب ما لم تأخذ به وقوي رجاء أعضائه في خدمتهم وانتظم عقد اجتماعهم وعظمت ثقة الأمة بهم وكان أكثر ما ترسله الحكومة الى المجلس لينظر فيه يؤلف له لجنة تحت رئاسة الفقيه لتدقق النظر فيه وتعرض رأيها على المجلس . وكان له رحمه الله الرأي المالي والصوت المسروع في كل مسألة وكل مشروع فكنت تراه في المسائل المالية حاسبا اقتصاديا ، وفي المسائل الادارية اداريا ماهرا ، وفي اللوائح والقوانين قانونيا خبيرا ، وفي الامور الشرعية

إماماً فقيهاً ، وكان المجلس يهتد إليه مذكرة الحكومة في الشؤون
المنظمية ليكون الحد الأوسط في شكل القياس لتخرج النتيجة في خدمة
البلاد صحيحة

وتد كادت أعمال المجلس تقتل معظم وقته فكنت أنام من ذلك
لاعتقادي ان وقته آمن من أن يتفق في خدمة المجلس فلا أكاد أجده فرصة
الا وأرغب اليه فيها بالتخفيف والافتلال من الاشتغال بعمل المجلس حتى
قلت له مرة ان الحكومة المصرية يشبه ان تكون أعمالها وقوانينها مؤتمة
فهي عرضة للتغير فرب عمل تنفق فيه أياما طويلة لتقره الحكومة على ما
ترى انها أتمتع البلاد ولا تلبث هي بعد ان تقره ان ترجع عنه بعد زمن قصير أو
طويل ويوشك ان تنفق في تحقيق بعض الأمور إما كثيرة ثم لا يتيسر اقتناع
الحكومة به أو تقتنع بأنه نافع ويعندها مانع من العمل به ولو صرفت مثل
هذه الاوقات في الكتابة والتأليف لكان مات كتب هداية لهذه الأمة باقية
ما بقيت الأمة : فقال ان الغرض الاول من العمل في المجلس هو التعاون
مع الاعضاء على الجهد والاهتمام بالبحث في الأمور العامة ومصالح البلاد
وترية الرأي العام في الأمة ليكون ذلك إعدادا لنفوس طائفة منا لتفصل
الاحكام بالشورى فاذا ارتقت هذه الملكية في الهيئة الحاضرة للمجلس فانها
تنتقل منها الى الهيئة التي تخلفها ويكون ذلك جرثومة من جراثيم الإصلاح
في البلاد فعملت من هذا الجواب أنه لا يترك مذهبه في الإصلاح من
طريقة الترية العملية في عمل من أعماله وسيأتي ذكر مذهبه هذا في عمله

عمله في الجمعية الخيرية الإسلامية

يوجد في كل قطر من بلاد المسلمين أفراد تفرقت فيهم الفضائل

الكثيرة التي هي مناط حياة الأمم ولكن يوزعهم شيء الحياة الاجتماعية في هذا العصر هو أهم شيء وعليه يتوقف كل شيء وهو التعاون على الخدمة العامة والأعمال المشتركة وانك لا تكاد ترى في قطر إسلامي جميات ولا شركات ناجحة يرجى خيرها للأمة الا ما بدأ به مسلمو الهند ومصر في ظل الحرية الانكليزية ، ولا يزال كثيره في مهبط الطفولية ، ولم تنجح في مصر جمعية من الجمعيات الكثيرة التي ألفت فيها بأسماء مختلفة لمقاصد مختلفة مثل نجاح الجمعية الخيرية الإسلامية ولم تصادف جمعية منها ما صادفته هذه الجمعية من الصدمات ، التي يعز فيها الصبر والثبات ، وكان الفضل الأول في ثباتها ونجاحها للاستاذ الامام أحسن الله جزاءه

أنشئت الجمعية للتعاون على تربية أولاد الفقراء والمساكين من المسلمين وإعانة العاجزين منهم عن الكسب على شقاء الحياة فاتم بها أعداء البشر بالسياسة وسموا بها الى ذوي النفوذ والسلطة ولولا سعيه في الدفاع عنها وإقناع أهل الحل والعقد بأنها خيرية محضة ليس من موضوعها ولا مما تقصد اليه شيء سياسي أو سري لعفت رسومها . ثم إنه خدمها بنفسه وبالتعاون مع أعضائه المؤسسين لها معه كوكيلها وأعضاء ادارتها لهذا العهد خدمة جليلة حتى ارتقت عن طور الطفولة وصار ثباتها مضمونا بحول الله وقوته . ومما اقرده به في خدمتها دعوة الأمراء والوجهاء والأغنياء الى الاشتراك فيها ومساعدتها وتحصيله منهم قيم الاشتراك إذا اقتضت الحال بذلك أسست الجمعية سنة ١٣١٠ وفي سنة ١٣١٨ انتخب رئيسا لها فزاد اجتهاده في خدمتها وكان من ارتفاعها في زمن رياسته ان صار إيرادها في السنة الماضية ١٠٣٩٥ جنيها وكان في سنة (١٣١٧) ٤٤٣٠ جنيها وصارت

أطيانها ٣٣٣ فدانا وكانت قبيل ذلك ٢٨٠ فدانا وصارت مدارسها سبعا وكانت أربعاً . على أنه كان يرى أن القائمة الأولى المقصودة بالذات من الجمعية هي تمويد المسلمين الاجتماع للخير والتعاون على البر والخدمة العامة وإشمار قلوب الأغنياء عاطفة الرحمة والإحسان بالفقراء كما كان يصرح بذلك في الاجتماع العام السنوي كل عام فهو فيها عامل بمذهبه في تربية الأمة كما كان شأنه في غيرها جزاء الله عن هذه الأمة أفضل الجزاء

طبع الكتب النافذة وجمعية إحياء العلوم العربية

كان رضي الله عنه يرى أن حياة الأمة بدون حياة لنتها من المحال وان حياة العلوم العربية بمثل هذه الكتب الازهرية محال وان لا بد الاصلاح من إحياء كتب أمتنا وكبار علمائنا التي ألفت أيام كان العلم حيا في الأمة فكان يسمى لذلك سميه ويهديه وإسماده طبعنا في تلك الكتاين الجليلين اللذين هما روح علم البلاغة - أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز - للشببخ عبد القاهر الجرجاني مؤسس علوم البلاغة ولولا تصحيح الفقيه لهما واستحضاره لنسخهما من الاقطار النائية لما تيسر طبعهما وفي سنة ١٣١٨ أُنست في مصر جمعية خاصة لهذه الخدمة تحت رئاسته سميت (جمعية إحياء العلوم العربية) كانت فائحة أعمالها طبع كتاب (المخصص) لابن سيده في اللغة وهو كتاب لا نظير له في باب ولا غناء عنه في إحياء اللغة في هذا العصر . وقد شرعت بمسده في إحياء مدونة الامام مالك وعني الفقيه رحمه الله تعالى باستحضار نسخها من تونس وفاس وغيرهما من البلاد ولولاه لما تيسر جمعها كلها ولنا رجاء عظيم في بقاها وحسن خدمتها بهمة من كان وكليها وليس لرئاستها بعد الفقيه سواء الا وهو حسن باشا عاصم

مؤلفاته - بحسب تاريخ تأليفها بالتقريب -

(١ - الواردات) رسالة في الكلام أو التوحيد على طريقة الصوفية وأسلوبهم وهي أول تأليفه ولعلنا نشرها برمتها في سيرته المطولة فقد كان أعطانا نسخة منها

(٢ - رسالة في وحدة الوجود) وهي رسالة نفيسة لم أطلع عليها ولكنه هو الذي أخبرني بها وقال انها ليست بمعنى ما كتب عبد الكريم الجيلي وأمثاله مما هو أقرب الى مذاهب الحلول كالنصرانية منه إلى توحيد الاسلام ولكنها بأسلوب آخر وأراه يبين فيها مراتب الوجود وتعددوها من وجه ونظامها العام ووحدتها من وجه آخر ولعلنا نظفر بها ونطبعها

(٣ - تاريخ إسماعيل باشا) أخبرني بهذا الكتاب أحد تلامذته الأولين وقال ان عبد الله النديم كان أخذ من التقيد نسخته في أثناء الثورة العراقية ونشر منه فصولا في جريدة الطائفة بتصرف أو بغير تصرف ولم أسمع منه رحمه الله تعالى ذكره لهذا الكتاب وكنت أظن أنه لم يصنف شيئا الا وقد أخبرني به لأنه قص علي تاريخه بالتفصيل وكتب إلي شيئا مجملا منه كما علم القراء

(٤ - فلسفة الاجتماع والتاريخ) هو الكتاب الذي ألقاه أيام كان يدرس مقدمة ابن خلدون في مدرسة دار المعلوم كما ذكرنا في هذه السيرة وقد فقد هذا الكتاب عند ما عزله توفيق باشا من المدرسة ونفي السيد جمال وأخذت أوراقه وكان طيب الله ثراه يقول أتمنى لو يحفظ هذا الكتاب من وقع في يده ويدعيه لنفسه ولو بعد موتي لينتفع به الناس

(٥ - حاشية عقائد الجلال الدواني) وهي غاية الغايات في علم الكلام

وتحقيق مسائله ونحوه بر الخلاف بين المتكلمين وبيان ماهو لفظي منه وماهو حقيقي وقد كان السيد عمر الخشاب شرع في طبعا ولعلها تم عن قريب (٦ - شرح نهج البلاغة) وهو شهر جدا وقد طبع في بيروت مرتين وفي طرابلس مرة وفي مصر مرة

(٧ - شرح مقامات بديع الزمان الهمداني) وهو مطبوع في بيروت ولم يعرف لغيره شرح لهذه المقامات وقد فرغ منه في ١٦ رمضان سنة ١٣٠٦ (٨ - شرح البصائر النصيرية) في المنطق وهو شرح وجيز أطلق عليه لفظ التعليقات والكتاب عالي الاسلوب وهو من أحسن ما كتب المسلمون في المنطق ولم يسبق لاحد قبله كتابة عليه فيما نعلم وقد قرأه درسا في الجامع الازهر وحضرناه عليه ولعله لا يتسامى أحد الى تدريسه بعده وإن كان من الكتب التي قرر مجلس ادارة الازهر تدريسها فيه وسببا ألا ان يكون بعض من تلقاه عنه

(٩ - نظام التربية بمصر) رسالة في الطريقة المثلى لتربية المصريين وتعليمهم وهي على إيجازها من أحسن ما كتب وأقنع وستنشر في تاريخه (١٠ - رسالة التوحيد) وما أدراك ما رسالة التوحيد هي التي يصدق عليها القول المشهور «لم ينسج ناسج على منوالها ولم تسمع قرحة بمثالها» هي التي يضح أن تعد معجزة من معجزات النبي عليه السلام، وآية من آيات الاسلام، هي التي ينبغي ان تجعل أصل الدعوة الى هذا الدين، ويم تلقينها جميع المسلمين، وقد قلت للاستاذ الامام رضي الله عنه إنه لولا اسم هذه الرسالة وما في أولها من الاصطلاحات الكلامية الوجيزة لكان انتشارها أضاف ماهو الآن، واعم الانتفاع بها كل مكان، ولكن

البعيد ، اذا سمع باسم رسالة التوحيد ، يتوهم انها عقيدة كالتنوسية ، أو كالتنابد النسفية ، والقريب قد يأخذ نسخة منها ، فيصرفه ذكر الواجب والممكن والمستحيل عنها ، توهمها انها في علم الكلام ، الذي لا يتناوله الا العلماء الاعلام ، وقد كان رحمه الله تعالى عازما على بسط الكلام في هذه المقدمات ، وسائر مسائل الآليات ، وجعل الكلام فيها كالكلام في النبوة ومزايا الاسلام ، موجهها الى العقل والى الوجدان ، لا مجرد تقرير وجيز للبرهان ، وقد قرأها درسا في الأزهر وتلقيناها عنه

(١١ - تقرير المحاكم الشرعية) هو على خصوصية موضوعه مفيد حتى لغير القضاة ومستخدمي هذه المحاكم من جميع أهل العلم والادب لاسيما طلاب علم الفقه فانه يملئهم من البصيرة في طريقة التحصيل على الوجه الذي ينتفعون به وينضمون مالا يجدونه في سواء وفيه كثير من الفوائد الادارية والاجتماعية والادبية . وأخرج الناس اليه بهذه القضاة وكتاب المحاكم المرشعون للقضاء والكتابة في هذه المحاكم

(١٢ - الاسلام والنصرانية ، مع العلم والمدينة) وهو مقالات كتبها لجهة النازم جردناها منه وطبعناها على حديثها وسميناها بهذا الاسم باذنه فباعت كتابا مستقلا بناهز مئتي صفحة وقد قدمت نسخ الطبعة الأولى فأعدنا طبعة

(١٣ - تفسير سورة العصر) كتبه لينشر في المنار اجابة لرغبنا ورغبة بعض أهل العلم في مدينة الجزائر الذين حضروا هناك درسه في تفسير السورة وقد كتب في هامش تفسير جزء عم عند تفسير هذه السورة مانعه : «وقد كتبنا تفسير هذه السورة الشريفة نشر وحده بمكان طبع في

منطقة جريدة المنار وهو ما كنا ألقيناه درساً في مدينة الجزائر في شهر جمادى الاولى سنة ١٣٧١ وفيه تفصيل طويل لما أجمناه في هذا التفسير المختصر فن أراد يئلاً أوسع ، وتقصيلاً أبعد ، فليطلب ذلك التفسير ، فهو فيما أعلم غير مسبوق بنظيره « اها أقول اننا طبعناه بالقطع الصغير ليوضع في الجيب وطبعنا معه ملخص درس الاستاذ الامام في تونس وموضوعه العلوم الاسلامية وأقرب الطرق لتعلمها

(١٤ - تفسير جزء هم) هو على قرب العهد بطبعه أشهر من نار على علم وقد كان رواجها أكثر من رواج سائر كتبه على شدة الرغبة فيها كلها حتى انه قد وزع منه عدة ألوف في عدة شهور وهذا شيء لم يمهله له نظيره في المطبوعات العربية

هذه هي مؤلفاته الثامنة ولا حاجة هنا لذكر ما بدأ به ولم يتمه وأمام مقالاته التي نشرت قديماً وحديثاً في الجرائد المصرية وغيرها فهي كثيرة جداً وكلها آيات بينات في العلم والدين والادب تعالج الله بها وأعناناً على أحيائها (السيرة بقية)

باب العقائد

الدين في نظر العقل الصحيح

المقالة الثانية - لصاحب الامضاء

بقية الكلام في النبوة

أليست العقائد الاسلامية أنزماً لعقائد وأبجدها عن مخالفة المنقول والوحيدية في قوة الحججة ومثابة البرهان (أنظر ما تقدم في المقالة الاولى) . أليس في القرآن أصول الدلائل العقلية على صحة هذه العقائد مع الرد على من خالفها أجلى بيان . أليس في العبادات والأوامر والنواهي القرآنية ما يظهر القلب ويصلح النفس والجسم معاً وأحوال الدين

والدنيا. أليس في القرآن من المسائل العلمية الطبيعية ما لم يخطر على قلب بشر في ذلك الزمن وفي تلك البلاد. ماذا يكون قول العامي إذا ذكر شيئاً عن البرق والرعد والصواعق وماذا يقع في كلامه من الأوهام ونحن في القرن العشرين للمسيح قبالك إذا كان في القرن السادس فكيف لم يدخل ما يذكره العامة من الخرافات في القرآن ولم يذكرها محمد فيه اعتقاداً منه لها وجرياً على ما كان عليه معاصروه. فكم ذكرت هذه الأشياء في القرآن وغيرها من عجائب الكون ومع ذلك لم يرد عنها إلا نل قول صحيح سالم من طعن الطاعنين فكيف نحاشي محمد الوقوع فيما يقع فيه مثله من العامة عند ذكر هذه المسائل. هل يعرف العامي الأمي من العرب في ذلك الزمن أن كل الثمرات لها حياة كحياة الحيوان وأنها جميعها لها ذكراً وأنثى وهو الأمر الذي لم يقل به العلماء إلا في الزمن الأخير (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) مع أن العرب لم تكن تعرف ذلك إلا في التخيل. هل يعرف العامي أن القمر ليس مضيئاً بذاته ويدرك أن الشمس وحدها هي مصباح عالمنا هذا فيقول (فجعلنا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) ولا يصف القمر بما يستفاد منه أنه مصدر للنور ويصف الشمس وحدها دائماً بذلك كقوله أنها سراج ونحو ذلك. هل كان أحد في ذلك الزمن يعتقد دوران الأرض حتى يرد في القرآن (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر صر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء) وأيس ذلك في يوم القيامة على الأصح إذ قوله (تحسبها جامدة) لا يناسب مقام التهويل والتخويف وقوله «صنع الله الذي أتقن كل شيء» لا يناسب مقام الإهلاك والابادة هل كان أحد يدرك الفرق بين جعل النهار الذي هو من حركة الأرض مجلياً للشمس والليل غاشياً لها وبين العكس حتى يأتي بهذا التعبير (والنهار إذا جلاها والليل إذا يشاها) والذي أتعب المفسرين زمننا ولا يقول إن الشمس هي المجلية للنهار بتحركاتها كما كان ينتظر من مثل هذا العربي العامي. من من العامة يدرك أن صغر القمر وكبره حسب ما نشاهده ليس إلا لاختلاف منازله بالنسبة إلى الشمس لا لأن حجمه الحقيقي يصغر ثم يكبر شيئاً فشيئاً حتى يقول (وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب). يظن العامة أن المطرات من الجنة أو من الملوكوت الأعلى أو من عالم غير طلائنا هذا ولا يتصورون أن أصله من ماء بحار أرضنا هذه ولكن القرآن يقول (أخرج منها ماءها ومرعاها) أي إن المياه بأنواعها التي تستعملها

خارجة من الارض ولم يستثن منها ماء المطر كما يتوهمون . فهل يكون في كلام الامي العامي في ذلك الزمن هذه الدقة في التعبير والصدق في العبارة والاشارة الواضحة الى مسائل علمية لم تكن معروفة من قبل أو موهولا عليها في زمنه هل تدرك العامة بل وكثير من الخاصة أن التغيرات في العالم أعظم برهان على وجود الخالق تعالى حتى يشهد القرآن على ذلك باختلاف الليل والنهار وحركات الكواكب وشروقها وأفولها . أليس ذلك مما لم تنته اليه عظماء الفلاسفة الأجدد الجهد والغناء الكبير هذا وإن القرآن قد أتى بالحكم الكثيرة والأمثال الصحيحة على وجهه وتعبير ينهك الفيلسوف الحكيم بدنه دون أن يأتي على تعبير مثله فما بالك بهذا الامي . فهل تقول بصدق ذلك كله إن سماع النبي لحط من جاوره من الناس الجهلاء وهو سبهم هو المصدر لهذا الكتاب الحكيم

فوالله لو كلف أحد الفلاسفة أن يمحس المسائل كما محسها القرآن وإن يأتي بأصح الآراء وأقومها في المعتقدات وغيرها ويؤسس مثل هذا الدين الكامل بجميع ما فيه ويتبع السياسة الرشيدة والحكمة البالغة في ارشاد الناس اليه كما فعل محمد عليه السلام وأن يحترز من الوقوع في زلة واحدة وإن يخبر عن بعض اشياء في المستقبل بفسكه وقرب محتمل بحيث لا يخطيء فيها وإن يأتي ببعض مسائل علمية لا يعرفها معاصروه وكلف بأن يجعل كل كلامه هذا بأسلوب غريب لم تعهده الناس من قبل ويكون في درجة من البلاغة لا يحاكيها أحد وأن يقلب كيان أمة عظيمة كالامة العربية فيعدان كانوا اعداء صاروا اخواناً وبعد ان كانوا عابدين للاوهام صاروا علماء وبعد ان كانوا اضعف الامم صاروا اقواها وسادتها في مدة قليلة . لو كلف بهذا كله لا قر في الحال بالعجز واعترف بالضعف فما بالك اذا بالحي العربي الذي نشأ في قبرا امياً في وسط الجهل والوثنية في زمن العمى والظلام محتاط به الخرافات من كل جانب والباطيل من كل مكان امتزج حوله الحق بالباطل واختلط الصدق بالكذب بسمع قولاً حقيقاً مرة واكاذيباً بجانبه مرات فلا يمكنه ان يميز احدهما عن الآخر لعدم علمه ، تشبث في فلكه الآراء وتضاربت في نفسه الاقوال فوقف وقفة الحائر ينتظر الارشاد الا الهى حتى جاءه الوحي الرباني فمحس الحق ورفض الباطل وقرر الصدق وازهى الاكاذيب .

واعتمد في دعواه على الحجج البينات لاعلى الالاعيب فأعظم به من نبي ختم الله به
الانبياء واكرم به من رسول طارذ كرمه في السماء صلى الله عليه وسلم
بني علي أن اذكر شيئاً عن اخلاقه بعد ان خضعت له الملوك وهابته الجبابرة وانتشر اسمه
في سائر الافاق . هل ظنى وبني واتهمك في الملاذ ؟ كلاً ثم كلاً . ملك ما كما واسما ولكن
ما فارقته ان زهدوا والتقصف طول حياته مات ولم يترك الا شيئاً زهيداً وأوصى أن يكون صدقة
لامته لم يتغير حمامه وعفوره وورأقه ورحمته بالناس بل زادت . اقتصر على زوجته العجوز الى ما
بعد الاربعين كما قلنا سابقاً حتى توفيت ومن تزوجهن بعد ذلك لم يكن فيهن بكر سوى عائشة
وتزوجها وهي في سن تكاد أن لا تشتهي فيه لتوثيق ما بينه وبين والدها من المحبة والمودة
وكان غرضه من تعددهن القيام بكفالتهم لفقرهن أو عدم وجود من يقوم بشؤونهن
كمن فقدت بعلها في حرب أو غضب عليها أهلها لاسلامها أو لم يرغب فيها أحد من
أصحابها لكبر سنها وليس للنبي أن يشير على أحد بتزوج بهن لئلا يأخذها مضطراً في
زواجها فلا يحصل بينهما وفاق . وكان الفرض في زواج بهن ايجاد الرابطة بينهما وبين أهلبن
أو تزوجة بهن على فقد زوج كانت تنفاني في حبه أو ابطال عادة من عادات الجاهلية
الى غير ذلك من الاغراض الشريفة كما يتضح للمدقق في أخبارهن فشفقة بهن ورحمة لهن
كان يتزوجهن ولا يمكنه أن يبقين في منزله من غير زواج لئلا يرميه الناس باستخدامهن
من غير حق أو بارادة الفحشاء بهن (تنزه عن ذلك وجل مقامه عنه) ولو كان غرضه
الشهوة لكن من حسان الابكار لا الثيبات المسنات فمن كان هذا شأنه لا يتصور أنه كان
يطلب بدعواه النبوة الحصول على شيء من لذات هذه الدنيا والالوجدة بعد نجاحه
متكبراً جباراً منتقماً فظلاً غليظ القلب متمالياً في نفسه محترماً لغيره فأين هذا كله ممن كان
متواضعاً متعشفياً يخضع لله بيده ويرقع ثوبه ويطوي على الجوع ليالي راضياً بالقليل
رحيماً بالناس لطيفاً يحترم كل أحد حسب منزلته حليماً لا يفضبه جهل الجاهل ولا قلة
أدب الوقبح . ينفو ويمنع عن أساء اليه . اذا احتاج يفترض المال حتى من اليهود وكثيراً
ما أودى بسبب ذلك قاله أكبر ما اجل شأن النبوة وأرفها عما يرميه به الجيلة من الناس
هداهم الله

هذا الذي ذكرناه من الدلائل هو الممول عليه في هذا الباب والسند الاقوى للنبي

في دعواه وأما ما ظهر على يديه من خوارق الماديات فلم يكن عليه السلام يعتمد عليها كثيراً فلذا ضربنا صفحاً عن أطالة البحث فيها وغاية ما نقول أن هذه المعجزات ليست من المستحيلات بل هي مما يدخل تحت قدرة الله تعالى وقد نقلها الثقات نقلاً متصلاً صحيحاً وتواتر بعضها بحيث أن الإنسان أن شك في بعض أفرادها لا يمكنه أن يشك في مجموعها. وأما هذه المعجزات كانت الحجة الكبرى والدليل الوحيد للأنبياء السابقين مع انهم. ذلك لأن الإنسان في تلك العصور ما كان يدرك قوة الدليل العقلي فكان كالطفل لا تفعل نفسه إلا بما وتم تحت حسه ولا يتأثر إلا بما كان تحت حسه ولا باخ رشده وأرتقى ارتقت أدلة النبوة كذلك وإنا لله من الدلائل بما يناسب حالة رقيه العقلي وجعل المعجزة الكبرى في إتيان الأمي بمأثني به مما فصلناه وعجز البشر جميعاً عن الإتيان بمثله وأما المعجزات الأخرى فلم يكن يراد بها الإثبات الذي آمنوا بالحس بعد أن اقتنعوا بالعقل وإلزام المعتادين الذي علقوا إيمانهم على رؤية هذه الخوارق ولما لم يؤمنوا عند ظهورها ما كان يجيبهم إلى طلب غيرها لأن من لم يقتنع بهذه لا يقتنع بتلك إذ الدلالة على الصدق في جميعها واحدة. وهذا الذي قلناه هو ما يستمد من مجموع آي القرآن الواردة في هذا الشأن فليراجعها من شاء. والخلاصة أن الدليل قسمان حسي وعقلي أما الحسي فإنه أشد تأثيراً على النفس وأفضل في القلب وأما العقلي فإنه أصح وأعم فائدة وذلك لأنه متى أحكمت مقدماته ونتائجه فلا سييل لتطرق الشك إليه وكل من تصوره صدق بخلاف الحسي فلا يؤثر الأعلى من نظره بينه ويتطرق إليه شبهات كثيرة كاشعة ودة والتدليس والحيل وكلما كان الإنسان بسيطاً كان فعله في نفسه أشد.

ولما كان محمد عليه السلام خاتم الأنبياء ومرسلاً إلى الإنسان بهد بلوغه رشده ودعوته ليست قاصرة على زمن أو مكان كان الأنسب أن تكون حجته عقلية من أن تكون حسية. وقد كان ذلك وظهرت حكمة الله جل شأنه في هذا النوع فآتاه في زمن طفولته بما يناسب بساطته وفي زمن كهولته بما يوافق رقيه ودرجة عقله كالأب الحكيم يحمل ابنه في صغره على الدرس بأعطائهم المكافآت كالجوى والنصور وفي كبرهم بتبيين فوائد الدراسة ومنافعها وتأثيرها في مستقبلهم قال إنسان بالجنة الحمدية أدرك فيحة نخله ونخيل من سائر القبور وأمر بني لمعه ذ عليه صلوات الله تعالى عليه حنة

وقام بنقض ما على جسمه من غبار التقليد ونظر بعقله إلى ما حوله من الموجودات واستخدمها
وهكذا سار في طريق الإصلاح إلى أن بلغ الكمال أن شاء الله تعالى
ولتختم هذه المقالة باختصارها في كلمات معدودة فنقول:

كل من أتى بإصلاح في الأرض من قبل الله تعالى فهو نبي ومحمد قد أتى بالإصلاح من
قبله تعالى فهو نبي والدليل على أن إصلاحه من عند الله أنه ليس مستعداً من معلومات
من جاوره من الناس كما بيناه آنفاً وإن ما أتى به لا يقدر البشر على الاتيان بمثله جزء
منه اذ لو كان مقتبساً من علمهم لكانوا أقدر على الاتيان بذلك قال تعالى (فإن لم يستجيبوا
لكم فاعلموا أنما نزل بعلم الله)

إذا القرآن كتاب الله وكل ما فيه حق من عنده تعالى فيجب الايمان به والعمل بما فيه
لتحوز سعادة الدنيا والآخرة، (محمد نوفيق صدقي طيب بسجن طره)

باب التربية المستقلة

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

المكتوب الثاني

من إراسم إلى «أميل»

فراق الولد لو اديه سنة فطرية - العلم في ألمانيا - نقد التلميذ ما يقرؤه من أفكار
غيره - القصد في علوم المعقولات نفع الأمة بالقيام بالواجب على قدر الطاقة - اختيار
الولد العمل الذي يشتمل به جد - بيان أنه لا حرية لامة يتكالب شبابها على تولى أعمال
الحكومة - التحذير من الملاحدين - بيان أن الرأي العام لا قيمة له الا اذا كانت الحكومة
شورى - خدمة الأمة لذاتها للأجزاء

لوندرو في ١٣ فبراير سنة ١٨٦٠

اذا كنت يا عزيزي «أميل» تألم من استبحاشك فتحن تألم من فراقك ولكن يجب
عليك التسليم والرضا بما لا بد منه واعلم أنه لو كان في وسعي أن أبرح لوندرو وأخلف من أقوم

عليهم من المرضي لمراقبتك الى حيث أنت الآن لكنك فيه متردداً فقد أن لك أن تتعلم كيف تدير سيرة الرجال ان الطيور لتحب افراخها ولكنها متى آنت فيها من القوة ما يكفي لاستقلالها بنفسها في الطيران شجعتها على تجريب أجنحتها فيه سنة الله الذي أراد أن يرب الحرية لجميع البرايا

أنت تعلم حق العلم اني لم أرسلك الى «بن» الا لاسهل عليك درس لغة الالمانيين وأخلاقهم وأفكارهم وأنا أعلم انك الى الآن قد استقلت بنفسك في تعلمك فكنت في باطن الامر وحقيقته استاذاً لنفسك ومرشداً وليس ما أخذته عني من الدروس شيئاً يذكر ولكن قد اقتضت أحوال هذا العالم أن توجد مذاهب وطرق لا بدني تعلمها أن تتلمس من بنائيتها والمانيا في يومنا هذا هي مقتبس نور العرفان وهي البلاد التي يجب أن يعرف لها الفضل في الحكمة والعلم والتقدم وآداب اللغة ومدارسها الجامعة محط رحال الكثيرين من أفاضل الاساتذة وجهابذة العلماء ولست مع ذلك أدعوك الى قبول تعليمهم على غير بصيرة وتلقي أقوالهم وآرائهم قضايا مسالمة اذن أكون قد تخليت عن جميع الاصول التي أسير عليها ان لا انسان شيئاً لا ينبغي أن يسمح به لاحد الا وهو حرية الفكر فالعلوم التي تتلقاها في الجامعة لا يمكن أن يسمع بها نطاق عقلك ويقوي بها ادراكك ما لم تراقب ما فيها من أفكار غيرك مراقبة ذاتية وإياك ثم اياك أن تهك قواك التي أنت محتاج اليها في العمل بفرض الانكباب على دراسة المقولات بالغة ما بلغت من الطلاوة وبمدالفور فان البحث في المقولات لا قيمة له الا اذا أدى الباحث الى وسيلة ينفع بها نظراءه والمحب لنفسه من بقصر ثمرة فكره ودرسه عليها لاصراء في ان الاتصاف بالعلم من الامور الحسنة ولكن أجل منه وأحسن أن يكون الانسان محباً لوطنه نافعاً لأهله ولا يعزب عن ذهنك ان المانيا ليست بلادك وان آثار سلفك هي حكمة القرن الثامن عشر وان أمك هي الثورة الفرنسية

آلمني عبارة من مكتوبك وهي قواك واني أحياناً آنس من نفسي فتورا في الهمة وضمناً في الزئمة وأسائلها عما أسلح له من الاعمال وأنا ضائق بذلك صدرأه فاعلم انه ليس من الضروري لتحقيق النفع في الانسان أن يكون من كبار الرجال فأبما رجل صدقت نية في فعل الخير وصح قصده للنفع فإنه يغير من حالة القوم الذين يعيش

فيهم بقدر ما من التغيير وعلى كل حال ليست الحياة النتيجة القيام بفروض صغيرة فنأداها كلها بما في وسعهم من الوسائل كان في الغالب أفضل ممن يسمى في الاشهر بعمل خطير وليس شيء من أفكارنا ولا من أعمالنا بضائع علينا فنأثارها تظهر فيمن حولنا من الناس أوقيمن يخافوننا من ذا الذي يستطيع أن يقول أن الحركات الكبرى التي غيرت أحوال العالم من جهة السياسة والعمران لم يكن فيها المستضعفين الحاملين من الخدمة والعمل ما لأرؤساء الميطرين كلابل ربالم يكن ظهور هؤلاء واشتهارهم الا صورة منكمه انضائل أولئك ومساعدتهم المحمودة

اقع بأن تكون كما أنت مع مواصلة السعي في تنمية غرائذك وتوسيع نطاق مواهبك بالأدب في العمل والمدرسة وإذا احتجت في بعض أوقاتك الى تكير دائرة وجودك فتصفح دواوين الشعراء الحقيقيين وكتب أئمة النظائر المشهورين وتمتع بما تجده في نفسك عند مطالعتها من عظم القدر وسمو المكانة الذي يسري اليك منهم فان في ذلك غبطة لا يحيط بها الوصف فاذا هبطت من هذه المقامات العلى لم تصدم حولك من النفوس الصغيرة المحتاجة للاستضاءة بنور العلم من يغنيك الاشتغال بهم عن الاهتمام بغيرهم ومن صنائع البرما فيه تسلية لك عما يوزك من الخصائص واعلم انه لا يتألم بما في عقله من مواضع الضعف والقصور الا يحب لنفسه أو خيئ وامامن يستسلم ويرضى بقبحته ويتعالم ليحمل فانه لا يطلب فوق ما قسم له من العقل شيئاً بل يكون مقتبطاً به غير حاسد لغيره

أراك أيضاً تغلو في الاهتمام باختيار ما تمارسه من الاعمال فانه وان كان عما لا مصرية فيه ان كل فرد من الناس يجب عليه أن يعيش من كسبه وكده واني أعتم لورايتك مفراطاً في هذا الامر الذي هو أول فرض على الانسان ينبغي أن تعلم ان مجلة الدروس التي تلقاها الآن مع كونها تؤدي الى جميع الحرف لا تفتح لك باب واحدة منها ولا أرى في ذلك ما يدعو الى كدرك لان كل عام تحصله هو ذخيرة لقلبك فان لم يفتدك في نفسك فقد تجد فيه وسيلة لنزع غيرك على ان ما في الكون من طوائف الامور المختلفة وطبقات الحوادث المتباينة مرتبط بعضها ببعض فلا بد في معرفة أصل منها معرفة صحيحة من معرفة أهوار كثيرة لها هذا الامر تعلق بعيد ولست بهذا القول ألزملك السعي في تحصيل ما يسمى

بالعلم العام الذي هو ضرب من الخيالات والالوهام وانما أريد به تفهيمك ان للعلوم قضايا عامة لا بد لك من تصور حدودها الأصلية قبل تفرغك لتحصيل علم منها على حباه

أنت ولي أمرك في الحكم على ما يلائمك من الاعمال وليس عليّ الا أن أسألك عدم التأمي في ذلك باخوانك من الطلبة فكن كما يرشدك اليه خنقك وميلك اما طبيباً أو محامياً أو مهندساً أو صانعاً أو آلياً أو غير ذلك ولكني أسألك بالله أن لا تكون طاملاً للحكومة

أي حرية ترجي تقوم بتطلع المعلمون من شبانهم الى الانتظام في سلك عمال حكومتهم قد كان فن ظلم الحكام للناس في الايام الخالية من القنون الصعبة الكثيرة المشكلات التي يلزم لتعلمها استعداد خاص ونفس كنفس ميكافيل (١) وأما الآن فيظهر من أحوال الرعية انهم يضون أشد العناية بكفاية حاكهم مؤنة استعبادهم بالحيلة أو القهر لانهم يتهاقون على احتمال تبرعבודيته فأني ملك أو عاهل يجد حول أريكته رؤوساً خاضعة واطماعاً سافلة تهمة طامع الكلاب التي لاهم لها الا قضم العظام مادام بين يديه من الاموال الوفرة ما ينقسه كيف يشاء ومن المناصب وألقاب الشرف والرتب الكثيرة ما يوزعه على من يريد

ليس الاتحاد والوقاحة مقصودين على أحداث ألمانيا فانك حينما حلت تجد من الشبان من لا يمتقدون بشيء ولا يوقرون شيئاً فكن منهم على حذر لان هذا الفسوق العقلي يساعد قطعاً على تثبيت الأوضاع القديمة ذلك ان هؤلاء الذين يدعون لانفسهم حرية الفكر لم يخلصوا من قيد الأثرة ومن هذه الجهة تأخذ الحكومة منهم بالنواصي والاقدام أعني ان عبادتهم لنجح مساعيهم وطمعهم في الوصول الى ما ينتفون وطمعهم الى المناصب والتمتع بمزقاتها الجسيمة لا تلبث أن تدعوهم الى توقيع النظام الذي سقته الحكومة واجلاله واني لأعتد بجرأة الفسقل مالم تصحبها بسالة النفس وتزهاها عن الاغراض ثم انه مهما كان بلوغ قل أمنية في الدنيا ممكناً بمحض هوى الغير ورضاء لم

(١) ميكافيل هو أحد رجال الحكومة الإيطالية ومن كتابها المشهورين ومن

كتبه كتاب الأمير وهو مختصر في السياسة المفسدة للاخلاق

يسلم المستبدون عبيداً منحهسين في خدمتهم يعملون لهم ما يشاؤون وتجد من كانوا من الشبان بالأمس منطقيين متفكرين يصبحون وهم أكثر الناس سجوداً للقوة واستكانة للسلطان .

ولاية أعمال الحكومة هي بلاء الأمم في هذه الأيام فالبلاد التي رئيس حكومتها هو الذي يوزع مناصبها لا يمكن أن تكون آراء الناس فيها النتيجة عمل حسابي لما يربح منها فإذا وقع خطأ سياسي أو ديني من الحاكم وكان ينتج للمواطنين عليه بعد الحساب عشرة آلاف فرنك مثلاً فإنه يصير حينئذ صواباً وإذا أتى أمراً خيئاً ودفع ضعف هذا المقدار قيل إنه قام هذه المرة بما تدعو إليه الهمة والبسالة فيجب الإخلاص له يلهج الناس كثيراً بذلك الرأي العام ويقولون إنه أقوى كفالة للحق والحرية وهو صحيح إذا كان أمر الأمة يدها وكانت هي التي تلي شؤون إدارتها وأما إذا كان حالها غير هذا فالرأي العام نفسه قد يكون فيها آلة للاستبداد فإن أكفل وسيلة لظلم الأمة هي اعدام شرف النفس من أفرادها وازهاق روح الاستقلال بينهم تجيب الحكومة القائمة اليهم وحملهم على رجاء بقائها . ورب قائل يقول إن عدد العمال في الحكومة لا يذكر في جانب السواد الأعظم من الأمة فأجيبه إن هذا الاعتراض عبث لأنه قد نسي أن بازاء كل عامل نال منصباً ألفاً من الناس يطلبونه ويرجون رجاء قوياً أن ينالوه يوماً من الأيام فعمال العمال يكافئ عالم آخر من السائلين ومن ورائهم جميع طلاب الأموال وإذا كان تحرير الناس من الاستبداد لا يأتى إلا متى أعانوا عليه بإرادتهم فأى وسيلة تبشهم على إرادة التفصي من ربقته إذا كان فريق منهم وهم الذين تقوم لهم الحكومة بنفقات مطعمهم وملبسهم ومسكنهم قد بلغت بهم الحال إلى أن يكون استعبادهم قوام معيشتهم والفريق الآخر يغبطونهم على هذه النعمة ولا يأسفون إلا على عجزهم عن مشاركتهم فيها

ولست أقصد بهذا القول أن من لوازم المناصب العامة تصفير نفوس القائمين بها أو الساعين في تقلدها حاش لله فإنها في الحكومات الحرة كحكومة أمريكا مثلاً من شأنها أن تسمي فيهم قوة العزيمة ومكارم الاخلاق لأن الحكم في اختيارهم راجع إلى انتخاب الأمة ولأنهم انما يعمرون بالأعمال مروراً ولأن جميع الولايات لا تلبث

أن يودأمرها إلى الأمة فتقبلها من تصاد من هنا ينام أني لا أتكلم عن الأمم التي حكومتها مؤسسة على الشورى وإنما أتكلم عن الحكومة التي تولى العمل فيها بالحجابة والهورى فشأنها يتبدلون ويصغرون بسعيهم في تقلد تلك الأعمال لأن حكومتها لا تبني في الحقيقة الانهواً سلسة القيادة تلصق بما جرى عليه العمل من التقاليد الادارية وطباعاً لينة عطفت على كل ناحية فلم تبقى لها وجهة ذاتية وعقولا منقفة ولولم تسم عن عقول العامة تستعمل زخرف القول في تصوير ما وضع من النظام بصورة مقولة، واني لتمر بي سمات أحدث فيها نفسي بأن من ظلم الشعوب أن يلوموا حكامهم على استبدادهم فأني معنى لاوهم اذا كانوا قد جعلوا مقاديرهم بأيديهم وكان الآباء لا يمتنون لابنائهم الاقلد المناصب ذات الرواتب العظيمة التي لا عمل فيها بدلا من صرفهم الى وجوه الكسب الاخرى بل اذا كان كل الناس يؤمنون أن يكونوا عالة على المصلحة العامة ويودون لو أن للحكومة من العقل والوداعة ما يكفي لخمها من الاتفايح بما يقدمونه لها من الفوائد فما أسخف عقولهم إذ جعلوا أنفسهم تراباً لهم يدهشون من وطء الحكام اياهم

أنا لأنكر أن نيل الشاب منصباً من المناصب الكثيرة المقررة في الحكومة أسهل عليه كثيراً من أن يفتح لنفسه باباً للكسب في قومه بمجاريته وأهليته الذاتية ولهذا لا يلبث الانسان أن يعرف الأمم التي اعتادت الارتزاق من حكوماتها لما يكون فيها من قصد الاستعداد لانشاء الاعمال وابتكارها فترى الصناعة والزراعة والتجارة تنساق في مجرى العادة بتكلف وجهه والاموال تحذر الخروج من جيوب التمولين والتناوب التجاري التي تأتي الحكومة حمايتها يشق عليها كما يقال ان تطير بأجنحتها والصناعات الحرة تحوم حول السلطان لنيل الاعمال والحجابه وترقب فرصة النطق على مائدة المصلحة العامة وآداب اللغة والننون تتأثر بقوة السلطان وتبدل بتدلي الحياة العامة التي يحطها سلطان رجل واحد وحاجة التعذي من يد الحكومة تزيد على الدوام عدد طائفة التدمان والمملكين

كأنني بك تقول لي إن ذلك الذي وصفت عيب في شكل من أشكال الحكومة وذهب لمجموع الأمة التي ترتضي هذا الشكل وانه ليس مما يمتد به كثيراً أن يزيد عدد عمال الحكومة واحداً أو ينقص واحداً لأنهم حينئذ لا يعدون فاجيبك على هذا بأنني لست أجهل

ان واحداً من الناس ليس في قدرته أن يسيراً حوالاً أمة بأسرها ولكن اذا ارتكن كل فرد من افرادها على هذه الفاعلة فاستسلم للتيار المحتوم الذي يسوق غيره فلا ينبغي أن يرجح شرف للأوضاع القومية ولا حرية للناس . إن الأمم اذا تدلت وفشت فيها عدوى التآسي وجب على كل انسان حقيق بأن يسمي انساناً أن يرفع لها من نفسه لواء المجدي يدعوها الى النهوض فانها لا تنهض من انحطاطها الا بالمجاهدة وبذلك القوة الذاتية وكم من رجل يشكو من خسة السراير في قومه ويتألم من دناءة تقوسهم وهو شريك لهم بالواسطة في فعل ما دأبهم الى هذه الحالة بكثرة خشيتهم ونحرجهم في سيرتهم فانما اذا تحفف هو عن تولي المناصب الرسمية قد يديرها لابن أخ له أو لاحد اللاتدين بيته ويهدأ يصير شريكاً في الضرر الذي يندب سوء مقابله

هذه يا بني افكاري قد افضيت بها اليك صراحة فان كنت لا بد راغباً في بلوغ منصب رسمي فوسيلتك اليه ميسرة جداً وهي أن تذلل وتستكين وأما اذا فضلت كرامة نفسك واستقلالك وشركك على المزية التي تجدها في سهولة فتح باب الكسب وسرعته فاني أهنئك عليه من صميم قوادي ولكن لا بد لك حينئذ أن تعرف ما أنت داخل فيه فانك بتنازلك عن رعاية الحكومة تضطر الى كسب قوتك بالعمل والجهاد ولا تجد من أحد جدياً على كدك ولصبك وترى كثيراً من الناس يسخرون من بسائك واقدامك فعلاهم محبوباك اذا كنت تسفههم وزري عليهم بالتهج الذي تسير عليه في عملك وفكرك

أخدم الامة ولا ترج منها جزاء ولا شككوا قائما لائلك ما يجزيك به لانه ليس يدها شيء من أموال البلاد ولا من ألقاب الشرف ولا من وسائل التوبة واعلاء الذكر وعلى انها قد تنكر مالك من حسن النية في خدمتها فليس عليك حينئذ الا الاعتماد على قواك الجسدية والعقلية . . . وانه ليس في هذا الانكار للتوقع ما ينبغي أن يري بك فابست أهم مسألة للانسان في حياته أن يبالغ مقاماً سامياً بل المسألة الكبرى هي أن يكون قدره أعلى من المقام الذي يشغله

وأما أخبار البيت فمنها ان «لواء عهدت الى إعلامك بأن طيورك وزهورك في حالة راضية وان دنائك بعد أن حفظت في بطن الارض مليونين أو ثلاثة من السنين سالمة من التهمير قد تغيرت قليلاً من غبار لدرة ودخانها وبأنها قد تربت مجموع حشائشك ولها أشدك ذكرا منك لها

وفي الختام أقبلك أنا وأمك قبلة الوداع وارجو أن تكون دائماً على علم بدروسك ومقاصدك وحالة ميضيتك فكل ما يتعلق بك يفتينا . اهـ

أثر عمار الحسني

— المجلد الاول من كتاب أشهر مشاهير الاسلام —

قد صدر الجزء الرابع من هذا المجلد وهو في سيرة الخليفة الثالث عثمان بن عفان ومن أشهر من رجال دولته وصفحاته ٢٢٠ وقد كان مصنفه (رفيق بك العظيم) ومدبان صيوجز القول في خلافة عثمان وعلي (رض) تحامياً للخوض في مسألة الخلافة وشار الفتن في الأمة فتأول به محبو التاريخ وطلاب الحقائق من قراء كتابه حتى أرجعوه عن رأيه وأقنعوه بوجوب بيان تلك الحوادث بطلانها وأسبابها وتأثيرها ومملولاتها فأقدم على البحث بما عهد فيه من الأدب والأخلاص، والبعد عن التيسع والاعتساف، فجاء بمصاص الأخبار، واستخرج منها آيات العظة والاعتبار، ولم يأل جهداً في حسن الاختيار، واستنباط الحكم والأعذار والنظام الصالحة الاختيار.

نصفحت جل ما كتبه في القصة التي أدت إلى قتل عثمان (رض) أقرأيته قد حصر ما نكته الناس من عثمان بحق في غلبة بني أمية على أمره حتى استبدوا بالامردونة وأفتاتوا عليه وحملوه على الرجوع بما عاهد عليه المسلمين وتاب عنه في محفل كبراء المهاجرين وبين أن أهل الرأي ورجال الشورى من الصحابة خافوا أن يجملوا الخلافة أموية تقوم بالعسيرة لاقرشية تقوم بالآفة مناب والشورى الشرعية، وكشف الحجاب عما كان هناك من الجمليات السرية التي تخرس الناس على التآلب على الخليفة وإلزامه بإيجاد دهاة بني أمية عنه أو اعتزاله وخلع نفسه، وبين أنه لم يكن أحدهم من كبراء الصحابة وزعمائهم يعتقد أن الأمر يصل إلى ما وصل إليه وأنهم يقتلون الخليفة ظلماً ولم يفعل فعلا يبيح دمه، واتحل لثمان أحد عذرين في الاعتصام بقومه أحدهما أنه علم أن رجال الشورى الستة كل منهم يريد الخلافة لنفسه وله أنصار فخاف أن يترك أنصاره الأقربين من بني أمية فيختلف القوم دونه ويتوئب عمال الأمصار عليه فلا يجد له عاصماً لذلك ولا هم الأمصار وزاد استمساكه بهم حين سئل التخلي عنهم، وثانيهما أن قومه استلوا جانباً واستنصفوه فطلبوا على رأيه فيهم. أقول إن الثاني هو الصواب وبدل عليه تهويله على تخية مروان

وذويه وتصريحه بذلك في خطبته التي بكى فيها وأبكى الناس (وهي في ص ٧٩٧ من الكتاب) وفيها إن بني أمية قد استحوذوا على عمان بمذلك وملكوا جنابه لكبريته وضعفه فعذلوه واستذلوه واقتات عليه مروان بما اقتات.

يعلم كل من قرأ تاريخ المسلمين أن تأليب الناس على عمان لم يكن يرجى له صدق الأباقر له الخلافة وخلع نفسه منها وبزل مروان وغيره من دهاة بني أمية الذين غلبوا على أمره وتلقوا وامتظم أعماله وقد علمت رأي المصنف في الأمر الثاني وأما الأمر الأول فقد ذكر أن لامتناع عمان عنه أحد أسباب ثلاثة ١- ضعف الإرادة الذي هو أثر كبر السن، ٢- الخوف أن يسجلوا عليه ما تمهوه به من الأحداث وهو يستقد أنه لم يستعمل فيها محرماً ٣- العمل برأي مروان وأضرابه الذين كانوا يعلمون أن أمر الملك لا يتم لهم إلا بإراقة الدم والثالث هو الصواب وربما كان غيره داعماً له ولو لاه لكان يمكن أن يقال إن امتناعه من اعتزال الخلافة مع تأليب الناس عليه وحصرهم إياه هو من قوة الإرادة لا من ضعفها ومن فصول الكتاب الذي تستحق أن ينه عليها ويلفت إليها فصل عقده لآيات عدم تحامل رجال الشورى على علي كرم الله وجهه ويان أن خلافة كل واحد من الراشدين جاءت في وقتها اللائق بها

ورأيت صديقي المؤلف قدأكثر القول بهذا الجزء في تقرير رأيه في الخلافة والحكومة الإسلامية ويان ضررها ينكره منها ويعد أصل البلاء وعلة الضعف والشقاء وهو أمران عدم توفر شروط الشورى والاختيار في البيعة بحيث كان شكل الخلافة وسطاً بين الشورى والاستبداد أو بين الحكم المطلق والحكم المقيداً ناطوا بالخليفة جميع الأعمال، وثانيهما اصطباغ المسلمين في حياتهم السياسية بهيئة الدين وعدم الخليفة رئيساً دينياً

قرأ التاريخ فون رأيه في هذه المسألة ولم ينسوا المناظرة التي كانت بينهما وبين أحد علماء الهند في هذه الحجة. وأقول إن هذه المسألة الكبيرة لم تحل فيما كتبه فلا تزال في حاجة إلى التحرير وكننا وعدنا بكتابة وأينا فيها التفصيل ولما نتبعنا الفرص بذلك. وتقول هنا إن ما جاء به الإسلام في ذلك وما كان من انتخاب الخلفاء الراشدين وسيرتهم يصدق عليه قول الإمام الفزاري في نظام الوجود العالم ليس في الامكان أبدع مما كانه إلا ما كان

من إصرار عثمان على إمساك مروان وغيره من ذوي قرابته الذين تقم منهم المسلمون ولقد يظهر للأورخ الذي وقف على نظام الحكومات النيابية في هذا المصراع أنه كان ينبغي للأراشدين أن يعضوا نظاماً مثله وإذا لم يفعلوا فلنا أن نحكم بأن عملهم كان ناقصاً. ومثال هذا مثال من يشكر بعض مظاهر الوجود التي رأى من جنبها ما هو أحسن منها غافلاً عن إمكان ذلك وعدم إمكانه بحسب سنن الكون العامة

الحكومة النيابية المنتظمة القائمة على أساس الشورى والاختيار لاتصل إليها الامم الا بعد أن تتربى وتعلم في مدرسة الحكومة الاستبدادية زمناً طويلاً فلم توضع حكومة نيابية منتظمة على وجه الارض بمجرد الرأي والاستحسان من أفراد أسسوها وأقموا الامة بأن فيها مصلحتها فقامت بها وثبتت عليها اقتناعاً بقولهم وعملوا برأيهم. وإنما كان تأسيس الحكومات النيابية والجمهورية بما نعلم ويعلم صديقنا مؤلف أشهر مشاهير الاسلام ثم كان تقديمها وثباتها بالتدرج بمدار تقاء الامم في العلوم والاعمال الاجتماعية بالتدرج ايضا كان يقول كما يقول بعض الناس انه كان ينبغي للمسلمين أن يتعلموا كيفية تأسيس الحكومة النيابية من جيرانهم الرومانيين ثم هو يمتدح الآن عن الخلفاء الراشدين بأن الحكومات النيابية كانت بعيدة العهد يومئذ من مجاورهم الرومانيين فاجأوا الى إناطة كل شؤون الدولة السياسية والدينية بالخليفة (ص ٦٧٩) فيالله وللرومانيين هسل كانت قوانينهم ومجالس شيوخهم ونوابهم عاصمة لهم من السقوط في هوة الاستبداد ثم من تحويل الجمهورية الى امبراطورية. ألم يكن الاشراف هم أصحاب المجالس والحقوقي والعوام لا حقوق لهم؟ ألم يكن الدافع للملك سرفيوس المصلح الى منح العوام جميع الحقوق الرومانية هو التخليص من أثرة الاشراف وظلمهم وشدة فرقة منهم؟ ألم يأت بعده الملك الطاغية تاركان بأشد ضروب الاستبداد تشويهاً فأفاد كل ما كان أصابعه «سرفيوس» وكان يقتل كل من يتوسم فيه عدم الاخلاص له من أعضاء مجلس الشيوخ والاعيان ويسخر الاهالي لأعماله الخاصة حتى كانت مظالمه العامة هي السبب في تأسيس الجمهورية سنة ٥١٠ ق م ألم يحول أغسطس قيصر «الجمهورية» بعد استقرارها الى امبراطورية سنة ٢٨ ق م أولم يحول نابليون «الجمهورية الفرنسية» الى ملكية ويفعل فعله بمجلس النواب على ان الشعب فرنسا كان ارتقى من شعب رومية يومئذ؟

هل تأسست الجمهورية الرومانية كاملة؟ ألم يكن ضباط الجيش هم الذين يتخبون النواب في الحكومة الجمهورية؟ ألم يكن هؤلاء الضباط وعسكرهم آلة في أيدي الاشراف المستبدين؟ ألم يقاوم الاشراف اقتراح «فولير» أن يكون الشعب هو الذي ينتخب نوابه حتى تار الشعب ونال هذا الحق بالثورة سنة ٤٧١ ق م؟ هل نال الشعب بعد هذا حقوق المساواة الا بالتدريج إذ نال المساواة في الحقوق المدنية سنة ٤٥٠ ق م والمساواة في الحقوق السياسية سنة ٣٩٧ والمساواة في الحقوق القضائية سنة ٣٢٩ ثم لم يتم له حق المساواة في الاعمال القضائية الا بعد سنين، والمساواة في الدين سنة ٣٠٧ ق م؟

أولم تكن المساواة في جميع هذه الحقوق عامة في الحكومة الاسلامية من أول يوم لاسطباطها بصيغة الدين الذي يخضع المتدين لاحكامه عند ما يسمها؟

نعم كل هذا مما لا ينكره عارف ولولا ان كانت أركان الحكومة الاسلامية قائمة على أساس الدين لما استقام للمسلمين حكمهم ولما وجد ذلك المدل العام الذي لم تكتحل عين الزمان بمثله حتى اليوم فان الدولة الانكليزية التي هي أرقى الامم الاوربية في حكومتها وأقربها من المدل في مستعمراتها لاتساوي بين أبناء جلدتها في الحقوق وبين الهنود بحيث تقص من مثل اللود كتشتر لرجل هندي كما أراد هم أن يفعل بحبيبة بن الابهيم ملك غسان وكما ساوى بين عسلي ورحيل من آحاد يهود وكما عد الصحابة من أحداث عثمان التي توجب خلعهم عدم قتل عبيد الله بن عمر أمير المؤمنين بالهرمز ان الفارسي الذي قتله لقيام القرينة عنده على إغرائه بقتل أبيه أمير المؤمنين وان استرضى عثمان ولي الله بماله الخ الخ

وسنن في مقال خاص بهذه المسألة كيف كان ماعمله الراشدون هو المتعين الذي لا يمكن أن يكون خيبر منه يومئذ وكيف كان الفساد الذي طرأ على الحكومة الاسلامية فأضغف الأمة وزعزع الملة محصوراً في هدم بني أمية للقواعد التي وضعها القرآن للحكومة الاسلامية وأبدتها السنة وهي ابطال العصية الجنسية وجعل أمر المسلمين شورى بينهم والاذن لاولي الأمر وهم أهل الحل والعقد باستباط الاحكام مجتهدين وإيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقول والفعل

وجملة القول في هذا الجزء من كتاب أشهر مشاهير الإسلام انه من أنفع الاجزاء

وأشدها عظمة وتذكيراً بحال سلفنا «وما يتذكر الأولو الاباب» وهو مطبوع طبعاً حسناً على ورق أجود من ورق الاجزاء الاولى وثمن النسخة منه ثمانية قروش صحيفة واحدة البريد قروش ونصف ويطلب من مكتبة المنار وغيرها

﴿ تاريخ التمدن الاسلامي ﴾

قد صدر الجزء الرابع من هذا الكتاب مؤلفه جرجي أفتدي زيدان صاحب مجلة الهلال وهو خاص بالبحث في سياسة الدول العربية في الشرق والغرب وقد جعل الكتاب أبواباً غير عنها بالصور فأولها العصر العربي الاول وفيه الكلام عن حال العرب وعصبيتها قبل الاسلام وعن الارقاء والموالي والاجاب والسياسة في الجامعة ثم عن سياسة الخلفاء الراشدين وسياسة الامويين وحدثهم في الدولة والاسلام . وثانيها العصر الفارسي الاول ويعني به زمن نفوذ الفرس واستبدادهم في الدولة العباسية من خلافة السفاح سنة ١٣٢ إلى خلافة المتوكل ٢٣٣ وفيه الكلام عن سياسة العباسيين وحررتهم والعصبة العربية في زمنهم . وثالثها العصر التركي الاول وفيه الكلام عن الجند التركي في الدولة العباسية وعن الخدم ونفوذهم وتأثير النساء في سياسة الدولة وفي هذا العصر كان مبدأ فسادها وسقوطها ثم الكلام في نشوب المملكة العباسية وانقسامها إلى دول فارسية وتركية وكردية . ورابعها العصر العربي الثاني في الاندلس ومصر وخامسها العصر المغولي أو التتري وفيه الكلام عن انحلال المملكة الاسلامية بقيامه الترك وتنكيلهم بالمسلمين إلى ان نهض الممانيون بتكوين دولة جديدة قوية . هذا موضوع الكتاب وهو من الفائدة بالمكان الذي يستقي فيه عن التنويه به والحث على مطالعته . وانا نرجو ان يأذن لنا الزمان بفرصة اطلع فيها هذا الجزء وما سبقه بالتدقيق لنعطيها حقهما من النقد والتعريف فنكون من الشاكرين لمؤلفه على اجتهاده العظيم في هذه الخدمة لتاريخنا المبشر في كتب الاخبار والآثار

﴿ مرشد الهدايات . إلى واجبات الخلائق والدايات ﴾

كتاب جديد للدكتور أحمد أفتدي الدرندي مفتش صحة الفيوم . ويعني باللائقين الاطباء الذين خصتهم الحكومة بالكشف على الموتى لتحقيق موتهم ولمعرفة

سبه وبالتبليغ عن الامراض الروائية والتلقيح لمنع الجدري . وينفي بالدايات القوابل .
والكتاب يشرح الامراض التي يتماق بها عمل الفرقة بين وبين ما يجب عليها فله
ومباحته نائمة ينبغي اطلاع كل قارئ وقارئة عليها ليكون الناس على بصيرة من الامراض
التي تعرف لهم ولأن يعيشوا مهم فلهذا كتب الكتاب الشكر أن طبع هذا الكتاب
ومن الشكر الاقبال عليه

﴿ديوان الرافعي﴾

قد طبع مصطفى صادق أفندي الرافعي الجزء الثاني من ديوانه وشعره فيه يدخل
في ستة أبواب أو طاباب التهذيب والحكمة وثانيتها باب النساءيات وثالثها باب الوصف
ورابعها المدح وخامسها الفزل والنسيب وسادسها الاغراض والمقاطيع وصفحات هذا
الجزء تبلغ ١٢٠

ومما يذكر له أنه أكرم ديوانه من مدح زيد وعمر وخالد وبكر فلم يمدح من عظماء
الدنيا غير السلطان وأمر مصر ومن عظماء الدين ورجال الصلح غير الأستاذ الامام
(رحمه الله تعالى) ومن الاغنياء غير أحمد باشا المشاوي أيام وفق للاحسان بماله ولهج
الناس بوقفيته . ومن باب النساءيات قوله في المرأة المصرية :

| | |
|------------------------------|--------------------------------|
| أنت أنت مفعى أمس وحل غد | أنت عليك وان لم تشمري الامد |
| الا ويؤلمه في عينه الرمد | فهبك عيناً فما من الناس ذو نظر |
| الا ويوجعه في قلبه الكمد | وهبك قلباً فما في الخلق من رجل |
| أليس يحمل ما تنلي به الكبد | وهبك من كبد في جنب صاحبها |
| ومن زجال أهانوها وما رشدوا | عميت لامرأة هانت وما اعتبرت |
| ولا مميز إلا ذاك الجسد | فلاهما رجل في الناس وامرأة |
| يستبد الكل حق النهر والبلد | وكل ما حولهم في الذل مثاهم |
| ولا بلاد ولا أهل ولا ولد | يا بنت مصر ولا قوم تنزبهم |
| غني النفوس وهذا الجهل والفند | زانت عيون بني مصر وضل بها |
| وفي نواظر فلاحهم وتد | فانت في نظر الراغبين سائمة |
| صفر اليساره يتكلم العدد | وأنت ينهم في كل منزلة |

أقام في رأسك الجهل الذي سلفت به الليالي وفي أضلاعك الحد
وما يحلان بيتا كان في رعد الا وهاجر منه ذلك الرعد
(فالسحر والزوار والاسياد) جهتها لاهلها نكد ما مثله نكد
مأنت في الصين والاوغان قائمة وللشياطين في كل الامور يد
تأله لو كان من علم وتريسة شيء يمازجه ذا الصبر والجهد
اذا ما سخرت من بت جمعها من يومها السبت أو من يومها الاحد
فهي أرى رجلا فينا أو امرأة بمد الحمود وطول الذل يتعد
ياقوم لو نام ليت الغاب نومكم لاستنكف الفار ان قالوا له أسد
فهذه القصيدة تشعر بأن الشاعر يرى وجوب تسليم النساء لمسلمين من الالهة
والخرافات ولكن له ما يدل على خلاف ذلك كقوله في المقاطيع :

ياقوم لم تخلق بنات الورى للدرس والطرس وقال قيل
لنا علوم ولها غيرها فعلموها كيف «نثر الغسيل»
والثوب والأبرة في كفها طرس عليه كل شيء جميل
وأحسن ما قرأت في هذا الديوان قوله في قون من الوصف وذكر الليل
تقاصر عمر الزمان الطويل ولا بد من أجل للعليل
وضاق به الانق ضيق القبور فزم الكواكب يبني الرحيل
وراح خفت هموم القلوب كما سار بعد المقام الثقيل
لقد كدت أبغض لون الظلام لولا شفاعة طرف كحيل
طوى الشمس فاختبأت أختها فنور الغزالة من وجه فيل
وصكانت إذا احتجبت قبله نجاذبها نسبات الاصيل
ترى البدر غار فأغرى بها وكل جميل يسادي الجميل
أم الحظ أرسل لي ذا الدجى فكان الرسالة وجه الرسول
أم الايل قد قام في مأثم فنه الحداد وفي العويل
ولم أنس ساعة أبصرتها وجسم النهار كجسمي نحيل
وقد خرجت لتعزي السماء عن بثها اذ طواها الافول

| | |
|-------------------------|---------------------------|
| على مركب اشبهته البروج | تمر به كالبروق الحبول |
| اذا قابله لحاظ العيون | سمعت لاسياقهن صليل |
| وان قاربته ظنون النفوس | رايت النفوس عليه تسيل |
| وقد اخرجت فصحات لرياض | زكاة الرياحين لابن السيل |
| وقد عبت الدل بالقانيات | فندي تهادي وهندي تيل |
| كأن الحواجب قوس فسا | تحرك الاجلث عن قيسل |
| كأن القلوب أضلت قلوبا | فكانت لحاظ العيون الدليل |
| حاشم في حرم آمن | بهذا الضلوع بناء الخليل |
| وما راعها غير لون الدجى | يصدىء لوح السماء الصقيل |
| فياقبح الليل من قادم | بوجه الكذوب ومرأى المنذول |
| بيض النيا على ذله | وشمر من الذل بض الذليل |
| وصكم عزني بالاماني القى | ارتني ان زمانى بجحيل |
| ومن امل الناس مالا ينال | كأن فى الناس مالا ينيل |

وثن النسخة خمسة قروش واجرة البريد قرش ويطلب من المكتبة الأزهرية بمصر

حقوق المرأة في الاسلام

أيقظت للمدينة الاوربية العالم كله ووجهته الى حياة جديدة من العزة والقوة
 فن الشعوب الشرقية من سار الى هذه الحياة من طريقها فأدركها وهلك من سار
 على الدرب وصله وكل قاريء يعلم ان هذا هو الشعب الياباني وهناك قوم آخرون
 من الوثنيين في الهند يسرون على هذه الطريق ولو كان لهم استقلال في الحكم
 لصاروا دولة عظيمة . وأما الشعوب الاسلامية فقد وقفت أمام هذه المدينة موقف
 الحائر لا تدري كيف تستفيد منه وأول شعب اسلامي ولي شطرها هو الشعب المصري
 فان حكامه حاولوا اقتباس هذه المدينة منذ مئة سنة ولكنهم لم يسروا اليها من طريقها
 فكانت العاقبة ان احتلت بلادهم دولة اورية في الربع الاخير من القرن
 لم يوجد المسلمين حكومة تقودهم في الطريق الموصلة الى النافع من هذه

المدنية مع التوقي من مضارها ولم يكن لهم زعماء في الدين والعلم اذا قالوا يسمعون، وإذا هدوا يتبعون ، بل ظهر في شعوبهم للتمتع بشيء من وشل الحرية او غيرها (كاسمي روسيا والهند ومصر) كتاب ومؤلفون يدعون الى شيء من الاصلاح الاجتماعي الذي حولت العالم اليه مدينة اوربا ولكن صوت العارف الناصح من هؤلاء الكتاب يكاد يخفى بين ضوضاء الفوقا من المتطفلين والمقلدين والمتعجبين بالكتابة والصحافة ولا غرض لهم منها الا رضاء عامة الدهاء ، او التزلف الى بعض الحكومات او الرؤساء ، ولو من الاجانب والغرباء ، والدهاء في جهول معين ، لا يميز بين الفث والسمين .

لا يكاد يوجد اصل من اصول الاصلاح الذي يحتاج اليه المسلمون الا وله في دينهم دليله يرشد اليه ، او سبق عمل يعول عليه ، وقد حكموا التقاليد والمادات في اعمالهم فلا الى هدي الدين يرجعون ، ولا بما تقضي به حال العصر يعتبرون ، وانما تتدافعهم التقاليد القديمة والحديثة فيندفعون ، ولا يدرون في اي طريق يسرون ، ولا الى اي غاية يصيرون ،

امامك مسألة تربية النساء وتعليمهن وهي من اعظم مسائل الاجتماع في هذا العصر والمسلمون في حيرة لا يدرون الصواب فيها وقد كثرا اختلاف الكتاب والمصنفين فيها حتى كأنهم في مجموعهم خيال ذلك الشاعر الذي اوردهنا كلامه المتناقض في النساء آفأه صاح بعض الكتاب في الهند ومصر ان علموا النساء وربوهن ، فلا ارتقاء لكم مع جهلهن ، فصاح بهم آخرون انكم مخطئون ، تفسدون في الارض ولا تصلحون ، وقد سمعنا في هذه الايام صيحة جديدة من مسلمي روسيا فان احديك آجاييف أحد كتابهم المشهورين ألف كتاباً باللغة الروسية سماه حقوق المرأة في الاسلام ونقله الى اللغة العربية سليم أفندي قبعين وطبعه وقدمه الى قاسم بك أمين الذي فتح بمصر باب البحث في «مسألة النساء» بكتاب (تحرير المرأة) ثم كتابه (المرأة الجديدة)

ليتني كنت أدري ماذا كان لكتابته من التأثير في بلاده واسله كان أقرب الى قلوب الجمهور هناك من كتاب تحرير المرأة الى قلوب الجمهور هنا لان الناس هناك أكثر اعتدالاً وأشد استعداداً فيما أظن ولان اسلوب الكتاب يوافق هوى المسلمين عامة

أقبر في صورة الدفاع عن الاسلام والرد على الاجانب الذين يسيئون به الظن، ويكثرون فيه الطعن، فقد ذكر الكاتب شيئاً من ذلك الأفرنج واختلافهم في الاسلام، وطعنهم في النبي عليه الصلاة والسلام، ثم ذكر انصاف افرادهم عرفوا شيئاً من الحق فطلقوا بعض ماعرفوا، ومن هنا انتقل الي الكلام في حقوق النساء في الاسلام لان الأفرنج يبالغون في الطعن بأحكام الاسلام في النساء، ويمدونها من أكبر علل الشقاق، ذكر ما كان عليه النساء في الامم العربية وغيرها قبل الإصلاح الاسلامي ثم انه ذكر الأحكام التي انقر بها الاسلام في ذلك مستشهداً بالآيات الكريمة والأحاديث الشرعية والأحكام الفقهية على بعض المذاهب وقد انتقل بعد ذلك الى التاريخ فتناول منه شيئاً من سيرة المسلمات اللواتي اشتهرن بالعلم والادب، ويقول المؤلف في الحجاب انه ليس من الاسلام في شيء، ووجه القول ان الكتاب نافع ولا يخلو من افكار جديدة ويقال فيه ما يتناوله النقد فشره مما يزيد المسلمين بصيرة في هذه المسألة إن كانوا يطلبون البصيرة ليعملوا بها وأنى لنا العمل ومن ذا الذي يعمل وهذه مصر التي يذكرها المؤلف ويظن انها طامة قد كثرت فيها الكتب المؤلفة في تربية المرأة وتعاليمها لم تفسر الحال بها بل لاتزال الامم تدمرج في التيار الذي قذفها فيه الحرية الشخصية والتقليد الصوري فيزداد النساء تبرجاً وتعتكازن مع تعاليم البنات في ايدي الاوربيين والاورد كروم ينادي في تقريره الاخير بما علمه القراء في مقالات (الحياة الزوجية) فنحن في حاجة شديدة الى مدرسة اسلامية للبنات كالمدرسة التي كان الاستاذ الامام طازماً على انشائها للجمعية الخيرية وسترى ذكرها في ترجمته رحمه الله تعالى

كتاب الرسائل الزينية

زينب فواز أشهر النساء المتلمات الكاتبات بالعربية لما لها من الرسائل في الصحف المنشورة، والكتب والقصص المنشورة، وقد جمعت رسائلها المتفرقة في الجرائد، وطبعها في ديوان واحد، فاذا هي سبعون أو تزيد، وكم فيها من بحث طريف وموضوع جديد، كالكلام في بدعة الزنا، وما فيها من الأوزار، وكوصف حفلات الاعراس، في ميوت كبراء الناس، وما للنساء من التقاليد والمعادن، في تلك البيوتات، ومن هذه الرسائل مناظرات بينها وبين بعض الكاتبات والكاتبات، ومنها ما هو في وجوب تعليم البنات، * * * * * ومن الكتاب حصة قروش صحيحة يضاف اليها قرش أجره لا يريد وهو يطلب من مؤلفته المقيمة في سوق السلاح بمصر

السبع والانحرافات

وَالْبَقَالِيَّةُ وَالْجَنَابُ

تبرج النساء بمصر

للكلام في مصر دولة ذات صولة بل له دول متعددة يصول بعضها على بعض والحرب بينها سجال، وأكثرها يقع في عالم من الوهم والخيال، هو بمنزل عن عالم الحقيقة والأعمال،

قال قوم ان النساء أسيرات الحجاب في سجون الحجال، قد استضعفن فاستبدعن منهن الرجال، فيجب تحريرهن من هذا الرق، والى عليهن بدمعة النقي، فقام آخرون يقولون ان هذا الحجاب، حكم أنزله الله في الكتاب، فالتهاون فيه إهال لديانه، وجناية على المنة والصيانة، وقد أكثر هؤلاء القول وسودوا صفحات الصحف في التأم والتكوى من الدعوة الى تخفيف الحجاب، ونيز من يراه بالانقلاب

ليس من غرضنا أن نقول ان هؤلاء أو أولئك مخطئون وإنما الغرض أن نبين ان مسألة الحجاب مسألة كلام ومراء، لا مسألة إرشاد وإصلاح، وان الفكرة فيها ليست غيرة على الصيانة وآداب الاسلام، وإنما هي تغاير في ذرابة اللسان وخلافة الأقلام،

نحن نعلم ان نساء المدن الذين يطلق عليهن لفظ الخدرات والمتحجبات، لا يلبسن عسر النساء المسلمات، ثم ان مظهر هذا الحجاب وعنوانه هو البرقع والملحفة التي تعرف بالملاءة أو الحسرة وان خلت صاحبتها بالرجال، وشاركته في بعض المعاملات والأعمال، وكان الاصل في هذا البرقع أن يستر الوجه حتى لا يظهر منه الا العينان والاصل في هذه الملاءة أن تستر الرأس وجميع البدن فلا يبدو منها شيء

فما زال هذا البرقع يرق حتى صار يشف عما وراءه فيبدو مستوراً أجمل منه مكشوفاً وما زال يدق من جانبيه ويتدلى من اعلاه والملاءة تتحسر من حوله فتظهر الجبهة وقصة الانف والاذنان واليتان (صفحتا العنق) والوجتان ثم خرجت الملحفة التي تعرف بالملاءة وبالْحُسْرَة عن كونها ملحفة تستر البدن والياب والزينة فصارت نساء الأغنياء

والنساء من قلدهن من دونهن يستبدان بالملاحفة الساترة عمامة قصيرة تتدلى من الرأس إلى الرقبة وكساء من نسيج العمامة يشدهن على صدورهن ويزررن عمامتهن من أكتافهن ويخرجن وعن كذلك إلى الأسواق والشوارع طامرات من معاصهن الحيلة بالاسورة وسواعدهن إلى المرافق وإذا رفعت إحداهن يدها من وراء الرقبة من العفد لأن أردان جليباها واسعة جداً تشبه أردان فرجاء شيوخ الأزهر *

هذا ما تراه من صيانة عذراتنا المسجونات وراء الحجاب ، في زعم أنصاره بالمال والكتاب ، يخرجن في الأسواق والشوارع تبرج الجاهلية الأولى مظهرات جميع زواجر جميع الناظرين فلا قرط ولا خاتم ولا سوار ولا خنخال ، إلا وهو مرسوم في الطريق لا ينظر الرجال ، والرأس نصفه مكشوف وكذلك الوجه إلا ما على الفم وأربعة الألف من تلك الحريرة البيضاء التي تسمى البرقع وما هو إلا من نوع الشفوف المصروف بالساري (الذي يكون المكتسبي به كالعريان) أو النهمة الذي هو أرق من الساري *

إن أصحاب الفيرة الإسلامية الذين حملوا على قاسم بك أمين تلك الحملة أن قال إنه يجب على المرأة أن تستر جميع بدنها إلا وجهها وكفيها وأن لا تخلو بأجنبي ولا تزيدها لأن هذا هو الحجاب المشروع ، ألا يحملون على اللواتي أظهرن الثمور والنحوور والمعاصم والسواعد والمرافق والأعضاء وطفقن يتبرجن بزيتهن هذه في كل مكان ، ألا يحملون على أزواجهن وآبائهن وأخواتهن وسائر أهلهن فيسفهون أحلامهم ، ويخرجون غيرتهم ، وبأمروهم بامساك أموالهم أن تتفق في إعانة نسائهم على هذا المنكر العظيم ، لماذا تارت حميتهم على القائل ولم تثر على الفاعلين والفاعلات ، فإن رجعوا إلى القول لا يفيد فلماذا خافوا من ذلك القائل ولماذا قالوا في حقه ما قالوا

النساء في مدن مصر لسن مسترقات فيدعي إلى تحريرهن ، ولسن مظلومات فيدعي إلى الرقبة من وراءهن مسترقات للرجال ، ظلمات لهم في الأنف والأموال ، والسبب الخالب في هذا هو جعل الرجال وضعف إرادتهم وسوء إدارتهم فهم غبر رؤساء في بيوتهم ، فإذا كان تعليم البنات وتربيتهم على ما يجب وغاة المدنية سبباً لتفويض الأمة من كبتها وارتفاع

شأنها لأنهم يرين الرجال فيكونون أصحاب عزائم ، ويملأهم فيعرفون حقائق المصالح ، كما أنهم يرين صنفين على التوفير والاقتصاد ، والعمل الموافق لمصلحة البيوت ومصلحة البلاد ، فمن المطالب الآن بتربية النساء ، لأجزم أنهم هن المطالبات بتربية أنفسهن ، لأنهم متصرفات بأرادتهن لأبادة أوليائهن ، ولكن هل يسمعن النداء ، ويوازن بين ما يدعو إليه الجهلاء والمقلد ؟

الحق أنه لا يرجى أن تقوم بتربية حسنة للبنات يرجى منها مقاومة تيار الفساد الجارف الابتغى أمنية الأستاذ الامام رحمه الله وهي إنشاء الجمعية الخيرية مدرسة لهم على الوضع الذي كان عازماً على تنفيذه في العام القابل بعد القيام بجميع الاعانة له في هذا الشتاء كما نذكر ذلك في موضعه فإذا كان عدد أهل الغيرة على الدين والشرف وعلى الآداب والمدنية كثيراً فليبدلوا المال للجمعية وهي زعيمة بهذه الخدمة كما كان يريد ويحاول رحمه الله تعالى

خنوثة الرجال وفسوقهم

ينما في النبذة الماضية أن النساء قد استضعفن الرجال فاتبعن الهوى ، وضلن طريق الهدى ، وصار التبرج في الاسواق ، وابتداء الزينة للصالحين والفساق ، سنة في العمل متبعة ، وإن كان في الشرع بدعة محرمة ، ولذلك يوشك أن تم جميع النساء ، لأنهم خلقوا موامات بالتقليد في الأزياء ، والذنب في ذلك كله على الرجال ، فهم الرعاة وعلمهم تبعه الاحتلال ،

برخي الرجل لامرأته الطول . بعد أن يبذل لها ثمن ما تشتهي من الحلوى والحلل ، ويخرج إلى الطرق والمتنزهات ، يستشرف للظباء الماسحات ، فلا تمر به عذراء الا ويلقي إليها قولاً ، ولا تلمحه عوان الا ويطلب منها نيلاً ، وقد حماني على هذا الذي كتبت الآن اني رأيت رجلين في سن الكهولة عليهما أثر النعمة يمشيان في شارع من اعظم شوارع القاهرة فر بهما فتانان صبيحتا الوجه فكراً على عقيبهما يقتفیان أثر البتتين وينبذان بكلمات التوبيخ التي تفتي لسماعها نفس الحر حتى تكاد تقي . صادف هذا المنظر من نفسي أشد الاستهجان على اني لا اكاد صرف في شارع ولا

أطل من كوة الا وأرى ما يحاكيه او يزيد قبحاً وشناعة وكأن السبب في ذلك اني
توهمت الادب والشكل في الكهين

رأيت منذ ايام شاباً يثار فتاة في حادة واسعة في احد جانبيها قامة واقذار
فكان كلما دنا منها جدت منه حتى اضطرها الى المشي في ذلك الجانب القذر فرأى
من قذارة نفسه وتدن أخلاقه وما كان امتعاض من هذا المنظر الا دون امتعاض من
منظر ذنوب الكهين الذين كانوا يتكلمون بما يعد في العرف البدي نظراً وذوقاً

ما كل متبرجة بني او ملتزمة خدن بل فيهن المقلدة في الزي كـ لا تعاب بين
النساء بالجزء من مجازاة صنفها او بالتأخر فيها يسمونه «المودة» ولكن هذا التبرج
مطعم للفساق - وما اكثروهم لاكثر الله من أمثالهم - ولهم العذر فقد ورد
في الحديث «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية» رواه
ابن خزيمة وحبان في صحيحهما * ودخلت امرأة من مزية للسجد ترفل في زينة
لها فقال النبي (ص) «يا أيها الناس انهموا نساءكم عن لبس الزينة والتبخر في السجد
فان بني إسرائيل لم يلغوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبخرن في المساجد رواه ابن
ماجه والتبخر في الشوارع والتنازه ادعى إلى الفتنة منه في المساجد فربما من ذي
نفس آية، وغيره اسلامية، يسمى في ابطال هذه الازياء الفاضحة، والمعامي القاذرة،
وهل للكتاب أن يحملوا على هذه العادات الشائنة حلة منكرة في الجرائد لهم يفيدون

الحداد والمآثم

وقفت على عادة من عادات اليوت في الحداد لم اكن أعلم بها من قبل وهي
ان النساء يقرشن البسط والطنافس في اليوت متلوكة ويحملن على الاوتك والحمايا
التي يجلس عليها نسيجاً أسود ويفرن سائر ما في البيت من الاثاث والمتاع بعضه بالقلب
وبعضه بالنزع وبعضه بتغطيته بالسواد ليكون كل شيء مذكراً بالمصائب باعناً على
تجديد الحزن واثارة الشجن * وهذه العادات عامة لا يكاد يخلو منها بيت عالم ولا
بجاهل ولا رفيع ولا وضيع اذا مات احد من اهله لاسباب كبير البيت * واتنا محمد
الله ان لم يتل من ربنا بينهم من الاهل والمعاشرين بهذا البعد الشديد عن هدي
الدين والسخط لقضاء الله تعالى * ونسأله تعالى أن يوفق علماء هذه البلاد وكتابتها
الى الاجتهاد في تغيير منكرات الحداد والمآثم * وإزالة ما اعتيد فيها من البدع والمآثم،



بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يدركه إلا أولو الألباب

المعراج

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فينبهون
أولئك الذين هدى الله فبئذ هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و٥ مناراً كمنار الطريق)

(مصر - ١٦ رجب سنة ١٣٢٣ - ١٥ ستمبر (أيلول) سنة ١٩٠٥)

سيرة تلميذ سيرة الاستاذ الامام

نموذج من كتبه وترسله

كتب من بيروت سنة ١٣٠٢ الى صديق عالم في بعض البلاد وفيه
من الحث على احياء دين الله ، والاهتداء بكتاب الله ، مالا تجده مثله في
كلام ، الا ان يكون مثل علي عليه السلام ، قال رضي الله عنه
السلام عليكم ، تحية أخ يهزه الشوق اليكم ، وبعد فقد تلقيت اليوم
كتابك وتشمت منه ريح الحمية ، والعمرة الدينية ، وأرجو ان تصل بك
بدايتك الى ما يختار الله لك من حسن النهاية ولم يكن ظني في همتك ،
دون ما تبينت في عبارتك ، فليكن سرورك بنفسك ، على قدر شفقتك
على دينك ، وحركة ميلك للاخذ بيده ، وتقويم أوده ، فاتما هو الدين
المتين الذي أطلق العقل من قيده ، وأخذ على الوهم في كيده ، وهز النفوس
الى نيل الفضائل ، ونكب بها عن مشايعة الرذائل ، حتى ساد به الضمائم ،
وذلت لسلطانه الاقوياء ، وسبق وعد الله بأن يظوره على الدين كله ، والله

منجز وعده لاهله ، وانما خلقنا الله وكلفنا صرف همومنا اليه ، وتمويلنا في شؤوننا عليه ، وليس لنا من الحق في أنفسنا وأموالنا ، الا ما نبذله في تأييد ديننا ، ولا حاجة لله فيمن لم يكن له من نفسه وماله نصيب

داوم قراءة القرآن وتفهيم أوامره ونواهيه ، ومواعظه وعبره ، كما كان يتلى على المؤمنين والكافرين أيام الوحي وحاذر النظر الى وجوه الناسير الا تفهم لفظ مفرد غاب عنك مراد العرب منه ، أو ارتباط مفرد بآخر خفي عليك متصّله ، ثم اذهب الى ما يشخصك القرآن اليه ، وأهل بنفسك على ما يحمل عليه ، وضم الى ذلك مطالعة السيرة النبوية واقفا عند الصحيح المقول ، حاجزا عينيك عن الضعيف والمبدول ، (*) واعتبر بما قامى النبي وأصحابه من الجهد والعناء لنصر دين الله ، وما ركبوا من المتاعب ، وما احتملوا من المصائب ، على ما تعلم من درجة قربهم الى الله وغفراته لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر ، واجعل عيشك للآخرة واستعد لما وعد فان سعادة أبدية ، لا تنال الا بسيرة محمدية ، ولن تنال بنوم موسد ، على فراش ممهد ، واعلم انك محاسب على الدقيقة من أوقاتك ، لا عزازد بك كانت لك والا كانت عليك ، وأرجو ان يكون كل سميك خيرا يحمله الله نورا يسمي بين يديك ان شاء الله

اما ما ذكرت من مسألة الشيخ . . . فبودي لو توجه الى الله كل مسلم ، واعتصم بحبله كل مؤمن ، فما بالك بشيخ من جمال الوصف على ما ذكرت ، ومن علو المنزلة على ما بينت ، فان تيسر لك السبيل فتقدم

(*) يريد بالمبدول تلك الموضوعات التي ينفذها روح الدين وتأباها قواعده

العامية ونصومه القطبية

لدعوته (أي إلى الاعتصام) وادخل اليه ابتداء من طريق لا يعرفه وتلطف له في القول وإن شئت أطلعتني على شيء من مقالات العروة الوثقى فإذا انتهيت به إلى ما يعرف وأنت منه الميل والرضاء فأما أن يكتب إلي وإما أن يستعد لتأتي كتاب مني ثم سراع إلي بالخبر الخ

وكتب منها إلى طلم كير في بعض البلاد في ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٠٢
أشد ما أجد من فراقك ، حرمانني من محاضرة آدابك ، والاعتباس من نوادر فضلك ، وتمرّف الصواب من صائب رأيك ، وإنما يخفف ألم البعد منك أن أكون بمكان من فكرك ، وأصيب حظاً من مراسلتك ، وجدير بكرمك أن تصل وأصلاً ، ومجيب سائلاً ، وسلامي عليك وعلى أئمتك الصالحين ، والله ينفع المسلمين بسميك وخالص نيتك والسلام اه
فانظر كيف كان إحياء الدين وهم المسلمين والسمي في إصلاحهم بما يدخل في كل أقواله ، كما كان مسيرته في جميع أحواله ، فهل ترن بمثله من ليس لهم حفظ من الدين ، إلا الأكل به من السوقة والفلاحين ، لا يهمهم إلا التحلق حول الموائد ، والتطواف لجمع النذور «والعواید»

سبح قوة عقله وسعة علمه

يصف الناس كل نابغ بالذكاء الفطري ويعنون به سرعة الفهم وسهولة الحفظ ولذلك كنت تجد الناس مجمعين على وصف الاستاذ الامام بالذكاء النادر ، لا يختلف في هذا منصف ولا مكابر ، أما هو فكان يقول عن نفسه إنه متوسط في الذكاء وأنه يوجد في كل مئة رجل ٧٥ رجلاً مثله في فهمه . وعلى هذا كان يجب أن يكون ثلاثة أرباع الناس أو طلاب العلم منهم خاصة مثله ولكن الناس لم يروا في الملايين الكثيرة مثله وإنك لتسمع

كثيراً من أهل الفضل يقولون ان الدنيا انما تلد مثل هذا الرجل في كل عدة قرون مرة وقالوا بعد موته ان الفراغ الذي حدث بفقدانه لا يملأه أحد في هذا العصر . وقد واجهناه في قوله ان ثلاثة أرباع الناس يسارونه في ذهنه وقتلنا له كيف تحصل في الزمن القصير من العلم مالا يحصلونه في الزمن الطويل فقال ان الفرق بين الناس في هذا لا يأتي من الاختلاف في الذهن فقط وانما يأتي معظمه من الاختلاف في توجيه الارادة الى الشيء ومعرفة طريقه وغايته قبل طلبه . وهذه حقيقة لا مزية فيها ولكنها لم تذهب بامراتنا في ان قوله ذلك من المبالغة بمكان وان كان قاله اعتقاداً لا تواضعاً وهضمًا لنفسه . على اننا نعرف من أصحاب الذكاء المدهش من كان ذكائهم وبالا عليهم خاصة أو عليهم وعلى كثير من الناس الذين يعرفون : فالعبرة بما قال وهو ان ادراك المقاصد انما يكون بصحة توجيه الارادة اليها وطلبها من طريقها الطبيعية

بلغ هذا الرجل من قوة العقل ان عجزت الأمراض الشديدة عن منعه المطالعة فكان يقرأ في أيام مرضه أكثر مما يقرأ في صحته التي تشغل فيه الأعمال . أتظن انه كان يقرأ كتب القصص والفكاهات ؟ كلا انما كان يقرأ العلوم العقلية والفلسفة وكتب التربية والتاريخ . وقد رآه من مرضه الاخير مله فيه من المطالعة وقال انه لم يمهّد ذلك في مرض قط فقلت له هكذا شأن أمراض المدة على ان كثرة الأعمال العقلية هي السبب الفعّال في مرضك هذا كما يقول الأطباء . ولم يكن المرض يومئذ قد اشتدت وطأته

وفد أصيب بحمى التيفوس مرة في بيروت فبلغت نهاية شدتها وأعلى

حراوتها ولم يغب عقله ولم يهد لسانه حتى قال الطيب الذي كان يعالجه اني لم
 أر مثل دماغ هذا الرجل ولو حدثت عن مثل ما رأيت منه لما صدقت .
 وكذلك قل بعض الأطباء الذين زاروه قبل موته بأيام قليلة فقد دب
 التسمم في جسمه وعقله حاضر وذاكرته تلي على لسانه الأجوبة السديدة
 في وصف مرضه لمن يسأل عنه . وقد اتفقنا نحن الذين كنا نلازمه على
 ان لا نحدثه في الجدة ولا مسائل العلم والاجتماع وان نمنع عائديه من
 الحديث في ذلك لاسيما بعد اشتداد المرض عليه ولكنه كان ينتقل بنامن
 الفكاهة الى الجدة فاذا ساق شجون الحديث مسألة عويصة أو عبارة
 اجتنب منها ، أسرع ذهنه الى كشف الحجاب عن الخفايا فجلالها ،
 وثقت في عقدة المويص من عراها ،

أذن لنا بذكر الشعر والادب في يوم توارث فيه ثوبات الألف كان
 مما أنشده حافظ ابراهيم من مختار محفوظه قول بشار :

إذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
 وقال انني أنشد هذا البيت منذ سنين وأنا لم أفهمه وسألت عنه غير واحد
 من الادباء فلم يأت أحد بتفسير تراح اليه النفس فلم يلبث الامام ان قال ،
 والالم ينال من كبده ما ينال ، ان معناه ظاهر فانه يريد انهم اذا غضبوا سلوا
 سيوفهم وأشرعوا رماحهم فكان يريقها وامانها هتك الحجاب الشمس الى
 أن يتمكنوها من طلي أعداهم وصدورهم فتخرج وهي تقطر دماء وتسيل
 مهجها ، هنا لك يخفى ذلك البريق واللمعان يستر الدم له وورينه عليه .
 فالضمير في قوله قطرت دما عائده الى السيوف أو الرماح وان لم تذكر
 بالقول فهي معلومة بالقرينة أي على حد قوله تعالى « إني أحببت حب

الخبر عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب» على التفسير المشهور
 ناهيك بمن كان يقتل عامة نهاره وزلفا من ليله بحل المشكلات وإمضاء
 الأعمال في مماهد كثيرة ولا يشكو تعباً ولا يخاف مللاً، كان يصبح
 فيغدو الى مجلس الشورى مثلاً فيجلب المسائل الموضوعة للبحث سواء
 كانت قضائية أو إدارية أو مالية ويؤلف بينها وبين مصلحة البلاد ويؤيدها
 بالحجج القانونية والعقلية التي تصنع الحكومة بمداققتناح الاعضاء ثم يخرج من
 هذا المجلس فيأكل طعام الغداء ويذهب الى الازهر فان كان اليوم يوم جلسة
 الادارة جلسها ومحل فيها عمله ثم ينتقل الى مكتب الافتاء حيث كان ينتظره
 أصحاب الحاجات المختلفة في جميع مصالح الحكومة وغيرها والمستفتون
 والزائرون وكتاب الجمعية الخيرية والازهريون من علماء ومجاورين فينظر
 في هذه الأمور الى ما يبعد المعصر ثم يخرج الى ديوان الاوقاف ان كان
 اليوم يوم جلسة المجلس الاعلى أو الى مجلس ادارة الجمعية الخيرية ان كان
 اليوم يوم جلسته ثم يعود عند الغروب الى الازهر فيقرأ الدرس فيخرج بعد
 المساء قاصداً داره فيجد المفاة وأصحاب الحاجات ينتظرونه في المحطة وفي
 البيت يمرضون عليه حاجاتهم وبعد هذا كله لم تكن تخلو داره ليلة من
 السامرين يتكلمون في العلم والادب والمصالح العامة والخاصة ولا تنس ان
 الايام التي لم تكن موعد الجلسة في تلك المجالس الرسمية هي التي تقرأ فيها
 أوراق تلك المجالس، ولكنه كان على ذلك العقل الكبير والعرفان الغزير
 كثير النسيان للأموال الجزئية لاسيما أسماء الاعلام حتى انه نسي اسم نفسه
 مرة ذهب لزيارة صديق له فلم يجد فساله البواب عن اسمه ليخبر مخدومه
 به فتوقف الاستاذ في الجواب ذهولاً عن اسمه فقال الخادم أقول الشيخ

محمد عبده ؛ قال نعم فأنت اعرف باسعي مني
أتقن جميع العلوم الاسلامية وضرب بسهم في العلوم والفنون
المصرية قبل تعلم اللغة الفرنسية وقد أتقن هذه اللغة في سن الكهولة
وتوسع بها في العلوم على طريقة الافرنج وكان يمني بالعلم على قدر الحاجة
اليه في العمل والإصلاح . فأما علوم اللغة العربية فقد بلغ منها ان كان ادق
الناس فهما للقرآن ، ولغيره من فصيح الكلام ، وأبلغ الكتاب بلا
منازع ، وأخطب الخطباء بلا مدافع ، وأما العلوم العقلية فقد ارتقى فيها
الى أن كان فيلسوفا حكيما اعترف له بذلك من يعتد بعرفتهم . ونذكر هنا
تفسيره لكلمة فيلسوف . حدثنا في طرابلس الشام قال كنا في مجلس بعض
الوجهاء بمصر وكان في المجلس بعض أهل العلم وجملة التلامذ من السوريين .
فقال مامعناه ان الناس قد ابتدؤا لقب فيلسوف فصاروا يطلقونه على غير
أهله وكان أطلق هذا اللقب في جريدة على بعض الحاضرين فجري ههنا
مكلام في معنى كلمة فيلسوف قيل الفيلسوف هو الذي يتقن جميع
العلوم قال الاستاذ اذا لم يوجد فيلسوف في الارض قيل هو الذي اتقن
بعض الفنون وله إلمام بسائرهما قل ان جميع الذين يتعلمون على الطريقة
الحديثة يخرجون على إلمام بجميع العلوم المصرية ويتقنون بعضها فما أكثر
الفلاسفة في المهندسين والأطباء وفي التلامذة أيضا . ثم قال بمسند كل
مقال : الفيلسوف هو الذي له رأي ومذهب في العقليات يمكنه الاستدلال
عليه والمدافعة عنه

وأما العلوم الشرعية فقد كان فيها إماما مجتهدا وان كبرت هذه
الكلمة عند الذين سجلوا على أنفسهم الحرمان من فضل الله على المتأخرين ،

وإبانتهم من العلم والفهم ما آتاه المتقدمين ، وناهيك بفهمه في القرآن ووقوفه على أصول الشريعة وحكمها وأسرارها وقوة حجته في إثبات مقائدها ودفع الشبهات عنها وتطبيق أحكامها على مصالح البشر . ولست أعني بكونه إماماً مجتهداً في الشريعة أنه صاحب مذهب دونه أو كان يريد أن يدونه وإنما أعني ما ذكرت آتاه من فهمه الدين أصوله وفروعه بالدلائل والبراهين والفقهاء والوقوف على حكمه والقدرة على بيانه بدون تقليد عالم معين من العلماء السابقين والأئمة المهديين الذين اتبع آثارهم وامتدوا بهديهم . وكان يرى أن من يضع للناس مذهباً جديداً فاتماً يزيدهم عمى وجهلاً وتفرقاً واختلافاً

حفظ أخلاقه وشيئاً له

الأعمال ثمرات الأخلاق فإذا كثرناه من أعمال الرجل تمثل بعض أخلاقه لأنها بعض آثارها وإن وراء ذلك من أحسن الخلال ، وآيات الكمال ، ما تقتصر عن تمثيله جلائل تلك الأعمال ، ولقد كملت للاستاذ الأمام أصول الفضائل الأربع ، وما نشأ عنها وتفرع ، واثنا شرح بعض أخلاقه لتكون قدوة للمقتدين ،

طبع الله هذا الرجل على عزة النفس وملاؤة الرمة من أول نشأته وقد أدركه السيد جمال الدين الذي درج في حجب السيادة وترعرع في بيت الأمانة وهو مجاور في الأزهر ومنقطع إلى التصوف يلبس قميصاً يبدو من أعلى جيبه صدره الأشعر وقد أرسل جمة كعجة الدراويش فراه من صاحب هذا القشف ما عنده من العزة والاباء وحفظ الكرامة ورقة شمع الشرف وأكبر أن يكون هذا أثر الترية والتخاف في بلاد ساسها الظلم وتحكم فيها الجور المذل للنفوس وكأنه سبق إلى نفسه أن هذا أثر وراثة

لا أحد آباءه الاولين ، وانهم لابد ان يكونوا من الملوك والحاكين ، فقال له مرة : « قل لي بالله أي أبناء الملوك أنت » : وهذا الخلق هو ركن الفضائل الركين ، وناهيك بقول الله تعالى « ولكن المزة لله وارسوله والذومنين » ، وهو الباعث على تلك الأعمال ، والحامل على الاستهانة بما بين يديها من الالهوال ، وقد يشتبه على كثير من الناس هذا الخلق الكريم ، بخلق الكبر الذميمة ، ولذلك كان بعض الحاسدين والجاهلين ينز الاستاذ الامام بهذا اللقب لاسيما عندما كانوا يرونه مترفعا من الدهان والتعلق للكبراء ، معرضا عن يعارضه في مقاصده وان كان من المظماء ، ولو عاشره ناظرين بعين الانصاف لرأوا حقيقة التواضع مع الرفعة كيف تكون . لرأوا كيف كان ذلك الرجل العظيم يخدم الفقير والمسكين ، ويتجافى جنبه عن مضجعه لاجل العفاة والمستفيدين ، ومن دقائق ملاحظته في التواضع انه كان يتحاشى صيغة الطلب الجازم في مخاطبة أصدقائه ومحبيه ، بل وتلامذته ومريديه ، فيستبدل بالأمر الاستفهام والتخيير ويوسع للمخاطب العذر قبل أن يحتاج الى الاعتذار ثم اذا أخلف معه يتناسى فلا يقابله بلوم ولا عتب . اذكر من لطائفه في هذا الباب قوله لي مرة : اني اكون غدا في مكان كذا بعد الظهر فان ذكرت ذلك ووجدت فراغا وأحييت أن تجي ، فقلت : ذكر كل هذه القيود وأنا اعلم انه يريد ان أوافيه حتما ولولا ذلك لذكر لي أنه يكون في ذلك المكان ولم يزد كمادته معي إذ كان يخبرني بمواقفته

وقد عرف رحمه الله تعالى بسلامة الصدر وصفاء القلب والحلم والصنيع فما انتقم من شيء ولا سمي في ضرر أحد قط بل كان يحسن

الى من أساء اليه اذا استنجد به أنجده ، واذا استرفده أرفده ، وان عاد الى
الاساءة سبعين مرة . وكان أهل الخبث والمنكر من حاسديه يظنون
أنهم يخدعون به بدعائهم ودهائهم ولكن فرسته كانت تخرق صدورهم ،
وتنفذ الى سواد قلوبهم ، ويقرأ في صحائف وجوههم الاولى ، ما رسم على
صحائف وجوههم الاخرى ، وإنما قبل منهم ما أظهروا ، ويتعابى مما أضروا ،
عملا بما ورد في الخبر « يصنع المروء مع أهله ومع غير أهله فان اصبحت
أهله فقد اصبحت أهله وان لم تصب أهله فأنت من أهله » وكان يعجبه قول
أفلاطون : استصلاح المدو أحزم من استهلاكه :

نعم كان يغاب عليه حسن الظن وبذلك رفع أناسا الى مراتب لم
يكونوا أهلا لها والناس يمدون ذلك عليه وينقلون عن عذره فيه وهو
ان من رفعتهم ورقاهم كان لابد للأعمال التي رقاها اليها من عاملين فحسن
الظن ببعض من يمكن ان يعهد اليهم العمل وناطه بهم قسهم من ظهروا باختبار
ان ظن الخير فيه صادق فكان صالحا للخدمة شاكرا للصنيعة ومنهم من
ظهر بعد التجربة لؤمه ، وتبين فساد شؤمه ، فلم يصلح عملا ، ولم يشكر
محنته ، ومن هذا الفريق من أساء الى من أحسن اليه ، وكفر حقوق النعم
عليه ، ومنهم من أظهر الوفاء ، في وقت الرخاء ، وأظهر حقدده وضغنه ،
عند الضراء والمحنة ، وليت شعري ما حيلة الرجل الذي جبلت طبيته على
الاحسان وتوجهت همه الى الخدمة العامة ، وقد نشأ في قوم فشا فيهم فساد
الاخلاق ، وقل فيهم الوفاء والاخلاص ، أيمن ان يقال له لا تسد الى أحد
معروفا ولا تسع الى أحد بخير ، إلا بعد ان تجربه عدة سنين ، فتعلم انه
من المصلحين والشاكرين ، كيف وانما يجرب الرجل بما يعهد اليه من الأعمال ،

وما يعامل به من البر والاحسان ،

على أنني لا أنكر أنه كان لسلامة قلبه يفيض أمام بعض من يعتقد
إخلاصهم بما لا تسمع عقولهم ، ويفضي إلى بعضهم بما تضيق عنه صدورهم ،
وأنه كان لمباينته في الحلم ينفو عن لا تنفو المصلحة العامة عنه ، ويصفح
عن يتضي الإصلاح بالانتقام منه ، وقد كان يكون هذا العفو والصفح
مما يخفى على من عفا وصفح عنهم ، كما كان يخفى الانتقام لو أنه انتقم منهم ،
ولعله لولا هذا الخلق لكان نجاحه أسرع وأتم ، وإصلاحه أشمل وأعم ،
وكان من الكمال في الوفاء لأصدقائه ، والغيرة على أحيائه ، بحيث
يهم بشأنهم في السر والجهر والبعد والقرب والغيب والشهود بمثل ما هم
آباؤهم وأبناءؤهم أو أشد وكثيرا ما نراه يسعى في دفع الشر عنهم وفي سوق
الخير اليهم بأشد مما كانوا يسعون لأنفسهم . وما من صديق ولا محب
له وإلا وكان آمنا من انحرافه عنه ، بل من توانيه في الانتصار له ، تأثرا
بقول واش محال ، أو رهبة من كيد قوي ذي محال ، أو طمعا في جاه أو
مال ، وقد كان في وفاته هذا خير قدوة لما شريه والمتصلين به يربي نفوسهم
بأخلاقه وسيرته ، كما يربي عقولهم بعلمه وحكمته ، فريده ومحبوه أشد
الناس وفاء لمن يحبون ، وأعظمهم إخلاصا لمن يصطفون ،

وقد كان على ما علمت من صفحه عن الأعداء ، وكمال الوفاء للأحياء ،
والاحسان لأولئك وهؤلاء ، لا يخاف في طريقه إلى الإصلاح عدوا
مبيناً ، ولا يمتد فيه على الصديق وإن كان ناصحاً أميناً ، وإنما كان
مستقلاً برأيه مع الاستشارة ، مستقلاً بإرادته مع الاستعانة ، وثاقاً بأن الله
يؤيده ويسخر له الناس لإخلاصه لله وللناس ، يستخدم في سعيه كل من

استطاع استخدامه من موافق ومخالف ووطني وأجنبي ولكنه لا يعتمد في قلبه على أحد من الناس ولا يفتر بأحد منهم . كان في الناس من يظن بأن السبب في شجاعته وقوة عزيمته في عمله وتقوفه عند الحكومة وإدلاله عليها هو اعتياده على حربه الكبير الذي يضم جماهير المقلد والمضالء والكتاب والادباء ، وفيهم من يظن أن جرأته ومضاده وإقدامه من ثقتة بتأييد الحكومة له والقوة المحتلة من وراء الحكومة . أما هو فكان يعتمد أنه لا حول له ولا قوة الا بالله العلي العظيم وما وهبه من العزيمة والاخلاص . وقد كلمته مرة في هذا فأقسم بالله أنه يشعر بأنه في هذا الوجود كالبريان الذي ليس له فيه شيء وأنه لا يعتمد على شيء الا على الله وهو المستخر لن يشاء

وكان رضي الله عنه متصفا بحبل الصدق ، متحررا ما يعتمد انه حق ، واذا تذكرت ان علة الطال لنشو الكذب في الناس هي شدة ظلم الحكم ، واستبداد ذوي السلطان ، وأن أ كذب الناس أكثرهم قربا من الظالمين ، ومعاملة للحكام المستبدين ، علمت أن ملكة صدق اللسان لا تربي الا في حجر شجاعة القلب وجرأة الجنان ، ولولا شجاعته لما نادى بمقاومة الاستبداد والاستبداد - كما قال - في عنفوانه ، والنظم قابض على صولجانه ، ولما حافظ على رأيه واعتقاده وان خالف العلماء والحكام ، وخالف الجماهير المعبر رأيهم بالرأي العام ،

هذان الخلقان - الصدق والشجاعة - هما شرطان للتقدم على الاصلاح فالكذب والجبان عدوان لله لا يصلحان لشيء من الخير ولا يصلح بهما شيء . وان التزام الصدق في أمة فشا فيها الكذب ، واعتادت على الدهان والملق ، من أشق الامور على النفوس ، وأبدها عن طاعة التهذيب ، لما له من

الأثر في إحياء القلوب، والتأثير في إثارة البنضاء، وتكثير سواد الأعداء، وتنقية المحبين والأصدقاء، فكيف يتمكنه التكلف مع هذه المنفردات عنه، والرجبات في ضده، ثم كيف يكون ملكة نفسية، لا تكلف فيه ولا روية، لا تحبب الأمر سهلاً فإن الظهور بخالفه أهواء العامة مما يجنب إمامه الملوك القاهرون، وينكمش دونه العلماء العاملين، ولهذا يدهن الرؤساء المرؤسين، ويدهن المرؤسون الأمراء والسلاطين، فالصدق فيما لا يرضي العامة، أشد من الصدق فيما لا يرضي الخاصة، فما بالك بالصادق فيما قد يغضب الثريين، والصابر على الطعن من الجانين، أليس هو في مرتبة الصديقين، التي تلي مرتبة النبيين والمرسلين، ؟

رأيت الأستاذ الامام في النوم بعد موته بأيام فقال لي ان الله تعالى أعطاني مقام الصدق أو قال اني في مقام الصدق فتذكرت كلام الشيخ محي الدين بن عربي في مقام الصدق وحال الصدق ومنه ان صاحب حال الصدق يكون كثير الظهور بالولاية والكرامة كثير الدعوى بحق وصاحب مقام الصدق أعلى وأكمل ويكون في الولاية مجهولاً لا يعرف، ونكرة لا تعرف، وتذكرت جهل الناس بمقام الأستاذ الامام، في لولاية والمرفاق، احتجاباً بظهوره الدنيوي ومعارفه الكونية، عن مرتبته الروحية ومعارفه الدنية، واستيقظت وعلى لساني قوله تعالى « ان المتقين في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر »

ان ما ذكرناه من الشجاعة في التزام الصدق، والمجاهرة بنصرة الحق، هو ما يبر عنه كتاب العصر بالشجاعة الأدبية وانت لا تجهل ان من لا يهاب في الحق وثبات الحكام، ولا يخاف طعن الخواص والعوام، فهو

جدير بأن لا يخيفه الحسام ، ولا ترهبه السهام ، كاشفني رحمه الله صرة بكتاب
جاءه بغير توقيع يهدده مرسله فيه بالقتل اذا هو ظل مسترسلا في عمل
نسب اليه ورأيت غير مبال به ولا مكترث فقلت له ان لك أعداء لا يخافون
الله وانك تجي دارك في الليل وهي في الخلاء بعيدة عن العمر ان فلونظرت
في ذلك : فقال أرتخاف علي من مثل هذا الكاتب المهدد ، اني لم أهني
نفسى الى الآن بأنه وجد في وطني من تجرأ علي الكلمة «أخطأت» ، وسألته
مرة ماذا تصنع اذا هجم عليك لص في الليل أنطلق عليه الرصاص من
هذا المسدس . وأشارت الى مسدس معلق بسريرونمه . فقال لا يجوز
اطلاق الرصاص في البيت فانه يزج النساء والعيال وليس عندي للص
الا قبض عليه والاخذ بقوف رقبته : وكذلك يفعل

ومن خلائقه الانصاف في الرأي والعلم ، كالا نصاب في الحكم ،
والبعد عن المكابرة ، في المذاكرة والمناظرة ، فلم يكن يزدهيه الغرور
والاعجاب ، بسعة العلم وكثرة الصواب ، ولا كان يصده الارتقاء عن مرتبة
المقلدين ، عن الرجوع الى رأي أحد التلاميذ والمريدين ، بل كان رجاءا
للحق اذا ظهر له ، محترم فهم غيره ورأيه ، وهذا الخلق عزيز في العلماء ،
لا سيما ذوي الشهرة والجاه ، ومن طلب آية على هذا فليرجع الى ما كتبه
الإمام الغزالي عنهم في بيان آفات المناظرة من كتاب العلم في الاحياء .
فاذا علم بما كان يجري والعلم حي والامة عزيزة . ومن لوازم ذلك
الانصاف . فما ظنه بهذا الخلق في خلف لم يبق لهم من عزة سلفهم الا
الفخر بها ، ولا من علمهم الا الحكاية ممن تقدمهم فيه ،

من آيات انصاف استاذنا ورجوعه الى الحق ما هو مدون في المنار .

لم ينس القراء ما نشرناه له في تفسير «وأما السائل فلا تنهر» اذ اختار قول بعض المفسرين ان المراد بالسائل من يسأل عن العلم ويطلب التفقه في الدين وذكر في كتابه في تفسير جزء عم ان لفظ السائل لم يرد في كتاب الله عزوانا للفقير والمسكين فظن بعض من قرأ ذلك ان قوله يفيد ان لفظ السائل لم يرد في القرآن بمعنى طالب المال . فذكره رجل من عمدة البلاد بقوله تعالى «والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» فحسب انه أخطأ فيما كتب فأرسل اليّ ورقة صغيرة يصرح فيها بتخطئة نفسه وكافني طبع عشرة آلاف نسخة منها بدمد ما طبع من كتاب تفسير «جزء عم» لتلصق بنسخ التفسير وأمر الجمعية الخيرية بأن تمسك عن بيع الكتاب حتى تطبع الاوراق وتلصق فرجعت الى الجزء فرأيت عبارته صحيحة الا انها مبهمه ليست كالمهود في بيانه فراجعته في ذلك ولم أطبع الورقة فعاد الى التأمل في العبارة ورجع الى مسودات تفسير الجزء فتذكر انه ما كتب تلك العبارة في السائل الا وهو ذا كر لما توهبوا انه ينافيها من قوله تعالى «وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» وقوله تعالى «والسائلين وفي الرقاب» ثم كتب ما كتب في إيضاح العبارة واعترف بما فيها من الابهام واستغفر الله من العود الى مثله وقد نشرنا ذلك في ص ٨١٥ من المجلد السابع من المنار فليرجع اليه من شاء

وكان هذا الاواب الرجاء الى الحق جبلا واستخاف في الثبات والاستقامة لا يرجع عما شرع فيه، فكيف يطمع في رجوعه عما طبع عليه، لانه كان لا يقدم على العمل إلا بعد الرّوية والتدبر، والبصيرة والتثبت، وقد كان السيد جمال الدين يقول فيه هو كالملاك لا يتغير قال هذا بعد ما غاب غيبته في بلاد

المشرق ثم عاد إلى أوروبا ورأى فيها جماعة ممن كان يعرف قد تغيروا عما كان
يهدد إلا الشيخ محمد عبده فانه لقيه كما تركه

ولا حاجة إلى الكلام في جوده وسخائه فانه صار فيه على اكتسابه الصدقة
وإخفائه البذل أشهر من علم وعرف الناس كثيرا من البائسين والعجزة الذين
كان يمولهم ويوصيهم بالكرمان. ولم يكن في أيام السراء أبسط يدا منه
في أيام الضراء، لقيه صاحب في بيروت فقال له ان والدي قد توفي وليس
لدي ما أنفقه في تشييعه فأعطاه كل ما كان يملكه من النقد وهو راتبه
الشهري من المدرسة السلطانية كان قد قبضه ولم ينفق منه شيئا ولكن
الله أخلف عليه بما لم يكن يحتسب فقد كان له دين عند رجل في مصر
يلويه ويعطيه به أيام كان يتقاضاه، وهو يراه فيستحي منه ويخشاه، فما
مر يوم على بذل جميع ما في يده وإيثار صديقه على عياله حتى آذنه مصرف
(بنك) بيروت بأن حوالة برفية جاءت باسمه من مصر وإذا هي دينه
على ذلك الرجل « ومن يتوكل على الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب » وكان اذا وفر شيئا من النفقة صرفه في سبل البر. كان يدخل
بالفائف المعروفة بالزبوية وبالنارجيلة (الشيشة) ثم ترك التدخين بالمرّة
وجعل ما كان ينفقه فيه صدقة ولولا بعض أصدقائه لما امتلاك من طين
هذه الارض شيئا ولا حاجة إلى بيان ذلك هنا

لبي لا احتاج إلى التنويه بغيرته على ملته وأمه فان بذل حياته كلها
في السعي بترية الأمة على آداب الملّة لم يكن الا أثرا من آثار هذه النيرة
فالدليل وجودي عملي عرفه القريب والبعيد واعترف به العدو والصديق
ولكنني أذكر في هذا الباب شيئا لا يعرف نظيره إلا بعض أصفياه الذين

لم يحب عنهم شيء من أحواله

جنته مرة في رمضان (سنة ١٣١٥) بعد الظهر على موعد قليل انه
 نائم ولم يكن ينام في مثل هذا الوقت بل كان ينام طائفة من الليل ثم يقوم
 في السحر وليت بعد السحور الى أن يصلي الصبح ثم ينام حتى ترتفع
 الشمس فكثرت ريتا استيقظ فسالته ما انا له قال ما مناه ارتقي اليلة الفكر
 في حال المسلمين وما ينزل بهم من البلاء يبعدهم من دينهم واتباع أهوائهم
 وشهواتهم وقوي سلطان الفكر فهاج الجموع المصري ونبه تنبها شديدا
 حتى حدثني نفسي بأن أنزل الى حيث يكثرا اجتماع الناس كالوسكي
 والازبكية فأقف في الطريق وأنادي أيها الناس ماذا رأيتم في دينكم من
 القبيح حتى تركتموه ، وماذا رأيتم فيما اخترتم بديلا منه حتى تقلدتموه ،
 ثم أخطبهم في حقيقة ما هم فيه ، وأنذرهم عاقبة ما هم عليه ، وأبين لهم طريق
 النجاة منه ، وقد عاجلت النوم فلم أملك منه شيئا فلجأت الى الكتابة وما
 صكنت لا أكتب في الليل فجرى القلم بفصل جملة آخر فصول رسالة
 التوحيد فثابت الي بعد ذلك تسي ورا ان النوم على عيني ولكن الليل
 قد آذن بالرحيل فلم أثل منه نيلأ فكانت هذه النومة في النهار عوضا
 عما فاتني في الليل

أقول قد عرف من سبق له قراءة رسالة التوحيد ان الفصل الذي
 كتبه في تلك الحالة هو الفصل الذي عنوانه (انتشار الاسلام بسرعة لم
 يعمد لها نظير في التاريخ) ولمصري ان ذلك الفصل لقول فصل ، وما
 هو بالهزل ، أملاء على كاتبه الالهام ، حتى كاد يكون ممجزة من معجزات
 الاسلام ، وقد قال في أوائله

« ابتدأ هذا الدين بالدعوة كغيره من الأديان ولقي من أعداء أنفسهم أشد ما يلقي حق من باطل ، أوذي الداعي صلى الله عليه وسلم بضروب الأذى ، وأقيم في وجهه ما كان يصيب تذليله من العقاب لولا عناية الله ، وعذب المستعجبون له وحرموا الرزق ، وطردوا من الدار ، وسفكت منهم دماء غزيرة ، غير أن تلك الدماء كانت عيون المزام تنفجر من صخور الصبر ثبت الله بمنظرها المستيقنين ، ويقذف بها الرعب في أنفس المرتابين ، فكانت تسيل لمنظرها نفوس أهل الرب وهي ذوب مفسد من طباعهم فتجري من مناخرهم جري الدم الفاسد من المقصود على أيدي الأطباء الحاذقين » لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكَبَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ » تألبت الملل المختلفة ممن كان يسكن جزيرة العرب وما جاورها على الإسلام ليحصدوا نبتة ، ويخنقوا دعوتها ، فما زال يدافع عن نفسه دفاع الضيف للأقوياء ، والفقير للأغنياء ، ولا ناصر له إلا أنه الحق بين الأباطيل ، والرشد في ظلمات الأضاليل ، حتى ظفر بالعزة ، وتمزق بالمنمة ، وقد وطىء أرض الجزيرة أقوام من أديان آخر كانت تدعو إليها وكانت لهم ممالك وعزة وسلطان وحملوا الناس على عقائدهم بأنواع المسكاره ، ومع ذلك لم يبلغ بهم السمي فلاحا ، ولا اتا لهم القصد نجاحا ، الخ

وجتته مرة في داره بعين شمس (سنة ١٣٢١) وكان قد وعك غداة يومه فرأته ينظر في ثلاثة كتب عربية يقرأ المسألة في كل منها فسألته ما بك وما هذا الذي تنظر فيه فقال هو التهج المصبي الذي يلم بي أحيانا من الفكر في الامور العامة وهذه كتب في أصول الفقه فهو بمباحثها عن

القرآن فاني اذا فكرت فيه رأيت بهذا المسلمين عنه فيقوى التمسك بالعصبي
واما عاداته فقد كان يخالف فيها علماء هذه الديار بخالفهم فيما يكره
شراً أو عقلاً كتطويل الأثران وتوسيمها وجبر الأقبال فكان زيه أقرب
إلى زي علماء سوريا منه إلى زي علماء مصر . وكان يكره أن تقبل يده
بل يصافح الناس مصافحة وقد منع الأثرين عن تقبيلها بعد الدرس كما فعلهم .
وكان يكره أن ينشد أمامه شعر أو يقرأ شيء في مدحه يكره ذلك رأياً
وشعوراً فيتألم لسماعه وينفر منه . ولما كتب ما كتب في الرد على مقالات
هانوتوفى الاسلام ونشر ذلك في المؤيد معزواً الى أحد أئمة الاسلام لم
يخف على الناس أنه هو الكاتب لا اعتقادهم أنه لا يوجد في مصر من يقدر
على مثل ذلك غيره وقد ذكر هذا أمامه فظهر التغير على وجهه وقال إنه
لا يؤمله شيء مثل هذا لانه إقرار بأن أمته بانفت من الجهل ان اتفرد فيها
واحد بالقدرة على أداء بعض الواجبات التي كان من الضروري أن يضطلع بها
كثير من أفرادها في كل بلد وأي ألم أشد من ألم من يجب ارتقاء أمته
ورفعة شأنها وهو يراها بهذه الحال من العجز (قال) ومن البلاء ان يعجز
الانسان في هذه البلاد عن التنكر في بعض الخدم التي تقضي المصلحة بتنكر من
يخدم الأئمة بها . وقد ذكرني قوله هذا قولا آخره قريبا منه وهو إني أحب
لو يكون في قومي كثير من الناس الذين يفضلوني في كل علم لأن ذلك
يميني على تكميل نفسي بالرجوع إليهم فيما أجعل والاستعانة بهم على ما أعجز
ومن أكبر المصائب على محب العلم ان لا يجد من يستمد منه فيقف علمه عند
حد بحثه لا سبيل إلى ضم بحث غيره إليه .

(لها بقية)



المصاب العظيم * بوالدنا البز الرحيم

﴿ انا لله وانا اليه راجعون ﴾

في يوم الاحد رابع رجب الحرام فجعنا بوفاة والدنا وصربينا وصربي اليتامي وكافل الارامل الشيخ الجليل ، السيد النبيل ، علي رضا الحسيني الحسيني أحد سادات الديار الشامية المشهورين ، وأجواد الأمة المحسنين ، وله من السن ستون سنة أو ثلاث وستون سنة في الاكثر (وليس عندي هنا قيد لسنة ولادته) فصرنا واحتسبنا رجاء صلوات ربنا ورحمته وهدايته ومشوبته فلم تقل ولم تفعل ما لأرضي ربنا جل جلاله فله ما أعطى وله ما أخذ واليه المصير

وله نعمه الله تعالى برحمته ورضوانه في قرية القلمون بسفح لبنان من الجهة الشمالية بجوار طرابلس الشام وفيها تعلم مبادئ القراءة والكتابة ثم اشتغل بطلب العلم في طرابلس على المرحوم الشيخ محمود نشابة أشهر علماء الديار السورية وشيخ الشيوخ في طرابلس عدة سنين وأدى امتحان العسكرية فيها غير مرة ثم انقطع عن الطلب قبل أن يتم حضور الكتب ويصل إلى مقام التدريس لشدة حاجة والده إليه في إدارة أملاكه والنظر في أعماله مع الحكومة والناس اذ لم يكن يومئذ له ولد رشيد سواء ولكنه لم ينقطع عن المطالعة في كتب الدين والادب والتاريخ بل كان يتراوح بين هذه الكتب ما سمح له الوقت وكان قوي الذكاء طاق اللسان جريء الجنان يذكّر ما يحفظ من الاشعار وأخبار الاوائل ووقائع الاواخر كلها عرض ما يذكر بشيء منها ولكنه كان يبدل الشيء المحفوظ كما قرأ أول مرة فان اتفق ان كان محرفاً أو ملحقاً أعاده كذلك عند الاستشهاد به غالباً وان عرف بعد حفظه بما فيه من خطأ أو تحريف كأن ما ينطبع في ذهنه لا يقبل الخور وكأن ما يعرض به ذلك من التصحيح ينطبع في مركز آخر من مرا كز الدماغ فلا يلقيه إلى اللسان إلا اذا اورد المحفوظ لاجل بيان محته . ومن قوة ذاكرته انه كان يحفظ كل ما صر به في سفره وحضره وكل ماله عند الناس أو لهم عنده من الحقوق المالية وان طال عليها الزمان .

وكان مهيباً وقوراً حق في طور الشباب يجبه كل من جالسه وان كان أكبر منه

سناً أو فضلاً وجهاً كشايخه وكبار الحكماء. وأعرف ما عرف به وغلب على سائر أخلاقه الجود والسخاء فقد كان مضيافاً متلاًفاً مبذول القربى لكل طارق من غني وفقير وقريب وغريب ومسلم وغير مسلم كل من نزل به يلقى ما يليق به من الأكرام والرفادة وكان في أول العهد يتكلف لأهل الوجاهة والثروة إذا استضافوه زيادة مما جرت به العادة في المنزل ويقدم لهم ما راج حتى كنا نشكر عليه ثم رجع عن هذا إلى قاعدة الصوفية « لا تبخل بوجود » ولا تتكلف لفقود » حتى ربما أنكرنا ذلك أحياناً ، ولا حاجة لاستثناء ما لأهل الخصوصية الذين يدعوهم إليه من الاختصاص وإنما الكلام في العادة اليومية مع الضيوف وقد بلغت عنايته بأبناء السبيل أنه كان يحمل الطعام إليهم بنفسه أحياناً وقد جاع الناس في سنة من السنوات فكان يرسل الدقيق والأرز إلى بيوت الفقارين الذين يفضلون الموت على السؤال في حنادس الظلام والناس نيام وله في إخفاء الصدقة حذق غريب

أثم السلاطين النظام على جددنا الثالث بسبع قراريط من مال عشر القمامون وما يتبعها من المزارع لينفق منها على مسجده الذي جرده في القرية وعلى نفسه فلما وصل هذا إلى والدنا رحمه الله تعالى سكا في الغالب يأخذ من الحكومة حصتها بما يسمونه الالتزام ثم يسمح لأكثر الأهالي بشتر كثير مما يزورون من البقول وغيرها وما يجنون من الثمار لا يعني إلا بشتر حب الحصيد والزيتون وكان كثيراً ما يفوض إليهم أمر ما يجب عليهم من غير أن يحرص ويقدر - يجيئه الرجل بشيء من الزيتون مثلاً ويقول هذا عشر ما جئت فيرضى ويعطيه الآخر شيئاً من التقدير ثم انه عشر ما استفاد من أرضه فيقبله وكنا نقول له يجب أن تضبط جميع مالك عند الناس ثم تأخذ ما شئت وتسمح بما شئت فلا يعجبه وكان كريماً بجاهه أيضاً إذا قصده بحاجة أو قدر على دفع مكروه أو جب منفعة للناس فإنه يبذل جهده

وكان حسن المجاملة عظيم التساهل في معاشرة المخالفين في الدين مع الفيرة الشديدة على الإسلام والمناصرة عنه بما يحجج الناظر ولا يؤذيه وإني منذ دخلت في سن التيسير أرى في دارنا وجهاء الثماري من طرابلس ولبنان بل وأرى فيها القسوس والرهبان لاسيما في أيام الأعياد وأرى الوالد رحمه الله تعالى يعاملهم كما يعامل من يزوره من

الحكام ووجهاء المسلمين ويذكر ما يعرف من محاسنهم في غيبتهم بكل إنصاف وقد كان هذا من أسباب دعوتي الى التساهل والوفاق وتعاون جميع أهالي البلاد على ما يرقى البلاد مع القسط والبر المشروعين فان الانسان اذا تربى على شيء ورأى ثمرته في نفسه وفيمن يعاشر كان أعرف بفائدته لانه على فكره ووجدانه فيه

وكان شديد الفيرة على الدولة العلية وقد عرف كثيرين من وزرائها وعظماؤها كالمرحومين شرواني باشا وحدي باشا اللذين وليا الصدارة وولاية سورية وكامل باشا والي أزمير اليوم والصدر الاعظم من قبل وجميع متصرفي لبنان السابقين وغيرهم فكان لا جلاله طؤلاء واعتقاده بحسن سياسة أكثرهم كبير الامل في الدولة ولا أعلم انه صدر منه قول ولا فعل ينافي الاخلاص للدولة والسلطان العظيم وكان يعز على الجواسيس المفسدين أن يأخذوا من أقواله ما يشون به عليه الا أن يكون حسن ذكره وثنائه على أميرها الماضي وأميرها الحاضر وقد زارها في أيامها على أنني عرضت عليه عند ما زار مصر في سنة ١٣١٧ أن أستأذن له في زيارة لا مير فلم يرض ومع هذا كان يملأ الاندية تناء على سموه وعلى الاستاذ الامام وكذا على صاحب المؤيد الذي عرفه هنا وأما اتهامه بالسياسة في هذا العام ، وجعله تحت المراقبة الى أن وافاه الحمام ، فسيبه وشاية من مصر فيه الى السلطان بأنه من أعوان صريدي إقامة الخلافة العربية (الموهومة) على انه منذ سنين لم يفارق القرية فهل تقلب الدول وتؤسس الممالك من شيخ صريض في قرية لازعاء فيها ولا ثروة ولا سياسة ولا حكومة ولا مدارس ؟ ؟

وأن تعجب فمعجب عجاب ان تهتم الدولة بأمر الشيخين - الشيخ محمد عبده والسيد علي رضا - وتأخذ الحذر منهما بعد ان زل بهما مرض الموت وأعجب من هذا ان يبقى هذا الحذر على أشده بعد موتهما فان كانا قضيا عمرهما ولم يحفظ عنهما قول ولم يعرف لهما فعل يؤذي الدولة فهل يخشى من رفاتهما في القبر أن يقلب دولة ويؤسس دولة ؟ يا للخبيل ، من تلاعب سفهاء الجواسيس بالدول ، الحق أقول اني كنت شديد الميل الى البحث في خلال الدولة وبيان طرق إصلاحها وما منعي من الاسترسال في ذلك الا الشيخان اعلم ان والدي يستاء ان كتب ما لا يرضي الدولة وأستاذي كان ينهاني عن الكتابة في السياسة مطلقاً وكان الوالد نفسه الله برحمته مضطماً بكمال الصبر في المصائب ابتلي بمرض الصدر

المعروف بالربو وهو في شبابه فكانت النوبة تشتد عليه أحياناً حتى يمنه الزفير من النوم والكلام المتصل فلا تراه إلا حامداً شاكراً وكان فخوراً بنسبه إلى البيت النبوي خلافاً لما عليه أسرتنا من البعد عن الفخر وكان سنياً شافعي المذهب ويميل إلى الشيعة إلا أنه يعظم الشيخين والسيدة عائشة ويقول في معاوية «لأنسبه ولا نحبه» وينحي على غير الصحابة وظهر بن عبد العزيز من بني أمية إتحاء شديداً وقد كان يقرأ في كتاب أمام استاذه الشيخ محمود نمابه فجاء ذكر معاوية فقال له الشيخ لم لم تقل «سيدنا معاوية» قال الوالد «سيدكم معاوية» قال الشيخ ألا تعترف بالسيادة لصاحب الرسول صلى الله عليه وسلم وكتاب الوحي؟ قال اني لم أنكر صحبته ولا كتابته للوحي ولكن أقول انه لاسيادة لاموي على هاشمي؛ فسكت الشيخ رحمه الله تعالى وكان الشيخ يحترمه حتى كان يخاطب جميع تلامذته ويذكرهم بأسمائهم ولا يذكره إلا بلقب السيد

وكان طيب الله نراه سليم القلب بريثاً من الحقد والحسد بعيداً من الأذى والانتقام إلا أنه كان يحتقر من طأده، بقدر ما يتودد لمن والاه، فلا يعرف الدهان والتأني وكان باطنه خيراً من ظاهره لأعدائه وأحبائه فهما أعرض عن عدوه وأزدرى به في الظاهر لا يستحل أن يؤذيه في الباطن واني لا أستحي أن أصنف ما امتاز به في معاملة الأصدقاء لا يشتم منها رائحة النقة على أحد منهم مع أنه كان يرى لهم النقة إذا حكموا في ملكه حكمه فيه

وجملة القول ان مزاياه كثيرة وفوائده عظيمة ولا بدع فان البيت الذي نشأ فيه يندر ان يوجد مثله في هذه الامة الآن في سلامة الفطرة وطهارة الاخلاق وحسن الفعال واني والله لم أحكم هذا الحكم إلا بعد الاسفار وطول الاختبار بل أقول ان قريتنا تمتاز على القرى والمدن التي نعرفها بالخبر والخبر بالهفة والشجاعة والتقوى والاخذ بالسنن والبعد عن البدع وانما كانت كذلك بوجود بيتنا فيها اذ لا يخلو مسجدنا من واحد منا يقرأ علوم الدين والتهديب للامة واستمداد أهلها للعلم عظيم وكلهم في الأصل شرفاء النسب مشهورون بالسيادة وقد كتب في سجل الاحصاء العام للدولة المودع في الباب العالي المعبر عنه بالدر كنار «القامون بسيادة القرى والمزارع» نعم صار فيها

دخلاء كثيرون أكثرهم من مسلمي لبنان وأكثر ما يقع فيها من المخالفات الضرب وسرقة الثمار وفقى الله أهلها وتاب عليهم أنه هو التواب الرحيم
ومما كنت أنكره على الوالد عفا الله عنه بعدما عرفت طرق التربية الحديثة وقرأت علم الأخلاق اختيار الشدة والترهيب في التربية فقد بلغنا مبلغ الرجال ونحن نهاب مؤاكلته ومكالمته والانسكاء أمامه . وكان يماقنا على الذنب بالأعراض والهجران حتى توصل اليه بأن يرضى . وقد صار في أخريات سنه يمازح أولاده الصغار ويجمعههم على الطعام ذكرانا واناثا إذا اتفق خلق البيت من الضيوف وكان يوصينا دائماً بالخوف من الله تعالى دون سواه . عفا الله عنه وأحسن اليه ورحمه رحمة واسعة بمنه وكرمه وأحسن عزاءنا عنه وثوابنا فيه

عفا الله عنه وتغزينا عنه

توفاه الله عن ستة ذكور أكبرهم صاحب هذه المجلة (المنار) ومنهم ثلاثة يشتغلون بالعلم في الأزهر وواحد في السجن منهم بالسياسة وهو منها بريء وبها جاهل ولها غير مستند وواحد في القرية لأغنايه . وقد كتب اليها أحد علماء سوريا الاعلام في التزنية مانصه :

«إن الله، ولا حول ولا قوة الا بالله، مصاب بدم مصاب، وخطوب تذهل الالباب، لقد جلت الرزية، وقد حلت المصيبة، وتضاعف الاسف، وتجددت الاحزان، بوفاة السيد السند الكريم، الوالد البكر الرحيم، الذي فجع به الفضل والكرم، ورزى به الحمد والشرف، وإنما غار الله له، فأختار له ما عنده، فنقله من دار المحن والشجن، الى دار الكرامة والمنن، وأقنعه عن أرادوا به كيداً، وأمهلهم رويداً، واسوف يأخذهم عذاب يوم شديد، ان ربك فعال لما يريد، وان من أنجب منك أيها السيد الكريم فهو حي باق أمد الدهر، لا يموت له ذكر ولا ينقطع له أجر، بل طوبى له وقرة عين، لاسيما بجوار سيد الكونين، تقمده الله برضوانه وعظيم رحمة، وأسكنه بمجوعة جنة، وأحسن عزاءكم عنه جميعاً، وأنزل عليكم السكينة والرحمة، وأسبغ عليكم النعمة والمنة، وضاعف لكم الاجر، وأفرغ عليكم جيل الصبر، إنا الى الله راغبون، ومثل هذا المصير صائرون، أسأله تعالى أن يعوضك وأشقائك عنه خيراً ويعوضنا بطول حياتكم الخ

وكتب آخر من أهل العلم والأدب هناك معزياً عن الأستاذ الإمام والسيد الوالد
«أعزى السيد أطال الله حياته عن رزأيه بأبويه، ومصيبته في والديه، وما أجملها
من رزئين عظيمين، وخطبين جسيمين، فأما رزؤه فقد أصيب به الإسلام كله، وبكى له
العالم بأسره، وانقطع لاجله نور المرفان، وغبضت ينابيع الفضل، وهبطت أجنحة
النهضة، وانقطع به ما اتصل من الآمال، واختل ما انتظم من الأعمال، وأما رزؤه فقد
ذبل له روض الكرم، وهوى نجم الشرف، وسقط عمود الجدا القديم، والحبيب المصمم،
فأحسن الله عزاء السيد عنهما، بمبارته منهما، من المجد الذي لا يباهى، والعالم الذي
لا يتباهى، أن شاء الله تعالى، الخ

وكتب غيرها من أهل الفضل والوجاهة في تلك البلاد والكلام كله في سياق
واحد فشكر لكل واحد فضله، ونكتهم خوف الظلم اسمه وبلده، أما الجرائد
السورية فلم تكتب شيئاً عن وفاة الشيخين لأنها لا حرية لها فهي تخاف أن تكتب ثم
أن هي سلمت من الضر، فلا يؤذن لها في النشر

ولما بلغ نعيه هذه البلاد كتبت الجرائد اليومية الشهيرة ما كتبت، وألقى
إينا البرق والبريد من رسائل المحبين في التعزية ما ألقى، قالت جريدة الأهرام
في العدد ٨٣٥٢

ورد من طرابلس الشام نعي الشيخ الجليل السيد علي رضا والحضرة العلامة
المفضل السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الإسلامية

توفي إلى رحمة ربه في يوم الأحد الماضي وهو في نحو الستين من عمره تاركاً
في دنياه أحسن ذكر مقدماً للآخرة أعمالاً طيبات فعز المصاب به على آله وطار في
فضله ونبله إذ كان الرجل وجيهاً في قومه رحب الصدر طيب الخلق مضيافاً كريماً
مازار القلمون زائر الأركان في منزل الفقيد كانه في منزله ولا يذكر لهذا البيت
الكريم من قديم الزمان حتى اليوم إلا كل مائة طيبة وفضل ونبل

وقد شيعت جنازته في بلدته القلمون بمشهد كبير يلقي بمقام هذه الأسرة الحسنية
الشريفة فتحن أمزي حضرات أنجاله الكرام وآله الأفاضل على فقده سائلين له
الرحمة والرضوان ولهم العزاء والصبر الجميل

وقالت جريدة الظاهر في العدد ٥٤٨

بلغنا عزيز الأسف انتقال فضيلة الحبيب النسيب والمسلم الفاضل السيد علي رضا الحسيني من أعيان طرابلس الشام وأشرافها إلى رحمة الله تعالى ورضوانه نهار الأحد ٤ رجب من عمر ناهز الستين قضاء في البر والافادة وعمل الخير أثر مرض حارت فيه الأطباء في بلده القلمون فكان نصيبه رنة أسف عظيمة في البلاد السورية لئلا من سمو المكانة وعلو القدر وشرف الأصل وعميم الاحسان تعمد الله برحمته وأسكنه فسيح جنته

وقالت جريدة المقطم في العدد ٥٠٠٢

ورد على حضرة العالم الفاضل الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار نعي المرحوم والده الجليل الشيخ علي رضا امام القلمون وشيخ جامعها توفاه الله يوم الأحد الماضي (٤ رجب) في القلمون عن ستين عاماً قضاها في عمل الخير والصلوات وهو من بيت مجد موصوف بالكرم وحسن الضيافة ومعروف في لبنان وولاية بيروت وقد خلف ستة أولاد وكلهم من النجباء وأكبرهم حضرة الشيخ رشيد المشار إليه آنفاً وقد لقي الفقيد رحمه الله من اضطهاد الحكومة الحميدية وظلم عمالها وقسوتهم ما اضناه وعجل عليه بالوفاة فقد كان يحتضر والمساكر العثمانية ملازمة باب داره ليلاً ونهاراً خوفاً من ان ينهض عن فراش الموت ويخلع السلطان أو يثل عرش آل عثمان في حكم عقلاء هذا الزمان وابنه المدير أمور بيته في غياب اخوته مطروح في سجن طرابلس الشام حيث يتقلب على حجر المذاب ريثما تتمثل المحكمة أمر الظالمين وتحكم عليه بالعقاب وكل هذا الجور والظلم بناء على وشايات قوم يفضون صاحب المنار ويحقدون على فقيد الوطن المرحوم الشيخ محمد عبده فاجتمع الشيخان الجليلان الآن امام عرش العادل الديان يدعوان الى قاهر الفتاة ومؤدب البغاة ان يجير الضعفاء المظلومين ويكشف شر الطغاة الظالمين

وقالت جريدة الاخلاص في العدد ١١٠٠

﴿ انا لله وانا اليه راجعون ﴾

نعي الى حضرة وصيقتنا المحبوب العالم الكامل المذهب الشيخ رشيد رضا أقدي

صاحب مجلة المنار الفراء والدما الجليل سليل بيت المجد الاثيل الشيخ علي رضا امام القلمون وشيخ جامعيها في طرابلس الشام فكان لتعبه ورنه أسف وحزن لا مزيد عليهما لدى كل من عرفه لانه فضلا عن حسبه ونسبه كان رحمه الله من ذوي الغيرة على الفقراء والبائسين مشهوراً بالجود والكرم ومحباً للخير والاعمال الصالحة قضى ستين عاماً من عمره وهو في مقدمة الفيورين على دولته ووطنه ولكن في المدة الاخيرة وشي الواشون بحقه على أثر وفاة المغفور له فقيد الاسلام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فأهين من رجال حكومة الدولة على ما بلغنا فكانت هذه الاهانة سبباً كبيراً لفقد حياته المزيّنة

ولقد ساءنا ويسوءنا وأبى الله كلما سمعنا خبراً كهذا عن رجال دولتنا العلية ومعاملتهم هذه المعاملة لرجال اشتهروا بالغيرة والاخلاص نحو سلطانهم ودولتهم فكيف هذا الفقيد الجليل . وهذه هي الفرص التي يشهزها الاغيار منافحون حفظونها لنا في سجلاتهم الى أن يجي اليوم الذي يحاسبوننا فيه عليها .

فيا أيها الرجال الامناء والمخلصون للدولة وللجالس على كرسي الخلافة العظمى اتقوا الله وفكروا في ما هو أهم لصالح الدولة والامة . اخدموا اجلالة السلطان باخلاص اللسان والفؤاد وانفذوا الوشايات واتركوا هذه الخطة الذميمة لانها لا تفيدكم المرام وهب انكم نلتهموه فسوف تجازون عن عملكم هذا لانه قليل . بالكيل الذي تكيلون به يكال لكم وازود) تقربوا الى جلالة المتبوع بطريقة غير هذه الطريقة حتى ان الله تعالى يبارك لكم في أموالكم وعيالكم وينقذكم وينقذهم من شرور الزمان وغدراته وقد كفى ما حل بنا وبدولتنا العلية والامة والوطن من سوء أعمال بعض رجال الدولة الخائنين الذين يتظاهرون بصدق الخدمة نحو المتبوع الاعظم ولكنهم أولى المنافقين . والآن بما ان المجال ليس مجال وعظ وارشاد بل نهي فقيد تأثر لموته الكثيرون فوعدنا بنشر شيء من هذا القليل في أعداد قادمة ان شاء الله

هذا وفي الختام نقدم واجبات العزية لجناب زميلنا الفاضل المذهب الفيور الشيخ رشيد رضا أفندي وجميع اخوته انجال الفقيد والله نسأل أن يفرغ في قلوبهم حبس الصبر والسلوان ويتمتع فقيدهم الجليل بواسع الرحمة والرضوان اه

بوتها الحكمة من يشاء من يوتي الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يندكر إلا أولوا الألباب

الحكمة
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون إلي القول فينبغون أحب
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوى وده منارات كمار الطريق)

﴿مصر - غرة شعبان سنة ١٣٢٣ - ٣ ستمبر (أيلول) سنة ١٩٠٥﴾

الحياة الزوجية

﴿٥﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقُرُونَ * (سورة الروم ٣٥-٢٠)

﴿الركن الثاني من أركان هذه الحياة - المودة﴾

تكلّمنا في المقالات الأربع السابقة من هذا البحث عن الركن الأول من
أركان الحياة الزوجية وهو سكون كل من الزوجين الى الآخر وبيننا أنه يتوقف
على حسن اختيار كل منهما للآخر وهذا الركن خاص بالزوجين عليه تبنى
سعادتهما وهناء معيشتهما وتحقيقه شرط لتحقيق الركنين الآخرين أو كمالهما وهما
المودة والرحمة ويتحقق الأركان الثلاثة تكمل فائدة هذه الحياة الفائدة التي أرشدنا
الله تعالى الى طلبها منه بقوله في صفات المؤمنين «والذين يقولون ربنا هب لنا
من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً» (الفرقان ٢٥-٧٤)

أما الركن الثاني وهو المودة فليس خاصاً بالزوجين لأن المودة تصل بين
عشيرتهما بما تصل به بينهما ولذلك لم يقل «تسكنوا إليها وتودوها» بل قال
«وجعل بينكم مودة» والخطاب للناس لا للأزواج خاصة أي أنه جعل من مقتضى
الفطرة البشرية التواد بينكم بسبب الزوجية بين الزوجين ومن يتصل بهما بلحمة
القرابة والنسب كما هو معروف بالاختبار فيمن سلمت فطرتهم من الفساد وعرفوا
قيمة الحياة الاجتماعية فعاشوا عيشة الاجتماع لا عيشة الأفراد، وما زال البشر يعدون
المصاهرة من أسباب العصبية بين البيوت والعشائر والقبائل بل نرى الأمراء
والملوك يحاولون بمصاهرة بعضهم بعضاً التواد والتناصر بين دولهم، أو تخفيف
العداء والتنافر بين أممهم، حتى أنهم يبنذون لذلك مذاهبهم الدينية كما فعلت
الاميرة الجرمانية التي تزوج بها قيصر روسيا - فهذه سنة من سنن الفطرة عرفها
البدو والحضر وجرى عليها أدنى القبائل همجية وأعلى الشعوب مدنية، وتنكبها
أناس مذنبون كاد يخرج بهم فساد الفطرة عن البشرية،

نرى ونسمع في هؤلاء الذين خلقوا على صورة الانسان من التخاصم والتنازع مع أصهارهم واختانهم ما لا نرى نظيره ولا نسمع بمثله في أهل الاضغان الموروثة والاحقاد المتسلسلة، يرى أحدهم نعمة الآخر قذى في عينه وحر جأفي صدره، ويعد شرفه اذا ارتفع خافضاً لقدره، فهو أنسكى حاسديه، وأنسكاً جارحيه، وأول المترهبين للوثبة عليه.

لم يقف تأثير اعتلال الفطرة في نفوس هؤلاء عند تنكيث المقتول، وتشيت الملموم ونقطيع الموصول، بل أوغل في النفس الى مواضع الشهور بالحاجة الى الاعتصام، والاحساس برزايا الانقسام، فتخدرت الاعصاب، وانطمست البصائر والالباب، وانكس الطبع، وانعكس الوضع، فصارت أسباب المودة والالتئام، عللاً للتباغض والانقسام، وانقلبت معارج الشرف والرفعة، مدارج للتسفل والضعفة، وأمسى ما يكتسب لاجله يكتسب به، وما يتعزز به يعتز عليه، ولا يعتد بشيء من هذا خروجاً عن سنن الفطرة، ولا اعتداء لحدود الشريعة، وإنما يحسب من أمور الحزم، وطرق القيام بالمصالح.

لوأحب الأزواج أنفسهم حباً صادقاً وسكن بعضهم الى بعض ذلك السكون الطبيعي لوادّ كل منهما الآخر ووادّ لأجله أهله وعشيرته بلا تكلف ولا عمل وأحسن بأن قوتهم قوته وشرفهم مزيد في شرفه وكثرة ما لهم زيادة في نعم الله تعالى عليه لو عرف الأزواج معنى الحياة الزوجية وقيمتها وانفق ان كان كل منهما على غير ما يجب الآخر ويهوى فلم تسكن اليه نفسه ذلك السكون المطلوب لتودّد كل منهما للآخر تودّداً لعله يصيب بالتكلف والصنعة بمض ما فاته بالسجية والفطرة فان التودّد مودة متكلفة أو صورة للود الحقيقي فله جميع فوائد المودة الصورية وإنما ينقصه روحها وهو ما فيها أريحية النفس وأنسها بالفضيلة ولذتها واغتها بها وقد ينتهي التودّد بشيء من هذا ومن فاته كمال المنفعة بشيء فليس من الرأي ولا الكياسة أن يفوته كل جزء من أجزائه وكل أثر من آثاره وهو قادر على ادراكه فان بلغ النفور في قلبي الزوجين مبلغاً يمز معه التودّد ويتمنر التجميل فالواجب أن يتفرقا بالمعروف والاحسان كما اجتماعهما بهذا القصد لأنهما تحقّقا حينئذ أنهما لا

يقين حدود الله تعالى « وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كِلَاً مِنْ سَعَةِ »
 من المودة أن يحب كل من الزوجين من يحب الآخر من أهله وعشيرته
 وأصدقائه فيسر لسرورهم ويستاء لاستيائهم ويتمنى لهم الخير والنعمه ويقوم بأداء
 حقوقهم بما جرى به العرف بين أمثالهم في ذلك والتودد هو عبارة عن هذا
 الأمر الأخير الذي هو عمل اختياري دون ما قبله لأنه من عمل القلب وهو
 شعور اضطراري يملك النفوس المستعدة له اذا هي آتت من هو أهله

النفوس المستعدة للود الصحيح والحب الخالص هي النفوس الزكية التي
 آوى حسن التربية منها الى سلامة الفطرة والنفوس المسنأهله لذلك هي النفوس
 المستعدة له فالحبة والمودة من ثمرات المشاكلة في السجايا والصفات النفسية الفاضلة
 وأما المشاكلة في الصفات الرديئة والسجايا الخسيسة فهي لا تثمر حباً خالصاً
 ووداداً صادقاً ولكنها تثمر تودداً يقصد به كل من المتشاكليين الاستفادة من
 الآخر والتعاون معه على المقصد الذي وجههما اليه فساد الطبع فاذا أحسن بالاستغناء
 عنه أو ظفر بمن يقوم مقامه فيما تواد الأجله ويكون الربح منه أكثر أو المكافأة
 له أقل فلا يلبث أن يتبدله به جنلاً مسروراً . فأصحاب الأخلاق الفاسدة
 محرومون من ملكة المودة الصحيحة وهم في توددهم تجار مما كسبون حتى ان
 فساد الفطرة يبلغ منهم أن يتجروا بعقد الزوجية ويعتدوا أزواجهم من سلع التجارة
 كما قدمنا في مبحث اختيار الأزواج

من التودد ما هو رذيلة وهو تودد الشطار العيارين الذي كشفنا عن حقيقة
 أمرهم آنفاً ومنه ما هو فضيلة وهو ما يقصد به أداء الحقوق المعروفة للخطاء والعشراء
 وتكليف القيام بآثار المودة كراهة الحرمان من خيرها الظاهر والباطن معاً ورجاء
 أن يصير التودد وداً والتعجب حباً فقد علم بالتجربة ان تكرار العمل بأثر خلق
 من الأخلاق تكلفاً قد ينتهي بأن يصير ملكة كما ورد في الحديث «والحلم بالتحلم»
 وقالت عليّة بنت المهدي

تحبب فان الحب داعية الحب وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
 وهذا النوع من التودد وهو الذي نأمر به من تزوجا فلم يجدا في أنفسهما سكناً

يبحث كلا منهما على مودة الآخر ظاهراً وباطناً وهو ضرب من ضرب التربية القويمة
التربية في الكبر بعيدة المنال لا يقصد اليها الا أهل العلم ، ولا يصل منهم
الا أولو العزم ، لأن الجاهل بعلم النفس وأخلاقها ، والشريعة وآدابها ، يقوده شعوره
على غير هدى ، حتى يهوي به في مهاوي الردى ، فان كان زكي الطبع ، سليم
القلب ، صبر على تجمّع الغصص ، وتحمل المضض ، من معاشرة زوج لا يأنس
به ، وقرين لا تسكن نفسه اليه ، حتى يقتله الصبر ، أو يخرج به الى الفساد والنكر ،
وان كان شرساً شكساً كانت حياته مع الزوج الآخر في تشاكس وتماصر ،
وتنافس وتنافر ، وأما العالم فاذا ابتلى بزواج لا تسكن اليه النفس ولا يخلص له
الود ، فكان العدو الذي مامن صداقته بدقانه يتكلف اظهار صداقته ، وإخفاء
مقته وكراهته ، ليسلم من سوء المباشرة ، ويستظهر على آفات المنافرة ، وإذا
كان واسع العلم بقوية النفوس ، وأثر المعاملة في قلب القلوب ، صادق الإرادة
في تربية نفسه ، قوي العزيمة في تأديب وجدانه وحسه ، فانه يطمع في أن يكون
التودد وداء ، والتطبيع طبعاً ، ويعطى ما يطمع ، وينال ما يريد ، ومصدق هذا
واضح في أهل العلم ، ومصدق ما قبله ظاهر في أهل الجهل ،

لك أن تقول اننا رأينا من المعلمين والمتعلمين في هذه البلاد أزواجاً كان
يرجى أن يكونوا حجة للعلم على الجهل بالعيشة الراضية ، وقصر كل من الزوجين
طرفه على الآخر وقناعته بالاختصاص به كمال سكون نفسه اليه وإخلاصه في
مودته ومحبه ، والتودد اليه ومجاملته ، فبدا للناس منهم مالم يكونوا يحتسبون فلم تكذب
تنهي أيام أعراسهم وليالي أفراحهم الا وقد نجمت بينهم قرون الفتنة ووقع عليهم
طائر الشقاق ، وصاح بهم غراب الافتراق ، وباليته كان شقاقاً بكتمان ،
ونسراً بإحسان ، وانما هدام العلم الى أن يكيد أحدهم للآخر في المحاكم الشرعية ،
ومنهم من قذف بهم الخصام الى المحاكم الاهلية ،

ولي أن أجيب بأنك قد نسيت أنني أعني بالعلم علم النفس وأخلاقها ، وعلم
الشريعة وآدابها ، ومن تحدث عنهم لا يعرفون من ذلك شيئاً الا قليلاً من
الألفاظ المحفوظة ، والكلمات المتداولة ، التي يملؤها الخيال ويلوكمها اللسان ، وليس

لهافي النفس منشأ يعرف ، ولا في الاعمال أثر يوصف ، كما هو شأن الأمة في إبان موتها توجد عندها صور من العلوم لا تطلب بها غايتها ، وبقايا من الرسوم لا تجنب منها فائدتها ، سكون الزوج الى الزوج سبب من أسباب سعادة الزوجين وهناء معيشتهم خاص بهما لا يشاركهما فيه أحد من الأقربين والمحبين وأما المودة بينهما فهي من أسباب سعادة عشيرتهما أيضاً لأنها متعددة فهي مبعث التناصر والتوازر والتعاضد والتساند وبهذا تكون سبباً من أسباب سعادة الأمة المؤلفة من العشائر المؤلفة من الأزواج فهذا التأليف هو الذي يتكون منه مزاج الأمة فما يكون عليه من اعتدال وكمال يكون كمالاً في بنية الأمة وقررة عين لمجموعها وما يطرأ عليه من فساد واختلال يكون مرضاً للأمة يوردها موارد الهلكة

ان الانسان يشعر بحاجة في كماله الى الامة وبحاجتها اليه في ذلك على قدر قوة معنى الانسانية فيه فأدنى أفراد الانسان حظاً من الانسانية لا يشعر بحاجة الى أحد ولا بحاجة أحد اليه الا من تقوم بهم شؤون حياته الشخصية فهو ينظر الى زوجه في البيت بالعين التي ينظر بها الى شريكه في السوق أو معاملته في الحقل وهي عين المبادلة في المنفعة وطلب الربح فاذا قدر على استبدال زوج مكان زوج يكون به حظه من التمتع أوفر ، أو مكافاته له بالنفقة وغيرها أقل ، فهو يقدم على ذلك فرحاً راضياً كما يستبدل عاملاً بعامل وشريكاً بشريك وأجيراً بأجير اذا رأى ان الجديد أنفع له من القديم . فمثل هذا لا يمتد وجوده الى ما وراء محيط جسمه فلا يتحقق فيه معنى الزوجية الذي هو عبارة عن حقيقة مؤلفة من فردين يعيشان بروح واحدة واذا لم يصل في سعة الوجود الى أن يكون زوجاً فلا شك انه لا يصل الى أن يكون عضواً من عشيرة يشعر بأن له بها حياة أعلى من حياته الفردية ووجودا أوسع من وجوده الشخصي واذا صغر عن هذا فانه يكون أصغر وأحق من أن يشعر بمعنى الوجود القومي والحياة الملية التي ترفع صاحبها الى الشعور بأن كل عمل من أعماله يجب أن يكون نافعاً لأمة عظيمة وان مجموع أعمال العاملين في هذه الأمة يلحقه شرفه اذا كان شريفاً وتصيبه خسته اذا كان خسيساً وهذا هو شأن الانسان الكامل فودة الأهل هي أول محالي الانسانية الكاملة ولذلك

قال عليه الصلاة والسلام «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» رواه الترمذي من حديث عائشة وصححه ورواه أيضاً مصححاً من حديث أبي هريرة بلفظ «خيركم خياركم لنسائهم» وروى أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً «أكل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله»

ومن المودة بين الزوجين المازحة والملاعبة ومن الرجال من يرى أن مفاكحة المرأة ومداعبتها مما يذهب بمهابتها إياه واحتشامها له وينسى أن ترك ذلك يذهب بأنسها به وسكونها إليه وحبها إياه وإن الحب ليفني عن المهابة والاحتشام أن صح أن المازحة والملاعبة والمفاكحة والمداعبة لا تتفق معها وما ذلك بصحيح فإن أعظم الرجال قدراً من الأنبياء والحكماء والملوك المهديين كانوا يرضون نساءهم في البيوت ولا يتخوّن ذلك من مهابتهم واجلالهم شيئاً كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يمازح نساءه ويداعبهن وقال الجابر رضي الله عنه حين استأذنه في نكاح الثيب «هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك» والحديث في الصحيحين وكذلك كان يفعل (ص) حتى روي أنه كان يسابق عائشة في العدو (الجري الشديد) سابقها فسبقته ثم سابقها فسبقها فقال «هذه بتلك» والحديث عند أبي داود والنسائي وابن ماجه وسنده صحيح . ويؤثر عن عمرانه كان يقول «كل امرئ في بيته صبي» وفي الأحياء : وقال عمر رضي الله عنه مع خشوته «ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ما عنده وجدرجلا» : وللدعابة في البيت حد من تجاوزته ذهبت حشمته ، ومن قصر فيه ثقلت عشرته ، واستثقال المرأة للرجل مدرجة البلاء ، ومدعاة الشقاء ،

ومن المودة بين الزوجين الاعتدال في الغيرة ، بحيث تتحامي فيها الظنة والرغبة ، فينبغي للرجل أن يؤذن امرأته بأوقاته خارج البيت أين يصرفها فإن ذلك يطلي مكانه من قلبها ، ويمكن الثقة به من نفسها ، وبحول بينها وبين وسوسة الشيطان ، فلا تهمه باتخاذ الأخدان ، ويكون أعون له على إلزامها القرار في البيت وتحري رضاه في الخروج عند الحاجة إليه . وإن كثيراً من الرجال ليشاقون النساء

بالمشادة في الخروج حتى ينتفوا بهن الربة فيوقعوهن فيها ومنهم الذين يسلسون
لهن أو يلقون حبائلهن على غواربهن فيسرحن ويمرحن ويتبرجن تبرج الجاهلية
الاولى حتى يكون البيت في نظرهن كالسجن وان ملل المرأة من البيت وكراهتها
له كمل التاجر من محل تجارته والقاضي من محكمته والأمر من أمارته، وكراهة كل
عامل من عمله سبب للضياع ومعل للخراب

ومن المودة بين الزوجين أن لا تخرج المرأة من دارها الا باذن الرجل ورضاه
وأن لا تكلفه من النفقة والزينة فوق ما يليق بحاله في الثروة وقد مضت التجارب
بأن العهد الى النساء بالنفقة يمشين على الاقتصاد ويفرين بالتوفير . وارجع في
سائر ما يطالب من المرأة لزوجها ولولدها في المقالات السابقة فالنهوض بهامع الفبطة
والسرور هو أثر المودة المطلوبة

لو لم تكن المودة بين عشيرتي الزوجين مما يقصد بالزواج قصداً مستقلاً لكانت
مما يقصد بالتبع لتوثيق الرابطة الزوجية بين الزوجين فان احترام كل منهما للقرابة
الآخر مزيد في احترامه له ولعل الذين يختارون الأزواج لمسكان البيوت والعشائر
أكثر من الذين يختارون لجرد الاستحسان الذاتي ولا تكاد تجد في العناصر
الكريمة من لا يبالي بالمنبت وإنما أولئك تحوت الناس وعبيد الشهوات

ان المشاكلة بين الزوجين في السجايا والعادات كافية مع سكون الزوجية
لتحقيق المودة بينهما ولكن مكان عشيرتهما قد يفسد مودة بينهما اذا كانت غير
مرضية لهم وقد يشفع لما ينقصهما من سكون النفس ومودة القلب لحول عاطفة الاحترام
القومي محل عاطفة المشاكلة في بعض الطباع فان لم يأت احترام العشيرة بالمودة
فهو لا يقصر عن الاتيان بالتودد وحسن المعاشرة

سل قضاة المحاكم الشرعية ووكلاء الدعاوي فيها يخبروك عن أرباب التخاصم
من الأزواج ان أكثرهم من الشذاذ الذين ليس لهم عشائر معروفة أو من البيوت
التي أفسدها الترف والتربية السوءى حتى كان أهل الزوجين هم الذين يحلون
ميثاق الزوجية بينهما ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعاً بمضارة الرجل بامرأته والمرأة بعلها باسم المحافظة على الحقوق ورعاية الشرف

وما الشرف الا في الوفاق الوثام ، والوداد والالتئام ،
 يقع مثل هذا مع فساد الفطرة من الذين عزموا عقدة المصاهرة على رغبة
 ونخير فما بال أولئك الذين يمتنون الي هذا العقد بوسائل الرهبة أو الخيلة أو يهجمون
 على البيوت فيأتونها من ظهورها لا من أبوابها ، ويمزقون ستارها ويهتكون حجابها ،
 وينزعون الخرائد من أكفافها ، والفرائد من أصدافها ، ويفرقون بين الاولاد
 والوالدين ، ويوقعون العداوة والبغضاء بين الاقربين ، ماذا يكون أثرهم في البيوت
 التي تسكون منها الأمة وفي الأمة التي تسكون من البيوت ؟ لا يغيب عن عاقل ان
 شرهم مستطير ، وان ما يعلونه فتنة في الأرض وفساد كبير . (الكلام بقية)

فَتَاوِي الْمُبْتَائِنِ

فتعنا هذا الباب لا جابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا
 اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بهذا ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة
 بالتدريج غالباً ورمزاً بما قدمناه تأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا ، ولن
 نقضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

— تزويج الشريفة بغير شريف وفضل أهل البيت —

(س ٢٩) مستفيدني (سنغافوره) سيدي هل هذه الفتوى (المذكورة أدناه)
 صحيحة ويجوز العمل بما فيها أم الاصح خلافها أفيدونا لازم خير خلف لخير سلف
 عن جوهر الاسلامية وأرجو من حضرتكم الكلام عنها في المنار وهي :

ما قولكم في من يستحل تزويج الشرائف بمن ليسوا بأشراف بل لو كان بعضهم
 يزعم أنه هاشمي أو مطلبّي أو من بقية قریش فهل يصح تزويجهم بالشرائف أولاً
 — الجواب والله أعلم بالصواب —

اعلم أن مراعاة الكفاءة في النكاح واجبة وهي في النسب على أربعة درجات (كذا)
 الأولى العرب لا يكافئهم غيرهم من العجم الثانية قریش لا يكافئهم غيرهم من بقية
 العرب الثالثة بنو هاشم وبنو المطلب لا يكافئهم غيرهم من بقية قریش الرابعة
 أولاد فاطمة الزهراء بنو الحسن والحسين رضي الله عنهم لا يكافئهم غيرهم من بني

هاشم والدليل عليه كما في التحفة والنهاية وغيرها خبر مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال «ان الله اصطفى من العرب كنانة واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم» والاحاديث الواردة في فضل العرب وفي فضل قريش وفي فضل بني هاشم كثيرة جداً وقال ابن حجر في التحفة والرملي في النهاية أولاد فاطمة لا يكافئهم غيرهم من بقية بني هاشم لأن من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان أولاد بناته ينتسبون اليه في الكفاءة وغيرها كالوقف والوصية كما صرحوا به (انتهى) لأنهم أبناؤه كما ثبت في قصة المباهلة في قوله تعالى «ندع أبناءنا وأبناءكم» فانه ورد انه خرج ومعه الحسن والحسين وعلي وفاطمة وروى الحاكم قال صلى الله عليه وسلم لكل بني أم عصبه إلا أبناء فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم وأخرج الترمذي عن أسامة انه صلى الله عليه وسلم أجلس الحسن والحسين يوماً على فخذه وقال هذان ابناي وابنا بنتي اللهم اني أحبهما فأحبهما وأخرج الطبراني وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال : كل بني أم ينتمون الى عصبه الا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبهم (انتهى)

فقول الشارع نص ويترتب عليه أحكام البنوة في الاشباح والارواح كالحسن والحسين وأولادهما والتشريف ببعض خصائصه صلى الله عليه وسلم كوجوب الصلاة عليهم ودخولهم في آية التطهير وتحريم الزكاة عليهم وافترض محبتهم على الامة وغير ذلك ثم اعلم ان الشرف قسمان ذاتي وصفاتي وقد اصطلح العلماء على ان الشرف الذاتي للنبي صلى الله عليه وسلم ومنه بالنسبة لذريته فكما كانت ذات النبوة مختارة الله من الوجود جعلها الله معدناً لكل نعت محمود ولم يزل يسري منها في شعبها مظهرها في المعدن ومع ذلك فقد بالغ الجليل الكبير في كمال التطهير لها كما قال «ويطهركم تطهيراً» لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابق عناية من الله لهم فتأثير البضعة النبوية لا يدركه أكابر الاولياء من غيرهم ولو جاهدوا أبداً لا يباد ولهذا السرق قال الله «قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى» اذا عرفت ذلك واتضح لك ان مقام ذات النبوة وقدرها لا يدرك وعرفت ان الكفاءة عند العرب بل وغيرهم أمر مرعي وقد جاء الشرع في ذلك على موافقة عادتهم وعرفت ان نزوح

الاذنى بمن ليس كفوءاً لها ملحق عاراً على عصبتها كما صرح به الفقهاء الواصل ذلك العار عند تزويج الشرائف بغير الاشراف الى مقامه صلى الله عليه وسلم تحقق لديك ان الجراءة على ذلك ايذاء للنبي صلى الله عليه وسلم ولذريته وأي ايذاء أعظم من إلحاق العار فقد قال صلى الله عليه وسلم: من آذى أهل بيتي فقد آذى من آذاني فقد آذى الله: وقال عليه الصلاة والسلام: لا تؤذوني في أهل بيتي الخ وقال عليه الصلاة والسلام: احفظوني في أهل بيتي: فاينداؤهم من أكبر الكبائر ومن استحلّه كفر فلا يجوز تزويج غير السيد بالسيدة ولورضيت وأسقطت الكفاءة أورضي وليها لان الحق ليس لها لانه شرف ذاتي ليس من كسبها حتى يسقطاه بل له صلى الله عليه وسلم ولكافة أبناء الحسين ولا يتصور رضاهم وقد ثبت أنهم موال على ما سواهم من كافة الخلق بنص حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» وهل يجوز تزويج العبد مولاه لا قائل به بل قد منع خليفة الزمان السلطان عبد الحميد خان أيده الله تبعاً لسلفه تزويج السيدات بغير السادة وأمر الخليفة يجب العمل به في المباحات فضلاً عن الموافق للحكم الشرعي . وأما ما نسب الى الامام مالك عالم دار الهجرة رضي الله عنه من أن المسلمين أكفاء فلا بعد انه مقول عليه لانه ثبت عنه انه امتنع من لبس النعال في المدينة وقال أستحي أن أطأ بعلي أرضاً وطنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمه فمن استعظم واستشرف أرضاً وطنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمه يبيع ويستحل افتراش ووطأ بضعته صلى الله عليه وسلم يحل قدره عن ما نسب اليه رضي الله عنه وفي هذا القدر كفاية لمن من الله عليه بالهداية ومن قال بخلاف ما ذكر فإما عدم اطلاع وإما جهل بقدره صلى الله عليه وسلم وقدر أهل بيته بل من تجرأ وارتكب ذلك بعد اطلاع على ما ذكر فهو ضعيف ايمان بل مسلم به لمراغمته ومعاذته للشرع يخشى عليه من سوء العاقبة «ومن يضل الله فلا هادي له» حفظنا الله من ارتكاب الموبقات وعصمنا من الهجوم على الخطيئات وعرفنا قدر نبيه وأهل بيته السادات انه ولي التوفيق غير انه معلوم لذي عقل أنه للضرورات تباح المحظورات وارتكاب أخف الضررين لدفع الأشد متعين فلا يلزمك العناد ارتكاب الفساد والعُدول

عن سبيل الرشاد . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم : قاله بضمه وكتبه بقله أضعف الناس عمر بن سالم العطاس عفى الله عنه آمين وذلك في شهر محرم سنة ١٣٢٣

(ج) سبق لنا أن نشرنا في هذه المسألة سوألا لأحد القراء في سنغافورة في واقعة حال هناك ثم جاءنا من سنغافورة رسالة بتوقيع أحد الحضارمة رغب الينا مرسلها أن نرسلها له بحرفي ع . ب قال فيها بعد الثناء والإطراء ان ما نشرناه في الواقعة (في ج ٨٦) لم يكن السؤال فيه مطابقا للواقع وان الشريعة التي تزوجت بالسيد الهندي قد زوجها وليها الشرعي برضاه ورضاها مع علمها بأن الزوج مطعون في نسبه على أنه قد شهد ١٢ شاهداً من أهالي بلاده وغيره بالسيادة له وان ما ذكره السائل أيضاً عن طعن ذلك الرجل بكتب الشرع غير صحيح وطلب منا هذا الكاتب أن نذكر الحكم في الواقعة على ما قرره هو من توزيع ولي الشريعة لها برضاه ورضاها على أنه لا حاجة الى ذلك فان الجواب الأول ناطق بصحة العقد في هذه الحالة . وقد فهمنا من الرسالة وهن مجموع ما كتب الينا في معناها من تلك الجزيرة ان سبب الاهتمام بهذه المسألة هو أن بعض السادات الحضرميين الذين يوجد منهم طائفة هناك غالون في التفاخر بأنسابهم ، والإدلال بأحسابهم ، ولذلك ذهبوا في الغلو الى ما تراه في فتوى الشيخ عمر بن سالم العطاس التي سألنا عنها أحد القراء في سنغافورة وقد أرسلنا الينا صورتها مطبوعة فعلمنا أنهم طبعوها ووزعوها لاثبات اعتقادهم في أنفسهم

أما الحق في مسألة الكفاءة فهو ما بيناه في الجزء العاشر من المجلد السابع أيام حادثة الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد وقد نقل المؤيد ما كتبناه يومئذ فاطلع عليه الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية رحمه الله تعالى وكان في مصيف رأس البر فكتب اليّ « اطلعت في المؤيد على ما كتبت في الكفاءة والأولياء واستحسنته » وأما اطلع عليه في المؤيد لانه نشر فيه ما كتبت قبل أن أرسل المنار ولذلك كتب اليّ الامام في ذلك الرقيم « كنت أنظر أن يصل اليّ المنار هنا ليكون مما ألقى عليه نظري اذا أرجعته عن أمواج البحر الأبيض ولم أطلقه الى بساط النيل الاحمر فاني جالس طول يومي بين البحرين » والمقصود ان الاستاذ الامام

قد أجاز ما كتبه في الكفاءة فكأنه أقي به
أما المنزع الذي رمى عنه الشيخ سالم العطاس فهو غريب وأوغله في الغربة
والغربة جعل الكفاءة في الشرفاء حقاً للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع أبناء
الحسين بحيث لا يصح تزويج الشريفة بغير شريف ولو رضيت ورضي وليها
اذ لا يتصور أن يرضى النبي (ص) وسائر الشرفاء سي في مشارق الأرض ومغاربها
واستدلالة على ذلك بكونه ايذاء للنبي بإيذاء أهل بيته قال وايدأؤهم من أكبر
الكبائر يكفر مستحله ثم استدلاله أيضاً بحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه»
على كون ذراري علي موال على من سواهم من جميع الخلق بالنص وخروجه من
ذلك الى ان جميع الناس عبيدهم وأنه لا قائل بجواز تزويج العبد لمولاه نهوذاً بالله
من هذا الغلو والغرور

يستدل الشيعة بحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» على ان علياً أحق
بالخلافة ممن سبقه فيها ولا أعرف عنهم أنهم بعدوا في الاستدلال الى جعل جميع
الناس عبيداً له ولذريته بل لم يقل مسلم بأن الناس عبيد للنبي صلى الله عليه وسلم
بل الاسلام يمنع هذا فمن أين جاء به العطاس رحمه الله ويصلح بالله . وكيف يتفق
استنباطه هذا مع ذكره السلطان عبد الحميد بلقب الخلافة واذا كان غير الشريف
الملوي الفاطمي لا يجوز أن يكون زوجاً للشريفة لانه عبدها فكيف يكون العبد
خليفة على ساداته ومواليه الذين لا يحصى عددهم والخليفة مولى لرعيته يجب عليهم
طاعته في كل معروف وأما الزوج فليس مولى لامراته بهذا المعنى بل يقول جماهير
الفقهاء انه لا يجب عليها طاعته الا في المكث في البيت والتمكين من الاستمتاع .
والحق ان لفظ المولى في الحديث معناه الناصر كما قال الجوهرى في الصحاح ويطلق
في اللغة على صاحب والقريب والجار والخليف والنزيل والشريك والعبد والمعتق
والمعتق فكيف يسمح لنا الدين أن تتخطى هذه المعاني ونقول ان الحديث نص
في أن الناس عبيد لذريرة علي؟ هل كان أبو بكر وعمر والعباس وغيرهم من الصحابة
وسائر المسلمين عبيداً لطبي في حياته وهل ملك أولاده من بعده الناس بالارث
أم نص الحديث دال على انهم يملكونهم بالاستقلال في كل زمان؟ ظاهر قول

العطاس الثاني وكل مسلم يبرأ الى الله من الاول والثاني
 كان الشرفاء وما زالوا يزوجون بناتهم من غيرهم وجميع العلماء يستحلون هذا
 مع التراضي وسائر الناس تبع لهم فيه فهل يقول العطاس ان جميع من استحل ذلك كافر
 حتى المزوجون والمزوجات بالرضى والاختيار فيكفر الشرفاء مبالغة في تعظيمهم ؟؟
 ليس هذا المنزع الذي رأيت بأغرب من منزعه الآخر في جعل النسبة الى
 الحسن والحسين في معنى نبوة النبي عليه الصلاة والسلام من حيث ان شرفها ذاتي
 غير مدرك وانما من اختيار الله تعالى وانها منبع لكل نعت محمود وأن أكابر الاولياء
 لو جاهدوا أبداً لا يلاحقون لشريف أترأ لأن الله تعالى بالغ في كمال تطهير آل
 البيت اذ قال «ويطهركم تطهيراً» لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابق عناية من
 الله لهم: ثم قال ولهذا السر قال الله «قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى»
 فانظروا أيها المنصفون كيف يلعب بكتاب الله ويحرف كلمه عن معناه ،
 بدعوى الاهتداء بهديه، والعمل بأمره ونهييه، وانما هو اتباع الهوى، شرد بالفالين
 عن معبد الهدى ، وأحمد الله تعالى أن جعلني شريفاً غير مفتون، وجنبتني وقوي
 مزال الغرور ، فأما قوله تعالى «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
 ويطهركم تطهيراً» (سورة الاحزاب ٣٣-٣٣) فقد ورد تعقيباً لا آيات في خطاب
 نساء النبي عليه الصلاة والسلام يأمرهن الله تعالى بها وينهاهن ويعلمن بأن
 جزاءهن على الخير والشر مضاعف لأنهن لسن كسائر النساء وهذا ظاهر معقول
 المعنى فان بيت المرشد الكامل قدوة في الهدى والرشاد ولوظهر العمل السيء من
 ذلك البيت الذي جعله الله منبعاً للهدى ومشرقاً للوحي لكان أعظم منفعة عن
 الاهتداء والايمان فقوله تعالى بعد تلك الاحكام «انما يريد الله» الخ تعليل وبيان
 للحكمة في كون نساء النبي لسن كسائر النساء وكونهن جديرات بمضاعفة المذاب
 على المعصية والثواب على الطاعة لكان القدوة كقوله تعالى بعد ذكر أحكام الصيام
 وما فيها من الرخص «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» وانما قال «عنكم»
 لأن النبي صلى الله عليه وسلم في البيت وهو المقصود بالتطهير أولاً وبالذات لأن
 كمال نسائه ينسب الى هدايته صلى الله عليه وسلم

وأما قوله تعالى « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » فليس معناه أنه يطلب من الناس مودة قرابته أجرة لتبليغه أحكام ربه حاش لله ما كان لنبي أن يطلب على التبليغ أجراً كما نطق القرآن ونهض البرهان وإنما الاستثناء منفصل ومعناه لا أسألكم أجراً على ما جئتم به فتتوهوا أنني طالب منفعة لنفسي وإنما أسألكم ما هو نافع لكم وهو المودة في القرابة أي إن تودوا ذوي القربى منكم فهو إذا بمعنى ما يؤثر عن الأنجيل من الأمر بمحبة القريب أو أن تودوني في قرابتي منكم لا لأنني بعثت لهدايتكم فعاملوني معاملة سائر الأقربين ولا تؤذوني وأما الدين فلم دينكم ولي دين لست عليه بجبار، وإنما عليّ البلاغ وللناس الخيار وعقب هذا بقوله « ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسناً » والآية من سورة الشورى وهي مكية من أول القرآن نزولاً وأمثال هذا الخطاب في الدعوة والاستمالة إلى الحق كثيرة ولا يمكن أن يحمل لفظ القربى فيه على ذرية فاطمة عليها السلام لما تقدم ولأنها لم تكن تزوجت ولا ولدت في ذلك العهد

سبق للمناقرة قول في تفسير هذه الآية وفيه ان الشيعة هم الذين افتحروا لها هذا المعنى غافلين عما وراءه من الطعن في الرسالة واحتجاج الكافرين على المؤمنين بأن الرسول كان يطلب بدعوته الدنيا لذريته كالملوك والأمراء... وإن القرآن بجملته وتفصيله وسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نفسه وأهله ومعاملته للناس وتوليتهم الأعمال كل ذلك مما ينسف هذه الشبهة نسفاً

أي غلو العطاس يرحمه الله ويصلح باله ليس بالقريب ؟ أنكره قول الإمام مالك: إن المسلمين أكفاء: واحتجاجة على ذلك بما كان من أدب هذا الإمام مع النبي عليه السلام إذا كان لا يطاء أرض المدينة بالنعال واستنباطه منه عدم اباحة افتراش البضعة النبوية ووطنها ؟ أيظن أن الإمام مالكاً كان يحرم أن يمشي الناس في المدينة بالنعال، أو أن تركب فيها الحمير والبغال ؟ أيظن أنه يقيس اتخاذ المرأة زوجاً وقرينة للرجل تشاركه في نعمته وتتحد معه في معيشته على وطء الأرض بالنعل أو بغير النعل ؟ ما هذا الفقه المقلوب ؟

يسهل على من يسلك مسلك هذا المقتي في الاستنباط أن يستخرج من كلامه

ما يعده الفقهاء من المكفرات فيكفره كما كفرة من يخالف فتواه أو كاد يكفر بها جميع المسلمين والحق أنه لا يحكم بكفر أحد من أهل القبلة إلا بقول أو عمل يدل دلالة قطعية على أنه لا يؤمن بالله وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما هو متواتر مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فمن آذى شريعاً من آل البيت لحظ من حظوظ الدنيا يكون عاصياً لله كما لو آذى غيره لأن الأيداء محرام وأما من يؤذي الشرفاء لأنهم ينتسبون إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلا قرب أن يكون أيداًؤه إياهم بهذا القصد معلولاً لكفره به لعله لا يعقل أن يقصد المؤمن ذلك ولا يظهر هذا إلا فيمن يؤذي كل من قدر على أيدائه منهم فتى خصص فرداً أو أفراداً علم أنه لا يؤذيهم لأجل النسبة

وجملة القول أن الشريعة الإسلامية شريعة عدل ومساواة لا شريعة تقسيم ومحاباة وأحكامها عامة مدار العبادات فيها على تزكية النفس وتحليتها بالفضائل ومدار المعاملات على درء المفسد والمضار وجلب المنافع وحفظ المصالح وليس لأحد أن يخص الشرفاء أو غيرهم بأحكام شرعية تؤخذ بالتسليم على أنها من التعبد فأبناء الحسين وغيرهم من الناس سواء في أحكامها وهما ورد في تخصيص آل النبي (ص) ببعض الأحكام كتحریم الصدقة عليهم معقول المعنى ولا يجوز لأحد أن يزيد عليه لأن التخصيص خلاف القياس فلا يقاس عليه وفي الحديث الصحيح أن الأك في باب تحريم الصدقة هم بنو هاشم وبنو المطلب لأذرية فاطمة خاصة. وإن الكفاءة في النكاح لا يستدل عليها بالفضائل والخصائص وإنما يرجع فيها إلى نص الشارع أو القياس الصحيح. أما نص الشارع فلم يصح منه في مسألة شيء قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: لم يثبت في اعتبار الكفاءة في النسب حديث وأما ما أخرجه البزار من حديث معاذ رفعه «العرب بعضهم أكفاء بعض والموالي بعضهم أكفاء بعض» فإسناده ضعيف: اهـ وإنما الكفاءة الثابتة في السنة خاصة بالدين والحرية والأخلاق واليسار وهذا ما كان عليه أكثر أهل الصدر الأول ومن قال من الفقهاء باعتبارها في النسب فحجته الصحيحته القياس ومداره على دفع العار فإذا لم يكن هنالك عار بالفعل فلا اعتبار بالنسب في الكفاءة

وعلى هذا أكثر البلاد الإسلامية فيما نظن وإذا رضيت امرأة شريفة هي وأولياؤها بالتزوج بمن ليس بشريف في بلاد يمد ذلك فيها من العار فلا حرج عليهم لأنهم أعلم بمصلحتهم وأحرص على شرف أنفسهم والامر ليس بتعدي ولو كان ما ذكره العطاس من فضل أهل البيت بجهل استنباطه صحيحاً وداخلاً في الأحكام التعبدية لكان لنا أن نقول مثله في العلماء فإن ما ورد في الكتاب والسنة في مدح العلم والعلماء أعظم وأظهر مما ورد في آل البيت فهل نقول إنه لا يحل للعالم أن يزوج ابنته بمن ليس بعالم لأن ذلك اهانة للعلم الذي عظمه الله تعالى فالامر فيه ليس إليه وإنما هو متعبد بذلك ؟ كلا إن الزواج من المعاملات التي تبنى على أساس المصلحة وكل قوم أعلم بمصلحتهم والشرع لم يحجر عليهم في اختيار الخير وإنما حرم عليهم الإيذاء والله أعلم وأحكم

هذا وانني لأظن بالشيخ عمر بن سالم العطاس الاخير وحسن النية وأشكر له حبه للشفراء ولولا أن فتواه طبعت لما رددت عليها في المنار وأسأل الله تعالى أن يحفظنا وإياه من الغلو ويلهمنا رشدنا أجمعين

﴿ ضمان البضاعة و سلع التجارة والسيكارتو ﴾

(س ٢٩) سألنا كثيرون من أهل هذا القطر وغيره من الاقطار عما جرى عليه عرف التجار من ارسال البضائع للبلاد مضمونة من شركة تسمى شركة الضمان وقد أرجأنا الجواب عن ذلك لأجل أن نبحث عن كيفية هذا التعامل بنفسنا فنجيب عن بصيرة ولم يتيسر لنا ذلك وقد جاءنا من عهد قريب صورة فتوى في ذلك من سنغافورة يسألنا مرسلها عن رأينا فيها فلم نجد بداً من التعجيل بنشرها وبيان رأينا فيها وهذه هي :

بسم الرحمن الرحيم رب زدني علماً ولا ترغ قلبي بعد اذ هديتني الحمد لله على آلائه ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله ، أما بعد فقد ورد عليّ سؤال من بعض التجار القاطنين بمدن فيما أكثر معاطيه في الناس ليكونوا على بصيرة من أمره ونص سؤاله هو .

ماقولكم دام فضلكم في معاطاة التجار مع الافرنج الجارية في هذا الزمان

بغير صيغة شرعية أصلاً وهو ان التاجر اذا أراد ارسال مال له الى بلد أخرى على طريق البحر يطالع ماله في إحدى البوابير الذاهبة الى تلك البلاد المطلوب ارسال المال اليها ، فاذا أطلع التاجر ماله وسلم نولاً على المال وأخذ ورقة من قبطان الوابور بوصول المال اليه في الوابور ومقداره وثمنه ثم اذا كان موجود احد الافرنج وعرض التاجر عليه ورقة صاحب الوابور وسلم له على المال المقدّر فيها على كل مائة (ربية) خمس (رييات) يقدر المال الذي طلعه ثم يسلم له الافرنجي ورقة بعلامته متضمنة بكلام الافرنج ضماناً للمال عليه اذا غرق في البحر فهو يعطيه ثمنه بقدر ما هو محروفي ورقة قبطان الوابور وسمو هذه المعاملة « بيمه » . ثم انه يوجد افرنجي آخر اذا احتاج التاجر المذكور ثمن ماله الذي أرسله مقدماً فيعرض عليه ورقة الأفرنجي المتضمنة الضمان للمال فعند ما يراها يقدم للتاجر ثمن ماله ويحوّله التاجر على وكيله الذي يستلمه بتلك البلدة الاخرى ان سلم المال من الفرق والا فيستلم ذلك الافرنجي الاخير من الافرنجي الاول الذي سلم الورقة المتضمنة لضمان المال بلغتهم فهل والحال هذا اذا جرت هذه المعاملة مناهل حرب أو مؤمنين من غير الفاظ شرعية أصلاً تكون من قبيل مالو أعطونا شيئاً من حقهم مجاناً برضاهم ويجوز أخذها أم لا يجوز ذلك أصلاً افتونا مأجورين نفع الله بكم المسلمين . اهـ .

﴿الجواب﴾ فقلت وبه القوة والحول ان هذه المسئلة هي من حوادث الزمن الاخير لم أر من تكلم عليها من أئمتنا الشافعية في كتبهم المتأخرة فيما اطاعت ومن حيث ان الباع قصير والمقام خطير تكأ كأت مدة عن الجواب ، وصاحب السؤال يلح علي في الخطاب ، ويطلب مني بيان حكم الله تعالى فيها فلم أجده بداً من اسمافه فافتحمت ذلك ، متحرياً فيما هنالك ، مجتهداً سيفي استخراجها من كلام الأئمة نصريحاً أو تلويحاً فأول ما وقفت على كلام في ذلك لحائمة محقق السادة الحنفية الامام العلامة ابن عابدين في حاشيته على الدر حيث قال في فصل في استئمان الكافر بعد كلام في ذلك مانصه (وبما قررناه يظهر جواب ما كثر السؤال عنه في زماننا وهو انه جرت العادة ان التجار اذا استأجروا مركباً من حربي فيدفعون له أجرته ويدفعون أيضاً معلوماً لرجل حربي مقيم في بلاده ويسمى ذلك المال (سوكره)

على انه مهما هلك من المال الذي في المركب بحرق أو غرق أو نهب أو غيره فذلك الرجل ضامن له بمقابلة ما يأخذه منهم وله وكيل عنه مستأمن في دارنا مقيم في بلاد السواحل الاسلامية بأذن السلطان يقبض من التجار مال السوكره واذاهلك من مالهم في البحر شيء، يؤدي ذلك المستأمن للتاجر بدله تماماً والذي يظهر لي انه لا يحل للتاجر أخذ بدل الهالك من ماله لان هذا التزم مالا يلزمه . أي فلا يحل أخذ ماله بعقد فاسد أي هذا الحكم مع المستأمن في دارنا قال بخلاف المستأمن في دار الحرب فان له أخذ مالهم برضاهم ولو بر با أو قمار لان مالهم مباح لنا الا أن الغدر حرام وما أخذ برضاهم ليس غدرًا من المستأمن منهم في دارنا لان دارنا محل اجراء الاحكام الشرعية فلا يحل لمسلم في دارنا أن يعقد مع المستأمن الا ما يحل من العقود مع المسلمين ولا يجوز أن يؤخذ منه شيء لا يلزمه شرعًا وان جرت به العادة كالذي يؤخذ من زوار بيت المقدس : اه ما نقلته عن حاشية الدر لابن عابدين

نرجع الى الحكم على عدن هل هي الآن دار حرب لاستيلائهم عليها أو باقية دار اسلام على أصلها نص في شرح الدر ان دار الاسلام تصير دار حرب بثلاثة أمور باجراء أحكام الشرك وبتصلها بدار الحرب ولا يعد البحر فاصلاً بل قال تقدم ان بحر الملح ملحق بدار الحرب والشرط الثالث أن لا يبقى فيها مسلم أو ذمي آمن بالآمان الأول على نفسه أي الآمان الذي كان ثابتاً قبل استيلاء الكفار للمسلم باسلامه وللذمي بعقد الذمة اه . بتوضيح في حاشيتها لابن عابدين ولا شك ان هذه الشروط قد وجدت في عدن فهي دار حرب عند السادة الحنفية يجوز للمسلم فيها أخذ مالهم برضاهم ولو بر با وقمار كما تقدم آنفاً عن العلامة ابن عابدين أما عند الإمام الشافعي فلا تعتبر دار الاسلام دار حرب مطلقاً أي سواء غلب عليها الكفار أم لا منعوا المسلمين أم لا كما في باب الجهاد من شرح المنهاج للإمام ابن حجر رحمه الله تعالى

هذا ما عند السادة الحنفية أما حكم السؤال على مذهب السادة الشافعية فالذي ظهر لي من كلام فقهاءنا انه اذا لم تجر هذه الالتزامات بمعاطاة أو صيغ فاسدة في الشرع ولا يتلفظ بشيء منها بل يعطيه ذلك المال بمجرد اوراق

تتضمن ذلك الالتزام عن وجه رضاء واختيار فلا بأس بقبوله من كافر أو مسلم وما أظن أحداً يخالف في جواز قبوله كيف وقد نبه العلامة ابن حجر في الإيعاب في باب البيع عند القول بجواز المعاوضة حيث قال ولك أن تقول الكلام جميعه مفروض فيمن لم يعلم أو يظن رضا المأخوذ منه ولو بلا بدل أمان علم أو ظن رضاه فلا يتأتى فيه خلاف المعاوضة لأنهم إذا جوزوا لهم الأخذ من ماله مجازاً مع علم الرضا أو ظنه فلا أن يجوز الأخذ عند بدل الشيء أولى لأن المدار ليس على عوض ولا على عدمه بل على ظن الرضا فحيث وجد عمل به وحينئذ لا يكون أخذاً من باب البيع لتعذره بل من باب ظن الرضا بما وصل إليه وعجيب من الائمة كيف أغفلوا التنبيه على ما ذكرنا وكأنهم وكأولاه إلى كونه معلوماً اه كلام الإيعاب وكذلك ما يؤخذ في صورة السؤال لا يكون من باب الضمان ولا عدمه بل من باب أخذه بالرضا والاختيار هذا ، اظهر لي في المذهبين وفوق كل ذي علم عليم والله سبحانه وتعالى أعلم (الختم) (الواثق بخفي الألفاظ علوي بن أحمد السقاف) كان الله لهما أمين

ثم كتب عند قوله بل من باب أخذه بالرضا والاختبار : ولك أن تقول هذا الكافر الملتزم للفرم عند التلف فيما كتبه للمسلم متردد بين غم وغرم فيحتمل أن يكون من أنواع القمار الممنوع اقراره عليه فنقول على فرض تسليمه انه نوع منه فلا يمنع منه إلا أن كان من الملتزمين لأحكامنا أما كالأذي في عدن كما هو في صورة السؤال فليس من الملتزمين لأحكامنا بل ربما قهرونا على مجازاة بعض أحكامهم كما هو مشاهد فلا مانع من أخذ ماله برضاه هذا ما تبادر إلى فهمي الفاتر وعلمي الناقص فإن أصبت فمن عند الله وإن وجد نص يعتمد بخلافه فالمرجع إليه والله ولي التوفيق ﴿ المنار ﴾

ان ما يسمونه (سوكره البضائع) عقد تأمين وضمان يكون بين التاجر صاحب البضاعة وبين رجل آخر هو وكيل شركة كبيرة والورقة التي ذكرها السائل العدني في استفتائه هي صك بعقد التأمين والضمان فهي متضمنة للإيجاب والقبول والعقهاء يعدون هذا العقد فاسداً لأن الضامن يلتزم فيه ما يلزمه شرعاً وكان يظن انه يأخذ ما يأخذه بدون مقابل ولكننا علمنا من بعض التجار أن لهذه الشركة التي تؤمن

التجار على بضائعهم وتضمن لهم ما يملك منها أعمالاً في حفظ البضائع تتفق به مع شركات النقل في المراكب وغيرها فهي إذاً من قبيل الاجارة كأن التاجر يستأجر صاحب الباخرة للنقل وصاحب التأمين للحفظ فما يأخذانه من المال على ذلك يعد أجره عما هما فعلی هذا يجوز للتاجر أن يسوكر بضاعته ثم إذا هي تلفت بتقصير في الحفظ جاز له أخذ الضمان عنها وأما إذا تلفت بدون تقصير في حفظها فلا يجوز عند الفقهاء أخذ الضمان لأنه لا يلزم الأجير وإن التزمه وقد خرج السقاف الجواز في الواقعة المسئول عنها على مذهب الحنفية بأنه أخذ لمال الحربي بعقد فاسد بغير عذر ولا خيانة وهو جائز وعلى مذهب الشافعية بأنه مال أخذ برضاء صاحبه وسكت عن إعطاء الاجرة

ويجب التنبيه هنا الى مسألة مهمة وهي أن ما يشترطه الفقهاء باجتهادهم من شروط صحة العقود وفسادها ولزوم ما يلتزم فيها وعدمه ونفوذ الحكم بها وعدم نفوذه ليس من الامور التعبدية التي ينقرب بها الى الله تعالى بحيث يكون العقد الفاسد معصية من المتعاقدين وإن كان برضاها واختيارها بلا غش ولا تفرير كلا ان هذه المسائل وضعت لاجل ضبط الاحكام وحفظ الحقوق وتسهيل الحكم بالعدل على القضاة فهي لا تسلب الناس حرية التصرف في أموالهم بما يرونه نافعا لهم في حفظها أو تنميتها مع التزام حدود الله الثابتة في كتابه العزيز وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كتحريم الغش والتفرير والخداع والغصب ونحو ذلك وهذا هو مراد ابن حجر الفقيه اذ جوز الأخذ والاعطاء بالتراضي فيما كان مخالفاً لشروط صحة عقد البيع (ومثل البيع غيره من العقود) فكأنه قال ان هذه الأركان والشروط التي ذكرها لصحة العقود هي التي يلزم الحاكم الناس بها اذا تنازعوا فاذا تراضوا فيما بينهم على خلافها فلا حرج عليهم وعند هذا من الامور التي سكت عنها الأئمة لكونها معلومة بالبداهة فتبين من هذا ان العاقل الرشيد له أن يتصرف في ماله ما لم يرتكب محرماً والمحرم فيه ضرر بالفاعل أو بغيره فاذا ثبت بالاختبار ان هذه (السوكة) نافعة غير ضارة فهي جائزة اذ لم يرد نص من الشارع في تحريمها ومدار الاجتهاد في أحكام المعاملات على دفع الضرر وجلب المنفعة وحفظ المصالح واذا أثبت بالاختبار انها ضارة ومضیعة للمال بغير فائدة كانت محرمة والله تعالى أعلم

باب التوبة والتجمل

﴿المكتوب الثالث - من «إميل» إلى أمه (*)﴾

افضاؤه اليها بحبه لقينة من المثلثات -- كيف تعلق قلبه بها -- استعلامه سيرتها -- تمنيه انقاذها مما هي فيه -- طلبه المغفرة من أمه بعد اعترافه بالحب .
تحريراً في ١٢ مايو سنة ١٨٦

اني منذ عرفت نفسي ابثك جميع ما يسوءني وما يسرني وما أكره وما أحب وأكاشفك بالخير والشر ولا أكنم عنك شيئاً حتى اني لما كنت بحضرتك ما كنت في حاجة الى البيان لانك كنت تطالعيني أفكاري في عيني وتبصرينها تجول على جيني وهذه أول مرة لي في حياتي أسررت فيها سرا . . . وليت شعري أبوح به الي قصص نهر الرين ؟ إذا لتضحك مني كما تضحك من اذني الملك ميداس (١) أم أبته الى القمر ؟ كلا فقد سمع كثيراً من أمثاله أم أكنه في قلبي ؟ إذا لا نسبتي عليه سريري . ما أنا بفاعل شيئاً من ذلك بل أريد أن أودعه صدراً مني على ان الإفضاء به ليس من السهولة بالمقدار الذي كنت أتوهمه فاني ما أنشأت أخط هذه السطور الاولي من مكتوبي حتى ارتعشت يدي وخفق قلبي ولست إخالك الا ساخرة مني ولكن أقل ما أنا واثق به منك انك لن تمجدي علي أن صدقك الخبر وإذا كان الامر كذلك فلا بد من افشائه وهو اني أحب !
الآن أراك تسأليني من هي التي تمجها وأين رأيتها وكيف عرفتها وفي هذه

(*) معرب من باب تربية الشاب من كتاب إميل القرن التاسع عشر

(١) ميداس بحسب ما جاء في أساطير اليونان هو ملك فريجيا وهي قطر من أقطار آسيا الصغرى اشتهر بواقعتين نذكر إحداهما فقط لاختصاصها بهذا الموضوع وهي ان ابولون بن المشتري حكمه في المناظرة التي قامت بينه وبين بان إله الرعاة في الموسيقى والشعر والفنون وكان بان صديقاً للملك فحكم له فلم يكتف ابولون في الانتقام من ميداس بسلخ جلده حياً بل جعل له بدلاً من أذنيه أذني حمار فغطاهما ميداس بتاج حتى لا يظفرا للناس ولما علم ان حلالته لا بد له من رؤيتهما عاهده على كتمان أمرهما ولكن الحلاق لم يلبث أن ثقل عليه الكتمان فاحقر حشرة في الارض سمزل عن الناس وأسر فيها قوله ان للملك ميداس اذني حمار فاتفق بهد حين أن نبئت في هذا المكان قصبات كانت كلما هزتها الريح كررت هذا القول

الاسئلة ما يزيدني حيرة وارتباكاً

في مدينة بُسن ملعب من الطبقة الثانية غير انه مشهور بحسن اختيار القصص التمثيلية فيما يمثل فيه قصة مريم استوارت (١) وقصص شيلار (٢) وقصة غويت عن فوست ومرغريته (٣) وغيرها من القصص الشهيرة والموسيقى والاغاني الموقعة عليه في هذا الملعب يومان أو ثلاثة تحمل فيها محل الأدبيات والوقائع التمثيلية وأنا أذهب اليه في بعض الاحيان لسببين أولهما ترويح نفسي من عناء الدرس وثانيهما إيلافها أصوات اللغة الالمانية فمن نحو شهر ابتدأت قينة بافيريية (٤) فتيه تفني على الموسيقى هناك وكان أول ما غنته قصة النبي من توقيع ماير بير فبلغت من الاجادة في تغنيها الى حد أن جميع طلبة الجامعة كانوا يلهجون بكلماتها آية من الآيات فجزيت معهم في مساق الاعجاب بها ولما انطلقت الى الملعب ورأيتهما داخله في باحة التمثيل كان كلي عيونا تبصر وأذانا تسمع وليس صوتها هو الذي اشتد اعجابي به مع كونه من أندى الاصوات وأندرها بل الذي ملأني اعجاباً هوماني تغنيها من الروح بل مافي خلقها من الحسن والاثقان فبت ليلى كله أحلم بها ولا يفارقي طيفها وكنت أراها بين الافلاك السماوية وأسمع أنغام الكواكب الموسيقية فكان فيثاغورس (٥) كان يحب قينة مثلي عند ما كان يحدث تلاميذه عن حسن ألحان النجوم

ولخوفي من انقضاء اعجابي بها فيما يلي من التمثيل عاهدت نفسي على أن لا أختلف الى الملعب ليالي تغنيها ولكني ما استطعت أن أوفي بعهدي وقد اتفني

(١) مريم استوارت هي بنت يعقوب الخامس ملك ايقوسيا ومريم لورين ولدت سنة ١٥٤٢ م وماتت سنة ١٥٨٧ تزوجت بولي عهد فرنسا (من اول حكم فرنسيس الثاني) وبعد موت زوجها رجعت الى ايقوسيا وتزوجت بهنري درنلي ثم بالكونت يوتويل ثم ثار عليها رعاياها فلاذت باليهابات ملكة انكلترا التي حبستها ١٩ سنة ثم أمرت باعدامها (٢) شيلار شاعر ألماني شهير ولد سنة ١٧٥٩ م ومات سنة ١٨٠٥ ومن أشهر قصصه الحزنة النوبة ووالانشين وغليوم تل (٣) غويت واسمه جان ولف جانج هو أكبر كاتب ألماني ولد في فرنك فور سيراين سنة ١٧٤٩ م ومات سنة ١٨٣٢ وفوست اسم لشخص خرافي مشهور في حكايات الالمان بأنه تعاهد مع الشيطان (٤) نسبة الى بافير احدى ولايات المانيا (٥) فيثاغورس فيلسوف يوناني ولد في ساموس سنة ٥٦٩ ق م ومات سنة ٤٧٠ أقام بمصر وبابلون مدة طويلة ثم رجع إلى بلاد اليونان وأسس مدرسة في كروتون وهو أول من قال بالتناسخ وعرف نظام العالم الحقيقي

عني كثيراً خوف اقلالي من التحمس في حبها بما اكتشفته فيها على توالي الايام من الخصائص الجملة التي لم أكن لاحظتها من قبل ولا بد من الاعتراف لك بأني كنت أجلس من الصف المواجه لباحة التمثيل بحيث أكون مرئياً لها وقد حسب لحظي مرة أو مرتين انه لاقي لحظها... ولكن ربما كان هذا ضلالاً ومع ان التمثيل كان يمحك أكثر من أربع ساعات كنت دائماً أجده في غاية القصر وأغادر مقعدي في ختامه وقلبي مغمض بما لا يوصف من الاضطراب

خطر في ذهني ان أخاطبها بأبيات من الشعر أنظمها وأرسلها اليها غير ممضأة مني على يد بواب الملعب الهرم ففعلت وكنت أقول في نفسي وقت نظنها ان أقل فائدة لي منها ان تعلم ان واحداً من الناس يحبها ولكنها كانت أبيتاً رديئة وأقر بأنها ما كانت تؤذي نصف ما كنت أضمره لها من عواطف الميل وهذا ما دعاني الى عدم الاعتقاد بصحة ما قيل من أن الشعر من لوازم الحب كما قرأته ذات مرة في بعض الكتب وليس في قدرة أحد ممن عدا المصطفين من الخلق أن يعبر عن كل ما يجده في نفسه ويا ليتني كنت واحداً من هؤلاء النوابغ الممتازين

كنت من مساعي في القرب من هذه الفتاة واقعاً عند الحد الذي يبتهك فبينما أنا في يوم من أيام الآحاد أجوب المنزه الذي تجتمع فيه نساء المدينة في نحو الساعة الثانية بعد الظهر اذا بها أقبلت آخذة نحوي في مخرف فخطر ببالي أولاً ان اتككب هذا المخرف لساوك إحدى السبل المقاطعة له لانه كان يخيل لي ان سأصفق مما قام بنفسي من ضروب الانفعال والاضطراب غير اني تثبت ومشيت مشية الجندي الباسل الذاهب الى حومة الوغى فرأيتها في بزة بالغة من الرونق غايته على بساطتها وارباه ! كم وددت لو كنت في تلك الساعة قفازها أو زهرة قلنسوتها أو مظلمتها التي تقيها حر الشمس ؟ أقول ذلك واني لاعلم انه كان مني قبيحاً ولكن لا ينبغي أن أكنتم عنك شيئاً من مواضع ضعفي

ان في اللحظ خاصة الجذب فاني كنت آنس من لحظي اذا رنوت اليها ان كله اقرار وتصر يح بالحب ولما مر كل منا حذاء صاحبه جرى على وجهي لألاء حسنها كما يجري لمعان البرق ولم أجسر على الالتفات خلفي الا بعد ان جاوزتها

ثلاثين خطوة فرأيتها قد بدت عني مهرولة غير اني بصرت في المسافة التي بيني وبينها بشيء أبيض يخفق خفوق جناح الحمامة من صفق الريح اياه فثاريت في التقاطه فاذا هو مندبيلها قد سقط منها ٠٠٠ أو تعدت اسقاطه فعدت خلفها ودفعته اليها فأظهرت الدهش من ضياعه وتلطف في اسدائي الشكر على رده وراقني ان سمعتها تحسن التكلم بالفرنسية فلاح في ذهني أن أعرفها اني صاحب الشعر الذي أرسل اليها ولكني كنت من شدة الاضطراب الذي استولى على نفسي بحيث لم أستطع تحريك شفتي بكلمة ما ولا بد أن تكون حسبتي الله يزعم العارفون بتركيب الحيوان ومنافع أعضائه ان الذاكرة لا تحفظ الروائح وعذرم في ذلك أنهم لم يحبوا في حياتهم فان مندبيلها وهو قطعة من النسيج الباتسي (١) الرقيق كان يتضوع عن عطر لطيف لن أنساه مادمت حيا . وفي اليوم التالي لهذا اللقاء انطلقت الى ماحول المدينة من الركن الزاهرة فجئت باقة من ألطف ما وجدته من الزهور البرية وأدلتها على العفاف ولما حان وقت التمثيل خباها في قنسوتي المدرسية وأخذت مجلسي في الملعب ففنت كعادتها بصوت يسمو سامعه الى السحاب ولكن كان يخيل الي أن هذه المرأة التي لاقيتها في الطريق أمس ذلك اليوم أكمل من قينة وان كان استعدادها للتغنية مثارا للاعجاب وبعد ان انتهت من غنائها وانصرفت استعدادها جميع السامعين فهطلت حولها باقات الزهر من غرف الملعب والكراسي المقابلة لباحته وأن لي أن ألقى اليها باقتي فاهتمت غاية الاهتمام بأن تبصرني عندا لقائهما مع تظاهري بالاختفاء خلف جبراني وما أدراك ما فعلته حينئذ لقد أهملت كل ما ألقاه غيري من الأزهار النادرة مثل زهر السكاملية (٢) وزهر التين الهندي والورد ذي السنة وعدت الى باقي الحقيرة المؤلفة من أزهار برية فتناولتها وضممتها الى قلبها أفلا ترين في ذلك برهانا على حبها لي ؟

ستقولين لي أنت لا تعرفها وقد تكون مخالفة تمام المخالفة لما تخيلته منها وانه كان ينبغي لك قبل أن تملل نفسك بالاماني والاهام أن تكون على بينة من أخلاقها وكيفية معيشتها فأجيبك أن هذا أيضاً لم يفتني وأقر بأنني لم أقف من

(١) الباتسي نسبة الى باتست وهو أول صانع لهذا النسيج (٢) السكاملية زهرة يابانية جلبها الى أوروبا صرحل ديني اسمه كاملي فنسبت اليه

تجري سيرتها الا على أخبار لا يزال فيها شيء من القهوض ولم يجتمع لدي في هذا الصدد الأقوال في غاية التعارض والتناقض فأنت تعلمين مقدار ما للشبان فيما بينهم من القسوة على النساء ولا سيما المثلثات فقد بلغ الحسد من افساد خلق الانسان الى حد أن جعل من لذاته تمزيق اعراضهن مع ما لهن من الملكات التي هي مناط الاستحسان العام وليست بمخف عنك شيئاً مما يقولون فبعضهم ينسب لها من هنات الشباب ما يغير دمي ويشير غضبي وبعضهم يقول انها تعيش مع أمها في حي من عزل عن المدينة وقد أرايتي الطالبة هذه الام تصحبها ليلاً عند خروجها من الملعب فلم أجدينيها مشابهة ما وان أردت الوقوف على شيء من نعمتها فتخيلي امرأة ضخمة من عامة النساء قد ذر شاربها واني لمتألم من تصور ان مثل تلك الزهرة قد نبتت من هذه المدة ومهما يكن من وضاعة أصل تلك الجارية فمن الفضل أن تعامل بجميع ما يجب لفتاة مخرصة مثلها من صنوف الرعاية والتكريم

على اننا اذا سلمنا حصول أسوأ ما يتأتى حصوله منها وفرضنا ان سيرتها لم تكن دائماً مرضية أفلا يكون الذنب في ذلك على مهنتها وعلى من يعاشرها من الناس ؟ اني أراها بالغة من الظرف والكياسة مبلغاً أستبعد معه أن لا تكون لها نفس زكية وربما لم يتفق لها في حياتها أن تمثل لها الحب الصحيح المطهر للنفس بشراً فاضلاً كريماً . وارباه أي فخر أناله لو أتيح لي أن أمد يدي الى تلك الروح الملكية فأنتشها من درك الانحطاط الذي هبطت فيه لتعود الى نور الهدى والفضيلة

ها أناذا قد كشفت لك مكنون سري ونجوت بهذا الاعتراف من شديد زجر سريرتي والآن أقع بين يديك راجياً منك غفران خطيئتي . اهـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تأبين الاستاذ الامام

في يوم الجمعة (١٧ جمادى الثانية ١٨ أغسطس) اجتمع خواص الناس من العلماء والادباء والوجها من المسلمين وغيرهم عند قبر الاستاذ الامام حكيم الشرق

وحجة الاسلام الشيخ محمد عبده ثانياً ورثته وكان عدد المجتبهين عظيمًا كما كان ينتظر أو أكثر مما كان ينتظر فقد غص بهم المكان المعروف بالحوش والبطحاء التي أمامه ورجع خلّاق أموا المكان فلم يجدوا مقعداً ولا موقفاً

قام حسن باشا عاصم الذي كان رئيس الديوان الخديوي من قبل بعد تلاوة أحد القراء آيات من الكتاب العزيز فألقى على الحاضرين سيرة الامام ، بالاختصار اللائق بالمقام ، وتلاه الشيخ أحمد أبو خطوه القاضي في المحكمة الشرعية الكبرى وأحد أكابر المدرسين في الجامع الازهر وطفق يسرد ما كان للفقيه عليه الرضوان من خدمة العلم والدين والاصلاح الصوري والمعنوي في الازهر والمحاكم الشرعية وما له من الايدي البيضاء على العلم والعلماء ، وقد ضعف صوته أن يصل الى آذان الحاضرين جلياً فامتدت الاعناق وكاد يضطرب الجمع فاستجاب عنه محمد أفندي سعودي أحد كتاب المحكمة بعد الاعتذار . ثم قام حسن باشا عبدالرازق أحد أعضاء مجلس الشورى فذكر من فضائل الفقيه وفواضله وآثاره وما أثره ماشاء الله أن يذكر وتوسع بعض التوسع في أثره رحمه الله تعالى في مجلس الشورى وكيف كان صاحب الرأي الاعلى حتى ارتقى به المجلس وزال ما كان بينه وبين الحكومة من سوء التفاهم .

وتقفاه قاسم بك أمين القاضي في محكمة الاستئناف الاهلية فذكر مكانة الفقيه في الامة ، وما امتاز به من المزايا الجمّة ، وكيف وقف نفسه على اصلاح أمته ، وكان قدوة صالحة في علمه وسيرته ، وكيف ارتقى بحجده وعلمه وعقله وقوة ارادته ، الى مقام مكنه من الاخذ بزمام أمة بأسرها ، وسوقها الى المستقبل الذي هيأ لها ، وهو مقام الامامة بأوسع معناها

تلا هؤلاء الخطباء أشعر الشعراء في هذا العصر حفي بك ناصف القاضي بمحكمة مصر الاهلية وحافظ أفندي ابراهيم فأنشد كل منهما مرثية أبكت السامعين بعد ما كدنا نظن ان تلك الخطب المؤثرة قد استنزفت الشؤن من العميون .

فأما مرثية حافظ فقد نشرناها في جزء سابق وأما مرثية حفي فسنشرها مع سائر المراتي والتأبين في جزء الرثاء والتأبين من تاريخ الاستاذ الامام رحمه الله تعالى رحمة واسعة

ثم ختم الاحتفال كما بدى بتلاوة آيات القرآن الحكيم وانفض الجمع وهم يستعطرون الرحمة لفقيه الشرق والاسلام ، ويسألون الله أن ينفع بسيرته الانام ،

وقد رأوا ان هؤلاء المؤمنين الذين يمثلون الطبقات العليا في الأمة على ما لهم من الصفة الرسمية قد سجلوا مناقب الفقيه على رؤوس الاشهاد وأقرهم الالوف على ذلك سبق للادباء والوجهاء في مصر ان اجتمعوا لتأبين ثلاثة رجال شفيق بك منصور يكن الذي كان قاضياً في محكمة الاستئناف ثم رئيساً للنيابة فيها ووكيلاً للنائب العمومي (المتوفى سنة ١٣٠٨) وعلي باشا مبارك ناظر المعارف الذي خدمها في مصر بهمة واجتهاد واخلاص بقدر ما سمحت له قدرته وحال البلاد (المتوفى سنة ١٣١١) ومحمود سامي باشا البارودي وما العهد به بعيد

كل أولئك نابغ في قومه انفرد بالسبق في بعض المزايا حتى لم يكن في عصره من يزاحمه في مزيته فيدعي مساواته فيها وكأنك بهذه الأمة التي زادت بها الحرية الشخصية فوضى وتهجماً من الوضع على محاكاة الرفيع فيما تسهل المحاكاة فيه مما كان عن الرفعة دون ما كانت به الرفعة قد صارت تجتمع لتأبين من ليس لهم فيها أثر يذكر ولا ذكر يرفع اجابة لدعوة أهلهم وأصدقائهم حتى لا يبقى لمثل هذا الاجتماع مزية يحفظها التاريخ أو يحفل بها المؤرخ

قد بلغ الاستاذ الامام رحمه الله تعالى من المكانة العالية والشهرة الواسعة ان صارت الأبصار تشخص والقلوب من ورأها تتلفت الى كل ما كان يكون منه أو يصدر عنه أو يعمل له أو يقال فيه وهذا ما أحسب أن يجعل تأبينه سبباً لاجلال التأبين وحمل المقلدين على الرغبة فيه وهذا هو الذي يجعل التأبين بعد اليوم محاكاة لاجلال الأمة لمن يؤبن لاحكاية عنه اذ يهز أن تجذب قلوب جميع الطبقات في الأمة لمجتمع يشاد فيه بذكر رجل بعد خادمها الامين ، وامامها في العلم والعمل والدين ، أو ينبغ فيها من يساهم الرجل في فضائله ، ويكون له في الامة ولو بعض فواضله ، فتأبين الاستاذ الامام هو الذي جعل للتأبين شرقاً يرغب فيه ويحمل على محاكاته وهو الذي يسلبه هذا الشرف اذا كان لغير مستحقه واذا فهم المقلدون هذه الحقيقة فانهم يكرمون من يفقدون من ذوي القرين أو الصداقة بترك الدعوة الى تأبينهم ويتركون هذا الأمر الى الامة نفسها يقترحه فضلاؤها وكتابها لمن يروونه أهلاً له في المستقبل فيكون كما ينبغي أن يكون ، والله في خلقه شؤون ،

كتاب تعزية من عالم انكليزي

كتب مستر أدوارد برون أحد علماء الانكليز الاعلام المدرس في مدرسة كمبردج الجامعة الكتاب الآتي بالعربية الى حدوده بك عبده يعزيه به عن أخيه الاستاذ الامام فنشرناه هنا تنويهاً بانصاف كاتبه وفضله وتنسيقاً للأذهان على ما كان لامام الشرق في نفوس علماء الغرب ليعلم من لم يكن يعلم أن تعارف إمامنا بالافرنج قد كان حجة للإسلام وشرقاً للمسلمين . قال الكاتب :

سيدي الفاضل المكرم

لا أعلم بأي لسان أعزبكم وكل المصريين بل كل المسلمين بل كل العالمين ، على هذه المصيبة التي عمت الناس كلهم أجمعين ، وخصت المصريين ، ومنذورود هذا الخبر الهاثل رب يوم أردت ان آخذ القلم بأصابعي لكي أعرب عما في القلب من الحزن والغم الشديد ووضعه يأساً وعجزاً لان هذه المصيبة وراء الكلام خبر "ما نابنا مصملاً" جل حتى دق فيه الاجل

ياسيدي في مدة عمري رأيت كثيراً من البلاد والعباد وما رأيت مثل الفقيد المرحوم قط لا في الشرق ولا في الغرب فوالله كان وحيداً في العلم ، وحيداً في التقوى والورع ، وحيداً في البصيرة والاطلاع على ظواهر الامور وبواطنها ، وحيداً في البلاغة والفصاحة ، عالماً عاملاً محسناً ورعاً مجاهداً في سبيل الله محباً للعلم ملجأً للفقراء والمساكين

شامساً في القر حتى اذا ما زكت الشعري فبرد وظل كيف أصف بهذا اللسان العاجز هذا الرجل الوحيد الفقيد الذي كنت أفخر بأن أحسب من أقل تلامذته انما أرجو من سيدي أن يقبل مني تعزية من قلب حزين غير قابل للتسلي على هذا الفقدان العظيم

أريد ان شاء الله أن أكتب شيئاً باللغة الانكليزية في ترجمة حال الفقيد وقد جمعت كل ما وجدت في الجرائد العربية في هذا الباب وأرجو من حضرتك أن تعينوني في ذلك بارسال الترجمة الموعودة في المؤيد اذا طبع على حدة لكي أسفيد بما فيه من المعلومات . فتقبل ياسيدي المكرم في الختام أخلص تعزيتي وأزكي السلام

المخلص أدورد برون



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

الحكمة
١٣١٥

فينشر عباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و« منارة كنار الطريق)

مصر - ١٦ شعبان سنة ١٣٢٣ - ١٥ أكتوبر (ت) سنة ١٩٠٥

باب العقائد

﴿ مذهب السلف ، وطريقة الحنابلة في التأليف ﴾

نوفج من مقدمات شرح عقيدة السفاريني الذي نطبه في هذه الايام المسمى (لوائح الانوار البهية ، وسواطع الاسرار الاثرية ، لشرح الدرة المضية ، في عقيدة الفرة المراضية ، قال

﴿ السابع ﴾

المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم باحسان واتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالامامة وعرف عظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف دون من رمي ببدعة أو شهر بقلب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء مما يأتي ذكرهم عند تعداد الفرق لكن لما كان فشو البدع وظهورها كان بعد المائتين لما عربت الكتب العجمية كما تقدم وزاد البلاء وأظهر المأمون القول بخلق القرآن وظهر مذهب الاعتزال ظهوراً لا مزيد عليه بسبب انحراف الخلفاء عن مذهب الحق وكان الذي قام في نحورهم ورد مقاتلتهم وإبطال مذهبهم وتزييفه وذم من ذهب اليه أو عول عليه أو اتبعه الى ذويه أو ناضل عنه أو مال اليه سيدنا وقدوتنا الامام المبجل والخبر البحر المفضل أبا عبد الله الامام أحمد بن محمد بن حنبل نسب مذهب السلف اليه وعول أهل عصره من أهل الحق فمن بعدهم عليه والا فهو المذهب المأثور والحق الثابت المشهور لسائر أئمة الدين وأعيان الامة المقدمين قال حرب ابن اسماعيل الكرماني في كتابه المصنف في مسائل الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه واسحق بن ابراهيم بن راهويه مع ما ذكر فيها من الآثار عن النبي المختار والصحابة الأبرار والتابعين الأطهار ومن بعدهم قال هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الآثار المعروفين بالسنة المقتدى بهم فيها وأدركت من أدركت من علماء العراق والحجاز والشام عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن سبيل السنة ومنهج الحق قال وهو مذهب الامام أحمد واسحق وبقى ابن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن

جالسنا وأخذنا عنهم العلم فذكر الكلام في الإيمان والقدر والوعيد والامام الخ
كلامه كما سنبه عليه في محالته وعن ألف في عقائد السلف وذكر معتقدهم في كتب
التفسير المنقولة عن السلف مثل تفسير عبد الرزاق وتفسير الامام أحمد واسحق
وبقي بن مخلد وعبد الرحمن بن ابراهيم دحيم وعبد بن حميد وعبد الرحمن بن أبي
حاتم ومحمد بن جرير الطبري وأبي بكر بن المنذر وأبي بكر عبد العزيز وأبي الشيخ
الاصفهاني وأبي بكر بن مردويه وغيرهم وكذلك الكتب المصنفة في السنة والرد
على الجهمية وأصول الدين المنقولة عن السلف مثل كتاب الرد على الجهمية لمحمد
بن عبد الله الجعفي شيخ البخاري وكتاب خلق الافعال للبخاري وكتاب
السنة لابي داود ولاي بن بكر الاثرم ولعبد الله بن الامام أحمد وحنبل بن اسحق
ولاي بن بكر الخلال ولاي بن الشيخ الاصفهاني ولاي بن القاسم الطبراني ولاي بن عبد الله
بن منده وأمثالهم وكتاب الشريعة لابي بكر الآجري والابانة لابي عبد الله
ابن بطة وكتاب الاصول لابي عبد الله الطلمنكي وكتاب رد عثمان بن سعيد الدارمي
وكتاب الرد على الجهمية له وغير ذلك فالأئمة الاربعة والسفيانان والحمادان وابنا
أبي شيبة والليث ابن سعد وابن أبي ذيب وربيعة بن عبد الرحمن والبخاري ومسلم
وأبو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة وابن ماجه وابن حبان وأبو ثور
وابن جريج والاوزاعي وابن الماجشون وابن أبي ليلى وأبو عبيد بن سلام ومسعر
ابن كدام الامام ومحمد بن يحيى الذهلي امام أهل خراسان بعد اسحق بلا مدافعة
وأبو حاتم الرازي ومحمد بن نصر المروزي وغير هؤلاء كلهم عقيدة واحدة سلفية
أثرية وان كان الاشتهار للامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه للعلامة التي ذكرناها
حتى ان الشيخ أباحسن الأشعري قال في كتابه - الابانة في أصول الديانة - ما نصه
بحروفه «فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة
والمرجئة فمرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون قيل له قولنا
الذي به تقول وديانتنا التي بها ندين التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه
وسلم وماروي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث فنحن بذلك معتصمون وبما
كان عليه الامام أحمد بن حنبل نصر الله وجهه قائلون ولن خالف قوله مجانبون لأنه

الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به المبتدعين فرحة الله عليه من امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين» انتهى فنسب المذهب اليه لاشتهاره بذلك مع ان سائر أئمة الدين سلكوا تلك المسالك وبالله التوفيق

الثامن

قال الجلال السيوطي في الاوائل أول من تفوه بكلمة خبيثة في الاعتقاد الجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار آخر ملوك بني أمية فقال بأن الله تعالى لا يتكلم قال شيخ الاسلام في الرسالة الحموية الكبرى أصل فشو البدع بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبع أصلها في أواخر عصر التابعين قال ثم أصل مقالة التعطيل للصفات انما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فان أول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة في الاسلام هو الجعد ابن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت اليه وقد قيل ان الجعد أخذ مقالته عن ابان بن سميان وأخذها ابان عن طالوت بن أخت لبيد بن الاعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان الجعد هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود الكنعانيين الذين صنف بعض الساحرين في سحرهم والنمرود هو ملك الصابئة كما ان كسرى ملك الفرس والمجوس فهم اسم جنس لا اسم علم قال وكانت الصابئة اذذاك الاقليلا منهم على الشرك وعلماءهم الفلاسفة وان كان الصابئي قد لا يكون مشركا بل مؤمنا بالله واليوم الآخر كما قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لكن كثيراً منهم أو أكثرهم كانوا كفاراً ومشركين وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل ومذهب النفاة الذين يقولون ليس له صفات الا سلبية او اضافية أو مركبة منها وهم الذين بث سيدنا ابراهيم خليل الرحمن اليهم فيكون الجعد أخذ عقيدته عن الصابئة الفلاسفة وأخذها الجهم أيضاً - فيما ذكره الامام أ. ح. رضي الله عنه - عنه وعن غيره وكذلك أبو نصر

الفارابي دخل حران وأخذ عن فلاسفة الصابئة تمام فاسفته لما ناظر السنية بعض فلاسفة الهند وهم الذين يجحدون من العلوم ماسوى الحسيات فرجعت أسانيد الجهم الى اليهود والصابئين والمشركون والفلاسفة الضالين امامن الصابئين وامامن المشركين فلما عربت الكتب الرومية زاد البلاء مع ما ألقى الشيطان في قلوب أهل الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم

ولما كان بعد المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وذويه . وكلام الائمة مثل مالك وسفيان بن عيينة وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي وأحمد واسحق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم في هؤلاء في ذمهم وتضليلهم معروف وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب (التأويلات) وأبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه (تأسيس التقديس) ويوجد كثير منها في كلام خاق غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه كما يعلم ذلك من كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الائمة المشاهير في زمن البخاري وسمى كتابه (رد عثمان بن سعيد على الكاذب الضئيد فيما افترى من التوحيد) فانه حكى هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي ثم ردها بكلام اذا طالعه العاقل الذكي يسلم حقيقة ما كان عليه السلف ويتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم وقد أجمع أئمة الهدى على ذم المريسية بل أكثرهم كفرهم وظلمهم ويعلم بمطالعة كتاب ابن سعيد الدارمي ان هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين الذين تسموا بالخلف هو مذهب المريسية فلا حول ولا قوة الا بالله فمذهب السلف حق بين باطلين وهدى بين ضالين قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه لا يوصف الله تعالى الا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث . قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله وروحه مذهب السلف انهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل

فالمعطل يبعد عما والمثل يبعد صما والمسلم يبدل إلى الأرض والسماء والله أعلم

﴿التاسع﴾

مذهب السلف هو المذهب المنصور والحق الثابت المأثور وأهله هم الفرقة الناجية والطائفة المرحومة التي هي بكل خير فائزة وكل مكرمة راجية من الشفاعة والورود على الخوض ورؤية الحق وغير ذلك من سلامة الصدر والأيمان بالقدر والتسليم لما جاءت به النصوص فمن المحال أن يكون الخائفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض من لا تحقيق لديه — ممن لا يقدر قدر السلف ولا عرف الله تعالى ولا رسوله ولا المؤمنين به حق المعرفة للأمور بها — من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم وهو لاء إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك بمنزلة الأميين وإن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهور وقد كذبوا وأفكوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين باطلين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم والجهل والضلال بتصويب طريقة غيرهم قال الحافظ ابن رجب في كتابه (بيان فضل علم السلف * على علم الخلف) ما نصه «ومن محدثات الأمور ما أحدثه المعتزلة ومن حذا حذوهم من الكلام في ذات الله تعالى وصفاته بأدلة العقول وهي أشد خطراً من الكلام في القدر لأن الكلام في القدر كلام في أفعاله وهذا كلام في ذاته وصفاته وينقسم هؤلاء إلى قسمين أحدهما من نفى كثيراً عما ورد به الكتاب والسنة لاستزامه عنده التشبيه كنفي الرؤية والاستواء وهذا طريق المعتزلة والجهمية وقد اتفق السلف على تبديهم وتضليلهم وقد سلك سبيلهم في بعض الأمور كثير ممن ينتسب إلى السنة والحديث من المتأخرين والثاني من رام اثبات ذلك بأدلة العقول التي لم يرد بها الاثر ورد على أولئك مقالتهم كالكرامية ومن وافقهم حتى إن منهم من أثبت الجسم اما لفظاً واما معنى ومنهم من أثبت له تعالى صفات لم يأت بها الكتاب والسنة كالحركة وقد أفكر السلف على مقاتل ردة على جهنم بأدلة العقل وبالفوا

في الطعن عليه والصواب ما عليه السلف الصالح من اصرار آيات الصفات وأحاديثها
كاجابات من غير تكبير ولا تمثيل ولا يصح عن أحد من السلف خلاف ذلك ألبنة
خصوصاً الامام أحمد رضي الله عنه ولا خوض في معانيها ولا ضرب مثل لها وإن كان
بعض من كان قريباً من زمنه فيهم من فعل ذلك من ذلك اتباعاً لطريقة مقاتل
ابن سليمان فلا يقتدى به في ذلك وإنما الاقتداء بأئمة الاسلام كابن المبارك
ومالك والثوري والاوزاعي والشافعي وأحمد واسحق وأبي عبيد ونحوهم رضي الله
عنهم فكل هؤلاء لا يوجد في كلامهم شيء من جنس كلام المتكلمين فضلاً
عن كلام الفلاسفة ولم يدخل ذلك في كلامه من سلم من قدح وجرح وقد قال أبو
زرعة الرازي: كل من كان عنده علم فلم يصن عنه واحتاج في نشره الى شيء
من الكلام فلستم منه وقال الحافظ ابن رجب أيضاً وفي زماننا تتعين كتابة كلام
أئمة السلف المقتدى بهم الى زمن الشافعي وأحمد واسحق وأبي عبيد وليكن الانسان
على حذر مما حدث بعدهم فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة وحدث من انتسب
الى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو أشد مخالفة لها لشذوذه عن
الامة وانفراده عنهم بفهم يفهمه أو يأخذ ما لم تأخذ به الامة من قبله وأما الدخول مع
ذلك في كلام المتكلمين والفلاسفة فشر محض وقل من دخل في شيء من ذلك الا
وتلطح ببعض أوضارهم كما قال الامام أحمد رضي الله عنه: لا يخلو من نظري
الكلام الاتجهيم: وكان هو وغيره يحذرون من أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة
وأما ما يوجد في كلام من أحب الكلام المحدث واتبع أهله من ذم من
لا يتوسع في الخصومات والجدال ونسبته الى الجهل أو الخشوع أو الى انه غير عارف بالله
أو بدينه فمن خطوات الشيطان نفوذ بان منه « انتهى ملخصاً »
وفي الآداب للامامة ابن مفلح رحمه الله تعالى عن الطبراني قال حدثنا عبد الله
بن الامام أحمد قال حدثني أبي قال: قبور أهل السنة من أهل الكباثر روضة وقبور
أهل البدعة من الزنادقة حفرة فساق أهل السنة أولياء الله وزهاد أهل البدعة أعداء
الله: وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يقول « اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تسمع ومن

دعوة لا يستجاب لها» وخرجه أهل السنن من وجوه متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعضها «ومن دعاء لا يسمع» وفي بعضها «أعوذ بك من هؤلاء الأربعة» وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول «اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني» ورواه النسائي من حديث أنس رضي الله عنه وزاد «وارزقني علماً تنفعني به» ويأتي الكلام على هذا بأبسط من هذا في المقدمة والله أعلم

(المنار) كنا عند ابتداء الاشتغال بعلم الكلام نرى في الكتب خلاف الحنابلة فنحسب أنهم قوم جمدوا على ظواهر النقول ما فهموها حق فهمها، ولا عرفوا حقائق العلوم وطابقوا بين النقل وبينها، وأن كتب الاشاعرة هي وحدها منبع الدين، وطريق اليقين، ثم اطلعنا على كتب القوم فاذا هي الكتب التي تجلي للمسلمين طريقة السلف المثلى، وتورد الناس مورد هم الاحلى، واذا بقارئها يشعر ببشاشة الايمان، وبحس سرعان برد الايقان، واذا الفرق بينها وبين كتب الاشاعرة كالفرق بين من يمشي على الصراط السوي، ومن يسبح في بحر لحي، تتدافعه أمواج الشكوك الفلسفية، وتجتاذبه تيارات المباحث النظرية، وقد ظهر لي اذ تبينت أن مذهب السلف الصالح أسلم وأعلم وأحكم، أن هذا من دلائل صدق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، لأن المسلمين بعد أن نظروا في فلسفة الحكماء الالهيين، وخاضوا في جميع علوم الأولين، لم يأتوا بشيء في توثيق عقدا الايمان، ولا بالوصول الى الحق بالبرهان، الا بدون ما جاء به القرآن، ولو كان هذا القرآن من وضع البشر لارتقوا عنه بعد خروجهم من الأمية، وتوغلهم في العلوم العقلية من رياضية وطبيعية وفلسفية، ومما تفضل به كتب الحنابلة سائر الكتب أنها يحتاج اليها في كل زمان، وكتب الاشاعرة قد استغنى الناس عن معظم نظرياتهم الآن، لأن معظمها من الفلسفة اليونانية وقد نسخت، وفي مناظرة فرقة المعتزلة وقد انقرضت، نعم لا أقول أن كل ما كتب الحنابلة من المسائل والمباحث صواب، وإنما معصومة من الخطأ قالها المرجع والمآب، فإن العصمة لكتاب الله وحده «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»

فَتَاوَى الْمُنَابِتِ

فتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسم ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورمقاد من تأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورمقادنا غير مشترك لثقل هذا، ولن يفتي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

(اعطاء الزكاة والصدقة للشرفاء ومعاملتهم)

(س ٣٠) عوض بن جهمان سعيدان في (سنا فوره) ما قولكم سيدي في اعطاء الزكوات لمن صح انسابهم الى الامام الحسين بن علي عليها السلام صحة لا مربة فيها يعتقدونها المعطي والمعطي اعتقاداً جازها مع علمهما بالنهي الوارد فيه وتعليل الشارع عليه الصلاة والسلام عدم حلها لآل بيته بكونها أوساخ الناس الخ. لماذا ذكر من غنائهم بما لهم من خمس الخمس والحاجة تقليداً لقليل من متأخري أئمة الشافعية في تحليلهم الاعطاء والأخذ (كذا كتبت العبارة والظاهر انه يريد بيان علة من قال بالجواز بالحاجة مع عدم استغنائهم الآن بما لهم من خمس الخمس) فهل ما جرح اليه أولئك القليل مما يسقط به الحرج عن الأخذ وتبرأ به ذمة المعطي أم هو اجتهاد مع وجود النص ونسخ لما صرح الشارع بعدم حله معللانه بأمر ذاتي وهو مع ذلك حظه لا يتعداهم فاعطاه غيره ظلم لهم فلا يجوز؟

(س ٣١) ومنه معطوفاً على ما سبق: وفي الاموال حقوق على أهلها غير الزكاة فاهي؟ ولما كان القصد بيان الحكم المفهوم من النصوص الشرعية بعد ذكرها وذكر ما فهمه سلف الأمة منها وذلك مما يتندر على أهل هذه الديار رفعنا هذه السطور مستمدين من المنار تحقيق المسألة خدمة للشرع كما هو ديدنه وله الشكر منا سلفاً والا جرم من الله (ج) روى أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة انه قال أخذ الحسن بن علي تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كنخ كنخ ارم بها أما علمت انا لانا كل الصدقة»

وروى أحمد وأبوداود والترمذي وصححه والنسائي وابنا خزيمة وحبان

وصحاحه من حديث أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً من بني مخزوم على الصدقة فقال لأبي رافع اصحبني كما تصيب منها فقال لا حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله وانطلق فسأله فقال «إن الصدقة لا تحمل لنا وإن موالي القوم من أنفسهم»

وجاء في شرح الحديث الأول من نيل الأوطار ما نصه: قال ابن قدامة لا نعلم خلافاً في أن بني هاشم لا تحمل لهم الصدقة المفروضة وكذا قال أبو طالب من أهل البيت حكى ذلك عنه في البحر وكذا حكى الإجماع ابن رسلان وقد نقل الطبري الجواز عن أبي حنيفة وقيل عنه تجوز لهم إذا حرموا سهم ذوي القربى حكاه الطحاوي ونقله بعض المالكية عن الأبهري منهم . قال في الفتح وهو وجه لبعض الشافعية وحكى فيه أيضاً عن أبي يوسف أنها تحمل من بعضهم لبعض لا من غيرهم وحكاها في البحر عن زيد بن علي والمرضى وأبي العباس والإمامية وحكاها في الشفاء عن أبي الهادي والقاسم العياني قال الحافظ وعند المالكية في ذلك أربعة أقوال مشهورة - الجواز، المنع، جواز التطوع دون الفرض، بعكسه - والأحاديث الدالة على التحريم على العموم ترد على الجميع وقد قيل إنها متواترة تواتراً معنوياً ويؤيد ذلك قوله تعالى «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» وقوله «قل ما أسألكم عليه من أجر» ولو أحلها لآله أو شئت أن يطعموا فيه ولقوله تعالى «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الصدقة أوساخ الناس» كما رواه مسلم وأما ما استدلل به القائلون بحلها للهاشمي من الهاشمي من حديث العباس الذي أخرجه الحاكم في النوع السابع والثلاثين من علوم الحديث بإسناد كله من بني هاشم أن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله إنك حرمت علينا صدقات الناس هل تحمل لنا صدقات بعضنا لبعض قال «نعم» فهذا الحديث قد اتهم بعض رواة وقد أطال صاحب الميزان الكلام على ذلك فليس بصالح لتخصيص تلك المسمومات الصحيحة . وأما قول العلامة محمد بن إبراهيم الوزير بعد أن ساق الحديث ما لفظه : وأحسب له متابعا لشبهة القول به (قال) والقول به قول جماعة وافرة من أئمة العترة وأولادهم وأتباعهم بل ادعى بعضهم أنه إجماعهم ولعل

توارث هذا عنهم يقوي الحديث : انتهى فكلام ليس على قانون الاستدلال لأن مجرد الحساب ان له متابعاً وذهاب جماعة من أهل البيت اليه لا يدل على صحته وأما دعوى انهم أجمعوا عليه فباطل باطل ومطلوبات مؤلفاتهم ومختصراتها شاهدة لذلك ، وأما قول الأمير في المنحة انها سكنت نفسه الى هذا الحديث بعد وجدان سنده وما عضده من دعوى الاجماع فقد عرفت بطلان دعوى الاجماع وكيف يصح اجماع لأهل البيت والقاسم والمهادي والناصر والمؤيد بالله وجماعة من أكابرهم بل جمهورهم خارجون عنه ، وأما مجرد وجدان السند للحديث بدون كشف عنه فليس مما يوجب سكون النفس . والحاصل أن تحريم الزكاة على بني هاشم معلوم من غير فرق بين أن يكون المزكي هاشمياً أو غيره فلا ينفق من المعاذير عن هذا المحرم المعلوم الا ما صح عن الشارع لا ما افقه الواقعون في هذه الورطة من الأعداء الواهية التي لا تخلص ولا ما لم يصح من الأحاديث المروية في التخصيص . ولكثرة أكلة الزكاة من آل هاشم في بلاد اليمن خصوصاً أرباب الرياسة قام بعض العلماء منهم في الذب عنهم وتحليل ما حرم الله عليهم مقاماً لا يرضاه الله ولا تقاد العلماء فألف في ذلك رسالة هي كالسراب الذي يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ، وصار يتسلى بها أرباب النباهة منهم وقد يتعلل بعضهم بما قاله البعض منهم أن أرض اليمن خراجية وهو لا يشعر أن هذه المقالة مع كونها من أبطال الباطلات ليست مما يجوز التقليد فيه على مقتضى أصولهم فالله المستعان ما أسرع الناس الى متابعة الهوى وان خالف ما هو معلوم من الشريعة المطهرة . واعلم ان ظاهر قوله « لا نحل لنا الصدقة » عدم حل صدقة الفرض والتطوع وقد نقل جماعة منهم الخطابي الاجماع على تحريمها عليه صلى الله عليه وآله وسلم وتعقب بأنه قد حكى غير واحد عن الشافعي في التطوع قولاً وكذا في رواية عن أحمد وقال ابن قدامة ليس ما نقل عنه ذلك بواضح الدلالة وأما آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أكثر الخنفية وهو المصحح عن الشافعية والحنابلة وكثير من الزيدية انها تجوز لهم صدقة التطوع دون الفرض قالوا الآن انهم عليهم انما هو أوساخ الناس وذلك هو الزكاة لا صدقة التطوع . وقال في البحران خصص صدقة التطوع القياس على الهبة والهدية والوقف . وقال أبو يوسف

العباس انما تحرم عليهم كصدقة الفرض لأن الدليل لم يفصل اه ما في نيل الأوطار
فأنت ترى ان الحديث في تحريم الصدقة على الآل صحيح وان الخلاف في
حكمه ضعيف ويزيد الخلاف ضعفاً عمل الناس بالحديث من الصدر الأول حتى صار الحكم
معلوماً من الدين بالضرورة. وان عائته نزه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن شبهة أخذ
الأجر على النبوة وكونها طريقاً له أولاً له الى حطام الدنيا ثم حمل آله على النزه
عن أوساخ الناس ليتربوا على كرامة النفس وعزتها ويكونوا قدوة للناس في
الترفع عن الدنيا والحسائس، وأي خسة أبلغ من رضى الانسان بأن يكون عالة
على الناس يده السفلى وأيديهم هي العليا؟ ولوجاز في أصل الشرع بذل الصدقات
لآل البيت اقدمهم الناس فيها على غيرهم حتى ليوشك أن يعطى منهم غير المستحق
ويحرم المستحق من غيرهم رجاء أن يكون ذلك أكثر قبولا عند الله تعالى وذلك
مما يحملهم على ترك الكسب اتكالا على ما يبذل الناس من صدقاتهم. على انهم
لم يسلموا من هذا في كثير من البلاد مع تحريم الصدقة عليهم فان الناس يبذلون
لفقرائهم من صدقة التطوع ما يبذلون، ويقدمون لوجهائهم من الهدايا ما يقدمون،
حتى صارت معاشهم فائضة من أنامل الناس يوطنون أنفسهم عليها بطناً بعد بطن
فانصرفت همهم عن الكسب حتى ضعف استعدادهم له فزل بهم الناس في
سلم الحياة الاجتماعية وهم يحسبون أنهم صاعدون فهولاء الذين يحتالون لتجوز
اعطائهم الزكاة يحسبون أنهم يحسنون صنعا بالقيام بمصلحتهم وسد خللتهم وفاتهم
أن الشارع أعلم بهذه المصلحة وأحكم، حيث حرم عليهم ما حرم، ومن الجبل أن
يقال ان التحريم خاص بذلك الزمان، وان لنا أن نقول بنسخه الآن،

كذلك أضر المحبون بنا معشر الشرفاء بالغلو في التعظيم لمكان النسب لان هذا
كان سبباً لاقتناع الجماهير منا بهذه المكانة دون مكانة العلم والاستقلال الذاتي
فان صغيرنا يرى الكهول والشيخوه يهون الى يده بالتقيل فلا يشعر بحاجة الى
كمال آخر يرتفع به ذكره ويعلو قدره فيكون سيدا في الناس بمجده في العلم والفضل،
لا يعمل أيه وجده من قبل، والرأي عندي للأغنياء المحبين لآل البيت أن يساعدهم على
الاستقلال بأنفسهم حتى يكون الناس في حاجة الى علمهم ورفدهم ولا يكونوا هم عالة

على الناس لأن يلصقوا بهم أو ساخهم ويجعلوهم كالقمل الذي لا يعيش الا في الوساخة والدرن . وان يؤخذوا الشريف الذي يخرج عما يليق بشرفه من كرامة النفس ، والاعتصام بأدب الشرع ، ما لا يؤخذون ، سواء ، وان يعضموا فضائله ، ويجلوا فواضله ، بأبلغ مما يكون لمن عداه ، كما توعد الله نساء النبي بمضاعفة عذابهن على الذنب ضعفين ، ووعدهن بإيتائهن أجرهن على العمل الصالح مرتين ، وهو تعالى أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ، وأما الحقوق التي على الانسان في ماله غير الزكاة فمنها الواجب . كالنفقة على من تلزمه نفقته وكازالة ضرورة المضطر فان من رأى معصوماً مشرقاً على الهلاك من الجوع يجب عليه اطعامه كما يجب عليه انقاذ الغريق عند القدرة على ذلك والمراد بالمعصوم من لا يباح دمه شرعاً كالمحارب ولا يفهم من هذا أن غير المعصوم تحرم اغاثته مطلقاً قرب انقاذ محارب يأتي بمصلحة أو يسوق الى هداية . ومنها ما هو مندوب كبدل المال في وجوه الخير ايّا كانت كالضيافة وأنفعها في هذا الزمان انشاء المدارس لتعليم النافع والثرية الصحيحة والجمعيات الخيرية التي تقوم بترية اليتامي وكفالة العاجزين ونحو ذلك من الوجوه التي يعم نفعها حتى ترتقي بالسبق فيها أمة على أمة ، وتستعلي بآثارها دولة على دولة ، وناهيك بالجمعيات التي تبث السعاة في الاقطار لهداية الخلق الى الحق في زمن لا يحفل ملوك المسلمين وامراؤهم فيه بالدعوة ولا يهمهم أمر الدين . وانك لتجد في باب التفسير من أجزاء المنار بياناً للآيات الكريمة التي تحض علي بذل المال في سبيل الله غير فريضة الزكاة فلا حاجة الى كتابة شيء من الآيات هنا وهي كثيرة جداً . وكذلك الاحاديث في هذا المقام كثيرة فان كان يرى السائل حاجة الى سرد شيء منها فليكتب اليها

لعن معاوية والترضي عنه - وفيه حكم اللعن مطلقاً -

(س ٣٢) ومنه : سيدي قال لي أحد العلماء ان من يلعن معاوية أقل خطراً ممن يترضى عنه ولتصور علمي لم أحر جواباً فهل هو مصيب فيما قال أم مخطيء أفيدونا على صفحات المنار لازلتم مؤيدين وبعين العناية ملحوظين

(ج) هو مخطيء بلا شبهة فالدعاء بالخير - ومنه الترضي - من البر الامن قام عنده دليل قطعي على ان فلاناً مات كافراً بالله وأن الله غضبان عليه وهذا لا يعرف

الابوحي من الله تعالى لأن المعاصي والكفر في الحياة لا يدلان دلالة قطعية على أن صاحبيهما ماتا عليها لأن الخاتمة مجهولة بخلاف بين العلماء ولا العقلاء وأما اللعن فهو من السفه الذي لا ينبغي للمؤمن وقد قال صلى الله عليه وسلم «ليس المؤمن بالسباب ولا بالطعان ولا اللعان» قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الأخياء رواه الترمذي بإسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم وصححه ورواه غيرهم من حديثه ومن حديث أبي هريرة مرفوعاً وروى الترمذي من حديث ابن عمر وحسنه «المؤمن لا يكون لعاناً» وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي العرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة» وورد في حظر اللعن وذمه غير ذلك من الأحاديث وقد جعل حجة الاسلام الفزالي اللعن على ثلاث مراتب بحسب الصفات المتضمنة للعن الأولى أن يلعن الكافرين أو المبتدعين أو الفاسقين جملة، الثانية أن يخص طائفة منهم كأكلي الربا من الفاسقين مثلاً، الثالثة لعن شخص معين من هذه الاصناف ونذكر عبارته فيها قال رحمه الله تعالى

«الثالثة اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعاً فتجاوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وأبو جهل لعنه الله لأنه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعاً أما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلاً فهذا فيه خطر فإنه ربما يسلم فيموت مقرباً عند الله تعالى فكيف يحكم بكونه ملعوناً. فإن قلت يلعن لكونه كافراً في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلماً في الحال وإن كان يتصور فيه أن يرتد فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أي ثبتته على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فإن هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز أن يقال لعنه الله أن مات على الكفر ولا لعنه الله أن مات على الاسلام وذلك غيب لا يدري والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر. وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى فلعن

الاعيان فيه خطراً لأن الاعيان تثقل في الأحوال الا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوماً باللعن فكان يقول في دعائه على قريش « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة » وذكر جماعة قتلوا على الكفر بيد حتى ان من لم تعلم عاقبته كان يلعنه فنهى عنه اذروي انه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهراً فنزل قوله تعالى « ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » يعني انهم ربما يسمون فمن أين تعلم انهم ملعونون . وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه أذى على مسلم فان كان لم يجوز كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر رضي الله عنه عن قبر مرء به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتياً على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعمهم للطعام وأضرب لهم من أبي قحافة . فقال أبو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم « اكف عن أبي بكر » فانصرف ثم أقبل على أبي بكر فقال « يا أبا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء والآباء » (١) فكف الناس عن ذلك . وشرب نعيمان الخمر فحدمرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم « لا تكن عوناً للشيطان على أخيك » وفي رواية « لا نقل هذا فانه يحب الله ورسوله » (٢) فنهاه عن ذلك وهذا يدل على ان لعنة فاسق بعينه غير جائزة ففي لعنة الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس مثلاً فضلاً عن غيره . فان قيل هل يجوز لعن يزيد لأنه قاتل الحسين أو أمر به قلنا هذا لم يثبت أصلاً فلا يجوز أن يقال انه قتل أو أمر به ما لم يثبت فضلاً عن اللعنة لأنه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق . « نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم علياً رضي الله عنه وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواتراً فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق وكفر من غير

(١) الحديث رواه أبو داود في المراسيل من رواية علي بن ربيعة (٢) رواه

هذا السياق ابن عبد البر في الاستيعاب وهو عند أحمد والبخاري وغيرهما لم يسم فيه نعيمان

تتحقيق . قال صلى الله عليه وسلم « لا يرمي رجل رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا باء به أحدهما إن كان كافراً فهو كافراً وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه » وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم فإن ظن أنه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئاً لا كافراً . وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتراك أن تشتم مسلماً أو تعصي اماماً عادلاً » (٢) والتعرض للأموات أشد قال مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت : ما فعل فلان لعنه الله : قلت توفي قالت رحمه الله : قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا » (٣) وقال عليه السلام « لا تسبوا الأموات فتؤذوا به الأحياء » (٤) وقال عليه السلام « أيها الناس احفظوني في أصحابي وأخواني وأصهارى ولا تسبوهم أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً » (٥)

« فإن قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو آل امرئ بقتله لعنه الله ؟ قلنا الصواب أن قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله : لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة فإن وحشياً قاتل حجة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعاً ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولا يجوز أن تنتهي

(١) الحديث رواه الشيخان والسياق للبخاري من حديث أبي ذر مع تقديم لفظ الفسق والحديث الذي بعده رواه الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٢) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث طويل (٣) رواه أحمد والبخاري والنسائي بدون ذكر قصة عائشة مع مسروق وهي عند ابن المبارك في الزهد والرقائق (٤) رواه أحمد والترمذي والطبراني من حديث المغيرة بن شعبه (٥) رواه الديلمي في مسند الفردوس ولبعض جملة شواهد في الصحاح كحديث أبي سعيد وأبي هريرة عند أحمد والشيخين « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مداً أحدهم ولا نصيفه » وحديث ابن عمر عند أبي داود والترمذي « اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم » وغير ذلك

الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر

«وانما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة وإطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر أو على الاجناس المعروفين بأوصافهم دون الاشخاص المعينين فلاشتغال بذكر الله أولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة. وقال مكّي ابن ابراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال ابن أبي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون انما نذكره لما ارتكبه منك (١) فقال انماها كلمتان تخرجان من صحتي يوم القيامة لا إله الا الله، ولعن الله فلاناً - فلأن يخرج من صحتي «لا إله الا الله» أحب اليّ من أن يخرج منها (لعن الله فلاناً) وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال (أوصيك أن لا تكون لعاناً) (٢) وقال ابن عمر إن أبغض الناس الى الله كل طعان لعان. وقال بعضهم لعن المؤمن كعدل قتله قال حماد بن زيد لو قلت انه مرفوع لم أبال (٣) وعن أبي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمناً فهو مثل أن يقتله: وقد نقل ذلك مرفوعاً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان مثلاً: لا صرح الله جسمه ولا سلمه الله: وما يجري مجراه فان ذلك مذموم. وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة «اه ما كتبه الغزالي

(المنار) قد أوردت كل هذا ليعلم القارئ أن السنة الرجيحة والاحاديث الصحيحة وسيرة السلف الصالحين وفقه أئمة الدين كل ذلك ينهى المؤمن عن

(١) ابن عون هو أبو عون عبد الله بن عون أحد أعلام السنة أدرك أنس بن مالك وروى له الجماعة. وبلال بن أبي بردة هو ابن أبي موسى الاشعري كان أمير البصرة وقاضياً روى له الترمذي حديثاً واحداً وكان قد آذى ابن عون ولذلك سبه القوم ولعنوه أمامه فلم يشايهم بل أنكر عليهم (٢) رواه أحمد والبخاري في التاريخ وغيرهما (٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٤) المرفوع رواه الشيخان من حديث ثابت بن الضحاك بلفظ (لعن المؤمن كقتله)

اللعن الذي يتساهل فيه أهل الأهواء من السفهاء وما أحسن قول حجة الاسلام «ففي لعن الأشخاص خطر ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس مثلاً فضلاً عن غيره» أي فإن الله تعالى - وإن لعنه - لم يكفنا لعنه وأكبر العبر للمؤمن فيما تقدم تأديب الله تعالى نبيه اذ أنزل عليه حين طفق يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة «ليس لك من الأمر شيء» أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون» وأصحاب بئر معونة سبعون رجلاً من القراء بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم ليعلموا الناس القرآن فقتلهم عامر بن الطفيل وأصحابه . وروى أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن جرير وغيرهم من حديث أنس أن الآية نزلت يوم أحد حين كسر المشركون ربيعة النبي صلى الله عليه وسلم وشجوا وجهه وفي حديث ابن عمر عند أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد «اللهم العن أباسفيان اللهم العن الحارث بن هشام اللهم العن سهيل بن عمرو اللهم العن صفوان بن أمية» فنزلت الآية وهي على هذا أكبر عبرة وأعلى تهذيباً

هذا وإن السواد الأعظم من المسلمين يعدون سب معاوية ولعنه من الكبائر ويرمون سابه بالرفض والابتداع وإن السني من المسلمين ليعادي الشيعي على سب معاوية وأبي سفيان بله الخلفاء الثلاثة ويعادي الخارجي على سب عثمان وعلي مالا يعادي غيرهما على ترك فريضة من الفرائض أو ارتكاب فاحشة من الفواحش فهذا الطعن في عطاء الصحابة وحمة الدين الأولين لو كان جائزاً في نفسه لكفى في تحريمه ما يترتب عليه من زيادة التفريق بين أهل القبلة وتمكين العداوة والبغضاء في قلوبهم حتى يكفر بعضهم بعضاً . لهذا لا أبالي أن أقول لو اطلع مطلع على الغيب فعلم أن معاوية مات على غير الاسلام لما جاز له أن يلعنه . فما قاله ذلك الرجل للسائل مردود لا قيمة له وهو دال على أنه جاهل يفتي بغير علم بل بمحض الهوى (استدراك) علم مما تقدم عن الغزالي أنه لا يجوز لعن كافر ولا فاسق حي وان هذا خطر لما يتضمن من الرضى بموته على كفره أو فسقه، ولا لعن ميت لأن الخاتمة مجهولة لا تعرف إلا بوحي من الله ، وأن لعن الفاسق والكفار عامة أو لعن صنف معين منهم في الجملة جائز ولكنه غير محمود شرعاً والأولى أن يستبدل

الانسان بذلك اللعن ذكر الله أو الكلام في الخير. وأقول إن جواز لعن الصنف أو النوع بمعنى عدم تحريره مقيد بما اذا لم يكن سباً لهم في وجوههم لأن السب محرم في ذاته لأنه بذاء مذموم وسبب للشحناء والعسودان وقد نهى الله تعالى عن سب معبودات المشركين، لتلايسوا معبود المؤمنين، فقال في سورة الانعام «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم» ولا يخفى ان حرمة الكتابي أعظم من حرمة المشرك وانقاء تنفيره أهم وان ايذاءه اذا كان ذمياً أو معاهداً أو مستأمناً محرم بالاجماع، وانه لا يصح أن يجعل لعن الفاسقين ذريعة الى تنفيرهم عن فسقهم كأن يحضر مجلس السكارى ويلعن شاربي الخمر على مسمع منهم لأن الارشاد يجب أن يكون بالمعروف واللين - هذا وإن لعن صنف من الكفار أو الفساق في حضرة أفراد من الصنف هو بمثابة لعن الاشخاص فهو معصيتان لأنه سب علي من جهة ولعن لأشخاص معينين من جهة أخرى .

فعليك أيها المؤمن أن تحفظ ما بين فكيك فانه لا يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد أسنتهم كما ورد في الحديث الصحيح عند الترمذي وابن ماجه . ولا تغتر ببعض حملة العمام ، وسكنة الاثواب العباغب ، اذا رأيتهم يلعنون الأحياء والأأموات ويكفرون المسلمين ، ويبرزون خروجهم عن هدي الدين في معرض الدفاع عن الدين ، فأولئك ليس لهم حظ من هدى الاسلام ، ولا من العلم غير الثرة والتشديق في الكلام ، وقد روى أحمد من حديث أبي ثعلبة ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « ان أبغضكم اليّ وأبعدكم مني مجلساً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام » ومثله عند الترمذي من حديث جابر وله نظائر

ومن علامات هؤلاء السفهاء ان لهم في كل مجلس لسان ومع كل مخاطب وجه فهم المنافقون ، هنا يذمون وهناك يمدحون ، وهم على الناس شر من المبتدعة وأهل الأهواء الذين يلعنون أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لان هؤلاء يغتر بهم العوام ما يغترون بأولئك . وشرهم الحساد الذين ينقرون الناس عن الحكماء المصلحين ، ويخوضون في أعراض العلماء العاملين ، « وعلي الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين »

باب في معاملة الوالدين

« الحب الحقيقي ومعاملة الوالدين للشباب العاشق »

المكتوب الرابع — من هيلانه الى ولدها (*) —

لقد راقتي منك يا بني العزيز صراحتك وموافقة شرك لعلايتك واني مجتنبه كل الاجتناب مما زحقتك في غايتك التي نطت بها أمانيك ومع اعترافي بأن ما قصصته علي في شأنها لا يخلو من أمور تدعوني الى التفكير وتبيح لي أن أنبهك في أمرها الى تفاصيل اخالها مربية أحمى ان أجرد تلك الاماني من زهوها وأعريها من روائها فليس عليك الا أن تنكر انك شاب غرلاً تختبر شيئاً من أمور الدنيا وانك وآسفي لسرعان ما تتعلم أن لا تقتر بالظواهر وعسى الله أن لا يجعل في ذلك خسارة عليك قد تعاهدت أنا وأبوك على عدم التداخل في محباتك بحال من الاحوال فأنت حينئذ آمن من ضروب عذلي وتأنيبي ولكنك بما صرت ولي نفسك مسئول عن جميع ما يقترفه قلبك في سبيل الحب من الآثام واعلم أن من هوفي مثل سنك يكون شديد الارتياح الى الاعتذار والانحداع فكم شاب يحسب من الحب ما ليس هو الا اضطراباً في مشاعره وسراباً يبدو لحواسه لان الحب الصحيح هو الاستيلاء على نفس المحبوب ولا يبلغه الا من كان حقيقاً به واهلاً له

لم يماق بنفسه أدنى أثر مما للناس في الممثلات من الاوهام وانهم اظالمون في حكمهم على كثير منهم وحاشا أن أحكم على تلك القينة التي فتنتك بمحاسنها وأنا لا أعرفها وإنما أنبهك الى انك ليس لك حتى الآن أدنى وجه صحيح في أن تستمتع من بعض أحوالها معك انها تفضلك على غيرك من عبادها فمن غرور الشبان أن يعتقدوا انهم محبوبون لأنهم محبوبون على أي أسام لك ان قلبها ماب لمواطنك فالذي تعرفه منها والذي تلمسه من وراء حجبها ليس من الخصائص المقومة للمرأة في شيء لانك انما تهشق منها تفنيتها وحسنها ودعابتها وهي مزايا

تستفيد العامة منها أكثر مما يستفيد الرجل الذي قد تصير صاحبة له فهل تدري ما يبقى لتمثال حبك الذي تعبده من المحاسن اذا زال عنه زخرف الملعب وروثه وغرور العشق وخدعه ؟

أنت بنفسك فيما يظهر لي مرتاب من ماضي سيرتها لا أنك تمنى لو أتيتك لك انتقادها من الدرك الذي هي فيه وهي فكرة كريمة جعلها أدباء العصر بدعة من البدع ومعاذ الله صيانة لشرف المرأة نفسه ان اعتقد ان ذنوبها لا تكفر بل اني أسلم ما قلته من ان الحب قد يمحو بعض الادلناس ولكننا لانعلم كثيراً من أمثال النساء اللاتي أبن الى الرشد بعد النفي ثم اني لا أظنك فكرت فيما يعترض مقصدك الدال عن البسالة من الصعوبات والهوائق فان انتقاد الخاطئات الذي يحسن الطيش لبعض الشبان الاغرار أن يدعوه لأفسهم يلابسه في معظم الاحيان من الكبر والعجب أكثر مما يصاحبه من الاخلاص الحقيقي فكأنهم بهذا يعتقدون أن ملائكة العشق اللاتي أهبطن الى حضيض الرذيلة ليس هن من الصلف والاياء مثل ما لهم . ان من يحاول ذلك العمل يجب أن يكون بالغاً من قوة النفس ولطف الذوق مبلغاً عظيماً يسمو به عن الغض من المرأة الخاطئة واذلالها ثم هل أنت في سنك هذا تأنس من نفسك قوة واقداماً على كتمان الغيرة فانها تبكيك ومواخذة للمرأة التي لم تكن طول حياتها عفيفة وهل لك من السلطان على نفسك ما يكفي لإخفاء ما يكون في معظم الاحيان مثاراً للريبة منك وهو ندمك على اجلالك لمثل تلك المرأة مع انه لا يسمح به عادة الا للزكية الطاهرة فاذا كنت لم تستكمل هذه الصفات فخل الجهاد عنك لأنه لا يكون من ورائه الا زيادة من تزعم انتقادها خسراً

من الامهات من يكتبن لأبنائهن في مثل هذا الموضوع على أسلوب مغاير لهذا تمام المغايرة فقد يؤنبهن ويجهلن في تخويفهم من عواقب طيشهم وغير الامهات قد لا يرين في كل هذا الامقدمة لواقعة من الوقائع الشائع حصولها بين الشبان وهفوة عادية من هفوات الطلبة وربما قلن فوق ذلك وهن مبسمات «تهويناتهن» فمن الواجب اقالة عثرات الشباب «وأما أنا فأعلم انك جادٌ فيما كتبت والا لما

أفضيت اليّ بسرك ولهذا أجبك بالجد واست أخاف عليك الآن تكون خدعة لما في خيالك من التوقد الذي هو من لوازم سنك ومن العبث القول بالتسامح في أمر الحب فليس أحد يسلم عليه بالاستخفاف به لأنه اذا لم يرفع النفس ويزكها فانه يسفلها ويدسيها وحسبي ماقلته في هذا الموضوع فلا أزيدك عليه شيئاً
جاءتنا أخبار من البيرو فقد كتب الينا قوبيدون وجورجيا بأنهما يذكرا انك و«لولا» ذكرا كثيراً

وما ينبغي ان تعلمه أيضاً أن «لولا» تفكر في اختيار مهنة لها فقد قالت لي من أيام مضت «ابي أريد أن أتعلم حرفة من أجل أن...» وما عمت ان فرت الى حجرتها قبل أن تم كلامها وقد احمر وجهها خجلاً

واراني أدركت مرادها وهو ان المرأة التي لامل لها ولا حرفة ليست حرة فاذا تزوجت فاعما تزوج في الغالب مقام زوجها ومكانته و«لولا» لعزة نفسها وإياها تنصر من هذا الاحتياج ولا ترضى الاستكانة له فهي تريد أن تقول يوماً ما لمن يروقها من الناس ان في استطاعتي أن أعيش بعلمي وأني اذا أخلصت في تحصيل الاعتياد والسعادة لك فذلك لأنني أجبك

أستودعك الله يا بني العزيز وأوسع صدري على الدوام لتلقي أسرارك ومشاركتك في آلامك وأبعث لك في هذا قبلة الحب الذي لا يتغير الا وهو الحب الذي لك في قلب أمك. اهـ

أناك على البركة

مبادئ التعليم • في الدين القويم

كتب الشيخ مصطفى بكري الاسيوطي مدرس اللغة العربية بمدرسة مفاغة الخيرية رسالة وجيزة في أركان الاسلام الخمسة لأجل تعليم المبتدئين جعلها أسئلة وأجوبة وهي منتزعة من الكتب المتداولة مع التسهيل والتوسع في بعض المسائل فالرسالة سهلة من أحسن ما كتب للمبتدئين وكنانود من معلمي المدارس الخروج

عن تقليد عبارات بعض المتأخرين الى ما هو أسهل منها وأقرب الى الازدهان فانه
ليحزني أن يلحق الولدان أن الواجب اعتقاده في الله تعالى عشرون صفة واجبة
وعشرون صفة مستحيلة وصفة واحدة جائزة فان هذا الاصطلاح الذي جرى
عليه السنوسي في عقيدته دقيق لا يمكن أن يفهمه المبتدئ وحفظ الالفاظ ليس
من الاعتقاد في شيء . ما هي الصفة التي تشمل الوجودي والمعدمي والواسطة
بينهما على القول بالواسطة وما فيه من الفلسفة الغريبة ؟ كيف كان الوجود الذي
هو الجنس العالي لجميع الموجودات على التحقيق صفة ؟ وكيف كانت القدرة صفة
وكونه قادراً صفة أخرى ؟ وكيف جعل فعل الشيء أوتركه صفة من الصفات ؟
هل وردت هذه الاصطلاحات في الكتاب والسنة فلتتزم فهم العقيدة منها ؟ هل
كاننا الله تعالى اعتقاد كون الملائكة أجساماً نورانية قادرة على التشكل بالصور
الجميلة مسكنهم السموات دون الأرض وأن نعرف أربعة منهم فقط ؟ هل يذكر
في العقائد الوجيزة ماورد أو استنبط من أحاديث الآحاد عن عالم الغيب ؟؟

لعل مؤلف هذه الرسالة وأمثاله ممن يكتبون للتعليم يسلكون مسلكاً آخر
يفهمه تلاميذهم كأن يقولوا في تنزيه الله تعالى إن خالق هذه الكائنات لا يشبهها
ولا تشبهه فليس كمثل شيء مما نعرفه بحواسنا وتتصوره عقولنا فهو قديم ليس قبله
بشيء وهي حادثة لأنه هو الخالق وهي المخلوقة وهو باق أبدي لا يفتي ولا يتغير
وهي تتغير وتفتي . ويقولوا في الصفات الثبوتية ان الله تعالى عالم لا يعزب عن علمه
مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض لأنه خالق كل شيء والصانع الضميف من
الآدميين يعرف دقائق صنعته أفلا يعلم الخالق من خلق : ويقولوا في عالم الغيب
ان الله تعالى خلق خلائق كثيرة منها ما أعطانا حواساً ومشاعر لا إدراكه
ومنها ما هو مغيب عنا . وعالم الغيب عظيم لا يحيط به الا الله تعالى وقد جاءنا
الوحي بذلك بعض ما فيه كالملائكة وحقيقتهم مجهولة عندنا لكن الله تعالى وصفهم
بأوصاف العقلاء وأسند اليهم العبادة وتلقين الوحي للأنبياء وغير ذلك فتوهم
بما جاء به الوحي من ذلك لا نزيد عليه ولا ننقص منه ولا نقيس عليه ولا نشبهه بما نعلم
من عالم الشهادة . ولا غرابة في هذا فاننا الى الآن لم نعرف حقائق ما نشاهده وما زال

يظهر لنا في هذا العالم أشياء كانت مغيبة لأنرى لها نظيراً فيما كنا نعرف من قبلها
كالكهرباء مثلاً . مثل هذا يقال ويكتب للبديين

جواهر البلاغة - في المعاني والبيان والبديع

كتاب جديد ألفه الشيخ أحمد الهاشمي وجعل له سنانة في القوافي وفنون الشعر
وهو يمتاز على الكتب القديمة التي استمد منها بشي، يرغب القارىء في القراءة ويذبه
نشاطه ويحفز ذهنه وهو أنه جعل الكتاب على الطريقة العصرية في الوضع والطبع
أي جعل فيه بياضاً كثيراً وعناوين كثيرة وجعل لكل مبحث تمريناً أما البياض
فهو ما يترك غفلاً في صحائف الكتاب بين أبوابه وفصوله ومباحثه وكذا في اعجاز
السطور إذا تمت المسألة في أثناء السطر ، وقد أكثر صاحب جواهر البلاغة من
هذا البياض حتى أنه ليزكر الأقسام الشئ ، المقسم على هذا النحو

« فصاحة المركب سلامته بعد فصاحة مفرداته من ستة أشياء »

١ تناثر الكلمات مجتمعة

٢ ضعف التأليف

٣ التعقيد اللفظي

٤ التعقيد المعنوي

٥ كثرة التكرار

٦ تنابع الإضافات

ومثل هذا كثير وقد جعل للكلام في الفصاحة عنواناً بحروف كبيرة وفصاحة
المفرد عنواناً مثله وفصاحة المركب عنواناً آخر وعلى ذلك فقس . وقد بلغت
كراريس الكتاب (ملازمه) ٢١ ولوطبع على الطريقة القديمة لما زادت على ١٥ الأ قليلا
وان هذا الوضع الذي يزينه حسن الطبع هو سبب من الرغبة في القراءة كما قلنا
والرغبة في القراءة هي السبب الأول في الرواج ومن ثم ترى هذه الكتب التي توضع
وتطبع على الطريقة العصرية أكثر رواجاً ولا يعتبر بهذا الذين لا يزالون يلتزمون
الطريقة العتيقة في جعل الكتاب كله كتلة واحدة سوداء يرمي إليها الناظر بطرفه
فلا يكاد يميز مبحثاً من آخر ويرون هذا الصنيع اقتصاداً في الورق ولا يدرون أنهم

للم يقتصدوا هذا الاقتصاد لكان خيراً لهم وللناس . على أن السابقين ما وضعوا
الفصول في الكتب الا ليكون بين المبحث وما يليه بياض يهدي الطرف الى بداية هذا
وغاية ما قبله ولكن المتأخرين جعلوا لفظ (فصل) كالمتعبد به فصاروا يضمونه في
اثناء السطر يتصل به ما قبله وما بعده فيكون وصلاً لا فصلاً

وضع في آخر الكتاب تقاريط منها تقريط عزي الى الاستاذ الامام رحمه الله
تعالى نبينا اليه من رأى الكتاب من الأدباء قراهم عزوه لأن عبارته دون ما عهد من
عبارات امام البلاغة وقد رابنا مارا بهم ووددنا لو يطلعنا المؤلف على الاصل الذي
عنده بخط الاستاذ الامام . وهذه عبارة التقريط « اطلعت على كتاب جواهر البلاغة
في علوم المعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي وفنون الشعر والسرقات والمحاضرات
الشعرية فوجدته كتاباً عظيماً ، وأسلوباً حكيماً ، يشهد لحضرة مؤلفه بملك الذوق
السليم ، والعقل الحكيم هداه الله الى « الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم
غير المفضوب عليهم ولا الضالين . آمين » اهـ

ولاشك ان كل ذي ذوق سليم يعرف كلام الاستاذ الامام يرتاب في كون
هذا التقريط له واذا ظهر انه له وانه لا غلط فيه ولا تحريف التمسالة عذراً وأزنا
اوتياب المرتابين .

الألزم ، من لزوم مالا يلزم

«لزوم مالا يلزم» أو اللزوميات هو مجموع ما يوثر عن الفيلسوف العربي أبي الملاء
المعري من الشعر في الفلسفة الإلهية والاجتماعية والكونية وانتقادات الانسان في
الكون وغير ذلك من ضروب التخيل والحقيقة . وهو ديوان طويل شهير يدخل في
سفرين كبيرين وقد عمد أحمد أفندي نسيم الشاعر المصري وعبدالله أفندي المغيرة
الاديب النجدي الى الكتاب فاختارا منه أرقه وأعذبه في مذاقهما وطبعاه في
ديوان لطيف سمياه (الالزم) الخ وكتبا في أوله ترجمة وجيزة للنظم ذكرها
ما كنا أوردناه في ص ٢٧٣ من المجلد السابع دليلاً على صحة عقيدته وقوة دينه . وقد
نقلنا هناك الايات التي كانت أنشدها في خلوته كما كتبت في ترجمته وهكذا
أوردناها صاحباً للألزم والبيت الاول منها معرّف وهو

كم غودرت غاده كهاب وعمرت أمها المعجوز

فإن السياق يدل على أنه يريد كم ماتت فئاة ناعمة الشباب كاعبة الشديين وعمرت بعدها أمها المعجوز ولفظ « غودرت » لا يدل على الموت لأن معناه تركت وكنا بعد أن نشر الجزء الذي كتبنا فيه الأبيات اهتدينا إلى أن غودرت محرفة عن « غوضرت » ولم يتح لنا التنبيه إلى ذلك إذ كنا لا ندكره عند كتابة المنار حتى تذكرناه الآن . وإذا صح هذا ولا يخال إلا صحيحاً فهو قد استعمل غوضرت بمعنى ماتت في غضارتها ونضرة شبابها ولكن الصيغة التي جاءت من هذه المادة بهذا المعنى هي « اغضُر » ففي كتب اللغة التي في أيدينا اغتضر فلان بالبناء للمفعول مات شاباً صحيحاً أي في غضارة شبابه وريحانه ومثله اغتضر وهو مأخوذ من اغتضر الكلاً إذا أخذه أو رعاه طرياً غضاً في ريعان خضرته ويقال اغتضر الفاكهة إذا أكلها قبل إدراكها إذ تكون خضراء ولا يبعد أن يكون المعري قد روى غوضر بمعنى اغتضر أو يكون ممن يستجيز مثل هذا البناء ويراه قياساً وتذكرت أيضاً - والشئ بالشئ - يذكر - ما كنت كتبت في ترجمة محمود سامي البارودي (ص ٨٢٦ م ٧) من نفي المعرفة بكون صيغة تفرع عربية مسموعة لأنهم لم تذكر في مادة ف ز ع من القاموس وشرحه ولسان العرب وغيرها من الكتب ثم رأيتها في القاموس نفسه في آخر مادة روع قال « وتروّع تفرّع » وعزمت على ذكرها في المنار وكنت أنساها عند الكتاب مع أن جريدة الصاعقة انتقدتها علي منذ أشهر فذكرتني بها ولكن في غير وقت كتابة المنار ولكل شيء أجل هذا وقد طال الكلام في الاستطراد وشعر المعري غني عن التقرير وقد طبع المختار من اللزوميات طبعاً جميلاً وهو يطلب من طابعيه

— أبو مسلم الخراساني —

قصة تاريخية غرامية هي الحلقة التاسعة من سلسلة القصص التي يؤلفها جرجي أفندي زيدان ويطبعها في مجلته « الهلال » واسم هذه القصة يدل على أن ما فيها من تاريخ المسلمين هو قيام أبي مسلم بالدعوة إلى الخلافة العباسية حتى سقطت بسعيه الدولة الأموية . وقد صارت طريقة صاحب الهلال في تأليف القصص معروفة

للجواهر فقصصه غنية بهذه الشهرة عن التقريظ والتمنوية بيان فائدتها التاريخية وفكاهتها الأدبية فحسب المقرظ أن يعلم الناس بأن القصة طبعت على حديثها وانها تطلب من مكتبة الملّال بالفجالة

السلّاح الخفي - اليد الاثيمة

قصتان افرنجيتان ترجمهما صالح أفندي جودت ونظمتا في سلك قصص « مسامرات الشعب » والمراد بالسلّاح الخفي السم وباليد الاثيمة يد امرأة شريرة فاجرة كانت تنتقم بالسم من أعدائها وفي القصتين غرائب تلذ للقاري ولكنني أنصح لصاحب هذه المسامرات أن يختار القصص التي تمثل الفضيلة وتشرح محاسن آثارها على القصص التي تمثل الرذيلة وان ساءت عاقبة أنصارها الا أن تذكر الرذيلة من غير شرح لكيفيتها وتطويل بذكرها ويكون الاسهاب في بيان سوء مغبتها وشقاء أربابها

ألف نادرة ونادرة

كتاب لمحمد أفندي مسمود أحد كتاب جريدة المؤيد « محرريها » جمعه من الكتب الا فرنجية وطبعه في مطبعته المعروفة بمطبعة الجمهور وصفحاته ٢٥٥ وفي هذه النوادر ماهو فكاهة وحكمة وما هو فكاهة فقط أو حكمة فقط ومنها ما ليس بشيء وجملة القول فيها أنها من المسليات التي يرغب فيها عند السآمة من العمل والكتاب لطلب من صاحبه في المؤيد بمصر

تاريخ الاستاذ الامام

يوزع هذا الجزء من المنار ونحن شارعون في طبع قسم التأين والمراثي والتعازي من تاريخ الاستاذ الامام وهو وحده يدخل في مجلد ضخّم وفيه مما لم يطلع عليه القراء في هذه البلاد أقوال بعض الجرائد المعتبرة في الاقطار الغربية الشرقية ومراثي وتعازي بعض العلماء والأدباء التي لم تنشر في الجرائد المصرية ويتلوه طبع جزء منشآت الفقيد من المقالات العلمية والاجتماعية والرسائل الدينية والأدبية وغير

ذلك مما هو غير منشور ولا متداول ومنه مقالات «العروة الوثقى» برمتها. ونؤخر طبع جزء سيرته وترجمة حياته المطولة الى ما بعد تمام طبع هذين الجزئين لزيادة القروي والاتقان لأنها تكتب بحرية كاملة ويفصل فيها ما لقيه في سبيل الاصلاح من المناء وما قيل فيه وما كيدله

ومتى تم طبع هذا الجزء الذي شرعنا فيه نعلن عنه في الجرائد ونجعل لكل مشترك في المنار الحق في أخذ نسخة منه مجاناً اذا كان قد أدى قيمة الاشتراك تامة. واننا في هذا المقام نعيد استجداء أصدقاء الامام ومريديه بأن يتفضلوا علينا بل على التاريخ بما عساه يوجد عندهم من آثاره القلمية وما يعرفون من مناقبه الشخصية، لنضع كل شيء في موضعه من التاريخ فان الطبع فيه سيكون متصلاً ان شاء الله تعالى

هذا وان لفقتيد تغمده الله برحمته صورة شمسية قد أخذت عنه وهو يصلي في مسجد عام في لندره عند زيارته الأولى لها وذلك انه أدركه وقت الصلاة في ذلك المكان الذي هو كحديقة الازبكية بمصر ورأى انه اذا عاد الى المكان الذي يقيم فيه فان الصلاة تخرج عن وقتها فصلى على الأرض حيث كان فأسرع حاملاً الآلات الفوتغرافية الى أخذ صورة عالم شرقي في هيئة عبادة لم يسبق لهم رؤية مثلها ثم وصلت تلك الصورة الى هذه البلاد والى سوريا وتونس فمن كان عنده صورة منها فليتكرم علينا بها الناخذ مثلها ونعيد لها لهوله الفضل والشكر

شكر بعد شكر

كنا كلنا بعض أصحاب الجرائد اليومية المعتبرة في هذا القطر بأن يعبروا عن شكر منشي هذه المجلة وأشقائه للذين عزونا عن فقد والدنا الجليل (تغمده الله برحمته) ثم جاءتنا تعاز أخرى في البرق والهريد من أنحاء القطر ومن السودان ثم من بلاد الهند ومن بلاد المغرب فوجب علينا نبدي الشكر ونعيد للجميع الذين تفضلوا بتعزيتنا أولاً وآخرأ ونسأل الله تعالى أيتيمهم الأرزاء ، ويديم عليهم المناء ،



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

في شهر عادي الذين يستمعون القول فينبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و«منار» كمنار الطريق)

﴿ مصر — غرة رمضان سنة ١٣٢٣ — ٢٩ أكتوبر (١) سنة ١٩٠٥ ﴾

باب العقائد

﴿ نموذج آخر من شرح عقيدة السفاريني ﴾

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) لا خلاف بين العقلاء ان الله سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال منزّه عن جميع صفات النقص لكنهم مع اتفاقهم على ذلك اختلفوا في الكمال والنقص فتراهم يثبت أحدهم لله ما يظنه كمالاً وينفي الآخر عين ما أثبته هذا لظنه نقصاً وسبب ذلك أنهم سلطوا الافكار على مالا سبيل اليه من طريق الفكر فان الله تعالى خلق العقول وأعطاهها قوة الفكر وجعل لها حداً تقف عنده من حيث ماهي مفكرة لا من حيث ماهي قابلة للوهب الإلهي فاذا استعملت العقول أفكارها فيما هو في طورها وحدها ووفت النظر حقه أصابت باذن الله تعالى واذا سلطت الافكار على ما هو خارج عن طورها ووراء حدها الذي حده الله لها ركبت متن عمياء وخبطت خبط عشواء فلم يثبت لها قدم ولم ترتكن على أمر تطمئن اليه فان معرفة الله التي وراء طورها مما لا تستقل العقول بادراكها من طريق الفكر وترتيب المقدمات وانما تدرك ذلك بنور النبوة وولاية المتابعة فهو اختصاص إلهي يختص به الانبياء وأهل وراثتهم مع حسن المتابعة وتصفية القلب من وضر البدع والفكر من نزغات الفلسفة والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ومما يوضح ذلك ان العقول لو كانت مستقلة بمعرفة الحق وأحكامه لكانت الحجة قائمة على الناس قبل بعث الرسل وانزال الكتب واللازم باطل بالنص قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (ولو انا اهلكناهم بعداب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى) فكذا الملزوم فلما بعث الله الرسل وأنزل الكتب وجبت لله على الخلق الحجة البالغة وانقطعت علاقة الاعتذار (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه * لتلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ولما عجزت العقول عن طريق الفكر عن معرفة الحق التي هي وراء طورها ومنعها القبول وقد أنزل الكتاب وأنزل فيه ما حارت في ادراكه العقول من الآيات المتشابهات التي لا يعلم تأويلها الا الله أمرنا الشارع بالايان بها ومنها ناعن التفكير في ذات الله رحمة منه بنا ولطفاً لعجزنا عن ادراكه فان تسليط الفكر على ما هو خارج عن حده تعب بلا فائدة ونصب من غير عائده وطمع في غير مطمع وكد من غير منجم وقد أمرنا بالايان بالمتشابه وفي الحديث «تعلموا القرآن واتموا غرائبه - يعني فرائضه أي حدوده - وهي حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه واعتبروا بأمثاله» رواه الديلمي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأخرجه الحاكم وصححه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ولفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «كان الكتاب الاول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زجروا من حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه وافصلوا ما أمرتم به واتموا عما هيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا» وروى نحوه البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام لا يعتد أحد بجهالته وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه الا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب» ثم رواه من وجه آخر عن ابن عباس موقوفاً بنحوه وروى ان أبي حاتم

من طريق الصوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نؤمن بالمحكم وندين به ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به وهو من عند الله كله وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسولهم في العلم أن آمنوا بمتشابهه ولا يعلمونه، ولما قدم ابن صبيغ المدينة المنورة وجعل يسأل عن متشابه القرآن أرسل إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد أعد له عراجين النخل فقال من أنت قال عبد الله بن صبيغ فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضر به حتى أدمى رأسه وفي رواية فضر به بالجريد حتى ترك ظهره دبرة ثم تركه حتى برى ثم أعاد عليه الضرب ثم تركه حتى برى فدعا به ليعيده عليه فقال إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً أوردني إلى أرضي فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالس أحد من المسلمين وفي فروع ابن مفلح من علمائنا أن عمر رضي الله عنه أمر بهجر ابن صبيغ لسؤاله عن الذاريات والمرسلات والنازعات انتهى وهذا من سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسد باب الذريعة والآية الشريفة دلت على ذم متبع المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة وعلى مدح الذين فوضوا العلم إلى الله وسلموا إليه كما مدح الله تعالى المؤمنين بالغيب فعلى العاقل الناصح لدينه ونفسه أن يسلك مسلك السلف الصالح وأن يرقى على سلم التسليم فإنه من أنجح المصالح وأن يؤمن بالمتشابهات من آيات الأسماء والصفات كما فعل الصحابة والتابعون ويمثل من نبيه خاتم النبيين وإمام المرسلين في قوله « وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا » فلقد بالغ في النصيحة بأدلة صحيحة وكلمات فصيحة فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته ورضي الله تعالى عن آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان وذوي الحق وحزبه

❦ الثاني ❦

اعلم أن مذهب الخنابلة هو مذهب السلف فيصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل قاله تعالى ذات لا تشبه الذوات متصفة بصفات الكمال التي لا تشبه الصفات من المحدثات فإذا ورد القرآن العظيم وصحیح سنة النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بوصف البارئ جل شأنه تلقيناه بالقبول والتسليم

ووجب اثباته على الوجه الذي ورد ونكل معناه للعزير الحكيم ولا نعدل به عن حقيقة وصفه ولا نلحد في كلامه ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا نزيد على ما ورد ولا نلتفت لمطمئن في ذلك ورد فهذا اعتقاد سائر الخنابلة كجميع السلف فمن عدل عن هذا المذهب القويم زاغ عن الصراط المستقيم وانحرف فدع عنك فلاناً عن فلان وعليك بسنة سيد ولد عدنان فهي العروة التي لا انفصام لها والجنة الواقية التي لا انحلال لها والله تعالى الموفق

الثلث

قد ذم السلف الصالح الخوض في علم الكلام والتقضي والتدقيق فيما زعموا انه قضايا برهانية وحجج قطعية يقينية وقد شحذوا ذلك بالقضايا المنطقية والمدارك الفلسفية والتخييلات الكشفية والمباحث القرمطية وكان أئمة الدين مثل مالك وسفيان وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي وأحمد واسحق والفضيل بن عياض وبشر الحافي يبالغون في ذم الكلام وفي ذم بشر المريسي وتضليله حتى ان هارون الرشيد خامس خلفاء بني العباس قال يوماً بلغني ان بشر المريسي يقول ان القرآن مخلوق والله علي ان أظفرن به الله لأقتلنه قتلة ما قتلتها أحداً فأقام بشر متوارياً أيام الرشيد نحو من عشرين سنة قال شيخ الاسلام بن تيمية وهذه التأويلات التي ذكرها بن فورك ويذكرها الرازي في (تأسيس التقديس) ويوجد منها في كلام غالب المتكلمة من الجبائي وعبد الجبار وأبي الحسين البصري وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي ورد عليه الامام الدارمي عثمان بن سعيد أحد مشاهير أئمة السنة من علماء السلف في زمن البخاري في المائة الثالثة في كتابه الذي سماه (رد عثمان بن سعيد على الكاذب الفنيده فيما افتري على الله من التوحيد) فحكى هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي ان المريسي أقعد بها وأعلم بالمعقول والمنقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت اليهم من جهته وقد أجمع أئمة الهدى على ذم أئمة المريسية وأكثرهم كفروهم وضلواهم وذموا الكلام وأهله بهارات رادعة وكلمات جامعة قال أبو الفتح نصر المقدسي في كتابه (الحجة على تارك المحجة) بإسناده عن الربيع بن سليمان قال سمعت الامام الشافعي يقول ما

رأيت أحدا ارتدى بالكلام فأفلح ولما كلمه حفص الفرد من أهل الكلام قال
لأن يتلى العبد بكل ما همى الله عنه خلا الشرك بالله عز وجل خير له من أن
يتلى بالكلام وقال حكيم في أصحاب الكلام أن يصفعوا وينادي بهم في
العشائر والقبائل هذا جزاء من ترك السنة وأخذ في الكلام وقال سيدنا الامام أحمد
عليكم بالسنة والحديث وما ينفعكم واياكم والخوض والمراء فانه لا يفلح من أحب
الكلام وقال في علماء أهل البدع من المتكلمة لا أحب لاحد أن يجالسهم ولا يخاطبهم
ولا يأنس بهم فكل من أحب الكلام لم يكن آخر أمره الا الى البدعة فان الكلام
لا يدعوهم الى خير فلا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدل عليكم بالسنة والفقه
الذي تنتفعون به ودعوا الجدل وكلام أهل الزيغ والمراء ادر كننا الناس وما يعرفون
هذا ويجانبون أهل الكلام وقال رضي الله عنه من أحب الكلام لم يفلح عاقبة
الكلام لا تول الى خير أعاذنا الله واياكم من الفتن وسامنا واياكم من كل هلكة
وقد نقل عن هذين الامامين من ذم الكلام وأهله كلام كثير مذکور في كتب
علماء السلف وعن عبد الرحمن بن مهدي قال دخلت على الامام مالك بن أنس
وعنده رجل يسأله عن القرآن والقدر فقال الامام مالك رضي الله عنه للرجل لعلك
من أصحاب عمرو بن عبيد لعن الله عمرا فانه ابتدع هذه البدعة من الكلام
ولو كان الكلام علما لتكلم به الصحابة والتابعون رضي الله عنهم كما تكلموا في
الاحكام والشرائع ولكنه باطل يدل على باطل فهل يكون أشد من هذا الانكار
من هؤلاء الائمة الكبار وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة سمعت أبا حنيفة
يقول لعن الله عمرو بن عبيد فانه مبتدع والنصوص عن أئمة الهدى في ذلك كثيرة
جدا وروى الامام الخافض شمس الدين الذهبي في كتابه (العرش) بسنده الى أبي
الحسن القيرواني قال سمعت الاستاذ أبا المعالي الجويني يقول يا أصحابنا لا تشغلوا
بالكلام فلو عرفت ان الكلام يبلغ بي الى ما بلغ ما اشتغلت به وقال الفقيه أبو
عبد الله الدسمي قال حكى لنا الامام أبو الفتح محمد بن علي الفقيه قال دخلنا على
الامام أبي المعالي الجويني نهوده في مرض موته فاقم فقال لنا اشهدوا على أبي
قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها السلف الصالح واني أموت على ما يموت

عليه عجايز نيسابور قال الحافظ الذهبي قلت هذا معنى قول بعض الائمة عليكم
بدين العجايز يعني انهم مؤمنات بالله على فطرة الاسلام لم يدرين ما علم الكلام
قال الحافظ الذهبي وقد كان شيخنا أبو الفتح القشيري رحمه الله تعالى يقول
تجاوزت حد الاكثرين الى العلى وسافرت واستبقيتهم في المفاوز
وخضت بحارا ليس يدرك قعرها وسيرت نفسي في قسيم المفاوز
ولججت في الافكار ثم تراجع اختياري الى استحسان دين العجايز
وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالته الحموية وقد أخبر الواقف على نهايات
اقدام المتكلمة بما انتهى اليه من مرامهم

لعمرى لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعا كف حائر على ذقن أوقارع سن نادم
وقول بعض رؤسائهم

نهاية اقدام العقول عقال وأكثر سمي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسامنا وغاية دنسانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى ان جمعنا فيه قيل وقال

قال شيخ الاسلام ويقول الآخر منهم لقد خضت البحر الخضم وترك
أهل الاسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه والآن ان لم يتداركني الله
برحمته فالويل لفلان وهأنا ذا أموت على عقيدة أُمي ويقول الآخر منهم أكثر
الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام قال شيخ الاسلام ثم اذا حقق عليهم
الامر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ولم يقموا من ذلك
على عين ولا أثر وما ذكرناه عن الأنبا قطرة من بحر لحي وبالله التوفيق

فان قلت اذا كان علم الكلام بالمثابة التي ذكرت والمكانة التي عنها برهنت
فكيف ساغ للائمة الخوض فيه والتنقيب عما يحتويه ثم انك أتيت ماعنه نهيت
وحررت ماعنه نفرت وهل هذا الا في بادي الرأي مدافعة وجمع للشيثين الذين بينها
تمام الممانعة قلت ان ما ذهب اليه ذهرك من التمانع لم تمنع وما سنع في خلدك من التدافع
لمندفع بل العلم الذي نهينا عنه غير الذي ألفنا فيه والكلام الذي حذرنا منه غير

الذي صنف فيه كل امام وحافظ و فقيه فعلم الكلام الذي نهى عنه أئمة الاسلام هو العلم المشحون بالفلسفة والتأويل والإلحاد والباطل وصرف الآيات القرآنية عن «مانيها الظاهرة» والأخبار النبوية عن حقائقها الباهرة دون علم السلف ومذهب الأثر وما جاء في الذكر الحكيم وصحيح الخبر فهذا العمري ترياق القلوب الملسوعة بأرقام الشبهات وشفاء الصدور المصدوعة بتراجم المحدثات ودواء الداء المضال وبازهر السم القتال فهو فرض عين أو عين فرض على كل نبيه وهو العلم الذي تعقد عليه الخناصر لدحض حجة كل متحذلق وسفيه فزال هذا الإشكال والله ولي الفضال» اه المراد

(المنار) ما ذكر من ذم السلف لعلم الكلام الذي يقصده الجدل ثابت لا ريب فيه وقد يشكل على القراء ضرب عمر لصديق مع ما كان عليه المسلمون من الحرية في الصدر الأول حتى أنهم لم يقتلوا أحدا من مشيري الفتنة على عثمان بل نفوهم من بعض البلاد الى غيرها عند ما رأى أمراء الامصار اثر فتنتهم فيها والسبب في تشديد عمر رضي الله عنه على صبيغ هو تعرضه للناس وتشكيكهم في دينهم فكان يجالس العامة والاعراب ويسألهم عن مثابه القرآن قال في القاموس عند ذكر اسمه «كان يعنت الناس بالفوامض والسؤالات فنفاه عمر الى البصرة» وخبر النبي هو المشهور وأما الضرب ففي النفس من كلامهم فيه شيء أقله المبالغة على ان الحاكم يجب عليه أن يدفع عن رعيته من يعتدي على عقائدهم وأفكارهم كما يدفع عنهم من يعتدي على أجسامهم وأموالهم، وقد سبق لنا ذكر مسألة صبيغ في المنار ولا أذكر الآن الموضع الذي ذكرت فيه. وأما ذم الكلام على طريقة الجدل والتحيز للمذاهب فقد رجع اليه أكابر النظار من علماء الكلام بعد بلوغ الكمال كحجة الاسلام الغزالي والذي حققوه ان يلحق الجماهير من المسلمين عقيدتهم كما وردت في الكتاب والسنة من غير تأويل ولا جدل ولا خوض في النظريات وأن تذكر لهم الأدلة الكونية كما ذكرت في القرآن وان يذكر لهم وجه الاعتبار والحشية من ذكر صفات الله تعالى مع تنزيهه عن مشابهة الموائد فإذا ذكرنا قوله «وهو السميع البصير» تندبر ذلك معتقدين انه لا يخفى عليه شيء من أقوالنا وأفعالنا ولا نبحت في كيفية سماعه وبصره كما لا نبحت عن كيفية علمه وقدرته

الحياة الزوجية

﴿ ٦ ﴾

ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة
ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون* (سورة الروم ٣٥-٢٠)

— الركن الثالث من أركان هذه الحياة — الرحمة —

نقدم ان الطور الاول من أطوار هذه الحياة خاص بالزوجين وهو سكون
نفس كل منهما الى الآخر ذلك السكون الذي لا نظير له بين سائر المتعاضدين لغير اتحاد
الزوجية وهو وجدان من وجدانات النفس لا يعرف كنهه الا الزوجان اللذان أحسنا
الاختيار فتعارف الروحان وتمازج النفسان ، فكانا حقيقة واحدة لها صورتان ،
وأن الطور الثاني يشار كهما فيه غيرهما وهو الود الذي تحمده المصاهرة بين عشيرتي
الزوجين الوديين ، ونبين في هذه المقالة ان الطور الثالث مشترك بين الزوجين وما
يرزقان من الولد

الرحمة ضرب من ضروب وجدان النفس له مشار في النفس غير مشار السكون
الى المحبوب والأنس به ، وغير مشار مودة المشارك في المعيشة والمشارك في المصلحة ،
ذلك الذي يثير وجدان الرحمة ، ويهز عاطفة الرأفة والشفقة ، هو ما ترى في غيرك
من ضعف أو سقم ، أو حاجة يصحبها ألم ، وهذا هو ملاك الحياة الزوجية عند حدوث
الأمراض والأدواء ، وعند ما تدوي غصن الشبية هاتيك الأهواء ، ولولم يودع
الله تعالى الفطرة الا سكون الزوج للماسة الزوج ومودة كل منهما للآخر للتعاون
على المصالح والمنافع التي هي قوام معيشتها لكانت الحياة الزوجية نهياً في الشباب
بوساً في الشيخوخة ، سعادة في السراء ، شقاوة في الضراء ، يتمتع كل من الزوجين
بصحة الآخر ونشاطه ، وبسطته واغتيباطه ، حتى اذا لسعته أحدها حمة الضر ، أو غصته
ناب الفقر ، أو نالت السن من فتائه وجدته ، ألم تزل الناب من ثرائه وجدته ،
استحال سكون الآخر اليه اضطراباً منه ، وانقلب مودته اياه مقاطعة له ، وبإلذاك
لو كان من نقص عظيم ، ينافي خلق الإنسان في أحسن تقويم ،

لا تحسبن هؤلاء، الذين يملون أزواجهن عند السقم أو الهرم فلا يرجون لهن ضعفاً، واللواتي يملن أزواجهن في الكبر أو الفقر فلا يحفظن لهن عبداً، قد سلمت لهن فطرة هذا النوع الكريم، الذي خلقه الله في أحسن تقويم، كلاً بل أفسدت الشهوات فطرتهم، ونكست الأهواء خلقتهم، فلبهم من الإنسان صورته وشكاه، لاروحه ولا عقله، ولا كرمه ولا فضله، بل صاروا أعدى للإنسان من الشيطان، وأضرى بمضرته من سباع الحيوان، وأي خير يرجوه الإنسان في نوعه، أو الأمانة في خاصتها، ممن لا خير فيه لمن انفصل لأجله عن أمه وأبيه، وأخته وأخيه وعشيرته التي تؤويه، واتصل به على عهد الله وميثاقه في الفطرة البشرية، والشرعية السماوية، فكان معه روحاً حلت في جسمين، وهيولى تجلست في صورتين، ثم لم يلبث بعد فراغ حظه منه، أن انفصل عنه، لا يرحم له ضعفه، ولا يعطف عليه عطفه، ؟ أليس المشارك له في النوع والصنف، أولى بهذه القسوة وهذا العنف، ؟ بلى إن هؤلاء الذين استعبدتهم الأثرة، واسترققتهم «الأناية»، أعداء الأهل والأقربين، بل أعداء البشر كلهم أجمعين،

هذا الضرب من فساد الفطرة هو في الرجال أكثر منه في النساء والصدوى فيه تفعل فعلها في البيوت تسير سير البريد من بيت إلى آخر ولا آسي بأسو هذا المرض الذي كاد يكون وباءاً، وأننى يوجد الأساءة أو تنتفع الأمانة بمن عساه يوجد منهم وطب القلوب مهجور وأهله كأهل طب الأبدان منهم العالم العامل ومنهم الدجال المحتال وقد مضت سنة السكون بأن الأمانة في طور ضعفها وضعفتها تدين للدجالين المحتالين، وثنفر من العارفين الناصحين، لذا ترى مدعي طب الأرواح عندنا من أكبر الأعوان على تخريب البيوت فمنهم الذين جعلوا طب القلوب الظاهر وسيلة لإغانة كل زوج على قهر الآخر بالتقاضي كبعض القضاة والمحامين، ومنهم الذين جعلوا طبها الباطن ذريعة إلى استحلال المحرمات بالفعل اعتماداً على شفاعاة الشافعين، والانتساب بالقول إلى المشايخ الميتين،

فطر الله تعالى قلوب البشر على الرحمة ليتراحوا فلا يهلك فيهم العاجز والضعيف، وكل أحد عرضة لاستحقاق الرحمة في يوم من الأيام، وجعل سبحانه حفظ الوالدين والزوجين من الرحمة أرجح ليعنى بكل فرد من الناس أقرب الناس

منه عند شدة الحاجة الى العناية والكفالة فالزوج ازوجه عند الضعف في المرض أو الكبر ، كالوالدين لولدهما عند ضعفه في الصغر ، بل تجد المرأة أرحم بعلها في مرضه أو كبره من أمه لو وجدت وتجد الرجل أرحم بسكنه في مرضها أو كبرها من أبيها لو وجد اذا كانت الفطرة سليمة ، فان لم يكن كل من الزوجين أرحم بالآخر في كبره من والديه فانه يقوم مقامهما اذا يضمف كل من الزوجين ويحتاج الى الرحمة الا بعد موت الوالدين في الغالب فان مرض وهما في صحتها فانهما يكونان بعيدين عنه لا يسهل عليها ترك بيتها ومن عساه يكون فيه من يحتاج الى رحمتها لأجل لزام ولدهما الكبير المتزوج ، فظهر ان كلا من الزوجين في حاجة الى رحمة الآخر به عند ضعفه لا يقوم بها سواه من الأقربين أو المستأجرين مقامه فيها

ليست الأريحية في سكون الزوج الى زوجه عند داعية المسيس ولا أريحية مودته ومودة أهله في المعاشرة والمعاملة بأ كبر من الأريحية التي يجدها الرحمة به وحنوه عليه في حال الضعف ، فان الانسان يشعر بالارتياح من عناية غيره به عند الحاجة مالا يشعر بها عند الاستغناء ، فالضعفاء والمرضى والمملقون يكبرون من أمر الوفاء والاعتناء ، مالا يكاد يشعر به الاقوياء والأصحاء والأغنياء ، « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » وان من طفياه أن يعتقد أن كل من يحفل به ويعنى بشأه قائما يفعل ذلك لأجل نفسه لا لأجله هو لان الناس في حاجة اليه وعو ليس في حاجة اليهم ، وقد يبلغ به الطغيان الى ادخال زوجه وولده في هذا الحكم فاذا تحول مد طفياه الى جزر بالمرض أو الحاجة قرق قلبه ولطف شعوره وكان أعدل في الحكم وأقرب الى عرفان قدر النعمة والشكر عليها

يسمون مسألة الزواج مسألة « مستقبل الانسان » وان كنت تجد في الاغرار من لا يفكر عند ارادة الزواج بمستقبله مع من يختاره زوجا له فانك لا تكاد تجد من لا يعبا بهذا المستقبل اذا ذكر به فأعمل فكره فيه الا ما يكون من بعض المترفين اذا فتن أحدهم بجمال امرأة يود أن يقضي منها وطرا ثم لا يبالي ما يكون بعد ذلك ومثل هذا اذا ملّ طلق ولا تكاد تجد امرأة ترضى بالتزوج بمثلها ، على أن هذا النوع من الازدواج ، هو أشبه بالاستئجار أو البغاء منه بالزواج ، وانما

الزواج الشرعي الطبيعي ما كان عن ارادة الاشتراك في الحياة مدة الحياة والا كان مقصدا بالغش والمخادعة ولا أرى الشيعة يدينون بجواز هذا الضرب من المتعة لان الفس محرم بالاجماع لاخلاف في ذلك بين سني وشيعي . واذا كانت مسألة الزواج هي أعظم مسائل مستقبل الانسان الخاصة أفلا يكون من أعظم الشقاء أن يبدأ أمر الزوجين بالسكون والود في السراء ، وينتهي بالاضطراب والتخاذل في الضراء ، يشكر أحدا الزوجين للآخر عند إمكان استبداله أو الاستغناء عنه ، ويكفره أحوج ما كان اليه ، أي عاقل يرضى بهذه الخاتمة السوءى اذا علم بها أوطن أن ستكون؟ لا شيء ، يخفف أثقال الفقر وأوزاره عن كاهل الرجل يتحملة مثل المرأة التي ترحمه في فقره فتظهر له الرضى والقناعة ولا تكلفه ما تعلم ان يده لا تنبسط له فما بالك اذا كانت ذات فضل تواسيه به ، ولا شيء يعزي الانسان عن مصابه في نفسه وغيره مثل المرأة للرجل والرجل للمرأة اذا ظهرت عاطفة الرحمة في أكل مظاهرها فشعر المصاب بأن له نفساً أخرى تمدّه في القوة على مدافعة هذه الموارض التي لا يسلم منها البشر ، واعكس الحكم في القضيتين ، يتجلى لك وجه الصواب في الصورتين ، اذا كان لركن الزوجية الاول وهو السكون المعهود تأثير في الثاني وهو المودة فلا ريب أن الركن الثالث وهو الرحمة يكون أثرا للركنين قبله أو فرعاً لها فعلى قدر السكون والمودة بين الزوجين في النعماء ، تكون الرحمة بينهما في البلاء ، لأن مصاب الوديد المحبوب يعيد للنفس ذكرى جميع حسناته ، وطيب أيامه وأوقاته ، ويمثلها في أبهى حللها ، ويعرضها على النفس في أجل معارضها ، (المعرض هو الثوب الذي تجلى فيه العروس) فيخيل الى المحب ان تلك الحسنات والذات قد اجتمعت وان المصاب يحاول أن يشتت شملها ، ويقطع حبها ، فهو يوثب لذاته المجتمعة في شخص محبوبه ، ويحاول سلب منافعه باغتياال نفس وديده ، فمن أراد أن يحسن مستقبله في هذه الحياة فليجتهد أولاً في حسن اختيار الزوج ثم ليخلص له المودة ثانياً ليمتع بوفائه أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً

ما أجهل الرجل يسي معاشرة امرأته وما أحق المرأة تسي معاشرة بهلها ، يسي أحدهما الى نفسه من حيث يسي الى الآخر فهو مضنون غالباً ومغلوباً ومأرايت

ذنباً عقوبته فيه كذنب اسائة الزوج الى الزوج بل أرى العذاب يضاعف في الدنيا على ذنب الزوجية فيكون زوجاً لا فرداً وكل ذنب له عقوبة في النفس أو فيما يتعلق بالنفس تكون أثراً طبعياً له الا ذنب أحد الزوجين في مفاضلة الآخر فإنه هو نفسه عقوبة لنفس مقترفه يؤلمها ويمضها ثم انه يلد لها عقوبة أو عقوبات أخرى تكون أثراً له كآثار الذنوب . ولكن أثر ذنب الزوجية ليس كآثار غيره لأنه هو ليس كغيره فكبر الآثار وصغرها تابع لحال المؤثرات

أنهاك أيها المعزاة أن تسارع الى الزواج مهما تبادت بك العزوبة الا بعد حسن الاختيار، وأنهاك أيها الأيم وأولياءك أن تيجبوا خاطباً الا بعد التروي في الاختبار، وأعظكما اذا أنتم تزوجتما فلم تجدوا ذلك السكون النفسي كاملاً، وذلك الود الطبعي مواصلاً، أن يتجنب كل منكما ويتودد الى الآخر ما استطاع ويجعل أكبر همه في هبته واستيابه قلبه لتحسن الحال، ويرجى حسن العاقبة في المآل، فان عجزا عن ذلك بعد الإخلاص في طلبه، والجهد في إدراكه، فليتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله عليماً حكيماً

اذا رزق الله الزوجين الولد تنمو به بينهما المودة والرحمة ويكون هو منبهاً لرحمتها فاشتراهما في هذه الرحمة الوالدية التي لها مصدر واحد ومورد واحد يؤكده الصلة بينهما فيبناهما معنصمان بحبل الزوجية الذي هو من أقوى الروابط الحيوية اذاهما معنصمان بحبل الوالدية الذي هو أقوىها على الإطلاق وكيف لا يكون كذلك ورابطة الزوجية هي طاقة من طاقات حبل الوالدية اذ الوالدان هما الزوجان قد انتجا فكملت حيويتهما وجاءت بشمرتهما .

كل واحد من الوالدين يشعر من حيث هو والد بما يشعر به الآخر ويملكه الوجدان الذي يملك الآخر وتولد فيه الآمال التي تتولد في الآخر ويكون جده وسعيه مثل ما يجد ويسعى له الآخر ويرى سعادته عين سعادة الآخر، أرايت هذا الاتحاد في هذه الشؤون كلها اذا صافح اتحاد الزوجية وعاققه كيف يكون حال المتحددين في تراحمها وتعاطفها بل في تمازجها وفناء كل منهما في الآخر؟ لو كانت المسألة نظرية محضة لحكم الناظر فيها مع سلامة الفطرة بأن الحياة الوالدية

هي كمال الحياة الزوجية وان هذا الكمال هو الذي ليس بعده كمال فالوالدان هما أسعد الناس بنفسهما وولدهما لا يتصور أن يقوي الزمان على شت شملها ، أو نكث فعلها ، وإن اتحادهما هذا لا كبر عون لهما على أحداث الزمان ، وأفعال الطبيعة في الإنسان ،

ما كان لسليم الفطرة الذي يعيش بمعزل عن فاسدي الأخلاق معطي الطباع أن يتخيل وقوع نزاع يماضي بين الزوجين أو الدين به المفاضة التي تفضي الى المباغضة ، والمناسبة والمناهضة ، على نحو ما يكون بين أصحاب التراث الموروثة ، والاضغان المحبوة ، كما يقع الآن على مرأى منا وسمع والمعناليه من قبل . لكن الفساد قد بلغ من هذه الأمة مبلغاً لا يصدق عاقل ، ولا يتخيله فاضل ، إلا أن يرى بعينه ، ويسمع بأذنه ، وقد أحصى الأستاذ الامام عليه الرحمة قضايا سنة في إحدى المحاكم الأهلية فبان له أن ٧٥ قضية منها كانت بين الأقربين فما بالك بقضايا المحاكم الشرعية ولعل ٩٩ منها في المنة بين الأزواج والوالدين

سبق القول بأن الحياة الزوجية هي أصل الحياة الوطنية والحياة المالية فإذا كانت الأولى سعيدة كان ذلك أصلاً في سعادة الأمة وإذا كانت شقية كان ذلك علّة لشقاء الأمة لأن الأمة مؤلفة من هذه البيوت فمن لا خير فيه لأهله لا خير فيه لأئمة ، كما علمت من حديث «خيركم خيركم لأهله» فما دامت حياتنا الزوجية مختلة معتلة فلا يرجى لنا أن نحيا حياة مليّة طيبة . وإن هذا الشقاء في الأمة والبيوت هو في المسلمين أثر من آثار ترك عقائدهم وآدابهم الدينية ، ونقطيع روابطهم المالية ، فحسارتهم لسعادة الدنيا دليل على أنهم — ان لم يعودوا ويتوبوا — سيخسرون سعادة الآخرة وذلك هو الخسران المبين

نقف عندهذا الحذف بيان أركان الزوجية الثلاثة التي نطقت بها الآية الكريمة في السورة التي ورد فيها أن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فقد شرحنها بما أمّله علينا الفطرة ، وهدتنا اليه الفكرة ، اذ هي التي أرشدتنا الى ذلك بنحاتها « ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »

فتاوى المفتين

فتحتنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرزأ إلى اسمه بالحروف إن شاء، وإننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالباً ورمقاً قد منّا أخيراً السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا، وإن معنى على سؤاله شهران أو ثلاثة إن ذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

أسئلة من سنغافورة

(س ٣٣-٣٥) السيد سالم بن أحمد عبد الفتاح في سنغافورة: أني رأيت جريدتك «المنار» الأغر في أبي الكمال لإرشاد أهل الضلال والبدع وأنني سألتم أن تفتونا عن الأسئلة الآتية

(١) ما قولكم فيمن اعتادوا تلطّيح قبلة المسجد بالسواد وغيره من أصناف الألوان ونقّطع أطراف أثوابهم والصاقها بالصاق على حيطان المساجد من داخلها
(٢) ما قولكم في تقبيل شواهد الأموات والتوسل بها والدعاء بهذه الدعوات: عباد الله جئناكم طلبناكم، أغثونا أعينونا بمهمتك وجدواكم:

(٣) في ليلة نصف شعبان من كل سنة يفككون الصناديق والخواصيل (كذا) ويزعمون أن في تلك الليلة تقسيم وتوزيع الأرزاق، وفي أول ليلة من السنة الجديدة يجمعون شيئاً من النقود وغيرها كالخلي وشيئاً من حشيش الأرض يسمونه «السعدى» وعوداً من نخل المدينة ويجعلون الجميع فوق غطاء قدس ويزعمون أن تلك السنة تدخل عليهم بهذه الأشياء التي فعلوها. افتونا في ذلك ودمتم مأجورين:

(ج) عن تلطّيح جدران المساجد والصاق الحرق عليها

تلطّيح قبلة المسجد وجدراته بالسواد وغيره من الألوان ينظر فيه من وجهين القصد منه وأثره في شغل المصلين به عن الصلاة فإن كان القصد منه تلويث المسجد وتقديره كما تشعر به كلمة «تلطّيح» فهو معصية وقد ذكر بعض الفقهاء أن من يلطّخ المسجد بنجس أو قدر يكون من تدأ ينعون أنه لا يعقل أن يهين أحد بيتاً ينسب إلى الله تعالى بتخصيصه لعبادته فيه وهو يؤمن بأن هذه العبادة حق شرعه الله

تعالى وكأنهم لم يلتفتوا الى احتمال أن يقع تقدير المسجد من غافل عن الكفر بالله وعن حقبة العبادة التي تؤدي في هذا المكان ولكن القرائن قد تكون دالة دلالة قطعية على أن ملوث المسجد غير كافر بالله ولا منكر لشيء من شريعة أهل المسجد ولا قاصد الى اهانة المسجد ولا وجه للحكم بالردة حينئذ والتلوّث محظور على كل حال ولا وجه لا باحته.

وان كان القصد منه تزيينه بالألوان فخكه على كونه خلاف السنة يختلف باختلاف حال المصلين فان كانوا قد اعتادوا الصلاة في المساجد المزوقة بالألوان فصارت لا تشغل قلوبهم عن معنى الصلاة من التوجه الى الله تعالى وتدبر ذكره وكلامه فيها فالأمر في التزيين أهون اذ ليس فيه الا مخالفة السنة التي جرى عليها سلف الأمة في الأمور الظاهرة من غير اخلال بأمور الدين الباطنة كالتوجه الى الله تعالى والخشوع لذكره تدبر كلامه، وان كان المصلون في هذا المسجد غالباً لم يعتادوا ذلك فالأمر أشد لأن هذا العمل يكون مخالفاً لأداب الدين الظاهرة والباطنة كما علمت

هذا ما يقال في فقه المسألة وأما المروي في المساجد مما يتعلق بها فكثير ومنه ما رواه أحمد ومسلم من حديث أنس مرفوعاً « إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القدر والبول والخلأ وإنما هي لقراءة القرآن وذكر الله والصلاة » ومنها حديثه عند أحمد والشيخين « النخاعة في المسجد خطيئة وكفارتها دفتها » وفي رواية أخرى البصاق بدل النخاعة وقد كانت أرض المسجد تراباً لا فرش عليها وكفارتها في مساجدنا أن تمسح وينظف المحل وقد ورد في الحديث النهي عن البصاق في المسجد ومن تنعم فليبصق في ثوبه أي كنديله وورد في البصاق فيه وعيد شديد

وجاء ذكر زخرفة المساجد في بعض الأحاديث التي وردت في علامات الساعة وفي افتراق الأمة مقرونة الى بدع وضلالات يقتضي السياق أنها مثلها كحديث عوف بن مالك عند الطبراني « كيف انت يا عوف اذا افترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة واحدة منها في الجنة وسائرهن في النار؟ قال وكيف ذلك قال اذا كثرت الشرط وملكت الاماء وقعدت الجملاء على المنابر واتخذوا القرآن

مرامير وزخرفت المساجد ورفعت المنابر واتخذت في دولها والزكاة مفرماً والامانة مغنياً وتفقته في دين الله لغير الله وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأقصى أباه ولمن آخر هذه الامة أولها وساد القبيلة فاسقمهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل انقاء شره فيومئذ يكون ذلك: الحديث وهو ضعيف وله شواهد في زخرفة المساجد وغيرها كحديث أبي الدرداء عند ابن أبي الدنيا في المصاحف « اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فعليكم الدمار » . وأقوى من ذلك حديث ابن عباس عند أبي داود « ما أمرت بتشيد المساجد » وفسره ابن عباس بزخرفتها كما زخرفت اليهود والنصارى وفي فقه المسألة حديث عثمان بن طلحة عند أحمد وأبي داود وفيه « فانه لا ينبغي أن يكون في قبلة البيت شيء ياهي المصلي »

ومنها في أشراط الساعة حديث ابن مسعود الطويل عند الطبراني ومنه « يا ابن مسعود ان من أعلام الساعة وأشراتها أن تزخرف المحاريب وأن تخرب القلوب يا ابن مسعود ان من أعلام الساعة وأشراتها أن تكنف المساجد وتعلو المنابر » الحديث . وله حديث آخر فيه هذا اللفظ وهو عند البيهقي في البعث وابن النجار قال البيهقي اسناده فيه ضعف الا أن أكثر أفاضله قد روي بأسانيد متفرقة : أقول منها حديث أنس عند أحمد وأصحاب السنن ما عدا الترمذي ان النبي (ص) قال « لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد » وقد صححه ابن خزيمة وأورده البخاري تعليقاً بلفظ يتباهون بهائم لا يعبرونها الا قليلاً:

واما الإصاق قطع من أطراف ثيابهم بجدر المسجد فالذي تبادر الى فهمي أنهم يقصدون به دفع ضرر أو جلب منفعة قياساً على ما نراه في هذه البلاد وغيرها من ربط بعض الجاهلين قطعاً من أثوابهم ببعض الاشجار المعتقدة أو أضرحة الموتى المشهورين بالصالح أو أبواب الحجرات التي دفنوا فيها وكل هذه الاعمال مما تبع فيه المسلمون الجرافيون سنن من قبلهم من الوثنيين بعد انتقال هذه الاعمال الوثنية الى أهل الكتاب فلا حاجة الى اطالة القول فيها ولا شبهة على هذه البدع لاعداء السنة وأنصار البدعة الا جعلها من أذيال ما يسمونه زيارة القبور وأن زيارة القبور المأذون فيها للاعتبار بالموت من هذه الاعمال الوثنية

﴿ج﴾ عن تقبيل أحجار القبور ودعاء الموتى والتوسل ﴿م﴾

يريد السائل بشواهد الموتى الأحجار الكبيرة التي توضع تجاه رؤوس الموتى من قبورهم وتقبيل هذه الأحجار من سنن الوثنية وأقبح البدع في الإسلام وأما دعاء الموتى فهو عبادة حقيقية لهم وإن غير المبتدعون اسمها وأطلقوا عليها لفظ التوسل وقد كان هذا النوع من العبادة وهو دعاء غير الله أي نداؤه لطلب المنفعة منه أو دفع الضرر أو التقرب به إلى الله واتخاذ شفعاً هو جل ما يعرف من عبادة المشركين لغير الله ولذلك فسر الدعاء بالعبادة حيث ورد في هذا المقام من القرآن . قال تعالى في سورة الأعراف «ان الذين تدعون من دون الله أمثالكم فادعهم فاستجبوا لكم ان كنتم صادقين» وقال تعالى في سورة فاطر «ان تدعهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير» وقال في سورة الجن «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً» والآيات في هذا لا تحصى وقال تعالى في سورة يونس «ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله» الآية وقال تعالى في سورة الزمر «والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى» الآية . وقد فصلنا القول في هذه المسألة في المجلدات السابقة مراراً كثيرة وفندنا فيها مزاعم أهل التحريف والتأويل فليراجع ذلك في محاله مع الاستعانة بالفهرس . يطلب منه لفظ التوسل ولفظ الشفاعة ولفظ قبور الصالحين أو القبور مطلقاً

﴿ج﴾ عن بدع ليلة نصف شعبان وأول السنة

قد كتبنا في بدع ليلة نصف شعبان غير مرة فمنها ما كتبناه في الجزئين السابع عشر والرابع والعشرين من المجلد السادس ومنها ما كتبناه في الجزء الذي صدر في ١٦ شعبان من المجلد الثالث وغير ذلك . ولم نذكر فيما أوردناه من بدع الناس في هذه الليلة مسألة تفكيك الصناديق والخواصيل للاستعانة على سعة الرزق وكان هذا من الخرافات المعروفة ببلاد السائل دون البلاد التي عرفناها وهي خرافة يجبراً منها الإسلام ومن ينسب إليه بحق . ومثله ما ذكره من خرافاتهم في أول السنة ويشبه أن يكون هذا من خرافات بعض المعانز الجاهلات ويطلق المصريون

على أمثال هذه السخافات اسم « علم الركة » يعنون به نقاليد النساء وخرافاتهن ومزاعمهن وهن قلما يسندن شيئاً من هذا الجبل الذي يسمينه علما الى الدين، ولولا ان علم الركة في سنغافوره وأمثالها من البلاد التي يغلب فيها الجهل يستند سيء بعض مسائله الى الدين لما احتاج السائل الى جواب عن هذه المسألة محتج به على الجاهلين

— دعوى الرقبة بعد موت السيد انها أم ولد له —

(س ٣٦) عوض بن جميعان سعيدان (سنغافوره) (*) ماهو الحكم في جارية رجل تسكن معه في بيت وتمولى خدمته ثم مات عنها وزعمت أنه يطؤها فهل قولها كاف في اثبات نسب الابن وما يترتب عليه ؟ أم لا بد من عدم معارضة ورثة سيدها ان كان له ورثة أولا يكفي الا استلحاق الحائز للركة للابن ؟ أم لا بد من ارفاق الجارية وولدها الا بإقرار السيد لا غير وإقامة الحد عليها ؟ أفيدونا بما تعتقدون انه الحق والمسألة واقعة والخبط والخلط كثير لا زلتم هداة للحق دعاة للصدق (ج) سكنى الجارية في بيت سيدها لا يجعلها فراشا الا اذا أقر انه جعلها كذلك اقرارا صريحا فان جاءت بولد في حياته وادعاء كان ولده بلا خلاف وكانت هي أم ولد لها حكمها المعروف وان لم يدعه فكذلك عند مالك والشافعي وأحمد لانه يكفي عندهم اعترافه بوطئها وهو الذي أعتقد . ولا حاجة لذكر دعواه الاستبراء أو نفيه الولد لأنه ليس مما نحن فيه وما نحن فيه دعواها انه اتخذها فراشا ولا بد في إثبات ذلك من بينة . وحاصل الخلاف في المسألة أن الحنفية يقولون لا يثبت كون ولد أمته ابنا له الا باستلحاقه كأن يعترف به إن ولد وهو حي أو يقول ان جاءت بولد فهو ابني أو مني ثم يموت فتلد بعد موته . وعند الاثمة الآخرين يكفي في ذلك أن يعترف بوطئها فأما مجرد دعواها بعده فلا يثبت بها شيء . وإن كان هناك ورثة واعترفوا بأن الولد لمورثهم من جاريته فلا نزاع ولا اشكال والا فالجارية على رقها ما لم تأت بينة على اقرار سيدها باقرارها وأما إقامة الحد عليها فالشبهة تدروها فيما نعتقد

(*) ذكرنا في الجزء الماضي السؤال عن لعن معاوية أو القرضي عند مسندنا لهذا السائل وانا جاءنا بامضاء (م.م) وهو أحد القراء ولم يأذن بالتصريح باسمه

﴿ تفسير « فاذاها اجتماعا لنفس مرة » ﴾

(س ٣٧) ومنه : ما الذي ترونه صوابا في قول الشاعر

« الرأي قبل شجاعة الشجعان » الى قوله

فاذاها اجتماعا لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان

أنشد البيت أحد الأدباء « مرة » على انه مصدر بمعنى القوة صفة لنفس فاعترضه شاعر بأن الشاعر لم يقل الا « مرة » أي اجتماعا معا فاحتج الاديب بما قاله بعض الشراح كالمكبري وبجواز الوصف بالمصدر كما في ألفية ابن مالك فأجاب الشاعر ان شرط جواز المصدر لم يتحقق . فتأول الاديب واحتج بأن مرة لم تذكر في القاموس ولا كتاب لسان العرب بمعنى « معا » كأن يقولوا جاء الزيدان مرة : أي معا كما يستعملونها للعدد سواء . فها هو الحق فيما ذكر أفيدونا :

(ج) الاصل الذي ينسب عليه الترجيح بين الأقوال في مثل هذه بلسالة هو الرواية فالشاعر الذي ضبط « مرة » في البيت بفتح الميم يحتاج في اثبات قوله الى رواية معروفة عن أبي الطيب المتنبى انه قال « مرة » بالفتح والى رواية أخرى عن كندة بأن هذه الكلمة تستعمل في لسانهم ظرفاً بمعنى « معا » فإن لم يستطع اثبات الرواية فما عليه الا أن يعتمد الرواية التي سنذكرها أو يتابع الاديب في قراءة مرة بالكسر كما ضبطها شراح ديوان المتنبى . قال الواحدي في شرحه : « فاذاها اجتماعا لنفس مرة » أي أية للذل والضم ولا تستليناها الاعداء : وقال العكبري : النفس المرة هي القوة الشديدة من مراحل الجبل والمرة الشدة ومنه قوله تعالى « ذومرة فاستوى » والنفس المرة التي هي لا تقبل الضم : وظاهر كلامهم أن مرة صفة وهو غير معروف وإنما فسروه بالمعنى والاصل ذات مرة فحذف المضاف . وما قاله الشاعر في الوصف بالمصدر كان يستغنى عنه بقولهم ان الوصف به على كثرتة سماعي وان ما ذكر من شروطه إنما ذكر لضبط المسموع لا لأجل القياس . ومن الروايات المتداولة في البيت ولم يذكرها الشارحان « فاذاها اجتماعا لنفس حرة » بالخاء المهملة وصف من الحرية وهي أظهر معنى وأصح مبنى ولا يبعد أن تكون مرة محرفة عن حرة والله تعالى أعلم

﴿ أسئلة من الجزائر ﴾

جاءتنا الاسئلة الآتية من الجزائر وأحب مرسلها أن يرمنز الى اسمه بكلمة « غويشم » قال بعد الثناء والسلام :

﴿ الفتن بين الصحابة رضي الله عنهم ﴾

(س ٣٨) انني أحيت أن أشرب من بحر علومكم فهم مسألة الفتن الواقعة بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مع علمهم لاشك بأفضلية بعضهم على بعض وسبب قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه وكيف نسلط طريق الاعتقاد في ذلك تفصيلاً وتحقيقاً وتعميقاً وتدقيقاً ومرادنا من استمداد هذا المرغوب من حضرتكم الفخيمة لكونها نتيجة حضرة المفور له مولانا الاستاذ الامام الشيخ سيدنا محمد عبده رضي الله عنه فنحصل على بعض أفكاره في المسألة رحمه الله وأعزكم من بعده

(ج) لا يمكن التفصيل والتحقيق المطلوب في هذه المسألة في جواب سؤال وانما يكون ذلك في مصنف خاص بها ولو ذكر ذا كر خلاصة وجيزة لمصنف وضعه أو هيأه لصعب التسليم بها على من لم يطلع اطلاعه ولم يقتنع بما آخذ لتلك الخلاصة وأحب لكم أن تقرأوا ما كتبه رفيق بك العظم في كتابه (أشهر مشاهير الاسلام) وتعملوا رأيكم في ذلك وتراجعوا فيه كتب التاريخ حيث تجدون حاجة المراجعة وما يشبه عليكم بعد ذلك فراجعونا لنبين لكم رأينا فيه . على اننا نذكر هنا شيئاً وجيزاً ينير لكم طريق البحث

أما علم الصحابة عليهم الرضوان بفضل بعضهم على بعض فهو على كونه ضرورياً في الجملة وكونه على غير ما يظن الجمهور في التفصيل لا يستلزم عدم وقوع الخلاف فان معاوية اذا كان يعلم ان علياً يفضل في العلم والتقوى فقد يعتقد انه هو يفضل علياً في السياسة والادارة وقول العلماء « يوجد في المفضل مالا يوجد في الفاضل » معقول لا سبيل الى انكاره وهو مما لا يخفى على عاقل ويؤيده استدراك التلميذ على الاستاذ والمبتدي على المنتهي في مسائل يكون هو المصيب فيها ولاجل ذلك نبحت في كل ما قاله العلماء الراسخون وأئمة الفنون الواضعون رجاء أن نعلم ما لم

يعلموا أو نصيب بعض الأغراض التي أخطأوا كما قال الامام مالك رضي الله عنه: كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر: يشير الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويريد بعموم كلامه الصحابة فمن دونهم من علماء التابعين وهو يعلم ان فيهم من لا يُعد ممن يفضل في فهم الشريعة والوقوف على أحكامها. اذا فهمت هذا فلا تعجب لاختلاف الصحابة يوم السقيفة ولا يوم اختيار أحد الستة الذين جعل عمر الأمر فيهم ولا لاختلاف علي ومعاوية فان الصحابة لم يكونوا كالاشاعرة والماتريدية لهذا المهد متلدين لشيوخهم بأن أفضلهم فلان ففلان الخ ولا ممن يقول إن الأفضل يجب أن يكون هو الخليفة. على أن الاشاعرة وغيرهم يجوزون إمامة رجل مع وجود أفضل منه اذا كان المولى حائزاً الشروط التي لا بد منها للإمامة

ثم اعلم أن كبار الصحابة كانوا يعلمون من مجموع ما جاء في الكتاب العزيز عن الشورى ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم في سياسته وأحكامه ومن جعله الخلافة في قریش ان شكل الحكومة الاسلامية يجب أن يكون وسطاً بين ما يسمى اليوم حكومة جمهورية وحكومة ملكية ووسطاً بين ما يسمى اليوم حكومة الأشراف وحكومة الافراد أعني أن الذي فهموه كان وسطاً حقيقياً بين ما ذكرت من غير ملاحظة هذه الاطراف وكونه وسطاً بينها. فلماذا لم يجعلوها في آل البيت خاصة بهم اذ لو فعلوا ذلك لكانت من نوع حكومات الأشراف التي استعبدت الناس وجعلت الملك الهام معبوداً ولا تستبعد أنهم كانوا يفتنون لهذا الأمر لاسيما مع علمك بما أوتوه من نور البصيرة الذي أعشى شعاعه بصائر الفلاسفة والحكماء حتى هذا العهد وقد رأيت أن هذا الامر وقع بالفعل من الفاطميين عند ما جعلوا الخلافة تراثاً فيهم لمكان نسبهم

ومن هنا تعرف سبب تألب الناس على عثمان بعد أن قويت عصبية بني أمية باستكثاره من استعمالهم حتى خيف أن يتحول وضع الخلافة عن الشرع ويصير حكم أشراف يقوم بالعصبية. وعثمان لم يكن يقصد هذا ولكن الحوادث مهدت له بما كان من لينه وحياته وشره قومه وطمعهم فيه حتى أحس المسلمون بالخطر قبله وهو

لا يرى قومه في جواز استعمالهم الا كسائر الناس . فارجع بعد هذا الى ما قلناه في
تقريظ كتاب (أشهر مشاهير الاسلام) في الجزء الثالث عشر من منار هذه السنة .
وحسبك الآن هذه التنبيهات ، وعليك بعد كثرة القراءة بمراجعتنا في المشكلات .

﴿ ثبوت رمضان بقول المنجم ﴾

(س ٣٩) ومنه : ثم أستفتيكم في مسألة ثبوت شهر رمضان بقول المنجم ولماذا
قال خليل « لا بمنجم »

(ج) راجع ص ٦٩٤ وما بعدها من المجلد السابع تجد القول في ذلك
مفصلاً تفصيلاً

(صلاة النساء في المساجد)

(س ٤٠) ومنه : هل يجوز للمرأة أن تصلي في المسجد أم لا لأن في بلادنا رجالاً
طفاة بآلهم وجاههم حرموا المساجد على النساء وأحلوا لهم المفرات (كذا)

(ج) كان النساء على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلين مع الرجال
في المسجد يقفن وراءهم فصلاهن في المسجد سنة متبعة ثابتة لم يختلف في صحتها
أحد من المسلمين فتحریم ذلك على الإطلاق جهل فاضح . والاحاديث القولية
في ذلك كثيرة أشهرها حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « اذا
استأذنكم نساؤكم بالليل الى المسجد فأذنوا لهن » رواه أحمد والشيخان وأصحاب
السنن ما عدا ابن ماجه ولكن ورد أن يخرجن غير متبرجات بزينة فقد روى أحمد
وأبو داود من حديث أبي هريرة مرفوعاً « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن
تفلات » أي غير متطيبات قالوا ويلحق بالطيب ما في معناه من المحركات لداعي
الشهوة كالخلي والحلل وجميع ضروب الزينة . وروى مسلم في صحيحه وأبو داود
والنسائي في سننهما من حديثه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أيما امرأة
أصاب بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة » وأعم منه حديث زينب امرأة ابن
مسعود في صحيح مسلم « اذا شهدت احداً كن المسجد فلا تمس طيباً »

نعم ورد أيضاً أن صلاة النساء في بيوتهم أفضل من صلاتهن في المسجد

فقد روى أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر «لأتمنعوا النساء أن يخرجن إلى المساجد ويوتهن خير لهن» وله شواهد. وروى أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير من حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «خير مساجد النساء قعر بيوتهن» وفي اسناد الحديث ابن لهيعة ممن طعن في روايتهم ويجوز حمله على غير صلاة الجماعة. وفي الباب رأي عائشة رضي الله عنها قالت: لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى من النساء ما رأينا لمنعهن من المسجد كما منعت بنو إسرائيل نساءها» رواه الشيخان وعلى هذا الرأي بني المتأخرون منع النساء من المساجد فهو اجتهاد لا يصح أن ينسخ النص القطعي الصريح ويحرم ما أحل الله ورسوله نعم إن علم أن خروجهن إلى المسجد يكون سبباً للفتنة جاز أو وجب منع من يعلم أو يظن الافتتان بهن فقط مع إزالة سبب الفتنة ولكن لا يصح أن يقال أن خروجهن إلى المسجد وصلاتهن فيه محرمة عليهن ولا أن يجعل حكماً عاماً مطلقاً

﴿ ذنوب الخطيب الذي يحث على الكسل والخرافات ﴾

(س ٤١) ومنه: كم هي ذنوب الخطيب الذي لا يأمر الناس إلا بالعجز والكسل والموت والخرافات والتقليد وسيء العادات؟ لازلت بحراً يستجلب دره، ومزناً يستوكف دره، والسلام

(ج) هذا الخطيب شر خطباء الفتنة وذنوبه لا تحصى إلا إذا أمكن احصاء تأثيرها الضار في الأمة وأناى يحصى وهو من الأمور المنووية التي لا تعرف بالعد والحساب فمن سيئات هؤلاء الخطباء وآفاتهم في الأمة أن كانوا علة من علل قهرها وضعفها في دينها ودنياها وضياع ممالكها من أيديها، فهم أضمر على المسلمين، من الأعداء المحاربين، ومن دعاة الضلال الكافرين، ومثلهم كمثل الطيب الجاهل يقتل العليل، وليس هذا محل شرح سيئاتهم بالتفصيل، ولكن لابد من التنبيه على سيئه منها حادثة لم تكن من قبل وهي أن أبناء المسلمين الذين تعلموا العلوم العصرية وعرفوا أحوال الأمم وسياستها، وتأثير آدابها في مدنياتها، وعزتها ولم يقفوا على حقيقة الآداب الإسلامية، ولا غير ذلك من الأصول الدينية، يتوهمون أن هؤلاء الخطباء ينطقون بلسان القرآن، ويبينون للناس لباب ما جاء

به الدين من الحكم والأحكام ، ويستدلون على ذلك بإجازة العلماء ما يقولون وما يوردون في كلامهم من الأحاديث وإن كانت موضوعة أو واهية ، وما يصرعون به من الآيات وإن كانت بما يهون عنه أمره وعما يأمر به ناهية ، ولكن أننى للسامع المسكين ، أن يميز الفث من السمين ، إذا كان لم يطلع على تفسير الكلام القديم ، ولم يقرأ علم الحديث الشريف ، فلا جرم ينفر من الدين نفور الكاره له ، المعتقد أن معارف البشر أهدي منه ، وإذا كان عارفاً بدينه فإنه ينفر من صلاة الجمعة وأعرف من المصلين من يتحرج أن يدخل المسجد بعد فراغ الخطيب من خطبته وحدثني الأستاذ الامام رحمه الله تعالى أن رجلاً من النابغين في العلوم المصرية كان كثير الخوض في الدين والانكار لبعض أصوله وفروعه فما زال به الأستاذ حتى أزال شبهاته وأقنعه بأن يصلي فبدأ بصلاة الجمعة في الجامع الأزهر فسمع خطبة من الخطب المسؤل عنها فنفر ، وقال إن هذا شيء لا يصلح به أمر البشر ، وما أنا بعائد الى سماع هذه الخطابة ، انخداعاً بما للشيخ محمد عبده من الخلافة ،

هذا وإن مقام الخطابة هو مقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومقام خلفائه ونوابهم وقد أهين هذا المقام في هذا العصر لا سيما في مصر فصار يعهد به كثيراً الى أجهل الناس وأقلهم احتراماً في النفوس لأن الخطابة في نظر ديوان الاوقاف هنا وظيفة رسمية تؤدى بعبارة تحفظ من ورقة فتلقى على المنبر أو تقرأ في الصحيفة ككنس المسجد يقوم بها أي رجل وفي نظر طلابها حرقة ينال بها الرزق فهم الديوان في الخطيب أن يكون قليل الاجرة لتتوفر أموال الاوقاف فيوضع ما يزيد منها عن النفقات التي لا تفيد المسلمين في خزائنه أو خزائن البنك وقد اجتهد الأستاذ الامام رحمه الله تعالى في احياء هذا الركن الاسلامي بمجمل الخطابة خاصة بالعلماء الاعلام فوقفت السياسة في طريق مشروعه مدة حياته واعلمها تمنحى فينفذ بعد موته



باب الترتيب والتعلم

المكتوب الخامس - في المدرسة الجامعة (*)

كتب في ١٠ يولييه سنة ١٨٦٠

«من أميل» الى أبيه

كلفني بأن أجعلك على علم بدروسي فوافاة لرغبتك أقول : الجامعة التي
أختلف إليها بناء في غاية الجدة وتفتح قاعاتها للتدريس في فصل الصيف من
الساعة السابعة صباحاً الى الساعة الاولى بعد الظهر ومن الساعة الثالثة بعده الى
الساعة السادسة وتنقسم دروس الاساتذة فيها الى عامة وخاصة فالاولى تلقى
بالضرورة مجانا ويدفع الطلبة في مقابل تلقي الثانية «فريديكين» ذهباً (٥٠ فرنكا)
كل ستة أشهر وتنقسم جامعة «ين» مثل كل الجامعات في ألمانيا الى أربع مدارس
اختيارية احداها للقوانين والثانية للحكمة والثالثة للطب والرابعة للإلهيات ويتعلق
بكل من هذه المدارس الأربع فروع مختلفة يدرسها فيها رجال مخصصون بها

الجامعة تخلي بيننا وبين حرية التصرف في وقتنا ما باضاعته أو بالانتفاع به لا في
لا أرى لاحد منها أدنى تفتيش ولا أقل هيمنة علينا في سيرتنا على أي أعنقد ماقلته
لي كثيراً من أن النظام التأديبي الناجع هو ما يفرضه الانسان على نفسه ويلتزم اتباعه

لامراء في أن أساتذة جامعتنا متضامون من العلوم غير أنني كثيراً ما شق علي
أن أتبع سلسلة أفكارهم في الدروس لسببين أولهما أن هذه الافكار ليست
في ذاتها واضحة وثانيهما أي لقلّة تعودي على تصوير فكري بالألمانية حتى الآن
أجد من الصعوبة في فهم تلك الافكار أكثر مما يجده غيري من المتعودين
وبدهشي من أمر هؤلاء العلماء أنهم على سمو مكانتهم في العلم وبعد صيتهم
مغبونون في أجر عملهم اذ استدلت على هذا بما يبدو عليهم من رقة الحال وبقناعتهم
بالبسير من العيش ورثاة ملبسهم الذي يكاد يكون وسخاً وقفرهم هذا يؤثني

(*) مرعوب من ابترية الشاب من كتاب أميل القرن التاسع عشر

ويزيدهم في نفسي اجلالاً على اجلالهم الذي تدعوني اليه معارفهم فأولئك رجال يحبون العلم لا لكسب المال ولا للتمتع بالحطام وإنما يحبونه لما يحصله للعقل من لذاته وضروب اغتباطه

ثم ان بعض المدرسين يرتجلون الدروس مطمئنين فيها و بعضهم وهم الا كثرون يأتون بها مكتوبة فيلقونها على الطلبة وهو لا يصغون لما يلقي عليهم ويكتبون ما يلقونه منه وقد وضعت لنفسي نمطاً في اختزال الكتابة وهو ان كنت لأشك في قصوره لأ وليته يمكنني من اثبات الحدود الاساسية لما أسعته من الجمل

ينقسم الطلبة باعتبار مذاهبهم الى كاثوليكيين وبروتستانتين متشددين يعد بعضهم نفسه للأعمال الخطائية وحكام يجتهدون في تأويل المذاهب تأويلاً مطابقاً للعقل وماديين وهم قليل يصرحون بأن زمن الديانات قد انقضى وأنه لا ينبغي اضاءة الوقت في العكوف على الملاحقة له من هواجس القرون الوسطى وأحلامها رأيتك دائماً تجتنب الخوض معي في المذاهب والاسرار الدينية واستنتجت من سكوتك عنها انك قصدت مني الاستقلال بنفسي في الاعتقاد ولقد حملتني عظميا فاني حتى هذا اليوم في غاية البعد عن معرفة ما يستقر عليه فكري في كثير من المسائل التي ترجفتي محاولة سبر غورها على انه لا بد من الاقرار لك بأنني لست مطرحة هذه الطائفة من الافكار ولا مغفلاً لها فكم مرة نظرت الى السماء في سكون الليل وحاولت على حداثة سني وجهلي أن أقرأ في نجومها حلاً للفرز هذا العالم واني منذ اليوم الذي شهدت فيه إلقاء جثة الملاح في البحر — وإخالك تذكره — لا ينفك عني التفكير في سر الموت حتى في أحلامي وقد سألت القبور أن تكشفه لي فلم تحمر جواباً فصمدت من عهد دخولي الجامعة الى مطالعة ترجمة الفيدا (١) الألمانية والزنداويستا (٢) والتوراة فأثرت قراءتها في نفسي تأثيراً بليغاً وكان يترأى لي منها عالم جديد ولكن من خلال ظلمات لا يسعني الا الاقرار بأنهم لم تنقشع

(١) الفيدا كتاب الهند المقدس وهو اسم عام تحت أربعة كتب خاصة وهو الريحفيدا والسافيدا والياجورفيدا والاثارفافيدا (٢) الزنداويستا مجموع ما لأتباع زردشت من الكتب المقدسة

ولست أدري أأعكف على دراسة هذه الكتب أم أعدل عن اماطة الظلمات عما لا يتناهى فلا أشتغل الا بما هو ثابت محقق من نتائج العلم
أنا الآن أحوج مني فيما مضى الى ارشادك والاستضاءة بنور علمك ومن ذا
الذي أسترشد به وأستهديه سواك؟

جميع الطلبة يعلمون المجادلة والمناضلة وأنا مقتد بهم في ذلك فلي كل يوم
ساعة أو ساعتان أقضيها في ممارستها لان في هذه الممارسة تمرينا مفيدا في تقوية
الاعضاء وتنميتها ويؤكد لي العارفون من الطلبة أن أمهر المجالدين من يندر
التجرش به. ومع اني لا أرجو مطلقا أن أبلغ في المجادلة والمناضلة مبلغ الفارس سان
جورج (١) أود لو أثبت في قاعة الممارسة ثبوتا كافيا أبي على علم باستعمال السلاح
حتى يحسب الطلبة حسابي فلا يستخفون بإعضائي فان المبارزة كثيرة الوقوع
بينهم وهم يجرحون فيها أحيانا ولكن يندر والحمد لله أن يقتلوا ومن يجرح منهم
لا ييالي بخدش وجهه بل يعتبر ندب الجروج على ما فيها من التشويه لخلقه من
موجبات اجلال النساء له

ثم اني أختم مكتوبي راجيا أن تثق مني بدوام محبتي لك وتعلق قلبي بك.

البداوة - من باب الآثار الأدبية

قصيدة من نظم حسين أفندي عبد الفتاح الجمل ويعني بالبداوة تلك المعيشة
العربية الحالية من ترف المدينة لا سكنى البادية فقط

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| ليت البداوة لي مهد ولي وطن | ففي الحضارة لي شغل عن الجدل |
| أعني بداوة عرب طاب مولدهم | وطاب محتدم في العصر الأول |
| فالأريحية فيها والنسدى خلق | ملازم لهم في الخصب والمحل |
| ترى العفاف لديهم مسد أروقة | محفوظة بالتقى في كل معتزل |

(١) سان جورج شخص يذكر في الاساطير انه أمهر المجالدين والمناضلين

أما الوفاء فقد حازوا الفخار به فلا ضريب لهم في كل مرتحل
لا يغدرون ولو كانت منيتهم رهن الوفاء ولا يمسون في وجل (١)
نال السموأل فيه غاية وقفت عنها الملوك وقوف العاجز الخمل
ضحى ابنه خوف غدر لو تحمله لكان للعذر فيه واضح السبل (٢)
وعاصر كان في حفظ الجوار له بيت من المجد مرفوع اللواء علي
يحمي المجار به من كل غائلة م الانس والجن بل من سطوة الاجل (٣)
وفي التقى كان عبد الله ذا ورع لا يعرف الشرف في شي من العمل (٤)

(١) كان حنظلة الطائي وعد النعمان بن المنذر بالرجوع بعد عام لاستقبال الموت
فطلب النعمان من يضمه فضمنه شريك بن عدي . فعجب النعمان من رجوع
حنظلة وليس له داع غير الوفاء وعفا عنه

(٢) كان امرؤ القيس الكندي قد استودع السموأل سلاحاً ودروعاً وسافر
الى بلاد الروم فمات وهي عند السموأل فطلبها منه ملك كندة فلم يسلمها . فجرد
الملك عليه جيشاً وحاصره في حصنه المشهور بقوله

لنا جبل يحمله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل
فوقع ابن السموأل أسيراً عند الملك فهدده بقتله ان أبي تسليم الوديعة فأبى وقال
له ما كنت لأخفر ذمامي وأبطل وفائي فافعل ما شئت فذبح ولده والسموأل ينظر .
وانصرف الملك خائباً ولم يأخذ الوديعة غير أصحابها الوارثين

(٣) كان الاعشى امتدح الاسود العنسي فأجازه بشي كثير من الخلل والعنبر
فخاف على مامعه فأتى عامر بن الطفيل فقال أجري قال قد أجرتك قال من
الانس والجن قال من الانس والجن قال ومن الموت قال نعم قال وكيف تبجيني
من الموت قال اذا مت وانت جاري بعثت الى أهلك الدية فقال الآن علمت
انك تبجيني .

(٤) هو عبد الله بن الزبير ترك عطاءه (ماهيته) في المسجد ثم أرسل خادمه

ولا بن عباس في حفظ العلوم مدى مافيه من مطمع يوماً الى رجل (٥)
 ماذا يقال وقد سارت مناقبهم كالشمس فينا بنور غير متقل
 وكيف للشعران يأتي على صفة الصديق أو عمر الفاروق ثم علي
 محامد طبعت فيهم وغيرهم تكلفوها وليس الكحل كالكحل
 كأنما بنت هذي الفضائل في ارجائها فنت في السهل والجبل
 فهم كأنهم يفسدون من كرم أوانه فطرة فيهم من الازل

بَابُ الْحَبْلِ الْأَلْوَنِ

— الثورة في روسيا —

العلم نور لا ينتشر في بلاد الاوينجاب عنها من ظلمات الظلم بقدر ما يفيض
 عليها منه فاذا تمكن في النفوس وملكتها وصار صفة من صفات عدد كثير من أهلها
 فبشر أهلها بالسعادة بعد زمن طويل أو قصير لأن العلم مع الجهل وآثاره من
 الظلم والاستبداد لا يتجاوزان على وفاق وسلام بل يفتان يتنازعان ويتصارعان
 حتى يصرع أقواهما أضعفهما وينزعه من الارض

مقارعة العلم ومنافعه للجهل ومصارعه هي مقارعة طائفة من جند الحق لطائفة
 من جيوش الباطل والحق هو القوي المنصور، والباطل معه هو الضعيف المخدول،
 اللهم اذاهما وجدا فتجاولا وتصاولا ولكن قد يحول دون ظهور جند الحق مانع

بعد حين ليحضره فقال الخادم واننى لنا ذلك وقد دخل المسجد بعدنا كثير فقال
 عجبا ! وهل بقي أحد يأخذ ما ليس له

(٥) فضل ابن عباس مشهور انما اذكر هنا انه أنشد مرة قصيدة من شاعر
 (هو عمر بن أبي ربيعة) وجرى في المجلس ما اقتضى أن ينشدها ابن عباس فانشدها
 وقد بلغت سبعين بيتا فعجب الحاضرون فقال لم تعجبون وهل يسمع أحد شيئا ولا يحفظه

فيظهر الباطل ويظن الظانون أنه قد غلب الحق على أمره وكيف يسمى غير
المرجود مغلوباً

فاض شعاع من العلم بمصالح الأمم وسنن العدل في الدول على البلاد الروسية
فأزال يزيح من تلك الظلمات المراكمة في النفوس حتى انزاحت فأشرقت العقول
واستنارت القلوب فعرفت حق الراعي على الرعية وحقوق الرعية على الراعي وتمكن
هذا العرفان في نفوس كثير من المتعلمين فكان وميضه يلوح لأبصار المستبدين
من أفق المدارس الكلية فيندرم بالصواعق المحرقة فتلهع قلوبهم ثم لا تلبث أن
أن تعود إلى طمأنيتها اغتراراً بفسوخ السلطة المطلقة القائمة على صخرة تقاليد الدين
وجهالة الأكرين حتى إذا ما انكشف للعالم كله ضعف دولة الاستبداد والظلم،
وأهزمها من وجه دولة العدل والعلم، في الحرب الروسية اليابانية، إذ نكلت الثانية
بالأولى في جميع الوقائع البحرية والبرية، ظهر أهل العلم من الروسيين، وقاموا بالدعوة
إلى الخروج على الحكم المستبد، فنفخوا في البلاد روح الثورة فاشتعلت نارها،
وكثر أنصارها، ولم ينههم عن عزيمتهم أن وضعت الحرب أوزارها، وفرغت
الحكومة للثورة تبلو أخبارها، وتضرب وجوها وأدبارها،

بعد كفاح طويل عريض، وأخذ للثائرين أليم شديد، وثبات من طلاب
الحرية، أمام أرباب العبودية، وأصرار من طلاب العدل، على مقاومة الظلم والجهل،
خضع القيصر العظيم، لأولئك الشراذم من شعبه الحقير، وأمر بتحويل شكل
الحكومة الروسية، من إطلاق الاستبداد إلى قيود الشورى القانونية، فقالوا أنه
خضع اضطراراً لا اختياراً، فلا تفخروا بما أمر اغتراراً، بل أصرروا أيها الثائرون
والمعتصبون، يكن لكم كل ماتطلبون، فهم لا يزالون يفترحون، فهل يعتبر بحالهم
جيرانهم الأقربون،

تعزيتنا عن والدنا

لا تزال ترد علينا التعازي من محبينا في المشرق والمغرب كالهند وسنغا فوره
وجاوه وتونس والجزائر وفاس فتشكر لمن كتب ولن سيكتب إلينا في ذلك
عموداً على بدء ونخص بالذكر أهل الوفاء في الديار التونسية من العلماء والأدباء

وأصحاب الصحف الفضلاء . واننا ننشر بعض ما تفضلوا به ليكون تعزية للبعيد من الأقرين . كتب أحد العلماء المدرسين بعد الثناء الذي هو أهله والدعاء

« العزاء بعد ثلاث وان كان تذكاراً بالمصيبة ، فإن تركه ثلثة في وجه الود وشبهة في صحته مريبة ، اليوم وصلت اليّ مجلة المنار فقرأت الخبر الأليم ، بوفاة والدكم البر الرحيم ، ذلك الخبر الذي ملأ فؤادي أسفاً مشاركة لكم على ما مجده ابن بار على فقد والد شفيق

« وفوق مشاركتك أيها الاخ في الحزن كيف لا آسف على فقد صاحب تلك السمائل الزكية لولا أن فيما بذرت من كمالك الفطريّ مسلاة ومتعزى عنه فانك تخلد له ذكراً أخرى مما كانت تخلد له صفاته الطيبة وأنتم بحمد الله كما قال الشاعر
نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تأوي اليه كوا به

ثم عظيم أن يلم بك أيها السيد مصابان في زمن متقارب يمر بي نفسك الشاعرة ، وبأصل فطرتك الطاهرة ، فتعز بأن الله جعلك لها لسان صدق في الآخرين ، وعليك صلوات الله ورحمته بالصابرين ، »

وكتب عالم آخر من المدرسين

« حياك الله سيدي الاخ وعظم أجرك كما عظم رزك ومنحك من صلواته ورحمته وهدايته ما أنت أهله فلقد أبديت صبراً جميلاً ، وثباتاً عظيماً ، أمام مصابين عظيمين تتد كدك لهما الجبال الرواسخ - وفاة والدك الجسماني ، قبل أن يحجب القلم من تأبين والدك الروحاني ، فرحمهما الله من أبوين صالحين تركا للإسلام فاضلاً نحريراً مثل جنابكم الكريم فهما بذاك لم يموتا وإنما غابا عن هذا الوجود الكدر وخلفا عملاً كبيراً وسراجاً منيراً نسأل الله تعالى أن يطيل بقاءه ، ويديم اشراقه وارثائه الخ

وكتبت جريدة (التري) القراء التي تصدر في تونس ما يأتي تحت عنوان (الشام) نعى لقراء التري شيخاً جليلاً وسيداً كريماً نبيلاً من نسل السلالة المطهرة ألا وهو سيد سادات الديار الشامية وفرع الدوحة الحسينية المرحوم الشيخ علي رضا أفندي الحسيني الحسني والد رصيفنا العلامة الفيلسوف الكبير السيد محمد

رشيد رضا صاحب مجلة المنار المنير

قضى هذا الفاضل عمره المديد في اسداء المبرات واعمال الخيرات فكان
كفيل الأرامل ومربي اليتامى والمحسن للقريب والبعيد وقد قرأ العلم بطرابلس
الشام وارنقى في مراتب الدولة العلية التي كان مخلصاً في خدمتها للحد الذي جعله
ممتازاً على بقية الأشراف بوراة أعشار بلد القامون التي كان أنعم بها السلاطين
العظام على أسلافه الأكرمين وكان رحمه الله كما جاء في المنار «حسن المجاملة عظيم
التساهل في معاشره المخالفين في الدين مع الغيرة الشديدة على الإسلام والمناضلة عنه
بما يحج المناظر ولا يؤذيه» كعلماء السلف برد الله مضاجعهم

اتهمه مصادروه (أعداء الدولة) في الاوقات الاخيرة بالجاسوسية وبأنه يسعى
مع المرحوم فقيد الاسلام الشيخ محمد عبده لتقويض أركان الخلافة العثمانية (لا سمح
الله) ففسدوا بفراشه عقارب سمائهم الممقوتة وأوغزوا عليه صدور رجال الدولة
فجعلته تحت مراقبة الجواسيس الحقيقيين بما تخرجت له النفوس الطاهرة والقلوب
الرحيمة فكان يقابل تحرشهم بالصبر واللين ويدعو الله مع أبنائه بتوفيق دولة
الاسلام وبتطهير ساحة سراية يلدز من أهل السوء والعدوان هذا وقد تسابقت
الجرائد الشرقية لتمجيده وتأيينه بأجمل عبارة تليق بمنزلته حياً وميتاً ونحن نضم
لتلك التعازي عبارات تعزيتنا ونسأل الله أن يفسح له في صعيد الجنة وأن يجعل
عزاء بنه خصوصاً رصيفنا العلامة المفضل محرر المنار الأغرا

(المنار) نخص هذا الرصيف الفاضل بمزيد الشكر والثناء أن أحسن الظن
بنا وبالغ في مجاملتنا. وقد كرهنا أن كثير من كتب التعزية قد شمنت على الحكومة
العثمانية سوء معاملتها لوالدنا وشقيقنا بل جاء شيء من ذلك أيضاً في بعض البرقيات
(التلفرافات) فلم ننشر شيئاً منها لئلا يتوهم أننا ننتقم بذلك لنفسنا، ونستدرك على
الترقي أن السيد الوالد رحمه الله تعالى لم يدخل في أعمال الحكومة الرسمية على تعارفه
بكثير من وزراء الدولة وكبرائها. هذا وقلنا عزانا أحد عن والدنا الأ وأعاد تعزيتنا
عن أستاذنا تغمدهما الله تعالى برحمته، ومتعبها بدار كرامته،





يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيقيمون أحسنه أو يأتون الدين هدى هم أولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و«منارة» كذا الطريق)

﴿ مصر - ١٦ رمضان سنة ١٣٢٣ - ١٣ نوفمبر (٢) سنة ١٩٠٥ ﴾

باب العقائد

الدين في نظر العقل الصحيح

المقالة الثالثة

﴿ الإسلام هو الإصلاح الأكبر ﴾

مقال آخر آتى به اليوم تكميلاً لمقالي السابق (الدين في نظر العقل الصحيح) وإيضاحاً لما أجملته هناك في مسألة الإصلاح الإسلامي في الأرض. ولا أريد أن أذكر المسائل التي شارك الإسلام فيها غيره من الأديان الأخرى ولكنني ذاكراً ما امتاز به عنها ليتضح لأهل الانصاف، أنه هو الإصلاح الأكبر بلا خلاف

١ - التوحيد والتنزيه

أتى القرآن بالتوحيد الخالص والتنزيه المطلق فقال «هو الله أحد» لا تدركه

الأبصار وهو يدرك الأبصار * ليس كمثله شيء * وتحاشى ما يوهم التشبيه والتجسيم
 إلا ما اقتضته ضرورة التعبير القوي حتى أنه أزال في مثل قوله «وهو أهون عليه»
 ما يتبادر منه من التمثيل بالمتخلفين بقوله بعده «وله المثل الأعلى» ففارق بذلك جميع
 الكتب الأخرى المثلثة بالتشبيهات والتمثيلات حتى الساقطة الباردة منها . وأبان
 بمثل قوله «وان من شيء إلا يسبح بحمده» وقوله «ان كل من في السموات والأرض
 إلا آتي الرحمن عبداً» أن لا شجر ولا حجر ولا بشر تجوز عبادته من دون الله تعالى
 «إياك نعبد وإياك نستعين» فعرف الإنسان حقيقة حاله وأن لا يليق به أن يخاف
 أحداً سوى الخالق تعالى فخلص بذلك من الأوهام المحيطة به من كل جانب .
 هدأ الله بعد ذلك روعه منه وأعلمه أنه به رؤوف رحيم بل أشفق عليه من الأم على
 ولدها وأنه أقرب إليه من حبل الوريد يجيب دعوة الداعي إذا دعاه . فأحبه المسلم
 لإحسانه إليه وقربه منه مع جلاله وخاف من عقابه إذا هو عصاه . فمن غمره الملك
 بنعمه كان له محباً ولكنه يخاف أن يقع منه ما يفضبه . ومع ذلك إذا عصاه الإنسان
 ثم رجع إليه وجد بابه مفتوحاً وغفرانه واسعاً «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم
 لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم» . الله أكبر .
 أين هذا الاعتدال في العقيدة من افراط قوم يظنون أن الله لا يحب الإنسان الا اذا
 قتل نفسه لتكفير ذنبه فأوقعهم ذلك في الاشرار الحقيقي وان أنكروه وفي التشبيه
 والتجسيم وما خالف المعقول والمنقول . وأين ذاك الاعتدال من تفريط آخرين
 يعتقدون أن الله بعيد عنهم ولا يبالي بهم ولا يريد بهم خيراً

يزعم بعض من يدعي العلم من قسيسي المسيحيين أنه لم يرد في كتاب المسلمين
 ما يدل على حب الله لهم وحبهم له بل كل ما فيه الخوف والانزعاج منه فلذا أورد هنا
 ما ورد في القرآن الشريف في ذلك المعنى «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
 الله * والذين آمنوا أشد حبا لله * فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه * ان الله
 يحب التوابين ويحب المتطهرين * وآتى المال على حبه * ويطعمون الطعام على حبه»
 وفيه من ذكر الرضى والرافة والرحمة والغفران ما لا يوجد في كتب المسيحيين أنفسهم
 ويكفيك أن كل سورة مبتدأة بالرحمن والرحيم . فهل إله المسلمين قاس كما يهودون؟؟

ألا ان التعصب يعمي ويصم
والخلاصة أنه بهذه العقيدة الصحيحة اجتثت جذور الوثنية من الأرض وكذا
كل عقيدة اتفقت معها في الحقيقة وإن اختلفت عنها في الشكل وتبع ذلك طهارة
العقول من المساوس والخرافات التي أحاطت بالأمم الأخرى، فأي إصلاح أكبر
من هذا؟

٢ - المساواة

قرر الاسلام أن أفراد البشر عند الله سواء وأنه لا ينظر الى صورهم وأزيائهم
بل الى قلوبهم. وأن رحمته تعالى لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وعذابه لمن عصاه
ولو كان شريفا قرشيا فلا فرق بين الغني والفقير والصعلوك والامير والحر والعبد
الا بالتقوى «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم» فرفع بذلك كل امتياز موهوم بين الافراد
ولم يجعل لأحد على الآخر سلطانا الا ما اقتضته حدود الشريعة لدفع الأذى وحفظ
الأمن وفيما عدا ذلك لا مسيطر على الانسان الا الله وحده وليس يبتاز بينه تعالى
حجاب أو واسطة «انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر» فلا كاهن ولا رئيس
في الدين ليقرب الناس من رب العالمين. زال بذلك كل ما كان وضعه رؤساء الأديان
الأخرى من الحجب على العقول وعلى ما منحه الله لنا من الحرية كدعوى التوسط
بين الله والناس في غفران الذنوب وإباحة ارتكاب بعض المحرمات في مقابلة
درهمات يأخذونها ومنع الناس من قراءة كتبهم الدينية الى غير ذلك من المفاصد
التي وقع فيها الامم الأخرى بسبب عبارات وردت في كتبهم فهموها بهذا المعنى
بحق أو بغير حق واستمروا على العمل بها الى ما بعد مجيئ الاسلام بعدة قرون ثم
أخذ بعض الطوائف في الإصلاح بمثل ما أتى به ديننا القويم من قبل.

أمكن المسلم بسبب ذلك أن يقف بين يدي الله تعالى وحده ويقرأ كتابه
بنفسه ويفهم منه ما شاء أن يفهم فلا توسط ولا مراقبة ولا حجب. والناس غيره في
عبودية وذل، وغباوة وجهل، ذم الاسلام بعد ذلك التقليد ونهى عن متابعة الأهل
في شيء الا بدليل «واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا

أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون» وأمر المسلم أن ينظر في القول ليميز صدقه من باطله . بدون نظر الى قائله « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » فأى دين أتى بمثل هذا كله ؟؟

٣ - العقل والعلم بالحقائق رائدا ليمان الصادق

امتاز القرآن الشريف عن غيره من الكتب الدينية بمخاطبة العقل في جميع العقائد، والتحاكم اليه عند التخالف والتعاند، فلم يقرر عقيدة أو يرد أخرى الا بالدليل العقلي . أي كتاب غيره أقام الدليل على حدوث العالم بحركات الأجرام السماوية تذكر حجة إبراهيم على قومه في سورة الأنعام مثلاً تأمل قوله في الرد على من عبد مريم والمسيح « كانا يا كلان الطعام » وقوله « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » رداً على من اتخذ ولادته بدون أب دليلاً على ألوهيته . وقوله في اثبات النبوة « أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون » فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين » وقوله « فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تمقلون » وقوله « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون » وقوله في عدم استحالة البعث « أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم » الى غير ذلك من الآيات التي هي أساس علم الكلام كما بينا ذلك في المقال السابق .

ولم يكتف باقامة الحجة على العقائد فقط بل لا تجدد في الغالب أمراً أو نهيّاً الا أتبعه بالدليل ولم يرض بالاستسلام والرضوخ بدون معرفة السبب فقال مثلاً « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » أي ان الصيام الذي يقوي الارادة ويربي النفس على مراقبة الله تعالى ويعرفها مقدار النعم عند فقدائها أعظم معد للتقوى . وقال في الحدود « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب » وقال في الاخلاق « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » وغير ذلك كثير مما لم يأت في كتاب سواه فلا تجد صحيفة منه خالية من قوله « لعلكم تعقلون » تتفكرون . يا أولي الألباب .

الأولي النهي . لذي حجب الخ الخ » ثم ماورد فيه بشأن العلم والعلماء كثير « وما يعقلها
 الا العالمون » انما يخشى الله من عباده العلماء * وما يعلم تأويله الا الله والراسخون
 في العلم * هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وبذلك كله صار المسلم لا يبالي
 بعقيدة خالفت العلم الصحيح أو ناقضت حكم العقل فبينما تجد غيره يرضخ لعقيدة
 لا يفهمها ولا يمكنه أن يعبر عنها بما يجعله يفهمها بل يدعن ويسلم ثم يقيم الصلوات
 والأدعية لترسخ بالقوة في ذهنه - بينما تجد ذلك في غيره تجده هو يشق الحجب
 بفكره ويرقى الى الملكوت الأعلى بعقله عملا بقول كتابه « قل انظروا ماذا في
 السموات والأرض »

لا يطالب القرآن أحدا بالايان لمجرد سرد قصص عن المعجزات وخوارق
 العادات بل أمر بالتدبر والنظر فيه « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها »
 وخالف بذلك سائر الكتب الأخرى وفتح للعقل باباً واسعاً للبحث فيما آتت به حتى
 يحزم بأن صدوره من مثل محمد العربي الأمي صلى الله عليه وسلم ضرب من المحال .
 ولم يرد أن يخلق دونه الباب بتعداد حكايات لم تخل أمة من نسبة أمثالها الى مؤسسي
 دينهم بل قد ورد في كلام بعضهم كالسيح مثلاً ما يدل على انكاره لها ان صحت
 الرواية عنه . وذلك قوله « جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية
 يونس النبي » يريد بذلك أنه كما آمنت أهل نينوى بيونس لمجرد الوعظ فلتو من الناس
 بي أيضاً لهذا السبب بعينه بدون معجزة وماورد بعدها من قوله « لأنه كما كان يونس
 في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان في قلب الأرض ثلاثة
 أيام وثلاث ليال » قال فيه المحققون من المسيحيين أنفسهم انه تفسير من جانب كاتب
 الانجيل وهو غلط الوجهين (الاول) ان المسيح لم يمكث في بطن الأرض على قولهم الا يوماً
 وليلتين كما هو صريح جميع الأناجيل و(الثاني) أنه بعد قيامته لم يظهر لاحد من هؤلاء
 الطالبين ولم يشاهده سوى بعض نساء وبعض المعتقدين فيه . فكيف يكون
 ذلك آية مقنعة للمخالفين ؟ وخلاصة القول ان هذه العبارة تنفي جميع المعجزات
 ومع التساهل لا تبقي الا واحدة وقد بينا لك حالها : فهذا هو شأن جميع الأديان
 التي لا حجة لها الا أمثال هذه الأقاويص والاعجوبات : فهل تقارن هذه بالدين

الذي لا عقيدة ولا أمر ولا نهي ولا حكم فيه الا ويتبعه الدليل العقلي من نفس كتابه: فله دره من دين أحيا العقل بعد أن أماتوه، ونهض به الى حظيرة العلم بعد أن دفنوه، فأني اصلاح أكبر من هذا ! ؟

٤ - رفع وهم عن الناس في مسألة تأثير الشياطين

أتى الاسلام والناس جميعاً واهمون في مسألة تأثير الشياطين: رسخ في عقول الامم كافة أن الارواح الخبيثة مسلطة على الانسان بالاذى فاذا رأوا مفلوجاً أو مشلولاً أو مجنوناً أو أعمى أو أصم أو مصاباً بأي مرض آخر نسبوا ذلك اليها فامتلات قلوبهم رعباً منها وخافوا من الاماكن القديمة أو الخالية أو المظلمة أو من سقوط شيء على الارض أو من دخول محال التفوط الى غير ذلك من الاوهام التي لا يزال أثرها في نساء أهل مصر الى اليوم: وياليت الامر كان قاصراً على ما ذكر بل ظهرت نتيجة ذلك في أعمالهم وكانت سبباً في ضررهم ضرراً بليغاً فاذا أصيب أحدهم بمرض ما تداووا بالعزائم والطلاسم وابقاد البخور أو زيارة بعض القبور أو تعليق اوراق أو الاستنجاد براق حتى يتمكن الداء وتستفحل العلة فلا يقوى الطبيب على استئصالها أو إيقاف سيرها ويموت الشخص ضحية للجهل والوهم: هذا كان شأن الامم في هذه المسألة وهذه كانت افكارهم وكانت تأتهم الاديان ولا تزيل عنهم هذه الخزعبلات المميتة للنفوس والاجسام بل إن بعضها ايدها تأبيدا ونص على صحتها صريحاً: فتجد ان كل صحيفة من كتبها تدل على ان الشياطين هي علة هذه الامراض كالصرع وانواع الشلل والبكم والصمم وانواع الجنون والعتاهة وغير ذلك مما عرفت اسباب اكثره العلوم الطبية الحديثة ومالا تعرفه قاسته على غيره لوجود التشابه العظيم بينهما ولشفاء بعضه باستعمال العلاجات المادية المحضة كالمواد الكيماوية ونحوها

أتى الاسلام والناس على هذه الحالة فلم يشأ ان يتركهم وشأنهم يخططون خبط العشواء في الليلة الدهناء بل أصلح هذه كما أصلح غيرها مما يمت النفس والجسم معاً صغيراً كان أو كبيراً وذلك بالافصاح أن ليس للشيطان على الانسان

من سلطان الا بالاغراء والوسوسة فلا يمكنه أن يؤذيه في جسمه أو عقله أو واحد من حواسه بشيء مطلقاً قال تعالى حكاية عن الشيطان «وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم» وقال تعالى في خطابه «ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين» وما ورد فيه من قوله «لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس» هو على سبيل التمثيل والتشبيح الذي ورد مثله في كل لغة مهما كان اعتقاد قائله فهو على حد قوله في مقام آخر «طلعها كانه رؤوس الشياطين» (١) وتلك عبارة واحدة لم يرد غيرها . فليطالع القاري العهد الجديد للنصارى مثلاً ليعلم الفرق بين هذا وذاك بمثل هذه الحقائق التي قررها القرآن صار المسلم الحق لا يعبأ بالشيطان ولا يخشى منه أذى أو ضرراً الا ما كان دعوة لشهوة أو نحوها مما يجب عليه أن يحترس منه فاذا أصابه مرض مما لم يستشف بقديس أو قسيس كما يفعل غيره بل يطلب الطب والدواء ويأتي البيوت من أبوابها فأعظم به من كتاب لم يهمل شيئاً فاسداً الا أصلحه . فبأي كتاب يمكن أن تقارنه ؟؟

الله أكبر ان دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قيلاً

لا تذكروا الكتب السوافة عنده طلع الصباح فاطفى القنديلا

الاعتقاد الصحيح لا يكون الا باقتناع العقل بدليل لا براهاب أو ترغيب . فمن لم يطمئن قلبه بالبرهان ، لا يحصل له الايمان ، وان تظاهر بشيء منه فهو منافق كذاب ، فلا معنى لادخال عقيدة في القلب ، بواسطة التهديد بالقتل أو الضرب ، وهذا ما لا جدال فيه وعليه فاستعمال القوة للحمل على اعتقاد هوس وجنون وسعي فيما لا يمكن أن يكون ، لهذا نهى الله المؤمنين عن الاكراه نهياً صريحاً في عدة مواضع من كتابه العزيز « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ثم طيب قلوبهم بنحو قوله « لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » - وقوله ولو شاء ربك لجعل الناس

(١) المنار : الصواب ان الشياطين هنا نوع من الحيات كما في التفاسير المعتمدة .

أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك » ففقه المسلمون أن ليس من وظيفتهم بالنسبة لغيرهم ما نهى الله عنه . أمروا بالقتال ولكن لا للعقيدة بل لدفع الأذى وأمن الفتنة وحماية الدعوة « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » الفتنة هي ما يقين به المرء في دينه من أنواع الأذى والاضطهاد والمعنى قاتلوهم حتى يأمن كل منكم على نفسه ويكون دينه كله خالصاً لله لا يشوبه خوف أحد أو كتمان شيء لعدم انغضابه أو اظهار آخر لا يدين به لاجل ارضائه بل يكون دينكم وخضوعكم كله لله بدون مبالاة بغيره . ولو كان القتال لاجل الدين لما كان هناك معنى لقوله « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » وقوله « الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأثموا اليهم عهدهم الى مدينتهم ان الله يحب المتقين » وهذه الآيات مدنية . نزلت وقد أعلن القتال وأنشبت الحرب أظفارها فكيف ينهى عن قتال من لم يقاتل أو يُعقد عهد مع المشركين ، اذا كانت الحرب لاجل الدين ولما أمر الله تعالى في سورة براءة بقتال المشركين الذين خانوا اليهود ونقضوا المواثيق وبدأوا بالعدوان ، وكانوا مهددين للمسلمين في كل وقت وأوان ، وخيف أن يدخل أحد في الاسلام حذراً للقتل أمن كل من رغب النظر فيه ليهتدي اليه بدون اكراه فقال « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون »

والخلاصة أن المسلمين اذا أمكنهم الدعوة الى دينهم دعوا اليه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ولكن اذا هددت الدعوة وخيفت الفتنة قاتلوا حتى يخضع المهدد لسلطانهم ويأمنوا شره وبعد ذلك يعطفون عليه بالرفق واللين والاحسان وحمايته في مقابلة جزء يسير يدفعه من ماله وله أن يقيم على أي دين شاء . هذا هو حكم الجهاد في الاسلام كما يستفاد من مجموع آي القرآن الواردة في هذا الشأن . أما ما خالف ذلك فليس من الاسلام في شيء ويكون الحامل عليه الملك والاستعمار لا الدين وهذا مبحث آخر فليس للمسلم أن يقاتل من كان آمناً منه ، لأجل أن يكرهه على دينه ، أو يسيء الى من خالفه في الاعتقاد « لا ينهاكم

الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم
ان الله يحب المتقنين» أو يقطع علائقه مع أهله لأجل الدين « وان جاهدك على
أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً » أو يعاقب
بأكثر مما عوقب به . أو يقتل في حربه شيخاً أو طفلاً أو امرأة . الى غير ذلك
من شرائع العدل والرأفة والرحمة . فأى دين بلغ من القوة ما بلغ الاسلام وعمل
بمثل هذه القوانين العادلة . قارن ذلك بما فعله بنو اسرائيل مع غيرهم وما فعله

النصارى مع مخالفينهم ومع بعضهم

يقولون ان المسيح عليه السلام فاق محمداً عليه الصلاة والسلام بالدعة والمرحمة وتقول
هب أن ذلك صحيح فهل يقارن من عاش ثلاث سنين في الضعف والمسكنة بمن
عاش ثلاثاً وعشرين وهابته الملوك والجبابرة ؟ فما يدرينا أنه لو عاش مثل ما عاش
و بلغ مثل ما بلغ ماذا كان يفعل . عاش محمد عليه السلام ثلاث عشرة سنة أو أكثر ولم
يبد منه عداوة لأحد وعاش المسيح عليه السلام ثلاث سنوات فبدت منه البغضاء
للناس اذا صح ما نقل عنه نعم انه قال « أحبوا أعداءكم : باركوا لاعينكم » ولكنه
كان أول من خالف ذلك على روايتهم فقال « من لم يبغض أباه وأمه وامراته وأولاده
واخوته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً » وقد برهن على هذا القول
بالعمل حينما قيل له أملك واخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك فقال « من
هي أمي ومن هم اخوتي — ومديده نحو تلاميذه وقال — ها أمي واخوتي : من يصنع
مشيئة أبي هو أخي وأختي وأمي » وقال في مثل له « أما أعدائي أولئك الذين
لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي » فما هذا التناقض
وما هذه الحال . والحق يقال ان حب العدو فوق الطبيعة البشرية فمن أراد أن يغيرها
لا يلتفت اليه ولا يسمع له قول كما هو مشاهد في العالم الآن بأجمعه، ولكن الشريعة
الاسلامية أتت لتقويم معوج الطبيعة لا لتغييرها وتبديلها فأمرت بما يقدر عليه
الانسان بجهد قليل بأن حثت على الاحسان الى المسيء « ويدرون بالحسنة السيئة »
ومدحت ذلك ولكنها أقرت بأن الأخذ بالمثل لا ظلم فيه ولا عدوان ولكنها لم
تندب اليه كما ندبت الى الأول « ولين صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور » فانظر

الفرق بين ما وافق الفطرة وبين ما حاول تبديلها. وهذا هو الشأن في كل المسائل التي خالف فيها الاسلام الأديان الاخرى المعروفة «فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون»

٦ - اصلاح حال المرأة

أتى الاسلام وحال المرأة في اختلال، بنات مؤودة، وحقوق مهضومة، وذل واحتقار، حتى ظن بعض من كان يعتقد بنوع من البعث أن المرأة لا نصيب لها فيه، طلاقاً وهي الاسباب، أو امساك مع البغضاء والشحناء، تعدد لاحدله أو اقتصار على واحدة أو وقع غيرها فريسة للفقر والاهواء فمما اذا عمل الاسلام في هذه الحالة المختلة، وكيف أزال العلة؟؟

حرم وأد البنات تحريمًا بتماماً. وأنذر الناس عذاباً باليوم القيامة ان لم يتركوه «واذا المؤودة سئلت» بأي ذنب قتلت» رفع شأن المرأة وحفظ حقوقها وجعل لها مثل ما عليها فقال «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة» وهي درجة القوة والانفاق كما ذكر في آية أخرى. ساوى بينها وبين الرجل في جميع الأمر والنواهي الدينية «ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقاتنين والقاتنات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً» وقال أيضاً «اني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى» فعلم الرجل انها قرينة له في الآخرة كما هي في الدنيا ولا امتياز بينهما في ذلك. أمر بالاحسان اليهن في عدة مواضع ومعاشرتهن بالمعروف ونهى عن امساكهن ضراراً. وطيب قلب الرجل اذا حصل فيه شيء من الكره بقوله «وعاشروهن بالمعروف» فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً» حتى لا يتسرع الى الطلاق لأقل سبب وأوجب عليه التروي وتحكيم حاكمين من أهلها قبل أن يقدم على ذلك «وان ختم شقاق بينهما فابشوا حكماً من أهلها وحكماً من أهلها» الآية لأن الطلاق وان كان مباحاً لكنه أبغض الحلال الى الله كما ورد في الحديث أما اذا لم يمكن التوفيق بينهما

لسبب مما من الاسباب فعدمه فيه حرج كبير مخيل بالعائلة والنظام ويحجر الى ما لا تحمد عقباه ولذلك نجد من حرم عليهم في شريعتهم أخذوا يتخلصون من ذلك بكل وسيلة

قال المولعون بالآوهام ان اباحة الطلاق تقلل الحب بين المرأة وزوجها لأنها مهددة به في كل وقت. ولكننا نقول هل المرأة التي تعلم أن الجاسة بينها قسرية اضطرابية تضمن حب زوجها لها أكثر من التي تعلم أنه لو لم يكن هناك حب لسهل افراقهما؟ فها هذا القلب قلب الحقائق الى الضد!

كان تعدد الزوجات غير محدود عند العرب وعند غيرهم فوضع الاسلام له حدا كما هو معلوم ولم يندب اليه وقيده بشرط عدم الخوف من عدم العدل وفوائد الاباحة كثيرة منها (١) أن الانسان اذا أصاب امرأته مرض مزمن جعله ينفر منها فاما أن يبقيا أو يطلقها: أما إطلاقها والحالة هذه فهو خلاف المروءة والانسانية اذ لا يمكنها أن تزوج بغيره وربما لا يكون لها عائل سواء وان أبقاها ولم يتزوج عليها تعطل نسله هو أيضاً وتعرض للإصابة بأمراض كثيرة تنشأ من عدم القيام بهذه الوظيفة أو اضطرابه الشهوة الى الزنا أما اذا كان هو المصاب بذلك المرض المزمن فطلاقها اذا يكون عين الحكمة والصواب فتسلم من العبدوى ان كان مرضه معدياً فيمكنها التزوج بغيره والقيام بوظيفتها التناسلية أو الاشتغال بشيء تكتسب منه قوتها. وهذا أيضاً من فوائد الطلاق. فهل في الطلاق والتعدد اصلاح للمرأة أم اضرار بها؟ ومثل المرض المزمن المقم في النساء فالزوج عليهن خير حل لهذه المسألة وخصوصاً فيمن كان يطلب وارثاً له في مال أو ملك (٢) عدد النساء أكثر من عدد الرجال فلزم ببح التعدد لوجود عدد كبير منهن لاحتياجهن سوى الاتجار في أعراضهن كما هو مشاهد في أكثر بلاد أوروبا وذلك يجعلهن مبتلات معرضات للأمراض واذا افترقن ومرضن أو كبرن في السن أو فقدن عضواً منهن فلا مخلص لهن من سوء الحال سوى الانتحار. فهل في التعدد اصلاح أم اضرار بهن؟ هذا واذا علمنا أن شهوة الرجال أقوى من النساء بكثير وأنهم يميلون الى التعدد بخلاف الاناث كما هو مقرر في الملوم الباحثة في هذا الشأن أيقنا أن اباحة التعدد موافقة للنوع الانساني

من كل وجه. ولا ننكر أنها قد تجر الى بعض مضار . ولكن باستعمال العقل والحزم يغلب نفعها على ضررها .

ولا يزول ما بين الرجل العاقل وبين امرأته من المودة والرحمة التي جعلها الله بينهما بسبب التعدد كما يتوهم البعض لأن قلب الرجل يسع أكثر من واحدة كما أن قلب الأم يسع جميع أولادها وقلب الأستاذ جميع تلاميذه النبهاء . فالتعدد لا يمنع من حب الجميع ألبتة ولا ينافيه . ولكنه ينافي العشق والفرام الذي هو أحد أمراض الحب . وأقصد بالعشق عبادة ذات مخصوصة والتفاني فيها بما يؤدي الى الموت ان فقدت ومثل هذا لا يليق بعاقل وهو لا يدوم بل سريع الزوال فالحب المقصود وجوده هو المعبر عنه بقوله تعالى « وجعل بينكم مودة ورحمة » أي حب شفقة وحنان وحب اخلاق لا حب ذات وهذا لا ينافيه التعدد فقد توجد المودة والرحمة والشفقة والحنان وحب الاخلاق من شخص لكثيرين . ومتى علمت المرأة ذلك من الرجل وعلمت أنه هو عائلها وكافلها أحبه قلبها رغم أنها وإن كرهت شريكاتها فيه . وهذا الكره ناشئ من شهوة الاستئثار بالنفع وهي شهوة لا يجوز للرجل أن يطيعها فيها اذا اقتضت الضرورة خلافاً . ولو عقلت المرأة أن غيرها يود من يقوم بشؤونها مثلاً وأن قلة الرجال بالنسبة لمن يستلزم قيام رجل واحد بشؤون أكثر من واحدة لوجدت نفسها مخطئة في ايثار النفع الخاص على النفع العام . الامر الذي تحاشاه ديننا القويم والخلاصة أن الشريعة الاسلامية حلت مسألة المرأة أحسن حل وأصلحت حالها اصلاحاً لم تات به شريعة أخرى وقد أخذت الافكار في أوروبا تتقرب الى ما أتى به الاسلام بعد أن عادته عداء شديداً مدة مديدة

الحديث شجون — ايثار النفع العام على النفع الخاص هو مما يعبر عنه المسيحيون (بانكار الذات) . فهل الدين الذي يدعو المرأة لان ترى غيرها شريكة لها في زوجها كالذي يدعوها لان تستأثر بشخص وحدها وترى غيرها من النساء يرحن ويفدون في الطرقات كل يوم الى ما بعد نصف الليل ليحصلن على ما به يقتنن ويكتسبن؟؟ هل الدين الذي كان أهله في الصدر الاول يطلقون نساءهم ليزوجوهن اخوانهم من المسلمين ويطعموهن طعاماً هم أنفسهم محتاجون اليه يقال عنه انه لم

يعلمهم انكار ذاتهم!! ألم يرد في كتابهم قوله تعالى «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»؟؟ هل الدين الذي كان صاحبه يدعو ربه لينجيه من القتل والصلب بقوله على زعمهم «ان أمكن فلتعبر غي هذه الكاس» وزعمهم أنه لما حصل بالفعل صجر وخارت قواد وصرخ قائلاً «إلهي إلهي لماذا تركتني» كالدين الذي كان صاحبه لا يبالي بالآذى والقتل في سبيل نصرته الله ودينه وقد احتمل من الاضطهادات مدة ثلاث وعشرين سنة ما لم يحتمله سواه وهو يتلو قوله تعالى «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً» الآية أيهما برهن للعالم على انكاره لذاته في سبيل هداية الناس وارشادهم الى الحق معاً أصابه وكان يقابل سهام العدو بصدرة وحده ويقول «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»؟ الله أكبر. أين هذا من ذلك. فما كان أغنانا عن هذا الجدال كله لولا اعتداؤهم علينا. هل أوجب المسيح الزكاة والصوم والحج على متبعيه مثل ما أوجب القرآن. أليس في هذه الثلاث أكبر معنى لانكار الذات ونفع الناس والاستيلاء على الشهوات ووطئها بالاقدام وتحمل المصائب والمشاق للحصول على رضوان الله. أبعد ذلك يقولون ان المسلمين لا يعرفون معنى لانكار الذات الذي يظنون به ويدعونه بالسنتهم وهم أبعد الناس عنه وأكثرهم انهماساً في الملاذ والشهوات. ولكن ليقف القلم عنده هذا الحد ولترجع الى ما كفايه

باب المقالات

﴿ دعوة اليابان الى الاسلام ﴾

خواطر وآراء

كان أشيع مندسين أن أولي الامر في اليابان قد عرفوا بارتقايمهم في العلم والسياسة أن دينهم الوثني باطل وأنهم يبحثون في غيره من الأديان ليختاروا لهم منها ما يظهر لهم أنه أهداها سبيلاً، وأقومها قبلاً وأقواها دليلاً، وأقربها من صداقة المدنية، وأبعدها عن عداوة العلوم الكونية، وأنهم لاحت لهم بوارق دين الاسلام فأحبوا اكتناه كنهه، والوقوف على حقيقة شأنه، فراجعت حكومتهم في ذلك سلطان

العثمانيين، لأنه أكبر سلاطين المسلمين، شاع ذلك أيام أرسل السلطان عبد الحميد تلك السفينة الحربية (أرطغرل) إلى بلاد اليابان لنزول حكومتها وأرسل معها وفداً دينياً ليبين لها حقيقة الإسلام كما قيل ولكن السفينة غرقت قبل أن تصل إلى حيث تقصد ثم سكت الناس عن الكلام في إسلام تلك الأمة ونسوه ولم يكن قد ظهر لهم حقيقة أمرها في القوة والمدنية

ولما ظهر من أمرها في الحرب الأخيرة في هاتين السنتين مظهر، وغلب نور فضلها — وهي دولة الشمس — على نور القمر، أعاد المسلمون إلى حديثهم الأول في إسلامها فتحدث به المصري والسوري، والهندي والروسي، والجزائري والتونسي والأفغاني والصيني، من غير مواطأة بين مسلمي هذه الاقطار، ولا تقليد أحد منهم للآخر في الأفكار، وإنما هو شعور بعث في نفوس هذه الشعوب القصية، ما يعلمونه من الخطر على بقايا السلطة الإسلامية، بما جبل عليهم حكامهم من الجهل والاستبداد، مع وقوف دول أوربا بهم بالمرصاد، وباعتادوا عليه — أعني المسلمين — من الاتكال على الحكام في الأعمال، والاستعانة بهم من خواطر التكافل والاستقلال، والنهوض بجلال الأعمال،

إسلام هذه الأمة العزيزة ذات الدولة القوية قد صار من الأماني التي يتخيلها كثير من المسلمين المتفكرين، الذين يألمون من سلطة المخالف لهم في الدين، فمنهم من يلهو بتخيلها في خلوته، ويتمثل بما قال ذلك الشاعر في معشوقته،

أماني من سمدي عذاب كأنما سقتنا بها سمدي على ظمأ بردا
مُنَى إن تكن حقاً تكن أحسن المتى والا فقد عشنا بها زمناً رغداً

ومنهم من يتحدث بها في الأندية والسمار، ويشرح ما يكون لها من الفوائد والآثار، ويقول إن أسلم الميكادو فانا أول المبايعين، وأضمن له ذلك في جميع شعوب المسلمين، ومنهم من ارتقى عن الأماني وهم أحلام المستيقظين، وعن لغو الحديث وهو فاكهة الكسالى والعاجزين، إلى حث من يظن فيهم كمال العلم بحقيقة الإسلام، على تأليف رسالة أو كتاب لدعوة أولئك الأقوام، ومنهم من يقترح أن يجمع شيء من المال، يجهز به دعاة من فضلاء الرجال، ليأتوا البيوت من

الأبواب ، وينشر والدعوة بالقول والكتاب ، ومنهم من ارتقى الى الاستعداد
للدعوة بالفعل ، ويقال انه قد اتدب الى ذلك أفراد من الشيعة في الهند ،
وأيتنا بعض أولئك المتمنين ، ونحدثنا مع بعض المقترحين ، فرأينا أن
السياسة هي ولدت في نفوسهم هذه الرغبة وقلما تجد فيهم من يود اسلام تلك
الأمة لباعث ديني خالص من شوائب السياسة وإني ليحزني أن لا أرى في
قومي كثيراً ممن بهتم بنشر الاسلام لذاته رغبة في سعادة من يدخل فيه وفوزه
برضوان الله تعالى ويمزني عن حزني أن أرى الاهتمام بحفظ السلطة الاسلامية
عظيماً في نفوس كثير من المسلمين فان للإسلام ركنين أحدهما للآخرة
وثانيها للدنيا وان ضعف أحدهما هزون من ضعفها كليهما وان كان القوي لا يفي
عن الضعيف الا أن يستند اليه المصلحون في اقامة الآخر وارجاعه الى أصله

قلت لبعض المتكلمين معي في هذه الأمانة ان اليابانيين مستعدون لقبول
دين يتفق مع العلم والمدنية والقوة وإنا نحن وإياكم لعلنا اعتقاد بأن الاسلام
الذي عليه المسلمون ليس كذلك والا لما حرما من العلم والمدنية والقوة ما يعتز به
غيرهم، وأن الاسلام الذي جاء به القرآن الحكيم وبيته السنة السنية وكان عليه أهل
الصدر الاول هو كذلك ، ثم ان ما تطلبونه بدعوة هذه الأمة الى الاسلام هو الاعتزاز
السياسي بهم والتمتع العاجل بمجايتهم وانما يرجي هذا اذا وجهت الدعوة أولاً الى
ملكهم ورجال حكومته وهؤلاء قوم سياسيون يوشك ان لا يعتقدوا بقول أمثالنا في
بيان دين له ملوك وأمراء بدون استفتائهم فيه فاذا نحن كتبنا رسالة الدعوة وبيننا فيها
أصول العقائد والاحكام في الاسلام وأهمها عند هؤلاء شكل الحكومة وهو كونها
وسطا بين الديمقراطية والديمقراطية المتطرفتين مشروطاً فيها مشاورة أولي الامر
في الشؤون السياسية واستنباط الاحكام وهم أهل الحل والعقد وأصحاب
المكانة والرأي—فما يشعركم أنهم يراجعون في ذلك السلطان الذي يرون المسلمين
يلقبونه بخليفة النبي صلى الله عليه وسلم ويعترفون له بالرياسة الدينية واذا هم فعلوا
فماذا تتوقعون من جواب السلطان، ومن مقي الدولة الا كبر الملقب بشيخ الاسلام؟
قليل نتظر أن يكون الجواب تكذيب الرسالة ولكننا نقول ان هؤلاء العقلاء

لا يستفتون حكومة شخصية مطلقة، في شأن حكومة شوروية مقيدة، بل يعتمدون على الدليل والبرهان، والاستشهاد على ما يدعون اليه بما مضت به السنة ونطق به القرآن، قلت المسألة فيها نظر، تجب فيها جالة الفكر،

وهنا خاطر آخر: اذا قلنا لهؤلاء القوم ان هذا الدين هو الدين الوحيد الذي حفظ أصله وضبط تاريخه فكتابه المنزل نقل بالتواتر الصحيح فهو يقرأ في مشارق الارض ومغاربها كما كان يقرؤه النبي وأصحابه، ويكتب في بلاد العرب والعجم كما كتبه حفظة الوحي وكتابه، وأن ما فسر به وبينه من السنة العملية قد تواتر كذلك تواتراً حقيقياً لم تنقطع سلسلته في يوم من الأيام، وما يؤثر عن النبي وأصحابه من الاقوال، قد ضبط ضبطاً لم يعهد مثله في جيل من الاجيال، ومع هذا كله نفرض عليكم ما رضى جاهدنا لا نفهم وهو أن تتبعوا في الدين رأي عالم من المجتهدين الذين أفتوا وعلموا بعد النبي وأصحابه بعشرات أو مئات من السنين، ولا نبيح لكم أن تأخذوا الدين من كتابه المنزل، وسنة نبيه المرسل، وتردوا الشريعة من ينبوعها الأول، فان رضيت بذلك عددناكم من المسلمين، والا كنتم في نظرنا من الضالين المضلين، — اذا فصلنا لهم هذا القول أقرهم يرضون بأن نكون لهم هداة مرشدين، على رهبانا بحرمان أنفسنا من الاستقلال بفهم الدين، أترام يتركون لنا ونحن دونهم في العلم مانجحوا به من الاجتهاد والاستقلال، والاعتماد في قبول أي شيء، أو رفضه على قواعد الاستدلال، أترام يرون من الخير لدولتهم وأمتهم، ولسابقة الأوربيين في ثروتهم وقوتهم، أن يتعبوا في أعمالهم السياسية والمالية والمدنية، بأقوال التارخانية والشرنبلالية والولوالجية، أو أمثالها من كتب المالكية والشافعية، ؟ كلا ان البداة لتقضي بأن أمثال هؤلاء المستقلين في كل شيء لا يقبلون الا ديناً معقولا مساعدا على مسابقتهم للامم الراقية في كل شيء، فيستحيل أن يقيدوا أنفسهم بفهم رجال غير معصومين وجدوا في زمان كانت سياسته وحرره ومدنيته ومعاملاته التجارية وغيرها مبينة لما عليه أهل هذا العصر مبينة تقضي باختلاف الاحكام، أو أن يدينوا باعتقاد العصمة لأئمة آل البيت عليهم السلام، يأخذون ما يرويه عنهم الشيعة بالاستسلام،

نحن نجزم بأن الاسلام دين الارتقاء الذي يناسب كل عصر فليس في كتابه

العزير ولا في سنته الثابتة التي لا خلاف فيها بين المسلمين ما يبطل بسيرامة مستقلة ومساقتها لسائر الامم ولكن في الاحكام الخلافية التي هي محل الاجتهاد بين الفقهاء ما لا يوافق مصالح الناس في كل عصر فال التزام اقوال بعض المجتهدين وأتباعه في أحكام المعاملات والسياسات والاخذ بكتب أي طائفة من الفقهاء هو عائق للأمة تلزمه عن مجازاة أمة لا تلتزم الا ما ترى فيه مصلحتها التي تختلف باختلاف ما يستحدث الناس آنأ بعد آن من ضروب التفتن في الكسب واستعمار الأرض . فمن يدعو اليابانيين الى الاسلام يجب أن يكون عالماً بالكتاب والسنة وما في هذا العصر من طرق مدنية الأمم والدول وأن لا يلتزم الدعوة الى مذهب معين والا كان من الخائبين ، والويل لهذه الدعوة اذا جاءت من قبل شيوخ الرسوم المقلدين ، وأين نجد هؤلاء الدعاة الهداة المهديين ،

ومن المسائل التي يجب اجالة الفكر فيها عند البحث في هذه الدعوة « مسألة الوطنية » التي يدعو اليها بعض الاحداث المتسمين بغواية أوربا أو اغوائها للمسلمين ومن مقتضاها على ما يعرف القراء ان المسلم الياباني اذا جاء بلاداً اسلامية غير بلاده وأراد الإقامة فيها يجب أن يعد دخيلاً وأن يسمى الوطنيون في مقاومته وعرقلة أعماله لئلا يربح من بلاده ما هم أحق به في شريعة الوطنية وان كانت أعماله خدمة لهم حتى في دينهم أو ترقية بلادهم وان كان لا يوجد في البلاد من يعني عنه فيها اذا سرى سم هذا الضرب من الوطنية في كل قطر من الأقطار الاسلامية ألا يكون مانعاً من استفادة بعضهم بما يفضلهم به الآخرون من علم وعمل ؟ اذا كان اليابانيون أنفسهم على هذه الطريقة فهل يهمهم من أمر المصري والسوري والمغربي ما يحملهم على إفادة اخوانهم في هذه البلاد ؟ أو تود من عزة وقوة وعلم وصناعة ؟ ماذا ينتظر أهل مذهب الوطنية الكاذبة من دخول اليابانيين في الاسلام ومن أصول مذهبهم أن الرابطة الجامعة بين الناس هي عصبية البقعة لا الدين ولا اللغة بل ولا السياسة فان أحداث الوطنية في مصر لا يعدون العثماني السوري شريكاً لهم في وطنيتهم ، ولكن الشعور بميل المسلمين في مصر الى اسلام اليابانيين وباستفادتهم منه يدلنا على أن الرابطة الاسلامية لا تزال أقوى من الرابطة الوطنية التي يدعو اليها الاحداث الجاهلون

ولا ينسين المتني لو يسلم اليابانيون والباحث في دعوتهم ليمتز باسلامهم في بلادهم وان بعدت عنهم أنهم اذا قصدوا الى الدخول في سياسة بلاد غير بلادهم فان حكومتها اذا كانت اسلامية تناهضهم باسم الدين وعلماء الرسوم المقلدون يؤيدون حكوماتهم في أمثال هذه الامور بل هم عضد المسكاه وأنصارهم في كل شيء فهم يفتون لهم بكفر اليابانيين لاسيما اذا كانوا لا ياتزمون في اسلامهم اتباع مذهب من المذاهب الاربعة في الاحكام واتباع الاشاعرة او الماتريديّة في تقرير العقائد هذا اذا كانت الحكومة التي تقاومهم تنسب الى أهل السنة كاللولة العثمانية أو اتباع مذهب الشيعة اذا أرادوا الدخول في سياسة الدولة الإيرانية وبذلك يكون دخولهم في الاسلام لاجل السياسة فتنة للمسلمين لا يستهان بها ولا يسهل الحكم بنتيجتها

وقد يقال لولم تستند البلاد الاسلامية البعيدة عن اليابان من اسلامهم الا الاستفادة المنوية لكفى وأدنى هذه الفائدة أن تخفف أوربا وطأتها عن المسلمين في مستعمراتها بل وفي الممالك الاسلامية المستقلة التي يعث الدول باستقلالها كل يوم حتى صار مهدداً بالزوال والعياذ بالله تعالى ولا يبعد أن يلهم الله ملوك المسلمين رشدهم فيحالفون هذه الدولة العزيزة اذا قضت حكمها بأن لا تنازعهم على لقب «الخلافة» الذي كان بركان كل بلاء وعلة كل شقاء أصابا هؤلاء المسلمين ماضيهم وحاضرهم أقول وان أمام هذه المحالفات ووراءها من مقاومة أوربا ما لا ينكره بصير ولا فائدة لنا في الخوض فيه وانما نودع هذا المبحث الجديد (تمني اسلام اليابانيين) من المسائل والخواطر ما يدكر الناسي وينبه الغافل الى المسائل التي يفيد تذكرها والتفكير فيها لتجدن أجدر المسلمين بالاستفادة من اسلام اليابانيين — لو حصل — مسلمي الصين وان استفادة الدولة اليابانية منهم لا كبر من استفادتهم منها ذلك ان مسلمي الصين لا يقل عددهم عن عدد اليابانيين وهم أشد أهل الصين بأساً وأعز نفراً وأبرع في الجندية وأحسن أثراً فيسهل على الدولة اليابانية على قربها منهم، ومعرفة كثير من رجالها بلغتهم، ان تستعين بهم على ما تريد مملكة الصين فتسود في الشرق الأقصى سيادة تمتد شعاعها الى الشرق الأدنى، فيحييه حياة جديدة تكون مبدأ لدخول

العالم كله في المدنية الفضلى، واستقامته على الطريقة المثلى، بالجمع بين الدنيا والدين بين مطالب الجسد والروح بين سعادة العاجلة والآخرة وذلك هو الفوز المبين تلك الخواطر التي عارضت الفكر وهو يجول في رياض هذه الامنية هي من أهم مسائل الاصلاح التي تذكرنا بمواضع ضعفنا وناهيك بمسألة فقد العلماء المستعدين للدعوة الصحيحة الى الاسلام التي يقدر أصحابها على التأسي بالانبياء عليهم السلام في مخاطبتهم الناس على قدر عقولهم وبما يناسب استعدادهم . انك لتدخل بيوت بعض علمائنا فتجد فيها ألواحاً معلقة على الجدران مكتوباً عليها بخط يلفت جماله النظر (العلماء ورثة الانبياء) وألواحاً أخرى مثلها في الجمال والبهاء كتب عليها (علماء أمتي كانبيا بني اسرائيل) (*) عقلت لتوهم الزائر ان صاحب الدار من هؤلاء الورثة ولكن الخبير الذي لا تخدعه الازياء ولا تغره الرسوم يعلم أن واحداً من هؤلاء العلماء الرسميين لا يقدر على اقناع أحد من أهل هذا العصر بدعوة الاسلام بل يخشى أن يكون حديث الواحد منهم في الدين مع أهل العلوم الاجتماعية والسياسية حجاً بأكشفاً دونه بل شبهات قوية تصد عنه . وإذا كانوا يعجزون عن كشف شبهة تعرض لتلميذ يتلقى العلوم العصرية وهو مؤمن بالله ورسوله وكتابه ولكنه جرى في التعليم على أخذ العلم بالدليل فأني يقدر على تمثيل الذين افلاسفة العصر وساسته معقول العقائد سامي الاداب منطبق الاحكام على منافع الامم في ترويتها ومدنيتهما ومصالح الدول في ادارتها وسياستها . ويقنعونهم بأن الاسلام لا يعيد العقل الى وثاقه ولا يكبل الفكر بأوهاقه فيقيّد العلم بعد اطلاقه ثم يدحضون بالآيات البينات ما يوردونه عليه من الشبهات أين يوجد هؤلاء العلماء في المسلمين؟ وإذا عطس الصبح فظهر واحد منهم أيعترف له الرسميون بالعلم والدين؟ وهل الحكام والعوام إلا تبع لهؤلاء الرسميين الضخام وهم مجموع المسلمين ودين الناس مما يقرره علماء وهم الرسميون لحكامهم وعادتهم . ناظر مناظر بعض العلماء الغربيين

(*) المبارتان ترويان في الاحاديث المرفوعة فأما الاول فحديث له أصل وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان وصححه عن أبي الدرداء ولكن اسناده مضطرب . وأما الثاني فموضوع قال ابن بحر والزر كشي لا أصل له

في كثير من مسائل الاسلام التي يشتبهون فيها فنهض بالحجة فقال له مرة إن ما تقوله صحيح ومعقول ولكنه فلسفة وعقل لا دين وإنما دين الناس ما هم عليه . وقال مرة أخرى أرأيت إذا سألت علماء الأزهر ماعدا الشيخ محمداً عبده عن هذه المسائل يجيبوني بمثل هذه الأجوبة ؟ قال لا أدري بماذا يجيبون وحسبك أن تعلم ان هذا هو الاسلام من اسنادي اياه الى القرآن والسنة

الدعوة الى الدين لا يقوم بها في هذا العصر كل من قرأ السنوسية والعقائد النسفية، ولو وقف مع ذلك على المواقف العضدية، وكل ما يقرأ في الأزهر من الكتب الفقهية، للدعوة معارف أخرى منها فمنها فهم الكتاب العزيز، والاطلاع على السنة ومعرفة ما فيها من حكم التشريع، ومنها معرفة السيرة النبوية وتاريخ الاسلام، والبصيرة في علم الاجتماع والتاريخ العام، والإلمام بسائر العلوم المصرية، والاطلاع على ضروب الاساليب المدنية، ومنها غير ذلك مما يتعلق بالدعاة ومن تراد دعوتهم وقد فصلنا القول فيها من قبل فليراجعه في المجلد الرابع من شاء وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى يحاول اعداد فريق من طلاب العلم في الأزهر للدعوة ولكن السياسة ما زالت تعارضه في عمله وتعري بذلك أهل الجود من الشيوخ حتى جاءه الاجل، قبل أن يتحقق له الامل .

الاستعداد للدعوة يسير على أهل الأزهر اذا سلكوا سبيل الاصلاح التي كان يريد بها الاستاذ الامام ولكن أننى لم بمثل الزعيم الذي فقدوا . وان في فضلاء المسلمين من غير أهل هذا المكان من هم أقدر على هذا العمل اذا حاولوه وإنما يحتاجون فيه مع الهمة والمزينة الى المال وأغنياء المسلمين لا يزال أكثرهم حليف الجهل وأسير البخل . وقد يتوهم الكثيرون منهم أن دعاة النصرانية المنتشرين كالجراد في جميع البلاد تنفق عليهم دولهم من خزائنها والصواب ان جميع نفقات جمعياتهم ومدارسهم مما يتبرع به أولو الطول منهم وهي نفقات تبلغ الملايين من الجنيهات . فأين هذا السخاء الذي يؤيد به هؤلاء الناس دينهم من شح قومنا وقبض ايديهم عن كل ما يؤيد الدين ، وينفع جمهور المسلمين ، واعجب منهم اذا فتخبر عليهم بأننا أشد غيرة على ديننا منهم على دينهم ، فما جعلنا بحالنا وحالهم ،

أنا في مجلة أبقراط

﴿ نصائح صحية للبنات من مجلة أبقراط ﴾

صحة الغنية وصحة الفقيرة . منفعة العمل في الدار . مضرة قراءة الروايات .
مضرة الخلوة . مضرة حكايات الخوادم والعجائز . مضرة تلوين الوجه . مضار الزار
وأمرأته وحقيقته .

جاءني باب صحة العائلات من مجلة أبقراط الطبية ما يأتي بنصه
أيها الفتاة الصغيرة ان عمرك الآن لا يتجاوز الثلاثة عشر ولكن ألا تدري
ان هذه الثلاثة عشر ستكون عشرين ثم ثلاثين ثم أربعين ثم ماشاء الله ؟ اني لا
أظنك الاعارفة بذلك . وها أنت متمتعة بالصحة خالية البال مالكة لأنواع
السعادة تفرحين في بحبوحة من ثروة والديك فهل تستطيعين الصبر على ضياع شيء
من ذلك ؟ اني أعيدك بالله فان الصحة والهناء لا يعوضان غير اني أرى شيئاً أريد
أن أحدثك به لعلك تكونين على بينة منه . أرى ان الفتاة الفقيرة تقضي عمرها
في عافية لا مزيد عليها والفتاة الغنية كل يوم عندها طبيب يعالجها فلماذا ؟ اذا كنت
لا تعرفين فأنا عارف ويمكنني أن أعرفك ان الفتاة الفقيرة خادمة أيها وأما
واخوتها وربما كانت خادمة لغيرهم أيضاً والفتاة المتوسطة هي خادمة نفسها وزوجها
ان كانت متزوجة أو خادمة نفسها فقط أما الفتاة الغنية بنت البك أو الباشا فليست
بخادمة بل يخدمها الناس ولا عمل لها لأنها ترى كل عمل اهانة لنفسها وتعباً لذاتها .
تأمل أيها الفتاة قليلاً يظهر لك سر المسئلة . العمل لا بد منه للفتاة مهما كانت
مترفة وهو قرين الصحة . والبطالة نذير المرض عند الفتيات فعليك بالعمل ولو
بسيطاً واحذر من مطالعة الروايات فاتها تضر بالصحة ولست مكلفاً أن أبين
لك السبب ولديك في منزل والدك الف عمل وعمل ولا أحسن من الخياطة والتطريز
ومما يجب أن أحذرك منه أيها الفتاة هو الجلوس وحدك لأنه مضر من جملة
أوجه متعب للفكر ومتعب للمعدة لان الفتاة التي تجلس وحدها تكون سائمة

سأكتبه لا تتحرك وهذا موجب للأسماك وغيره
ولا أريد أن أقول لك لا تسمي حكايات الخدمات والعجائز لأنها تضر
بالصحة إذ ربما تظنني أمزح مع أني لا أقول إلا حقاً والأسباب غير مجهولة غير
أن الوقت لا يسمح لي بشرحها لك

ومتى صرت شابة في سن السابعة عشر مثلاً فإياك وتلك الألوان التي تستعملها
بعض الفتيات فإنها فضلاً عن خروجهما عن حد الأدب تضر أيضاً بالصحة لأنها
مركبة من مواد سامة تضعف نضرة الوجه وتجعل للجلد ثنيات كنتك التي تظهر
على وجوه العجائز

ولا تشدي خصرك بهذه الكورسيه المعروف بالبوسطو لأنها تؤذي الظهر
وتسبب أمراض المعدة والأمعاء وتعطل حركة التنفس وحركة الهضم وكذلك
لا تستعملي الأساور الزجاجية التي تدخلين يديك فيها بالعنف فإنها فضلاً عن ضررها
أصبحت من زينة النساء الباغيات وليس فيها من البهجة شيء

ولا يخفأك أن لبعض الأخلاق تأثير كبير على الصحة فالكبرياء لا تصحب
إنساناً إلا وكانت له علة لدوام انقباض صدره والاستبداد يجعله في كدر دائم لكثرة
المعارضين والهواند مثل الأخلاق أيضاً فإياك التدخين لأن الفتاة التي تشرب
الدخان يصفر وجهها وتضعف ضعفاً شديداً ومتى صارت كذلك تحتاج للألوان التي
تستعمل لإخفاء صفرة الوجه وهذه الألوان قلنا أنها تضر أيضاً

وعندي مسألة أريد أن اتحفظك بها أيتها الفتاة ولكنها تحتاج إلى إيمان
النظر وعدم التعصب وتحكيم العقل وهذه المسألة هي (هل الزار حقيقي وهل هو
مفيد للصحة وهل له اسم عند الأطباء وهل يمكنهم أن يعالجوه كباقي الأمراض
ولماذا يهيج بالطليل والبخور وما السر في تكلم العفريت على لسان المصابة إذا كان
هناك عفريت الخ؟) وأنا الآن أبين لك هذه المسائل واحدة فواحدة

الاعتقاد يجر إلى النفس انفعالا والانفعال له تأثير على الجسم ومتى عرفنا هذه
المقدمة الصغيرة يمكننا أن نبحث في تلك التفصيلات الطويلة العريضة
أما كون الزار حقيقياً فهذا مما لا شك فيه وهو موجود في سائر أقطار المسكونة

غير ان حقيقته غير الحالة الظاهرة في القطر المصري لان الشائع هنا هو ان المصاب به من الجن أو الاولياء مع ان هذا الاعتقاد فاسد ومن العجب ان كثيراً من الناس اذا قال لهم أحد ان الجن أو الاولياء ليس لهم دخل في الزار يقولون انه لا يصدق الشرع حالة كون جميع الشرائع تحم الاعتقاد بذلك وأكبر دليل على فساد هذا الزعم ان لهذا المرض أطباء يعالجونه وينجحون في معالجته نجاحاً يئياً ولو كان من الجن أو الأولياء لما أمكن الطبيب مداواته وليست مجلتنا شرعية حتى نتكلم فيها على الاولياء أو مجلة عمومية فلسفية فتكلم على الجن

تسمع المرأة أو الفتاة ان في بيت إحدى قريباتها أو خيالاتها ليلة زار فلا يهدأ بالها الا اذا كانت ذات نصيب من تلك الليلة خصوصاً اذا كانت مدعوة الى الحضور فتروح سليمة متعافية أو مريضة منهوكة ولكنها لا تشمر بشيء وهي حضرت مجلس الزار وسمعت الطبل واستنشقت رائحة البخور جاءها العفريت أو الشيخ كما يقال وتعود الى منزلها في أشد التعب ثم تشمر بنشاط لا يمكث الا قليلاً ثم يزداد الآلام فيما بعد فيقولون ان الشيخ قد غضب وهكذا وهي لا تعلم بحقيقة الحال ولا يزال هذا دأبها حتى تكون من الهالكين مع انها لو عرفت أن هذا من الأمراض العصبية ويسميه الطبيب تشنجاً ويمكنه مداواته لتخلصت من تلك المصائب

لعلك أيتها الفتاة تقولين انك قد قلت ان المصابة تشمر بنشاط بعد الزار فكيف ذلك ان كان الامر غير حقيقي ؟ فأضرب لك مثلاً: اذا جئت بعصا رفيعة وضربت بها ضربات خفيفات متواليات على خاصرة القدم (بطن الرجل) فانك تجدين لذلك لذة كما لو وضعت قطعة صغيرة من الثلج بين كتفيك وهذه ليست لذة ولكنها ألم في الحقيقة كاللذة التي توجد في الزار وأما النشاط الذي يحدث بعد ذلك فلا يحتاج لبحث لان كل مضرة تزول يحدث بعدها نشاط ثم يعقبه رد فعل أو (نكبة) وهذا معنى ذلك

أما النساء اللواتي يرى عليهن هذا العارض فعلى قسمين الاول النساء اللاتي يصرعن عند انتشاق الروائح القوية سواء كانت كريهة أو عطرية أو عند الغضب أو سماع الاصوات المزعجة كدق الطبل ورنة الموسيقى أو عند الفزع من أمر

فجائي أو التأثير من أي شيء، مهما كانت واسطته وهذا الفريق من المصائب أو المصابين عندهم مرض عصبي يمكن الطبيب أن يعالجه فعلى من شعر به أن يبادر إلى العلاج قبل أن يستفحل الأمر.

والقسم الثاني هو النساء اللاتي يرقصن على رنة الآلات المستعملة لهذه الغاية ورقصاً منتظماً ويتكلمن كلاماً يوهن به أنهن مختطات بالجن أو الأولياء ويطلبن أشياء من أزواجهن ويمسسن بأيديهن على رؤوس الأطفال لتحصل لهم بركة الولي أو رعاية العفريت وهذا القسم من النساء خليعات لأدواء لمن غير الزجر والأهانة والتكذيب فانهن مدعيات وكاهن من ذوات الثروة والأزواج الأغنياء ومن يلاحظان المرأة الغنية التي تحضر مجالس الزار إذا افتقرت يفارقها الزار وهي تعرف حقيقة الأمر اهـ

﴿ تفسير الفاتحة ومشكلات القرآن ﴾

كنا جردنا تفسير الفاتحة من المنار وضمننا إليه ما كتبه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في المسائل التي ينتقدها أعداء الاسلام على النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن كمسألة الفرائق ومسألة زيد وزينب ومسألة القدر وطبع ذلك كله في كتاب نفدت نسخه سريعاً وألح علينا الكثيرون بطبعة ثانية فطبعناه مع زيادة بيان وفوائد وضمننا إليه ما كتبه الاستاذ الامام في رواية سحر اليهود للنبي عليه الصلاة والسلام فجاء كتاباً جامعاً لأهم ما يوثر عن فقيدنا في الارشاد القويم . وقد كان الكتاب يباع أخيراً بخمسة قروش صحيحة فرأينا أن نعيد ثمنه إلى قرشين ونصف قرش (٢٥ ملياً) على ما زدنا فيه وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر . ومن طلب أن يرسل إليه في البريد فليرسل ثلاثة قروش صحيحة

تاريخ الإصلاح في الأزهر . أو أعمال مجلس إدارة الأزهر

من أراد أن يعرف حقيقة الأزهر وما كان عليه قبل أن ينتدب الاستاذ الامام عليه الرحمة لإصلاحه وما كان من هذا الإصلاح فيه مدة اشتغال ذلك المصلح في إدارته فليقرأ كتاب (أعمال مجلس إدارة الأزهر) فانه تاريخ رسمي للإصلاح ولحال المكان والمكين وعن النسخة منه أربعة قروش ويسمح لمن كان أزهرياً بردها وهو يطلب من مكتبة المنار وغيرها

(احسان رسی)

رأينا في جرائد مصر وسوريا والهند عدة احصاءات لخسائر الحرب بين روسيا واليابان فاخترنا منها الاحصاء الآتي الذي نشر في جريدة ثمرات الفنون وهو

اهتم الاحصائيون السياسيون اهتماماً شديداً لوضع الاحصاءات الدقيقة لخسائر الحرب الروسية واليابانية، وقد نقلت احدى الجرائد الروسية احصاء رسمياً

قالت انه أدق وأضبط احصاء يوثق به واليك بيانها:

خضائر الروس البحرية

| | | | | |
|----|--------|---------------|---------------------------|-----------------------------------|
| ٣٥ | «اغرق» | بورودينو | اسم الطراد | ٦٩٧٧١٠٥٠ ٢٥٠٠٠٠٠ |
| ٣٥ | «اغرق» | اسكندر الثالث | الخسائر اليابانية البحرية | اسم الموقعة جرحى وقتلى اسرى مدفوع |
| ٣٥ | «اغرق» | سوفوروف | تيورتشان | ٩٠٠ |

| اسم الطراد | ثمنه بملايين فرنك | اسم الطراد | ثمنه بملايين فرنك |
|--|-------------------|------------|--|
| ار يول | « اسر » | ٣٥ | نوفيك |
| رقنيزان « أخرج من البحر » | ٣٥ | بور يارين | « اغرق » |
| سيسوي | « اغرق » | ٣٥ | جيتمشوج |
| نافارين | « اغرق » | ١٥ | ازرود |
| بتر و باولسك | « اغرق » | ٢٥ | ومجموع ذلك كله ٢٨ دارعة بين |
| بولتافا | « اخرج » | ٢٥ | طرادات وحراقات وغواصات وينبغي |
| سباسطبول | « اغرق » | ٣٥ | أن نضيف الى هذا العدد عدداً من سفن |
| اوسلايا | « اغرق » | ٣٠ | الشن التي أغرقت أو أسرت ولا يقل |
| بيرسفيت | « اخرج » | ٣٠ | عددتها عن ٢٠ وبضعة من الغواصات |
| يو بيدا | « اغرق » | ٣٠ | ومثلها من الزوارق وقد بلغ ثمن مجموع |
| تقولا الاول | « اسر » | ٣٠ | الاسطول الذي خسرت روسيا سبعائة |
| مدرعات لحماية الشطوط | | | مليون فرنك والانكى من كل ذلك ان |
| اوشوكوف | « اغرق » | ١٠ | معظم سفن أسطولها وقع في قبضة اليابان |
| ابركسين | « اسر » | ١٠ | أما اليابانيون فقد خسروا في البحر |
| سينافين | « اسر » | ١٠ | طرادين وحراقتين فقط وقد بلغت خسارة |
| ديريك | « اغرق » | ١٥ | الروس الحرية بوجه عام نحو ٥ أو ٦ |
| بايان | « اخرج » | ٢٠ | مليارات فرنك أما خسائر اليابان فبلغت |
| ناخيموف | « اغرق » | ١٥ | من ٣ الى ٤ مليارات فرنك |
| فلاديمير مونوماخ | « اغرق » | ١٥ | و بلغ ما اقترضته روسيا أثناء الحرب |
| بالادا | « اخرج » | ١٣ | ملياراً و ٥٧٤ مليون فرنك وبلغ ما اقترضته |
| فارياج | « اخرج » | ١٥ | اليابان مليارين من الفرنكات |
| هذا ما ترجمته الثمرات وقد أصلحنا فيه غلطاً في الأرقام ورأينا نحوه في جريدة | | | |
| حبل المتين الفارسية ومجموع خسائر اليابان البرية فيها ٢١٦٤٠٠ | | | |

تبرج النساء وأنصار الحجاب

كتبنا في الجزء الثالث نبذة في الشكوى من تبرج النساء بمصر حدثنا فيها أنصار الحجاب على أعمال أقلامهم في الانتقاد على هذا التبرج القبيح الذي يتبرأ منه الدين والأدب ولا ترضاه المدينة الاوربية التي أسرفت في اطلاق الصان للنساء إيسرافها المعروف اذ صارت حال نساتنا المسلمات في الاسواق والشوارع أبعد عن الصيانة والأدب من حال نساء الافرنج . كانت حملتنا شديدة على حملة الاقلام الذين أنكروا على الاقوال في المسألة وسكتوا عن الأفعال التي يشاهدونها حينما توجهوا: وغرضنا بذلك حفز الهم لاتقاء التبرج في الصحف المنشرة وازعاجها الي تسفيه الرجال الذين يسمحون لنسائهم بهذا التهنك

ندبنا أولئك الكتاتين فلم يندب منهم أحد للكتابة في انتقاد الفعل، ولكن وجد من كان ألف في المسألة من انتقد علينا القول ، وله وجه من حيث ان عبارتنا توهم أننا لا نعتقد باخلاص أحد من كتب وألف ولاغيره واننا نرفع هذا الوهم بالتصريح كما رفعناه آتفاً بالتلميح اذ قلنا ان الغرض من القول الحفز والازعاج الى الانتقاد فنقول اننا نعتقد اخلاص بعض الكتاتين حتى المختلفين فيما كتبوا ولكن الخالص في تفنيد قول يراه خطأ لا يسلم من تبعه التقصير في انتقاد الأفعال الخاطئة اذا كان غيورا مخلصاً . واننا لم يمثل لنا عند كتابة تلك النبذة الا الذين ذكرنا انهم سودوا وجوه الصحف في الانكار على طالب تخفيف الحجاب وعيننا بالصحف الجرائد اتباعاً للعرف ولم تقصد واحداً همينا منهم

واننا لانزل نبذ القبول ونعيده في المسألة معتدين أن جملة الجرائد على هذا التبرج وتشجيعها على الرجال الذين يمكنون نساءهم منه ويرضون لهم به يفيد فائدة عظيمة وأن سكوت الكتاب عنه ينافي الغيرة وأن أولى الكتاب بهذا الانتقاد المرة بعد المرة هم الذين فاضت بكلامهم أنهار الجرائد رداً على كتاب تحرير المرأة وكتاب المرأة الجديد وانهم اذا استمروا على سكوتهم كان قولنا الذي قصدنا به المبالغة في حثهم غير مبالغ فيه واذا كان لبعضهم مانع من الكتابة اليوم فلا يصح أن نطلبهم الموانع في سائر الأيام

﴿موعظة وعبرة في وفاة حرة﴾

في منتصف شهر شعبان الماضي توفيت الى رحمة الله تعالى فاطمة بنت الاستاذ الامام الكبرى زوج محمد بك يوسف بمرض مفاجي، قضى عليها بعد اسبوع من نزولها وكانت قدرات نفسها في النوم مع والدها في روضة فبغت الرواي في المرض بأنه مرض الموت فأوصت بأن لاتنعي وأن تشيع جنازتها على السنة فلا يمشي أمامها قراء ولا منشدون ولا حملة الرياحين ونحوهم وأن لاتكفن بحريز . وأوصت بأن يوقف عشرة فداين من أطيانها على الأعمال الخيرية وخصت بعض ذوي القربى ومن كان يواسيهم والدها بشي من الريع . وقد شيعت جنازتها كما أوصت ولعلها أول امرأة في مصر أوصت بمثل هذا في عصر يحكم النساء فيه على الرجال حتى العلماء بالمحافظة على هذه البدع الذميمة فهكذا تكون تربية المصلحين، وهكذا تكون بنات العلماء العاملين، هذه هي العبرة التي لأجلها ذكر المنار وفاة امرأة فضلت الرجال باتباع الدين حية وميتة وأذكر من فضلها رحمها الله أنها لم تخرج في جنازة والدها ولم تسكن تتردد لزيارة قبره وإيكنها قبيل أسبوع المرض زارت القبر وعادت تقول ان في جانب قبر والدي مكاناً آخر لا بد أن أدفن فيه وقد كان ذلك

كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى أول رجل معروف ترك بدع الجنائز والمآتم جهوراً عند مامات والداه وبعض ولده حتى انه لم يكن يحتفل الاحتفال الذي يسمونه (الميتم) تحريفاً عن المآتم . ويتوهم الجاهلون من قول الجرائد ان مآتم فلان سيكون ثلاثة أيام عملاً بالسنة أن الاحتفال المعتاد هناك سنون وأن النبي والصحابة كانوا يجتمعون كل ليلة من الثلاث في دار الميت أو عند بيته حيث تعد لهم المقاعد ويهيأ لهم الخدم فيخوضون في شجون الحديث والقرآن يتلى . حاش لله ما جاءت السنة بمثل هذا وانما مضت السنة بأن المصاب لا يعزى بعد ثلاث لأن التعزية بعدها تذكر بالمصيبة

ثم ان كثيراً من الكبراء أصحاب العزائم قد تركوا بدع الجنائز وناهيك برياض باشا فاته عندما توفيت زوجته لم يشيع جنازتها بالاناشيد أمامها ولا بالفراشين المؤثرين بالحريز الحاملين للرياحين في شبه المباخر من الفضة كما يفعل الاغنياء تقليداً للمباخر النصارى . وفعل مثل ذلك كثيرون من العلماء والوجهاء فلا عذر بعد هذا ان يستدع عن ترك هذه البدع بالمحافظة على التقاليد والمادات،



يقفنا الحكمة من يشاء من يؤتي الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أوله

المعراج
١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول فيستمعون أحسن
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوي و«مناراه كنار الطريق»)

(مصر - غرة شوال سنة ١٣٢٣ - ٢٨ نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩٠٥)

باب المقائد

الدين في نظر العقل الصحيح

تمة المقالة الثالثة لصاحب التوقيع

٧ - الرقيق وإصلاح حاله وتحريره

قضي على البشر أن يستعبد بعضهم بعضاً من قديم الأزمان . فلم تخل أمة من الاسترقاق واختطاف الناس للنجارة فيها . عومل الرقيق بضروب من القسوة في سائر الشعوب بما يجعل وجه الإنسانية يحمر خجلاً وقلب المؤمن ينفطر من الله وجلاً . ولكن هكذا كان وهكذا حصل .

أتى الإسلام فرقاً لحالهم كما كان شأنه لجميع الضعفاء . منع الاسترقاق بتاتاً إلا أن يكون في حرب شرعية مع قوم لم يؤمنوا من غير المسلمين . وبهذه القاعدة سداً كثر بنايعة وغلق أبواب الظلم والعدوان . أمر بالاحسان إلى الأرقاء ومعاملتهم بالرفق واللين . فقال «وبالوالدين احساناً وبذي القربى» إلى أن قال «وما ملكت

أيمانكم» ونهى عن لطم المملوك وضر به وجعل كفارة ذلك العتق فقال عليه الصلاة والسلام «من لطم مملوكه أو ضر به فكفارته عتقه» وليس هذا فقط بل قال «أخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلموهم ما يغلهم فان كلفتموهم ما يغلهم فأعينوهم» وقال «لا يقل أحدكم عبدي أمي وليقل فتاي وفتاني وغلامي» وحث على تهذيبهم وتعليمهم في مثل قوله «من كانت له جارية فعلمها وأحسن إليها وتزوجها كان له أجران» هذا وقد أمر الله تعالى بتزويجهم فقال في القرآن الشريف «وأنكحوا الإيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله» وإذا اقترش السيد أمة فولدت له كان الأولاد أحرارا ويرثون في أبيهم الى غير ذلك من القواعد العادلة التي لم تأت بها شريعة قط . ليس هذا كل ما فعله الاسلام بأولئك الضمفاء بل جعل تحرير الرقاب كفارة لكثير مما يقع من الانسان مخالفاً للدين حتى في أبسط المسائل كالخث في الايمان فقال «لا يؤخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته» الى أن قال «تحرير رقبة» وليس هذا فقط بل أمر بجمع الاموال - الزكاة - من الاغنياء وصرف جزء منها في تحرير الرقاب «انما الصدقات للفقراء» - الى قوله - وفي الرقاب الآية وكررت ذوي اليسار على ذلك المرة بعد المرة «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله - الى أن قال - «وأني المال على حبه ذوي القربى» - الى قوله - «وفي الرقاب» وقال أيضاً «فلاقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة» الى غير ذلك مما يطول شرحه . أليس ما أتى به القرآن منذ قرون هو ما نفتخر به المدنية الحديثة وتتيه اعجاباً به ؟

يزعم دعاة المسيحية أن ما قام به الأوروبيون في الزمن الأخير هو من آثار دينهم فيهم . ولكن الحقيقة أن ذلك نتيجة الرقي العقلي والعلمي الذي وصلوا اليه عن قريب ولا دخل للدين فيه . والا فلماذا قضوا القرون العديدة في استعباد الناس على أشنع الأحوال !!

وهل ورد في المسيحية كلمة واحدة عن تحرير الرقيق؟ الذي ورد فيها هو أمر

الارقاء أن يطيعوا مواليهم مع الخوف والرعب كما يطيعون المسيح عليه السلام وأن يبالغوا في حسن اقيام بخدمتهم تمجيداً لتعاليمه عليه السلام كما يقول بولس في رسالته وقد وافق على ذلك بطرس الخواري في رسالته الأولى حيث أوصى العبيد بأن يخضعوا لساداتهم ويخشوهم فأين هذا من ذاك وأين اثري من اثرياً . ولم يهتم المسيح بشأن العبيد ويرى لماتهم كمارق الاسلام وينه عن الاسترقاق متبعيه أو يأمر باستعمال الرقيق بهم واللبن ولو بجملة واحدة ؟ يقولون انه لم يأت ليسن شرائع أو ينسخ ما كان موجوداً منها . ونقول ردا عليهم لم حرم الطلاق والنزوح بالمطلة والتعدد في الزوجات . أما كان يمكنه أن ينهى الناس عن استعمال القسوة على الاقل مع اولئك الضعفاء . واذا قدر على الاول فكيف لم يقدر على الثاني مع ان الاول اشق على النفوس من الثاني . (١)

هذا والحق يقال ان ما أتى به الاسلام لم يأت بمثل دين على وجه البسيطة ولو كان المسلمون في درجة الأوروبيين مدنية وعلماء لكانوا اولى الناس بذلك العمل العظيم وهو تحرير الارقاء الذي لم يعرفه غير دينهم . ولكن قضى الله أن يكون المسلمون حجة على دينهم كما كان يقول حكيمنا الاستاذ الامام قدس الله روحه

٨ - أصناف آخرون رعاهم الاسلام بعين رعايته

﴿الفقراء والمساكين﴾

قضت الحكمة الإلهية أن يكون الناس مختلفين في الدرجات ما بين غني وفقير او صعلوك وأمير الى غير ذلك من أنواع الاختلافات التي قامت بسببها الأعمال في الارض ودارت حركة الاشغال وكثرت المنافسات في الحصول على العيش والارتقاء جاء الاسلام فقرر هذه القاعدة العمرانية « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » وخالف بذلك من أراد أن يجعل المحيشة اشتراكية لأن ذلك هدم للنظام ومدعاة للكسل وترك للأعمال وإيقاع للبشر في مهواة الفقر والفاقة والتقهقر . ولذلك لم ينجح ولن ينجح من حاول تبديل خلق الله ولكن

(١) المنار: كان سكوت المسيح عن مثل هذا لأن الأمة لم تستعد له مع علمه بأن الدين الاخير سيبيته في وقته وقد عبر عن رسول هذا الدين بقوله روح الحق الذي يبين لكم كل شيء

من الاختلاف نشأ مرض التباغض في جسم الهيئة الاجتماعية فحقد الفقير على الغني وأراد به السوء . فأفهم الاسلام هؤلاء البائسين حكمة الله في ذلك وأمرهم بالتزام الصبر والرضا بقضائه ووعدهم خيراً في الآخرة . ثم عطف على الأغنياء وألزمهم أن يعطوهم شيئاً من أموالهم مساعدة لهم في معاشهم وكرر ذلك المرة بعد المرة حتى أنك قلما ترى سورة من القرآن خالية من ذلك «وآتوا الزكاة» فاستل بذلك ضفائن أهل الفاقة ومحض صدورهم من الفل . فأى دواء أتجمع من هذا؟ وأي دين أوجب ذلك كما أوجب القرآن ويميز بين الصدقة والزكاة؟

﴿الأيتام﴾

لم يهمل الاسلام شأنهم بل حافظ على حقوقهم وحرم اغتيال شيء من مالهم «ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سميراً» ونهى عن إغصابهم واذلالهم فقال «فأما اليتيم فلا تقهر» وحث على اطعامهم في نحو قوله «أواطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة»

﴿ابن السبيل﴾

عندي أن اللقيط أجدر بهذا اللقب من المسافر وغيره فإن لم يكن هو المراد بهذه التسمية وحده . ليكن مما يدخل في عمومها وان كان اللقطاء في بلاد الاسلام قليلين وعليه يكون القرآن قد أمر بصرف جزء من الزكاة في تربيتهم واعدادهم لأن يكونوا نافعين للمجتمع الانساني . فأى شيء يقتخر به الغربيون لم يوجد في ديننا؟ وأي دين وجد فيه ما يمكن أن يفهم منه هذا المعنى بصراحة مثل ذلك؟ (٥)

(٥) المنار : جاء في آية مصارف الزكاة ذكر ثمانية أصناف منها أربعة ذكرت بلام الملك «أعما الصدقات للفقراء والمساكين» الخ والباقيات ذكرت هكذا «وفي سبيل الله وابن السبيل» والحكمة في ذلك أن الأصناف الأولى يملك أفرادهم نصيبهم من الزكاة وأما الأربعة الباقية فهي من المصالح العامة التي يصرف المال فيها ولا يملكها أفراداً لا خذنين وقد فسر وافي سبيل الله بالجهاد وزاد بعضهم الحج والاستاذ الامام يقول انه يشمل غير ذلك من المصالح العامة كبناء المدارس والمستشفيات وهو

٩ - الخمر والميسر ولحم الخنزير

نهى القرآن نبياً صريحاً عن هذه الاشياء الثلاثة بما لا يقبل تأويلاً . ولم يرد عن نبيه أنه حول الماء خمرًا معجزة له ليشر به الناس . ولم يأت في عبادات الاسلام ما يشرب فيه الخمر على أنه دم الإله (تعالى) وحكمة تحريم الخمر والميسر لا تنحصر على أحد . وأما لحم الخنزير فقد سبق أننا كتبنا في المنار في إحدى السنين الماضية ما فيه من المضرات التي هي علة تحريمه ونجاسته

١٠ - مصالح الدنيا

أباح القرآن بعد ذلك الطيبات أكلاً وشرباً وزينة ولباساً (اقرأ أوائل سورة الأعراف) وأمر بالسعي والعمل وتصريف الأعضاء فيما خلقت لأجله « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه - فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » فلم يبحث على زهد أورهبانية أو إخفاء أو نحو ذلك مما هو عقبة في سبيل الرقي والتقدم (أنظر مثلاً انجيل متى إصحاح ١٩ : عدد ١٠ - ١٢) وجملة القول أن الاسلام لم يدع أصلاً من أصول الاصلاح الا أتى به ولكن العمل بما قال به الفقهاء المتقلدون لا بما دل عليه اللفظ والاسلوب في الكتاب ولا فضيلة الاقرارها فهو وحده الدين الكامل بلا شك ولا مرء . ولا يراى بالدين والانبياء الا أن يكونوا كالطبيب والأطباء لامراض الاجتماع . ولا يعرف قدر الدين الا بقدر شفائه للدواء فهل هناك دواء شاف لمن تعاطاه غير الاسلام . لهذا أخذت

على كل حال ليس مما علسكه أفراد معينون بل يشتري به السلاح وتقام به الحصون وتنشأ به الاساطيل الى غير ذلك مما يتوقف عليه الجهاد فلذلك عبر عنه بقوله « وفي سبيل الله » ولما عطف عليه ابن السبيل كان من مقتضى الاسلوب أن يكون هذا من المصالح فلو كان ابن السبيل خاصاً بالمسافر الذي ينقطع في سفره كما يقول الفقهاء اعطاه على الفقهاء والمساكين والمؤلفة قلوبهم والغارمين . فعلم من هذا أن ابن السبيل في قوله تعالى « وفي سبيل الله وابن السبيل » يجب أن يكون من المصالح التي ينفق فيها المسلمون . ولفظ ابن السبيل وحده يدل على من لم يعرف له أصل ينسب اليه فنسب الى الطريق لذي وجد فيه وهو أظهر في التقيط منه في المنقطع في سفره الحلال كما قال الكاتب

الامم تقرب منه يوماً بعد يوم الى أن يتحقق نبأ الغيب « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »

المقالة الرابعة وهي الخاتمة

(في رد بعض شبهات)

إذا قامت في نفس الانسان شبهة ولم يمكنه — أو لم يرغب — ازالتها أعنته عن قوة البراهين ولو كانت تلمس باليد وصارت عقبة في سبيل فهمها . وكما ناداه منادي العقل والانصاف أن أذعن . صاح به شيطان الشبهة أن لا تقتر ، والى غير اعتقادك لا تركن ، ولذلك تجده يقرأ من البراهين ، ما هو آيات للمستيقنين ، ولا يزداد الا جهوداً ، ولله الحق جحوداً ، فلماذا رأيت أن أختم مقالتي السابقة برد ما أعلم أنه العقبة الكبرى أمام اقتناع الكثيرين ممن يقرأونها وهم غالباً صنفان إما أن يكونوا ممن أثرت في عقولهم نظريات الماديين ، وإما أن يكونوا من المسيحيين

شبهتان للماديين في القرآن

أما الأولون فأعظم ما يشبه عليهم ذكر قصة آدم في القرآن وخلق العالم في ستة أيام لأن ما عندهم من نظريات « داروين » وغيرها يحول دون التسليم بما ورد في الكتاب . ولي كلمتان أقولهما لهذا الصنف من الناس (الأولى) أني أقر وأعتقد أن مذهب « داروين » هو أسوأ ما وصل اليه الفكر البشري لحل معميات هذه المسائل — الآثار الجيولوجية ، الأعضاء الأثرية ، التشابه العظيم بين الحيوانات وخصوصاً بين أجناسها وغير ذلك من المسائل العلمية في عالمي الحيوانات والنباتات التي لا يمكن تعليلها الآن بأحسن من هذا المذهب — ولكن لا ينتج من ذلك أنه هو الحق الذي لا يصلح البشر الى تعليل آخر غيره . فكم من نظريات عمل بها العالم أجيالاً وقرونًا في تفسير كثير من المسائل وقد اعتقدنا الآن خلافها . أما كنا في الزمن الاول نعتقد أن العناصر أربعة فقط (الهواء والنار والماء والحراب) أما كنا نعتقد أن الارض هي مركز العالم وأن الشمس والسيارات تدور حولها ؟ أما كنا

نعتقد صحة خطبهم وخطبهم في أمرجة الانسان وأسباب الامراض ومعالجتها؟ أما كنا نعتقد بكل هذه المسائل وغيرها ونظن أنها الحق الذي مابعده الا الباطل . فما هو اعتقادنا اليوم؟ أترك القارئ ليتفكر في هذه المسألة وليستحضر في ذهنه تلك الدهور الغابرة

(الكلمة الثانية) لم يرد في القرآن الشريف نص قطعي على أن آدم أول بشر خلق على وجه الارض ولا على أنه أبو جميع الناس ولا على أنه خلق مباشرة من القراب بل وجد فيه ما يشير الى خلاف هذه المسائل ومثل ذلك قوله تعالى «أني جاعل في الارض خليفة» قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» فان لم يكن قبله أحد فمن يخلف حتى يباه خليفة؟ ولولم تشاهد الملائكة افساد الناس في الارض وسفكهم دماء أنفسهم فمن أين علموا ذلك؟ ومثل قوله تعالى «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها» وبث منها رجالا كثيرا ونساء» . اعلم أن القرآن كثيرا ما يخاطب العرب دون غيرهم من الأمم كما في قوله «انا جئناك قرآنا عربيا لعلكم تعقلون» . فلا يتحتم أن يكون المراد بكل خطاب للناس فيه جميع من على وجه الارض وانما هؤلاء قد يكونون مطالبين بالتبع للعرب المخاطبين ابتداء على حد قول القائل - اياك أعني وأسمعي يا جاره - ومثل قول الخطيب لسامية يا أيها الناس لا تشربوا الخمر مثلا فهو وان كان يخاطب الحاضرين الا أنه لا يقصد نهيم وحدهم عن الشرب بل هم وجميع من على شاكلتهم فكذا يجوز أن يكون الخطاب في هذه الآية التي نحن بصدددها للعرب وان كان غيرهم مطالباً بالتقوى مثلهم . وقد ورد في القرآن لفظ الناس ولم يرد به الا طائفة قليلة وذلك نحو «واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء؟» فالمراد بالناس هنا طائفة المؤمنين . واذا تصفحنا القرآن وجدنا أن التكلم في أكثره مع العرب . اذا علمت هذا أقول «يا أيها الناس» أي العرب و «من نفس واحدة» أي نفس أمهم لأن الأم هي الأصل الممول عليه ولها الحظ الأوفر في تكوين الانسان كما يتضح للناظر في العلوم الطبيعية . واذا لاحظت أن هذه الآية هي أول سورة النساء أدركت ما فيها من حسن الابتداء ومراعاة الامتثال

«وخلق منها زوجها» أي من جنسها كفاي قوله تعالى «خلق لكم من أنفسكم أزواجاً» أو باعتبار أن المرأة هي أصل الرجل ولو كان المراد في مثل هذه الآية أن آدم وحواء هما أصل جميع الأمم لما قال في آخرها «وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً» بل كان يقول «وبث منها جميع الرجال والنساء» أو ما يفيد هذا المعنى من التعبير كما هو مقتضى السياق . ولكن عبارة القرآن الشريف صريحة في أن المبعوث منها بعض الرجال وبعض النساء لا كلهم . هذا ولا مانع من أن يكون آدم وحواء هما أبوا العرب وبعض الأمم الشرقية . وأما غيرهم فليهم آباء آخرون . ولا يوجد في القرآن ما ينافي ذلك . وقد علمت أن هذه الآية على هذا التفسير فيها دليل لنا لأعلينا أن قلنا بذلك المذهب — مذهب داروين — ولذا أوردناها في هذا المقام .

واعلم أن القرآن قد يخاطب النبي فقط «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء» وقد يخاطب العرب وقد يخاطب أولاد آدم «يا بني آدم خذوا زينتكم» وقد يخاطب المؤمنين في زمن النبي ومع ذلك قد يريد بالخطاب من هم على شاكاة المخاطبين لا المخاطبين فقط ففي هذه الآيات التي نحن بصددناها وإن كان الخطاب لبني آدم على اعتقادنا الآن المطالب بالتقوى جميع الناس . وهذا وفي قوله تعالى «ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» إشارة إلى أن الله تعالى خلق الناس أولاً ثم صورهم ثانياً أي أحسن خلقهم ثم أسجد الملائكة لبعض أفرادهم الذي اختاره أن يعمر بعض الجهات ويكون خليفة لقوم بادوا فيها . ومثل ذلك قوله تعالى «ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون» والجان خلقناه من قبل من نار السموم» وإذا قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون» فكأنه يشير إلى أنه خلق الإنسان من الطين وليس فيها دليل على أن ذلك مباشرة» ثم أمر الملائكة بالسجود لأحد أفراد الإنسان الذي خلقه مثلهم أولاً من الطين الذي يرفع الملائكة عنه ويحرقونه فكأنه يقول أنا أمركم أن تسجدوا لهذا الفرد المخلوق من الطين كغيره من الناس الذين تحتقرونهم ولذلك كرر قوله «من صلصال من حمأ مسنون» وقد يتمسك البعض بقوله تعالى «ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» «قائلاً

ان كان ادم كسائر أفراد البشر مخلوقاً من ذكر وأُنثى على مذهب «داروين» فلم خص بالذ كر دون اي فرد آخر. قلت لأن الخطاب مع النصارى الذين يعتقدون بخلق آدم من التراب مباشرة فأناهم بما هو أعجب على حسب اعتقادهم وكأنه يقول ان كان آدم في اعتقادكم مخلوقاً بلا أب ولا أم فكيف تعجبون من خلق بلا أب فقط . فان قيل لم قال «عند الله» ولم يقل — عندكم — قلت ليسر بأن هذا التمثيل ان لم يكن مقبولا عندهم فهو عند الله مقبول وكذا عند جميع المنصفين من الناس لأن ما قبله تعالى فهو حق مقبول عندهم كأنه قال ان مثل عيسى كمثل آدم خلقه كما خلقه وان لم تقبلوا هذا التمثيل فهو عند الله مقبول . ثم ان الضمير في قوله خلقه عائد على ما أرى الى المسيح عليه السلام لأنه هو موضوع الكلام أي انه خلقه من تراب كما خلق آدم . ومن المعلوم أن المسيح لم يخلق مباشرة من التراب فيكون آدم مثله وعليه تكون هذه الآية أيضاً لعلنا ان قلنا بمذهب «داروين» ومعناها هكذا: اني آتيكم بمثل مقبول عند الله وان لم تقبلوه وهو أن المسيح مخلوق من تراب كأبي فرد من أفراد البشر وأخص آدم بالذ كر لأنكم اذا اعتقدتم فيه هذا الأمر العجيب — وهو خلقه بلا أب ولا أم — كان الواجب أن لا تندعشوا من مسألة المسيح التي هي أقل غرابة من ذلك .

اذا علمت ذلك تحققت أن القرآن قد أشار الى أن آدم ليس أباً لجميع البشر الموجودين الآن وليس هو أول من خلق . ولم يخلق مباشرة من تراب . وعليه يكون جميع ما ورد في القرآن بشأنه سهل التفسير بما ينطبق على مذهب «داروين» تماماً وأما خلق العالم في ستة أيام فقد ورد في القرآن أن اليوم عند الله آلاف من السنين «وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون» وقال أيضاً «تخرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» فيجوز أن يكون المراد بهذه الأيام الستة آلاف من السنين (*)

(*) النار : اليوم في اللغة هو الزمن فالسنة الأيام هي ستة أزمنة انتقلت بها السموات والارض من طور الى طور حتى تم خلقها على هذه الصفة المشاهدة كما أوضحنا ذلك في المجلد السادس (ص ٣٣١)

❦ شبهات النصارى في القرآن ❦

« وأما الصنف الثاني وهم المسيحيون » فلهم شبهات (الاولى) ان القرآن قد أخذ ما أتى به من الامم الاخرى ويستشهدون على ذلك بما يوجد فيه مشابهاً أو مماثلاً ما عند غيرنا من القصص أو العبادات أو العقائد أو غير ذلك . ولكني أذكرهم بثلاث مسائل (١) ان القرآن أنى يصلح ما كان فاسداً عند الامم لا لأن يزيله كله ويأتي بشيء جديد من الأول الى الآخر . كلا بل اذا وجد حسناً بقاءه واذا وجد قبيحاً محاه (٢) ان القرآن نص على أن الله بعث لكل أمة رسولا في عدة مواضع منه منهم من نعرف ومنهم من لا نعرف واذاً فلا غرابة اذا وجد عند هؤلاء الامم شيء من القصص الصحيحة والعقائد الحقيقية والعبادات . فان وافق عليها القرآن فما ذلك الا لانها وحي من عند الله لهؤلاء الناس . وان خالف شيئاً منها فما ذلك الا لوقوع الغلط فيها على ممر الزمان . وان رد عليها فما ذلك الا لانها مما اقترته الناس على الله (٣) اذا صحح ذاك التعليل فيما أتى به القرآن مماثلاً ما عند الناس فاذا يقولون فيما يوجد فيه مما لم يأت به دين آخر ولم يعرفه أحد الا في الايام الاخيرة وقد فصلنا ذلك في المقالات السابقة

(الشبهة الثانية) ورود بعض غلطات في القرآن على زعمهم . ولا حجة لهم على ذلك إلا مقارنة القرآن بكتبهم . فان وجدوه موافقاً في شيء قالوا أخذه منها . وان خالف قالوا أخطأ . وان أتى بما لم يعرفوه قالوا اخترع . فحسنا لحجتهم المضحكة !! نحن لا نريد أن نطبل الكلام معهم في هذا الباب ولكننا نطالبهم بأن يجيبونا عن هذه المسائل الثلاث بما يقتنعون به هم أنفسهم اقتناعاً حقيقياً بدون رياء أو مكابرة (١) أن يثبتوا بالبرهان القاطع صحة نسبة هذه الكتب الى من نسبت اليهم و (٢) أن كاتبها موحى اليهم من الله وأنهم لم يخطئوا في شيء كتبوه و (٣) أنها وصلت إلينا كما كتبها هؤلاء بدون تحريف لا بالزيادة ولا بالنقص ولا بالتبديل .

نحن نعلم وكل الناس يعلمون الا الجاهلين أن في هذه الكتب عبارات تدل على أن كاتبها ليسوا من نسبت اليهم ولنضرب مثلاً واحداً اصحاح ٣٤: ٥ و ٦ من

سفر التثنية يدل على أن الكاتب لم يكن موسى . وإن قيل ان أحدا أضافها فن هو حتى تثق بأقواله وكيف يضيف الى كتاب الله ما لم يكن منه . وإذا أمكن مثل هذه الاضافة فلم لم يمكن اضافة غيرها مما لم ينزله الله . ثم نسألهم كيف ألف الناس كتباً كثيرة ونسبوها الى الموحى اليهم كذباً ؟ كيف ميزتم الكتب الصادقة من الكاذبة وما هي حججكم ؟ لم رفضت بعض الطوائف ما سلمته الاخرى ؟ بماذا اعتقدتم أن كتابها ملهمون من الله . هل للخوارق التي يتناقلها جميع الأمم عن مؤسسي دينهم بل وعن غيرهم كالصالحين الاولياء والقديسين - أم لماذا ؟ أو لم يقعوا في الغلط مع أننا نجد أنهم كانوا يفسرون الاشياء على غير حقيقتها كتفسير كثير من الامراض بتأثير الشياطين وكظنونهم في قوس قزح الذي برهن العلم أنه موجود منذ وجد السحاب والنور وأنه نتيجة انكسار النور في مثل الماء أو البلور

نحن نعلم وأهل العلم يعلمون أن هذه الكتب مملوءة بما يسمونه غلط الكاتب . وفيها من الفقرات الزائدة والناقصة ما يدهش ذوي الالباب وفيها من التناقض ما يحير العقول . ولنضرب مثلاً لكل . أما مثل غلط الكاتب فما ورد في السفر الثاني للايام إصحاح (١٦ : ١) إذا قورن بالسفر الاول للملك (١٥ : ٣٣) ومثل الزيادة ما ورد في رسالة يوحنا الاولى ٥ : ٧ التي فيها اشارة صريحة لعقيدة التثليث ومثل التناقض ما في الاصحاح ٩ عدد ٧ من كتاب الاعمال والاصحاح ٢٢ عدد ٩ من نفس الكتاب اذ يقول في الاول ان الذين معه سمعوا الصوت وفي الثاني أنهم لم يسمعوا الصوت . فإذا جاز أن يكون الكاتب أخطأ في النسخ وانتشر خطأه في جميع النسخ فكيف لا يجوز أن يكون حرف شيئاً وانتشر كذلك ؟ !! وإذا جازت الزيادة في الفقرات والنقص فيها فكيف نؤمن أنه لم يزد أو ينقص ما يخل بالمعنى ؟ وإذا وجد التناقض فكيف نرجح الصحيح على الباطل ؟ هذا هو حال الكتاب الذي يتخذونه ميزاناً لكتاب الله تعالى وشتان ما بين هذا وذاك

واننا نؤيد قولنا بإيراد أربعين شاهداً من هذه الكتب على وجه الاختصار

الذي لو راجعته لوجدته إما خطأ وأما تناقضاً وأما زيادة وأما دليلاً على أن المؤلف ليس من نسب إليه الكتاب الى غير ذلك من الدلائل على فساد هذه الكتب وإذا لم تفهم بعض ما أشير اليه من عباراتها فطالع احد التفاسير لتفهم غرضي لاني لا أريد ذكرها بالتفصيل والتكلم عليها خوفاً من التطويل الممل فلذا أكتفي بالإشارة الى أما كتبها وأترك الباحث وراء الحق يبعث كما شاء وهي هذه : -

﴿ أربعون شاهدة من «الكتاب المقدس» عندهم على تناقضه واختلافه ﴾

(١) رسالة يوحنا الاولى ٧:٥

(٢) تيموثاوس الاولى ١٦:٣

(٣) أكو ٥:١٥ ومرو ١٤:١٦

(٤) أعمال ٧:٩ و ٩:٢٢

(٥) أعمال ١٠:٢٢ و ١٦:٢٦

(٦) يوحنا ١٣:٣

(٧) يوحنا ١٩:٢ ومتى ٦٠:٢٦ و ٦١

(٨) يوحنا ٣١:٥ و ١٤:٨

(٩) مرقس ١٦:١ و ٢ ويوحنا ١:٢٠

(١٠) مرقس ٢٦:٢

(١١) مرقس ٤٦:١٠ ولوقا ٣٥:١٨

(١٢) مرقس ٨:٦ ولوقا ٣:٩

(١٣) متى ٩:٢٧

(١٤) متى ٤٠:١٢

(١٥) متى ١٣:٦

(١٦) متى ٢٨:١٩

(١٧) متى ١٥:٢ و ١٧ و ١٨

(١٨) متى ١٧:٥ و ٣١ و ٣٢ و ٣٨ و ٣٩

(١٩) متى ١٦:٢٧ و ٢٨ و ١٨:٢ و ١٥:٤ و ١٧ و ١٨ و ١٠:١١ و متى ٣٤:٢٤

- (٢٠) متي ١٢:١
 (٢١) متي ١١:١ و١٧
 (٢٢) متي ٩:١٨ و٥:٢٣
 (٢٣) دانيال ٩:٢٤
 (٢٤) حزقيال ٤٥ و٤٦ وسفر العدد ٢٨ و٢٩
 (٢٥) حزقيال ١٨:٢٠ وخروج ٢٠:٥
 (٢٦) أرميا ٥٢:١—٣٤
 (٢٧) نحميا ١٢:١—٢٦
 (٢٨) ٢ أيام ١٥:١٩ و١٥:٣٣
 (٢٩) ٢ أيام ٢٢:١ و١٥:٣٣
 (٣٠) ٢ أيام ٢٣:٢ و٨:٢٦
 (٣١) ١ أيام ١٩:١٨ و٢ صمو ١٠:١٨
 (٣٢) ١ أيام ١٨:٤ و٢ صمو ٨:٤
 (٣٣) يشوع ١٠:١٣ وتكوين ١٤:١٤ (انظر ٢ صمو ١٧:١ وقضا ١٨:٢٩)
 (٣٤) يشوع ١٥:٦٣ (انظر صموئيل الثاني ٥:٦—٨)
 (٣٥) يشوع ٢٤:٢٩—٣١
 (٣٦) تثنية ٢٣:٢ و٣
 (٣٧) تثنية ٣٤:٥—١٠
 (٣٨) خروج ١٢:٤٠
 (٣٩) تكوين ٤٦:١٥
 (٤٠) تكوين ٣٦:٣١—٣٩

ناهيك بما في هذه الكتب من الغلط والخطأ في المسائل العلمية والأخلاقية والاعتقادية وقد أشرنا الى بعضها فيما سبق . (محمد توفيق صدقي)

(المنار) ان ما ذكره في كون آدم ليس أول البشر على الاطلاق موافق لمذهب الصوفية الذي يؤيدونه بالكشف كما يعلم من كلام الشيخ الأكرم محي الدين بن عربي. والمقالة بقية

باب الترتيب والتجديد

تقرير مشيخة علماء الاسكندرية سنة ١٣٢٢ الدراسية

﴿ تمهيد ﴾ جاء في كتاب « أعمال مجلس ادارة الازهر » مانصه : في ٢٩ المحرم سنة ١٣٢١ و ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٣ صدرت الارادة السنية بإلحاق التدريس والامتحان في ثغر الاسكندرية بالجامع الأزهر ومضمون الارادة « ان الجانب العالي وافق ارادته العلية أن تكون الاسكندرية ملحقة بالازهر في التدريس والعلوم والامتحان وان مجلس ادارته يضع لها القوانين والنظامات ويرتب درجات العلماء الموجودين فيها وقت صدور هذه الإرادة ويحصر الاماكن التي تدرس فيها العلوم هناك وان يكون ترتيب درجات علمائها بحضور ثلاثة من مشهورهم الاقدمين » ثم ذكر بعد هذا ان شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية (يعني الاستاذ الامام رحمه الله) سافرا الى الاسكندرية للابتداء بتنفيذ هذا الامر الذي كان من رغائب الثاني وأرسميه - فرتبا درجات العلماء وأحصيا عددهم واختاروا الشيخ محمود باشا شيخا لعلماء الاسكندرية وبهذا عادوا اشتغالهم مع مجلس ادارة الازهر بوضع قانون لسير التدريس والامتحان في الاسكندرية فوضع . ثم ان الشيخ محمود باشا أبى أن يكون شيخا لعلماء الاسكندرية تابعا للازهر فوقف العمل واتفق أن جاء الشيخ محمد شاكر قاضي قضاة السودان في ذلك المهد الى مصر بالاجازة فأراد أحد أعضاء المجلس (يعني الاستاذ الامام) على أن يكون شيخا لعلماء الاسكندرية فصادف منه ارتياحا « فأشار عليه أن يعمل ليصل الى هذه الغاية فقام بالأمر خير قيام ومهد لذلك باسترضاء الجهتين جهة السودان لتوافق على نقله وجهة مصر لترضى بتعيينه شيخا لعلماء الاسكندرية وكل سعيه فيما بالنجاح فقرر مجلس الادارة في ١٦ ابريل سنة ١٩٠٤ انتخابه لهذه الوظيفة الجليلة وأن يكتب الى نظارة الداخلية لتستصدر الأمر العالي بذلك فكان ما طلبه المجلس وصدر الأمر العالي بتعيينه شيخا لعلماء الاسكندرية في ١٠ صفر سنة ١٣٢٢ و ٢٦ ابريل ١٩٠٤ وانحل.

ذلك المشكل العظيم» اه ما أردت نقله من كتاب أعمال الازهر
وأقول ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى كان يتوسم في الشيخ محمد شاكر
الهمة والنشاط في العمل ويعرف فيه حب النظام فلذلك اختاره قاضياً للسودان
أولاً ثم شيخاً لعلماء الاسكندرية آخرأ وهو الذي أقنع الحكومة السودانية بأن
ترضى بنقله وأقنع مجلس ادارة الازهر بطلب تعيينه وتسهيل السبيل له وانظر ما جاء
عن مبادي عمله في كتاب (أعمال مجلس الازهر) قال مؤلفه

« قام شيخ علماء الاسكندرية الجديد بعمله أحسن قيام لما فيه من الفطنة
وشدة الذكاء ولعلمه بما يجب لهذا الزمان الحاضر وعضده مجلس الادارة الازهرية
وشيوخ الازهر أكبر التضييد وسهل له الطريق في استعمال فكرته ولم يقيد بنظام
سوى نظام الازهر نفسه ونسخ له صور القوانين والقرارات التي يجري عليها العمل
المستمر وقرر له كل ما طلبه في سير الاعمال وضبط نظامها وتكليف العمال بما يطلبه
منهم فأقصى بقية سنته في ترتيب وتنظيم وفي تعويد العلماء على العمل وضبط المواعيد
والمواظبة على إلقاء الدروس واستصدر أخيراً من مجلس الادارة قراراً بمحصر المساجد
التي يكون فيها التدريس في ثمانية مساجد» الخ

ثم ذكر أنه في آخر السنة الدراسية قدم تقريراً الى مشيخة الجامع الأزهر
فصل فيه أعماله في تلك المدة وما يريده في السنة الجديدة. ونقول قدمت هذه
السنة ووضع لها تقريراً رفعه «للاعتاب الخديوية» لالمشيخة الأزهر وهو موضوع
ما نكتب هنا بعد هذا التمهيد فنبيد رأينا في مسائله التي فيها مجال للرأي ثم في عبارته
﴿مبحث التعليم الديني - رأيه ورأينا﴾

في مقدمة التقرير كلام في فائدة عرض الأعمال على أصحاب الافكار
والآراء قال بعده «وهذه خلاصة الاعمال في مشيخة العلماء بمدينة الاسكندرية
وأن المشيخة ليسرها أن ترى ذلك اليوم الذي يتناول فيه كبار اكتاب أعلامهم
لا إفاضة البحث في ترقية التعليم الديني واعلاء شأن معاهد العلوم الدينية استنباضاً
لهم وترغيباً في تربية الشبيبة المصرية من كل الطبقات التي تتكون منها الامة
تربية اسلامية مؤسسة على اتباع شريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى العمل

بما جاء به من عند ربه بحيث تكون دعائم التعليم لكل بناء المسلمين هي تلك الدعائم التي بني عليها الاسلام وهي الاقرار بالله بالوحدانية ولحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وحرم رمضان وأداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام حتى لا يرى في الشيبة المصرية (وهي رجال الغد) من يجترى على ترك فريضة أوسنة أو يستطيع الصبر على مسلم يتركها وهو على فعلها قد يروا الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم»

(المنار) قد أحسن الاستاذ في عرض تقريره على محك النقد بما كتبه في هذه المقدمة وبما كتب به اليها والى غيرنا من أصحاب الصحف . وانا نبداً بابتداء رأينا في هذه الجملة فنقول انه يعني بالشيبة — وهي مصدر — الثبان بل من دونهم من المميزين المرشحين وما ذكره بشأن تربيتهم تربية اسلامية غير كاف على ما في العبارة من الاطناب الذي أفضى الى التكرار ايضاحاً للواضح في قوله «على اتباع شريعة المصطفى (ص) وعلى العمل بما جاء به» وقوله بعد هذا «بحيث تكون دعائم التعليم» الخ لا يصلح تصويراً وبياناً لاتباع والعمل فان التعليم غير التربية العملية ثم ان الذي يجب أن يتعلمه كل مسلم من الاسلام ليس هو الاقرار بالله بالوحدانية الخ ما ذكره لأن كل مسلم يقر هذا الاقرار ويسهل عليه أن يتعلم كيفية اقامة الصلاة في مجلس واحد وكذلك أحكام الصوم ولا يجب على مسلم تعلم أحكام الزكاة والحج الا اذا كانا مفروضين عليه لغناه . ثم ان تعليم هذا الاقرار وهذه الاعمال لا يترتب عليه ما ذكره غاية له بقوله «حتى لا يرى في الشيبة المصرية من يجترى على ترك سنة أو فريضة» الخ فان الأستاذ الكاتب يعلم كما نعلم ان عدد المسلمين الذين تعلموا هذه الأمور وعملوا بها لا يتناوله الاحصاء ولا يكاد يوجد فيهم من لا يجترى ولا يصبر على ما ذكر .

ان الاحاديث التي اكدت في اجراء أحكام الاسلام على المرء بالشهادتين والعمل بالاركان الاربعة الاخرى انما هي في شأن الكافرين الذين يدخلون في الاسلام فهذه هي الامور الظاهرة التي يعدون بها مسلمين وقد كان ممن قام بالاركان الخمسة في الظاهر المناقون الذين نزل فيهم من الآيات ما نزل وقال فيهم النبي

صلى الله عليه وسلم ما قال، والمبتدئون من جملة الأعراب الذين سلموا بظاهر الدين ولم يفهموا عقائده بالبرهان المفيد اليقين الا بعد حين وفيهم نزل (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولا يدخل الايمان في قلوبكم) الآية
الفاية التي ذكرها انما ترجى للكلمة من الذين تربوا على الاصول الثلاثة في حديث جبريل المتفق عليه من رواية عمر وأبي هريرة وهي الاسلام المفسر بالاركان الخمسة التي ذكرها صاحب التقرير وهي عبارة عن القسم العملي من عبادات الدين والايمان وهو عبارة عن القسم الاعتقادي منه والاحسان وهو الادب السكامل الذي هو أثر الاعتقاد الصحيح والعبادة القويمة والتهديب المعتدل . ونعني بترتيبهم على هذه الاصول الثلاثة تعويدهم العمل بالعمل من أول النشأة بحسن القدوة لا بمجرد الطلب باللسان وتلقينهم العلمي منها بالدلائل التي يخضع لها العقل ويطمئن بها القلب
وجملة القول ان عبارة التقرير في هذا المقام مضطربة وغير مينة لما يجب من التريية الاسلامية والتعليم الاسلامي ولا للضرورة منه وهو (١) العقائد الدينية على طريقته القرآن مع كشف الشبهات التي فشت في هذا العصر بين المسلمين من غير خلط بفلسفة اليونان وشبهات المبتدعة الذين اتقروا ودرست مذاهبيهم . و (٢) الآداب الدينية مع بيان فوائدها للمتأدب بها في نفسه وفيمن يعيش معهم بحيث يقتنع بتعلمها أن فيها سعادة الدنيا قبل الآخرة ويتضح له ذلك بالتأدب بها فعلا . و (٣) الأحكام العملية مع بيان أسرارها وفوائدها في نفس العامل وفي صلته بالناس الذين يعيش معهم على ما ينأ آفأ . هذا ما يذكر في دعائم التعليم الديني بالاجال ونحث الكتاب على الترييب في إقامة هذه الدعائم بتعليمها لأولاد المسلمين وتنشئتهم على العمل بها في البيوت وفي المدارس حتى يصير العلم بهاموياً بالوجدان . وانا نعلم ان كاتب التقرير يقر هذا في نفسه وان لم تتناوله عبارته وله أن يقول ان سيرته التي سيشرحها تتفق معه في الجملة وان كان اللاحق لا يدفع الايراد السابق . ونحن لا نرتاب في حسن قصده، وما قلناه بيان جاء في وقته ،

﴿ التعليم الاسلامي في الاغنياء والاعلياء ﴾

ثم قال الاستاذ صاحب التقرير بعد ما تقدم : « وما يجب أن يتنبه له عقلاء

الاسلام وعظاء الامة أن التعليم الديني قد كاد يكون منحصرا في طبقات الفقراء وبعض الطبقات الوسطى من الامة الإسلامية دون الطبقات العليا منها وذلك خطر غير قليل على الجامعة الإسلامية بمرور الدهور والاعوام اذا قدر أن ينتهي الأمر بانحصار التعليم الديني في تلك الطبقات فتكون الرئاسة الدينية منحصرة فيهم لا يتولاها سواهم من الطبقات الاخرى وبالتالي تكون كل الوظائف الدينية في أيدي أولئك الاقوام ومن خصائصهم وبعبارة أوضح تكون الفضائل والمزايا الدينية مجردة عن القوة المالية، والقوة المالية بعيدة عن المزايا الدينية، وبين أيدينا من نتائج هذا التفريق في القوى الفعالة وهذا التدلي في التربية الدينية ما يصلح عبرة لكبرام القوم وخاصة المسلمين وعقلاء الامة

« فلينظر العقلاء وسادات الاسلام الى موقفهم هذا فلعلهم اذا فكروا فيه كثيرا يترجح عندهم ان يتربى أبناؤهم تربية دينية اسلامية محضة تحت كفالة خيرة العلماء العاملين المرشدين حتى اذا تخرجوا على هذا المبدأ القويم كانوا أقدر على خدمة دينهم وأمتهم الخدمة التي ترجى من أمثالهم مع الترفع عن الدناءة وعن السقوط في مهاوي الخسران واذا شاء عظماء الامة أن يتربى أبناؤهم هذه التربية فانهم يساعدون على ترقية التعليم الديني ويحملون له المكانة العليا في أفئدة الناس أجمع وما ذلك على الله بعزيز نساءله الهداية والتوفيق لأقوم طريق » اهـ

(النار) هذه ثمة مقدمة التقرير وجلة ما يقال فيها انها من الحواطر الحميدة التي تسنح للاذكياء وغرض الكاتب منها فيما يظهر دعوة أغنياء المسلمين في هذه البلاد الى نظم أولادهم في سلك طلبة العلم الديني في الاسكندرية والمنايا بالإسعاد على هذا التعليم . وما من مسلم متفكر الا وهو يتمنى أن يقبل الاغنياء مع الفقراء على تلقي العلوم الدينية والتأدب بأدب الاسلام وانها لأمنية لا تنال بالتعبير عنها في تقرير ولا بالدعوة اليها والترغيب فيها بالكلام المبهم . بل بترقية المدارس الدينية ترقية تجذب الفتي اليها باعتقاد أن فيها سعادته في الدنيا قبل الآخرة بجميع ما بين علوهما مع الاقتصاد في الوقت على ما سنينه بالايجاز الذي تقتضيه الحال لا يقدم الناس على شيء الا اذا علموا علم اذعان بأنه خير لهم وأكفل لمصالحهم

ودعوة الاغنياء الى التعليم الديني لم تكن على بيان يودع نفوسهم من العلم بذلك ما يحملهم على اجابة الدعوة فان عبارة التقرير لم تذكر من المرغبات في الدعوة الاتوقى الخطر على الجامعة الاسلامية الذي جعله مشروطاً بانحصار التعليم في غير الاغنياء وفرع من هذا الاصل انحصار الرياسة الدينية في غيرهم وجعل الوظائف الدينية تالية للرياسة في هذا ثم فسر ذلك بعبارة اصرح في مقصده وهي جعل الفضائل والمزايا الدينية مجردة عن القوة المالية والقوة المالية بسيدة عن المزايا الدينية . فكأن هذا التجرد هو الخطر فاقاؤه هو المرغوب الوحيد للاغنياء في اجابة الدعوة وهو يتوقف على الاقتناع بصحته وصحة كونه محل الخطر على الجامعة الاسلامية وصحة كون معاهد العلم الديني في الاسكندرية تجمع للمتعلمين بين القدرة على النهوض بالاعمال المالية مع الفضائل والمزايا الدينية ليجمعوا بين القوتين ويكون ذلك يمنع الخطر . على ان هذا كله غير واضح في كلامه ولنا ان نجعل كل كلمة من تلك الكلمات التي يفسر بعضها بعضاً في كلامه مرغباً مستقلاً ونوسع الدائرة بالاستنباط ثم نرى أيكفي ذلك لاجابة الدعوة يحسب الذين اعتادوا الارتياح الى أمثال هذا الاقتراح في الجرائد أن من الجواذب اليه والمرغبات فيه ما ذكره الاستاذ من الخطر على الجامعة الاسلامية، والترغيب في الرئاسة الدينية، والوظائف الدينية، وتجريد المزايا الدينية من القوة المالية، وكفالة خيرة العلماء العاملين المرشدين، لطلاب هذه التربية مع التعليم؛ أين توجد التربية الاسلامية والتعليم الديني الجامعان لكلمة المسلمين الموثقان لروابطهم؟ أين أولئك العلماء الذين أشار اليهم وماهي آثارهم في وقاية الامة من الخطر، ماهي الرياسة الدينية التي لا ينالها الا من تعلم العلوم الدينية وتربى في حجرها، ثم ماهي الوظائف الدينية التي يرفع الاغنياء أبصارهم اليها، أليست هذه الكلمات من قبيل ما يطفو فوق أنهار الجرائد كل يوم كفقاقيع الماء، ثم يتلاشي في الهواء، بلى انها من هذا القبيل ولا تنس اننا حدثنا الساحة في نفسها وجزمنا بأن كل مسلم عاقل يتمناها، وكيف السبيل الى نيل الاماني:

فيادارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال
نيس في الاسلام رياسة دينية حقيقية كالرياسة في الاديان الاخر فان

كل مسلم مكلف فهم دينه من كتابه وسنة نبيه ان استطاع فان لم يستطع ذلك بنفسه استعان بأي مسلم يرى انه يعرف حكم الله الذي يطلبه لا تنحصر افادة الدين في رؤساء معينين . وقد مضى الاصطلاح بأن يدعى سلطان المسلمين رئيساً دينياً وان قال الصحابة في أبي بكر عليه الرضوان: رضيه رسول الله صلى الله عليه وآله — أي في امامة الصلاة — أفلا نرضاه لدنيانا: فجعلوها دنيوية وهل يطمع غني أو فقير بهذه الرياسة الشرعية أو الدينية، مهما بلغ في التربة والعلوم الاسلامية؛ وأما الوظائف الدينية الحقيقية المحضة كإمامة الصلاة والأذان فلا يرغب فيها الاغنياء بل لا يرضونها لأنفسهم على أنها لا تزال مبدولة للجاهلين . وهناك وظائف شرعية كالقضاء والافتاء وليست مما يرغب فيه الاغنياء هنالما هو معروف للكاتب والقارئين

لا خطر على الجامعة الاسلامية في انحصار الوظائف الدينية في أهل الفضائل والمرايا الدينية من الفقراء والأوساط ومن يتحلون بهذه الفضائل والمرايا لا يعجزهم أن يطلبوا الغنى فينالوه وأن يقنعوا الأغنياء بسد شيء من فضول أموالهم في سبيل الله لإقامة المصالح العامة . ثم إن تحلي الأغنياء بالفضائل والمرايا الدينية ليس مما يتوقف على هذا التعليم الذي يدعونه اليه الاستاذ في تقريره . فجملة القول أن عبارة التقرير في هذه المسألة مبهمه مضطربة كعبارة التي قبلها

إذا قلنا ان المسلمين أو الجامعة الاسلامية على خطر فأنما نعيد قولاً تكرر منا في المنار كثيراً . ونعيد الآن لنقول ان التعليم الديني في مصر ليس له أثر ما في حفظ ما يسمونه الجامعة الاسلامية بل ربما كان له الاثر في اضعافها لأنه لا يدفع الشبهات الطارئة في هذا العصر على الدين ولا يبين انطباق أحكامه على مصالح البشر ومنافعهم الشخصية والاجتماعية ولا يخرج رجالاً يصلحون حجة على أهل التعليم الديني باستقامتهم وفضائلهم وقد رتبهم على النهوض بالأعمال العظيمة عامة كانت أو خاصة حتى إذا أردنا أن نقول: ان أثر التعليم الديني في أهله هو أفضل من أثر التعليم الديني بأهله أو مساو له في شؤون الدنيا ويفضله في الآخرة قلنا ذلك بقوة تحترق الآذان، ونصيب من النفوس مواقع الوجدان، بل كثيراً ما يأتي هذا التعليم بضد ذلك حتى صارت جميع الطبقات التي يصفونها بالعالميا

تفكه بانتقاد أهله والخوض فيهم

زار القاهرة في هذه الايام أستاذ من أساندة المدارس الاسلامية في روسيا
وكان جل هم البحث عن طرق التعليم الديني وغير الديني فساء ما رأى في
الازهر من الفوضى وفساد طريقة التعليم وزرت معه بعض العظماء فكانوا اذا
ذكر الازهر وأهله يقولون انه لاخير في هذا المكان يرجوه الاسلام وان أهله
« كالخشب المسندة » وألقاب أشنع لا أحب ذكرها . والتعليم في الاسكندرية
قد أوشك يفضل التعليم في الازهر بالنظام والمراقبة والامتحان والمكافأة التي
طالب المصلح بها أهل الازهر وحثمها عليهم بالقانون منذ عشرين أو أكثر
فتمروا منها نفاراً وأصر كبراً وهم على رفضها اصراراً ، ووجدوا لهم من السياسة أنصاراً :
انه ليسرنا أن ننفذ في الاسكندرية شيء من الاصلاح الصوري مع توجيه
الهمة الى شيء من الاصلاح المعنوي . وأن يصدق ظن شيخنا الأستاذ الامام في
الشيخ محمد شاكر ونراه موقفاً الى السداد في تنظيم معاهد العلم في تلك المدينة
ولكننا نقول ان هذا كله لا يكفي في الاصلاح المطلوب الذي يرجي لوقاية الاسلام
ولا مسلمي مصر من الخطر ولا لجذب أولاد الأغنياء الى هذا التعليم اذا أغنياء أحرص
الناس على الزم أن يضيع منه خمس عشرة سنة أو عشر سنين في معالجة كتب محدودة
في الفنون العربية والفقه الذي صار أكثره غير معمول به والكلام الذي مظمه
نظريات في مذاهب انقرضت وهم يرون أنه يقل في معالجي هذه الكتب من
ينجح في فهمها وأن الذين يفهمونها قلما يوجد فيهم من يفيد الأمة فائدة لها شأن
في ترقيتها أو الدفاع عن دينها وحقيقتها بل قلما يوجد فيهم من تصح عبارته العربية
وكيف يفهم الدين من لا يتقن لغته اتقاناً

ان توحيد التعليم والتربية في الأمة باشتراك جميع الطبقات فيها مما يتوقف
عليه تحقق وحدة الأمة وقوتها وهواها يتوقف على وجود زعماء من المسلمين
يعرفون أسبابه فيأتونه من أبوابه وما أبوابه الا المدارس التي تجمع بين علوم
الدين وعلوم الدنيا مع النظام الذي انتهى اليه رقي البشر الاجتماعي والصناعي .
وأعني بعلوم الدين علوم القرآن والسنة وما فيهما من الحكم والاسرار الموافقة

لرقى الامم في كل زمان ومكان ثم ما استفاد سلف الامة منها في تفصيل ليس هذا
المقال بالذي يتسع له فأكتفي بهذه الكلمة كما أكتفي من بيان فوائد النظام بأن
مدة تحصيل العلوم الدينية والدنيوية لا ينبغي أن تزيد فيه عن مدة التحصيل في
الازهر لتلك الكتب التي لا غناء فيها وهي خمس عشرة سنة أما العلوم الازهرية
فيكفي لتحصيلها في غير كتبهم هذه وعلى غير طريقهم في التعليم خمس سنين
إذا حسنت حال التعليم في الاسكندرية فان حسناتها يكون تمهيداً لما يريد
المصلحون من ارتقاء علوم الاسلام فيها وإن للشيخ محمد شاكر من الفطنة ما نرجو
أن يرتقي به في السلم الذي وضع للازهر من قبل مع الاستعانة بالأذكاء العارفين
بنظام التعليم كيريدي الاستاذ الامام الذين عرف لهم حقهم وشكر لهم صنيعهم
بمساعده في تقريره الاخير. وما وضع للازهر انما كان موقفاً روعى فيه ضعف
الاستعداد. وكان في عزم المصلح الاول رحمه الله تعالى أن يعهد به القوم الى نظام
أكمل منه تزداد به العلوم ويكمل فيه فرق تختص باتقان بعضها بعد الامام بجميعها.
وسنين بعض ذلك عند الكلام على التدريس والعلوم

باب الخبيرة والاعمال

مسألة مكدونية

﴿أوربا وتركيا - أو الدين والسياسة﴾

اشدد ضغط دول أوربا على دولتنا في هذه الايام يعرضن عليها أن يكون
لهن مراقبون لمالية الولايات المكدونية ويحملنها على اجابتهن الى ما طلبن بالتهديد
والوعيد. وما هذه المراقبة التي يطلبن الاجمل ادارة تلك البلاد - وهي سياج
عاصمة الدولة - أوربية محضة. وقد كنا حين نجم ناجم الثورة في مكدونية من
نحو ثلاث سنين لا نخشى الامن روسيا لأنها كانت تستعد للحرب فاذا هي تستعد
لجيان التي جعلت استعدادها في البر والبحر هباء مشورا

كتبنا في الجزء الأول لسنة المنار السادسة (سنة ١٣٢١) الصادر في ٣٠ مارس سنة ١٩٠٣ م نبذة في ثورة مكدونيه قلنا فيها مانصه : ولقد كان الانكليز عون الدولة العثمانية على روسيا فحال لون السياسة الجامعة بينهما وتغير شكلها ، وتبدل السلطان عاهل الألمان بالانكليز وهو ملك يطعم ولا يطعم شديد الجشع قوي الطمع اذا رأى روسيا وقد جد جددا يكتفي منها بلقمة كبيرة يلتهمها ويتركها بعد ذلك وشأنها ، ولا يطوف في خاطر عاقل انه يسمح بمجندي ألماني واحد لصديقه السلطان ، اذا نزل مع الروس في ميدان الطمان ، اه واذا ظهر لنا أن اليابان كفتنا الخوف من روسيا بما نكلت بها وبما أعقبت حربها اياها من الثورة التي كادت تدمر البلاد الروسية وتذهب بسلطانها المطلق وتقبض ظله عن الأرض فلندكر ما كتبناه في تلك النبذة عما نخشاه من أوربا على تلك البلاد اذا أمداروسيا وعن اضطراب المسلمين لذلك ثم تقفي عليه بما حدث في هذه الأيام . قلنا هناك :

« كانت قلوب المسلمين في العيدين (أي عيدي سنة ١٣٢٠) محومة فوق بلاد مرا كش توألمها فتنة الخارج كما تسوءها سيرة المالك ، وقد دخلت عليها السنة الجديدة فاستقبلها هم أكبر من هم مرا كش - هم الدولة المسلمة الكبرى (وقاها الله تعالى) ولا خوف عليها الا من روسيا فاذا كانت لا تريد سوءاً فدع البلقان يضطرم بنيران الثورة اضطراباً ولا تخش مغيبته فالدولة قادرة على تأديبه . وأسوأ عاقبة تنتظر حينئذ استقلال مكدونية أو وضعها تحت حماية الدول الكبرى على المذهب الجديد في سير أوربا بالمسألة الشرقية - مذهب التفكيك وتحليل العناصر -- وهذا المذهب خير لدول أوربا وأسهل طريقاً من حرب الدولة لأجل الفتح والتغلب لان هذا يعوزه الاتفاق على ما يتعسر الاتفاق عليه وبقضي بئذ أموال غزيرة وسفك دماء عزيزة . وهو خير للشرقيين أو المسلمين وأسهل عليهم أيضاً لأن كل عنصر ينحل من عناصر بلادهم وكل قطعة تنتقص من أرضهم تفيدهم عبرة كبرى وتعلمهم كيف يحفظ الباقي . فاذا لم يتعلموا بتكرار النذر ، وأنواع العبر ، وكانوا يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ، فهم أموات غير أحياء وما يشعرون أياهم يعيشون ،

«مسألة مكدونية مسألة عشواء والحكم فيها غامض لما تقدم ولأن النصارى فيها وفي جميع ما بقي تحت حكم العثمانيين من بلاد أوربا ومايدانيها كبلاد الارمن قد توجهت نفوسهم الى الاستقلال واعتقدوا ان أوربا نصيرة لهم وأن الذريعة الوحيدة لاثارة نعرتها عليهم وتصدبها لفصلهم من جسم الدولة الثورات التي تضطر الأتراك الى سفك قطرات من دماهم تأدياً لهم» اه المراد منه

ثم كتبنا مقالة في الجزء الحادي عشر الصادر في غرة جمادى الثانية من تلك السنة (١٣٢١) رجحنا فيه ان استمداد روسيا الحربي انما كان لاجل توقع الحرب مع اليابان وان الخوف على دولتنا يومئذ انما هو من الجانب الذي كانت ترجوه من قبل وهو انكلترا وأوضحنا بعض الايضاح ما عليه أوربا من التحامل علينا ولا بأس بذكر شيء من ذلك هنا . قلنا بعد الكلام في عدوان البلغار وأخذها بمحضة الثورة في مكدونية تعويلا على مساعدة بعض الدول

« أيعقل ان نتحرش بلغاريا الضعيفة بالأسد التركي الا اذا كانت واثقة بأن وراءها أسدا أو أسوداء اذا لم يكن الأسد الروسي الذي أعطى هذه البلاد استقلالها هو الذي يحميها من قرنه التركي فلي أي الاسود تعتمد؟ الا قرب عندي أن يكون الخوف اليوم في موضع الرجاء بالأمس فاننا لما كنا نسيء الظن بروسيا أحسننا الظن بالانكليز حتى توقعنا أن يكون الغرض من زيارة ملكهم لفرنسا الاتفاق معها على عدم الرضى من روسيا بمحاربة تركيا لكيلا تساعدنا فرنسا على ذلك ولما ترجع عندها الآن أن روسيا لا تريد حرباً ولا تضمر غدراً (أي لنا) انعكس الرأي الأول وظننا السوء بانكلترا وتوقعنا انها قد اتفقت مع فرنسا على النفع في نار الثورة... الى أن قلنا

« ان سلوك أوربا الجديد في حل المسألة التي يسمونها الشرقية ويعنون بها الاسلامية سلوك عجيب وأعجب صوره وأغرب أشكاله ما كان من نتيجة محاربة الدولة العلية لليونان فقد جعلت أوربا بالدولة البائدة بالعدوان المغلوبة في ميدان الطمان هي الفائزة بالنتيجة اذ جعلت ولي عهدا حاكما على ولاية عظيمة من ولايات الدولة المنتصرة (وهي جزيرة كريت) على أن تكون هي الحافظة والحامية لتلك

الولاية وما يدرينا لعلمهم يريدون الآن سلخ ولايات مكدونية من الدولة بمثل تلك الطريقة، وهكذا يقطعون في كل مرة عضوا من جسم الدولة يغذون به من يروونه أولى به حتى لا يبقى إلا الرأس والقلب فيسهل على الرأس الاتفاق على الإيقاع به « اننا نرى دول أوروبا عابثة في كل حين باستقلال الدولة، ففي كل حادثة لهم أوامر تطاع، ومناهي تجتنب، والدولة راضية وكل ما تجنيه في بعض الاحيان لا يخرج عن مراوغة في تنفيذ بعض الأوامر أو إرجائها وكلمات للدولة ضرب من ضروب هذا الظفر الوهمي هتف المذرورون مع الغارين . نحن أصحاب السياسة المثلى ، والكلمة الملياً . فاذا انتهى أجل الأرجاء، وحل اليأس محل الرجاء، سكتوا واجمين ، أو خدعوا أنفسهم معتدلين ،

« يقول الأوروبيون ان الذي أدل تركيا وذلكها لهم هو ظلمها لمن ليس على دينها من رعيتهما لاسيما النصارى . ولنا أن نقول ان وجدنا سامعاً : اذا كانت هذه الدولة تظلم التحالفين لها في الدين فلماذا يهرب اليهود من مشرق أوروبا (روسيا) ومغربها (اسبانيا) الى بلادها ؟ أمن المفقول أن يهرب الناس من ظال العدل الى هاجرة الظلم واذا زعمتم أنها تظلم النصارى خاصة فكيف يمتل أن تظلم التحالف الذي يجد أنصاراً أقوياء ينتقمون له وتدع من لا ولي له ولا نصير ، واذا كانت أوروبا تعبت باستقلال الدولة وتفتت عليها في سياستها الداخلية حباً في العدل بالظالمين فما بال هذه الرحمة لا تحرك لهم عاطفة على اليهود الذين يستحتر فيهم القتل بأيدي النصارى لأنهم يهود ؟؟ ليس موقفنا مع أوروبا موقف جدال وحجاج ولكنه موقف قوة وضعف فالقوة تفعل والضعف يفعل اه المراد منه

هذا شيء ما كتبناه في المسألة والعهد قريب بظهورها وقد كرت السنين فإزادت هذه الآراء الايباناً ورجحاناً . وضمت أوروبا بضباطاً من جندھا يحفظون الأمن في الولايات المكدونية مع رجال الضبط العثمانيين ليكونوا مطلعين على كل ما يقع في البلاد ثم أرادت القبض على أزمة المالية والادارة فاقترحت على الدولة تعيين مندوبين مالين من الدول العظام يضمون الميزانية للبلاد وينظرون في أمر العمال والمستخدمين من تولية وعزل ويتصرفون في الجباية والصرف ويكونون تابعين في أعمالهم

لسفراء دولهم . فخلاصة هذا الاقتراح أن تكون مالية تلك الولايات وإدارتها في أيدي دول أوربا كإن أمر الأمن في أيديهم وللدولة اسم السلطة والسيادة لا ينازعها فيه منازع الآن لما عليه أمراء الشرق وملوكه من التفاني في عشق الالقاب: رفض السلطان قبول هذا الاقتراح الجائر الذي يقلص ظل سلطته عن تلك الولايات التي هي حظيرة لعاصمة ملكه فألحت الدول عليه وهددته باحتلال بعض الجزائر العثمانية التي تقرب من باب الاستانة (الدردينيل) فأصر على الإبقاء وله الحق في ذلك ولكنهم قوم يطمعون في ضعفه

ماودع المسلمون رمضان واستقبلوا عيد الفطر الا وقلوبهم تكاد تنفطر أسى وحزناً، وحقداً وضغناً، الأسف والحزن على ما وصلت اليه الدولة الاسلامية الكبرى من الضعف باهمال اصلاح بلادها، والمقد والضعف على أوربا المتعصبة التي تريد محو سلطة المسلمين من أوربا ثم من الأرض كلها . وقد رأيت من مسلمي هذا القطر المبارك فوق ما كنت أعتقد فيهم من النخوة والتألم على الدولة العلية أعزها الله بالعدل والعلم والاصلاح، ومن البغض لأعدائها خذلهم الله بالتفرق والتعاضد والاقسام،

والرأي عندي وعند كل من تكلمت معهم في هذا الأمر، من ذوي الرأي والفكر، أن اصرار الدولة العلية على رفض ما يطلب الدول منها هو الصواب وأن شر عاقبة تتوقع لهي خير منه أو أضعف شراً وأقل ضرراً، ان استيلاء الدول على تلك الولايات بالقوة بعد مقاومة الدولة لهن لهن خير من تسليمهن ادارة ماليتهما بالتهديد والانتذار والوعيد فان كلا الأمرين خسران مبين للبلاد وفي الخنوع والاستسلام للوعيد خسران معنوي أعظم وهو خسران الشرف والامتناع يقابله في المقاومة مع حفظ هذا الشرف فوز معنوي عظيم وهو ايقاظ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وإشعارهم بالخطر الذي يتهدد سلطتهم من حيث هم مسلمون ولا شيء أنفع لهم في هذا العصر من هذه اليقظة والشجور وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى يقول ان الحرب العثمانية الروسية الأخيرة قد كانت هي المبدأ لهذه الحركة الفكرية العامة في المسلمين وان كان البلاء لينزل من قبل هذه

الحرب في القطر الاسلامي فلا يهتز له القطر الذي يجاوره دع البعيد عنه الذي انتقطت
دونه أخباره وقد صرنا نرى المسلمين في كل قطر يتألمون لما يصيب اخوانهم في سائر
الاقطار لاسيما اذا كان المصاب من اعتداء الاجانب عليهم
ان ساسة أوربا يقدرّون هذه الحركة التي أشار إليها حكيمنا قدرها، ويحيطون
بما لم نخطبه من خبرها، لذلك أجمعوا كيدهم على ذبح العفريت بسيفه الخشبي (*) اذ
يتعذر قتله بسواه أعني أن يزيلوا السلطة الاسلامية من الارض بنفوذ رؤسائها
من السلاطين والأمراء - يدخلون في أمر الواحد منهم ويدعونه الى ما يريدون،
فيألمون به نيلهم والمسلمون وادعون ساكنون، يحسبون أن أولي أمرهم منهم
وأنهم لأمرهم يخضعون، فمثل أوربا في سياستها هذه وفي انتقاصها للممالك الاسلامية
من أطرافها كمثل الطيب يخدر العضو ويقطعه حتى لا يشعر صاحبه بشدة الألم ولكن
الطبيب يعمل هذا لمصلحة الجسم وهم يعملونه لمصلحة أنفسهم باعدامه بل التهامه
يقول قوم ان المدافع لأوربا على هذا هو التعصب على الاسلام ولذلك
لا نرى الدول النصرانية تتفق على الميث باستقلال دولة نصرانية فيجب ان يقابل
المسلمون ذلك بالتعصب على النصراني كافة . ويقول آخرون ان أوربا بريئة
من التعصب الديني الذي لا يعرف في غير الشرق وانما هي المصالح السياسية لا مذهب
لها ولا دين ولذلك ينتصر الامبراطور غليوم النصراني للخليفة المسلم العثماني
وتطارد حكومة فرنسا الرهبان وتبترأ من الكنيسة . والصواب في المسألة ان أوربا
لا تتعصب على المسلمين من حيث هم مسلمون يقرون الله بالوحدانية ولمحمد صلى الله
عليه وسلم بالرسالة ويصلون الى الكعبة ويعبدون الله تعالى على غير الطريقة التي
يعبده بها سواهم وانما تتعصب عليهم لان لهم سلطة ودولا فالذين سموا تعصبها

(*) في الحكايات الخرافية التي يلهي بها الامهات أطفالهم ان للعفريت سيفاً
خشبياً اذا ذبح به مات واذا ذبح بسيف آخر من الحديد والفلزات فانه لا يصبیه ضرر،
ولا يحدث منه في رقبتة ولا جسمه أدنى أثر، ولكنه ينتبه لمحاول قتله فيفتك به وكذلك
المسلمون لا يسهل اهلاكم الا بواسطة رؤسائهم الذين هم سيوفهم ولذلك نحاول
أوربا أن تكون هذه السيوف الخشبية في يدها فاللهم أصلح الراعي والرعية

سياسيا قد صدقوا ، والذين سموه دينيا لم يكذبوا ، فاذا كان لايهما أمر الدين الاسلامي من حيث هو اعتقاد وعبادة ، فأكبرهما ان لا يكون له سلطان ولا سيادة ، ألا يجدر بالمسلمين اذا ان يحرقوا عليها الأثرم ، ويعتقدوا ان شرف سلطتهم لا يسلم حتى يراق على جوانبه الدم ، بلى وانما موضع الخطأ ان يحاولوا الانتقام من الذميين والمسلمين ، والله تعالى يقول « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » فايندأونا النصارى في بلادنا ، عصيان لديننا وخراب لدياننا ،

اذا كان المسلمون قد شعروا شعورا صحيحا بالخطر الذي يندر سلطتهم ، والبلاء الذي يهدد ملتهم ، فعليهم ان يعرفوا كيف يقاومون العدوان بمثله لان الله تعالى يقول « ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله » أي ولا تبغوا وانما تعتدي علينا أوربا بقوة أمتها ، وعلمها وصناعتها ، ونظامها وثروتها ، ودهانها وحكمتها ، ولذلك تستفيد مما بقي لنا مالا نستفيد . فما دمننا على هذا الجهل والخلل ، والتفرق والفسل ، فانا لا يمكن ان نقف أمام أوربا . فاذا لم يظفروا بمكدونية تمام الظفر في المرة ، فأنهم يظفرون بها وبغيرها اذا أعادوا الكرة ، ولنا فيما مضى عبرة وأي عبرة ، بماذا تقاومهم ؟ رؤساؤنا مستبدون ، وحكامنا ظالمون ، وعلمائنا جامدون ، وأغنيائنا ممسكون ، وخواصنا مترفون ، وعوامنا جاهلون ، فاذا رضينا لأنفسنا بهذا فانا نكون من الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، ولا ينطبق علينا قول ربنا « ولقد كتبنا في الزبور من بعد ذلك ان الارض يرثها عبادي الصالحون » فعلينا أن نبذل المال ، ونجمع شمل الرجال ، لترقي الامة فتلزم الحكام باصلاح الحال ، فان العصر عصر الامم لا عصر الافراد وعصر النظام والاجتماع لا عصر الاستبداد ،

وفاة الشيخ عبد القادر الراجحي

الشيخ عبد القادر الراجحي الكبير أشهر فقهاء الحنفية في الازهر بل في البلاد العربية كلها أئقن المذاهب تعليما وتعلما وتأليفا وعملا بالمحاكم الشرعية فقد كان رئيس المجلس العلمي في المحكمة الشرعية بمصر . وقد وقع اختيار الحكمة على

ترشيحه لمنصب الافتاء فسمي مفتيا للديار المصرية في أوائل رمضان الماضي * فلم يلبث ان توفي فجأة ليلا وهو في مركبته يقصد زيارة أحد نظار الحكومة والناس يقصدون داره لتمنيته فاستحال السرور بالمنصب عند أهله حزنا وتحولت تهنئتهم به تهزية لهم عنه وضيع جنازته مع العلماء والوجهاء نظار الحكومة وبعض كبار حاشية الأمير وصلي عليه في الجامع الازهر ودفن في قراقة المجاورين وكان ذلك اليوم موعد نشر خبر تعيينه مفتيا في الجريدة الرسمية فلم ينشر

آل الرافعي في غنى عن التعريف فعلموا أنهم وأدباؤهم وخدمة الحكومة منهم كثيرون في وطنهم (سوريا) ومهاجر الكثيرين منهم (مصر) وكان الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى كبيرهم في العلم والوجاهة ومن ذوي الدرجة الاولى في الازهر . ومما كان يمتاز به على أكثر الشيوخ البحث في الامور العامة وكثرة السؤال عن أحوال الدولة . وكان بعيدا من الفتن والخوض في الناس وقورا مهيبا المجلس ذا أخلاق شريفة حافظا للكرامة العلم محترما عند أهل الدنيا كاحترامه عند أهل الدين . تفعمده الله تعالى برحمته ورضوانه وأحسن عزاء ولده وأهله وأمرته الكريمة عنه

﴿ إحياء سنة ازهرية ﴾

كان من عادة أهل الازهر اذا مات عالم منهم أن يجتمعوا في الازهر يوم الجمعة بعد موته لقراءة ختمه يهتدى ثوابها الى روحه ولا نشاد المراثي التي يرثيه بها الشعراء منهم فأبطل الاصلاح هذه العادة مع عادات أخرى مثلها ولكن شيخ الازهر الشيخ عبدالرحمن الشرييني أمر بالعود الى هذه العادة التي سماها المؤيد « سنة حسنة » فاجتمع الازهريون لرثاء الشيخ عبدالقادر الرافعي في الجامع الازهر رحمه الله تعالى وحضر الاجتماع خلق كثير فقراء وأنشدوا مرثيه لبعض الشيوخ ثم وزعوا على الحاضرين شيئا من الحصى والزبيب كان يتناثر منهم في المسجد وهو من تمام سنتهم التي أحييت بعد أن ماتت وانه ليغلب على ظني أن الرافعي رحمه الله تعالى لو كان حيا واستشير في احياء هذه السنة لشار بعد احيائها ولما سماها سنة حسنة بل بدعة سيئة واذا كانت أمثال هذه السنن صارت تحيا بعد موتها فبشر المسلمين بحياة العلم والدين ،



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

الحكمة
١٣١٥

فيشر جادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للسلام صوته مناداة كنار الطريق)

﴿ مصر - ١٦ شوال سنة ١٣٢٣ - ١٣ ديسمبر (ك) سنة ١٩٠٥ ﴾

الدين في نظر العقل الصحيح

الشبهة الثالثة - مريم أخت هارون

قال تعالى حكاية عن قوم مريم عليها السلام في خطابهم لها « يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءاً وما كانت أمك بغياً » . قال المسيحيون (ولا تجد كتاباً لهم في الطعن في الاسلام خالياً من ذلك) إن القرآن هنا نص على أن مريم هي أخت لشخص يسمى هارون فتكون هي مريم أخت هارون وموسى النبيين عليهما السلام وعليه يكون القرآن قد دل على أن عيسى عليه السلام ابن أخت موسى فيكونان معاصرين . فانظر الى هذه البراهين المفحمة ، والأقيسة المنطقية المدهشة !! هل يلزم من كون مريم أم المسيح لها أخ يسمى هارون أن تكون هي مريم أخت موسى ؟ أما رأيتم أنه قد يوجد في بيت أبٍ وابن وأخت له وتكون أسماؤهم كاسماء أشخاص من بيت آخر ؟ قد رأينا ذلك كثيراً ولكننا ما رأينا أحداً يقول إن هذا البيت هو البيت الآخر بعينه . فما بالكم خرجتم عن العقل في مسائل الدين !! هل ورد في القرآن أن هارون هذا هو هارون النبي أخو موسى أم ورد فيه أن مريم العذراء هي أخت موسى الذي جاء بالتوراة ؟ ألم يقل القرآن الشريف بعد ذكره التوراة وأنبياء بني اسرائيل التابئين لها في سورة المائدة « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم » فإذا كان هنا نص على أن عيسى عليه السلام أتى بعد جميع أنبياء بني اسرائيل التابئين لموسى فكيف تستنتجون منه أن عيسى معاصر لموسى ! ولما يذكر المسيح في القرآن إلا بعد ذكر موسى أو أنبياء بني اسرائيل فليق الله المنصفون .

هذا وإذا علمنا أنهم لا يعرفون اسم أبي مريم عليها السلام بالجزم حتى سماه بعض الأناجيل القديمة التي رفضوها يهيو ياقيم علمنا كيف أنهم يجهلون نسبها فلا غرابة إذا جهلوا أختها يسمى هارون . بل اختلاف أناجيلهم في نسب المسيح اختلافاً أنهم منذ وجودها في التوفيق بينها يجهلون لأنبياء بما يعرفونه عنه وعن أهله

عليه السلام . ولا حاجة لنا بتأويل بعض مفسرينا الذين قالوا ان هرون كان رجلاً صالحاً فجعلت أخته في الصلاح والتقوى أي أنها مثله في ذلك أو كما يقال أخو العرب وأخو الحرب

الشبهة الرابعة - السامري

قال تعالى في حكاية عجل بني اسرائيل (وأضلهم السامري) فقال المسيحيون ان السامري هذا الذي ذكره القرآن هو من السامريين وهو لا، لم يوجدوا الا بعد موسى بعدة سنين . ولكننا نطالبهم بالدليل على هذا الزعم الفاسد وكيفية استنباطهم له . وهل اذا جهلنا أصل هذا اللفظ يحملنا الجهل على أخذه من لفظ السامريين فنقول أنه واحد من تلك الفرقة وبعد ذلك نبي عليه ما نبئ من الاوهام، فكم في الكتب المقدسة من ألفاظ لا يدرك اشتقاقها ولا تعرف أصولها . ولم لا يكون ما ورد في القرآن منسوباً ببلد غير ما عرفنا من البلدان ؟ وهل يمكنكم الجزم بأنه لم يسم بلفظ سامرة غير سامرة فلسطين مع علمنا بخلاف ذلك . وفي البلاد القديمة أيضاً ما يسمى (سام راه) أو (سمرا) (١) ويجوز أن يكون (السامري) نسبة لبيت رجل من بني اسرائيل يسمى (شامر) مثلاً (٢) وهذا الاسم وما يشابهه له وجود في أسفار العهد القديم أنظر (١) أخبار الأيام ٧: ٣٤ و ٨: ١٢) واذا تذكرنا أن الاسماء المعربة تتغير بالتعريب تغيراً يبعد بها عن أصلها أحياناً (٣) كما في عيسى بالنسبة ليشوع (بالشين) ويحيى بالنسبة ليوحنا ويونس بالنسبة ليونان وغير ذلك فانتنا لا نستغرب نسبة (السامري) الى شامر بل لا نرى من الغرابة أن نجعل الأصل المعرب منه هذا اللفظ بالمرّة فانظر الفرق بين لفظ عيسى ويشوع مثلاً . وما قيل في هذه الآية والتي قبلها يمكننا أن نرد بمثله اشتباههم في لفظ هامان الوارد في

- (١) المنار : صرح بعض المفسرين بأن السامري منسوب الى بلد اسمها سامرة
- (٢) أكثر الالفاظ التي هي في العبرية بالشين المعجمة تذكر بالعربية اذا نقلت اليها بالسين المهملة فسامرة فلسطين عبريتها شوميري واسم موسى عندهم بالمعجمة
- (٣) ليس هذا خاصاً بالعربية فالفرنجة أشدّ تغييراً وتحريفاً للالفاظ المنقولة الى لغاتهم

القرآن في قصة فرعون .

ويمجوز أيضاً أن يكون السامري لقباً لشخص من بني اسرائيل ومعناه الحافظ وأصله من لفظ شمر المبري الذي معناه حفظ . فاذا كانت كل هذه الاحتمالات جائزة قريبة فكيف يجزمون بخطأ القرآن في ذلك ؟

الشبهة الخامسة - غروب الشمس في العين

قال تعالى في قصة ذي القرنين « وجدها تغرب في عين حمة » أي الشمس فقالوا ان القرآن يدل على أن الشمس تغرب في نفس الأرض وتجاهلوا أن في مثل هذا المقام يقول القائل في كل لغة (رأيت الشمس تغرب في البحر) مثلاً مع أن القائل قد يكون أعلم الجغرافيين والفلكيين وإنما يعبر هذا التعبير بحسب ما يبدو لنظر الواقف على ساحل البحر . والقرآن الشريف إنما نسب الأمر إلى ذي القرنين فقال وجدها اشماراً بأن ذلك هو ما تخيله بصره فما أحسن هذا اللفظ في مثل هذا المقام . ولو كان الكلام في مقام التكوين والخلق ونص القرآن على أن الشمس تغرب في جزء من الأرض لكان لهم الحق في هذا الانتقاد . على أنه تعبير معروف عند كل الناس حتى المتقدين

ويناسب هذا الموضوع أن نشير إلى ما قاله العلماء في مسألة جريان الشمس بما يؤيد ما ورد في الكتاب العزيز « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » فقد اتفقت كلماتهم على أن الشمس وجميع ما حولها من السيارات تجري في الفضاء إلى حيث لا يعلم أحد وهذا يوافق كل الموافقة ما قاله القرآن الشريف من غير زيادة ولا نقصان

الشبهة السادسة - آزر أبو إبراهيم

قال تعالى في إبراهيم عليه السلام « واذ قال إبراهيم لأبيه آزر » فاعترض على ذلك دعاة المسيحية قائلين ان ما ورد في التوراة هو أن أبا إبراهيم يسمى تارح فنأين أنى القرآن بآزر : قلنا اننا قد تكلمنا على ما يسمونه بالتوراة بما لا يمكنهم الرد عليه . ثم ان القرآن لم ينكر هذه التسمية وورد اسم آخر فيه قد يكون بسبب

أن الرجل مسمى باسمين أو أحدهما لقب له كما يقولون هم أنفسهم لرفع التناقض المالى كتبهم في أسماء كثير من الأشخاص . ولكننا لانكتفي بذلك بل نبين لهم أصل هذه التسمية الواردة في القرآن ليعلموا أنه لو كان اخذ ما أتى به من كتبهم كما يهذون لما خالفها في مثل هذه الاشياء البسيطة خوفاً من أن يقع في نخطئة منهم لا حاجة اليه بها ، وكان في أمن منها لو وافق على ماورد فيها .

آزر لفظ قديم معناه النار وأطلقه قدماء الفرس والكلدانيين والاشوريين على كوكب المريخ لظنهم أنه من نار ثم عبده في صورة عمود وصاروا يلقبون الاشراف منهم بهذا اللفظ (آزر) تبركابه وقد وجد كثيراً في كتابات البابليين أيضاً . وعليه قال العلماء ان آزر هو اللقب الوثني لأبي ابراهيم ويوافق ذلك ماورد في تفسير البيضاوي وغيره من أن آزر اسم للآله الذي كان يعبده قبل فيما أتى به القرآن بعد ذلك أدنى شبهة . بل أليس فيه حجة على صدق النبي الامي وخصوصاً اذا لاحظنا أن التوراة لم يرد فيها هذا اللقب ولا في التلمود الذي سماه (زاراج) فمن أين أتى القرآن بذلك لولا وحي الله ؟

الشبهة السابعة - جبل الجودي

قال تعالى في سفينة هود عليه السلام « واستوت على الجودي » فقال بعضهم المذكور في التوراة أن اسمه (أراراط) ولم يرد لفظ « جودي » فيها فمن أين أتى به القرآن ؟ ونجيب عن ذلك بأننا لانعاباً بكتبهم لما ذكرناه سابقاً ثم نبين أصل ما ذكره كتاب الله . هذا الجبل يسكن بجواره السكرد (الأكراد) ولذلك سموه بلقهم كاردو أوجاردو وحرفها اليونانيون جوردي ومنه عرب لفظ القرآن جودي « »

« المنار » ان نسخ التوراة ليست مثققة على ان السفينة استوت على أراراط فان السريانية والكلدانية منها صرحت بأنها استقرت على جبل الاكراد وهذا موافق لقول بروزس معاصر الاسكندر الاكبر . أورد هذا في دائرة المعارف العربية وقال : وواقعه أيضاً القرآن الشريف ولا تزال الروايات تشير الى أن الجودي كان مركز الحادثة المذكورة (الطوفان) وهي تسند هذا الرأي الذي ذكره بروزس الى وجود آثار الفلك على قمة ذلك الجبل :

الشبهة الثامنة - الناسخ والمنسوخ

ذهب جمهور المسلمين الى أن القرآن قد وقع فيه نسخ كثير واستدلوا على ذلك بأحاديث آحادية ويفيض آيات وزدت فيه وتقالوا في المسألة حتى أنهم جعلوا جزءا عظيما من القرآن منسوخا . ولم يقفوا عند هذا الحد بل زادوا الطين بلة بأن ادعوا نسخ بعضه بالسنة حتى جرأوا الخصوم على الطعن في الكتاب العزيز ولكن قىض الله لهم في كل زمن من رد عليهم في أكثر هذه الدعاوي أو في جميعها من علماء الاسلام المحققين . فقد ظهر بينهم من أفهمهم معنى أكثر هذه الآيات وأبان لهم أن لا ناسخ ولا منسوخ فيها بالدليل الذي لا يقبل الرد مثل الامام الشوكاني وغيره وقام الامام الشافعي رضي الله عنه وأبطل دعوى نسخ الكتاب بالحديث . وذهب أبو مسلم الاصفهاني المفسر الشهير الى أنه ليس في القرآن آية منسوخة وخرج كل ما قالوا أنه منسوخ على وجه صحيح بضرب من التخصيص أو التأويل ونقل عنه الفخر الرازي آراءه في ذلك في تفسيره المشهور . ومن العلماء المتأخرين الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فقد كان يدحض كل دعوى بالنسخ في أي آية فسرّها بالحجة الواضحة والبراهين الظاهرة وقال في أحاديث الآحاد أنها ظنية يحتمل أن تكون مكذوبة من بعض رجال السند المتظاهرين بالصالح الخداع الذين حتى أن بعضهم تاب ورجع عما كان وضعه ولولا اعترافه به لم يعرف فما يدرينا أن بعضهم مات ولم يتب ولم تعرف حقيقة حاله وبقي ما وضعه رائجا مقبولا لم يظن في سنده أهل النقد . وتبعه في كل آرائه هذه الاستاذ الرشيد حفظه الله . ولولا خوف التطويل لنقلت عنهم آراءهم في جميع هذه الايات . فليراجعها في كتبهم وليتدبر القرآن بنفسه من أراد أن يهتدي الى الحق

والخلاصة أن مذهب النسخ في القرآن ليس من العقائد الاسلامية في شيء .
بمعنى أن المسلم يمكنه أن يفهم كتاب الله ويكون مؤمنا به حقا بدون أن يحتاج الى القول بشيء مما زعموه البتة . ومن أراد أن يحاججني في ذلك فليبه بالقرآن وحده .

الشبهة التاسعة - هاروت وماروت - السحر - هل سحر النبي؟

وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ - وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ، وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ، فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَمَاهُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ مَالُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ، وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

ذهب كثير من المحققين سلفاً وخلفاً إلى أن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين بالصلاح والتقوى في بابل وكانا يعلمان الناس السحر وبلغ حسن اعتقاد الناس بهما أن ظنوا أنهما ملكان من السماء وما يعلمانه للناس هو بوحى من الله وبلغ مكر هذين الرجلين ومحافظتهما على اعتقاد الناس الحسن فيهما وفي علمهما أنها صارا يقولان لكل من أراد أن يتعلم منهما « انما نحن فتنة فلا تكفر » أي انما نحن أولو فتنة نبلوك ونختبرك أتشكر أم تكفر وننصح لك بأن لا تكفر. يقولان ذلك ليورها الناس أن علومهما إلهية. وصناعتها روحانية. وأنها لا يقصدان إلا الخير كما يفعل ذلك دجاجة هذا الزمان قائلين لمن يعلمونهم الكتابة للمحبة والبنفس على زعمهم: نوصيك بأن لا تكتب لجلب امرأة متزوجة إلى رجل غير زوجها إلى غير ذلك من الأوهام والافتراء: واليهود في ذلك خرافات كثيرة حتى أنهم يعتقدون أن السحر نزل عليها من الله وأنها ملكان جاءا لتعليمه للناس وقد جاراهم في ذلك جهلة المفسرين. فجاء القرآن مكذبا لهم في دعواهم نزوله من السماء وفي ذم السحر ومن يتعلمه أو يعلمه فقال « يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين »

الى آخر الآية فما هنا نافية على أصح الاقوال ولفظ «الملكين» هنا وارد على حسب العرف الجاري بين الناس في ذلك الوقت كما يرد ذكر آلهة الخير والشر في كتابات المؤلفين عن تاريخ اليونان والمصريين وغيرهم وكما يرد في كلام المسلم في الرد على المسيحيين ذكر تجسد الإله وصلبه وان كان لا يعتقد بذلك

والمراد بالشياطين المذكورين قبل ذلك في قوله «واتبعوا ما تتلو الشياطين» خبثاء الانس وأشرارهم كما في قوله «واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم» وقوله «شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض» والذي يبين هذا المعنى في الآية التي نحن بصدد تفسيرها قوله «تتلو» لأن تلاوة شياطين الجن لا يسعها أحد ومعنى تتلو هنا تقص وقوله بعدها «يعلمون الناس السحر» يبين هذا أيضاً اذ لا يتعلم أحد السحر الا من شياطين الانس .

وقوله تعالى «ما يفرقون به بين المرء وزوجه» هو من قبيل التمثيل واظهار الامر في أقبح صورته أي بلغ من أمر ما يتعلمونه من ضروب الخيل وطرق الافساد أن يتمكنوا به من التفريق بين أعظم مجتمع كالمرء وزوجه والخلاصة ان معنى الآية من أولها الى آخرها هكذا:-

ان اليهود كذبوا القرآن ونبدوه وراء ظهورهم واعتاضوا عنه بالاقاصيص والخرافات التي يسمعونها من خبثائهم عن سليمان وملكه وزعموا أنه كفر وهو لم يكفر ولكن شياطينهم هم الذين كفروا وصاروا يعلمون الناس السحر ويدعون أنه أنزل على هاروت وماروت اللذين سموها ملكين ولم ينزل عليهما شيء وأما كانا رجلين يدعيان الصلاح لدرجة أنهما كانا يوهمان الناس أنها لا يقصدان الا الخير ويحذرانهم من الكفر . وبلغ من أمر ما يتعلمونه منها من طرق الخيل والدهاء أنهم يفرقون به بين المجنمين ويحلون به عقد المتحدين

فأنت ترى من هذا أن المقام كله للنم فلا يصح أن يرد فيه مدح هاروت وماروت كما توهم كثير من المفسرين . والذي يدل على صحة ما قلناه فيها أن القرآن أنكر نزول أي ملك الى الأرض ليعلم الناس شيئاً من عند الله غير الوحي الى الأنبياء ونص نصاً صريحاً أن الله لم يرسل الا الانس لتعليم بني نوعهم فقال

« وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذِّكر إن كنتم لاتعلمون » وقال منكراً على من طلب إنزال الملك « وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون » وقال في سورة الفرقان « وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيراً » - إلى قوله - فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً »

واعلم أن السحر لا يغير حقائق الأشياء وإنما هو تخيل وشعوذة وحيل كما قال تعالى في حكاية سحرة فرعون « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » وقال أيضاً « سحرُوا أعين الناس واسترهبوهم » أي أنهم دلسوا عليهم وخيلوا لأبصارهم وأوهوهم صحة ما يفعلون . فأتين هذا من قول كتاب اليهود الذي يقول « وصارت العصي ثماين » كأن المسألة كانت حقيقية .

هذا وإذا لم يكن السحر تأثير حقيقي فلا يمكن أن يسحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى أنه صار يخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله كما افتراه المفسرون اذ لو جاز ذلك لجاز أن يتوهم أنه أوحى إليه شيء وهو لم يوح إليه ولصدق عليه قول الكافرين « ان تتبعون إلا رجلاً مسحوراً » وقد أنكر القرآن عليهم ذلك نفسه وإنما قالوه طعناً فيه ورداً لحجته الباهرة كما قالوا عنه أنه ساحر وكاهن ومجنون وشاعر إلى غير ذلك مما اختلقوه . وأما قوله تعالى « ومن شر النفاثات في العقد » الذي اتخذته المفسرون دليلاً على افكهم فعمناه هكذا :-

النفاثة من صيغ المباعدة كالعلامة والفهامة يستعمل كذلك للذكر والأنثى والنفاثات جمعها والمراد بها هنا النمامون المقطعون لروابط الألفه المحرقون لها بما يلقون من ضرام نائمهم وما ينقشون فيها من سموم وشاياتهم . والعقد كالعقود معنى مثل عقدة النكاح وعقدة البيع وغيرها . كأنه قال تعوذ من شر من يسعى لحل المجتمعات الخيرية والتفريق بين المحبين المتحدين

والدليل على كذب المفسرين غير ما ذكرنا أن هذه السورة مكية وما يزعمونه يدعون أنه حصل بالمدينة فكيف يصح أن يقال نزلت فيه . وهذا التفسير الذي ذكرناه مأخوذ من أفكار الأستاذ الامام رحمه الله تعالى وقد ذكر ما يقار به المحقق

أبو مسلم الاصفهاني ونقله عنه الامام الرازي واستجسبه وذكر مثله المفسر الشهير أبو السمود أيضاً.

فهذه هي أكبر مطاعنهم في القرآن الشريف وأكثرها وروداً في كتبهم وقد اتضح لك مما قررناه واتفق عليه العلماء المدققون أنها كالسراب يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً . بل إن بعضها ليس فيه على القرآن شبهة بل هو له حجة كما يتبين لك من البحث عن أصل لفظي آزر واليهودي مثلاً . وقس على أمثالها مما لم نذكره هنا لشدة سخافته

هذا وليعلم القوم أن ما ذكر في القرآن من المسائل الغريبة كتكلم النملة وسماع سليمان له أن حمل على ظاهره وتسخير الجن له وغير ذلك ليس مما يصادم البداهة العقلية أو يناقض البراهين القطعية . وإنما هو غريب وليس كل غريب مستحيلاً والا لكانت جميع المعجزات مستحيلة وكذا جميع الاختراعات والاكتشافات الحديثة . فمن ادعى أن في القرآن شيئاً مستحيلاً فليهد به الدليل المنطقي الصحيح والاضر بنا بكلامه عرض الحائط واعتبرناه هاذياً

﴿مسألة صلب المسيح﴾

بقي عليّ أن أنبه الناس على ما يفتره هؤلاء الدعاة طعنًا في القرآن في مسألة أخرى وهي دعوى صلب المسيح قائلين أنه وحده هو الذي أنكر صلب المسيح ولم يسبقه سابق إلى ذلك فإن هذه الحقيقة قال بها كثيرون من فرق النصارى الأولين مثل الباسيليديين والسيريتيين والكاريوكراتيين والثانيانوسيين وغيرهم وقد ذكرت أكثر هذه الطوائف من قبل في رسالة لي سميتها (الخلاصة البرهانية على صحة الديانة الإسلامية) فمن شاء فليراجعها . وورد مثل ما قاله القرآن في كتب أخرى كالكتاب المسمى رحلة الرسل وهو يشبه كتاب الأعمال الذي عند النصارى الآن وفيه أخبار بطرس ويوحنا واندراوس وغيرهم ومما ورد فيه أن المسيح لم يصلب وإنما صلب واحد آخر بدله كبروآم العلامة سيل الانكليزي مترجم القرآن عن آخر يدعى (فوتينس) وكذا ما ورد في انجيل برناباس وهو أحد الأناجيل التي رفضها المسيحيون يؤيد ما أتى به القرآن تماماً حتى في ذكر اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم صراحة . وهذا

الانجيل مما كتب قبل الاسلام بقرون . وان ادعى بعضهم أن أحد المسلمين حرقه أجنبيا كيف حرق المسلمون جميع نسخه حتى الموجودة عند النصارى ولم لم يحرق المسلمون غيره من كتبهم على ان المسلمين ما عرفوه الا عنهم وان تعجب فمجب قولهم في مسألة قيام المسيح من القبر على زعمهم: اذا كانت هذه القيامة موهومة فأين جسده اذا . وفاتهم أن موسى عليه السلام الذي مات موتاً طبيعياً بين قومه لم يعرفوا قبره الى الآن ونصت التوراة على ذلك في آخر اسفارها «تثنية ٣٤: ٦» فهل يستبعدون قولنا ان المسيح لم يعرف أحد قبره مع ملاحظة أن التلاميذ فروا من حوله وتفرقوا وتولى الأمر غيرهم ممن لهم غاية وغرض في إخفاء جثته لوقتل لا لطفاء نار المشاحنات والفن ومحو الشغب بين الناس هل يستبعد هذا ولا يستبعد أن كاتب سفر التثنية لم يعرف قبر موسى مع وجود الفرق العظيم بين هذه الحالة وتلك ؟

لا يبعد أن يكون ما يقصه النصارى علينا هو من قبيل تلفيق روايات التمثيل وغيرها مما كتبه الناس قديماً وحديثاً . ومثل هذه التلفيقات كان شائعاً في العصر الاوّل المسيحية حتى أن كل طائفة من طوائفهم ألقت أناجيل ورسائل كثيرة ونسبتها الى المسيح وتلاميذه لتأييد آرائهم وهم باقرارهم برآء منها . فيجوز أن تكون هذه القصة مما كتب في أواخر القرن الاول أو في القرن الثاني . وقد خالفها يومئذ طوائف كثيرة كما خالفوا في مسائل أخرى كالتجسد والتثايت . وها قد أخذ الحق بمحضه الآن بينهم بعد أن صار الباطل أجيالاً عديدة وأخذ الناس يدخلون في عقيدة التوحيد والتعزية أفواجاً أفواجاً وانتشرت أفكار الموحدين في أوروبا وأمريكا وأوشك سراج الحق يكون وهاجاً .

﴿ اعادة برهان النبوة باختصار ﴾

عند هذا الحد أقف بالقارئ . وقبل أن أتركه أكرر عليه مرة أخرى بغاية الإيجاز برهان النبوة لعلمي أنه الآن يمكنه أن يدركه ادراكاً حقيقياً أكثر من ذي قبل فأضعه تحت نظر عقله مختصراً كي يجول بسهولة في انحنائه ويحيط بأطرافه وأرجو من المخالفين أن يمعنوا النظر في جميع مقالاتي هذه ايمان من يريد أن يكتب للناس

ردا عليها لأنهم يصيرونهم بأنفسهم لأجل ما ورثوه عن آبائهم . فإن الحق أحق أن يتبع (وإمتاع الحياة الدنيا في الآخرة لا قليل) . وهاك البرهان، موجزا بقدر الامكان:

رجل يتيم، فقير، أمي، لم يشتغل بما كان يشتغل به قومه من الشعر أو الخطابة ومحورها، لم يهد عليه الكذب في صفه، نشأ في وسط الجهل والوثنية، فأتى العالم محتاج إلى الإصلاح بعقائد صحيحة أشار إلى براهينها وعبادات وشرائع وأخلاق وحكم وقصص مفيدة ومسائل علمية لم تكن معروفة وأخبار ببعض مغيبات تحققت وأخرج العرب من أحط دركات الهرطقة إلى أعلى سلم من المدنية في مدة قليلة . ثم انتشر إصلاحه في العالم بسرعة لم تعهد . ولم يوجد فيما أتى به شيء يقطع العقل بطلانه إلى الآن بعد مضي ألف ومئين من السنين . بل أخذ الناس المرتقون يستصوبون أعماله وأقواله ويفهمون أسرارها . أتى بجميع ذلك في عبارات خارقة للعادة في بلاغتها، ومخالفة للمعهود في أسلوبها، وطلب من البشر أن يعارضوه في شيء مما أتى به ويستعينوا بمن شاءوا فلم يقدم على ذلك أحد ونجح، بل أذعن جمهورهم ومن شذ افتضح، ثم هو لم ينغمس في الملاذ والشهوات والترف كما بينا ذلك فيما مضى بل كان أبعد الناس عنها

فكيف لا يضر الإنسان على غلطة مقطوع بها في قرآنه مع علمنا بحاله وكيف لم ينجح أحد في معارضته إلى الآن كما أنبأ بذلك . فلم يأت بشر بشيء مثل جزء من كلامه لفظاً ومعنى ؟

فماذا يجيئون أيها المبطلون، وكيف تعلمون ذلك أيها الواهمون ؟؟ ولنجمع هنا آيات القرآن، الدالة على ذلك البرهان، إتماماً للفائدة، وبياناً لكونه حجة الله على الناس كافة

« ألم يمدك يتيماً فأوى * ووجدك ضالاً فهدى * (١) ووجدك عائلاً فأغنى *

(١) المنار الضلال في اللغة أنى تخطى الطريق وقد كان النبي قبل النبوة لا يعرف طريق الإيمان والشرع فهده الله إليه كما قال تعالى « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا »

وما كنت ثلوا من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذا لا رتاب المبطلون * وما علمناه الشعر وما ينبغي له * فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون * هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين * قد جاءكم رسولنا بين لكم على فقرة من الرسول أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير * أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين *

وليلاحظ القاريء أني أوردت هذه الآيات على هذا الترتيب . لتكون كل دعوى من البرهان السابق مؤيدة بشيء من القرآن . فأعظم به من كتاب جمع فأوعى ، وأكرم به من نعمة من الله كبرى ، قشعت غياهب الظلام ، وأنارت قلوب الأنام بضياء الاسلام ، فبلغ الله عنا محمدا أزكى السلام في البداية والختام ،

﴿ ختم المقال بذكر شيء من كتاب الله تعالى ﴾

إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار * ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته . وما للظالمين من أنصار * ربنا إنا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا ، ربنا فاعف لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار * ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة . إنك لا تخلف الميعاد * فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى . بعضكم من بعض . فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لا كفر عنهم سيئاتهم ولا دخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب *

(محمد توفيق صدقي)

الطبيب بسجن طره

﴿ المنار ﴾ السبب في كتابة هذه المقالات هو أن كاتبها كان يحب البحث

عن كل ما يعرض له من الشبهات على الدين وهو تلميذ في مدرسة الطب وهذه الشبهات مصدران التعليم الجديد ودعاة النصرانية الذين يمرضون لتلاميذ المدارس بأبلغ مما يتصدون لغيرهم وكان له رفيق في المدرسة اسمه عبده أفندي إبراهيم عرفانها منذ سنين اذ كانا يرجعان اليافي بعض مباحثها ويعرضان علينا أهم ما يشبه عليهما كمسألة الروح والبعث وغير ذلك . وكنت أظن أنه لا يوجد في مصر من طلاب المعلوم الدينية لاجل الاقتناع والاذعان ، والقدرة على الاقتناع والبيان ، الا هذان التلميذان ، وأحدهما مسلم والآخر قبطي ، كانا يأخذان المسألة من مسائل الاعتقاد فيدققان فيها النظر ويتناصفان في المناظرة الى أن يتفقا على ان الحق فيها كذا فما خرجا من المدرسة الا وقد خرج المسلم من شكوكه في دينه ودخل القبطي في الاسلام البرهاني الصحيح (فهو المسلم عن بصيرة تامة وفهم لبراهين الدين وحكمه ثبتنا الله واياه) وهذه المقالات هي صورة اعتقادها الذي هداها اليه ربها بعد اطالة النظر والاستدلال عدة سنين وأكثر ما فيها من المسائل في الألوهية والنبوة وفهم القرآن مقتبس من رسالة التوحيد للاستاذ الامام ومن التفسير المقتبس عنه في المنار ومن مقالات أخرى في المنار لا تقليداً بل اقتناعاً بالنظر والاستدلال . وللكاتب مسائل كثيرة هداها اليها البحث والتنقيب ومراجعة كتب المسلمين والافرنج لاسيما في رد شبهاتهم كما رأيت وهو يدعو من خالفه في شيء مما كتبه الى المناظرة بشرط أن يكون الحكم بينهما الدليل القطعي وما هو الا العقل والقرآن والسنة المتواترة لأن المقام مقام تأييد الاعتقاد وهو لا يكون بأخبار الآحاد ، ولا بتقليد الآباء والأجداد ،

وكأنني ببعض الشيوخ المقلدين وقد أنكروا عليه بعض المسائل التي انفرد بها أووافق بعض العلماء المخالفين للجمهور كمسألة ابن السبيل ومسألة النسخ فالذين الذين منهم يعذره والجامد المتعصب يفلظ عليه وان كان قد خرج بهذه الطريقة من الشك الى اليقين وخرج صاحبه من النصرانية ودخل في الاسلام ، وأن مقاليدهم تقتصر عن ذلك ولوراجعهم في شبهاتهم لما رجع الا بالجهود والاحاد «ومن يضل الله فإله من هاد »

روابط الجنسية * والحياة المالية

﴿ وفلسفة الاجتماع البشري ﴾

وعندنا في خاتمة المجلد السابع بأن نعود في هذا المجلد الى نشر المقالات الاجتماعية والفلسفية وذكرنا هناك بعض الموضوعات التي سبقت الى الذهن عند كتابة تلك الخاتمة ومنها الحياة الزوجية والحياة المالية وكذا الوطنية . وقد حالت الحوادث دون الاكثار من المقالات وسبح القلم سبباً طويلاً في بحث الحياة الزوجية فكانت ست مقالات ورأينا أن نقفي عليه بالكلام في الحياة المالية وكذا الوطنية بعد تمهيد في فلسفة الاجتماع البشري بالايجاز فنقول

خلق الانسان ليعيش مجتمعاً يتعاون أفراده على الأعمال التي هي قوام حياتهم الشخصية والنوعية واظهار استعدادهم الانساني في استثمار الأرض وإظهار أسرار الكون فأعني بالاجتماع ما هو أوسع من اجتماع الزوجين الذي يشاركون فيه سائر أنواع الحيوان ومن اجتماع النحل والنمل وتعاون أفرادها على ما به حفظ حياة نوعيهما فالحياة الزوجية ليست خاصة بالانسان ولا الحياة الأهلية (العائلية) فمن كان لا يشعر بفائدة لنفسه الا أنه يعمل لياكل ويطعم من يعول من أهل وولد فحياته ان كانت أوسع من حياة الطير فهي لا تصل الى مرتبة بعض الذباب والحشرات (النحل والنمل) فان لهذين النوعين من التعاون على الأعمال المشتركة ما تقصر عنه همة كثير من الناس فما أحقر من يرى وجوده أضيق من وجود الذباب والحشرات

لا تفاوت بين أفراد نوع من أنواع الحيوانات تعلمه كالتفاوت بين أفراد البشر ينسم وجود زيد منهم فيملاً الآفاق ، ويضيق وجود عمرو حتى يضيق به قفص جسمه، يشمر ذاك بروحه الكبيرة أنه خلق لينهض بأمة كبيرة أو ليفيد جميع الأمم، ويحار هذا في خدمة جسده، ويرى نفسه عاجزة عن تغذيته وتوفير لذته، فاذا زدوج فصار له بيت كان همه أكبر، لأنه أعجز عن سياسته وأضر، وبين هذين

الطرفين سواد عظيم لكل منهم سهم من سعة الوجود على قدر قوة الانسانية فيه وضعفها فاذا كثر أصحاب السهام العظيمة في أمة من الأمم اتسع وجودها ببسط سلطانها على الأمم التي قلت سهامها وخف بها ميزانها فينقبض وجود هذه بمقدار اتساع وجود تلك فاما أن تعتبر فيخرج أفرادها من مضيق الحياة الشخصية الجسدية الى مجبوحة الحياة الاجتماعية حتى يتقلص ظل غيرهم عنهم واما أن يكونوا غداء للغالب لا بقاء لهم الا باستبقائه اياهم لحاجته وقد ينكش وجودهم ويتقلص حتى يضمحل وينفى كأن لم يكن شيئاً مذكوراً

أين المصريون الأقدمون، أين الكلدانيون والآشوريون والبابليون، أين الرومان والفرس الأولون، أين هندو أمريكا المريقون،؟ منهم من اندغم وجوده في وجود آخر أوسع منه وأقوى، ومنهم من انقرض وجوده فلا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزا، سنة الله في التكوين والتكوين، «ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»، الذين يتقون أسباب الفساد والزوال، ويصلحون في الأرض بالأحكام والأعمال، «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من والٍ»

قلنا ان وجود الشخص الواحد يتسع ويضيق بمقدار معنى الانسانية في روحه قوة وضعفاً، وان وجود الأمة ينسط وينقبض بحسب كثرة أصحاب السهام العظيمة من سعة الوجود فيها، فهذا هو معنى الحياة المزيعة في الأفراد وفي الأمم فكمال الشخص انما هو في كونه يعمل للامة التي يعتز بعزتها، ويهون بهوانها وضعفها، وكمال الامة انما هو في حفظ ما به كانت أمة وبسطه بحمل وجود غيرها تابعا لوجودها ما به تكون الامة أمة معنى يوجد في كل فرد من أفرادها يربط بعضهم ببعض حتى يكون الجمع الكثير به واحداً وقديمه عنه بالجنسية وهو النسب والبيئة والوطن واللقمة والدين والحكومة وأنت ترى أن بعض هذه المعاني أوسع من بعض فأول اجتماع كان بين البشر يتعاون به أفراد كثيرون على مصلحة الجميع هو اجتماع القبائل البدوية التي تنسب الى أب واحد ثم كانت دائرة الاجتماع تتسع في البشر فتكبر الهمم وتعلو النفوس لشعورها بسعة وجودها وما هي مطالبة به من العمل لحفظ

كون كبير واسع. وكلما اتسعت دائرة الاجتماع تتسع منها فائدة البشر فبعد أن كان امتياز القبائل والشعوب لأجل التماكر والتعابن، صار باتساع ذلك المعنى لأجل التعارف والتعاون، كما قال تعالى «وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا»

إذا كانت الجنسية في الأمة هي النسب كانت بسطتها في الوجود بطيئة. كذلك الوطن إذا كان بلداً محدودة ك مصر أو الشام أو العراق. وليس نشر اللغة وجعلها جنسية بالامر السهل ومثلها الدين إذا كان خاصاً كاليهودية. وأما الحكومة فهي أوسع من جميع ما ذكر وبها تكونت الأمم الكبرى كإمبراطورية الاسكندر والإمبراطورية الرومانية في الزمن الماضي وكالسلطنة العثمانية والحكومات الاستعمارية في هذا الزمان. ولكن الجنسية في الحكومة لا تعد جنسية حقيقية الا اذا كانت الشريعة والقوانين التي يحكم بها الرعايا المختلفون في النسب والوطن واللغة والدين مبنية على قواعد العدل والمساواة بينهم وكان القائمون بها من لفيفهم لا من طائفة معينة منهم. على ان هذا الشرط الأخير انما تشترطه الطوائف والشعوب الراقية في معارج الاجتماع دون سواها وان من الشعوب ما يغلب فيها الشعور بأنها خلقت لتكون محكومة من الغرباء وأن جنسها لا يصلح للحكام.

يكون اتساع محيط الجنسية نافعا للبشر ما قصد بها تكثير سواد أهلها ومشاركة كل من يدخل فيهم لهم في جملة مزاياهم. ومتى قصد الشعب الاستئثار بالمنافع دون من يمتد وجوده اليهم وينبسط نفوذه فيهم كان آفة على سائر الشعوب لا يمدل فيهم ولا يمكنهم من الارتقاء في معارج الكمال الانساني فسنة الله في كمال الشعوب والامم ونقصها كسنته في الأفراد نقص كل منها بالأثرة والغلو في حب الذات حتى لا يتحرك حركة المنفعة ذاته وكمال كل منها بالقصد الى نفع غيره وايصال الخير اليه وجعل المنفعة الذاتية تابعة للمنفعة العامة

فالنتيجة لما تقدم من القواعد أن أكمال الجنسيات وأنفعها للبشر ما كانت أعم وأشمل للطوائف والجمعيات المختلفة في النسب والوطن واللغة والدين والحكومة بأن يقصد بها الخير للجميع والمساواة بينهم في الحقوق وتمكينهم من الرقي الى ما أعدتهم له الفطرة البشرية من الكمال الاجتماعي. وانها لجنسية يتحسر عليها نوابغ

الحكام، وهي موجودة في الملة الإسلامية وإن كان المسلمون من أبعد الناس عنها فهذه الملة هي التي عرفها كتابها العزيز بقوله: «فأقم وجهك للدين خفيًا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون»: الملة الإسلامية تساوي بين المختلفين في الأنساب والأوطان والأديان وتسمح لمن يدخل في حكمها وهو على دينه أن ينشئ في بلادها محاكم لأهل ملته وأبناء جلدته فلا تارمه بأحكامها الزامًا فإن هو اختار حكمها بنفسه ساوت بينه وبين أقرب الناس من بنيتها وأعلى أفرادها مكانة فيها. فهي تدعو جميع البشر إلى التعارف والتآلف في ظل حمايتها وأنه لظل ظليل يباح للمستظل به كل شيء إلا محاولة إزالته أو إزالة فائدته للناس وهي دفع الشر والأذى عنهم وتقريب الخير منهم مع حفظ حريتهم في أديانهم وأعمالهم التي لا تضر سواهم. هذا ما تبذله لكل من قبل حمايتها، واستظل برايتها، ثم إنها تختص من قبل هدايتها في الدين بأخوة روحية، أخص من هذه الأخوة الإنسانية، لأنه يشارك أهلها فيما يؤهلهم لسعادة الحياة الأخرى، فهو أقرب إليهم بالروح ممن لا يشاركونهم إلا في سعادة الحياة الدنيا،

هذه الجنسية هي نهاية ما يمكن وضعه لسعادة البشر كلهم في هذه الحياة ولكن الناس لما استعدوا لها تمام الاستعداد لذلك لم يرعوها حق رعايتها ونفتقد أن سيعودون إليها في يوم من الأيام. تقول يهودون إليها عوداً، دون يقصدون إليها قصداً، لأنها قد وجدت في الجملة مدة قليلة على عهد الخلفاء الراشدين فرقص لها العالم الإنساني وأقبلت عليها شعوبه أيما اقبال ثم طفق نورها ينخبو بما أفسد فيها الأمويون ومن بعدهم ولكنه كان على ضعفه أفضل عند جميع الأمم من كل ما عدها لذلك كان يخرجهم باختيارهم من جنسياتهم إخراجاً، فيدينون لها شعوباً ويدخلون فيها أفواجا،

كانت حكومة الخلفاء الراشدين حكومة عسكرية لأن الدعوة لم تكن أمناً، والسلطة لم تكن استقرت، وكانت على ذلك حكومة عادلة رحيمة فضلتها كل من ذاق حلاوتها على ما عهد من قومه. وكانت حكومة الأمويين في الشرق والغرب وحكومة العباسيين في الشرق الإسلامية في أكثر الفروع ودون الأصول وأعني بالأصول قواعد

الحكومة الأساسية كاتتخاب الحاكم العام وإلزام الأمة بالشورى واتباع الشريعة وكانت على ذلك أفضل من جميع الحكومات التي عرفها الناس قبل الراشدين . ولو وجدت الحكومة الإسلامية على حقيقتها في دولة آمنة مطمئنة لاختارها كل من عرفها من الراقيين ، حتى تكون ملاذ البشر أجمعين ،

سيقول الجاهلون بحقيقة الاسلام ان هذا من غلو المسلم المدعن وياتون على ذلك ببعض الاعمال والتقاليد التي انتقدت على المسلمين والتي لعل علم بشباهتهم لكثرة ما بلوت من أمثالهم وما كشف تلك الشبهات عليّ بعير ولكن القول قلما يقنع الجاهل لاسيما اذا كان متعصباً لرأيه ، غير محيط بتفصيل ما عند خصمه ، لست أعجب ممن نشأ في دين يعادي الاسلام اذا هو أنكر مزايا الاسلام الظاهرة ، وأصوله الواضحة ، بله المزايا التي فقدت من المسلمين ، فلا أثر لها الا في ثنايا آيات الكتاب المبين ، إنما عجبني ممن نشأ في المسلمين وهو منهم ثم هو يجهل مكان الجنسية الإسلامية الواسعة العامة لجميع الشعوب والطوائف ، الشاملة لجميع الخيرات والحوارف ، فيدعو الى جنسية الوطن كبعض أحداث المصريين أو جنسية اللغة والنسب كبعض جهلة الترك . فمثل هؤلاء كمثل من يهلم مصرا ويبنى قصرا ، بل هم أضيّق وجودا وأضعف فكرا ،

يعد في مثل هذه الدعوة القبطي في مصر والأرمني في بلاد الترك والاسرائيلي في فلسطين لأن السلطة في أيدي غيرهم فلمهم الحق في أن يطلبوا مساواتهم بسائر أبناء بلادهم . على أن وجود هذه الطوائف القليلة العدد أوسع من وجود دعاة الوطنية والجنسية فانهم يطمعون في الاستقلال ببلاد أكثرها لغتهم فهم يطلبون سعة وامتدادا ، ودعاة الوطنية والجنسية منا يغنون ضيقا وتقلصا

لولا جنسية النسب لما تمزقت السلطة الإسلامية في ريعان شبابها فكانت عباسية في الشرق أموية في الغرب فاطمية في الوسط والشريعة واحدة والملة واحدة ولما كان بين ذلك من ملوك الطوائف ما كان . لولا جنسية اللغة والوطن لما تفرق المسلمون بعد ذلك الى دول وممالك كالتركية والفارسية والافغانية وما كان قبلها في الهند من السلطنة التيمورية وغيرها في المشرق وكالعبانية في شمال افريقية

الغربي وغير ذلك مما كان في قلب هذه القارة الاسلامية التي استولت عليها أوربا الا قليلا. ولوعقل المسلمون معنى الحياة المالية، لكانوا في هذه الممالك كلها أحسن نظاما ووحدة من الامبراطورية الانكليزية

ان الحياة الوطنية الصحيحة هي جزء من الحياة المالية الاسلامية فاذا حيي المسلمون في قطر ما حياة اسلامية فبشر جميع دعاة الوطنية الصحيحة من أهل الملل التي تعيش معهم بجميع ما يطلبون من عدل وحرية ومساواة وتعاون على درء المضار وجلب المنافع وكل ما به تفرح البلاد وتزيد خيراتها، وبشر المسلمين منهم بأن سيكونون مركز الجاذبية العامة لجميع الشعوب المسلمة في الارض ثم مشرق المدينة الفضلى لجميع العالمين

يا لله العجب ! ثلاث مئة مليون أي ثلاث مئة ألف ألف من المسلمين قد اكتظ بهم قلب الارض من مرا كش الى الصين ولا تجد لهم قوة ولا سلطة عزيزة لا يعبث باستقلالها عابث، ولا يلبس شرفها لامس، أرأيت لو كان لهم حياة مليّة، تشعروهم بحقيقة الأخوة الاسلامية، أما كان يمتز بعضهم ببعض ويعد بعضهم بعضاً ولو امدادا معنوياً؟ أكان يسهل على الناقم من شعب من شعوبهم أن ينتقم منه بغياً وعدواناً وهو يعلم أن قلب الارض يخفق للعدوان عليه خفقاناً لا يستهان به؟

ما هو المرض الذي أضف في المسلمين هذه الحياة المالية العليا؟ هو عصبية الجنس واللغة والوطن وهي العصبية التي حاول الاسلام القضاء عليها فلما غير الملوك شكل حكومته الى ضدها تمكنوا من محاربه مجنسياتهم فما أفسد علينا ديننا ودينانا الا الملوك المستبدون وأعوانهم من علماء السوء وتلك سنة قد دخلت في كل أمة قال فيها الشاعر

وهل أفسد الدين الا الملوك وأحبار سوء وورهبانها

هل من سبيل الى اضعاف هذه النزعة الجنسية الخبيثة وإمالة هذه النزعة الوطنية الحقاء من طريق الحياة المالية الاسلامية واشعار المسلمين في جميع الأقطار بحقيقة الرابطة التي تضم بعضهم الى بعض اشعاراً بملك الوجدان وتصدر عنه

الأعمال التي توثق هذه الرابطة وتؤكد ما فيها من حقيقة الأخوة مع بقاء كل قوم منهم في بلادهم وتعاونهم مع سائر أهلها على عمارتها بالعدل والاحسان والتوادد والاخلاص؟ السبيل واضحة وهي جبل الله المتين وسراجہ المنير ولكن السياسة والجهل عقبتان كؤدان من دونها يصدان السالك عن المضي فيها ولا يذلل المقبات الا هم الرجال فأين الرجال؟

السياسة المانعة من حياة المسلمين المالية نوعان سياسة أجنبية وسياسة مسلمية وان أهل البصيرة من المسلمين لعل خلاف في أيهما أشد وطأة فالذين يحكمهم الأجانب يعتقدون أن حكاهم أعداء دينهم فهم وحدهم العقبة في طريق رقيهم في هذه الحياة . والذين يحكمهم المسلمون يعلمون أن حكاهم بجهلهم وبماتيمهم وتبلم من عشق الاستبداد والسلطة المطلقة التي لا تكون الا لله هم العقبة الكبرى في طريق الحياة المالية بالاعتصام بجبل الله المتين، والاهتداء بكتابه المبين، والجمع بذلك بين مصالح الدنيا والدين ،

ومن عرف الحكومتين ، وعجم عودي السياستين ، فهو أعلم بالحق ، وأجدر ببيان الفرق ،

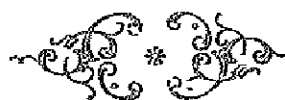
الأجانب الحاكمون في بلاد المسلمين منهم القاسي الخائف ك هولندا وفرنسا ومنهم اللين المتساهل كما نكثروا ولم يبلغ أشدها جورا ومنعاً للمسلمين من التعليم والترقية أن يحجب عنهم من كتب العلم والترقية ما يحرمه عليهم بعض الحكومات الإسلامية أو المسلمية ولكن محبي الإصلاح من المسلمين يرجون أن يغلبوا حكوماتهم ويلزموها بالعدل والمساواة وترقية العلوم والعقول وحرية الاجتماع والخير ويرون الأجانب عقبة في طريقهم فان إكراه الحكام على ترك الاستبداد لا تتمكن منه الأمة المستعدة له الا بثورة داخلية والمسلمون يعتقدون ان الأجانب يتر بصون بهم الدوائر فاذا هم ثاروا على حكومة من حكوماتهم المستبدة اغتتم الأجانب هذه الفرصة فأوقعوا بالدولة وقضوا عليها فالأجانب عقبة في طريق المسلمين أينما ساروا وتوجهوا لافرق بين بلادهم المستقلة وبلادهم المستعمرة . وهذا هو السبب في مقت عامه المسلمين اسكل من يتكلم في عيوب الدولة العثمانية ولو كان صادقا قاصدا للإصلاح فانه

في الغالب يعتقدون ان اظهار عيوبها عون للاجانب عليها وقد يكونون مخطئين في اعتقادهم هذا وأنى لنا بالرجال العارفين الذين يكشفون للعامة عن وجه الصواب فيعرفونه معرفة اذعان ؟

المرشدون الرسميون فينا جاهلون بشؤوننا وسياستنا وعون للحكام كيف كانوا لأن لهم سهماً من سلطتهم وأصحاب الجرائد منا لا هم لأن كثرتهم الا الازدلاف الى الحكم ، والمخطوة عند العوام ، على أنهم لا حرية لهم في بلادنا المستقلة تمام الاستقلال ، ولو كانت هناك حرية لوجد من يفيد لاسيما في البلاد العثمانية فان البلاد لم تخل من العقلاء المحلصين .

هذا شأن السياسة في صدحى الإصلاح الحقيقي عن السعي اليه في طريقه وأما الجهل فلا حاجة الى بيان وجهه القبيح فان ضرره ما لا ينكره أحد في جملته ولا يتسع هذا المقال لتفصيله ،

لانيأس من روح الله ولا تقنط من رحمته فان حوادث الزمان تعمل لنا مالا نعمل لأنفسنا ، ورب عدوان علينا لأجل إيمانتنا ، يكون سبباً من أسباب حياتنا ، بينا في الجزء الماضي ان الحرب الروسية العثمانية قد أحدثت في المسلمين هزة حيوية كما قال حكيمنا رحمه الله وقد رأينا أثر هذه الهزة في هذا الشهر عند ما علم المسلمون بتهديد أوروبا للدولة العلية واحتلال أسطولها المختلطة لجزيرة (مدالي) لمل الدولة على تمكينهم من ادارة الولايات المكشونية حتى ان بعض فضلاء المسلمين في الهند (هو القاضي أمير علي الشهير) كتب الى التيمس أشهر الجرائد الانكليزية يبين سوء تأثير عمل أوروبا في نفوس المسلمين كافة ويندر بسوء العاقبة . على أن الشدائد والبلايا انما تكون محيية اذا عرفت الأمة كيف تستفيد منها فلندع لها أثرها وفعالها الطبيعي ولنبحث فيما يجب علينا أن نعمله لحياتنا المالية ، وكيف نجتنب مكافحة السياسة ومنازعة الجهل وهو ما نبينه في مقال آخر



بَابُ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ

الدعوة الى الاسلام

الدعوة حياة الأديان والمذاهب والجمعيات وغيرها من الأمور العامة التي يراد تكثير سواد أهلها فبالدعوة ينتشر الباطل ويظهر، وبترك الدعوة ينطوي الحق ويخفى، وأشد أهل الأديان عناية بالدعوة إلى دينهم النصارى فها من مذهب من مذاهبهم المشهورة إلا وله دعاة في جميع الأقطار تنفق عليها الجمعيات الدينية مما تجمعها من أغنيائها ودول أوربا تحميمهم أينما كانوا، ويتبعهم سلطانها أينما تمكنوا، ولم أر كالمسلمين إهمالا للدعوة . ولولا أن الاسلام هو دين الفطرة الموافق للمصالح المطابق للعقول لارتد عنه في هذا الزمان أكثر المتسبين إليه من العوام الجاهلين الذين لا يسمعون كلمة هداية، ولا يجدون في كثير من الاقطار عزة حماية، ولو أن المسلمين ينعون بالدعوة إليه لدخل الناس فيه كل يوم أفواجا كما كان في أول نشأته، أيام نشر دعوته، ومن أعجب أمر هذا الدين المتين انه ينمو بنفسه، ويجذب الناس إليه بطبعه، « هذا وما كيف لو »

وانه ليسرنا أن نرى نفوس المسلمين الذين أيقظتهم حوادث الزمان قد توجهت إلى أحياء الدعوة الإسلامية وكثر الحديث فيه بينهم، حيث يجدون حرية في دينهم، كبلاد مصر وبلاد الهند . أما هذه البلاد فقد كان الأستاذ الامام رحمه الله تعالى عازما على إعداد فرقة من طلاب الأزهر للدعوة يتعلمون ما ينبغي لها في هذا العصر من العلوم والفنون التي يتمكنون بها من اقناع أصناف المدعويين، وكشف شبهات المنكرين، ولكن ما أحدثه أعداء الإصلاح من الشغب والمقاومة حالت دون ما كان يريد لعل مر يده الشيخ شاكر يوفق إلى ذلك في الاسكندرية اذا استقام على ما عهد به إليه، وان كان يعوزه ما كان المرحوم أقدر عليه، وأما مسلمو الهند فقد انتقل الأمر فيهم من طور الفكر أو التمني إلى طور العمل

والدعوة . وهاك ما جاء في العدد الاخير من جريدة الرياض الهندية التي تصدر بالعربية والأوردية المؤرخ في ٢٥ رمضان الماضي قال

﴿ دعوة الاسلام في السند ﴾

مضت بضعة أشهر على إعلان الجرائد الآريوية (فرقة حديثة من هندو الوثنيين) أنه دخل في دين الوثنية عائلة اسلامية تحتوي ٥٦ نسمة تسكن بلدة لركانه (بلدة في السند) وأظهروا عليه فرحاً شديداً وحسبوا أن هذا هو الخسران المين للإسلام والمسلمين والفوز العظيم لهم وشاع هذا الخبر أسرع من البرق في جميع أقطار الهند وأثر تأثيراً سيئاً في المسلمين وحزنوا حزناً شديداً فمنهم من يكذب هذا الخبر ومنهم من يتعجب منه غاية العجب ويقول من ذا الذي يعبد الله الواحد الأحد الصمد القدير الذي خلق الأرض والسماء ثم يتبع من اتخذ إلهه هواه وكيف يعبد أصناماً حجرية لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له أن هذا شيء عجاب —

ومنهم من يشدد النكير على علمائنا الكرام بأنهم لا يسمعون في تسكين قلوب ضغائن العقول من المسلمين ولا ينفعون بنصائحهم جميع الأنام بل يقصرون مواظبتهم ونصائحهم على الذين يتبعونهم ويحسنون الظن بهم ولا يقدمون على اظهار الشك في أقوالهم ويحبون ان لا يسمعوا غير «سمعنا وأطعنا» قولاً آخر — بل ينهزون الذي يترض عليهم بالالاقاب وبش الخطاب —

فمن الذين أنكروا هذا الخبر وكذبوه أصحاب الجرائد وأعضاء اللجان الاسلامية — فأصحاب الجرائد التمسوا في جرائدهم من المسلمين الذين يسكنون في لركانه وحواليها أن يكتبوهم بأحوالهم

وأعضاء اللجان عزموا الى ارسال الواعظين الى لركانه ليصدقوا هذا الخبر ويعظوا المسلمين المترددين الذين يشكون في الاسلام — فوصل المولوي محمد ابراهيم ومولوي نبي بخش مندوبين من بعض اللجان الى لركانه وكتبوا وكتب بعض المسلمين منها أنه كانت في لركانه عائلة صغيرة من الهند وكانوا هم وأباؤهم وأجدادهم هنديين يعبدون الأوثان ويحرقون أمواتهم ويعتقدون بالعقائد التي يعتقدونها سائر الهنود الوثنيين الا أن جددهم بدلداس صار موظفاً في ديوان السادات أمراء لركانه

واختار مراسم المسلمين كما يختار أكثر الهنود مراسم الهنود بسيدنا الامام الحسين بن علي رضي الله عنه وبنون في المحرم تماثيل مقابرهم ويلبسون الثياب الخضراء ويجمعون الاشرأكات لهذه التماثيل ويقولون انهم فقراء الامام ويندرون لها ندواً كما يفعل المسلمون الجاهلون في شهر المحرم ومن الهنود من لقب بالألقاب الاسلامية كمرزا تفته وغير ذلك فكذا هذه العائلة قد اختارت رسوم جهال المسلمين استرضاء لمواليهم المسلمين واشتهروا بالشيخ واستمروا عليه حيناً من الدهر الا أنهم لم يؤمنوا ولم يدخلوا في حوزة الاسلام قط وكانوا يعبدون الأوثان ويحرقون أموالهم ويرسلون نبذاً من الشعور على رؤوسهم ويستعملون الزناير ويسمون أبناءهم وبناتهم بأسماء المشركين ويتبعون أهل الشرك في عقائدهم وتفردوا بهذا أو بسبب آخر من أقوامهم فسعت الآرية في انضمامهم الى فئتهم ففازوا بذلك وأظهروا في جرائدهم أنهم كانوا من المسلمين

أما العالمان العاملان المذكوران فصما عزمهما على دعوة الاسلام وتبليغه الى الذين لا يعرفون محاسن الاسلام واحياء سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم التي تركها العلماء منذ قرون عديدة فانه صلى الله عليه وسلم كان يذهب تارة الى عكاظ وتارة الى الطائف وتارة يضع مائدة تقريش ويبلغهم آيات الله ويحثهم على طاعة الله ويهديهم الى سواء السبيل ويعظمهم في المجامع العامة التي تشتمل على طوائف الناس من المؤمنين والمشركين -

وعلماء هذا الزمان ما رعوها هذه السنن حتى رعايتها بل حصر واموا عظمهم ونصائحهم في المساجد حيث لا يحضر الا من يصلي ولا يصل وعظمهم الى المسلمين الذين غرقوا في بحار المناهي والمناكر ولا يصل نداء وعظمهم الى من لا يؤمن بالله واليوم الآخر - الا أن هذين العالمين قد أحيا هذه السنة وعملا عليها عملاً حسناً فعمما مواظبها وجددا عزمها الى هداية الذين لا يدينون دين الحق وشرعاني الذهاب الى القرى والبلاد وأنتجت مساعيها نتائج حسنة فاعتنق الدين الاسلامي في أسبوع واحد أربع مائة من الرجال والنساء والصبيان وما زال عدد التاركين الوثنية الداخلين في الاسلام يزداد يوماً فيوماً في هذه الاقطار الى أن بلغ عدد من

أسلم ٨٥٧ نسمة والعالمان المتورعان يجتهدان في دعوة الاسلام وكل يوم تنتظر أن تصل اليها بشارة جديدة يفرح بها المسلمون فرحاً -

يا معشر المسلمين أفلا تنظرون بهين الناقد البصير الى أعمال علمائكم كيف نجحت مساعيهم في برهة من الزمان فها هذا الاتيعة احيائهم سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم فان اختار علماؤنا الكرام هذه الخطة التي عمل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة عمره الشريف رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا -
فعليكم أيها المؤمنون أن تحسبوها تجربة حسنة وتبنوا عليها بناء جيداً فان ارتقاء القوم لما كان يتوقف على تعليم العلوم والصنائع والتجارة وكثرة العدد والعدد عقدتم لتعليم العلوم والصنائع جمعيات عديدة فالاجدر أن تقيموا الدعوة الاسلام جمعية أيضاً يشترك فيه المسلمون كلهم واجتهدوا في نشر الاسلام حق الاجتهاد وانظروا الى معاصريكم من المسيحيين كيف يجتهدون في اشاعة المسيحية وكيف يصرفون عليها قناطير الذهب والفضة كل سنة كما يظهر من رسالة مكاتبنا المكرم التي أدرجناها

وانظروا الى اخوانكم الآرية كيف يجتهد كل واحد منهم في اشاعة مذهبهم التكثير حزبه مع أن معتقداتهم مخالفة للعقل السليم ولا تقاوم الادلة الفلسفية كتعدد الآلهة ومسئلة التناسخ وعبادة آلات التناسل وغير ذلك من العقائد الباطلة وشائنة ولكنهم يجتهدون في تكثير أفراد هذه المذاهب ويفوزون فوزاً تاماً حتى انه لم يبق قرية أو بلدة من الهند الا يوجد فيه عدد من هذه الفرقة الحديثة التي بدت منذ خمس وعشرين سنة

أما دينكم فمطابق لفطرة الله التي فطر الناس عليها وأصوله موافقة للعقل والحكمة والفلسفة فوجهوا وجهتكم الى هذا الأمر الجليل والتفتوا اليه أجل التفات واعقدوا له جمعية جديدة أو خثوا احدى الجمعيات الموجودة عليه لتعمل فيه بالنظام السليم والتدبير المستقيم المستقل وتديم الجهد عليه فالفوز والنجاح بين أيديكم لا ريب فيها ان العالمين المذكورين قد قرعوا هذا الباب وفتحاه لكم وقدموا نتائج مساعيهم الحسنة اليكم ليكون لكم درساً مفيداً - فعليكم أن تنصروها وتدبروا تدابير

حسنة لاستمرار الاعمال التي شرعا فيها -

يا معشر المسلمين اتنبهوا من هذه الغفلة وجددوا عزائمكم وقوا قلوبكم وصمموا نياتكم وقوموا لاجياء قومكم واشاعة دينكم وتكثير حزبكم لتكونوا من المسلمين الصادقين الذين يخبركم نبيكم الامم لكثرة عددكم وقوة عددكم وجهادكم باموالكم وانفسكم واقلامكم واقدامكم واسمعوا بالاخلاص في اعلاء كلمة الله ونشر شعائر الله وافشاء احكام الله واتفقوا واجتمعوا ولا تفرقوا فان يد الله مع الجماعة .» اهـ بنصه مع تصحيح بعض الكلمات

﴿ الدعوة الى الاسلام في اليابان ﴾

كانت الجرائد رددت صدى ما نشر في مجلة (شوكيا) اليابانية عن تصدي حسان المسلم الصيني الدعوة قوما الى الاسلام بتأليف كتاب نشره في تلك البلاد ثم نقل بعضها عن الجزء الصادر من تلك المجلة في أول سبتمبر الماضي شيئاً عن بحث لجنة الأديان اليابانية في ذلك الكتاب وملخصه أن رئيسها كلف المستر كور بما دراسة قسم العبادات من الكتاب والمستر جورافوش دراسة قسم المعاملات والمسترايوا داوا دراسة قسم العقوبات مع اشتراك الجميع في المسائل المويصة من كل قسم . وكتب الى المستر حسان يدعو الى اليابان لماذا كرت في مسائل كتابه فلي وتلقته اللجنة بالحفاوة والاكرام وكان يحضر اجتماعهم . ولما دارت المناقشة في كلمة « لا إله الا الله » قاعدة التوحيد أورد المستر كور بما كل ما في خياله من الادلة النظرية لاثبات تعدد الآلهة ولكن رفيقه مالا الى رأي المستر حسان . ومن رأي اللجنة أن تنشر كل ما تراه صحيحاً من المسائل الاسلامية بعد الاتفاق عليه في الجرائد في صحف خاصة توزع على العامة : وانا نخشى أن يعجز أخونا حسان عن اقناع القوم ببعض المسائل تمسكه فيها بمذهب معين فان الذي نعرفه عن مسلمي الصين أنهم قلما يعرفون من الاسلام غير مذهب الحنفية . ونود أن يستحضر لنا بعض أهل الخبرة هذه المجلة وما عساه يطبع في المناظرة ويترجمه ليتسنى لنا مشاركتهم في بحوثهم نحن ومن يهمه ذلك من العلماء ونكتب اليهم ما نراه مقتضياً لهم ان شاء الله تعالى

﴿مسألة مكدونية وتأثيرها في المسلمين﴾

اتفقت النمسا وروسيا وانكلترا وفرنسا وإيطاليا على إرسال أسطول مؤلف من سفن تهديد الدولة العلية وإلزام السلطان بأجابة ما يطلبن من المراقبة المالية الأوربية في تلك الولايات وقد احتل الأسطول المتحد جزيرة مدالي وأصر السلطان على رفض طلبهن كما قلنا في الجزء الماضي

وكان من بعض أجوبته لسفرائهن أنه لا يقدر على احتمال سخط المسلمين في هذه الحادثة أو ما هذا معناه ففسرت شركة روتر في برقياتها هذه الكلمة بأن السلطان يهدد أوربا أو النصراني بالحرب الدينية وقيام المسلمين عامة على النصراني وأن السفراء فهموا هذا منه وأن سفير الانكليز قال أنه هو المسؤول عن كل ما ينجم من الاعتداء على رعية دولته. والسلطان لم يقصد شيئاً مما زعموا وإنما أراد أن يبين لهم عذره في رفض طلب الدول وهو أن المسلمين يسخطون عليه ويقولون أنه هو الذي أضاع بلاد الدولة

قال روتر كلمته وطيرها بالبرق الى مصر وغيرها فأحدثت في النفوس اضطراباً عظيماً فكثير حديث الناس في المسألة حتى النساء وانتشر الخبر في العامة انتشاراً عظيماً وتوقع الأجنب حدوث فتنة عظيمة إذا تمادى الخلاف بين الدول المتحدة وتركيا المفردة وأنشأت الجرائد تبين ضرر العدوان وفوائد الصفاء والاتفاق. ولكن لم يطل والله الحمد أمدا الاضطراب والاشفاق على الدولة من عدوان أوربا فلم نلبث أن أنبأنا البرقيات بأن الباب العالي اتفق مع الدول على قبول المراقبة بعد تعديل وتخوير فيها فسكنت النفوس مرة واحدة واطمأنت القلوب وسكنت الجرائد عن الخوض في المسألة ووعظ الناس بوجوب السكينة لولا ما حدث في الاسكندرية

حدث في الاسكندرية ان بعض رعاع اليونانيين أطلق الرصاص على آخر فأصاب رجلاً مسلماً فانتصر المسلم بعض العامة ولليوناني من حضر من قومه فانتشرت الفتنة وظن بعض الفوغاء من أحداث المسلمين ان ما يتحدث به الناس من الحرب الدينية قد وقع فنألبوا وكثر جمعهم وصاروا يصيحون في الشوارع الحرب الدينية: ويضربون من يلقون من اليونانيين وغيرهم فجرح خلق كثير وعجز رجال

الشحنة عن قل الجموع وحفظ الأ من قاصر محافظ الاسكندرية بأن يجاء بمطافئ
الحريق فيرش منها الماء في المحشر ففرق الماء تلك الجموع من حيث لم يضر أحدا
منهم ونعم الرأي رأي المحافظ

وقد اتفقت الجرائد العربية والافرنجية على أن الذنب في الحادثة لشرار
اليونان لا للمصريين وروى بعضها أن قنصل اليونان نفى طائفة منهم بالاتفاق
مع الحكومة . وقد قبض على جماعة من المشاغبين لأجل محاكمتهم ويقال ان
الحكومة ستعاملهم بالقسوة وتعاقبهم أشد العقاب عبرة لهم ولأمثالهم
وروت الجرائد أيضاً أن محافظ الاسكندرية أمر الخطباء والوعاظ بأن ينصحوا
الناس بموادة النصارى وغيرهم من المخالفين لهم في الدين ليعلم الجاهلون أن الدين
يأمر بالعدل والإحسان لا بالظلم والعدوان . وقدرت البرقيات والجرائد الأوربية
أن السلطان أمر خطباء الاستانة ووعاظها بمثل هذا . وينكر بعض الناس مثل هذا محتجاً
بأن أهل الاستانة لم يعرفوا من الخلاف بين الدولة العلية والدول ما يعرفه الأوروبيون
والمصريون وان مثل هذا الوعظ قد يضر ولا ينفع لأنه يذبه النفوس الى ما كانت
غافلة عنه ولا تعيننا هذه الآراء وما كان المنار ان يذكر الحوادث الا لبيان العبرة فيها
العبرة في هذه الحادثة من وجوه (أحدها) أن لعامة المسلمين غيرة على دينهم
وعلى سلطتهم وحقاً مامن الشعور بالحياة المليئة العامة ولكن ليس لهم زعماء يخدمون
هذا الاستعداد ، ويستخدمونه بما ينفع الأمة والبلاد ، (ثانيها) ان هؤلاء العوام
لجهلهم بدينهم عرضة لمخالفته بقصد الاهتداء بهدايته حتى يسهل دفعهم الى الفتن ،
وايقاعهم في مزالق الحن ، ولا علاج لهذا الجهل الا التعليم الديني النافع والتربية
الاسلامية القوية ، واذا كانت الحكومة تظن أن القسوة في عقاب المذنبين في
حادثة الاسكندرية تكون تربية لساير العوام وراعاة لهم عن الوقوع في مثل ما وقع
فيه المعاقبون فظننا هذا اثم فان العوام لا يندفعون بالفكر والقياس ، بل بالوجدان
والإحساس ، فاذا حدث في وقت آخر ما يحرك احساسهم للشر ، فانهم لا يتذكرون
ما سبق للمذنبين من العقوبة والضرر ، فعلى الحكومة المصرية أن تعنى بتعميم التعليم
الديني ما استطاعت (ثالثها) ان شرار الاجانب باعتمادهم على الوطنيين

واعتزازهم بحماية حكوماتهم لهم من العدل يحفظون القلوب عليهم ويملاًونها حقدا وضغناً فاذا جاءت أحداث الزمان بالفرصة للتشفي والانتقام، ومقابلة العدوان بالعدوان، كان من ظلم الحكومة أن تنكل برعيتها اذا قدرت، ومن البلية عليها وعلى البلاد ان عجزت، (رابعها) ان بعض الاجانب ينهزون هذه الحركة بقلب اتعصب الديني الذي هو عندهم من الالقاب المقتوة ولو أنصفوا لعرفوا أن كل حركة ضدهم فهم سببها سواء كانت دينية أو دنيوية (خامسها) ان جميع الاجانب يقتنون السلاح ويتعلمون استعماله ويقل في الوطنيين من يقتنيه أو يحسن استعماله والحكومة المصرية تشدد على رعيتها في اتخاذ ذلك مما يحفظ قلوبهم على الاجانب اذ يعتقدون أنهم يستعدون للايقاع بهم ومن مصلحتها أن تقرب القلوب بعضها من بعض بالمساواة وهذا يتوقف على رضا دول أوربا فلعلمن يفكرن في ذلك

وعلى ذكر السلاح نقول ان الحكومة العثمانية في سوريا قد اتقنت التشديد على العلم ومنع الكتب والجرائد خوفاً من حركة الفكر ولكنها لم تنقن منع السلاح فلا يكاد يوجد أحد في بيروت ولا لبنان لا يتخذ بنادق مرتين وغيرها من المدى والمسدسات وبكثر السلاح أيضاً في سائر البلاد وسيم قنسال الله أن يقيها الفتن، ما ظهر منها وما بطن

أبناء الازهر - الشيخ أحمد الرفاعي

هذا الشيخ هو أول من تجرأ على الجهر بمعارضة الاصلاح في الازهر باسم الانتصار للدين ودعا الشيوخ الى ذلك وأجاب دعوته كثيرون لا الاكثرون. وقد كان من عاقبة أمره ما عرفه الناس هنا وخاضت فيه الجرائد وهذا ما نشرته جريدة اللواء (في ع ٨٧٧ الصادر في ١٨ رمضان الماضي)

«من المسائل التي يجب علينا نحن معشر الوطنيين النظر فيها وتلافيها قبل أن ينهبنا إليها الغير تلك الحالة المكذرة التي وقعت من الشيخ أحمد الرفاعي شيخ المقاري. ومعلوم ان هذا الشيخ نال الخطوة السامية لدى الجناح العالي الخديوي عدة سنوات ولم من مرة طاف على العلماء بالعرائض لطلب عزل شيخ الجامع والمفتي وكان الكثيرون يتبعونه وكان يقرأ التفسير في القبة اثناء شهر رمضان. وقد

بلغ من تقربه ان سمو الأمير رشحه لمشيخة الازهر عقب احالة فضيلة الاستاذ العلامة الشيخ سليم البشري على المعاش

«أما الذي علمناه وعلمه الكثيرون فهو ان الشيخ المذكور لما تعين شيخاً للمقاري أقيم ناظراً على وقف مشروط النظر فيه لمن يكون في وظيفته فكان من تصرفه المخالف للشرع الشريف انه أجر لحضرة سمعان بك صيدناوي التاجر الشهير في الموسكي قطعة أرض لمدة ستين عاماً بأجرة زهيدة جداً . ولما بلغ هذا الخبر أولياء الأمور فصاوه عن وظيفته من مشيخة المقاري فأصبح غير ناظر على الوقف ثم أبى الجنب العالي قبوله في السراي العامة كما أنه لم يدعه للافطار في عابدين مع بقية العلماء وسيجري الشأن بابطال عمل الرجل شرعاً وهذا وان كان يريح البال بعد العلم بهذه الحادثة الا ان المجاري الآن من الغرابة بمكان ذلك ان الشيخ لا يزال مدرساً في الازهر

«وغني عن البيان ان وظيفة التدريس خصوصاً في مدرسة كلية مثل الازهر الشريف هي وظيفة سامية لا تسند الا الى الرجل الشريف الطاهر السمعة ولا يليق ان يقول الناس في الخارج على واحد يشغلها . وعندنا أن عالماً حسن السمعة خير ألف مرة من عالم أوسع منه علماً يكون سيء السمعة غير محمود الذكر لأن مثل هذا يكون مثلاً رديئاً لتلاميذه وبه يعتقد الطلبة ان العلم يسمح لصاحبه بخراب الذمة » فهل ترضى مشيخة الازهر أن يهان التدريس الى حد أن يترجع في حلقاته من أي أمراً مخالفاً للشرعية السمحاء (الصواب السمحة)

فان كان الشيخ قد أتى ما أتى وهو عالم بمخالفته الشرع فهذا يكفي لحرمانه من التدريس وان كان أتاه وهو غير عالم بمخالفته فهناك الطامة الكبرى لاسناد التدريس لمن لا يعرف نواحي الشرع وان كان أتاه عن ضعف وكبر فهو غير لائق للتدريس . فهل لمشيخة الازهر ان توجه أنظارها الى ذلك صيانة لشرف العلم والمتعلمين . اه (المنار) كان اللواء أن يلتبس للشيخ عنراً فيما فعل ولو بالطرق التي يسمونها حيلة شرعية وتقول انه بعد هذا قد أقيل الشيخ الرفاعي من مجلس ادارة الازهر الذي عين عضواً فيه عقب ترك الاستاذ الامام له والذين كانوا يمارضون الاصلاح كلهم مثل هذا الشيخ أو دونه



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب

الحكمة
١٣١٥

فمن عبادي الذين يستمعون القول فيتوبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوي وة مناراه كنار الطريق)

﴿مصر الاربعاء غرة القعدة سنة ١٣٢٣ - ٢٢٧ ديسمبر (ك) سنة ١٩٠٥﴾

باب المقالات

الحياة المالية بالتربية الاجتماعية

«هذا ما وعدنا به في مقالة روابط الجنسية والحياة المالية في الجزء السابق» ذهب كثيرون من نابتة الترك والمصريين مذاهب الخيال الذي انعكس الى أفكارهم مما شهدوا من ظواهر مدنية أوربا فحسبوا أن فلاح كل شعب وكل قطر معلول لهلة واحدة هي تقليد أوربا بنشر العلوم الرياضية والطبيعية ونظام الحكومة والأخذ بمبادئ أهلها ويستدلون على رأيهم هذا بما كان من ارتقاء اليابان في نحو ربع قرن بهذا التقليد ومحسبون هذا برهاناً قاطعاً لا سبيل الى المكابرة فيه الا ممن كان أعشى البصيرة جاهلاً بحال هذا العصر وخروراً بحال قومه في حاضرهم أو ماضيهم وكأني بمن تعود منهم قراءة الكلام المقول في المنار وقد أنكر فاتحة هذا القول وساء ظنه بمن سعى هذه القضية البديهة اليقين عنده تخيلاً وحسباناً .

لا تعجلوا بالإنكار عليّ فليست بمنكر فائدة تلك العلوم ولا أقول ان أمة تعز وتقوى في هذا العصر مع الجهل بها وبطرق الاستفادة منها وارجعوا الى أنفسكم فانتم أعلم بها منكم بأوربا واليابان . انكم قد سبقتم اليابانيين الى هذا التقليد فالمصريون منكم قد مرّ على أخذهم بهذا التقليد قرن كامل والترك قد ناهزوا ثلاثة أرباع القرن ولم يدرك أحد من الفريقين غبار اليابانيين الذين لا يزيد سنهم في المدنية على ربع القرن الا قليلاً . فدولة اليابان قد دوخت في بضع سنين أكبر دولة شرقية وأكبر دولة غربية وطفقت ترث الأرض وتستعمر البلاد ، وبلادكم تنقص من أطرافها ، ويفتات عليكم فيما بقيت لكم رسومه منها ، فأى أثر لتقليد أوربا تحمدون ، وأي فائدة له في أنفسكم تعرفون ،

هل يستطيع المصري أن يقول ان حكومتنا لم تتشكل بشكل الحكومات الأوربية فلم يتم لنا التقليد الذي هو علة النجاح ؟ أنى وكل ما عرفته هذه البلاد من نظام أوربا ومدنيتها فهو من حكومتها لا من أهالي ولا تزال الحكومة

أرقى من الرعية تسوقها في كل طريق وتقودها بكل زمام . منح الشعب المصري حرية القول والعمل والاجتماع منذ ربع قرن ولم توجد له جريدة ذات مذهب ملي نافع ورأي اجتماعي ثابت ولا مدرسة كلية بل ولا جزئية يعتد بتعليمها وتربيتها تنظر البلاد الى المتخرجين فيها نظر الرجاء بما ترى من امتيازهم على المتخرجين في مدارس الحكومة فمدارس الحكومة وهي في أيدي الأجنبي ترجح على جميع المدارس الأهلية رجحاناً مبدئياً ، ولم تؤسس فيها شركات كبيرة للزراعة أو للتجارة أو للصناعة نجحت في عملها ، فكانت موضعاً للثقة بها ، ولم يوجد فيها للمسلمين وهم السواد الأعظم غير جمعية خيرية واحدة لاتزال فقيرة بالنسبة الى الجمعيات الخيرية في أوروبا واليابان على ما قاسى مؤسسوها من العناء والبلاء في سبيلها ولا يزال مجلس ادارتها يمحو من دفاترها في كل سنة أسماء كثير من الأغنياء الذين يشتركون فيها وتُر عليهم السنون ولا يؤدون اليها ما فرضوه على أنفسهم لإعانة فقرائهم وأكثرهم من المتعلمين علوم أوربا في بلادهم أو في أوربا نفسها .

وأما الترك فقد ملأ طلاب المدنية منهم الآفاق أنينا وشكوى من حكومتهم وطعنًا في سلطانهم واتي على اعترافي لهم بأنهم في مجموعهم أرقى من المصريين علماء وأخلاقاً وأقوى عزيمه واستقلالاً أقول ما قاله كبير من كبارهم : إننا بطعننا في السلطان وصراخنا بالشكوى من حكومة « المايين » نعترف للعالم علناً بأننا لسنا أمة اذلو كنا أمة لما قدر رجل واحد على أن يفعل فينا ما يشاء ويحكم ما يريد ولما عجزنا عن وضع بناء حكومتنا على أساس الشورى الشرعية اتى فرضها ديننا ورأينا نجاح الأمم بها ، فهو هؤلاء الخائنون منافى السلطان إنما يصبصون على ذقونهم : يريد هذا التركي الكبير ان الشعب لم يرتق الى المستوى الذي يقدر فيه على تغيير شكل الحكومة فهو إذا لم يستفد من تقليد أوربا ما اعترت به أمته وارتقت به دولته بل كان كل خذلان أصيبت به الدولة آثراً من آثار خيانة هؤلاء المقلدين أوربا بالمعبر عنهم بالمتفرنجين فهم الذين اقترفوا جريمة الخيانة في حربها الأخيرة مع روسيا وهم الذين أفسدوا البلاد بظلمهم وبيعهم الدماء أو الحقوق بالرشوة لأجل ارضاء شهواتهم التي استفادوا التفتن بها من مدنية أوربا

لا ريب أن معظم ما أخذناه عن أوربا كان سبباً في زيادة قوذاً فينا واستيلائها على كثير من بلادنا وامتصاصها لثروتنا وقد ضعفنا وماقونا وبسدتنا عن الاستقلال ولم تقرب منه فلماذا كان هذا متسهي حظنا منها وكان حظ اليابان ما نعلم من القوة والمنعة والعزة والثروة؟ وكيف السبيل إلى استخراج لبن هذه المدنية من بين فرتها ودمها أم كيف السبيل إلى نجاح أمتنا فهذه الصين قد أنشأت تقتدي باليابان في إصلاح شأئها وتنظيم حكومتها وهذه روسيا قد وضعت الثورة حكومتها في البرقة لتديها وتنقيها من أوضارها فإذا صلحت حالها تين الحكومتين فإن فساد الأرض ينحصر فينا وحدنا، وإذا جطلنا الكلام في الشعوب والممل، لافى الحكومات والدول، فأننا لا نمهل أننا قد دفعنا من صدرها إلى عجزها، وصرنا إلى ساقتها بعد أن كنا في مقدمتها، فماذا يجب علينا من العمل، قبل أن ينقطع منا الأمل؟

أقول في الجواب يجب أن نكون أمة واحدة تربطنا رابطة واحدة تصل بعضنا ببعض حتى يشعر كل صنف وقبيل منا بل كل فرد بأنه عضو من جسم كبير له حياة واحدة عامة منبثة في جميع الأعضاء. ما دامت الأعضاء متصلة فإذا ما انفصل عضو منها فارقته الحياة إذ لا حياة له في نفسه. وأنا لا نشعر الآن بهذه الحياة وإنما يشعر كل واحد منا بنفسه وحدها فهو يعمل لها وحدها فالمدس والطبيب والمهني والقانوني والمدرس وسائر أهل المعارف هم كالحداد والنجار والزارع والصانع والأجير والخفير وغيرهم من أهل الحرف والصنائع كل واحد منهم يتعلم ليتوصل إلى رزقه وما يتمتع به نفسه وأهله لا يلاحظ مصلحة عامة ولا رابطة جامعة فوجوده لا ينبسط إلى أكثر مما ينبسط له وجود بعض الذباب والحشرات على ما شرحناه في مقالة روابط الجنسية فالعلوم الرياضية والطبيعية والشرعية وغيرها لا حظ فيها عندنا لما يسمونه الحياة الاجتماعية وهي الأمة في مجموعها لا أجزاءها فلو صار كل فرد منا عالماً بفن من الفنون التي ارتقت بها أوربا ونحن على هذه الحال، لما كان ذلك كافياً لجعلنا أمة عزيزة كاملة الاستقلال، قصارى هذا العلم أن ينقل هؤلاء الأفراد من مرتبة الحرف والودع إلى مرتبة الحرف زجاجاً كان أو جوهرًا مع بقاء كل خريزة منفردة عن الأخرى إذ لا ملك

هناك تنتظم فيه ولا ناظم يؤلف بينها في السلك فيجعلها عقدا . وأعني بالسلك هنا رابطة الجنسية و بناظم العقد المربي الاجتماعي لا المربي الصناعي . حدثني محمد توفيق البكري قال سمعت السيد جمال الدين في الأستانة يقول: إن المسلمين لا يتمتعون بشيء من هذه العلوم التي يتعلمونها لأن السلك عندهم منقطع ولا فائدة بدونه: أو ما هذا معناه قال لي البكري وقد فاتي أن أسأله عن مراده بهذا السلك فما رأيك فيه مثل المعلم الفني والمربي الصناعي كمثل من ينظف قطع المدن أو الجوهر لِيُتَفَعَّعَ بها في الجملة ولا يبالي أكانت حبة في عقد أو فصاً لخاتم أو كمثال من ينحت الحجارة النحت الأول لتباع لمريدها فهو لا يبني ولا يعنيه أمر الباني أكان يريد مسجد صلاة أم هيكل أو ثابن . وأما المربي المالي والمعلم الاجتماعي فهو الذي يقيم بناء الأمة أو ينظم عقدها فيجب أن يكون هو الرئيس على معلمي الفنون والعلوم المدير لمدارسهم لأنهم هم الذين يمهّدون له العمل ويهيئون له الحجارة التي يقيم بها البناء فإذا خلت مدارس الأمة من هؤلاء المربين والمعلمين فبشرها بأنها تهيأ أفرادها للدخول في بناء غير بنائها وهكذا نرى الذين تعلموا العلوم والفنون منهم الذين مكثوا الأ جانب منا بنصحهم لهم في خدمتهم، وان لم يصلوا في التشرف بهم إلى أن يجعلوا من بنيتهم، وهكذا تتبدل أحوال الأمم وتتغير أشكالها كما صارت كنائس القسطنطينية مساجد ومساجد قرطبة كنائس

ألا ان حياتنا المالية التي هي سلك اجتماعنا وينبوع سعادتنا لا تنفخ روحها فينا إلا بالتربية الدينية الدنيوية فيجب أن يكون جل اهتمام طلاب الإصلاح منا في الدعوة إلى هذه التربية والسعي لها وإزالة العقبتين اللتين ذكرناهما في مقالة الجزء الماضي من طريقها أعني عاقبة السياسة وعقبة الجهل وكيف يكون ذلك .

كتبت ما تقدم فلم يقف القلم دقيقة ولا لحظة انتظارا لما يمليه الفكر حتى إذا انتهى إلى هذه النقطة وقف ساعة من الزمان ، وكان هذا شأنه في المقالة الأولى . فلم يقف إلا عند نقطة بيان العمل الواجب علينا فكانت وقته خاتمة المقالة .

فما القلم لوقوف الفكر ، ووقف الفكر لأن تصور العاملين حال بينه وبين تصوير مل ، أنتقل من إملاء الواجبات التي يطعها إلى البحث عن العاملين الذين

يجاههم ، كأن صائحا أهاب به . قف لا تخاطب من لا يسمع ، ولا تغالب من لا يعمل ، . فوقف هنيهة ثم أنشأ يحجوب البلاد ويتصفح الوجود فرأى أن أكثر الذين يعقلون ما يقال ، ويقدرّون على الأعمال ، أحلاس بيوت ، وأحلاف خمول ، ومن قد ظهر بما نصح للأمة ، قد استفاد بنصحه الظنة ، فلا يثق به الجمهور ، ولا يكون إليه تدبير الأمور ، ثم عاد إلى قبر الاستاذ الامام ، فبكاه بالدموع السجام ، وتذكر أن الامة ما فقدت رأيه ونصيحته ، وإنما فقدت زعامته وامامته ، فانها لم تكذب تشهر بأنه رب السلك ، وربان الفلك ، فتستعد لقبول ما يأتيه من النظام ، إلا وقد اختطفه منها الحمام ،

فان لم يأتنا ندب بسلك فلا عمل هناك ولا نظام
وان لم يأتنا نوح بفلك على الاسلام والشرق السلام
هذا ما كان من الفكر في سكوتة عن الاملاء قد أملاه ، ثم عاد الى ما كان
وعد القلم به فوقاه ،

يجب على العامل في مصر والهند مالا يجب على العامل في الأستانة والشام ، ويطلب من المصلح في تونس والجزائر ، مالا يطلب من المصلح في فارس أو قران ، ولا أذكر مرأ كش اذ ليس فيها - على ما أظن - رجال ، ولا الصين لأن المسلمين فيها لا يهتمهم غير جمع المال ، وجملة القول ان الشعوب الاسلامية متفرقة ، في بلاد متفرقة ، وليس لشعب منها من الحرية في العلم والعمل للدنيا والدين مثل ما لمسلمي مصر والهند وهم في مقدمة المسلمين ذكاء وفطنة ولولا ما يعوزهم من المزية والثبات والاستقلال الشخصي الذي تفضلهم به الشعوب العثمانية لكانوا هم الرجاء لسائر المسلمين ، ولا أعتد دعوة أحداث الوطنية في مصر مانعا لا تنفاج المسلمين بالمصريين فان دعوتهم لا تزال - ضعيفة لا يخشى أن تفصل هذا المضو من جسم الملة .

انما يكون العاملون لخير الاسلام في مصر والهند ما من من غائلة السياسة اذا هم اتقوا الاصطدام بالسياسة والافتتان بها فيجب أن يكون عايم الاسلام نفسه لالهوى أمير أو مليك ، ولا اتمكالا على دولة أو حكومة ، ولا لأجل مقاومة الساطة ، أو معاندة

القوة ، ولولا افتتان المصريين بالسياسة وتعلق نفوسهم بمناهضة انكسار اتكالا على فرنسا لنجحوا في ظل حرية الاحتلال الانكليزي نهضة كانوا بها أئمة المسلمين ولكنهم لم يكادوا يشفوا من داء الفرور بفرنسا حتى قام من خطباء الفتنة من يفرهم بألمانيا ويفريهم بمناصب القوة المحتلة الحقيقية اتكالا على قوة ألمانيا الوهمية .

يخدع بعض المصريين أنفسهم ويخادعون قومهم اذ يقولون ان الحياة الوطنية انما تكون بكثرة السلام في ذم كل عمل للمخائين واظهار الميل عنهم الى غيرهم ، ويتوهم الأ كثرون منهم ويوهمون قومهم بأن من يعمل لخير ملته وأمه في مصر فهو على خطر ايقاع الانكسار به لان الحرية التي عندهم لا تعدوا اباحة القول وعمل المنكر ، وان كلاً لمخطي ، فيما يقول ويزعم فان القول لا يزلزل القوم ولذلك أباحوه فاذا آتسوا ان وراءه عملا فلا يعجزهم إيجابه وهم هم الذين يلعبون بالأمر والدول كما يشاءون . وأما من يعمل في سلطتهم لخير نفسه بالاهتداء بدينه والارتقاء في دنياه فانهم لا يصدونه عن السبيل ، ولا يقيمون في وجهه العراقيل ، وقد ارتقى وثنى الهند في ظل حريتهم ارتقاء مبدئاً والمسلمون نائمون فلم يقعدوا القائم ، ولا أيقظوا النائم ، ولما اتقوا المسلمون من نومهم ، ودعاهم الداعي الى العمل لقومهم ، قال لهم الانكسار ان تعملوا لأنفسكم فانما مسعدون ، وإن تهملوا شؤنكم فإنا نحن لسكم الإهمالون ،

الانكسار قوم يحبون الكسب بهدوء وسلام فهم لا يجركون أضغان الناس عليهم ولا يقصرون في تسكين ما تحرك من نفسه أو حركه خصم آخر ينظرهم ، لا يماندون الطبيعة ولا يساعدونها على أنفسهم ، فمن استعدت طبيعته لعلم أو عمل مع مسالمتهم اقتنعوا بأن يستفيدوا منه بحسب حاله فهم يرضون من العالم ما لا يرضونه من الجاهل ، ويعاملون الشعب المستقل المتحد بغير ما يعاملون به الشعب المستذل المستعبد ، فما أجبن من يقول انهم لا يمكنوننا من العمل ، وما أجمل من يقول لماذا لا يعملون لنا ما لا نعمل لأنفسنا انهم اذا أعداؤنا . نعم انهم أعداؤك العقلاء وأنت بجهلك أعدى أعداء نفسك

إذا ما هان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

هذه ما تنحصر به عقبة السياسة في مصر والهند أعيد مختصراً وهو أن يكون

علمنا لأحياء ملتنا وترقية أمتنا بالعلوم النافعة والأعمال المالية المشتركة والجمعيات العلمية الخيرية مع مسالة القوة بالصدق لا بالرياء والمخادعة وما مسالة القوة بالتركيب بمقاومتها لأجل قوة خارجية سواها . أما مطالبها بترك كذا مما يضر البلاد أو فعل كذا مما يفيدها فلا ينافي المسالة ولا يقتضي المقاومة وإذا صار في البلاد أمة تطالب بذلك على بصيرة وحق فإن طلبها لا يكاد يرد إذا كان معقولا فإن العاقل لا يظلم مع العاقل لا سيما إذا كان أمة (الكلمة للسيد جمال الدين رحمه الله) ولن تكون هذه الأمة إلا بالحياة المالية التي ندعو إليها

تلك الحقيقة وقد يتوهم ضعفاء العقول أن فيها مصانعة للمحتلين وما أنا بمحتاج إلى مصانعتهم لندنيا أريدها منهم وهم أغنى بقوتهم وبراعتهم في استثمار البلاد وتدير أمور الأمم غني . ولو كنت أصانع لكنت أحوج إلى مصانعة العوام بمجاراتهم على أهوائهم ليزداد مجلتي رواجاً فيهم أو بعض الكبراء الذين يبدلون الأموال لمن يواتيهم على ما يريدون وما كان هذا مني ولا ذاك ولن يكون إن شاء الله تعالى . إن أريد إلا اقناع طائفتين من الناس بما لو اقتنعوا به رجي أن تستفيد الأمة من علمهم . الطائفة الأولى جماعة من أهل المعرفة بما ينفع الأمة بصدمهم عن العمل لما اعتقاد أن الانكليز واقفون بالمرصاد لكل عامل ملته لأنهم أعدوها ولا قدرة لنا عليهم فطينا السكون والسكوت وهو لاءهم الواهون . والطائفة الثانية مؤلفة من أفراد كثيرين لا يعرفون النافع للأمة والمحيي للملة وإنما يظنون أن الواجب على كل وطني أو مسلم أن يعتقد أن كل ما يسلطه المحتلون البلاد ضاراً فإن كان نافعاً في الظاهر فهو ضار في الباطن وأن يقاوم القوم بالقول فيذمهم ويتبع أعمالهم ويظهر الميل إلى دولة أوربية أخرى نكاية فيهم ، وهو لاءهم المخدوعون . فأولئك لجبنهم لا يعملون بعلمهم النافع وهو لاءهم لمخفهم يقولون ما لا يفعلون ، والفارون لهم يخادعونهم بما لا يعتقدون

أريد العمل لما يحيي الملة وينهض بالأمة ولا حرية لنا في غير مصر والهند فأحب أن يقدرها العارفون بالخير والشر قدرها ويستفيدوا منها لينشط أهل الهند ولكيلا يطول على المصريين أمد الوهم وسوء الظن بالانكليز كما طال على مسلمي الهند فحرموا

الاستفادة من حريتهم حقبة من الزمن ولم يشعروا بخطأهم الا بعد أن رأوا الوثنيين قد علوهم بالعلم والعمل والثروة والحكم . فحسب المصريين ربع تلك المدة وليعلموا أن اقتحام العقبة سهل كما ذكرنا ومن بين لنا خطأنا فاناله شاكرون ، ولرايه ناشرون ، نعم ان حكومة فارس (ايران) لاتعادي العلم ، ولا تمنع الاجتماع ، ولكن الشعب ناثم ، يحلم بظهور المهدي القائم ، وهي عاجزة عن النهوض بنفسها ، وما أحوجها الى يقظة شعبها ، قبل أن يفرغ لها الجاران ، ففتاتها الغيلان ،

بيننا معنى الحياة المالية وأن رابطة الملة في الاسلام هي أقوى الروابط وأعما فقط للبشر وأن العاقل اذا فقه سرها لا يرغب عنها ولا يفضل عليها غيرها ولو لم يكن من أهلها وأنها الآن منحة وأنها على انحلالها موضع للأمل وأنه يجب على المسلمين توثيقها وتوكيدها وأن أخرى الناس بالعمل والسمي لها مسلمو الهند ومصر — ويليههم مسلمو التتر في روسيا واستعدادهم قوي وستظهره الحرية المنتظرة بعد الثورة — وان ما يمنعهم من العمل ليس الا وهما يقويه الجبن أوجماله يمددها الخداع والغرور . هذا وسنشير الى اقتحام عقبة الجهل فيما يأتي

أما العمل الواجب فلا يشرح بالتفصيل الا للعاملين ويجب أن يكون دائراً على أقطاب هذه المسائل الكلية (١) كون تعليم الدين مؤيداً للعقائد دافعاً للشبهات الرائجة في هذا العصر (٢) كون تعليم التاريخ وعلم الاجتماع والاخلاق والآداب موثقاً للرابطة المالية بين شعوب المسلمين وعناصرهم المختلفة (٣) تعليم العبادات مع بيان حكمها وفوائدها في تزكية النفس وتعليم أحكام المعاملات مع بيان انطباقها على مصالح البشر . ومنافعهم في هذا الزمان ومن ذلك بيان أن كل محرم ضار وكل حلال نافع (٤) تعلم العلوم الرياضية والطبيعية بقصد ترقية النفوس بمعرفة سنن الله وحكمه في الخلق وترقية مجموع الأمة بالأعمال التي تزيد في ثروتها وعزتها (٥) احياء اللغة العربية بإلزام المتعلمين التحاور بها استبدالاً لها باللغة العامية وتعليمهم البلاغة في القول والكتابة ليكونوا كتاباً بارعين ، وخطباء مؤثرين ، (٦) تعليم الصنائع التي يمكن العمل بها في البلاد وفنون التجارة بقصد انماء ثروة الامة بفعلى أفرادها (٧) الجمع بين التعليم على النهج الذي شرحناه وبين التربية العملية في المدارس

الاسلامية المفقودة من الأرض (٨) جعل مدار التعليم والتربية على استقلال الفكر واستقلال الارادة والاستقلال في العمل الذي يعبرون عنه بالاعتماد على النفس ، وعلى حب الأمة وشرف الملة . والكافل لهذه الأركان الثمانية هم المعلمون المربون الذين بينا وظيفتهم . وههنا تعترضنا عقبة الجهل جهل رجال الدين - والعامة من ورائهم - بهذه الطريقة للتعليم الديني وبقائدة العلوم الدنيوية وجهل علماء الدنيا بهذه الطريقة لتعليم علومهم . على أن أمر هؤلاء أهون ، وارشادهم الى المطلوب منهم أيسر ، وإذا بعدنا عن علماء الرسوم الدينية ومعاهدكم كالأزهر وما ألحق به في هذه الديار فأننا نأمن معارضتهم ومناصبهم لنا في تعليمنا على أن صوتهم في مصر قد خفت ونفوذهم قد ضعف ، ولا نعدم من يعلم الدين على الوجه النافع الذي أشرنا اليه حتى ممن كان تعلم في هذه المعاهد وصادف علوماً وهداية أخرى بشرط أن يوجد المدير العام رب السلك وناظم العقدة

لا يكون هذا الا في المدارس الكلية فلا حياة بدونها ولو بقي الاستاذ الامام حياً لأست في مصر مدرسة كلية وشرع فيها قبل مضي هذا العام فقد كان أعد لها عدتها وعزم على جمع المال لها في هذا الشتاء ، جزاه الله عن نيته وعمله أفضل الجزاء ، وقد كان مضطراً بهذا الأمر ولعله يوجد في مصر من يستخدم الاستعداد الذي تم لها كما كان يريد رحمه الله . أما إنشاء الجمعيات والشركات فان البلاد المصرية والهندية شرعت فيه ويرجى لها النجاح بالتدريج ان شاء الله تعالى

هذا ما نذكر به أهل العقل والفيرة من مسلمي مصر والهند وقزاق وغيرهم من مسلمي الفرس على نومتهم ، ومسلمي العثمانيين والتونسيين على ضيق عطنتهم ، وحيف زمنهم ، وضعف مُنهم ، على أن استعدادهم الفطري للعمل ربما كان أقوى ، واستقلالهم في الارادة والفكر أقوى ، ولكن اقتحام العقبتين أشق عليهم وأعسر ، فهم أحق بالاجتهاد وأجدر ، ويتوقف ذلك على أعمال تعرف مما تنفثه الاخطار في الصدور ، لا مما تنبثه الافكار في السطور ، وكل ميسر لما خلق له ، «ألا الى الله تصير الأمور»

باب الترتيب والتجسيم

(تقرير مشيخة علماء الاسكندرية)

الاحصاء العام

كتبنا في الجزء التاسع عشر رأينا في مقدمة هذا التقرير ونكتب الآن شيئاً عن فصوله ومسائله المقصودة منه بنفسها وأولها فصل الاحصاء العام وفيه ان الإقبال على طلب العلم في الاسكندرية كان في هذا العام عظيماً حتى بلغ عدد الطلاب في هذا العام ٧٢١ طالباً وكانوا في نهاية السنة الماضية (وهي الاولى للمشيخة) ٣٤١ فالزيادة ٣٨٠ ولكن لم يثبت من هؤلاء وهؤلاء الا ٤٤٠ وهو العدد الموجود والمسجل الآن . وقد قال الاستاذ واضع التقرير « ان جميع مديريات القطر المصري قد اشتركت في طلب العلم الشريف بهذه المدينة » وجعل ذلك دليلاً على الشعور العام والميل الخاص الى الترقى في طلب العلوم الدينية وأحال في بيان هذا على الجداول التي وضعها لاحصاء الطلاب فراجعناها فلم نر فيها ذكراً لمديرية القليوبية ولا لمديرية الجيزة ولا لمديرية بني سويف . ورأينا أكثر من جاء الاسكندرية من مديرية البحيرة وسببه ظاهر وهو قربها منها وبعدها عن مصر ثم من الغربية ولعل هذه العلة وأما الشرقية والفيوم فلكل منهما طالب واحد في الاسكندرية ولمديرية جرجا اثنان ولكل من قنا وأسيوط والمنيا ثلاثة وللمنوفية أربعة وللدقهلية خمسة ولأسوان ستة ولا يعرف السبب في وجود هؤلاء في الاسكندرية .

وما ذكر في التقرير من كون هذا أثر الشعور العام والميل الخاص الى الترقى في العلوم الدينية فهو غير ظاهر لأن هذا العدد قليل وأسباب الاختيار مجبولة ولأن التعليم في الاسكندرية هو دون التعليم في مصر وطنطا من وجهين أحدهما أن المدرسين في مصر ين أرقى في العلوم الدينية ووسائلها من المدرسين في الاسكندرية وثانيهما ان الدروس نفسها أرقى والعلوم أكثر في الاسكندرية يقرءون الجلالين

في التفسير وفي الازهر يقرءون البيضاوي والكشاف وتفسير الجلايين أصغر كتب التفسير وأقلها فائدة والبيضاوي والكشاف أعلاها ولا يخفى أن روح الدين كله في القرآن فمن لم يرتق فيه فلا رقي له . وليس في الاسكندرية شيء من علم الاصول ولا المعاني ولا البيان وفهم الفقه والتفسير والحديث لا يتم لمن لاحظ له من هذه العلوم . والمذرفي عدم قراءة هذه العلوم أنه ليس في الاسكندرية من الطلاب الا خمس فرق ابتدائية أو خمس سنين على اصطلاحهم وليس من غرضنا هنا الانتقاد على اختيار ما اختارت المشيخة لهذه السنين من الدروس وإنما الغرض بيان أن العلوم في مصر وطنطا أرقى منها في الاسكندرية فطالب الرقي في هذه العلوم لا يختار الادنى وهو الاسكندرية على الاعلى كالازهر .

فالتنبية على هذه الدقائق مما لا بد منه للباحث في الامور العامة وسنن الاجتماع لأن أكثر الناس قداعتادوا ترك التدقيق في أمثال هذه الاقوال، وأمثال هذه الطرق من الاستدلال، التي جرى عليها بعض أصحاب الجرائد في هذه البلاد، واعتاد السكوت عن التحصيل أهل الفهم والتدقيق من الكتاب، حتى صارت دهاء الامة تعتقد في الامور العامة غير الصواب، فإما قول في مسألة إقبال الناس على التعلم في الاسكندرية هو ما ذكرنا من أن أهل البحيرة والغربية يرجحونها تقربها وما جاء من غير هاتين المديرتين لا يعتد به ولا ينهض دليلا على ما يرمي اليه التقرير من شعور الامة بأن العلوم الدينية في الاسكندرية أرقى فطالب الرقي يفضلها ويختارها . ويوضح ما يريد صاحب التقرير من تفضيل مشيخته على مشيخة الازهر في التعليم ما ذكره في الفصل الآتي قال

﴿ طرق التعليم ﴾

« كان الازهريون ولا يزالون يعتمدون في تعليمهم لطلاب العلم الشريف العناية بتنمية القوة العاقلة واعدادها للبحث واستنتاج النتائج من المقدمات ولذلك كانت عنايتهم بالجدل وطرق الاقتناع أكثر من عنايتهم باللباس النتائج الحقة (كذا) من مقدماتها الصحيحة . وقد كنا نرجو الخير لطلاب العلوم من هذه الطريقة لولا أن بعض المتأخرين استعملوها بافراط حتى مع صفار الطلبة والمبتدئين

في العلوم فيقتضي الطالب الاعوام العديدة من بداية طلبه بين تشكيكات ومناقشات واعتراضات وأجوبة قلما يحسن معها العلم بمسائل الفنون التي يتلقاها « ولقد أدركنا الطرف الأخير من ذلك الزمن الذي كانت عناية أكابر العلماء فيه الازهرين وغيرهم متجهة في بداية الطلب الى تكليف الطلاب بحفظ متون العلوم (كذا) وهي مسائلها التي تسرد سردا ثم التدرج معهم في ادراك تلك المسائل تدرجاً يناسب مداركهم وقواهم العقلية حتى يبلغوا الحد الذي يقدرّون فيه على الاشتغال بإقامة الأدلة والبراهين على الذين كانوا يعلمون (كذا) . ولكن الولع بالشغب والمحدثات قد كاد يطفئ هذا المصباح الذي استضاء به العالم الاسلامي دهرًا طويلاً . وهذا التدرج في التعليم كان طريقة للمتقدمين يحسن بالتأخرين أن يسلكوها اتباعاً لسلفهم الصالح »

ثم نقل من مقدمة ابن خلدون نبذة في التعليم ملخصها ان التعليم انما يكون مفيداً اذا كان على التدرج مراعى فيه استعداد الطالب بأن يقرأ له الفن ثلاثاً يلقي عليه في الاولى أصول المسائل وتشرح بالاجمال ويخرج بالثانية الى التفصيل وذكر الخلاف ووجوهه ويستقصى في الثالثة كل عويص ويوضح كل مقفل ثم ذكر ابن خلدون أنه شاهد كثيراً من المعلمين يجهلون طرق التعليم فيلقون على المتعلم في أول تعليمه المسائل الثقيلة ويطالبونه بحلها ويخططون عليه غايات العلوم في مبادئها ويكلفونه وعيها وهو لم يستعد لها فيكل ذهنه ويكسل ويهجر العلم ظناً منه انه صعب في نفسه وانما هو سوء التعليم . ثم ذكر صاحب التقرير مفسداً آخر من مفسدات التعليم في مثل الازهر فقال

« واذا أضمتنا الى هذا الذي قاله المحقق ابن خلدون مفسداً آخر لطرق التعليم وهو اطلاق السراح للطلاب وتركهم يحضرون ما يشاءون ويتركون ما يشاؤون ويتدرجون في تلقي العلوم كما يشتهون بدون مراقبة على المواظبة في الطلب ولا ملاحظة لاستعداد الطالب فيما يريد تلقيه ، كانت المصيبة أعظم والفساد أعم وأشمل ، فلم يكن من العجب أن يقتضي الطالب العشرات من السنين في دور العلم ومعاهد التعليم ثم لا يكون حظه من تلك السنين الطوال الا إضاعة العمر في

الاختلاف الى الدروس بلا فائدة يستفيد بها ولا علم يحصله ولا يقتصر ضرره على نفسه ولكنه يتعدى الى العلماء المتصدرين للتدريس فيكون حجة للذين يسبون التدريس في الأزهر الشريف وملحقاته وبرهاناً تقطع دونه السنة الذين يدافعون عن التعليم في دور العلم الاسلامية »

ثم ذكر أن مشيخة الاسكندرية تداركت هذا الفساد في طرق التعليم بشيئين (١) تكليف بعض العلماء مراقبة الطلبة في شؤونهم الدراسية ونموذجهم على الأخلاق المرضية (كذا) (٢) تقرير الامتحان السنوي على كل طالب حتى لا ينتقل من علوم سنته الى أرقى منها الا اذا أظهر الامتحان استعداداً لعلوم تلك السنة . قال « أما العيب الذي أشار اليه ابن خلدون فقد تلافته المشيخة بشيئين أيضاً . الأول تنبيه حضرات العلماء والمدرسين الى ملاحظة قوى الطلبة والاقتصار على تفهيمهم مسائل الكتب المكلفين بتدريسها (كذا) بدون تعرض لكلام الحواشي والشروح الطوال خصوصاً مع المبتدئين في الطالب » والثاني عناية المشيخة بانتخاب الكتب التي تناسب كل سنة من سني الدراسة

ان الذي يمكن أن يلخص به كلامه في عيوب التعليم في الأزهر وما على شاكلته من المدارس الدينية على ما فيه من الاضطراب والايهام هو أن العيوب ثلاثة (١) أن بعض المتأخرين قد استعملوا طريقة الأزهر القديمة في التعليم التي كان يرجى خيرها بافراط حتى مع الصغار والمبتدئين فصار الطالب يقضي السنين بين التشكيكات والمناقشات فقلما يحسن العلم بمسائل الفنون التي يتلقاها (٢) الولوج بالشغب والمحدثات الذي كاد يطفىء مصباح الاسلام وهو ما كان عليه أهل الأزهر من الابتداء بحفظ المتون والتدرج في ادراك مسائلها . وقال ان هذا ما كان عليه سلف الأمة الصالح واستدل على ذلك بعبارة ابن خلدون (٣) اطلاق السراح للطلاب يتدرجون كما يشتهون ويحضرون من الكتب ما يختارون بدون مراقبة . وذكر من ضرر هذا العيب أن الطالب يقضي العشرات من السنين في معاهد العلم بلا فائدة وأن ذلك برهان للذين يسبون التدريس في الأزهر وملحقاته لا يرد حجة لا تدحض . ثم ذكر ان مشيخة الاسكندرية قد تداركت هذه العيوب أي فبرئت

من استحقاق السب وبقيت هذه العيوب في الأزهر وسائر ملحقاته في التعليم .
وانما نبحت في هذه المسائل شاكرين لله تعالى أن وفق عالماً من علمائنا الرسميين
للكتابة في طرق التعليم وعرض آرائه على الباحثين والمنتقدين ولاغرو أن تتي
بالشكر للشيخ شاكر

أبدأ ببيان ما أشرت إليه من الاضطراب والابهام بل والابهام في العبارة
فأقول ان عبارة التقرير في هذا الموضوع عبارة من قصت عليه الحال بأن يداري
ويواري فيهم بعض القارئين بما بهم على الآخرين، ويرضي المحتفين في الرأي؛
بالدم في معرض المدح والمدح في معرض الذم ويأتي بقياس مؤلف من مقدمات؛
تؤخذ بالتسليم وان كانت نظريات، وتكون النتيجة ان التعليم في الأزهر له كذا
وكذا من العيوب والمفاسد، وان التعليم في الاسكندرية له كذا وكذا من المحاسن
والفوائد، ولكن العبارة لم تواته على ما يكيد (أي يحاول) فلم تأت الا ببعض ما يريد،
هذا ما توهمني إليه العبارة من غرض الكاتب وما كان مستولياً عليه من الفكر ومتأثراً
به من الشعور عند الكتابة ذكرناها على الطريقة الفرية في النقد وهي عندنا أفضل
ما يعتذر به عن الكاتب عند من يرى الاضطراب في القول فيحمله على
مركب آخر .

ماذا يفهم القارئ من قوله ان طريقة الأزهر بين التي درجوا عليها كانت
تقضي بالعناية بالجدل وطرق الاقتناع أكثر من العناية بطلب النتائج الحقيقية
من مقدماتها الصحيحة وقوله انه كان يرجو الخير لطلاب العلوم من هذه الطريقة
لولا ان أفرط فيها بعض المتأخرين فسلك فيها مع الصغار العاجزين عن الاستفادة
بها . هذه الطريقة شر طريقة جرى عليها الناس لا يصل سالكها الا الى افساد العلم
والدين كما بين ذلك حجة الاسلام الغزالي في كتاب العلم من الاحياء
ماذا يفهم القارئ من قوله بعد ذلك انه أدرك الطرف الاخير من ذلك الزمن
الذي كانت عناية أكابر العلماء فيه متجهة الى تكليف الطلاب حفظ المتن
والتدرج معهم في فهمها؟ أهذه هي الطريقة الاولى أم غيرها؟ ظاهر السياق أن هذا
يضاح لما قبله وهو ما كان عليه المتقدمون لا بعض المتأخرين الذين قال انهم

أفرطوا في استعمال تلك الطريقة ولا ينافي ذلك قطعاً ما ذكره من أنهم ينتهون إلى الاقتدار على الاشتغال باقامة الأدلة والبراهين على الدين كانوا يعلمونهم لأنه إنما جعل غايتهم الاستعداد لاقامة الأدلة والبراهين على معلمهم لا الاقتدار على اقامة البراهين بالفعل على المطالب الصحيحة فلا يقال ان قوله هذا مناقض لقوله السابق لأن العناية بالجدل لأجل الاقتناع والالزام لا تقضي إلى القدرة على تأليف البرهان لإفادة العلم . وتشبيهه هذه الطريقة بالمصباح وقوله ان العالم الاسلامي استضاء بها دهرًا طويلاً كرجائه الانتفاع بها في النبذة الاولى

وأما قوله « ولكن الولع بالشغب والمحدثات قد كاد يطفئ هذا المصباح » فهو على إيهامه وإيهامه لا يمكن أن يحمل الأعلى افراط أولئك المتأخرين في استعمال طريقة الأزهر وهم بعضهم لأنه لم يذكر لغيرهم اساءة أخرى في اتباع الطريقة التي حمدها وقال ان الأزهريين كانوا ولا يزالون عليها . ولكن كلمة الشغب غريبة جداً في هذا المقام لأن معناها تهيج الشر فها هو الشر الذي هيج على العلماء من الأزهريين وغيرهم حتى كاد يطفئ ذلك المصباح - مصباح العناية بالجدل وتكليف الطلاب حفظ المتون والتدرج معهم في فهمها ؟ ألا ان هذه الكلمة في هذا المقام من أوابد الفرائث التي لا تأنس فيه ولعلها اقتبست من بعض الكلام البليغ لإفادة معنى آخر فسقطت في هذا المكان فلم تقبلها فيه الأذهان على أن بعض ما عورض به الاصلاح قد كاد يكون شغباً أو كان والسياق هنا يأتى إرادته

وجملة القول ان الاستاذ صاحب التقرير بين طريقة الأزهر بما لا يحمده به ولكنه حمدها وغاية ما انتقده أن بعض المتأخرين بالغ فيها مع بعض الصغار من الطلاب وضرر هذا قليل تسهل إزالتها . أدام أ كابر العلماء على خلافه وأن الولع بالشغب والمحدثات كاد يطفئ المصباح ولكنه لم يطفئه فبقي وهاباً . وبالنسبة بين لنا أزال هذا الشغب فصرنا آمنين على المصباح أم الولع به ما زال يلح بأهله فالمصباح على خطر ؟ ولقد أيد مدح هذه الطريقة الأزهرية بقوله انها كانت طريقة المتقدمين من السلف الصالح واستدل بكلام ابن خلدون . ما قاله ابن خلدون ليس حكاية عن السلف وإنما هو رأي له يرد به على من شاهد من المعلمين الكثيرين الذين

يخطئون طرق التعليم وليس هو كل رأيه فرأيه يخالف لما عليه الأزهر كما يعلم مما يأتي
بحار قارىء التقرير فلا يدري أهذا المدح لطريقة الأزهر بيان لاعتقاد
الكاتب أم يزد به شيء آخر؟ العبارة محتملة يقوي ارادة المدح فيها عزوها الى
السلف والاستدلال عليها بكلام ابن خلدون ولكن قوله بعد ذلك كله ان هناك
مفسدا آخر لطرق التعليم به « كانت المصيبة أعظم والفساد أعم وأشمل » يدل
على أنه لم يقصد غير الذم. فماذا فعل ذلك المصباح في هذه الظلمات المتراكمة؟
الفصل معقود لبيان طرق التعليم فكان ينبغي أن تذكر الطرق المعروفة فيه
ويذكر أهلها ويفاضل بينها لبيان ما اختارته مشيخة الاسكندرية منها ولكنك
تخرج من الفصل ولم تع غير طريقة واحدة للازهر عرضت لها عيوب ومفاسد
فأزالت مشيخة الاسكندرية عيوبها ومفاسدها فصارت خير الطرق عندها، تهي هذا
بعد أن يضطرب ذهنك في الفهم، وتحار في التزيل بين المدح والذم، فهذا ما
يقال في هذا الفصل من التقرير

وأما الموضوع في نفسه فالحق الذي نعلمه فيه علم اليقين ما نقول: ان طريق
الازهر في التعليم طريق طويلة مشتبهة الصوى، كثيرة التمعج والهوى، وأن أهل
الازهر كانوا ولا يزالون سائرين عليها على غوائلها، الا نفرًا من المتأخرين قد
انقوا بعض مفاسدها، عملا ببعض ما هداهم اليه الاصلاح الذي دعا اليه الاستاذ
الامام رحمه الله تعالى وهو الذي اختار للشيخ محمد شامكر بعض تلامذته منهم
يدرسون في الاسكندرية. وقد بشرنا الشيخ محمد شاكر انه أنفذ شيئاً من ذلك
الاصلاح شيئاً آخر فجمع ما شرع فيه أربعة أمور ١ مراقبة المعلمين للطلبة و٢
تقرير الامتحان السنوي و٣ حمل المعلمين على التدرج في التعليم و٤ اختيار الكتب
وهذه الامور مما دعا اليه الاستاذ الامام في الازهر واشتغل بها مجلس ادارته شغلا
طويلا كما يعلم من تاريخه (كتاب أعمال مجلس ادارة الأزهر) وقد عارض في هذه
الأمر بعض أكابر المشايخ المتقدمين لا (المتأخرين) الذين ذمهم التقرير المتقدمين
الذين أدركهم أو بعضهم كاتبه قبل ظهور ما عبر عنه « بالشغب والمحدثات » ومن حسن
الخطأ، لا يوجد في مشيخة الاسكندرية أمثال هؤلاء الاكابر المتقدمين اذ لو وجدوا ما لهم

في شهرتهم ونفوذهم لما تيسر له أن يقرر ما قرره من إزالة المفاصل فان تيسر له
تقريره بالقول فلا يتيسر إنفاذه بالفعل على أن الانفاذ عسر على كل حال لقلة
من عندنا من أهل الكفاءة إذ لم تتعود هذه الطائفة على النظام ولم تعرف ما
وصلت إليه الأمم في الارتقاء في فن التعليم . ومالا يدرك كله لا يترك كله والعمل بمد
بعضه بعضاً فنسأل الله كمال التوفيق للعامل والثبات عليه والإخلاص فيه ، وأما
الصواب في نظام التعليم فلا محل هنا للكلام فيه لما سبق لنا من التفصيل من قبل
ونكتاتنا في تاريخ الأمة فيه ومنه تعرف طريقة السلف والخلف فنقول

طريقة المسلمين في التعليم وتاريخه عندهم

أن التعليم فن صناعي يرتقي بارتقاء حضارة الأمة ويندلى بتدليها ولم ينزل
الوحي بكيفية تنظيم المدارس وتلقين العلوم والفنون للناشئين فنقول إن قوانين
التعليم أحكام تعبدية تتلق بالرواية ويتبع فيها طريق السلف الصالح من أهل
الصدر الأول لأنهم أعلم الناس بفرض الشارع وأشدهم محافظة عليه . وإذا كان
التعليم فناً صناعياً فالذي ينبغي للأمة هو أن تفكر دائماً في ترقيته ولا يكتفي المتأخر
فيه بتقليد المتقدم بحجة أنه متبع لسلفه معظم لهم إذ ليس من تعظيم الصحابة
عليهم الرضوان أن نحارب بمثل ما كانوا يحاربون به من السيوف والرماح، ونترك
المدافع وغيرها مما استحدث من آلات الكفاح ، فما جاء في تقرير مشيخة
الاسكندرية من استحسان طريقة كذا اتباعاً للسلف الصالح - لوصح - غير سديد،
إنما السداد أن نختبر طرق التعليم المستحدثة ونتخير أمثلها فان التعليم في هذا العصر
أقوى عوامل الكفاح بين الأمم حتى تقلوا عن البرنس بسمرق الشهير أنه قال
إننا قد غلبنا فرنسا بالمدرسة . على أن ما ذكر في التقرير هو مخالف لطريقة السلف
الصالح في التعليم كما هو معروف للمطلع على التاريخ وتعرفه مجملاتنا

كانت طريقة افادة العلم في الصدر الأول الرواية السانية ثم الاملاء والمذاكرة .

ولما كثر التصنيف واتسعت حضارة المسلمين صاروا يدرسون بعض الكتب المصنفة
وأكثرها في روايات الحديث والآثار وأشعار العرب ووقائعها وفي العلوم العربية
والشرعية المؤيدة بهذه الروايات . ولما دخلت في الأمة العلوم اليونانية اتخذوا لهم

معلمين من أهل المال الأخرى فحدثت لهم طرق جديدة ، ثم انحصر التعليم في قراءة الكتب غالباً فكانت طرق الناس في التعليم تابعة لطرقهم في التأليف ، وأول اشتغالهم بالتأليف في الفنون كان بجمع الروايات التي يتلقونها والأُمالي التي يهيئونها ويملونها ثم توسعوا في ذلك ويسهل أن تعرف طريقة التدريس في كل قرن بالاطلاع على طائفة من الكتب التي صفت فيه . روايات ووقائع فأصول وقواعد مؤيدة بها فاختصار لئلا تكثر المتتبعات فاختصار على المختصرات وما كتب عليها فخلط للعلوم وخلل في التعليم . وجلة القول في سيرة المسلمين في التعليم أنها كانت سائرة على سنة الفطرة بطبيعتها لا بقوانين وضعت لها ثم انحرفت حتى ضاع العلم وضل الفهم وصرتنا إلى ما نرى

لم يدون المسلمون قوانين للتعليم في عنفوان دولة العلم فيهم بل كان موكولاً إلى المدرسين يسلكون فيه مسالك الكتب المصنفة فكثرت الطرق بكثرة المصنفات واختلاف مذاهب المصنفين والمدرسين حتى قام في القرون الوسطى من ينتقد ما عليه أهل عصره ومن قبلهم كالإمام الغزالي وتلميذه أبي بكر بن العربي ثم جاء الفيلسوف الاجتماعي عبد الرحمن بن خلدون فبحث في التعليم بحثاً لم يسبقه إليه سابق وضعه على قواعد الفلسفة فأصاب كثيراً من الأغراض . ومن الأصول التي قررها أن التعليم من الصنائع التي تتبع حال الحضارة والعمران في الترقى والتدلي كسائر الصنائع وأن كثرة التأليف في العلوم عاتقة عن التحصيل وأن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتحصيل . وأن خلط العلوم بعضها ببعض يحول دون النظر بشيء منها ، وإن غاية تعليم الفن هي تحصيل الملكة فيه ، والمراد بالملكة ملكة العمل فملكة البلاغة هي أن يكون ذوق الكلام البليغ صفة مالكة للنفس بها يسهل الاتيان بالكلام البليغ قولاً وكتابة دع فهمه والتمييز بين أقسامه وعلى ذلك فقص . وقد استفاد ابن خلدون هذه القواعد والأصول من النظر في كتب المتقدمين ومعرفة تاريخهم ومن اختبار حالة التعليم والتأليف في عصره ، ولكن المسلمين لم يستفيدوا من أصوله هذه ولا من أصوله في فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع لأن هذا انما جاءهم في طور التدلي في العلوم والعمران كما قلنا في مقدمة أسرار البلاغة وما نقله

عنه الشيخ محمد شاكر في تقريره هو من المواضع التي قصر فيها وأجل وعذره الفرار من التكرار وإنما يعرف رأيه من مجموع ما كتبه وتقدم التنبيه على بعضه ، ومنه تحصيل ذوق البلاغة بممارسة الكلام البليغ ومنه الاستدلال على حسن طريقة التعليم بقصر مدة التحصيل وذهمه الاعتماد على الحفظ وتفضيله طريقة تونس بالأكتفاء بخمس سنين في تحصيل الملكة على طريقة المغرب في جعل مدة التحصيل ١٦ سنة وكانوا يعتمدون على حفظ المتون وقد استدرك عليه علماء التعليم والثرية (البيداجوجيا) في هذا العصر فيما رآه من ابتداء المتعلم بأصول المسائل من كل باب واعادتها بالتكرار ثلاث مرات بالتفصيل الذي ذكره ، ومن الغريب ان صاحب التقرير لم يأخذ عنه الا المجل المستدرك عليه وترك سائر آرائه وهي مخالفة لما عليه المشيخة بالاسكندرية

هذا صفة ما تختصر به تاريخ التعليم عندنا وأما العلوم أنفسها فكانت العناية بها تختلف باختلاف حال الدولة التي هي أس الحضارة وشر ما حدث في القرون المتوسطة العناية بالجدل والخلاف في الفقه وقد انبرى حجة الاسلام الغزالي لبيان مفساد هذه البدعة بعد أن خاض فيها مع الخائضين ، وكان في مقدمة المبرزين ،

﴿ رأي الامام الغزالي في التعليم الاسلامي ﴾

كتب ابن خلدون ما كتب في التعليم من حيث هو فن صناعي يرتقي بارتقاء العمران . وأما الامام الغزالي فقد كتب فيه من حيث هو طريق للارشاد وهداية الدين فما ذهب اليه هو هدي السلف الصالح - والجدير بأن تهتدي به مشيخة العلوم الدينية المحضة - الذين غرضهم حفظ الدين والاهتداء به . قال في فصل (بيان القدر المحمود من العلوم المحموده) بعد أن قسم العلوم الى محمود قليله وكثيره ومذموم قليله وكثيره وهو ما لا يفيد في دنيا ولا دين وقسم يحمد منه مقدار مخصوص ويذم التوسع فيه والاستقصاء ما نصه

«وأما القسم المحمود الى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا» ثم مدحه وبين ما يحتاج اليه طالبه من المجاهدة وتهذيب النفس وقال «وأما العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهي العلوم التي أوردناها في فروض الكفايات فان في كل علم

منها اقتصاراً وهو الأقل واقتصاراً وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مرد له الى آخر العمر . فكن أحد رجلين اما رجل مشغول بنفسك واما متفرغ لغيرك بعد الفراغ من نفسك واياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك . فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة وانصوم وإنما الأهم الذي أهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم « وأطال في بيان مكانة علم التهذيب من الدين وأن الأعمال الظاهرة لا تفيد عند الله بدونه ثم قال « وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الأثم وباطنه وصار ذلك ديدنالك وعادة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وداع التدريج فيها فابتدى بكتاب الله ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير ومساثر علوم القرآن من علم النسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة . ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا الى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طالباً للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير . وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطاوعة لصينها بل لغيرها (يعني العمل المطلوب لعينه هو العلم بالله وبسنة في خلقه وحكته كما تقدم) وكل ما يطلب لغيره فلا ينسب فيه المطلوب ويستكثر منه فاقصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعقيد فيه واقصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم الاوله اقتصار واقتصاد واستقصاء » ثم ذكر نموذجاً لهذه المراتب الثلاث ومثل لها بالكتب المختصرة والمتوسطة والمطولة ومن رأيه أن المطولات تصنف للمراجعة والتدريس ثم نهى عن الجدل والخلافات في المذاهب وذكر أنها من البدع التي لم يهتد مثلها في السلف وشبهها بالسهم ثم قال

« وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال: الناس أعداء ما جهلوا: فلا تظن ذلك فعلى الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زماناً وزاد على

الأولين تصنيفاً وتحقيقاً وجدلاً وبياناً ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه فلا يفرنك قول من يقول ولا يعرف علاه الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الا ولون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلم الفتاوى من غيرهم بل هي مع أنها غير مفيدة في علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذي يشهد له حدس المقتي اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمسكه على شروط الجدل في أكثر الامر فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الإذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب وقد ينقضي عليه العمر ولا تصرف همته الى علم المذهب فكأن من شياطين الجن في أمان واحترز من شياطين الانس فانهم أراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال»

ثم طفق يذم الجدل في العلم مطلقاً ومنه قوله : وفي الحديث في معنى قوله تعالى « فاما الذين في قلوبهم زيغ » الآية هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى فاحذرهم . وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلط عليهم باب العلم ويفتح لهم باب الجدل : ثم عقد بعد ذلك باباً لبيان سبب علم الخلاف وآفات الجدل والمناظرة والحديث الذي ذكره في تفسير الآية رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من حديث عائشة وأورده بالمعنى . فلينظر القارئ أين طريق السلف في العلوم الدينية من طريق الازهر على رأي الشيخ محمد شاكر ، وكيف العناية عندهم بالجدل مكان العناية بالهمم عن السلف من العلم بالله وصفاته وأفعاله (وهي تعرف من علم الكون) وبسننه في خلقه (وهي المعبّر عنها في هذا العصر بعلم الاجتماع وعلم نواميس الطبيعة) وعلم حكمة ترتيب الآخرة على الدنيا : لاشي من ذلك في الازهر ولا في الاسكندرية فمضى أن يوقتهم الله تعالى للاسترشاد وما كتبه حجة الاسلام في ذلك

تعب الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في اقناع كبار شيوخ الازهر في اصلاح التعليم فكانوا لا ينفذون كل ما اقتنعوا به وهو بعض ما دعا اليه مما يريد منه أن يكون الفرض من كل فن وعلم القدرة على استعماله والوصول الى غايته دون الجدل والمحاكمة في

عبارات كتبه وهذا عين ما يقوله الغزالي وما كان يعني به السلف . وسنعود في
الجزء الآتي الى الكلام في التعليم ان شاء الله تعالى

أناشيد المبتدئين

المقتبس

أنشأ صديقنا محمد أفندي كرد علي الدمشقي في القاهرة مجلة أدبية علمية
اجتماعية شهرية سماها (المقتبس) وقد أصدر الجزء الأول منها في شوال وهو شهر
المحرم من العام القابل أصدره قبل وقته تعجيلاً للفائدة . اعتاد المصريون على كثرة
رؤية الصحف الجديدة وعلى سرعة قدها فقلت ثقتهم بالجديد وان كان مفيداً
لعدم ثقتهم به وبدوامه ولسبب آخر هو عدم ثقتهم بثبات صاحب الصحيفة على الخطة
التي يخططها لنفسه في ابتداء عمله . فمن النصيحة لقراء المنار أن يعرف اليهم المقتبس
(الكاتب) أولاً والمقتبس (المجلة) ثانياً ليشارك من يشترك عن بينة

محمد أفندي كرد علي من شبان دمشق الذين حسنت تربيتهم وعني بتعليمهم وقد
اشتغل زمناً بتحرير جريدة (الشام) وله مقالات كثيرة في مجلة المقتطف ويعرف
التركية والفرنسية معرفة جيدة ويحسن الترجمة عنهما وعبارته من أحسن عبارات
كتاب هذا العصر وأسلمها من الخطأ والعلطة والمماظلة . وهو حسن الاختيار
فيما يقتبس من الكتب العربية والأوربية وحسن القصد فيه . وما حمله على انشاء
هذه المجلة الا ولوعه بنشر العلم والأدب الذي يراه نافعا فالكتابة انشاء وترجمة
هي منتهى لذته لا يكره فيها الا الخوض في السياسة وكل ما يختلف الناس فيه
المذاهب والمشارب ، فأنشأ مجلة المقتبس ليمتع عقله بلذته ، ويفيد قراء العربية
بحسب استطاعته ، ودعوة أصدقائه من الكتاب الى مساعدته ، وهو غني عن
الكسب بقله وقد وطن نفسه على الخسارة المالية سنتين أو ثلاثا ولكن محبي العلم
والأدب في مصر وغيرها لا يرضون له الخسارة في خدمتهم ان شاء الله تعالى
مباحث المجلة تدخل في عشرة أبواب (١) صدور المشاركة والمشاركة - وهو

لتراجم الرجال الذين ينتفع بسيرتهم ٢ المقالات ٣ التربية والتعليم ٤ الصحف المنسية - ينشر فيه ما طوي ذكره من منشور العربية ومنظومها في الجدل والهزل ٥ تدبير الصحة ٦ تدبير المنزل ٧ المطبوعات والمخطوطات ويدخل فيه تقرير الكتب المنشورة بالطبع والتعريف بالكتب الخزونة في المكاتب ٨ مقالات المجلات يذكر فيه أهم ما في المجلات العربية والأجنبية من المقالات والآراء ٩ سير العلم - يدخل فيه ما يقتبس من المجلات الغربية ١٠ نفاضة الجراب - وهو في الشجون والأفأكيه

جاء في الجزء الأول ترجمة وجيزة لابن حزم ومقالة في الأمية والكتائب وأخرى في سيئات القرن الماضي ملخصة من مجلة فرنسية ، ومقالة في تعليم اللغات وهي مترجمة أيضاً وبعض مقاطع من شعر حافظ وعبد الرحمن شبنبر والرافعي متفرقة ونبذة في التمثيل في الاسلام ونبذة في التناسل الغريب يريد كثرة النسل * ونبذة في العمل والعملة وشي * من نصائح ابن حزم وشي * من نكات الوهراني وشي * في وصف الجرائد لعبد الله باشا فكري * ونبذة في أوقات الطعام ونبذة في استعمال السكر وأخرى في حياة الفقير ورابعة في دواء الأرق * وكلام عن كتاب مداواة النفوس لابن حزم وعن منشآت الوهراني وعن كتاب فرنسي اسمه نصائح للعملة وعن قصة (في وادي الهموم) * كل شي * مما تقدم في الباب اللائق به عند الكاتب وفي باب سير العلم نحو ٢٠ نبذة وجيزة . وغير ذلك

وقد اتفقنا عليه أمور لا يسلم من مثلها المبتدئ ، بالعمل منها أنه كتب عن ابن حزم في ثلاثة أبواب وتكلم عن الوهراني في غير ما موضع . ترجم ابن حزم في الباب الأول ثم ذكر شيئاً من نصائحه في باب الصحف المنسية ثم ذكر الكتاب الذي اقتبس منه النصائح في باب المطبوعات وكان يحسن أن يذكر في باب واحد من هذا الجزء وكذلك يقال في تكرار ذكر الوهراني والكلام في العملة . ومنها أن ما ذكره من النصائح لم يعد من الصحف المنسية وقد طبع الكتاب قبل وجود المجلة . فان أراد بالصحف المنسية ما أهل الناس العمل به فالباب واسع يدخل فيه كثير من المجلدات العظيمة في التفسير والحديث والرقائق وغير ذلك

فالاتقاد على الباب نفسه أولى . ومنها أنه لم يكن يحسن ذكر منشآت الوهراني والتشويق اليها والتصريح بتعمد كتمان مكانها لأن هذا يفري أهل الولوع بأمثال هذه المسائل الى البحث عنها ومن بحث عن الموجود ظفر به غالباً . ومنها ان بعض المباحث لم توضع في الأبواب التي هي أليق بها فقد أدخل في باب الحرية والتعليم الكلام في العملة والصناع وأخرج منه بحث تعليم اللغات . وذكر شيئاً من مقاطيع الشعر في باب المقالات دون باب الصحف المنسية . ومنها أن المنقول في بعض المواضع لم يتميز بنسبته الى الكتب والعلماء تميزاً ظاهراً يعرف أوله وآخره بلا اشتباه كما يرى المدقق في ترجمة ابن حزم وما نقل منها عن الذخيرة لابن بسام . ومنها الاختصار الخجل في بعض المباحث كمبحث « الأمية والكتاتيب » فالظاهر انه يريد الكلام على الامية في الاسلام وكيف انتقلت العرب بعده منها الى التعلم حتى إنشاء الكتاتيب قديماً وحديثاً ولكنه جمل نحو ربع ما كتبه في معنى لفظ الأمي وفي تفسير ما ورد في أهل الكتاب من قوله تعالى « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني » (وقد ذكر في المقتبس لفظ يقرأون بدل يعلمون سهواً فليصحح) وكان المناسب أن يذكر تفسير قوله تعالى « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » فقد فسر الكتاب هنا بالكتابة وهما مصدران للكتب . ثم ذكر شأن الكتابة في الجاهلية وذكر أمماً أخرى بالابحار ولم يذكر عن الاسلام بعد ذلك الا سطرأ ونصف سطر وقال بعد ذلك « هذه زبدة ما يقال في معنى الأمية في الاسلام » الخ والسبب في هذا الاختصار الخجل رغبة الكاتب في ايداع الجزء مباحث كثيرة . وأمثال هذه الامور التي انتقدناها مما يسهل تلافيها لاسيما بعد التنبيه اليها ومنها ما تبع فيه اصطلاح مجلات اوربا وان لم يكن عندنا مألوفاً

وجملة القول أن « المقتبس » مجلة نافعة حسنة العبارة وصاحبها كما قيل له في كل جو متفسس ، ومن كل نار مقتبس ، وهي مرجوة الثبات والدوام ، مرجو لها التقدم الى الأمام ، وصفحات الجزء منها ٥٦ وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشاً صحيحاً في مصر وثلاثة عشر فرنكاً في سائر الاقطار

﴿ كشف الخبايا - والمسلمون والقبط ﴾

ظهرت جريدة أسبوعية جديدة بهذا الاسم لعبد الحميد أفندي فريد الذي كان قبطياً فأسلم تاركاً خدمة الكنيسة القبطية التي كان واعظاً فيها وخدمة مدرسة القبط في ملوي وكان ناظراً لها - تاركاً هذا وهو مورد معاشه لأنه اعتقد بعد طول البحث بحقية الدين الاسلامي فلقني من القبط مناهضة شديدة ومناصبية قوية كما هي عادتهم حتى أنهم هددوه وأبهوه بما يحكم فيه القضاء حكمه الموبين لو ثبت فلم تثبت المهمة، ولكنه هو ثبت في الفتنة، وأنه أهذه الجريدة يبين فيها الآيات والدلائل التي أخرجه من دين وهدته الى آخر ويندكر فيها بعض ما لقي من القوم الذين فارقوم، وما هم عليه مما نفره منهم، فينتقد جميع ما يراه منتقداً من هذه الطائفة، وقد صدر العدد الأول من الجريدة في ١٤ شوال الماضي وفيه شيء كثير من ذلك

لأن القوم عذروا الرجل فيما ظهر له أنه الحق ولم يفتنوه ليكتفم اعتقاده وينافق بإظهار خلافه لما تصدى للاشتغال «بكشف الخبايا» وقد يقرأ قارؤهم هذه الكلمات التي كتبها فيهم منها أنني أنصبر له وأحمد عمله لأنه صار مسلماً فأنا أنعصب له تعصباً جنسياً كما يعبد منهم ومن اتخذ الدين جنسية من المسلمين وغير المسلمين . ولكن من يقرأ المنار يعلم أنني أدعو دائماً لأن يكون الدين كله لله لا للعصبية الجنسية . وقد قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم «ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية» رواه أبو داود عن جابر بن مطعم أدعوا الى هذا لا اعتقادي ان الناس اذا تركوا العصبية الجنسية فانهم يعذرون كل معتقد في اعتقاده ولا يفتنونه فيه وإنما يدعوا الداعي الى اعتقاده بالبرهان الذي يستند اليه فيه كما أمر الله تعالى بقوله « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » ومن كان على بينة من اعتقاده فهو يعتمد في نشره على بيانه للناس كما قال تعالى « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » وسنة الله في الخلق تقضي باختيار الأمثل ، وترجيح الأفضل ، متى وجدت الحرية ، وزال الاضطهاد والفتنة ، رأيت في جريدة « كشف الخبايا » كلمة لعلي لم أرها لم أكتب ما كتبت

رأيت فيها الرجل يقول انقوم فيما حكامه ان أحدهم قال له وهو أقرب الناس اليه وأعز الأصدقاء له « ياليتك كفرت بالله وصرت وثنياً أو طبيعياً فكان ذلك أولى وأحسن من دين محمد » وباليته حذف ما حذف من قوله فلم يكتبه كله . ولا شك عندي بأن قائل هذه الكلمة لاحظ له من الدين الا العصبية الجنسية السوءى وبغض المسلمين لأن كل متدين بل كل انسان يرى أن أقرب الناس اليه فيما هو عليه من كان مشاركاً له فيه على نسبة ما به الاشتراك فأقرب الناس من الكتابي من كان يؤمن بالله وبالرسل والكتب ثم من كان يؤمن بالله دون الرسل ثم من كان له دين مآولو وثنياً وأبعدهم عنه من لا يشاركه في شيء من ذلك فكيف يكون قائل تلك الكلمة مسيحياً يدين بما أمر المسيح من محبة الأعداء ثم يقول ما قال في دين ونبي جاء في كتابه « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى »

ليس الذنب في هذه العصبية الجنسية الجاهلية خاصاً بالقبط بل هي عامة بعموم الجهل في البلاد ففوغاء المسلمين وكثير ممن يعدون من نبهائهم يأتون بالأعمال المنكرة في الحفاوة بمن يسلم من النصارى فيحفظون قلوبهم ويحركون أضغاثهم وذلك ضار بمصالحهم الدنيوية التي تتوقف على البر والمجاملة وحسن المعاملة لا على ترك الأيذاء فقط وليست من الدين في شيء بل هي مخالفة له لأنه ينهى عن الأيذاء وأمر بالعدل والاحسان « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » ومن الدلائل على ان عمل هؤلاء الذين يفرحون ويطربون بمن يسلم من النصارى من عصبية الجاهلية لا من الفيرة الاسلامية أن أكثرهم يجهلون عقائد الدين وآدابه وأحكامه ولا يكادون يعملون بما يعلمون منها

المسلمون والنصارى في هذه العصبية الجاهلية سواء والعارفون بمضارها من الفريقين قلما ينهون عنها وقد علمت مما قص علي من الوقائع في ذلك أن الفرق بين المسلمين والقبط فيها من وجه واحد وهو أن علماء المسلمين وكبراءهم من الحكماء وغيرهم قلما يوجد فيهم من يميل الى ما تفعله العامة أو يساعدهم عليه وأن القبط

يعملون ما يعملون بتواطؤ بين كبرائهم من رجال الدين ورجال الحكومة وغيرهم والسبب الطبيعي في ذلك أن ما يفعله المسلمون لا يحتاج الى رأي ولا تدبير ولا مساعد ولا نصير لأنه عبارة عما يسميه فاعلوه من العامة (هيئة) يجتمع فريق من الفوغاء يحتفلون بالمسلم الجديد بالصياح في الشوارع بالدعاء للاسلام والتعريض بالكفار. وقلم يتنصر مسلم وان وقع ذلك لا يبالون به ولا يجتهدون في ارجاع المتنصر عما ذهب اليه . وأما القبط فان جل فعلهم في منع من يريد الاسلام من الدخول فيه بالترغيب والترهيب ثم الايذاء ولا يخلو ذلك من خطر على فاعله فالترهيب مع اتقاء الخطر لا يكون الا من كبراء الامة رأياً ونفوذاً . ان تواطأ كبراء القبط على ما يتعلق بشرفهم آية بينة على حياتهم القومية وقوة رابطتهم الجنسية وهم يفضلون المسلمين بهذا ولكن توجيه هذه القوة الى مقاومة من يدخل في الاسلام والكيد له والحيلولة بينه وبين زوجه وولده مما لا تقل فائدته ولا تؤمن غائلته فلو تساهلوا فيه وتركوا من يسلم وشأنه لكان خيراً لهم وان كان يهسر عليهم مادام المسلمون مصرين على تلك المظاهرات الصبغانية . فأنا أدعو الفريقين الى ترك الدين لله وجعل الرابطة المالية حادياً يحدو بالامة الى الاعتزاز بالعلم والعمل ولا عزة بمن يتوجه الى غير دينه مقتنماً معتقداً ثم يترك ذلك خوفاً ويعيش مناقراً.

ثم انني أنصح لعبد الحميد أفندي فريد المسلم الجديد بأن يجعل عنايته في طلب فضائل الاسلام والاجتهاد في التحقق بها حتى لا يكتب ولا يأتي مالا يبيعه له فقد رأيت فيما كتبه تحت عنوان عن أبواب الكنيسة السرية وأمورها الخفية اسناد حب الباطل واتباع الفساد الى بلعام بهد جعله نبياً والمسلمون لا يترفون بنبوة بلعام حتى على ما ذكر في التفسير من كونه هو المراد بقوله تعالى « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا » كما يعلم من مراجعة كتب التفسير . وأنصح له أن لا يكتب ما يكون سبباً للعداوة والبغضاء فان كان للقبط سيئات خفية فالشرع الاسلامي لا يأذن بفضيحة الناس واظهار سيئاتهم لما في ذلك من اعلان القبيح وغير ذلك من المضار وان كان فيها ما يضر المسلمين جهلهم به فالتحذير منه مما لا يتعسر مع الأدب والاحتراس وما ذكره في الأبواب السرية ليس من النصيحة

للمسلمين في شي . . الجريدة تطلب من صاحبها في ملوي وقيمة الاشتراك فيها ٤٠ قرشاً في مصر و يقبل من طلاب العلم كافة ومن خدمة الجوامع نصف القيمة

— كتاب الخير والشر — أوقصة كاترينا —

لا سكندر ديماس الشهير بتأليف القصص الخيالية قصة سماها « كاترينا بلوم » نقلها الى العربية كل من محمد أفندي وجيه رئيس كتاب المجلس البلدي في المنصورة وحسين أفندي الجمل وكيل البريد في المطرية مطرية الدقهلية — نقلها بالتعاون والاشتراك وطبعها على نفقتها فكانت صفحاتها ٢٤٠ وهي بشكل كتاب الاسلام والنصرانية وجعلها ثمنها ستة قروش صحيحة لمن يطلبها بالبريد

سما القصة كتاب الخير والشر لأن كاترينا التي هي موضوع القصة خيرة فاضلة ريت تربوية فطرية بعيدة عن منازع الشر وكان لحالها الذي رباها ولد عني به كما عني بها فكانا متشاكين فتحابا ورغبا كما رغب مربيها أن يكونا زوجين وكان هناك رجل شرير يكيد لها ويحاول افساد ذات بينها وإيقاعها في الهلاك فكان عاقبة أمره خسراً وانتصر الخير على الشر . على ان اسم « كتاب الخير والشر » أكبر من هذه القصة اذ ليس موضوعها بيان أنواع الخير وطرقها والهداية اليها وبيان أنواع الشر وطرقها وكيفية اجتنابها . وأكبر ما في القصة من العبرة بيان مضرة جهل المرأة وتعصبها وتحكيم هواها في أمر تزويج ولدها فقد كان جهل أم برنار وتعصبها للكاتوليكية واتباع هواها في منعه من الزوج بنت عمه البروتستانتية أضرت من كيد ذلك الشرير له ولخطيئته ولولاها لما كان لذاك الكيد أثر يذكر . فهذا دليل على أن الحب الجاهل كثيرا ما يكون أضرت من العدو عاقلا أو غير عاقل . ومن قرأ وصف تلك المرأة رأى أنه ينطبق على أكثر نساء هذا العصر في هذه البلاد وأمثالها

وأما عبارة الترجمة فهي بفضل أكثر ما ترى من عبارات مترجمي القصص وتتحاشى كثيرا من الاغلاط المشهورة فيها وفي الجرائد . وقد طلب العربان في مقدمتهما للقصة غض الطرف عن السهو والزلل وعدا ذلك من نظر التنشيط دون الشيط وليس الأمر كذلك فان التنبيه على ذلك هو الذي ينشط الكاتب

ويخرج إلى الاحتراس من مثله وهو لا يمنع من رواج العمل لاسيما في القصص لأن أكثر قرائها أوجبهم يبتغون بها التسلية

خاتمة الجزء من باب الفقه

﴿ شيخ الأزهر ، وزينة الكسوة والمحمل ، حكم الفرجة عليهما ﴾

الشيخ عبدالرحمن الشرييني شيخ الجامع الأزهر مشهور بالقشف والزهد والمرأة والأعراض عن أهل الدنيا ولما ذهب إلى الإسكندرية لوداع الأمير قبل سفره إلى أوربا في الصيف الماضي ذكرت جريدة المؤيد من خصائصه أنه لم ير الإسكندرية قبل هذه المرة ولم يحضر الاحتفال بمحمل الحج أي ولا الاحتفال بنقل كسوة الكعبة وقد لهج الناس يومئذ بما كتب المؤيد فمنهم من قال إن هذا ذم لأمير مدح ومنهم من توقف في الحكم — ذلك أن من الناس من يظن أن الاحتفال بالكسوة والمحمل من شعائر دين الإسلام ويظن أن حضور العلماء فيه هو من آيات ذلك والالابوا وأنكروا. والحق أن امتناع الشيخ الشرييني لم يكن إلا اعتقاده بأن حضور ذلك الاحتفال حرام وإننا نورد هنا بعض نصوص فقهاء مذهبه في ذلك

قال البجيرمي على الخطيب : والكسوة المعروفة حرام لاشتمالها على الفضة : (قال) والحرمة هنا عدها البلقيني من الكبار وقال الأذري أنها من الصغار وهو المعتمد وقال ويحرم زركشة أستار الكعبة من الفضة ومثلها في حرمة الزركشة بما ذكر ستور قبور الأنبياء والمرسلين على المعتمد خلاف البلقيني . وإذا قلنا بحرمة ذلك فتحرم الفرجة عليه أيضاً كالفرجة على الزينة المحرمة لكونها بنحو الحرير بخلاف المرور عليها لحاجة وامتناع ابن الرفعة من المرور أيام الزينة كان ورعاً كما قاله الرملي . ولو أكره الناس على الزينة المحرمة لم يحرم عليهم وهل يجوز التفرج عليها حينئذ ، الذي يتجه المنع لأن ستر الجدران بالحرير حرام في نفسه وعدم حرمة وضعه لئلا يكره لا يخرج من الحرمة في نفسه وما هو حرام في نفسه يحرم التفرج عليه لانه رضاء به كما قاله ابن قاسم على المنهج اه كلام البجيرمي ووشل ذلك في حواشي الشبرايمسي على الرملي

وقال البجيرمي على الخطيب أيضاً تنبيه يعلم من هنا - أي من الكلام على الحرير - وما يأتي في زكاة النقداً المحمل المشهور غير جائز ولا تحل الفرجة عليه ولا يصح الوقف عليه ومثله كسوة مقام إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكذا الذهب الذي على الكسوة والبرقع الخ اهـ قل على المحلى اهـ

وقال الباجوري في حواشيه على ابن قاسم الغري ويحرم التفرج على المحمل المعروف وكسوة مقام إبراهيم ونحوه ونقل عن البلقيني جواز ذلك لما فيه من تعظيم لشعائر الإسلام واغظة الكفار وهكذا كسوة تابوت الولي وعساكره اهـ

وقال الجمل في حواشيه على المنهج ويحرم ستر الجدران ونحوها بالحرير كستر ضرائح الأولياء إلا الكعبة وقبور الأنبياء نعم لا يحرم ستر الجدران به في أيام الزينة بقدر ما يدفع الضرر ويحرم المرور والفرجة عليها لغير حاجة خلافاً للعلامة ابن حجر. وعلم من هذا وما يأتي في باب زكاة النقداً المحمل المشهور غير جائز ولا تحل الفرجة عليه ولا يصح الوقف عليه ومثله كسوة مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام وكذا الذهب الذي على الكسوة والبرقع اهـ البرماوي اهـ الجمل

وقال الشيخ عوض على الخطيب وكذا يحرم تمويه كسوة الكعبة والمحمل الشريف والتفرج عليهما حرام وكذا الزينة التي تفعل بمصر اهـ

هذا هو المعتمد وما نقلوه عن البلقيني ولم يحفلوا به هو رأي له مبني على شبهة واهية وهي إغظة الكفار ولو جاز أن نكلف إغظة الذميين والمجاهدين لما جاز أن نرتكب المعصية لذلك وتعظيم شعائر الحج إنما تكون في إقامتها على وجهها في مواضعها . وقد ذكرت الجرائد في هذه الأيام أن شيخ الجامع حضر الاحتفال بنقل الكسوة فإلينا نعرف هل ظهر له بعد أن صار شيخاً للآزهر خطأ فقهاء المذهب وصحة رأي البلقيني فاتبعه ليعظم الشعائر ويغيظ الكفار أم ظهر له دليل آخر على الحل؟

(تصحیح غلط) وقع السطر الذي ينبغي أن يكون في آخر ص ٧٣٦ من الجزء

١٩ بعد السطر الثالث عشر من تلك الصفحة فليعلم

وجاء في السطر ١٥ من صفحة ٧٤٧ كلمة (سفينة هود) والصواب (سفينة نوح) فلتصحح

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوالباب

المعراج

فبشر صبادي الذين يستهون بالقول فبذنبهم أولئك الذين هدام آفة وأهلكهم أولوالباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«منارا» كثر الطريق)

﴿مصر الخميس ١٦ القعدة سنة ١٣٢٣ - ١١ يناير (ك) سنة ١٩٠٥﴾

تجارة الرقيق وأحكامه في الاسلام

من آثار المرحوم السيد عبد الرحمن افندي الكواكي الشهير كتبها بعد سياحته الأخيرة قبل موته

من كان مطلعا على احوال سواحل شرقي افريقيا وسواحل جزيرة العرب وبطلع على ما كتبه المستر... بخصوص مسألة الرقيق وما نسب فيها من القصور لله وتمر الدولي في زنجبار يستغرب جدا من تسرع وتهجم الكاتب المذكور على مواخذة مصلحة الرقيق بدون تثبت في الامر ولو أن جنابه اعتنى بتحقيق مسألة الرقيق لظهرت له الحقائق الآتية

(أولا) ان هذه التجارة بهمة المؤتمر المشار اليه وحراسة أوربا الداعمة لم يبق منها الا اسمها تقريبا

(ثانيا) هذه البقية مقصورة على شمال شرقي افريقيا حيث نخاسي الجنس السواكبي والجنس الدقيلي يجلبون من السودان بعض الرقيق الى الثغور المهمة الافريقية المتقابلة من جزيرة العرب لثغور الوجه وينبع وجدة ورابع وميلت وقونفذه وجران (ثالثا) تهرب الرقيق ككاد ينحصر بسفائن جده المشهور أصحابها بالمهارة البحرية وبالاقدام على المخاطر . فهذه السفائن تنقل الرقيق من شرقي

افريقيا الى غربي جزيرة العرب يعني ان الثغور المذكورة التي تفصل بين السواحل الغربية فيها وما بينهما من الثغور المهمة تلك الثغور الباقية وحيدة في تجارة الرقيق بل ومنذ سنين الى الآن يتشكى أهل الحجاز من وجود قرصان في تلك المياه تحت رئاسة ابن غيش والحكومة العثمانية لا تصفى تلك الشكايات البتة

(رابعاً) هذه السفائن ليست حرة في نقل الرقيق انما هي تخاف من بواخر حراسة الرقيق ولذلك ترصد أواخر الشهر القمري لتقتحم السرى ليلاً تحت ستار الظلام فتقلع من الساحل الافريقي اذا صادفت الريح موائقة عند غروب الشمس وتصبح في شاطئ جزيرة العرب

(خامساً) اذا تعمق جنبه في التحقيق كما يفعله المغمورون بالحرية غراماً أصولياً يعرف ان البقية اليسيرة للرقيق هي تصدر من الحجاز مع قوافل الحجاج فتدخل بالاكثر الى نجد وأقل منها الى اليمن وأقل من الجميع الى بلاد سوريا وهذه الاخيرة ما عاد يدخلها رقيق الذكور مطلقاً

ثم لا بد أنه كتب ملاحظته في التدابير التي يراها تفيد في حسم هذا الامر الذي يشتكى منه ونحن لاجل ان لا نترك عين هذا الاعتراض يتوجه علينا نقول ان أفضل التدابير في هذا الخصوص هي هذه

(أولاً) أخذ سفائن جده وينبع وسفائن سواكن وما في جوارها أيضاً التي أصحابها من أهالي جدة تحت مراقبة قوية من قبل قناصل الدول المجتمعين في جده

(ثانياً) ابرام السفارات في الاستانة على الباب العالي ان تلزم حكومة الحجاز بمنع بيع الرقيق علناً حتى في سوقه المخصوص في مكة المسمى (الدكة) كما هو جار الآن

(ثالثاً) ان يصير تهديد الباب العالي تهديداً مشتركاً دولياً بان اذا بقيت تجارة الرقيق مباحة في الحجاز فاللدول (تسحب تنازلها عن اقامة وكلاء سياسيين لها في ولاية الحجاز في غير جدة وذلك لاجل مراقبة تحرير الرقيق مع حماية

الحجاج المسلمين من رعايا الدول أو الذين في حمايتها (١)
لي صديق من علماء العرب المسلمين ومن مشاهير الأحرار والكتاب السياسيين (٢)
فذاكرته في شأن خصوص الرقيق والديانة الإسلامية وما هو نظر علماء الإسلام
في هذه الخدمة للإنسانية القائمة بها الدول الغربية فقال



ان الدين الإسلامي جوز الرق كسائر الأديان ولكن هذا الدين المرقى في
الحكمة التشريعية بالنسبة الى كل الشرائع القديمة لم يمنع الأحكام القاسية المألوفة
منع مصادمة إنما شدد في ثبوتها وجعل للمبتلين بها كثيرة منقذة من العقوبات
الشديدة باسم الدين (٣) ومن جملة ذلك انه ضيق دائرة الرق جداً بحيث يظهر
بكل وضوح ان قصد الشريعة الإسلامية ابطال الرق أساساً بالتدرج كما يعلم من
الأحكام الآتية

(١) الشريعة حصرت الرق في المتولدين من أبوين رقيقين وفي أسرى الحرب
القانونية مع غير المسلمين وغير العرب وغير الأقارب فان هذه الأصناف لا تسترق
(٢) جعلت الاسترقاق غير الشرعي من أعظم المحرمات فيأتي في المحرمات
تألي النفس (وفي نسخة: ومبلغه منها ان يأتي بعد قتل النفس)
(٣) جعلت العتق هو الكفارة الوحيدة لجملة خطايا دينية اذا وجد الرقيق
مها بلغت قيمته

(٤) جعلت العتق هو الكفارة العظمى لجميع أنواع الخطايا التعبدية
(٥) جعلت العتق من أهم والتدور
(٦) جعلت العتق محلاً للعنت باليمين التي لا يتعلق بها حق من حقوق الناس

(١) هذه الجملة التي بين قوسين قد رجحت من الأصل وكأنه كان يريد ان
يكتب في موضعها رأياً آخر وقد أصاب بحذفها على ان الدول لا تتجرأ على هذا
الآن (٢) لا يخفى على القارئ انه يعني بهذا الصديق الاستاذ الامام (٣) هذه
العبارة مبہمة متضبة والمراد منها أن الإسلام شدد في شروط جواز هذه الأمور
كالرق وتعدد الزوجات تنفيرا عنها وجعل الخروج منها منافذ كثيرة كما يأتي

- (٧) جعلت العتق أتم وفاء لحق شكر الله على النعمة أو على السلامة من خطر
 (٨) جعلت العتق أهم ما يوصي به المسلم بعد موته ليكافئه الله بهتقه من
 عذاب الآخرة

والحاصل ان الاسلام كاد ان يلزم أهله بأن كل فرد منهم يعتق ما يمكنه
 إعتاقه من الرقيق ولهذا لا يستمر الرقيق عند المسلم مدة طويلة قط بل مدة موقفة
 وكذلك الشريعة المدنية الاسلامية هي أعظم شريعة جاءت محامية عن
 الحرية وذلك انها (١) جعلت الرق يسقط بمجرد ان يدعي الانسان انه حر
 إذا اعتبرت لزوم تصديقه لأنه يدعي حقا طبيعيا وألزمت مدعي ملكه باثبات
 أصل رقيقته (٢) جعلت اقرار الانسان على نفسه بالرق ولو ألف مرة لا يسلب
 حريته ولا يمنع من ادعاء الحرية بعد (٣) جعلت الرق يسقط بمرور لفظ
 العتق على لسان المالك ولو هازلا أو سكرانا أو بلفظ لا يفهمها أو مكرها على النطق
 بها (٤) جعلت رق الانثى شبه ساقط بمجرد ان تلد ولدا من مالكتها فلا تنقل
 الى ملك آخر وبموته تصبح حرة مطلقة (٥) جعلت القول قولها في ان حملها هو
 من مالكتها وإذا أنكر قولها يثبت في عتقها وان لم يثبت في ثبوت نسب الولد منه
 (٦) جعلت مالك جزء من رقيق ولو واحدا من ألف اذا أعتق جزءا عتق الكل
 رغما عن باقي شركائه وحق لهم تضمين العتق خسارتهم فقط (٧) جعلت حكم
 القاضي بالعتق ينفذ مطلقا ولو كان ظالما في حكمه (٨) جعلت خليفة المسلمين اذا
 رأى في اجتماعه (ولا بد ان يكون الخليفة مجتهدا شرعا) ان كافة الارقاء المملوكين
 للمسلمين رقيتهم غير صحيحة فحكم بحريتهم جميعهم نفذ حكمه وصار الصيда حرا
 دفعة واحدة ولو خالف في حكمه آراء بعض المذاهب الاسلامية القديمة الى غير
 ذلك من الاحكام الشرعية التي تقاوم عادة الاسترقاق القديمة في البشر مقاومة
 شديدة فشريعة الاسلام هي أول شريعة دينية سياسية دافعت عن الحرية
 ونادت بابطال الرق بتلك الوسائل وليست معاداة الشريعة الاسلامية للرق
 من الغرب لانها ظهرت في العرب الذين هم أحرص الامم على الحرية ونزلت
 في أرضهم التي نزلت فيها أيضا صحف المكة على موسى أبي الانبياء عليهم

السلام وتحورت بلفتهم التي كتب بها أول قانون للحرية والإخاء والمساواة ولكن كما جرت سيول برابرة الشمال رياض الرومان واليونان فأوقعتهم في القرون الوسطى المظلمة . . كذلك جرت سيول الغول واخوتهم رياض العرب فأوقعتهم في مثل تلك القرون التي يسعون للخروج منها

ومن ثم فالعلة الحقيقية لاستمرار الرق هي الامراء المستبدون الذين لا يتقادون للدين الاسلامي الا لاجل تطبيقه على اهوائهم فهم يتخذون الدين في الظاهر حجة للتمتع بالرق لا سيما بعد ان قامت الامم الغربية ودولها بتحريره فهو لاء الامراء يظهرون الآن امام اوربا انهم يودون منع الرقيق ولكن يخافون رعاياهم المسلمين لان الرقيق جائز شرعا ولضرورة المحافظة على الآداب والعادات الاسلامية لا يمكنهم ابطاله دفعة بل تدريجاً ان مسامير الرق في الحقيقة هي كبرياء الامراء والمقلدين لهم وليست هي الاسلام نفسه كما يفترونه عليه ولا بد ان يستغرب الاورباويون اذا قلنا ان علماء الدين الاسلامي ليس فيهم من يجوز الرقيق مطلقاً منذ عدة قرون اي منذ لم تبقى حرب قانونية اسلامية يراد بها حماية الدعوة الاسلامية ونشرها او يراد بها المدافعة عن الجمعية الاسلامية وكذلك لم يبق في الامة اسراء متسلسلين وانما العلماء الاحرار يسكتون ويتجاهلون خوفاً من الامراء او محاباة لهم لانهم يرون ان اعظم بيت في الامراء المسلمين لم يزل منذ اربعة قرون تقريباً متبعاً قانوناً عائلياً من مقتضاء عدم زواج ذكورهم بنساء غير رقيقات فأهائهم وزوجاتهم جميعهن رقيقات من الكرج او الجركس . مع ان الرق لا ينطبق شرعاً على الكرج منذ قرن ونصف اذ انقطع دخول جيوش الاسلام الي بلاد الكرج وكذلك لا ينطبق على الجركس لانهم مسلمون ولما هو معروف ايضاً من ان الجركس يبيعون اولادهم يباع او يسترقون من المدينين لهم اولادهم في مقابلة ديونهم

العلماء والمسلمون اذا لم يسكتوا عن بيان هذا الخلل في الكرج والجركس يلزمهم ان يحكموا ويصرحوا ايضاً بان جميع أولئك الامراء ليسوا باولاد شرعيين . . وهو لاء الامراء يمكنهم بلا صعوبة ان يطلوا هذا القانون العائلي كما أطلوا اخبر

منذ أربعين سنة قانون قتل جميع اولاد الاميرات السلطانيات اللاتي كن يزوجن لأزواجهن بشرط ان لا يعقبن اولاداً ابداً وذلك للمحرص على عظمة بيتهم الملكي من ان يكثر الانتساب اليه

اما ما يقال عن حاجة المسلمين للرقائق لاجل الخدمة فليس هناك حاجة ضرورة انما هي كبرياء وعظمة وتقليد لأرباب البيوتات من الامراء فقط كما ان الحصيان لا ضرورة لوجودهم والشرعية الاسلامية لا تجوز خصاء الحيوان فضلاً عن الانسان واذا وجد رجل مخفي بفعل الغير فأكثر المذاهب الاسلامية ومن جملتها المذهب الحنفي السلطاني تعتبره كسائر الرجال بلا فرق ولا تجوز استخدامه في القصور بين النساء ولا يخالف هذه المذاهب في ذلك غير المذهب الشافعي فقط

الشرعية الاسلامية وعلماءها الاحرار يشكرون أوروبا على منعها الرقيق وهم مسرورون من نجاح سعيها لتحقيقه ويتمنون لو ان أوروبا تهتدي الى وسيلة تكون قاطعة مانعة بها يسد باب الرقيق بالكلية

يقول صديقي المذكور انه يلوح لفكره من التدابير المؤثرة في هذا الشأن ما يأتي (أولاً) ان تستعمل أوروبا تقوذاً الأدبي في استقباح وجود الجنس الاسود ذكورا واناثاً في قصور الامراء بحجة قبح خلقهم واخلاقهم وكذلك استقباح وجود اناث بيض في تلك القصور اسيرات ذليلات بدون جناية ولا اختيار (ثانياً) ان تحمل أوروبا الامراء الشرقيين على اتباع عادات امراء الغرب باعلان زواجهم الشرعي وتكرهم بالتدريج ان يطلبوا من دول أوروبا ان لا تعتبر رسماً من وراثتهم الشرعيين في الامارة كل مولود لهم من زوجة غير شرعية وهذا التحديد لاجل ان يعلن زواجها قبل الولادة بسبعة أشهر على الأقل ومنع اعلان الزواج بعد ظهور الحمل

(ثالثاً) ان تكلف الدول سفراءها في القسطنطينية وطنجة وطهران وكابل وقناصلها في تونس ومصر وجدة (عوضاً عن مكة) بان يستفتوا بواسطة حكومات العواصم الاسلامية من المفتين الرسميين التابعين لمذاهب مختلفة عن الحكم الشرعي

في مسألة نصها كما يأتي

(ماقول علماء الشرع الإسلامي المحترمين في الإنسان هل يصح اعتباره رقيقاً بشرائه من أوليائه أو بالسرقة أو بصورة الأسر ولكن في حرب قامت بها فئة صغيرة مسلمة خارجة عن الجامعة الإسلامية ومخالفة في ذلك الأسر عهداً أكثر سلاطين المسلمين عهداً عاماً دولياً بإبطال الأسر الحربي مقابل عدم وقوع الأسر على كافة المسلمين (١))

إن هذا الاستفتاء ينتج أن القسطنطينية تحاول في الجواب وتغتم علماء مكة عن الجواب أما باقي المواضع فكما يجب بعدم جواز الرق وهذا الجواب من الباقيين يكفي لامتناع الأمراء من فخفة استخدام الرقيق خوفاً أدياً من رعاياهم ويكفي لامتناع الناس امتناعاً دينياً من تملك الرقيق فيصبح أنصار الرق من المسلمين أعداء له وبذلك يتم بعد سنين قلائل إبطال الاسترقاق من العالم فيرتفع عن عاتق الإنسانية هذا العار العظيم والأولى أن يكون الاستفتاء رقيقاً بالنص العربي السالف البيان لأجل أن لا يقع فيه تحريف من ترجمة إلى ترجمة فيجد العلماء المتشرعون الرسميون مهرباً بالثأويل والمواربة في الجواب فيرضون السائلين ويرضون الأمراء بخلاف ما إذا كان النص عربياً بلفظه الشريعة الإسلامية ذاتها اهـ

المنار

يسلم القراء أن علماء الأفرنج يعدون مسألة الرقيق من أكبر المطاعن في الإسلام ويفتخرون بأن مدنيهم أرقى من الإسلام لأن الإسلام يأمر باستعباد البشر وهم يحررون الأرقاء حباً في الإنسانية وقد أرجع دعاة النصرانية ملكاً من ملوك المسلمين عن الإسلام بحجة أن النصرانية والإسلام شيء واحد إلا أنها تفضله بهذه المسألة رحمة بالبشر فرجع وتبعه قومه . على أن كتاب دينهم الذي ينصرونه وينشرونه فيه من الشدة على الأرقاء ما لا يوجد له نظير في الإسلام

(١) ينبغي أن يزا في السؤال وليست هذه الحرب لأجل حماية الدعوة الإسلامية

إذا لا توجد حكومة شرعية تدعو إلى الإسلام

والاسلام لم يأمر بالرق ولا جعله فرضاً ولا سنة وإنما هو شيء كان عليه الناس من جميع الأمم فوضع له من الاحكام ما يحويه مع الحكمة . وهذه المقالة كان الكواكبي رحمه الله تعالى كتبها ولم ينقحها فنشرناها على علائها بتصحيح مادافعاً عن الاسلام وضناً بآثار هذا الرجل العاقل ان تضعي حتى اننا نشرنا ذلك الرأي الذي رجحه (أي أفسد سطورره أو شطبه كما يقولون) وأما ما ذكره عن استرقاق الكرج والشركس فما أراه الا له لا لصديقه الذي نقل عنه تلك المسائل الشرعية في الرق فقد عهدناه يبحث في هذه الشؤون ونحن لا ووقوف لنا على شيء من أحوال السرايى الشراكسات والكرجيات فتحكم في المسألة فن كان عارفاً بذلك من فضلاء القراء فليكتب اليابه وله الفضل وبما يراه نافعا في المسألة هذا وان للمرحوم الكواكبي كتاباً سماه (ماذا أصابنا وكيف السلامة) أودعه مالم يرجع عنه من آرائه في طبائع الاستبداد مع فوائد كثيرة سياسية واجتماعية ولعلنا نجعله ملحقاً للمعارف العام القابل

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً ورمزاً فمنا ثم نأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا . ولما مضى على سؤاله شهران وثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

(أسئلة من دمياط تتعلق بقصة المولد النبوي)

من الشيخ محمد عبد الفتاح المدرس ببعض مدارس دمياط قال بعد الثناء والتحية : جاء الى مدينة دمياط ليلة النصف من شعبان رجل (من الاشراف) المنسبين للعلم وقصد أشهر مسجد ومدرسة دينية بها (جامع البحر) حيث اجتمع خلق كثير لرؤية ما أعده أرباب الطرق به من الاحتفال بهذه الليلة وبعد صلاة العشاء أخذ القوم مجالسهم فقام هذا الرجل وجلس على كرسي مرتفع أعد لتدريس شيخ العلماء (وقد قرأ عليه هنا درس في عقيد الاسلام والشرق المرحوم

الشيخ محمد عبده حينما كان بمصيف رأس البر في السنة الماضية (وابتدأ يسرد فوائد حجة لسماع قصة المولد النبوي ثم سرد ما لا اذكر منه على كثرته غير ما يأتي)
 (١) ان أول ما خلق الله نور نبينا صلى الله عليه وسلم ومنه استمد جميع مخلوقاته
 (٢) ان الله تعالى حينما زوج آدم بحواء قام في الملائكة خطيباً معنا بذلك ثم فرض عليه صداقا صلواته على النبي (ص) مائة مرة وقد صدع بالامر غير انه لم يستطع اكمال العدد بل انقطع نفسه عند اتمام السبعين فأقاله الله من الباقي وجعل ذلك سببا في جعل الصداق قسمين مقدم ومؤخر

(٣) ان جميع الوحوش البرية والبحرية بشر بعضها بعضا ليلة الحمل بالنبي (ص) ونطقت بذلك بلسان عربي مبين

(٤) ان مريم حضرت ليلة ولادة النبي مع سارة وآسية لأنهن زوجاته

في الجنة

(٥) ان العلماء اختلفوا في أمر آسية فقيل انها لم تكن ماتت الى هذا الحين لأنها رفعت الى الجنة حين استغاثت بالله من فرعون وعمله وقيل ان الله أحيها لهذا الغرض والاول أصح

(٦) ان من يعتقد ان أحد الانبياء ولد من الفرج يكون كافرا لانهم جميعاً ولدوا من ثقب في الجنب الايسر

(٧) ان النبي وجميع الانبياء أحياء في قبورهم حياة كحياتنا هذه لقول النبي (ص) (أنا في قبري حي طري) وقوله (نحن معاشر الانبياء أحياء في قبورنا)

ومن الادلة المحسوسة (تأمل) على ذلك ان علياً (رضي الله عنه) حمل زوجته فاطمة بعد موتها على يديه وأتى بها الى القبر الشريف وقال يا رسول الله هذه فاطمة الزهراء بضعتك الطاهرة قد جادت بروحها الى الله في هذا اليوم وقد جئت بها اليك لتزورك فانفتح القبر (سبحانك بهتان عظيم) ومد النبي يديه فلقاها من علي وأضجها بجانبه وقيل انه ردها اليه فدفنها بالبقيع ولذلك ترى

الناس يزورونها بالمسكين عملا بالروايتين

وان سيدي أحمد الرفاعي حين زار القبر الشريف أنشد هذين البيتين

في حالة البعد وروحي كنت أرسلها تقبل الارض غني وهي نائبتي
وهذه دولة الاشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تمحط بها شفتي
فمد النبي يده الشريفة اليه امام الحاضرين قتبها
(٨) ان عدد الانبياء ونجوم السماء كعدد شعر لحية النبي صلى الله عليه وسلم ١٢٤٠٠٠

هذا يامولاي قليل من كثير مما قصه هذا الرجل في تلك الليلة أمام المئات من المسلمين عامتهم وخاصتهم وفضيلة شيخ العلماء ساكت لا ييدي أقل اعتراض على هذا الكلام مع ما عرف عنه من الفيرة على الدين ومحاربه له مثل هذه العقائد التي حشرها القصاصون في الدين فشوهوا بها وجهه الجميل .
لو كان هذا الرجل من العامة لسكتنا ولكنه معدود ضمن العلماء في قرية المنزلة وقد خطب أمام أمير البلاد هناك وصلى خلفه فريضة الجمعة سمعت ذلك من بعض أهل المنزلة

وقد رفع حضرة الفاضل مكاتب المقطم أمر الرجل الى فضيلة شيخ الازهر وطلب منه اعلان رأيه في جميع ذلك وما نظنه الامبرثا للدين من هذه الاضاليل وسيكتب جواب فضيلته بجريدة المقطم . وكتب حضرة الفاضل مكاتب البصير بجميع ذلك الى جريدته أما مكاتبي الجرائد الاسلامية فلم يكتبوا شيئاً من ذلك .
لهذا نرجوكم توضيح رأيكم في ذلك خدمة للدين وأهله والسلام

جواب المنار

لو أن مدرساً عالماً مفسراً محدثاً على صراط السلف الصالح قعد مقعد ذلك الرجل المحقق على الله ورسوله ودينه ونهى الناس عن بعض البدع الفاشية ، والفطالت الفاشية ، وفسر لهم النصوص التي تنهى عن جعل الصالحين لله ابداداً ، وجعل قبورهم أعياداً ، والاحاديث التي تلعن الذين اتخذوا القبور مساجد ، وشرفوها وأوقدوا عليها السرج ، وهداهم الى رفض البدع ، والوقوف عند حدود السنن ، لزالت به الارض زلزالها ، ووجهت اليه العامة أنكالها ، ولوجد ممن يعرفون بالخاصة من ينصر الجهلة عليه ، ومن أصحاب الجرائد التي تدعى اسلامية من

يفوق السهام اليه ، ولكادت له السياسة ، وناصبته منصات الرياضة ، أما أمثال هذا المدرس فكثيرون لاسيما من المسجد الحسيني في العاصمة حيث يكثر تردد العلماء ، والمحافظين على الرسوم الدينية من الكبراء ، لاسيما في شهر (رمضان) ومن هؤلاء المدرسين من يبيع البطائق للنجاة من النار ، ويعلم الناس مكفرات الاوزار ، ومنهم من يبيع النشرة والحجاب ، لقضاء الحاجات وشفاء الاوصاب ، ومنهم من يدلي الناس بفرور ، ويحوّطهم عن النور الى الديجور ، ولا منع ولا استنكار ، ولا تعجب ولا استكبار ، وقد صاح من سنين صائح بهذه البدع ففرقها بتفريق الناس عنها ، ودعا الى السنة الصحيحة فجذب اليها وأدنى منها ، فاضطرب لصيخته سدة القبور ، وأكله ما يقدم اليها من الهدايا والتذورات ، ووسوسوا في شأنه لبعض المتحمسين من العوام ، وقالوا انه ينكر ترفع عمود الرخام ، (هو عمود من أعمدة المسجد الحسيني ينسب الى السيد البدوي ويستشفى الناس بالمسح به) وينكر صحة حديث « لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه » ، ويقول بجهالة من اختلقه بزعمه ووضعه ، فألب الناس على داعي السنة ، وكاد يتلي بما ابتلى به الأئمة من المحنة ، فلا تعجبوا لما سمعتم فضله كثير ، والامر لله العلي الكبير أما المسائل التي لخصتم بها قول ذلك المدرس فبعضها باطل باجماع المسلمين لم يقل به أحد منهم يعتد بقوله ومنها ما جاءت فيه روايات كاذبة أو واهية أو لا يحتج بها في أمر اعتقاد يشترط الإذعان له في صحة الايمان أو يعد انكاره كفرا ولا في الاحكام التي يكتفى فيها بالظن وإنما تساهل الجماهير بمثله في باب الفضائل والمناقب . وما اختيار الناس أمثال هذه الروايات في قصة المولد الا لجلهم بما أعطى الله خاتم الرسل والنبيين ، من المزايا التي فضل بها الاولين والآخرين ، جهلوا الفضائل الواضحة اليقينية ، فاستبدلوا بها تلك الاقاويل الواهية والوضعية ، وقلما تجد في هؤلاء الغالين في الاطراء عالما بالحديث يعرف ماصح منه وما لم يصح أو عالما بأصول العقائد يقيم البرهان عليها ويقدر على الدفاع عنها ، أو عاملا متبعما لهدي النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم معتصما بالاخلاص والتقوى . ان هم الا أصحاب أوهام ، وشقاشق يتقربون بها من

العوام، واننا نشير الى أجوبة تلك الاسئلة بالتفصيل الذي يتسع له الباب

﴿ ١ ﴾ - مسألة خلق كل شيء من نور النبي (ص) ﴿ ١ ﴾ -

واول من خلق الله

(ج ٤٢) قولهم إن أول ما خلق الله نور نبينا صلى الله عليه وسلم لا تكاد تجده في غير هذه القصص التي يسمونها الموالدات قليلا ويروونه عن عبد الرزاق وليس في الأيدي نسخة من جامع أو مصنف ولا هو مما يتلقاه أهل هذا العصر بالرواية فيعتد بنسبته إليه فالعمدة في قبول ماخرجه رواية الحفاظ بعده عنه وأجمعهم للأحاديث الحفاظ السيوطي ولم يذكر هذه الرواية في الخصائص الكبرى التي جمع فيها كل ماورد في خصائصه عليه الصلاة والسلام من صحيح وغير صحيح ولا في الجامع الكبير أو جامع الجوامع وهو الذي قال أنه لم يترك حديثاً مروياً إلا أودعه فيه وإنما أورد الروايات في كونه صلى الله عليه وسلم كان نبياً بين خلق آدم ونفخ الروح فيه ولا شيء منها في الصحيحين ولا في السنن الأربع وأقواها حديث ميسرة الفجر عند أحمد والبخاري في تاريخه (لا في صحيحه) والطبراني والحاكم والبيهقي وأبي نعيم قال متى كنت نبياً؟ قال (ص) « وآدم بين الروح والجسد » . وحديث العرياض بن صارية عند أحمد والحاكم والبيهقي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إني عند الله في أم الكتاب لحاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طيته »

قال في المواهب وأما ما اشتهر على الألسنة بلفظ : كنت نبياً وآدم بين الماء والطين: فقال شيخنا العلامة الحافظ أبو الخير السخاوي في كتابه المقاصد الحسنة لم تقف عليه بهذا اللفظ انتهى : قال الزرقاني في شرحها أي انتهى : ما نقله من كلام شيخه وبقية « فضلاً عن زيادة: وكنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين » قال شيخنا — يعني الحافظ ابن حجر — في بعض الاجوبة عن الزيادة أنها ضعيفة والذي قبلها قوي ولعله أراد بالمعنى والا فقد صرح في السيوطي في الدرر بأنه لا أصل لها والثاني من زيادة العوام وسبقه لذلك الحافظ ابن تيمية فأنتي بطلان اللفظين وأنها كذب وأقره في النور والسخاوي نفسه في فتاويه أجاب باعتماد كلام ابن تيمية في وضع اللفظين قائلاً ونأهيك به اطلاعاً وحفظاً أقر له بذلك الخائف

والموافق . قال وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا وقد قال فيه الحافظ الذهبي
مارأيت أشداً استحضارا للمتون وعزوها منه وكانت السنة بين عينيه ولسانه بعبارة
رشيقة وعين مفتوحة انتهى

وقد فسر بعض العلماء المتقدمين أمثال هذه الأحاديث بأنها اخبار عما في علم
الله تعالى ولم يرضه التقي السبكي . قال السيوطي في الخصائص :
« فان قلت أريد ان أفهم هذا القدر الزائد فان النبوة وصف لا بد أن
يكون الموصوف به موجودا وإنما يكون بعد بلوغ أربعين سنة فكيف يوصف به
قبل وجوده وقبل إرساله وان صح ذلك فغيره كذلك ؟ (قلت) قد جاء أن الله
تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد فقد تكون الإشارة بقوله « كنت نبياً » الى
روحه الشريفة أو الى حقيقته والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وإنما يعلمها خالقها
ومن أمده بنور إلهي ثم ان تلك الحقائق يوئى الله كل حقيقة منها ما يشاء في
الوقت الذي يشاء فحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون من قبل خلق آدم
آتاه الله ذلك الوصف بأن يكون خلقهم متهيئة لذلك وأفاضه عليهما من ذلك الوقت
فصار نبياً » اه المراد منه ثم أورد بعد هذا التأويل بأنه كان نبياً في العلم الإلهي وهو
ظاهر في حديث العرباض الذي يؤيده حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم « أن
الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة
ومن جملة ما كتبه في الذكر وهو أم الكتاب أن محمداً خاتم النبيين » والشاهد
قوله أن حقيقة نبينا قد تكون مخلوقة قبل خلق آدم ولو كان هناك حديث يثبت
أن نور النبي صلى الله عليه وسلم خلق قبل كل شيء لاحتج به ولم يدع أن
حقيقة الانسان هي شيء غير روحه وجسده وبني جوابه الثاني على احتمال أن
تكون حقيقة النبي (ص) خلقت قبل حقيقة آدم . وهذا الحافظ أبو نعيم وهو قبل
السيوطي لم يذكر ذلك الحديث في كتابه (دلائل النبوة) الذي جمع فيه كل ما
رواه في هذا الشأن

واذا رجعت الى استقصاء ما روي في خلق العالم تراهم أهلوا ذلك الحديث
وروا ما يخالفه كحديث عبادة بن الصامت عند أبي داود والترمذي « ان أول

ماخلق الله القلم « الحديث وهو عند ابن أبي شيبة وأبي نعيم في الحلية والبيهقي عن ابن عباس « ان أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء يكون » وعند البيهقي في الصفات عن ابن عمر، وحديث أبي هريرة عند أحمد والحاكم « كل شيء خلق من الماء » لعل المراد كل شيء حي كما قال تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي » . ولهذه الاحاديث أحاديث تعارضها وليس فيها شيء قطعي الثبوت والدلالة والقرآن صريح في أن السموات والأرض كانتا رتقا ففصلهما وخلقهن من مادة نشبه الدخان

ثم ان لحديث عبدالرزاق تمة فيها ان ذلك النور تجزأ مرات الى أجزاء خلق منها القلم واللوح والعرش والكرسي والملائكة والسموات والأرضين والجنة والنار ونور أنصار المؤمنين ونور قلوبهم فعنه الظاهر أن الله خلق من نوره شيئاً وخلق من هذا الشيء سائر الأشياء حتى نار جهنم والأرض وما فيها من الجبال والنبات والحيوان فامضى كون ذلك الشيء الأول نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو فرد من الأحياء الذين خلقهم الله في هذه الأرض التي هي من أصغر الكواكب التي لا يعلم عددها الا خالقها ؟ وما نسبة هذا الفرد الكريم الى ذلك الخلق العظيم الذي منه العرش والكرسي واللوح والقلم والملائكة والسموات والأرض والجنة والنار ؟ ظاهر الحديث أن المخلوقات كلها هي نور محمد (ص) كله وهو من المخلوقات بالضرورة فما هي نسبته الى سائر ما أي ما هي نسبة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي القرشي الذي بعثه الله تعالى نبيا منذ نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن الى جميع المخلوقات ؟ هل هو جزء منها أو كل لها وهي أجزاء له فيقال ان حقيقة محمد هي مجموعة الكائنات ومجموعة الكائنات هي محمد بن عبد الله الذي ولد من نحو أربعة عشر قرنا (ص) ؟ ثم ما معنى كون هذا من نور الله واذا سلمنا بظاهر هذا الحديث فبماذا نحتاج من نسيمهم كفارا اذا قالوا ان واجب الوجود قد انقسم فكان هذه الانواع من الكائنات ؟ « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » « ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أي أمركم بالكفر بعداذ أنتم مسلمون »

هذا الحديث حديث جابر المروي عن عبد الرزاق لأصله وليس فيه تنظيم

لخاتم النبيين ، ورحمة الله تعالى للعالمين ، بل هو مشار شباهات وشكوك في الدين يسر تأويلها بما يقبله عقلاء الباحثين ،

« وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » وما الرسل إلا بشر مثلكم ، يوحي اليهم ما فيه هداية لكم وما البشر الا جند قليل من جنود الله التي لا يعلمها الا هو قال فيهم « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ورفع بعضهم فوق بعض درجات وجعل أفضلهم أنفعهم لعباده ففضيلة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على الناس أنه اختاره من خلقه لهداية جميع الناس في طور ارتقائهم واستعدادهم لاتصال بعضهم ببعض فهو صلى الله عليه وسلم أنفع الناس للناس ولو كان هو الاصل للجميع المخلوقات وفرضنا أن هذا معقول أو أنه تعالى يكلفنا ما ليس في وسعنا أن نعقله لصرح بذلك في كتابه المبين ، الذي ما فرط فيه في شيء من مهمات الدين ، أو لروى برواية صححها جماهير المحدثين ، وكل ذلك لم يكن فأنفراد عبد الرزاق بهذا لا يكفي في القول بهذه المسألة التي لا يتصورها عقل ، ولا يشهد لها قتل ، فان عبد الرزاق وان احتج كثيرون بحديثه وروى عنه الأئمة وبجلوه قد جرحه مسلم وغيره واليك بعض ما قالوا فيه

قال الامام أحمد أتينا عبد الرزاق قبل المتين وهو صحيح البصر ومن سمع منه بعد ما ذهب بصره فهو ضعيف السماع . وقال النسائي فيه نظر لمن كتب عنه بآخره روى عنه أحاديث منا كبر . وقال ابن عدي حدث بأحاديث في الفضائل لم يوافق عليها أحد ومثالب لغيرهم منا كبر ونسبوه الى التشيع . وقال الدارقطني ثقة لكنه يخطئ على معمر في أحاديث . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل سألت أبي عن عبد الرزاق يفرط في التشيع قال أما أنا فلم اسمع منه شيئا ولكن كان رجلا يعجبه أحاديث الناس وقال محمد بن عثمان الثقفي البصري لما قدم العباس بن عبد العظيم من صنعاء من عند عبد الرزاق أتينا ه فقال لنا ألسنت قد تجشمت الخروج الى عبد الرزاق ورحلت اليه وأقمت عنده ؟ والله الذي لا إله الا هو ان عبد الرزاق كذاب والواقدي أصدق منه . أورد الحافظ الذهبي هذا ثم قال : قلت هذا ما وافق العباس عليه مسلم بل سائر الحفاظ ، وأئمة

العلم محتجون به الا في تلك المناكير المحدودة في سعة ماروي
وقال الذهبي في أحمد بن عبد الله ابن أخت عبد الرزاق : قال ابن حبان
كان يدخل على عبد الرزاق الحديث فكل ما وقع في حديث عبد الرزاق من
المناكير فليته منه وقد تقدم ذكره كذبه أحمد والناس
(٢ - مسألة مهر حواء من آدم)

(ج ٤٣) ما ذكره في ذلك كذب صريح لا حاجة لإطالة الكلام في رده
اذ لا شبهة فيه على الدين فترد ولا شبهة عليه هو فتكشف ولم ينقله محدث فينظر
في سنده وإنما وردت رواية ضعيفة في أمره بالصلاة على النبي (ص) ٣ مرات
أو عشرين مرة

﴿ ٣ - بشارة الوحوش بحمله (ص) ﴾

(ج ٤٤) ان الأثر الذي يذكره في نطق الدواب والوحوش ليلة حملته صلى الله
عليه وسلم قد أخذه واضعوا قصص المولد من رواية أبي نعيم وهو منكر جدا أورده
السيوطي في الخصائص الكبرى وأنكره مع آخرين آخرين وهذه الآثار الثلاثة
قد جمعت أكثر المنكرات في قصص المولد وأنا نوردتها بنصها ليعلم القراء أنه
لم يصح منها شيء فلا يفتروا بأصحاب المائم المعجزة اذا قرءوها وأجازوها قال :
(١) أخرج أبو نعيم عن عمرو بن قنينة قال سمعت أبي وكان من أوعية العلم
قال لما حضرت ولادة أمة قال الله للملائكة افتحوا أبواب السماء كلها وأبواب
الجنان كلها وأمر الله الملائكة بالحضور فنزلت تبشر بعضها بعضها ونطاولت جبال
الدنيا وارتفعت البحار وتباشر أهلها فلم يبق ملك الا حضر . وأخذ الشيطان
فغل سبعين غلا وألقى منكوساً في لجة البحر الخضراء وغلّت الشياطين والمردة
وألبست الشمس يومئذ نورا عظيماً وأقيم على رأسها سبعون ألف حوراء في الهواء
ينظرون ولادة محمد صلى الله عليه وسلم . وكان أذن الله تلك السنة لنساء الدنيا
أن يحملن ذكورا كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم وأنت لا تبقى شجرة الاحملت
ولا خوف الا عاد أمتا فلما ولد النبي صلى الله عليه وسلم امتلأت الدنيا كلها نورا
وتباشرت الملائكة وضرب في كل سماء عمود من زبرجد وعمود من باقوت قد

استنار به فهي معروفة في السماء ، قد رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ، قيل هذا ما ضرب لك استبشارا بولادتك: وقد أنبت الله ليلة ولد على شاطئ نهر الكوثر سبعين ألف شجرة من المسك الأذفر جعلت ثمارها بخور أهل الجنة وكل أهل السماء يدعون بالسلامة ونكست الاصنام كلها وأما اللات والعزى فانهما خرجتا من خزانتهما وهما تقولان ويح قريش جاءهم الأمين جاءهم الصديق لا تعلم قريش ماذا أصابها . وأما البيت فأياما سمعوا من جوفه صوتا وهو يقول الآن يرد علي نوري ، الآن يجيئني زواري ، الآن أطهر من أدناس الجاهلية ، أيتها العزى هلكتي . ولم تسكن زلزلة البيت ثلاثة أيام ولياليهن . وهذه أول علامة رأت قريش من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) واخرج ابو نعيم عن ابن عباس قال كان من دلالات حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطقت في تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ولم تبق كاهنة في قريش ولا في قبيلة من قبائل العرب الا حجبت عن صاحبها وانزع علم الكهنة منها ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوساً والملك مخرسا لا ينطق يومه ذلك . ومرت وحش المشرق الى وحش المغرب بالبيارات وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضا ، وله في كل شهر من شهوره نداء في الارض ونداء في السماء: أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج الى الارض ميمونا مباركا * قال وبقى في بطن أمه تسعة أشهر كلالا تشكو وجعا ولا ريحا ولا مغصا ولا ما يعرض للنساء من ذوات الحمل . وهلك أبوه عبد الله وهو في بطن أمه فقالت الملائكة آلهنا وسيدنا بقي نبيك هذا يتيما فقال الله أناله ولي وحافظ ونصير . ونهر كوا بمولده فمولده ميمون مبارك . وفتح الله لمولده أبواب السماء وجنانه فكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول أتاني آت حين مر بي من حمه ستة أشهر فوكزني برجله في المنام وقال لي يا آمنة انك قد حملت بخير العالمين طرا فإذا ولدته فسميه محمدا . فكانت تحدث عن نفسها وتقول لقد أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم فسمعت وجبة شديدة وأمرا

عظيما فاني ذلك فرأيت كان جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب
عني كل رعب وكل وجع كنت أجد ثم التفت فاذا أنا بشرية بيضاء لبنا وكنت
عطشي فتناولتها فشربتها فأضاء مني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كأنهن
من بنات عبد مناف يمدقن بي فينا أنا أعجب واذا بدياح أبيض قد مدت بين السماء
والارض واذا بقائل يقول خذوه عن أعين الناس قالت ورأيت رجالا قد وقفوا
في الهواء بأيديهم ابريق من فضة ورأيت قطعة من الطير قد اقبلت حتى غطت حجرتي
مناقيرها من الزمرد واجنحتها من اليواقيت فكشف الله عن بصري وابصرت تلك
الساعة مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلاثة اعلام منصوبات علما في المشرق
وعلما في المغرب وعلما على ظهر الكعبة فأخذني الخاض فوضعت محمدا صلى الله عليه
وسلم فلما خرج من بطني نظرت فيه فاذا أنا به ساجدا قد رفع اصبعيه كالمتضرع
المتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد اقبلت من السماء حتي غشيتها فغيب عن وجهي .
وسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمد شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار ليعرفوه
باسمه ونعمته وصورته ويعلموا أنه سمي فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك الا
محي في زمنه . ثم تجلت عنه في أسرع وقت فاذا أنا به مدرج في ثوب صوف
أبيض وتحتة حريرة خضراء وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب واذا
قائل يقول قبض محمد على مفاتيح النصر ومفاتيح الريح ومفاتيح النبوة .
ثم اقبلت سحابة أخرى يسمع منها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة حتي غشيتها
فغيب عن عيني فسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمد الشرق والغرب ومواليه
التبيين واعرضوه على كل روحاني من الجن والانس والطير والسباع وأعطوه صفاء
آدم ورقة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسماعيل وبشرى يعقوب وجمال يوسف وصوت
داود وصبر أيوب وزهد يحيى وكرم عيسى واغمره في أخلاق الانبياء . ثم تجلت
عنه فاذا أنا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية واذا قائل يقول بنح قبض
محمد على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها الا دخل في قبضته واذا أنا بثلاثة
نفر في يداهم ابريق من فضة وفي يدا الثاني طست من زمردة خضراء وفي
يد الثالث حريرة بيضاء فتشرها فأخرج منها خاتما تحار أبصار الناظرين دونه

ففضله من ذلك الا بريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ثم حمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رده الي

(٣) وأخرج أبو نعيم بسند ضعيف عن العباس قال لما ولد أخي عبدالله وهو أصغرنا (١) كان في وجهه نور يزهر كنور الشمس فقال أبوه ان لهذا الغلام لشأناً فرأيت في منامي أنه يخرج من منخره طائر أبيض فأتيت كاهنة بني مخزوم فقالت لي اثن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبه ولد يصير أهل المشرق والمغرب له تبعاً فلما ولدت آمنة قلت لها ما الذي رأيت في ولادتك قالت لما جاءني انطلق واشتد بي الامر سمعت جلبة وكلاماً يشبه كلام الآدميين ورأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوت قد ضرب ما بين السماء والأرض ورأيت نوراً ساطعاً من رأسه قد بلغ السماء ورأيت قصور الشام كلها شعلة نار ورأيت قربي سر بامن القضا قد سجدت له ونشرت أجنحتها ورأيت تابعة سميرة الاسدية قد مرت وهي تقول مالي الا صنم والكهان من ولدك هذا هلك سميرة والويل للأصنام ورأيت شاباً أتم الناس طولاً وأشدهم بياضاً فأخذ المولود مني فقل في فيه وبعه طاس من ذهب فشق قلبه شقاً ثم أخرج قلبه فشقه شقاً فأخرج منه نكتة سوداء فرمى بها ثم أخرج صرة من حرير أبيض ففتحها فاذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة وألبسه قميصاً فهذا ما رأيت « اهـ

أقول هذه الآثار الثلاثة هي ينبوع خرافات قصة المولود الثاني منها يذكرونه برمتة في أكثرها وقد قال السيوطي بعد ايرادها هنا مانصه:

هذا الاثر والآثران قبله فيها نكارة شديدة

ولم أورد في كتابي هذا أشد نكارة منها ولم

(١) قال الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب : كان العباس أسن من رسول الله (ص) بسنتين وقيل بثلاث : أقول وهذا القول مجمع عليه من المحدثين والمؤرخين وهذا الحديث مبني على أن العباس أسن من والد النبي صلى الله عليه وسلم فهو مخالف لاجماع المحدثين وكفى بذلك كذباً

تكن نفسي لتطيب بإرادها لكني تبعت الحافظ أبا نعيم في ذلك

هذا كلام السيوطي على تساهله في الجمع وأقول إن أبا نعيم لم يذكر هذه الآثار الواهية في كتابه دلائل النبوة على ما فيه من الروايات الضعيفة والمنكرة كما ترى في النسخة المطبوعة منه فكان ينبغي أن يسمعه في ذلك لأن الخصائص كالدلائل مؤلفة في شأن النبي صلى الله عليه وسلم على أن ذكره لها مع براءته منها كان خيراً من السكوت عنها . وعبارته تدل على أنه أورد في الخصائص كثيراً من الروايات المنكرة وهو كذلك . وقد ذكر بدلاً لآثار الثلاث رواية مخزوم ابن هاني عن أبيه عند البيهقي وأبي نعيم وفيها أنه ارتجس ليلة المولد إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرافة وخمدت نار فارس وغاضت بحيرة ساوة وفيها رؤيا الموبدان وحكاية سطيح الكاهن وقال في آخرها : قال ابن عساكر حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مخزوم عن أبيه تفرد به أبو أيوب البجلي : أي وما تفرد به لا يحتاج به . وتذكر هذه الآثار في بعض القصص والكتب بعبارات مختلفة بزيادة ونقص ولا يلتفت إلى شيء منها فإن المبرة بما يروي المحدثون ، لا بما يهذي به القصاصون ، هذا وإذا أردنا أن نبحث في هذه الآثار من جهة موضوعها وحفظ المشركون في الجاهلية وسائر الأمم لها إلى أن ظهر الإسلام فأننا نجد فيها مالا تقبل معه فإن أمثال هذه الغرائب من شأنها أن تستفيض وينقلها الجاهير ولم يرو أن أحداً من المشركون آمن لأجلها ولم يروها أهل الصحاح كالبخاري ومسلم بل تركوها لعدم الثقة بروايتها . وأما أبو نعيم فإنه لم يروها واثقاً بها ولكنه كان يروي المناكير بل والموضوعات ويسكت عليها اعتماداً على أن الناس يعرفون درجاتها من سندها ولكنهم اتفقوا عليه ذلك هو وابن منده وكان يطمئن أحدهما بالآخر للمعاصرة . قال الحافظ الذهبي في الميزان فيها : لا أقبل قول كل منهما في الآخر وهما عندي مقبولان لا أعلم لهما ذنباً أكبر من روايتهما الموضوعات ساكتين عليها : اهـ . ويوجد شيء من هذه الروايات في كتب أخرى لنير المحدثين لا يوثق بها

ولا بأساندها ككتاب مسامرة الاخيار المنسوب للشيخ محي الدين بن عربي على ان فيها ذكر المجهولين والضعفاء ورواة المناكير كسيد بن عثمان الكريزي قال الذهبي كان يحدث في اصبهان بالمناكير وحفص بن الصباح الرقي قال الحاكم حدث بغير حديث لم يتابع عليه ويحيى البابلتي ضعفوه وضعفوا شيخه ابا بكر بن مسلم الحمصي وغيرهم . وحسبنا ما في كتاب الله تعالى والاحاديث والآثار الصحيحة في آياته وفضائله عليه افضل الصلاة والسلام فلا حاجة لنا بامثال هذه الروايات هذا وقد طال بنا القول وسنجيب عن بقية المسائل في الجزء الآتي ولم ننس الاسئلة الواردة من تونس ومنغافورة ولكل شيء اجل

باب في تعليم اللغات

نكتفي في هذا الباب من هذا الجزء باقتباس المقالة الآتية من مجلة « المقتبس » تنويها بحسن اختيارها للمفيد وايداننا بما للفربيين من الرقي في فن التعليم ، قالت

تعليم اللغات

ان تعليم اللغات على الطريقة التي جرى عليها الغربيون واقتبسها المشاركة قد تكون نظرية أكثر مما هي عملية فيطول أمرها ويصعب تناولها . واطاماً رأينا من يترجم أشعار شكسبير الانكليزي أو بوالو الافرنسي واذا رمسه الاقدار في شوارع لندن أو باريز لا يطاوعه لسانه أن يلفظ كلمات يهتدي بها لوجه طريقه . ذلك لأن الطريقة في تعلم تلك اللغة الأجنبية هي عين الطريقة التي يستخدمها الاوربيون في تعليم الصم البكم بل عين التهج الذي يهجه المغاربة في تعليم احدى اللغات الميته من لاتينية ويونانية أو احدى اللغات الحية من انكليزية وفرنسية وإيطالية وغيرها . اذ يكون تدريس النحو والصرف والترجمة من الكتب هو العدة في اتيان اللغات ويسهل على المعلم أن يدرس تلميذه على هذا النحو وربما أخذ في تعليمه لغة وهو لا يحسن أن يوافق بين جملتين صحيحتين في تلك اللغة التي عهد اليه تدريسها ولم يجود التلفظ بها فكان شغله الشاغل تعليم تلامذته أصول التصريف

والاعراب والترجمة على حين قد ثبت ان الدارس قد يستظهر قواعد لغة وقوانينها ولا يبرع في اللغة نفسها . واسقم المذاهب في تعلم لغة أن يتكلم المرء بلغته في خلال تعلمه لغة غيرها .

من أجل هذا قضت الحال أن تكون دراسة قواعد الاعراب والتصريف بعد معرفة اللغة معرفة عملية لا نظرية ولا تفيد الترجمة والنقل الا اذا توفرت للطالب بادية بدء معرفة الاساليب في اللغة الغريبة . فعلى من رام أن يتكلم لغة ويكتب فيها أن يفكر في تلك اللغة ويكون شعوره شعور أهلها فيها لا ان يصيغ تراجم وينقل جملاً . فتسندعي الأفكار والانفعالات للحال ما يحتاج اليه الطالب من الالفاظ التي يعبر بها عنها فتصير اللغة التي يتعلمها لغة ثانية له ولا تكون الترجمة من لغته أو اليها اذا دعت الحال حرفاً بحرف بل على طريقة تنقل بها الصورة الى التعبير عنها . وقبلما يسمع المتعلم في معظم المدارس اليوم صدى اللغة التي يتعلمها ويقتضي له أن يربي عليها أذنه وذاكرته ما أمكن . وما أشبه المدرس وهو يشرح للدارس دروسه بلغته الأصلية الابامّ تود أن تعلم طفلها وهو ألكن تمام قواعد الفعل الماضي وتصريف الافعال الشاذة بدلاً من أن تمنى بتعليمه أن يحسن تلفظ الكلمات الاولى التي يحاول لفظها .

وما فتى تعلم اللغات يختلف باختلاف الاجتهاد في كل قوم ومعظمه دائر في الغرب منذ ثلاثين سنة على طريقتين وهما اما أن يقيم المتعلم زمناً في بلد اللغة التي يريد تعلمها أو ان يكون أهل الطفل في سعة من العيش فيتخذون له مؤدباً أو مؤدبة يعلمه اللغة بالعمل بين ظهري أهله وأسرته . وقد ابتدع الاستاذ برلينز الاميركاني طريقة سهلة لتعليم اللغات جرى عليها بعضهم في أميركا وأوروبا فاسفرت عن نجاح أكيد . وطريقته عبارة عن نظر عقلي وعلم عملي ولفظ آخر نظر في المحسوسات المجردات اذ اللغة عبارة عن أصوات محكية لا عن اشارات مكتوبة . والتعليم سماعي أولاً ثم نظري . ولا يعمد في طريقته الى الترجمة ولا الى النقل ولا يستخدم فيها الطالب معجماً ولا يستصحب كتاب قواعد بل يتعلم الانسان القوانين بعد لإكمال المعرفة العملية على نحو ما يتعلم الطفل لغة أبيه وأمه . وليس

في تعلم القواعد نفع حقيقي الا متى عرف المرء اللغة فالقواعد تشرح اللغة شرحاً علمياً فتبحث عن علل يأتى الاستغناء عنها بادية بدء وقلما تنفع في تلقين اللغة شأن مصور لا يحتاج الى اتقان العلوم الطبيعية والكيمائية ليصنع صوراً شمسية بديعة .

ما اللغة في الحقيقة الا صورة محكية من الحياة فاقضى في تعلمها أن يسبر الانسان من نفس الحياة لا ان يعمد الى اشكال من التعبير لا تمس ولا تتحرك وقلما تنلأَم الالفاظ وصور الافكار بين لغة وأخرى كل التلاؤم فالبداءة بالترجمة الحرفية من لغة الى لغة يراد تعلمها اضاءة للوقت واتعاب للذهن على غير طائل . ومن العسر المتعذر ان يرسم المرء صورتين رسماً خفيفاً على حين لا يضع احدهما على الاخرى وكذلك الحال في اللغات فقد امتنع أن يحكم وضع لغتين بمضمونها على بعض

واللغة بموجب هذه الاصول الجديدة عبارة عن محادثة دائمة باللغة الغريبة فكل ما يقع نظر التلميذ عليه مباشرة يكون له منه مادة درس وموضوع تعلم . وذلك بترية الاذن والحواس الصوتية . فيلقن الاستاذ تلميذه حسن اللفظ وسرعة التركيب فيدرس الافعال الاولى بالاعمال والحركات يقوم ويذهب الى اللوح الاسود فيكتب ويفتح الباب ويرفع الكتاب ويضعه ثم تعرض على سمعه مشاهد الحياة اليومية فيسهل عليه تأليف جمل صغيرة يتزايد كل يوم عددها بسرعة . فيكون للتلميذ بهذه الطريقة في تأليف الجملة ما يلزمه من اوليات القواعد والروابط . والامم بأسرها تتعلم لغاتها بالعمل أولاً ثم بالنظر . فيتعلم المتعلم ما تمس حاجته اليه أن يكتب بدون غلط ويتعلم التلميذ أولاً معاني الكلمات الغريبة ثم يلقن التمرينات العديدة بعد معرفة اللغة معرفة فطرية فمعرفة عقلية . ومن اللازم اللأزب الاعتياد على الصور قبل القواعد . ثم يبدأ المعلم بالسؤال فيجيبه المتعلم ولا يزالان ينتقلان من البسيط الى المركب ومن شرح المفردات الى تفسير العبارات ويكون كل ذلك باللغة التي يراد اتقانها .

واللفظ في هذه الطريقة المقام الاعلى . ولم يكن يعنى بتقويته من قبل . والابانة الذين يحسنون التلفظ بلسنة مأم ممن تعلموها على الأسلوب الطبيعي في طفوليتهم أو أتقنوها بمقامهم في البلاد التي تكلم فيها تلك اللغة . وجودة

التلفظ هو روح اللغة على التحقيق . ولا تعد العبارة شيئاً مهما بلغت من الضبط متى قبح اللفظ وتجلت اللهجة الأعجمية فيه عياناً . ومن الهجنة أن التلفظ لا يكاد يصلح إذا فسد لأول أمره » وصعب على الانسان ما لم يمود »

فالطريقة المشار اليها مغيرة لطريقة الترجمة المألوفة في الاغلب اذ كل معرفة يرشد اليها المتعلم على هذه الصورة لا تحسب ناقصة الجهاز مشوشة الاسلوب .
وقلما يجد الالفاظ في لغة ما يقابلها في لغة ثانية ولكل لغة اصطلاحاتها الخاصة بها ليس للترجمة مهما أتقنت أن تنقلها على أصلها اذ التصورات التي تمثلها لغة لا تتحد مع تصورات تمثلها ألفاظ لغة أخرى اتحاداً ذاتياً معنى ومعنى . كتب أحد الغرباء الى فيليون العالم الفرنسي المشهور « أن لي منك يا مولاي امعاء والد » يريد أن يقول « قلب والد » وقال الفونس الثاني عشر ملك اسبانيا وقد جاء قصره في يوم احتفال : « أتود أن تتعب معي نحو النافذة » يعني بذلك أن تقترب نحو النافذة .

ولو تعلم ذاك الكاتب وهذا الملك ان يتكلموا بالفرنسية على طريقة الاستاذ برليتز اذاً لنجيا من هذا الغلط الشائن وكان شأنهما في سهولة التعبير وجودة التصوير شأن اولئك التجار والسوقة ممن ينزلون بلاداً لا يحسنون لغتها فما هو الا قليل حتى يمرنوا على تكلمها زمنا فيحسنونها ولا إحسان من تعلموها على دكات المدارس وهم يقبلون المعاجم ويتأبطون كتب نحوها وصرفها ويأمنون ناسخين مستظهرين ناسين . وطريقة برليتز هذه ان يستعمل أولاً اللغة المتعلمة خاصة وان يتابع التصور في اللغة الغريبة مباشرة بدون وساطة اللغة الاصلية وان تعلم أسماء الاعيان بقوة الحس وتعلم أسماء المعاني بتتابع التصور ويدرس النحو بالامثلة والشواهد

هذا مذهب الاستاذ برليتز في اتقان ملكة اللغات وقد انتقل من نيويورك الى باريس عام ١٨٨٩ فاست في هذه العاصمة أول مدرسة على تلك الطريقة وانتقل هذا المذهب في تلك السنة الى انكلترا والمانيا فاست في كل من لندن وبرلين مدارس لهذا الغرض . وما برحت مدارسها تتكاثر في الاصقاع الأوروبية حتى كانت في بدء هذه السنة ٢٤٢ مدرسة في أوروبا وحدها وكلها أسفرت عن ارتقاء واقتصاد في الوقت والمال وطريقة القائمين بهذا الامر أن يكون لكل

تلميذ استاذ الخاص به فيأخذ هذا يعلم تلميذه مايقع نظره عليه في قاعة الدرس من منضدة وكرسي وكتاب وباب ونافذة يلفظها بلغتها ولا يزال يكررها المتعلم حتى يتقن اللفظ فاذا نفذت المسميات لدى الاستاذ في الغرفة يعمد الى صور سهلة واضحة رسمت على صفحات مجموعة رسوم فما هو الا ان يتعلم التلميذ أسماء الاشياء الواقعة تحت حسه مع الالوان التي يمتاز بها كل منها ثم ينتقل الى صفات الحجم وافعال الحركات والاعداد . فاذا أُنجز درس الاشياء يشرع المعلم في اختيار جمل يكون التلميذ قد عرف اكثر مفرداتها . فلا يمضي ثلاثون درساً الا وقد عرف التلميذ الافعال الشائعة في الاستعمال والمفردات التي تدخل غالباً في الاحاديث العامة ويمكن في ستين درساً من بيان فكره أصبح بيان في كل ماله علاقة بمجرى الحياة الاجتماعية العادي . ويحسن في اختيار المعلمين ان يكونوا ممن لا يعلمون لغة المتعلم . ومما بضحك ماوقع لولد أحد كبار المنشئين الفرنسيين وكان يدرس الالمانية على طريقة برلينز قيل انه لما بلغ به المعلم الى تمييز الفعل المتعدي من اللازم لم يفهم التلميذ المراد من المتعدي واللازم وأخذ معلمه يشرحهما له بالاشارة تارة والتشبيه طورا فلم يفلح وكان تلميذه معه كاعجم طمطم لا يفهم ولا يفهم . وأبى الاستاذ على تلميذه أن يفسر له شيئاً بلغته مع إلحاحه عليه في ذلك وراح الطفل الى دار أبيه وقد بلغ منه الفيظ وأنشأ يقاب كتاب نحوه يقتش عن الاشكال فاهتدى بنفسه الى حله وشكا أمره الى والده فقال له : أي بني لقد أحسن الاستاذ أن أبي عليك شرح مايربد تعلميك بلفتك ولو قاله لك لغرب عن ذهنك وأصبح لديك بعد زمن نسياً منسياً . أما الآن فاني على ثقة من انك لا تنسى التفرقة بين الفعل اللازم والمتعدي ولو بعد مئة سنة

قال الكاتب الذي عر بنا عنه هذا المبحث وقد كاد أرباب الافكار والحصافة يجمعون على ان اللغات الحية لا تعلم كاللغات الميتة بل انه لا بد في الاولى من المرات على التكلم بها من أول وهلة وأنه ما من لغة مهما تراءى من صعوباتها على المعلمين باديء بدء سواء كانت اللغة الروسية أو الهندية أو العربية أو الصينية الا ويتيسر اتقانها على طريقة برلينز في مدة تختلف باختلاف ذكاء المتعلم وصعوبة اللغة والله أعلم

بَابُ الْحَبِيبِ وَالْأَنْبِيَاءِ

مسلمو الصين . والاسلام في اليابان

في الصين عشرات من الملايين المسلمين هم أكثر أهل تلك المملكة الكبرى مالا وأعز نفرا هم أكثر مالا لأنهم أبرع في التجارة وأكثر اشتغالا بالصرف والدين بالر بالفاحش ويستحلون الربا على تشدهم بما يعرفون من دينهم لأن كتب الفقه الحنفي (كتب مذهبهم) تبيح في دار الحرب . وهم أعز نفرا لشجاعتهم واتقانهم للفنون العسكرية فهم أقوى جيش الدولة وأمنع حماة الأمة . وقد أنشأوا يهاجرون الى اليابان بأموالهم وسلعهم لأجل الصرف والدين والتجارة بعد ما كانوا محججين عنها لأنهم علموا أن اليابان تغيرت حالها بعد الحرب فصارت تحترم الغرباء وكانت تحترمهم . وانا نتوقع أن يستفيد المسلمون من معايشة اليابانيين الميل الى الأعمال الاجتماعية والعلوم العصرية فاننا نعرف عنهم أنهم لا يتعلمون الا قدر الحاجة من القراءة والكتابة والاحكام الفقهية ثم ينصرفون الى الأعمال المالية ان لم يدخلوا في أعمال الدولة العسكرية والادارية

ومن الغريب أن تظهر الدعوة الى الاسلام في اليابان من بعض مسلمي الصين دون مسلمي الهند أو الاستانة أو مصر . ولو كان مسلمو الصين على علم واسع بالاسلام لكانوا أحق بهذه الدعوة لأنهم أول من تستفيد منها وفائدة اليابان من الاتحاد معهم أعظم فانها بهم تستعمر مملكة ابن السماء (الصين) كلها وناهيك بمملكة تضم بين جوانبها أكثر من ربع البشر وما أرى أن مسلمي الصين يلاحظون هذه الفائدة اذ بلغني أنهم لا يحفلون بالسياسة بل لا يفكرون فيها وما أظن أن دعوة الشيخ حسان لهم الى الاسلام الا بياعث ديني وذلك — ان صح — خير من أن يكون بياعث سياسي فان من يدعو الى الدين لأجل السياسة لا يكون جديرا بالنجاح كمن يخلص في دعوته لله رب العالمين

المعروف عن الأمة اليابانية ان العلم قد هدى فضلاءها وزعماءها الى بطلان

الوثنية التي درجوا عليها وانهم يطلبون باستعدادهم الجديد دينا مقبولا يتفق مع المدنية واللم والعمران فهم يطلبون الاسلام ولا يجدون من يمثله لهم ونخشى أن يعجز الشيخ حسان الصيني عن اقناعهم فيظنون أن مبلغ علمه بالاسلام هو الاسلام فينصرفوا عنه الى غيره . فهل نجد في مسلمي هذه الديار رجلين أو ثلاثة قد استعدوا للدعوة الى الاسلام بفهم الكتاب والسنة وحكم التشريع ومواضع الشبهات على الدين ومسالك كشفها والقدرة على تمثيل الاسلام جامعا بين مصالح الدنيا والآخرة موافقا لحال الناس في عصر العلم والحضارة والصناعة عصر الكبرياء والبخار = يتركون وطنهم المحبوب ويسافرون الى اليابان لمساعدة أخيهام الشيخ حسان الصيني على الدعوة ؟ وهل نجد في أغنيائنا من يتبرع بشيء من فضل ماله لمساعدة هؤلاء الدعاة ان وجدوا أولا أجل ايجاد دعاة الاسلام يعلمون تعليما خاصا يساعدهم على ذلك ؟

يوجد في المسلمين من يثق بدينه ولا يرتاب فيه أكثر ما يوجد في اليهود والنصارى ولكن الشاك في دينه من اليهود والنصارى يبذل في نشره ونصره مالا يبذل المسلم الموقن لأن المسلمين قد ضعفت فيهم الحياة الاجتماعية وغلبت عليهم الأثرة بعد ذلك الايثار الذي مدح الله سلفهم عليه بقوله « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وانا لا نطمح بأن نرى من مساعدة جميع أغنيائنا على نشر دعوة الاسلام مثل ما تبذله جمعية غسالات ليون للمبشرين بالنصرانية وهي جمعية ألفتها غسالة في تلك البلدة الفرنسية من بنات حرقها ورأس ما لها الآن يبلغ ألوف الألوف .

نعم ان كثرة تعرض دعاة النصرانية في مصر للطعن في الاسلام قد وجهه قلوب كثير من أهل الفيرة الى مسألة الدعوة فهم قد نفقوا المسلمين ولم يضرهم وان لم تفهم هذا جرائدنا التي طفقت تدعو الحكومة الى منعهم من الدعوة ونشر الكتب ولو كانت هذه الجرائد تحسن خدمة الاسلام لردت عليهم بما يدفع الشبه ويقوي استعداد المسلمين لمثل عملهم وأناي لها بذلك ؟ وانا نلرجو من المسلمين مهضة جديدة لدعوة دينهم الحق بالاستعداد والامداد ، والله الهادي الى سبيل الرشاد ،

بؤني الحكمة من يشاهد من يؤث الحكمة قدما وقي
خير اكبرا ومايد صكر الا اولو الاباب

المعجزة
١٣١٥

بشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
او تعلق الذين هداهم الله واثقك هم اولو الاباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوي و«منارة» كنار الطريق)

﴿ مصر الجمعة غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٣ - ٢٦ يناير (ك) سنة ١٩٠٦ ﴾

تمت سيرة الاستاذ الامام

تابع لما في الجزء الرابع عشر

(مذهبه وطريقته في الاصلاح)

كان تقدمه الله برحمته قد شرع في كتابة تاريخ نفسه كتب في فاتحه
مذهبه في الاصلاح مجلا وشرع بعدها في الفصل الاول وهو في أهله الذين نبت
فيهم وتربي التربية الأولى معهم ولم يتمه (وقد جعلنا جميع ما كتبه من ذلك في
الجزء الاول من تاريخه الذي يطبع الآن) فكلته في تلك الفاتحة هي خير
ما نورد في بيان مذهبه بالاجمال

قال بعد البدء بالبسملة والحمدلة والصلاة والتسليم على خاتم المرسلين « وبعد فما
أنا ممن تكتب سيرته ، ولا ممن ترك للاجيال طريقته ، فاني لم آت لأمتي عملا
بذكر ، ولم يكن لي فيها الى اليوم أثر يوثر ، حتى أكون لأحد منها قدوة ، أو
يكون لأحد في أسوة ، وهذا الذي أجده من استصغار أمري وخفاء أثري ، وظهور

اخفي بعد الثورة العراقية وجعلت الحكومة ان يلبها عليه عشرة آلاف جنيه وانما
ذلك عبد الله أفندي نديم الذي حكم باعدامه . هذا والثورة العراقية أشهر حوادث
مصر والاستاذ الامام من أشهر رجال العصر

عجزني عن بلوغ ما يري اليه فكري ويطمح اليه نظري ، كان يمنعني من اكتب شيئاً يتعلق بحياتي ، تعرض فيه بداياتي وشيء من أعمالي بعدها وصفاتي ، حتى أكون به باقيا عند من يطالعه بعد مماتي ، وكنت أقول: وقت أصرفه في حكمة أستفيدها ، خير من زمن أنفقه في قصة أستعيدها ، وما الذي عساه يبقى مني ، وأنا في قومي لم أترك ما يؤثر عني ، »

ذكر بعدها ان بعض معارفه من الغربيين وغيرهم طالبوه بأن يكتب تاريخاً لنفسه وألحوا في ذلك ثم قال

« لما تكرر الطلب في هذه الصور المختلفة رأيت أن الإضراب عن الإجابة اغراق في الخمول ، وتقصير في احترام رأي لم يشبه رياء ، ولم يحمل عليه الا قوة الظن بالفائدة في المطلوب ثم نظرت نظرة في نفسي وما كانت بدايتي ، وما نزعت اليه أثناء الطريق في سيري ، وما انتهيت اليه فيما تأخر من أيام عمري ، وقست جميع ذلك الى ما عليه الناس حولي ، فوجدت اختلافا قد يسهو عنه الغافل ، ولكن ربما ينتفع بملاحظته العاقل ،

« وجدت اني نشأت كما نشأ كل واحد من الجمهور الأعظم من الطبقة الوسطى من سكان مصر ودخلت فيما فيه يدخلون ، ثم لم ألبث بعد قطعة من الزمن أن سئمت الاستمرار على ما يألفون ، واندفعت الى طلب شيء مما لا يعرفون فعثرت على ما لم يكونوا يعثرون عليه ، وناديت بأحسن ما وجدت ودعوت اليه ، وارتفع صوتي بالدعوة الى أمرين عظيمين (الأول) تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع في كسب معارفه الى منابعها الأولى ، واعتباره من موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه ، وتقلل من خلطه وخبطه ، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الانساني ، وأنه على هذا الوجه ، يعد صديقاً للعلم ، باعثاً على البحث في أسرار الكون ، داعياً الى احترام الحقائق الثابتة ، مطالباً بالتعويل عليها في آداب النفس واصلاح العمل ، وكل هذا أعده أمراً واحداً . وقد خالفت في الدعوة اليه رأي الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الأمة — طلاب علوم الدين ومن

على شاكلتهم ، وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم ،
 « أما الامر الثاني فهو اصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير سواء كان
 في المحادثات الرسمية بين دواوين الحكومة ومصالحها أو فيما تنشره الجرائد على
 الكفاية منشأ أو مترجما من لغات أخرى أو في المراسلات بين الناس . وكانت
 أساليب الكتابة في مصر تنحصر في نوعين كلاهما يمجج الذوق وتنكره لغة العرب الخ
 (ثم قال) « وهناك أمر آخر كنت من دعائه والناس جميعاً في عى عنه وبعد
 عن تعقله ولكنه هو الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية وما أصابهم الوهن
 والضعف والذل الا بخلو مجتمعهم منه وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق
 الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة . نعم كنت فيمن دعا
 الامة المصرية الى معرفة حقها على حاكمها وهي هذه الامة التي لم يخطر لها هذا
 الحاطر على بال من مدة تزيد على عشرين قرناً - دعوناها الى الاعتقاد بأن الحاكم
 وان وجبت طاعته هو من البشر الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم ، وأنه لا يردده
 عن خطئه ولا يقف طغيان شهوته ، الا نصح الامة له بالقول وبالفعل
 « جهرنا بهذا القول والاستبداد في عنفوانه » والظلم قابض على
 صولجائه * ويد الظالم من حديد * والناس كلهم عبيد له أي عبيد *
 « نعم انني في كل ذلك لم أكن الامام المتبع ، ولا الرئيس المطاع ، غير انني
 كنت روح الدعوة ، وهي لا تزال بي في كثير مما ذكرت قائمة ولا أبرح أدعو
 الى عقيدتي في الدين ، وأطالب باتمام الاصلاح في اللغة - وقد قارب - أما أمر
 الحكومة والمحكوم فمرسته تقدر يقدره ، وليد الله بعد ذلك تدبره ، لأنني قد
 عرفت أنه ثمرة تجميعها الامم من غراس تفرسه وتقوم على تنميته السنين الطوال ،
 فهذا الغراس هو الذي ينبغي ان يعنى به الآن ، والله المستعان ، » اه المراد
 وذكر بعده اصابته ونجاحه في بعض الأمور واخفاقه في بعضها
 علم من عبارته ان الاصلاح الذي دعا اليه ديني وأدبي وسياسي وأنه ترك
 الاخير بعد طول الاختبار ويؤيد ذلك ما يؤثر عنه من القول في ذم السياسة
 كقوله: ما دخلت السياسة في عمل الا أفسدته: وقوله في مقالات الاسلام والنصرانية

« فان شئت أن نقول ان السياسة تضطهد الفكر أو الدين أو العلم فانا معك من الشاهدين . أعوذ بالله من السياسة ومن لفظ السياسة ومن معنى السياسة ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسة ومن كل أرض تذكر فيها السياسة ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يُسجن أو يعقل في السياسة ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس »

ترك السياسة التي هي مقاومة الاستبداد والحكم المطلق ومحاولة تغيير شكل حكومة بقوة رعية . وأما السعي في اصلاح حكومة بلاده بإقناع حكامها وأولي الأمر فيها بما فيه خيرها ومصلحتها وإرشاد رجال الشورى من الأمة الى طرق السداد في قوانين الحكومة ومسالك الإقناع لما يظهر بالمشاورة أنه الصواب فهو لم يتركه بل كان يصرف فيه أكثر أيام حياته ، وهو ليس من السياسة التي حكم بإفسادها للأعمال ، وإبطالها للأمانى والآمال ،

ترك السياسة خيرها وشرها ، ولكنها — قاتلها الله — لم تتركها من ضررها ، فقد كان يناجي ربه على فراش الموت برمل الاسكندرية والسياسة تنقب في سواحل بيروت باحثة عنه معتقدة بما أوحى اليها شياطين الجواسيس أنه جاء بيروت متسكراً لنزول سلطة ابن عثمان ويبدل منها سلطة جديدة لأحد أبناء علي ، وتصدت بشرها الى بعض من قيل لها أنهم من محبيه في تلك البلاد فاتهمهم بالجرائم بل وبالجنایات السياسية وعاقبت بعضهم ولا تزال تعاقب بعضاً وكان أشدهم عقوبة أقواهم براءة ، وان أقواهم تهمة لأظهر براءة من الامام نفسه إذ اتهم بأنه متسكراً في بيروت أيام كان يعالج الموت في رمل الاسكندرية . أفلا يكون رضي الله عنه جديراً بالاستعانة من شيطان السياسة الذي هو شر من شيطان الوسوسة وأشد ضرراً بلى . ولولا معارضة السياسة لعمل الرجل للإسلام في هذه البلاد ما يتناهى الاسلام في جميع البلاد ، على ان السياسة ما قويت عليه بل كان الله ناصر له لنصره دينه فكلمها كادت له تلك الماكرة كيذا رد الله كيدها في نحرها ففتشي وقد زادت شهرة الرجل بما كانت تحاول من إخفاء ذكره ، وعرف الناس بعض ما كانوا يجهلون من فضله ، فما أضرت له ولكن أضرته الأمة بتأخير الإصلاح ولا أقول

بمنعه فإن البذور التي ألقاها قد نبتت فكانت زرعاً أخرج شطأه ولا يلبث أن يستوي على سوقه ويجود بشمره فيغيظ المفسدين في الأرض، ويطلق السنة التاريخية بلحن محاولي قلعه إلى يوم المرض
هذا ما يتسع له المنار من ذكر مذهبه في الإصلاح مجلداً وموعداً بالتفصيل التاريخ الذي نشغل بطبعه الآن

﴿ آماله وامانيه ﴾

كان أمله في الإصلاح محصوراً في الأزهر فكان عازماً على توسيع دائرة العلوم والعرفان فيه وعلى إيجاد طوائف من الإخصائيين الذين يتقنون علماً واحداً يكونون فيه مرجعاً . وكان يود أن يبدأ بإيجاد طائفة للقضاء الشرعي وطائفة تستعد للدعوة إلى الإسلام ، وأخرى للخطابة ووعظ العوام ، وأهل الأزهر لا يزالون بمنزل عن العالم فهم لا يشعرون بشيء مما وراء جدران الأزهر وياليثهم كانوا يعرفون حقيقة جميع ما يرون في ذلك المحيط فلا استعداد فيهم لقبول الإصلاح ضعيف ولقاومته قوي إلا أن يكون من جانب السلطة لذلك لجأ الرجل إلى الأمير وطلب إسماعله على إصلاح الأزهر وكان نجاح الإصلاح بقدر ذلك الاسعاد

﴿ مدرسة كلية ﴾

ولما ضعف أمله في الأزهر منذ ثلاث سنين فكر في إنشاء مدرسة كلية في القاهرة تفني عنه في تخريج رجال يخدمون الأمة فاستمال أحمد باشا المنشاوي ونفخ فيه من روحه حتى عزم الرجل على تأسيس المدرسة بحاله وإيقاف أرض واسعة عليها تكفي لنفقاتها ولكن المنية اخترمته عند الشروع في الاستعداد بإرشاد الاستاذ الامام . وقد قضت الحوادث بعد موت المنشاوي أن يستقيل من مجلس إدارة الأزهر ويتركه إلى أن يفعل الزمان فيه فعله ، ويهدده لما خبيء في الغيب له ، وعند ذلك قويت العزيمة على إنشاء المدرسة الكلية وبعد التروي وطول التشاور مع أهل الفيرة والاخلاص وضع المشروع للاشتغال بإنشاء الكلية في هذا الشتاء كما قلنا في جزء سابق وإن ما خسرنا بموت هذا الرجل العامل لم يدع في نفوسنا مكاناً للحسرة على الحرمان من هذا العمل

﴿ جريدة يومية ﴾

وكان في عزمه السعي في انشاء شركة تنشى جريدة يومية في القاهرة تختار لها طائفة من الكتاب الإخصائيين ينفرد بعضهم في بيان ما عليه المصريون في المدن والقرى والمزارع من العادات والتقاليد والاعتقادات وبعضهم في المسائل الاقتصادية والزراعية وبعضهم في الموضوعات العلمية والأدبية . ويوضع لهم قانون لا يتعدونه ومن أحكامه الاقتصار في المسائل السياسية والاخبار الصادقة على ما فيه السيرة والفائدة لأهل البلاد، وعدم المدح والذم الشعري ، وقبول الانتقاد على ما ينشر فيها من كل كاتب أديب ، ومنها أن يرجع في بيان جميع المصالح ذات البال الى ما يقرره مجلس ادارة الجريدة بالمشاورة فلا يكون ما ينشر فيها عبارة عن رأي رجل واحد ومثالا يتذبذب مع ميله وهواه، ومنها أن لا تكون الجريدة خصما لجريدة أخرى . كنت ممن يلح عليه بهذا السعي منذ سنتين واخترت لهذا العمل من الكتاب المجيدين المعتدلين من رضي بهم وكاشفنا كثيرين من السكباء والفضلاء في ذلك واخترنا منهم أعضاء لمجلس الادارة ووضعت تقديرا عميدا لانشاء المطبعة ونفقات العمل . ولو بقي الامام حيا لرجونا أن يبرز هذا العمل في هذا الشتاء وان خسارتنا بفقده لا عظم من كل خسارة

(السياحة في الشرق)

كان من نيته الحسنة احسن الله ثوابه - أن يسبح في بلاد الهند وبلاد الفرس وبلاد روسيا الاسلامية ليخبر حال المسلمين بالفعل في الشرق كما اختبرها في الغرب والوسط فيعرف ما يصلح لجميع شعوب المسلمين من التهيئة والعمل وما يصلح الآن لبعض دون بعض ولا حاجة الى شرح ما وراء هذا الاختبار لو كان

﴿ تفسير القرآن وتاريخ الاسلام ﴾

كان صاحب هذه المجلة قد اقترح على الاستاذ الامام ان يكتب تفسيرا للقرآن في رمضان سنة ١٣١٥ اي قبل الشروع في انشاء المنار وذلك بعد ان اقترحت عليه قراءة درس في التفسير تردد فيه ثم لم يفعل الا بعد سنتين وشهور . ذكره

في يوم الجمعة ثلاث عشرة خلت من الشهر فقرأ لي عبارة من كتاب فرنسي يطن
في الاسلام وطلق يرد عليها واحتاج في الرد الى الكلام في تفسير « رب العالمين »
فتمنيت حينئذ لو كان للقرآن تفسير على نحو ما كان ينسر فاقترحت ذلك عليه وانني
اذكر هنا شيئاً مما كتبه يومئذ في مذكري عن ذلك الاقتراح وهو:

« قلت لو كتبت تفسيراً على هذا النحو تقتصر فيه على حاجة العصر وتترك
كل ما هو موجود في كتب التفسير وتبين ما أهملوه .. فأجاب ان الكتب لا
تفيد القلوب العمي فان دكان السيد عمرا الحشاش مملوءة بالكتب من جميع الفنون
وهي لا تعلم شيئاً منها .. لا تفيد الكتب الا اذا صادفت قلوباً عالمة بوجه الحاجة
اليها تسعى في نشرها . اذا وصل كتاب الى أيدي هؤلاء العلماء وفيه غير ما يعلمون
لا يفتقون المراد منه واذا عقلوا شيئاً منه يردونه ولا يقبلونه واذا قبلوه صرفوه الى ما
يوافق علمهم ومشر بهم كما جروا عليه في نصوص الكتاب والسنة التي تريد بيان
معناها الصحيح وما تفيد . ان الكلام المسموع يؤثر في النفس أكثر مما يؤثر
الكلام المقرء لأن نظر المتكلم وحركاته وإشارته ولهجته في الكلام كل ذلك
يساعد على فهم مراده من كلامه ويمكن السامع أن يسأله عما يخفي عليه منه فاذا
كان مكتوباً فن يسأل ؟ ان السامع يفهم من كلامه المتكلم ٨٠ في المئة والقارئ
لكلامه يفهم ٢٠ في المئة على ما أراد الكاتب . مع هذا كنت أقرأ التفسير وكان
يحضره بعض طلبة الأزهر وبعض طلبة المدارس الأميرية وكنت أذكر كثيراً
من الفوائد التي تحتاج اليها حالة العصر فما اهتم لها أحد فيما أعلم ، وكان من
حقها أن تكتب وما علمت أحدا كتب منها شيئاً خلا تلميذين قبطين من مدرسة
الحقوق وكانا يراجعتني في بعض ما يكتبان . وأما المسلمون فلا .. قرأت تفسير
سورة العصر في ستة أو سبعة أيام وكان كل درس لا يقل عن ساعتين أو ساعة ونصفاً
بينت فيها وجه كون نوع الانسان في خسر الا من استثنى الله تعالى وما المراد
بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر الى غير ذلك مما لو جمع لكان رسالة حسنة في
تفسير السورة وما علمت أحدا كتب منه شيئاً الا أن يكون عبد العزيز (المتبادر
أنه يريد عبد العزيز افندي محمد القاضي في المحاكم الأهلية لهذا العهد وكان يومئذ

تلميذا في مدرسة الحقوق)

« قلت له انه يوجد كثير من المنبئين لحال العصر والاسلام في البلاد المتفرقة وكثير منهم انما نبهتهم (العروة الوثقى) فأجاب بجواب طويل حاصله أن حال المخاطب تؤثر في نفسه وأنه يعسر أو يتعذر عليه إلقاء الحكمة الى كل أحد » قلت ان الزمان لا يخلو من يقدر كلام الاصلاح قدره وان كانوا قليلين فالكتابة تكون بمثابة مرشد لهم في سيرهم وان الكلام الحق وإن قل الأخذ به والعارف بشأنه لحسنه بحسب ناموس الانتخاب الطبيعي لا بد أن يحفظ وينمو بمصادقة الملاءة المناسبة له كما حفظت العروة الوثقى فان أوراقها الأصلية الضعيفة قد بليت ولكن ما فيها من المقالات البديعة المثال والفوائد العظيمة حفظت في الطروس والنفوس : ثم أطلنا القول في العروة الوثقى »

« نقلت بعض ما كتبت يومئذ بنصه لما فيه من بيان رأيه رحمه الله وتأثره باستعداد المسلمين في ذلك الوقت . وكنت أذكر له وجوب الكتابة في التفسير كلما سئلت لي الفرصة وكان خلاصة رأيه أنه ينبغي أن يكتب تفسير لبعض القرآن لا لجميعه بأن تفسر الآيات التي قصر المفسرون في بيان حكمها وأسرارها لاسيما ما يتعلق منها بروح الدين من الهداية والتهذيب وأمور الأمم الاجتماعية .

ثم شرع في قراءة التفسير بالأزهر وكان ذلك في غرة المحرم سنة ١٣١٧ وقبل شروعه كتبت مقالة في المؤيد عنوانها (القرآن) بينت فيها وجه حاجة المسلمين الى فهمه والاهتمام به وأن كتب التفسير غير كافية لذلك وان الاستاذ سيقرا التفسير على ذلك الوجه فانتشر الخبر وعلم الناس فأقبلوا على تلك الدروس إقبالا لم يعهد له نظير من المسلمين في هذا العصر تبين به ان الاستعداد للاصلاح ينمو وكان ذلك الدرس أعظم ما خدم به الأزهر والاسلام كما كانت قراءته لأسرار البلاغة ودلائل الاعجاز أنفع ما خدم به اللغة العربية هناك

عين مفتيا للديار المصرية في الشهر الذي شرع فيه بقراءة التفسير فظننت كما ظن هو أن هذا المنصب ليس فيه عمل يستغرق الوقت وطعمت في وجدانه فرصة يكتب فيها تفسيراً على طريقته في الدرس فلما رأيت الأعمال قد كثرت وفتح

لها من منصب الافتاء أبواب جديدة شرعت في كتابة التفسير على تلك الطريقة كما اقترح علي بعض اهل العلم والفضل. وكنت في البداية لأكاد أزيد على خلاصة ما يقرره في الدرس الا قليلا اذ لم يكن في نيي تجريد ما يكتب منه في المنار وجعله كتاباً مستقلاً. ثم رأيت من الواجب بسط القول وطبع التفسير على حدته عند سنوح الفرصة ففعلت بإجازته رحمه الله تعالى واستحسنه. فكان المختصر نصف الجزء الأول من سورة البقرة عرضته عليه بعد ذلك فقرأه وزاد فيه ما رأى حاجة الى زيادته ومنه ايضاح الكلام في الملائكة وأجاز باقي ما كتبناه كما هو فكأنه هو الذي كتبه .

رأى رحمه الله تعالى ان هذا التفسير الذي نشره على طريقته التي تلقيناها عنه ونودعه اختياره وفهمه للآي وفقهه في القرآن هو الضالة المنشودة وأنه لا حاجة معه الى أن يكتب هو بيده تفسيراً ولكنه كان عازماً على تأليف كتاب يكون مقدمة لهذا التفسير يبين فيها حاجة البشر الى ما في القرآن من الاصلاح العظيم، والمهدي القويم، على طريقة رسمها، وأعدّها لها عدتها، وأتي لا رجو من عناية الله وفضله أن يوقني لوضعها على الوجه الذي فصله لي تفصيلاً، وأن يحقق أمله في هذا العاجز بإقذاره على أعام التفسير فإنه قد صرح بهذا الأمل وبأمال أخرى من جنسه « وما توفيتي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب »

ذلك أمله في التفسير ومقدمته وأما تاريخ الاسلام فقد كان عزم على تأليف كتاب فيه بعد أن أتم تدريس كتاب (دلائل الاعجاز) وكان قد كثرت الاقتراحات عليه في اختيار ما يقرأ بعده في وقته ومنها اقترح السيد علي البلاوي شيخ الأزهر لذلك العهد (رحمه الله تعالى) أن يقرأ تاريخ الاسلام اذ لا يقدر على ذلك غيره ورأيت نور الله مضجعه يعتذر بأنه لا يوجد عند المسلمين تاريخ ديني فيدرس فعزت رأيي شيخ الأزهر رجاء أن يكتب هو ما يقرأ فأكان الا أن شرح الله صدره وعزم على أن يكتب فنطبع ما يكتب كراساً بعد آخر وهو يدرسه في الأزهر - التدريس يتبع الطبع والطبع يتبع التأليف. ولكن حال دون ذلك ما كان من الاحداث في مقاومة الاصلاح التي انتهت باستقالته من ادارة الأزهر في إثر استقالة شيخ الأزهر وحرم الاسلام تلك الفتن « أو الشغب » كما قيل من هذه الخدمة الكبرى التي

يمز علينا أن نحمد عنها عوضاً ولكن ما خسرناه بوفاة الرجل أعظم والأمر لله العلي الكبير
تلك أقرب آمال الرجل في خدمة دينه وأمنه وأما آمال الأمة فيه فقد كانت عظيمة
تتناول المصالح العامة والخاصة فكم من غيور على ملته وبلاده كان في نفسه أن
يقوم بأعمال نافعة بإرشاد من فقدنا واسعاذه ، وكم من متعلم ذكي كان يود أن يضع
كتباً نافعة بهديه وامداداه ، وكم من عامل كان يرجو الرقي في عمله بجأه وشفاعته ،
وكم من عائل كان ينتظر الاستغناء بكرمه ومساعدته ، وقدمات بموته أكثرها تيك
الآمال ، وانقطع الرجاء من أكثر تلك الاعمال

وقد أشار الى تلك الآمال في آيات قالها قبل موته اذ كان أشيع خبر موته
قبل الوفاة بأيام فبلغه ذلك فجات نفسه في آماله وامانيه للأمة وآمال الناس فيه
فجاش في نفسه الشمر فأنشد

| | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| ولست أبالي أن يقال محمد | أبل أم اكتظت عليه المآتم (١) |
| ولكنه دين أردت صلاحه | أحاذر أن تقضي عليه العمام (٢) |
| وللناس آمال يرجون نيلها | إذا مت ماتت واضمطت عزائم |
| فيارب ان قدرت رُجى قربة | الى عالم الأرواح وانقض خاتم (٣) |
| فبارك على الاسلام وارزقه مرشدا | رشيدا يضيء النهج والليل قائم |
| يمائني نطقاً وعلماً وحكمة | ويشبه مني السيف والسيف صارم |

(١) أبل المريض شفي من مرضه واكتظت المآتم امتلأت وازدحت
بالناس والمآتم جمع مآتم وهو مجتمع الناس في الحزن وهو في أصل اللفظة عام في
الحزن والفرح ثم غلب على جماعتهم في المصائب ثم نسبت هذه الغلبة (٢) قضاء
العنائم على الدين قد يكون بعداوتهم للعلوم والفنون التي هي قوام الدول والامم باسم
الدين فيكون المشتغلون بها بعداء عن الدين معقدين انه آفة العمران واصحاب العمام
عاجزين عن الجمع لهم بين مصالح الدنيا والدين حتى يترك بالمرّة الا من افراد لا تقوم له
بهم قائمة (٣) انفضاض الخاتم عبارة عن مفارقة الروح للبدن وهي من اشارات الصوفية

قال هذه الايات مرة واحدة في حال مؤثرة من غير روية ولا تفكر وكتبها عنه أخوه حموده بك ومصطفى بك الباجوري ولم أكن حاضرا فلما جئت قال لي: قد جاش في نفسي الشعر في غيبتك كأنني لا أقول الشعر الا في الحبس أو المرض:- يشير الى تلك القصيدة التي نظمها في السجن أيام الحوادث العراقية - وأنشدني الأيات فكتبها على هذا الوجه وقد وصلت الى الجرائد فنشرتها وذكرت البيت الثاني هكذا

ولكن دينا قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه الممام
ثم قال انه خطرت له ايات أخرى بعد ذلك وأنشدنيها فكتبها ورأيت قد ترك فيها ألف التأسيس كأنه نسيه أو أذهله عنه المرض وهذه الأيات في وصف المرشد التي طلبه في دعائه ذكر منها بيت واحد في بعض الجرائد الاسبوعية محرراً فأذكره صحيحاً وهو

ويخرج وحي الله للناس عارياً عن الرأي والتأويل يهدي ويلهم
هذا مجمل ما ينسج له المنار من سيرة هذا الامام الجليل وأخلاقه ومآثره وأما خلقه فقد كان ربة بادنما سكا قوي المفضل أسمر اللون براق العينين جهوري الصوت مهيب الطلعة عظيم الهامة قال مختار باشا الغازي لو وزن دماغ هذا الرجل لرجح بكل مخ عرف من عطاء الرجال فيما أظن واني لا آسف على عدم وزنه اذ لو تحقق ظني لكان من الفخر العظيم لنا ان كان أكبر دماغ عرف في البشر منا: وقد كان في شبابه من أفراد الناس في قوة المفضل حتى انه دفع حصانا جامحاً فأرجعه الى الوراء حتى وقع على عقبه . ولكنه كان مع ذلك كثير الأسقام ومبداً ذلك تسمم صديدي أصابه قباب عن الوجود أكثر من شهر لا يحس ولا يبي بل كان جسمه يتصبب عرقاً وبعد أن شفي منه كان يعاوده في كل سنة كما كان يعاود النبي صلى الله عليه وسلم سم أكلة خبير كل عام ، واعتبرته أمراض أخرى أضعفت من قوته ولم تضعف من همته وعزمه وحزمه حتى لقي ربه تغمده الله برحمته ورضوانه . وأمكنه فسيح جناحه . ونفعا والمسلمين بل وسائر العالمين بسيرته وعلمه آمين

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنَ

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يمر الى اسمه بالحروف ان شاء، وانفذ كرا الاستلة بالتدريج غالباً ورماعاً من تأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورما أحيانا غير مشترك لئلا هذا ولن ٤٠ في على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ تنمة أجوبة الاسئلة الدمياطية ﴾

﴿ ٤٥ و٥ — حضور مريم وسارة وآسية مولده (ص) ﴾

(ج ٤٥) أورد في المواهب الأثر الذي فيه بيان ان أولئك النسوة الطوال اللواتي جنن آمنة عند ولادتها هن آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وبعض الحور العين وقال : « وهو مما تكلم فيه » أي طعنوا في سنده وكم من حديث ضعيف يورده صاحب المواهب ولا ينبه الى طعن المحدثين فيه فلو لا أن هذه الرواية من أوهي الروايات لما قال أنهم تكلموا فيها وحسبك أن السيوطي لم يذكرها في الخصائص ولا أبو نعيم في الدلائل ، فلا حاجة الى ذكر سند من رواها وتفصيل القول في جرح رجاله

(ج ٤٦) وأما ما قاله ذلك الرجل في اختلاف العلماء في أمر آسية فهو من الحرافات التي لا قيمة لها عند أهل النقل ، وهي عما ينبذه العقل ، نعم ذكر في بعض كتب التفسير التي تعنى بنقل القصص أن الله تعالى رفع امرأة فرعون الى الجنة وغرأ هذا القول الى الحسن البصري وهو كما قال الألويسي لا يصح بل هو كذب من القصاصين على الحسن

(٦ ولادة الانبياء)

(ج ٤٧) ما ذكره في ولادة الانبياء جهل قبيح لا شبهة عليه من كتاب ولا سنة ولا قول صحابي ولا تابعي ولا فقيه مجتهد ولا عالم ولا محدث ولا مؤرخ يعتد به وقد روى المحدثون كل ما قيل في ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صحيح وضعيف ومنكر وموضوع ولم تحظر هذه القرية على بال أحد منهم فهي

خرافة من مفتريات الجاهلين الذين يتوهمون ان الانبياء منزهون عن الامور البشرية وان الولادة كما يولد الناس نقيصة لا تليق بهم . وليت شعري كيف تكون الولادة المعتادة نقيصة لمن أودع في هذا الرحم نقطة ثم كان علقه ثم كان مضغة ثم نما في بطن أمه بدم الحيض ؟ أم يقول هؤلاء الجاهلون أنهم لم يحمل بهم كما حمل بغيرهم فلم يكونوا من نطف آبائهم ولا من ييوض ودماء أمهاتهم ؟ ان كانوا يقولون ان هذه السنة الالهية في الحمل والولادة نقيصة فقد انكروا ما ذكر الله من خلق الانسان في أحسن تقويم . ولم يحسن في نظرهم قوله تعالى بعد ذكر اطوار الحمل « فتبارك الله أحسن الخالقين » ومن العجائب أن يمكن ذلك الجاهل من الكلام على الناس في المسجد فيكفر المسلمين سلفهم وخلفهم إذ لم تخطر هذه الخرافة على بال أحد منهم ويجعل الاسلام والايمان من خصائص من اقترى هذه الخرافة ومن صدق بها من الجاهلين

(٦ حياة الانبياء في قبورهم)

(ج ٤٧) لهذه المسألة أصل في الروايات المنقولة ولكن ما أورده لا يصح منه شيء . لاسباب الخبر الأول وأنا أذكر هنا أشهر ما ورد في هذا الباب من الاحاديث (الحديث الاول) عن أوس بن أوس (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه « ومن أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي » قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعني بليت قال « ان الله عز وجل حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء » رواه أحمد في مسنده والبيهقي في شعب الايمان وحياة الانبياء وغيرها من كتبه وأبو داود والنسائي والطبراني في معجمه وابن حبان وابن خزيمة والحاكم في صحاحهم فصححه بعضهم وتبعهم النووي في الاذكار وحسنه آخرون منهم المنذري . لكن قال الحافظ السخاوي بعد ما أورد تصحيحهم وتحسينهم « قلت ولهذا الحديث علة خفية وهي ان حسين الجعفي رواه أخطأ في اسم جد شيخه عبد الرحمن بن بديد حيث سماه جابرا وإنما هو نعيم كما جزم به أبو حاتم وغيره وعلى هذا فابن تميم منكر الحديث ولهذا قال أبو حاتم

ان الحديث منكر وقال ابن العربي انه لم يثبت: لكن رده هذه الملة الدارقطني وقال ان سماع حسين من ابن جابر ثابت والى هذا جنح الخطيب والعلم عند الله تعالى . ثم نبه على ان ابن ماجه سمى الصحابي في كتاب الصلاة من مننه شداد ابن اوس وذلك وهم نبه عليه المزي وغيره ووقع عنده في الجنائز على الصواب

(الحديث الثاني) عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اَكثَرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَإِنَّهُ يَوْمٌ مُشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ وَإِنْ أَحَدًا لَنْ يَصِلَنِي عَلَيَّ إِلَّا عَرَضْتُ عَلَيَّ صَلَاتَهُ حِينَ يَفْرَغُ مِنْهَا » قلت وبعد الموت قال « وبعد الموت ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء فنيى الله حي يرزق » رواه ابن ماجه لكن بسند منقطع والطبراني في الكبير بلفظ قريب من لفظ ابن ماجه وليس فيه « ونبي الله حي يرزق » وكذلك النيرى بلفظ آخر . قال الحافظ العراقي ان اسناده لا يصح

(الحديث الثالث) عن أنس (رض) رفعه « الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءُ فِي قُبُورِهِمْ يَصَلُّونَ » أخرجه البيهقي في حياة الانبياء من طريق يحيى بن أبي بكر عن المسلم بن سعيد عن الحجاج بن الأسود وهو ابن أبي زياد البصري عن ثابت البناني عنه ، ومن طريق الحسن بن قتيبة عن المسلم . وأخرجه أبو يعلى والبخاري من الوجه الأول والبخاري وابن عدي من الثاني والحسن ضعيف . قال السخاوي وأخرجه البيهقي أيضاً من رواية محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن ثابت بلفظ آخر قال « ان الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في الصور » قال ومحمد سبي الحفظ اه أقول حديث أنس هذا رواه ابن حبان وقال باطل وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقواه في اللآلئ بشواهد

وهذه الاحاديث الثلاثة هي عمدة القائلين بحياة الاجساد ولم يصرح بها الثالث . وهناك روايات أخرى في ان الصلاة والسلام عليه يبلغها ملك أو ترد روحه فيعرض عليها ذلك ونذكر أشهرها

(الحديث الرابع) عن عمار بن ياسر (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللَّهَ مُلْكًا أَعْطَاهُ اللَّهُ أَسْمَاعَ الْخَلَّائِقِ فَهُوَ قَائِمٌ عَلَى قَبْرِي إِذَا مِتَ فَلَيْسَ أَحَدٌ يَصِلُنِي عَلَيَّ »

صلاة الا قال يا محمد صلى عليك فلان بن فلان» الحديث رواه أبو الشيخ ابن حبان وأبو القاسم التيمي في الترغيب والحارث في مسنده وابن أبي عاصم والطبراني في الكبير والبراز في مسنده وغيرهم وفي سند الجميع نعيم بن ضَمَضَم وفيه خلاف عن عمران قال المنذري لا يعرف قال السخاوي بل هو معروف لينة البخاري (أي قال في حديثه لينة أي ضعف ما) وقال لا يتابع عليه وذكره ابن حبان في ثقات التابعين وقال صاحب الميزان أيضاً لا يعرف. هذا كلامهم في عمران وحسبك قول البخاري بليته وعدم متابعتة وأما نعيم بن ضَمَضَم فقد قال الذهبي في الميزان ضعفه بعضهم وقال الحافظ ابن حجر انه لا يعرف لأحد فيه قولاً غير قول الذهبي هذا

(الحديث الخامس) عن أبي امامة الباهلي (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرة بها ملك موكل حتى يلقبها: رواه الطبراني في الكبير من رواية مكحول عنه وقد قيل انه لم يسمع منه وروى له عن مكحول موسى بن عمير وهو الجعدي الضرير كذبه أبو حاتم

م (الحديث السادس) عن أبي هريرة (رض) رفعه : من صلى علي صلاة جاءني بها ملك فأقول أبلغه عني عشرة أو قل له لو كانت من هذه العشر واحدة لدخلت معي الجنة كالسبابة والوسطى وحلت لك شفاعتي ثم يصعد الملك ينتهي الى الرب الخ ولا حاجة الى ذكره كله وهو مكذوب أخرجه أبو موسى المديني قال السخاوي وهو موضوع بلا ريب . ومثله حديث مماذ الذي فيه : ووكل بقبري ملكا يقال له منطروس رأسه تحت العرش الخ قال السخاوي أخرجه ابن بشكوال وهو غريب منكر بل لوائح الوضع لائحة عليه : وإنما ذكرت أمثال هذا الحديث لتلا يفتر بها من يراها في الكتب التي لا يعرف مؤلفوها الحديث

(الحديث السابع) عن ابن مسعود (رض) رفعه «ان الله ملائكة سياحين يلفونني عن أمتي السلام» رواه أحمد والنسائي والدارمي وأبو نعيم والبيهقي والخلفي وابن حبان وقال الحاكم صحيح الاسناد وأعل هذا أقوى ما في الباب وان كان الحاكم يتساهل في التصحيح حتى انه صحح بعض الاحاديث المنكرة والموضوعة واستدركها على الصحيحين . وقد حسنه غيره وعضدوه بما له من كثرة الشواهد.

(الحديث الثامن) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبوري عيداً وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حينما صكنتم » أخرجه أحمد وأبو داود وصححه النووي وهو مفضل وليس صحيحاً في نفسه ولكن له شواهد من اسيل من وجوه مختلفة . وفي الجملة ان ماورد في ابلاغ الملائكة إياه عليه الصلاة والسلام هو أقوى ما في الباب وأما ماورد في رد روحه وصماعها فهناك أقوى ماورد فيه

(الحديث التاسع) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من أحد يسلم علي الا رد الله تعالى اليّ روعي حتى اُرد عليه السلام » رواه أحمد وأبو داود والطبراني والبيهقي وحسنه وصححه النووي في الاذكار بل قال الحافظ ابن حجر رواه ثقات واستدرك عليه تلميذه الحافظ السخاوي قال : لكن قد انفرد به يزيد بن عبد الله بن قسيط برواية له عن أبي هريرة وهو يمنع العزم بصحته لان فيه مقالا وتوقف فيه مالك فقال في حديث خارج الموطأ : ليس بذلك وذكر التقي ابن تيمية ما معناه ان رواية أبي داود فيها يزيد بن عبد الله وكأنه لم يدرك أبا هريرة وهو ضعيف وفي سماعه منه نظر انتهى على أن طريق الطبراني وغيره سائلة من ذلك لكن فيها من لم يعرف : اهـ ما كتبه السخاوي

وقال ابن القيم : ان هذا الحديث هو الذي اعتمد عليه أحمد وأبو داود وغيرهما من الأئمة في مسألة الزيارة وهو أجود ما استدلل به في هذا الباب ومع هذا فانه لا يسلم من مقال في اسناده ونزاع في دلالة

أما المقال في اسناده فمن جهة ثفرد أبي صخر به عن ابن قسيط عن أبي هريرة ولم يتابع ابن قسيط في روايته عن أبي هريرة أحد ولا يتابع أبا صخر أحد في روايته عن ابن قسيط . وأبو صخر هو حميد بن زياد وهو ابن أبي الحارث المدني الحراط صاحب العباء سكن مصر ويقال حميد ابن صخر — وبعد ان ذكر الاشتباه في كون هذا الاسم لاثنين وحقق انه واحد — ذكر أن يحيى بن معين واستحقاق بن منصور ضمناه وذكر عن أحمد روايتين احدهما انه قال ليس به بأس والثانية قال انه ضعيف ثم أطال في ذكر الخلاف في عدالته وحقق ان ما انفرد به يستشهد به ولا

يصح . ثم ذكر الخلاف في عدالة ابن قسيط شيخ أبي صخر ومنه قول مالك فيه ليس هناك عندنا : أي لا يعتد بروايته على أنه روى عنه وقول ابن أبي حاتم : ليس بقوي : وقول ابن حبان : إنه رديء الحفظ : فإن قيل روى له الشيخان قلناهم لكن من غير حديث أبي هريرة فروايته عن أبي هريرة هي محل النزاع (الحديث العاشر) عن أبي هريرة (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى عليّ عند قبوري سمعته ومن صلى عليّ بعيداعلمته » أخرجه أبو الشيخ في الثواب له من طريق أبي معاوية عن الأعشى عن أبي صالح عنه ومن طريقه الديلمي . كذا قال البخاري قال وقال ابن القيم أنه غريب وذكر عن شيخه أن سنده جيد . ثم ذكر اللفظ الآخر للحديث وهو « من صلى عليّ عند قبوري سمعته ومن صلى عليّ نائياً وكل الله به ملكاً يلقي » الخ وقال أخرجه العشاري وفي سنده محمد بن موسى وهو الكديمي متروك الحديث وهو عند ابن أبي شيبة والتميمي في ترغيه والبيهقي في حياة الأنبياء باختصار : من صلى عليّ عند قبوري سمعته ومن صلى عليّ نائياً أبلغته : ثم قال : وأورده ابن الجوزي من طريق الخطيب وأتهم به محمد بن مروان السدي ونقل عن العقيلي أنه قال لا أصل لهذا الحديث من حديث الأعشى وليس بمحفوظ اهـ

أقول هذا مقاله البخاري وقال ابن القيم أن هذا الحديث لا يعرف إلا من حديث محمد بن مروان السدي الصغير عن الأعشى كما ظنه البيهقي وما ظنه في هذا هو متفق عليه عند أهل المرفقة وهو عندهم موضوع على الأعشى . ثم ذكر أقوال المحدثين في جرحه . وذكره الشوكاني في الموضوعات وقال في إسناده كذاب أقول هذه الأحاديث أشهر وأقوى ما روي في هذا الباب وقد رأيت مائة الحديث فيها من الكلام والطعن في رجالها ومن عرف أسانيد أمثال هذه الأخبار وتاريخ رجالها تجلّى له فضل البخاري ومسلم واحتياطهما في صحيحهما . وهي في مجموعها تدل على أن الأنبياء أحياء في البرزخ ولكن هذه الحياة غيبية لا تعرف حقيقةً وليست هي كالحياة في هذه الدنيا كما حققه ابن القيم في كتاب الروح وغيره من المحققين . وإذا لم نهض هذه الأحاديث حجة على ما يجب الإيمان به من عالم

الغيب فنحننا البرهان القطعي وهو كتاب الله تعالى الناطق بحياة الشهداء عند ربهم
والانبياء أفضل منهم وأجدر بهذه الحياة وبما هو أعلى منها ولكن الواجب علينا
أن نفوض العلم بكيفية ذلك الى الله تعالى ولا تقيسه على أمر الدنيا كما فعل بعضهم
اذ قالوا ان الانبياء يأكلون في قبورهم ويشربون وينكحون وكل هذا من الجراءة
على عالم الغيب والقول فيه بالرأي . والمتبادر من قوله تعالى « أحياء عند ربهم »
أن هذه العذبة أعلى من الثواء في القبور وقد ورد فيها أحاديث بأن أرواحهم تسرح
في الجنة أو تكون معلقة بالعرش ولا محل لا يرادها هنا وإنما نقول ان الواجب علينا
هو أن نعتقد أن الموت ليس عدماً محضاً وأن في البرزخ حياة قبل حياة الآخرة
وكلاهما من عالم الغيب الذي نفوضه الى الله تعالى . وقد ورد في حديث ابن
عباس مرفوعاً ان الرجل اذا سلم على ميت يعرفه رد الله عليه روحه حتى يرد عليه
السلام وقد صححه ابن عبد البر . أفنقول ان حياة كل ميت ورد روحه اليه اذا
صحح هو حياة الانبياء والشهداء ؟ كلا أنها حياة غيبية لا ينكرها الا منكر البعث
والآخرة ولا يقول فيها بالرأي والقياس الا المتجرى على الكذب المستهزى
بالدين والله ولي المتقين

وأما ما ذكره ذلك الجاهل من أثر علي وفاطمة عليها السلام فهو من اختلاق
غوغاء العامة . وأما حكاية الرفاعي فقد ذكرها شارح القاموس لملي أبي شباك
الرفاعي لا للشيخ أحمد الرفاعي وهي من الحكايات المملوءة بها كتب القصص
لا تدخل في باب الاحتجاج الشرعي وسيجيء ذكرها وذكر أمثالها في مبحث
الخوارق والكرامات الذي كان آخر عهدنا ببيان أنواعه ووجوه تأويلها المجلد
السادس وسنمود إليها ان شاء الله تعالى

استدراك

بعد كتابة ما تقدم وطبع بمضنه راجعت اسم عبد الرحمن بن ميسرة راوي
الحديث الأول وحجاج بن الاسود راوي الحديث الثالث في الميزان للحافظ الذهبي
فاذابه يقول: عبد الرحمن بن ميسرة عن أبيه ضعيف قاله يحيى وقد وهما ابن حبان
(أي قال انه واهي شديد الضعف) وهم حيث يقول عبد الرحمن بن بديل بن

ورقاء وقواه غيرها :

وقال : حجاج بن الاسود عن ثابت نكرة ماروى عنه فيما أعلم سوى مسلم بن سعيد فأتى بخبر منكر عنه عن أنس في أن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون رواه البيهقي

﴿ ٨ - عدد الانبياء ﴾

(ج ٤٩) وردت أحاديث في عدد الانبياء لا يصح منها شيء منها حديث أبي ذر عند الحاكم والبيهقي أنهم ١٢٤ ألفاً وأن المرسلين ٣١٣ ومنها حديث أبي الدرداء يخالفه في عدد المرسلين ففيه أنهم ٣١٥ وهو عند احمد والطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي في الاسماء ومنها حديث أنس عند الحاكم وابن سعد أنهم ثمانية آلاف نصفهم من بني اسرائيل ومنها حديث جابر عند ابن سعد وأبي سعيد عند الحاكم « اني خاتم ألف نبي أو أكثر » . وروي عن كعب أنهم ألف ألف وأربع مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً (اي نحو مليون ونصف) والذي عليه المحققون وذكره في كتب العقائد انه يجب الايمان بأن الله تعالى أنبياء كثيرين هو يعلم عددهم وأن منهم من ذكره تعالى في كتابه العزيز فتو من بهم تفصيلاً ومنهم من لم يذكرهم كما قال « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » وقالوا ان من عدت فأخطأ فلا يخلو من أن يكون زاد في الأنبياء من ليس منهم أو نقص منهم من هو منهم من غير خبر عن المعصوم متواتر بل ولا صحيح . وأما ما قاله ذلك الرجل في شعر لحية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو من سوء الأدب هكذا عم الجبل فصار الناس يكذبون على الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ويروج كذبهم في العامة لاسيما اذا كان في سياق تعظيم الانبياء ، وما بالناس لانظم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ببيان ما آتاهم الله تعالى من الفضائل ولا نتخذهم قدوة ونمثل قول الله تعالى « فبهدهم اقتده » وقوله « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » ؛ ان هذا يشق على المفتونين بالدنيا ولكن الكذب يسهل عليهم ، ويجذب قلوب جهلة العامة اليهم ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ قصة المولد لديبع ﴾

(س ٥٠) من أحد أهالي (جوهر) في جنوب ميلادي

أنكر أحد طلبة العلم وهو رجل غريب قراءة قصة المولد النبوية لديبعي وأعله غير المحدث بدعوى أن فيها كذباً وخرافات والقصة المذكورة مما يداوم على قراءتها للعوام عدد وافر من الذين تعتقد فيهم الولاية يقولون للعوام إن روحانية المصطفى صلى الله عليه وسلم تحضره من أوله إلى آخره وتحضر في غيره عند القيام فقط فتري هجيري أهل هذه البلاد قصة المولد المذكورة فهي قد مرت على سمع الجمل الفقير من العلماء ولم ينكرها غير الرجل المذكور فهل هو مصيب أم لا؟ أفيدوا والله يقيمكم للأمة

(ج) الصواب ما قال ذلك الطالب الغريب وأعله من الغرباء الذين ذكروا في حديث مسلم «بدا الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدا فطوبى للغرباء» وقد قرأت طائفة من هذه القصة فإذا بصاحبها يقول في فاتحتها «فسبحانه تعالى من ملك أوجد نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من نوره قبل أن يخلق آدم من الطين اللازب، وعرض فخره على الأشياء، وقال هذا سيد الأنبياء وأجل الأصفاء، وأكرم الحبايب، قيل هو آدم قال آدم أنيله به أعلى المراتب، ثم ذكر إبراهيم وموسى وعيسى بمثل هذه الاسجاع الركيكة فهذا كذب صريح على الله تعالى لم يروه المحدثون . ثم رأيت يذكر (في ص ٦ و ٧) حديثين أحدهما عن ابن عباس رفعه أن قریشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح الله ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه الخ وهذا كذب ظاهر أيضاً وقریش كانت قبل الاسلام مشركة وعند ظهور الاسلام كان منها أشد الناس كفراً وإيداء للنبي صلى الله عليه وسلم وصدا عن سبيل الله فما معنى ذلك الأصل النوراني الذي يناقضه هذا الفرع الظلماني . والثاني أثر عن كعب الأحبار لا يصح وقد سماه مؤلف القصة حديثاً لجهلة

أما قول قراء هذه القصة من المحتالين على الرزق بدعوى الولاية إن روحانية المصطفى تحضر مجالسهم التي يكذبون فيها عليه فثله كثير من أولئك الدجالين

ولا علاج لهذا الجمل الا كثرة العلماء بالسنة والدعاة اليها بين المسلمين وذلك بساط قد طوي وان كثيرا من المسلمين ليعادونا ولا ذنب لنا عندهم الا الانتصار للسنة النبوية والدعوة الى الله ورسوله بالحق لا بالأهواء

وأما قولكم : ولعله غير المحدث : فلا حاجة اليه لأن هذه القصة منسوبة الى رجل مجهول يسمى ديبعا ببدال مهمل فوحدة فشناة تحتية فمين مهمل ولا يوجد محدث بهذا الاسم ولعلكم ظنتم أنهم يعنون به عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن علي اللقب (أي علي هذا) بديع كحيدر بتقديم المثناة التحتية على الموحدة ولو كانت هو لصرحوا بنسبته اليه

﴿ فائدة عظيمة في بحث العمل بالحديث الضعيف ﴾

أنا رأيت من لم يشتغل بعلم الحديث ماذا كرهه في تخريج الأحاديث التي ذكرناه في هذا الجزء وما قبله ونحوها يظهر له فضل المحدثين بعض الظهور ويهام منه غير المسلم أنه لم تعن أمة بضبط دينها كما عنيت الأمة الإسلامية . هذا وان ما ذكرناه لم نقصد به الاستقصاء ولم نراجع فيه جميع الكتب التي خرجت هذه الأحاديث اذ لا توجد كلها عندنا ولم نر حاجة الى البحث عنها مع حصول المقصود فيما ذكرناه

هذا وان كثيرا من المحدثين قد تساهلوا في تخريج الأحاديث التي وردت في الحديث والترغيب والترهيب لا اعتقادهم جواز العمل بالضعيف منها ما لم يكن شديد الضعف قال النووي بل قال بعضهم يستحب العمل به لأنه من الاحتياط وجعلوا الكتاب من هذا القليل

قال شيخنا (يعني الحافظ ابن حجر) يقول وكتبه لي بحملته من شرط العمل بالضعيف ثلاثة (الاول) متفق عليه ان يكون الضعف غير شديدا فيخرج من انفراد من الكذابين والمتهمين بالكذب ومن لحش غلطه (الثاني) يكون مندرجا تحت أصل عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل (الثالث) ان لا يعتقد عند العمل به ثبوته لثلاث ينسب الى النبي صلى الله عليه

وسلم ما لم يقله (قال) والأخيران عن ابن عبد السلام وعن صاحبه ابن دقيق العيد والأول نقل العلائي الاتفاق عليه . ونقل عن الإمام أحمد أنه يعمل بالضعيف إذا لم يوجد غيره ولم يكن ثم ما يعارضه . ونقل ابن منده عن أبي داود أن الإمام أحمد يخرج الأسناد الضعيف إذا لم يجد في الباب غيره وأنه عنده أقوى من رأي الرجال

فالمذاهب في الحديث الضعيف ثلاثة ما نقل عن أحمد بشرطه المذكور آنفا ومذهب الجمهور الذين يشترطون فيه الشروط الثلاثة المتقدمة . وإثبات أنه لا يجوز العمل به مطلقا وهو ما صرح به أبو بكر ابن العربي المالكى . قالوا وأما الموضوع فلا يجوز العمل به مطلقا ولا روايته الا مع بيان وضعه واستدلوا على ذلك بحديث سمرة (رض) عند مسلم في الصحيح « من حدثني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » وروى « يرى » بضم الياء أي يظن وفي « الكاذبين » روايتان الشنية والجمع . وأنت ترى ان بعض الأحاديث التي لا تصل الى درجة الوضع في اصطلاحهم قد يظن الظان أنها كذب بل قد يعتقد ذلك بقرائن قوية ككون أسلوب الحديث وعبارته كعبارات المولدين وكون معناه مخالفا لما هو ثابت في الكتاب أو السنة الصحيحة أو نظام الخليفة المبرر عنه بسنن الله تعالى أو لغير ذلك من الأسباب . ومن فهم القرآن المجيد وعرف السنة الصحيحة لا يطمئن قلبه لشيء من تلك الروايات الغريبة في المناقب وان وجد لها متابعات من الضعاف

وهنا مرة قدم زل فيها كثيرون فصصححوا أو حسنوا أحاديث من المناكير والضعاف الشديدة الضعف بحجة أن لها سواهد من جنسها وما كل شاهد يصلح مقويا وان فاقده الشيء لا يعطيه

ثم ان باب المناقب الذي الحقوه بفضائل الأعمال في جواز رواية الحديث الضعيف فيه قد يدخل فيه الأخبار عن عالم الغيب وهو من المقائيل التي يطلب فيها اليقين فيرون فيه حديثا منكرا أو ضعيفا واعيا ويسكتون عليه لأنه من باب المناقب فيشيع ويشتهر فيستخذ عقيدة تحكم العامة بكثرة منكره وهو أنكر من ثبته الى حقيقة الإيمان

وقد يكون هذا النوع من الروايات شبهة على الدين وسبباً في الطعن فيه أو صادراً لكثير من الناس عن قبوله . انك اذا أردت أن تدعو أهل أوروبا أو اليابان الى الاسلام ونشترط عليهم التصديق بأن أجساد الأنبياء لا تبلى وأنهم لم يولدوا كما يولد البشر ونحو ذلك فإن مثل هذا الشرط كافٍ لرفضهم الدعوة وقد علمت أنه لم يرد في هذا حديث صحيح فضلاً عن متواتر فضلاً عن آية قرآنية . وهو يخالف لسنة الله في الخلق الثابتة بالمشاهدة وبقوله تعالى «ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً» فإذا اطمان قلبك لحديث ضعيف أو حسن في مثل ذلك وصدقت به أيها المسلم فلا ينبغي لك أن تجعله عقيدة دينية وتجعل عدم النص من الصحابة وأئمة السلف على نفيه اجماعاً اذ يجوز أن يكون لم يخطر لهم على بال واعلم انه ليس من تعظيم الانبياء عليهم الصلاة والسلام تزيينهم عن الصفات البشرية فإن هذه نزعة كفر سبق اليها المشركون الذين احتجوا عليهم بمثل ما أخبر الله عنهم بقوله « ما هذا الا بشر مثكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون » وقوله عنهم « ما هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق » وقوله عن فرعون وقومه «أنؤمن لبشرين مثلنا » وقد ثبت في العقائد ان الأنبياء يجوز عليهم جميع الأعراض البشرية التي لا تنافي تبليغ رسالة ربهم والقرآن ناطق بذلك وهو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »

﴿ازالة وهم﴾

يرى كثير من أهل العلم والمعرفة أن من الصواب إقرار العوام على ما يعتقدون من الخرافات والأوهام في الدين وكتمان ما قاله الأئمة من حفاظ الحديث من بيان ضعف بعض الروايات في ذلك أو وضعه ورأيت منهم من يحتاج على ذلك بأن لا حجة لعموم تثبت دينهم الا هذه الخرافات فإذا بطل اعتقادهم بها مرقوا من الدين . وهي حجة داحضة فكتمان العلم من الكبار والباطل لا يؤيد الحق وأقرار الخرافات ينفر العقلاء والمتعلمين من الدين والعوام تبع لهم ولو بعد حين . ولولا إقرار العلماء بخرافات لما ظن أكثر العقلاء أنها منه فصاروا يمرقون منه فبيان الحق ينفع العوام والخرافص ويحفظ الدين وكتمانه يضيعه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

باب التفتيش والتجسس

بقية الكلام على تقرير مشيخة العلماء في الاسكندرية

﴿ المراقبة العامة على الطلاب ﴾

ذكر في هذا الفصل انه عهد الى تسعة نفر من العلماء في مراقبة الطلاب في مسجد ابي العباس المرسي يتناوبونها ثلث فيفصلون في المنازعة أو الاساءة العادية التي يكفي في التأديب عليها الزجر والنصيحة والموعظة الحسنة ويرفعون الامر فيما يستحق فاعله العقوبة الى المشيخة ويأمرون بالصلاة مع الجماعة ويكونون مرجعا للطلاب في تصحيح المتون التي يحفظونها وحل المشكلات التي تعرض لهم . وقد كان من عقوبة بعض فاسدي الاخلاق من الطلاب طردهم من معاهد العلم . وعهد الى فريق من العلماء في زيارة الطلاب في مساكنهم يراقبون شؤونهم في معيشتهم ويسألون الجيران عن أحوالهم . ووعد بأن سيعنى بهذه المراقبة في القابل بأكثر مما غني بها في هذا العام . وهذا مما يمتاز به التعليم في الاسكندرية على التعليم في الأزهر فتني على الشيخ محمد شاكر الثناء الحسن ورجوه لزيادة التوفيق

﴿ الامتحان ونتائجه ﴾

ذكر في هذا الفصل ان مشيخة الاسكندرية رأت أن تمتحن جميع طلاب العلم الخاضعين لنظامها في كل عام . وان تستعين في عملها هذا ببعض المتخرجين في مدرسة دار العلوم . وكذلك فعلت وتم الامتحان قولاً وكتابة فكان أن تقدم للامتحان من طلاب السنة الأولى ٣٠٣ من مجموعهم وهو ٣١٢ نجح منهم ١٩١ نقلوا الى دروس السنة الثانية . وتقدم من طلاب الثانية ٥٤ من ٥٤ فنجح ٤٨ نقلوا الى دروس الثالثة . وتقدم من الثالثة ٣٨ من ٤٢ نجح منهم ٣٥ وتقدم من طلاب الرابعة ٢١ من ٢٤ نجح منهم ١٨ قال

« وقد ألقنا بناجحي هذه السنة من نجح من طلاب السنة الخامسة ورجب في الاستمرار على طلب العلم الشريف والافتقار له وهم ثمانية أشخاص مختلفو

المذاهب لا يمكن أن تنشيء المشيخة لأجلهم سنة مخصوصة
ثم قال : كان الامتحان الشفهي وسطا في الشدة واللين والتحرير غاية في
النظام والترتيب وهذه أول مرة جلس فيها طلاب العلوم الدينية مجلس الامتحان
المهيّب امام الاساتذة وبين يدي المحبرة والقرطاس يستعملون قواهم العقلية للإجابة
عما سئلوا عنه ولكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه عن النظر الى ما يفعله غيره : اه
وهو من دواعي السرور والثناء على مشيخة الاسكندرية

﴿ مكافأة الناجحين ﴾

ذكر في هذا الفصل ان الأمير وضع مئة جنيه مصري «تحت تصرف المشيخة
من مخصصاتها في الميزانية لمكافأة جميع الناجحين في هذا الامتحان» وهذه
الجنيئات من مال الاوقاف . ثم ذكر ان الذين استحقوا الجائزة ٣٠٠ طالب
وتقول ان الناس هنا لم ينسوا انه كان قد خصص المكافأة في الأزهر ٤٠٠ جنيه
من مال الأوقاف فما زال الشيوخ الجامدون يتوسلون الى الأمير حتى ألغاهوا وهذا
مما تفضل به مشيخة الاسكندرية مشيخة الأزهر

النظام الدراسي

ذكر في أول هذا الفصل ان نظام التدريس في هذه السنة (التي وضع
التقرير لها) كان تجربة واختبارا وإن المهم الآن هو النظام للسنتين المقبلة . ثم
وضع لكل سنة جدولا ذكر فيه الكتب التي تقرأ فيها وأوقاتها والبحث في ذلك
وفي الكتب التي اختارها يطول ومن قرأ كلامه فيها علم أنه في حيرة من فقد
الكتب التي تصلح لتعليم المبتدئين وله المذخر في ذلك فان الكتب الأزهرية
لا يوجد فيها ما يصلح للمبتدئ والاستغناء عنها بمثل كتب نظارة المعارف في الفنون
العربية وبعض المصنفات الجديدة في غيرها كسر القيود التقليد وهو مما يتعذروا
بتعسر لا سيما على المبتدئ في العمل ولكن الإصلاح يتوقف على تدريس بعض
الكتب الجديدة كما توقف الامتحان والنظام على مساعدة بعض من عرف
الطرق الحديثة في التعليم .

إذا كان ثم ما يمنع تدريس كتب المعارف في النحو والصرف والبلاغة فما
أظن ان شيئاً يمنع من تدريس كتاب (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) الذي
ألفه الشيخ محمد الخضري الأزهري الداري اذ لا يوجد في الايدي مختصر لسيرة
النبيه يصلح للتدريس سواء وله كتاب آخر في تاريخ الخلفاء الراشدين لم أره
وأظن انه يصلح للتدريس أيضاً . فهذا جواب ما طلبه في الكلام على دروس
السنة الاولى من الارشاد الى مختصر وجيز في السيرة النبوية وتاريخ الراشدين .
وإذا أراد التوسع في تاريخ الاسلام في غير هذه السنة فلا أراه يستغني عن كتاب
أشهر مشاهير الاسلام .

ثم ان الاكتفاء بمختصر البخاري يقرأ في عدة سنين تقصير في الحديث
فهذا المختصر يقرأ في سنة واحدة ثم لا بد من قراءة غيره ومن العناية بعلم المصطلح
وتقد الرجال . ونكتفي بالتنبيه الى هذين الأمرين في هذا المقام ونحن نعلم عند
المشيخة في كل تقصير ، ونسأل الله تعالى أن يسهل لها كل عسير ،

وفي التقرير فصول أخرى في المدرسين وفي المساجد المدة للتدريس فيها
وفي مساكن طلاب العلم ، وفي كل فصل منها دلائل واضحة على همة شيخ
العلماء وعنايته بإتقان عمله

(عبارة التقرير)

نكتفي بما تقدم من القول الوجيز في موضوع التقرير ونحتم التقريظ والانتقاد
بعض الشواهد على ملاح لنا من التساهل في عبارته لأنني تساهل العلماء بإيراد المفردات
والاساليب العامة ووضع الكلم في غير مواضع جنابة على اللغة لأن الناس يقلدونها
فيما يكتبون . وانني أورد هنا ما قبل التأويل بتكلف ، ومالا يقبله ولو مع
التعسف . وأرى ان صاحب التقرير لو شاء ان ينتقحه حتى يسلم من الخطأ الا
مالا يسلم منه المولدون لفعل وعسى أن يفعل في تقرير آخر وهو أهل لذلك

(١) قال في الصفحة الثانية : ولا شيء في الخطأ اذا صحبه حسن النية : والشيء

هي القون في الشيء يخالف لونه الأصلي ومنه قوله تعالى في وصف البقرة «لا شيء
فيها» أي لالون آخر في جلدها . وقد استعمل الشيء هنا بمعنى العار والميب بدليل

قوله بعد ذلك : بل الميب كل الميب أن يخطئ المرء ثم يصر على خطئه وقد نبه الى موضعه من عمله عنادا واستكبارا :

(٢) وقال فيها : وترغيا في تربية الشبيبة المصرية : الخ الشبيبة مصدر وقد

جعلها هنا وفي مواضع أخرى جمع شاب . وقد سرى اليه هذا من الجرائد (٣) قال (في ص ٣) : وبالتالي تكون كل الوظائف الدينية : كذا ولفظ

التالي لا معنى له هنا والمقام مقام الاضراب

(٤) وجمع النظام في أول الصفحة الرابعة بالنظامات وكرر هذا الجمع في مواضع

أخرى وهو جمع مؤنث للمصدر غير صحيح اذا أريد به النوع .

(٥ و ٦) وقال فيها وأيدنا مبسوطا بالدعاء لسموه على هذه النعم المتابعة التي

أحسن بها على الأمة الإسلامية : علل الدعاء بعلى وعدى به الاحسان وهو غير معروف وهذه الصفحة لا تزيد على أربعة أسطر

(٧) قال في (ص ٥) أقبل الطلاب اقبالا كلياً : وهذا الوصف من استعمال

الدواوين والجرائد ولا يظهر له وجه عربي وجيه

(٨) وقال فيها : ولكن هذا الفن لم يثبت زمنا طويلا حتى تبدد : يريد لم

يلبث أن زال ولا تفيد هذا المعنى كلمة تبدد اذ معناها تفرق فكان بددا أي

حصصا وقالوا تبدد الخلي على صدر الجارية أي أخذه كله

(٩) وقال فيها أسلفنا ان عدد الطلاب الخ أي بينا ذلك فيما سلف ومضى

ولم ترد في اللغة بهذا المعنى . وقد يقال انه كقوله تعالى « بما أسلفتم في الايام

الخالية » والصواب ان الاسلاف في الآية وان فسروه بما قدمتم من الاعمال

الصالحة هو بمعنى السلم ودين السلف فقد سمي الله تعالى الانفاق في سبيله قرضا

حسنا في عدة آيات وسماه عند ما ذكر الجزاء عليه اسلافا وهذا هو معنى تفسيرهم

له بتقديم الاعمال اي جعلها قدامهم وأمامهم ولا يسمى الكلام الماضي اسلافا ولا

كل شيء فعل في الماضي اسلافا . هذا ما أجزم به فمن لم يقبله فأنا أترك له هذا

الانتقاد جدلا الا أن يأتي بشاهد عربي فاتني أتبعه فيه اتباعا

(١٠) وقال فيها ومن مطالعة الجدول المرفق بهذا يتضح كذا . أقول إن

لفظ المرفق بكذا يستعمل في عرف الدواوين بمعنى المرسل مع الشيء يقولون ورقة الحساب مرفقة بورقة الخطاب (مثلاً) وهذا خطأ فإن أرفق في اللغة لم يرد بهذا المعنى ولكنه ورد بمعنى رفق به ونفقه . على أن استعمال التقرير ليس بمعنى ما تقدم بيانه من استعمال الدواوين وإنما يعني بقوله « الجدول المرفق بهذا » الجدول المسطور في هذا الفصل من التقرير كما قال بعد ذلك « جداول الاحصاء المرفقة بهذا الفصل » وما كان أغناه عن لفظ المرفق . ولعله يجعل بعد هذه الجداول عدداً يشير اليه بالأرقام أو بأسماء العدد فيقول ويعلم من الجدول الاول كذا ومن الجدول الثاني كذا :

(١١) وقال فيها : ولكنه على العموم يبشر بكذا : وكتاب الجرائد تستعمل هذه العبارة بمعنى قولهم في « الجملة » والعموم مصدر عمّ ومعناه الشمول ويستعمل في اصطلاح الأصوليين بمعنى استغراق اللفظ لأفراد غير محصورين وعند أهل المنطق ينحو هذا ويقابل بالخصوص ولا محل لشرح ذلك هنا وعبارة التقرير ليست من هذا في شيء .

(١٢) قال (في ص ٦) وقد يستلقت انظار الباحث النخ وصيغة الاستلقات لم ترد في اللغة وقد سبق لنا ولكثير من الكتاب المدققين استعمالها تبعاً للجرائد وكان أول من نبهنا اليها المرحوم الشيخ محمد محمود الشنقيطي فذكرنا ذلك في المنار يومئذ . وقد ورد لفته وألفته

(١٣) واستعمل فيها وفي غيرها لفظ (الاحناف) جمعاً لحنفي وهو غير صحيح (١٤ و ١٥) وقال فيها وقد يلاحظ المطلع على احصائية العام المقبل : يعني بالاحصائية الجدول الذي أحصى فيه عدد التلاميذ ولا يظهر لي وجه وجيه لتسميته احصائية . ولا حظاً لا يتعدى بهلى وهو يكثّر من قول لاحظ عليه فهو خطأ . والعرب تستعمل لفظ « عام قابل » للعام الذي بعد عام المتكلم وورد في الحديث فلا أدري لماذا يستبدل به صاحب التقرير لفظ المقبل ولم اعده عليه . ومعنى أقبل في اللغة جاء من قبل أي من جهة الامام فلفظ مقبل ليس نصاً في العام الذي بعد عامك كلفظ « قابل » وليس في الصفحة السابعة واللتين بعدها الا الجداول

(١٦) كتب فوق الجدول الذي في (ص ٩) مانصه « إحصائية طلاب العلم الشريف بشعر الاسكندرية والجهات التابعة لها » فوصف الجهات بوصف المذكور العاقل ولعل هذا سبق قلم أو تحريف من المطبعة

(١٧) وفي هذا الجدول كلمة (أصوان) والصواب أسوان بالسين المهمة ولكن هذا من الخطأ الرسمي الذي عليه الحكومة وبلغنا ان نظارة المعارف صححته لها (١٨) وفي (ص ١٠) وصف النتائج بالحقة وهي تأنيث للحق وهو لا يؤنث وقد كثرت الجرائد استعمال الحقة فقرأ فيها الوطنية الحقة، الشريعة الحقة، الديانة الحقة، وهو خطأ (١٩) وقال فيها استعمالوها بإفراط: يعنى الطريقة والطريقة لا تستعمل استعمالاً

وكان يحسن ان يقول أفرطوا فيها (٢٠) وقال فيها: تكليف الطلاب بحفظ: الخ ولم يرد كلف متعديا بالباء بل ورد كلفه الأمر ولكن الفقهاء قد عدوا كلف بالياء فلهذا كلفهم العذر بتعديته بها ولا نكاد نسلم منه على علمنا به

(٢١) وقال فيها « حتى يبلغوا الحد الذي يقفون فيه على الاشتغال بأقامة الأدلة والبراهين على الذين كانوا يعلمون » وحسب القارئ لهذه الجملة قراءتها فلا حاجة الى بيان ضعفها .

عبارة هذا التقرير الذي يبلغ زهاء ٩٠ صفحة وهذه الاغلاط مستخرجة من اربع صفحات منه قد عدت عشرة لأن منها الاولى وليس فيها الا عنوان التقرير والثانية نصف صفحة . والرابعة اربعة أسطر، والسابعة والثامنة والتاسعة ليس فيها غير الجداول . وفي هذه الصفحات غير ما ذكرنا ولكنه يحتمل التأويل فتركناه . هذا واننا نعتقد ان الشيخ شاكر اهو من اكتب العلماء ونكتفي بهذا النموذج من انتقاد الرسميين ولكنه يكثّر قراءة الجرائد فأثرت في نفسه أساليب أكثرها حظوة عنده وهو لكثرة شغله لم يدقق في تحرير عبارة تقريره فجاءت كعبارة بعض الجرائد واننا لم تقدم على انتقاد التقرير الا لعلمنا بسعة صدره وعرفانه لقيمة الانتقاد وقد أشار الى ذلك في المقدمة فله الشكر على هذا الارشاد وعلى خدمته للعلم والتعليم « والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم »

(أبو نأ آءم ومذهب ءارون . من بآب الاءقاء على المنار)

كأب الينا بعض القراء وكلنا بعضهم في إنكار ما كآبه الءكتور محمد ءوفيق أفءءي صءق في مقآلات (الءن في نظر العقل) عن آلق آءم ومذهب ءارون . وأنكر بعضهم سكوتآله على ما كآب ءنجيهم (أولاً) بآه ليس من شأن أصحاب الصأف أن يقرنوا رأيهم بكل ما ينشرونه لغيرهم (ثانياً) أن الكأب قد ذكر ما ذكره في المسألة على ءقءر ءبوت مذهب ءارون ءبوتاً قطعيأ وهو غير ءآبء عنءه الآن فهو يقول أن مذهب ءارون في المسألة ظني لآ يقيني وهو أن ءبء بالبرهان اليقيني فإنه لآ ينقض القرآن بل يمكن أن يؤآء من القرآن ما يوافقه

واعلم أن ماورد في القرآن من آلق آءم من ترآب ومن طين قد ورد نظيره في آلق الناس كلهم قال آعالى في سورة الانام (٢: ٦) «هو الءى آلقكم من طين» وقال في سورة الصافات (١١: ٣٧) «فأسآقهم أم أشء آلقنا أم من آلقنا انا آلقناهم من طين لازب» فهل هذه الآيات نصوص قاطمة على أن المآطبين بها آلقوا من الطين مباشرة ؟ واذا آاز تأويلها آاز تأويل ماورد في آءم وذلك بمآل قوله آعالى في سورة المؤمنن (١٣: ٢٣) «ولقد آلقنا الانسان من سلاة من طين» ومعلوم أن مادة النسل من الطام وأصله مواد الارض النباتية . وماورد في آلق الناس من نفس واحدة ليس نصاً قطعيأ في أن المرآء بالناس آميع البشر اء لو كان ذلك نصاً لما قالوا ما قالوا في آفسير قوله آعالى في سورة الاعراف (١٨٩: ٧) «هو الءى آلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها» وهو أن المآطآب آقرش والمرآء بالنفس الواءة اءوم قصي وذلك أن الله آعالى آآبر عن هذه النفس الواءة وعن زوجها أنهما جعلآ له شركاء وآءم لم يكن مشركاً . وقد سبق لنا بيان آخر لمعنى الآية والمرآء هنا أن آآآلاف المفسرين في معنى الآية ءليل على أنها ليست نصاً قطعيأ في أن النفس الواءة آءم . وليآ شمري ماذا يضر المسلمين بيان المآرج من اعآراض الكفار على القرآن فمن لم يهآبه هذا الآواب فليأأ بأآسن منه وليآقء غير هذا وذلك فأنما عرأنا بيان أن كلام الله آعالى آق لآ سبيل الى نقضه بمآل

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولي الألباب

الحج
١٣١٥

يغير عادي الذين يستعملون القول فينبسبون أحسنه
أو تلك الذين عداهم انهموا ولطعمهم أولي الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوي و«مناراه» كناه والطريق)

﴿ مصر السبت ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٣ - ١٠ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب الانتقاد على المنار

﴿ اشتراط الولي في النكاح ﴾

قد تكرر القول منا بأننا ننشر في المنار كل ما ينتقده أهل العلم علينا ونبدي رأينا فيه ونترك الترجيح للقراء والحق أبلج لا يخفى على ذي البصيرة . وانا نحب أن ننشر ذلك في آخر جزء من السنة الا أن يكون الانتقاد يتعلق بشبهة على الاعتقاد أو نحو ذلك مما يضر تأخير نشره . وقد ورد علينا في ذي الحجة من السنة الماضية انتقاد من أحد فقهاء الحنفية في الهند على ما كتبناه في مسألة اشتراط الولي في النكاح وكان الجزء الرابع والعشرين قد كتبت أصوله فأخرت الانتقاد ونسيته زمناً ولما راجعت الآن مالمدي مما انتقد به علي رأيتهم مع آخر جعلته في أول الباب فأنا أشره ثم أجيب عنه بما يتسع له الباب . قال المعارض بعد البسملة والحمد والاستعانة ما نصه :

« أما بعد فما أغرب المار ما أتى به في مجلته (كذا) (الجزء الثاني عشر من المجلد السابع) بان الولي لا بد منه للنساء (كذا) في عقد النكاح سواء كن بالغات أم لا وانه لا يجوز نكاح المرأة بغير الولي وزعم ان قول الامام ابى حنيفة رحمه الله بعدم اشتراط الولي في نكاح المرأة المكافئة لمخالف للكتاب والسنة وقول الصحابة واستدل على دعواه بحجج ليست بنص على ما ادعى ، واستدلالات غير مثبتة لما نطق وقضى ، فأردنا في هذه المقالة كشف الستر عن وجه هذه المسئلة ورفع الحجاب عن ساحة تلك القضية فأقول وبالله التوفيق ان قول الامام في هذا الباب هو الموافق للكتاب المبين وسنة رسول رب العالمين وآثار الصحابة والتابعين

أما كتاب الله تعالى فقد قال جل وعلا « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » فانه سبحانه نسب النكاح الى النساء وان كان لا يجوز بدون الرجال ما نسب اليهن (كذا) بل الى الاولياء . وأما قوله تعالى « وأنكحوا الايامى منكم » فهو وان كان فيه خطاب مع الرجال الذين يتولون العقد لكن لا يفهم منه اشتراط الولي وانه لا بد منه كذلك قوله تعالى « واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن

فلا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف» لا يفهم منه أيضا اشترط الولي بل ليس فيه ذكر الولي حتى يستدل به على الاشتراط أو عدمه فان الخطاب في « فلا تعضلوهن » للازواج لا للاولياء كما فهمه صاحب المنار كيف و ينتشر منه الكلام ويتفكك به النظام فان الخطاب في اذا طلقتم مع الازواج قطعاً واذا كان الخطاب في « فلا تعضلوهن » مع الاولياء لامع الازواج ينتشر الكلام ويتعذر فهم المرام وكلام الله تعالى عما يصفون كما حقته الرازي في تفسيره حيث قال اختلف المفسرون في أن قوله فلا تعضلوهن خطاب لمن؟ فقال الاكثرون انه خطاب للاولياء وقال بعضهم انه خطاب للازواج وهذا هو المختار الذي يدل عليه أن قوله تعالى « اذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن » جملة واحدة واحدة مركبة من شرط وجزاء فالشرط قوله اذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن والجزاء قوله فلا تعضلوهن ولا شك ان الشرط وهو قوله اذا طلقتم النساء خطاب مع الازواج فوجب ان يكون الجزاء وهو قوله فلا تعضلوهن خطاباً معهم أيضاً اذ لو لم يكن كذلك لصار تقدير الآية اذا طلقتم النساء ايها الازواج فلا تعضلوهن ايها الاولياء وحينئذ لا يكون بين الشرط والجزاء مناسبة أصلاً وذلك توجب تفكك نظم الكلام ونزويه كلام الله عن مثله واجب .

وأما حديث معقل بن يسار قال كانت لي أخت فأتاني ابن عم فانكحها اياه فكانت عنده ما كانت ثم طلقها تطليقة ولم يراجعها حتى انقضت المدة فهورها وهو يته ثم خطبها مع الخطاب فقلت له يا لعمرك ما كرمك بها وزوجتكها فطلقتها ثم جئت تخاطبها والله لا ترجع اليك ابداً وكان رجلاً لا بأس به وكانت المرأة تريد ان ترجع اليه فعلم الله حاجته اليها وحاجتها الي بعلها فانزل الله هذه الآية قال ففي نزلت فكفرت عن يميني وانكحتها اياه . فهو أيضاً لا يدل على ان الخطاب مع الاولياء اما تعلم ما تقرر في الاصول من ان العبرة بعموم المعنى لا بخصوص المورد فهذه الآية وان كانت مورده (كذا) الخاص الازواج ولكن لما كانت العبرة بعموم المعنى دخل فيه عضل معقل بن يسار الذي هو ولي هذه المرأة ففهم أن الآية في نزلت (كذا) أما قول القائل « ولو كان لها ان تزوج نفسها لفعلت مع ما ذكر من رغبته »

فقد فوغ اذ يجوز ان تكون امتناعها (كذا) عن التزوج بعدم تمكنها مخالفة أخيها (كذا) الذي حان بان لا يزوجها به مع رغبتها اليه (كذا) لأن الغالب في النساء ان يكن تحت تدبير الاولياء وآرائهم ولا يقدرن على المخالفة في باب النكاح وان كان الاذن الشرعي لمن في ذلك (كذا) كما حقه الرازي في تفسيره حيث قال لم لا يجوز ان يكون المراد بقوله فلا تعضلوهم ان يخليها ورأيها في ذلك وذلك لأن الغالب في النساء الا يأمي أن يتركن الى رأي الاولياء في باب النكاح وان كان الاستئذان الشرعي لمن وان يكن تحت تدبيرهم ورأيهم وحينئذ يكونون متمكنين من منعهم كتمكنهم من تزويجهم فيكون النهي محولا على هذا الوجه وهو منقول عن ابن عباس في تفسير الآية

وكذلك قوله « وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح » الآية لا يفيد لدعواكم (كذا) لئلا ان المراد بالذي بيده عقدة النكاح هو الولي لكن يحمل على الصغيرة كما ان « ان يعفون » على الكبيرة (كذا) غاية ما في الباب انه يلزم منه ان نكاح الصغيرة لا ينقذ بدون الولي وانه لا بد منه وهذا عين ما ذهبنا اليه

وأما سنة رسول الله فمنها ما رواه الشيخان عن سهل بن سعد الساعدي قال جاءت امرأة الى رسول الله (ص) فقالت يا رسول الله جئت أهب لك نفسي فنظر اليها رسول الله (ص) فصمد النظر فيها وضوءه ثم طأطأ رسول الله (ص) رأسه فلما رأت المرأة انه لم يقض فيها شيئا جلست فقام رجل من أصحابه فقال يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال وهل عندك من شيء قال لا والله يا رسول الله فقال اذهب الى اهلك فانظر هل تجد شيئا فذهب ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيئا فقال رسول الله (ص) انظر ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع فقال والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد ولكن هذا إرازي فقال سهل مالهرداء فلما نصفه فقال يا رسول الله (ص) ما تصنع بإزارك ان لبتة لم يكن عليها منه شيء وان لبتة لم يكن عليك منه شيء فجلس الرجل حين اذا طأ طأ مجلسه قام فراه رسول الله صلعم موليا فامر به فدعي فلما جاء قال ما دامك

من القرآن قال معي سورة كذا وسورة كذا عددها فقال تقروهن عن ظهر قلبك؟ قال نعم قال «اذهب فقد ملكتكها بما ملكك من القرآن» فقد أنكحها رسول الله (ص) بغير إذن وليها بل ومع عدم التفتيش والتفتيح بحال. وليها (كذا) ودعوى الخصوصية لا تسمع بغير دليل (رواية الاكثرين زوجها بدل ملكتها)

ومنها ما رواه الطحاوي في معاني الآثار عن أم سلمة قالت دخل على رسول الله (ص) بعد وفاة أبي سلمة فخطبني الى نفسي فقلت يا رسول الله انه ليس أحد من أوليائي شاهدا فقال انه ليس منهم شاهد ولا غائب يكره ذلك قالت قم يا عمر فزوج النبي (ص) فتزوج. ومنها ما رواه سعيد بن منصور في سننه حدثنا أبو الاحوص عن عبد العزيز بن ربيع عن أبي سلمة جاءت امرأة الى رسول الله (ص) فقالت ان أبي أنكحني رجلا وأنا كارهة فقال لا ييها لانكاح لك اذهبي فانكحي من شئت. فهذه الاحاديث كما ترى دالة على عدم اشتراط الولي وان النساء بالغات لمن ان يباشرن العقد بنفسهن من غير احتياج الى الرجال

وأما ما رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم لا تنكح الايم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن فلا يفهم منه ان حق الزوج (كذا) للرجال ذون النساء كمن ومقاد الحديث ان نكاح الايم وكذا البكر لا تنقذان (كذا) بدون إجازتهما من غيرها أو كناية وأما ان حقبة مباشرة العقد للرجال أو النساء فهو يعمل عن هذا كيف لا وقد روى هذا الحديث ابن عباس بلفظ الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها وأذنها صلاتها والتأويل بان المراد أن لا يزوجه الا بأمر صريح بخلاف باطل لا يقبله العقل السليم والفهم المستقيم

وأما حديث أبي موسى لا نكاح الا بولي : فقد أعله ابن حبان بالارسال كذا ذكره الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام وتصحيح المسالك كتصحيح الترمذي (كذا) وكذلك حديث ايما امرأة نكحت بدون إذن وليها فنكاحها باطل (كذا) قال ففكاحها باطل فان دخل بها فلها المهر بما استعمل من فرجها فان لم يهرها فالسلطان ولي من لا ولي له ايضا ضعيف فان الزهري الراوي فكرمه

عائشة التي روت هذا الحديث زوجت حفصة بنت اخيها عبد الرحمن وهو غائب بالشام كما اخرجته مالك في الموطأ : فنسبة النسيان الى الزهري كما فعله صاحب المنار كما ترى

والحاصل ان حديث لانكاح الا بولي : وان كان ينجر ضعفه بكثرة الطرق لكن لا يساوي درجة الكتاب والصحاح من الاحاديث التي ذكرت فضلا عن ان يكون فاضلا فافهم وأنصف. وكذلك حديث ابي هريرة : لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها فان الزانية هي التي تزوج نفسها : رفعه غير محفوظ كيف واكثر اصحاب هشام بن حسان أحد رواة هذا الحديث كنضر بن شميل وسفيان بن عيينة وغيرهما يرويانه موقوفا وكذا الامام الاوزاعي الذي هو المتابع للهشام (كذا) ايضا يرويه موقوفا قال الشوكاني في نيل الاوطار الصحيح وقفه على ابي هريرة

وقد نقل في عدم (كذا) اشراط الولي في النكاح عن عثمان وعلي وغيرهما من الصحابة وموسى بن عبد الله والزهري والشعبي وغيرهم من التابعين كما نقله ابن أبي شيبة في مصنفه فتبين بهذا بطلان قول الحافظ ابن المنذر انه لا يعرف عن أحد من الصحابة خلاف ذلك. فتصور بهذا جله ان كتاب الله وسنة رسول الله وأقوال الصحابة والتابعين كلها تدل على ان نكاح الحرة البالغة العاقلة نفسها (كذا) بغير ولي جائز هذا حكم الله في دينه وحكمته ظاهرة فان النكاح تصرف في خالص حقها وهي من أهله لكونها عاقلة بالغة ولهذا جاز لها التصرف في الاموال واختيار الأزواج فلا معنى لاشراط الولي لصحته غاية ما في الباب ان يكون للولي الاعتراض اذا قصرت في أمر بان تزوجت بغير كف أو بأقل من مهر المثل والله أعلم وعلمه أتم (عبد الرؤف البهاري)

هذا ما كتبه بحروفه المعترض لم نصح منه الابعارة الرازي وبعض أغلاط الاملاء وهي قليلة وأشرنا الى بعض ما في عبارته من الغلط والضعف بكلمة (كذا) وقد أرسل اليها مقالته بعض قراء المنار الأخيار وكتب اليها في آخرها ما يأتي :

حضرة الفاضل العلامة والماجد الزهامة أدام الله مجدكم
السلام عليكم ورحمة الله وبعد فإن مقاتلتكم في المنار في اشتراط الولي في النكاح
لما نظر بعض أحبتي اليها وأمعن فيها كتب لي بما يتضمنه هذا الكتاب فأحبينا
ارسالها الى جنابكم رجاء إشاعتها في مجلتكم . وإن شئتم أجبتكم عما فيه ولكم
الفضل ولا زلتكم بخير
السيد رحمة الله مهمتهم مدرسة جامع العلوم
مظفر پور - الهند

﴿ جواب المنار ﴾

نشهد الله تعالى أنه لو ظهر لنا أن مقاله هذا المعارض حق لاعترفنا به وهل
يمنع المشتغل بالعلم من رؤية الحق حقاً والاعتراف به الا التعصب لمذهب معين
يحاول أن يثبت له الحق في جميع مسائل الخلاف وينفيه عن مخالفيه وما نحن
بالمتعصبين ، إن نقول الا كما قال إمام دار الهجرة « كل أحد يؤخذ من كلامه
ويرد عليه الا صاحب هذا القبر » يعني قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وإذا كان
جماهير علماء الأمة قد اثبتوا في الأصول أن الحق واحد في كل مسألة وأنه لا عصمة
في بيان أحكام الشريعة الا للانبياء فليس يعقل أن يكون واحد من الأئمة قد
أصاب في كل ماخالف به غيره وأخطأ سائرهم فية بل يصيب هذا تارة وذاك
تارة أخرى والمتأخر اقرب الى الصواب غالباً لأنه يطلع على مقاله المتقدم ويزيد
عليه . وقد قال الامام الشافعي للإمام محمد صاحب الامام أبي حنيفة (رحمهم
الله تعالى أجمعين) : ناشدتك الله أصحابنا (يعني الامام مالك) أعلم بكتاب الله
أم صاحبكم (يعني ابا حنيفة) فقال اللهم صاحبكم وسأله مثل هذا في السنة فاعترف
بان مالك أعلم بها فقال له الشافعي فعلام تقيس أنت وصاحبك . اه بالمعنى .
ونحن نعلم ان الشافعي قد أخذ الحديث عن مالك وحفظ الموطأ وزاد عليه في الرواية
وكان عربياً يحتاج بهريته ومع ذلك قال طلبت لغة العرب عشرين سنة . ثم ان
الامام أحمد أخذ عن الشافعي وزاد عليه في الرواية وكان عربياً فصيحاً فالذي
يفلب على الظن ويوافق سنة التدريج التي كان بها خاتم النبيين أفضلهم أن أقرب
المذاهب الى الصواب في المسائل الخلافية أحمد فالشافعي فما لك فأبو حنيفة رضوان

الله عليهم أجمعين . وليس هذا بقادح في فضل المتقدم بالسبق اذ يوجد في الفاضل ما لا يوجد في الأ فضل كما مثلنا بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يجب أن يكون المتأخر هو المصيب دائماً وان تساوى مع سابقه في درجة الاجتهاد وزاد في الاطلاع لما يعرض للمرء أحياناً من الذهول والنسيان وكلال الذهن وغير ذلك من العوارض ولذلك وجب عرض مسائل الخلاف على الكتاب والسنة كما قال تعالى (٥٩:٤) «فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً» والرد الى الله تعالى هو الرد الى كتابه والرد الى الرسول بعد وفاته هو الرد الى سنته لا خلاف في ذلك . والواجب ان يرد ما يتنازع فيه اليهما على انهما الاصل الذي يحمل عليه غيره لا لأجل تطبيقهما على قول معين ولو بالتكلف وجعلهما فرعين فان هذا هو التفسير بالرأي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» رواه أصحاب السنن ٣ من حديث ابن عباس موفوعاً . اذ تمهد هذا فاليك البحث فيما كتبه المتعرض في تطبيق الآيات والانحاديث على مذهبه على ضعفه في اللغة العربية كما علمت من عبارته

(١) استدلل بقوله تعالى (٢٢٩:٢) «فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره» على أن المرأة تتولى العقد بنفسها دون وليها لأنه أسند النكاح اليها . ونسي أو تناسى أن النكاح هنا لا يصح ان يفسر بالعقد اذ لو فسر به لكانت الآية دليلاً على أن المطلقة ثلاثاً اذا عقد عليها رجل آخر وطلقها ولم يدخل بها فأنها تحل لزوجها الاول وهذا يخالف لمذهب إمامه الذي يريد الانتصار له وبما ذهب الائمة الثلاثة وغيرهم من السلف والخلف فهو تفسير مردود لا يقول به أحد من المسلمين وقد بيناه في الآية في موضعها من التفسير فراجعها في الجزء الثالث (ص ٤٨١) من هذا المجلد

(٢) زعم ان قوله تعالى (٢٣:٢٢) « وأنكحوا الأيامى منكم » الآية يفهم منه اشتراط الولي . ونقول يفهم منه ان الرجال مخاطبون من الله تعالى بتزويج النساء ولم يخاطب سبحانه النساء بتزويج أنفسهن فكيف تزعم ان القرآن يدل على انه شرع للمرأة ان تزوج نفسها . وقد علم من السنة التي جرى عليها السلف والخلف

من الأمة ان الرجال المخاطبين بتزويج النساء هم الاقربون اليهم بالاولياء
لا الاجانب

(٣) وزعم أيضا ان قوله تعالى (٢٣: ٢) «فلا تفضلوهن ان ينكحن أزواجهن»
لا يفهم منه اشتراط الولي لانه لم يذكر الولي ولأن النظام يتفكك بهذا التفسير. وأنا لزعم
غريب اعتاد مثله اهل الجدل. كأن هذا القائل ومن تقا عنه أعلم بدلول الكلام
ونظامه من الصحابي الذي قال ان الآية نزلت فيه اذ عضل أخته فلم يرض ان
يعيدها الى زوجها الذي طلقها حتى نزلت الآية فيه فزوجها منه ، وأعلم بهذا
الدلول من الأئمة الثلاثة وسائر علماء السلف والخلف الذين أخذوا بحديث البخاري
في سبب نزولها . فراجع تفسيرها في (ص ٥٢٧) وما بعدها من هذا المجلد . وما
نقله من اختبار الرازي مردود لمخالفته الحديث الصحيح وقول الجمهور باعترافه
على أن الرازي أجاب عنه وأشار الى ترجيح مذهب إمامه الشافعي

(٤) زعم ان حديث معقل بن يسار لا يدل على أن الخطاب في النهي عن
العضل للأولياء لما تقرر في الأصول من ان العبرة بعموم الفحوى . وتقول ان
المراد بعموم الفحوى أن ماورد بسبب خاص لا يقصر على سببه بل يؤخذ بعموم
اللفظ فكل رجل منهي عن عضل موليته كمقل بن يسار . وجمل الخطاب في
هذا النهي للأزواج المطلقين لوجه له في العربية لأن المعنى عليه : لا تفضلوا أيها
الأزواج مطلقا تكمن ان ينكحن أزواجهن : وما أزواجهن الا مطلقوهن ولا معنى
لعضلن عن أنفسهن . وما قاله من زعم أن النهي للأزواج من أن المراد بأزواجهن
من يصيرون أزواجهن على سبيل المجاز المرسل تنافيه الإضافة اليهن على ما حقيقته
الامام عبد القاهر الجرجاني في مثله . واذا لم تكن الآية مع الحديث نصا في أن
الرجال هم الذين يزوجون ويمنعون فليكن ظاهرا في ذلك واين النص أو الظاهر
أو الإشارة من الكتاب على مذهب المعتز من أن المرأة تزوج نفسها ؟

(٥) مادفع به قولنا « لو كان لها ان تزوج نفسها لفعلت » الخ مدفوع من
نفسه وقوله عن الرازي ؟ لم لا يجوز ان يكون المراد بقوله « فلا تفضلوهن » أن
مخليا ورأيها : لا يصح سندا لأن الحديث ناطق بأنه كفر عن يمينه واستحضير

زوجها وتعد له عليها ولو كان المراد ما ذكره لسكت عن المعارضة أو لأذن لها ان
تعد عليه . ولو كان هو وغيره من الأولياء منعوا النساء مما هو حق لهن لما أقرهم
الشرع على ذلك بل لأمرهم بتركهن يزوجن أنفسهن أمرا صريحا

(٦) سلم ان الذي يده عقدة النكاح في قوله تعالى « الا ان يعفون »
الح هو الولي واكنه خصه بولي الصغيرة . على أن الخلاف فيه اقوى من الخلاف
في المنهين عن العضل . وهو على قول من ذهب الى أنه الولي حجة من المصحيح
على ما ذهبنا اليه من ان الرجل هو الذي يزوج المرأة وان الشريعة لم تسمح لها
بأن تزوج نفسها ، وعلى اقول الآخر لا يدل على ما ذهب اليه الخنفية من أن أمرها
بيدها اذا كانت راشدة — فهذا مجموع ما ذكره من آيات القرآن دليلا على مذهبه
وقد رأيت أنه لا حجة له في شيء منه بل هو حجة عليه

(٧) حديث سهل بن سعد حجة على مذهب المعارض في جعل الصداق
منفعة فانه صريح في جعل تعليم مأمعة من القرآن صداقا وهو لا يجزه وفي عدم
استقلال المرأة بتزويج نفسها ورجوعها الى ولاية الامام اذا لم يكن لها ولي كما قال
بعض العلماء في تلك المرأة فانه لم يكن يعرف لها ولي من المؤمنين . على أن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو صاحب الولاية العليا على جميع من آمن به
لقوله تعالى في سورة الاحزاب (٣٣ : ٦) « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
وأزواجه أمهاتهم وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض » فولاية الأقربين بعضهم
على بعض هي دون ولايته عليه الصلاة والسلام ومن فروع هذه الولاية ما نزل
فيه قوله تعالى في هذه السورة « ٣٦ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله
ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » وقد نزلت في إباء زينب وأخيها
الذي هو ولها تزويجها يزيد . فتزويج النبي عليه الصلاة والسلام تلك المرأة
المجهولة لذلك الرجل لا حجة فيه على أنه يجوز للمرأة التي لها ولي أن تزوج نفسها
أو توكل من تشاء من الرجال في تزويجها كما هو مذهب المعارض الذي يزعم أن
حديث سهل حجة له اذ لا يقاس أحد به صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر الحافظ السيوطي هذا الحديث في باب اختصاصه (ص) بأنه يزوج

من شاء من النساء بمن شاء من الرجال . واستدل على هذه الولاية الخاصة له (ص) بالآية التي ذكرناها آنفاً وقلنا أنها نزلت في زيد وزينب وبحديث أبي هريرة عند البخاري وغيره « مامن مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة » وذكر في الباب ما أخرجه ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي أن عبد الله ذا البجادين خطب امرأة فلم تزوجه فسألها أبو بكر وعمر فأبت فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال « يا عبد الله ألم يبلغني أنك تذكرك فلانة » قال بلى قال « فأني قد زوجتكها » فأدخلت عليه وهذا الحديث معضد بالآية وبما ورد في الصحيح . فليُنظر المنصف إلى تحريف هؤلاء المتعصبين يتركون العمل بالحديث فيما هو صريح فيه ويحتجون به على مخالفتهم فيما لا يدل عليه وهكذا شأن من يجعل مذهبه أصلاً والكتاب والسنة فرعين يحملان عليه ولو بالتأويل أو تركان

(٨) حديث أم سلمة فيه حجة على مذهب المعارض فإن قولها « ليس أحد من أوليائي شاهداً » دليل على أنه كان من المعروف في الإسلام أن المرأة لا يزوجه إلا بعض أوليائها وليس فيه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أبطل هذه السنة حتى يكون حجة على جماهير الأمة القائلين بأن الولي هو الذي يتولى الزوج بل فيه أن عمر ولدها هو الذي زوجها وهو وإيها ان صح الاحتجاج بالحديث

وقد استدل الطحاوي (محدث الحنفية) رحمه الله تعالى بهذا الحديث على أن المرأة لا تتولى بنفسها عقد النكاح وإن كانت ثيباً بل توليه الرجال خلافاً لما زعم المعارض .

هذا وقد أعلّ المحدثون حديث أم سلمة هذا بأن عمر ابنها كان صغير السن يومئذ فانه ولد في الحبشة في السنة الثانية من الهجرة وتزوج (ص) بأمه في السنة الرابعة ، وبأنه عليه الصلاة والسلام لا يفتقر في نكاحه إلى ولي

(٩) حديث أبي سلمة عند سعيد بن منصور غير معروف ومن سعيد غير متلقاة بالرواية ونسخها مقفودة فمعاها يرجد منها لا يحتج به بمقتضى القاعدة التي قررها ابن الصلاح في تلقي الكتب والاحتجاج بها وأبو الأحوص شيخ سعيد هو سلام بن سليم وقد روى عن عبد العزيز بن رفيع بالفاء (لا بالباء الموحدة

كما ضبطه المعترض) وقد ذكر في تهذيب الكمال جميع من روى عنهم عبد العزيز ولم يذكر فيهم أبا سلمة . وهذه كنية غير واحد من الصحابة والتابعين . ثم ان ما انفرد به سعيد في سننه يجب ان يكون محل النظر فقد ذكر صاحب التهذيب وتبعه الذهبي في الميزان عن يعقوب بن سفيان أن سعيدا كان اذا رأى في كتابه خطأ لا يرجع عنه .

والذي روي في هذا المعنى واحتج به الحنفية حديث ابن عباس عند أحمد وأبي داود وابن ماجه والدارقطني أن جارية بكرا أتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ان أباه زوجها وهي كارهة فخيرها النبي صلى الله عليه وسلم : وزواه الدارقطني عن عكرمة مرسلًا وذكر انه أصبح . والحنفية يحتجون بالمرسل . وقد حققنا من قبل أن ليس للولي أن يجبر موليته على النكاح والحديث مرسله وموصوله لا يدل على أكثر من ذلك فلا شبهة فيه على القول باستقلال المرأة بتزويج نفسها . فمن قال من الأئمة بنفي الاجبار مصيب فالحق انه هو الذي يزوج برضاها واذنها . ومن قال ان لها ان تستقل بتزويج نفسها فلا دليل له من كتاب ولا سنة بل الكتاب والسنة حجتان عليه

(١٠) زعم ان حديث أبي هريرة عند الجماعة «لا تنكح الأيم حتى تستأمر» الخ لا يفهم منه ان حق التزوج (يريد التزويج) للرجال . ولو قال لا يدل على اشتراطه لكان له وجه أما نفيه الفهم فلا وجه له لأن الكلام مبني على ان سنة الاسلام جارية بتزويج الرجال للنساء فالشارع ينههم أن يفعلوا هذا - وهو حق لهم أقرهم عليه بشرطه - الا بعد أمر من الثيب واستئذان البكر . فهو اذا لم يدل على إنشاء مشروعية كون الولي هو الذي يزوج فهو يدل حتما على ان ذلك كان مشروعاً وعليه العمل . ولاتنافي ذلك الرواية الثانية عن ابن عباس فان كونها أحق بنفسها يقتضي أن يكون للولي حق ولها حق هو آكد وهو يتفق مع وجوب استئمارها . والحكمة في هذا التعبير أن الثيب كثيرا ما كانت تخطب الى نفسها وأما البكر فلم تجر العادة بخطبتها الى نفسها بل الى أوليائها ، والثيب لانستحي أن تصرح برضاها بمن خطبها والبكر تستحي وغرض الشارع أن يبين للأولياء ما ينبغي لهم

مراعاته في تزويج موليائهم فحرم عليهم الاكراه والاجبار وأمرهم أن يستأذوا
 البكر فيمن يرضونه لها من الخاطبين وأن يكتفوا منها بالسكوت الذي يشعر بالرضى
 ولا يكلفوها الاذن الصريح وأن يتركوا الثيب وشأنها في الاختيار اذا خطبت الى
 نفسها واليهم فلا يزوجهما بمن يخطب اليهم الا بأمر صريح منها لأنها لا تستحي من
 التصريح بمن ترضى وتختار . هذا هو مفهوم مجموع الروايات ولو فهم الصحابة
 منه أن الثيب تعتد على نفسها لفعل ذلك كثيرات منهن ولكن لم يرد ذلك من
 أحد في رواية سالمة من العلل « وفي مختصر مشكل الآثار أن الذي للمرأة قبل
 الحق في عقد نكاحها أن تأذن فيه لوليها وتوليها ذلك فيكون العقد منه عليها عقدا
 منها على نفسها لان عقود الوكلاء في هذا مضافة الى أمرهم وبهذا الجمع بين
 الروايات نقول

(١١) اقتضب المقرض الكلام في اعلال حديث « لا نكاح الا بولي »
 مع علمه بما ورد في تصحيحه قال في نيل الاوطار بعد ان أورد حديثي أبي موسى
 وعائشة في المنتقى معزوين الى الامام أحمد وأصحاب السنن ما عدا النسائي مانصه:
 « حديث أبي موسى أخرجه أيضا ابن حبان والحاكم وصححه وذكر له الحاكم
 طرقا وقال وقد صحت الرواية فيه عن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وأم
 سلمة وزينب بنت جحش ثم سرد تمام ثلاثين صحابيا . وقد جمع طرقة الديلمي
 من المتأخرين . وقد اختلف في وصله وارسله فرواه شعبة والثوري عن أبي
 اسحق مرسل ورواه اسرائيل عنه فأسنده . وأبو اسحق مشهور بالتدليس . وأسند
 الحاكم من طريق علي بن المديني ومن طريق البخاري والذهلي وغيرهم أنهم صححوا
 حديث اسرائيل وحديث عائشة أخرجه أيضا أبو عروانة وابن حبان والحاكم وحسنه
 الترمذي وقد أعل بالارسال وتكلم فيه بعضهم من جهة ان ابن جريج قال :
 ثم لقيت الزهري فسأله عنه فأنكره : وقد عد أبو القاسم بن منده عدة من رواه
 عن ابن جريج فبلغوا عشرين رجلا وذكر ان معمر وعبيد الله بن زحر تابعا
 ابن جريج على روايته إياه عن سليمان بن موسى وان قره وموسى بن عقبة ومحمد
 بن اسحق وأيوب بن موسى وهشام بن سعد وجماعة تابعوا سليمان بن موسى عن

الزهري . قال ورواه أبو مالك الجاني ونوح بن دراج ومندل وجهفر بن برقان وجماعة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . وقد أعلّ ابن حبان وابن عدي وابن عبد البر والحاكم وغيره الحكاية عن ابن جريج بانكار الزهري . وعلى تقدير الصحة لا يلزم من نسيان الزهري له ان يكون ساجان بن موسى وهم فيه . اه كلام نيل الاوطار ومنه تعلم ان ما ذكره المعترض من إعلال الحديثين لا يشفي العلة ولا يبرد الغلة وان الحجة بهما قائمة .

(١٢) وأما قوله ان عائشة راوية الحديث زوجت حفصة بنت أخيها الخ أي فهو ضعيف بعمل الراوي بخلاف روايته على طريقة الخفية فجوابه من وجهين احدهما اننا لانسلم ان عمل الراوي بخلاف روايته يبطل العمل بها لأن الرواية حجة بشرطها وعمل الراوي ليس بحجة لأنه غير معصوم لاسيما اذا كان عمله مخالفا لما ورد عن الشارع المعصوم . وثانيهما ان فقهاء مذهب المعترض اوردوا أثر عائشة في كتبهم وذكروا ما قيل في معناه من انها أذنت في التزويج ومهدت أسبابه فلما لم يبق الا العقد أشارت الى من يلي أمرها عند غيبة أبيها ان يتقدم . يدل على ذلك ما روي عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قل كانت عائشة رضي الله عنها تخطب اليها المرأة من أهلها فتشهد فاذا بقيت عقدة النكاح قالت لبعض أهلها : زوج فان المرأة لا تلي عقد النكاح : أسنده البيهقي عنه

(١٣) ثم ان المعترض جاء بعد ايراد ما تقدم بحاصل مردود وهو ان حديث « لانكاح الا بولي » وان كان ينجر ضمنه بكثرة الطرق لا يساري درجة الكتاب والمصاحح التي ذكرت . وقد علمت مما تقدم ان الحديث صحيح بل يكاد بكثرة طريقة والعمل به يكون متواترا ، وأن الآيات الكريمة والاحاديث الصحيحة ما ذكره المعترض منها وما لم يذكره مؤيدة له لا معارضة

(١٤) ومن غريب أمر المعترض في تحريفه انه قال بعد هذا ان حديث أبي هريرة « لا تزوج المرأة المرأة ولا المرأة نفسها فان الزانية هي التي تزوج نفسها » غير محفوظ مرفوعا وينقل تصحيح وقفه عن نيل الاوطار وهذه عبارة نيل الاوطار فيه : « وحديث أبي هريرة أخرجه أيضا البيهقي قال ابن كثير انه صحيح وقفه على أبي

هريرة وقال الحافظ رجاله ثقات . وفي لفظ للدارقطني كنا نقول التي تزوج نفسها هي الزانية : قال الحافظ فتبين ان هذه الزيادة من قول أبي هريرة وكذلك رواها البيهقي موقوفة في طريق رواها مرفوعة في أخرى « اه فعلم من هذا أن الجملة الأخيرة من الحديث رويت مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو موقوفة على أبي هريرة . وعبرة أبي هريرة كنا نقول ان الزانية هي التي تزوج نفسها صريحة في ان هذا القول كان فاشيا في الصحابة ومثله لا يفتشوا مجرد الرأي فله حكم المرفوع ولولم يرفع فكيف وقد رفع كما علمت

(١٥) قال ابن آدم اشترط الولي في النكاح منقول عن عثمان وعلي وغيرها من الصحابة وموسى بن عبد الله والزهري والشمسي وغيرهم من التابعين الخ ونقول ان هذا نقل لم يثبت ولذلك قال الحافظ ابن المنذر انه لا يعرف عن أحد من الصحابة خلاف ذلك أي خلاف اشترط الولي . وقد روى الدارقطني عن الشمسي قال ما كان أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه عليه أشد في النكاح بغير ولي من علي كان يضرب فيه : فظهر بهذا كله بطلان قول المعترض « فتصور بهذا جله أن كتاب الله » الخ بل كتاب الله تعالى وسنة رسوله وأقوال الصحابة والتابعين وعلمهم في جملة علي ان المرأة لا تزوج نفسها بل بزوجه من حضر من أوليائها الاقرب فالأقرب برضاها . فان لم يوجد لها ولي رجع أمرها الى امام المسلمين ذي الولاية العامة فهو يزوجه ولهذا خالف أبا حنيفة فيما انفرد به صاحبه محمد بن صاحباه وقالوا بوجوب الولي ذكر الطحاوي في شرح معاني الآثار قول الامام أبي حنيفة ان للمرأة الحق في تزويج نفسها بدون ولي قياما على تصرفها في ما لها وأنه ليس للولي ان يعترض الا اذا تزوجت بغير كفؤ أو بدون مهر المثل قال : وقد كان أبو يوسف يقول ان بضع المرأة اليها وأنه ليس للولي ان يعترض عليها في نقصان ما تزوجت عليه عن مهر مثلها ثم رجع الى قول محمد أنه لا نكاح الا بولي : اه فاذا كان صاحب أبي حنيفة (رحمهم الله تعالى) قد خالفاه في هذه المسألة بعد ما علمنا بما ورد فيها عن الشارع وأصحابه مما لا محل له معه تقياس البضع على المال ، فما مال هذا المقلد المعترض جاء في آخر الزمان يحرف الكلام عن مواضعه ليصحح

قول أبي حنيفة على أن في المذهب الحنفي مسائل لا تحصى قد رجع الشيوخ فيها قول صاحبيه على قوله .

وأما ما ذكره في حكمة مذهبه فهو وجه القياس الذي بطل بالنص والحكمة البينة لما ثبت بالنصوص هي ما بيناه في المنار (ص ٤٦١) من المجلد السابع ونقول في خاتمة البحث ان من يريد الاهتداء بالكتاب والسنة يجب عليه عند النظر فيهما أن ينبذ هواه وتعصبه و يقصد ان يجعلهما الأصل الأصل الذي يعمل به وينبذ كل ما خالفه لأن ينظر فيهما التماساً لتأييد قول رجل معين كلامه هو أصل الدين عنده فان وافقته النصوص الإلهية قبلها والا حرقها وصرفها عن وجهها على أن المتعصب لرأي ما يعنيه تعصبه عن رؤية الحق والمثل قد قطع على نفسه طريق النظر في الدليل، « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

﴿ طعام أهل الكتاب ومجاملتهم ﴾

كتب الينا بعض القراء الفضلاء من مسلمي « بوسنة » ما يأتي الى حضرة العالم الكامل الاختم !
أيها التحرير الشهم الفاضل

ما مرادكم بالعبارة الآتية في الجزء السابع من المجلد الثامن من المنار القراء في صحيفة ٢٥٥ الا وهي « وأراد تعالى ان مجاملهم ولا تعاملهم معاملة المشركين استثنى طعامهم فأباحه لنا بشرط ولا قيد »

وهذا لا يصح نظرا الى الظاهر لأنه لا بد ان يكون مقيدا بأمور ولا أقل من التقيد بالوجوه التي تبيح أكل مال الغير لنا

وقد وقعت بعد العبارة السابقة في السطر الخامس في تلك الصحيفة أيضاً هذه العبارة « : ولاجل كون حل طعام أهل الكتاب ورد مورد الاستثناء من المحرمات المذكورة بالتفصيل في سورة المائدة » فان الظاهر من تينك العبارتين ان النص الوارد في تحليل طعام أهل الكتاب مطلق لا يقيّد بقيد ما أصلاً وانه مستثنى من جميع المحرمات الواردة في آية « حرمت عليكم الميتة » الى آخره فيلزم من هذا ان يكون طعام أهل الكتاب حلالاً لنا ولو كان مطبوخاً من الميتة أو لحم

الخنزير أو الدم المسفوح أو الخمر أو غير ذلك
وأما تعليلكم بالمجاملة فلان سلم انا محضون عليها من الشارع الا اذا كانت في حدود
الشرع . والقول الواقع في الآية بمقابلة هذا يدل صريحا على ان المراد بحل طعامهم
المجاملة معهم في المعاشرة كالأجابه الى دعوتهم ودعوتنا اياهم الى موافقتنا وكالمساهلة في
البيع والشراء معهم والا فلا معنى لحل طعامنا بالنسبة اليهم لان الحلين عائد لنا .
وأول الآية وآخرها يتفي صراحة الحل المطلق ويدل على الحل المقيد
بالحدود الشرعية فينتج من هذا ان مجاملتنا اياهم وان وسعت في الشريعة بالنسبة
للوثنيين لكنها أيضا محدودة بالأحكام الشرعية . والا فالمجاملة الكلية لا تقع الا
باتباعهم في الجميع « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتي تتبع ملتهم » . ولنا
مأمورين بل نحن منهيون عن تجاوز حدود الله في مجاملة أخ ديني ولو كان أشرف
من في الارض فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

أتمس من فضلكم التفصيل الشافي على هذه الاستفسارات لتزيلوا تحيري في
هذا الشأن ولكم من الله الاجر الجزيل ومني المنه العظيمة وان لم يمكن لجنابكم تعريف
المراد بالكتابة القصيرة فارجو من سروركم ان تكرموني بارسال الاجزاء الباقية
في هذه المسئلة . وان كان عليكم بأس بفصل بعض الاجزاء من المجلد الواحد فأرسلوا
المجلد المطلوب بتمامه وأنا ارسل لكم على الفور قيمته
ع . ق . م

(المنار) المراد بطعام أهل الكتاب الذي أحله الله لنا هو ما كان حلالا في
دينهم والميتة والدم ولحم الخنزير من المحرمات في التوراة ولم ينسخ المسيح تحريمها
وأما أكله النصارى بقول بولس الذي يدخل الفم لا ينجس الفم وإنما ينجسه ما يخرج
منه وهذا مباغلة منه في ذم الكلام القبيح . ونحن لا نقول بأن الخنزير يدخل في
عموم طعامهم فاذا خالفوا دينهم وأكلوه فأكلهم اياه لا يبيحه لنا . ولا ينافي هذا
قولنا ان الله تعالى أباح لنا طعامهم بلا شرط ولا قيد لان هذا بيان للآية ولا
شرط فيها ولا قيد . وقد صرح بعض علماء السلف من الصحابة وغيرهم أن
المراد بطعام أهل الكتاب في الآية ذبائحهم لأنها مظنة التحريم وغيرها حل
بمقتضى الأصل في الاشياء وهو الاباحة الا ما حرم بالنص علينا وعليهم وهو الميتة

المحرمة لعارض ولحم الخنزير المحرم لذاته . وهذا لا ينافي الاطلاق في العبارة ولا في بيانها كما قلنا اذ لم يعهد في أساليب لغة من اللغات عند بيان مسألة علمية أو حكم شرعي ان يذكر معها أو معه جميع ما تقرر في بيان مسألة أو حكم آخر . يمكن أن يكون له علاقة بالبين بتقييد أو تخصيص . مثال ذلك اذا قلنا : ان العسل نافع : فان هذا الاطلاق صحيح ولا حاجة لتقييده بقولنا : بشرط أن لا يكون آكله أو شارب محرورا وأن لا يسرف في الاكثار منه : واذا قلنا أن الشرب في آنية الزجاج حلال فلا حاجة في صحة القول الى تقييده بقولنا اذا كان الاناء طاهرا وغير منسوب : اذا تدبرتم هذا علمتم أنه اذا قال قائل : تستحب مجاملة أهل الكتاب أو برهم : فلا يجب عليه أن يقيّد ذلك بقوله : بشرط أن لا يشاركهم في عبادتهم وتعاليدهم الدينية ولا يرتكب معهم محرما كشرب الخمر : فان هذا لا يدخل في اطلاق القول فيحتاج الى اخراجه بالقيود ولا أقول أنه يدخل فيها وتعتبر في اخراجه القرائن المعلومة بالضرورة كما يتوهم الضعيف في اللغة

هذا واننا قد فصلنا القول في مسألة الذبائح وطعام أهل الكتاب في المجلد السادس واننا نرسله اليكم فطالعوه وان لاحت لكم شبهة فاكثروا اليانها

﴿ مسألة خلق أينما آدم ﴾

أجبتنا في الجزء الماضي عما انتقد به على رأي الدكتور محمد أفندي صديقي في مسألة خلق آدم ومذهب دارون التي جاءت في مقالات (الدين في نظر العقل الصحيح) ثم راجعنا ما كتب اليانا في ذلك فاذا بالشيخ قاسم محمد أبي غدير يذكر آية من الكتاب لم نذكرها في جوابنا وهي قوله تعالى « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » الآية وهي أقرب الى تأويله من غيرها لأنها تشبه خلق عيسى بخلق آدم وعيسى لم يخلق من التراب مباشرة والضمير في قوله خلقه يحتمل عوده اليه . ثم سأل عن الأحاديث التي تفيد خلق آدم من التراب مباشرة والجواب ان تلك الأحاديث رواية آحاد لا تفيد اليقين ، فان فرضنا أنه ثبت ما يناقض شيئا منها فاننا لانعده ناقضا للدين ، ولا تنس اننا نوّمن بأن آدم خلق من التراب كما ورد بلا تأويل ، وانما التأويل لا لإلزام المتعرض على الدين

أَنَّ عَمَّا لِيَبْرِيَّةَ

(انتقاد شواهد الطبعة الاولى من تفسير ابن جرير)

(تابع ص ٣٠ من الجزء الاول)

- (١١٠) متبدلاً تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب
ورد في الرابع ص ١٥١ وهو لدريد بن الصمة وكتب هكذا
* متبدلاً تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب
(١١١) أذاعه في الناس حتى كأنه بلياء نار أوقدت بثقوب
في الخامس ص ١٠٦ وكتب الشطر الثاني هكذا يطنأ نار أوقدت بثقوب*
(١١٢) قريب قراء ما ينال عدوه له نبطاً عند الهوان قطوب
في الخامس ص (١١٧) وكتب الشطر الثاني هكذا له نبطاً أبي الهوان قطوب*
(١١٣) وكنتم لاز خصمكم أعرء وقد سلكوك في أمر عصب
ورد في الثاني عشر ص ٤٧ وفي الرابع عشر ص ٧ وكتب في كليهما بدل
أعرء أعود بواو وبدل أمر يوم . وورد في الثامن عشر ص ١٢ وكتب
صحيحاً إلا في استبدال يوم بأمر
(١١٤) تريك سنة وجه غير مقرقة ملساء ليس بها خال ولا ندب
في الثالث عشر ص ١١٦ وقد كتب بدل خال حال بحاء مهملة وصوابه
نخاء مصححة

- (١١٥) وقفت على ربع لمية ناقي فما زلت أبكي نحوه وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أثبه تكلمني أحجاره وملاعبه
في الرابع عشر ص ١٤ وكتب الشطر الاول من البيت الثاني هكذا
* وأسقيه حتى كاد مما أثبه *
(١١٦) صداع وتوصيم العظام وقترة وغم مع الاشراف في الجوف لانت
في الثالث والعشرين ص ٢٥ وكتب الشطر الثاني هكذا

« وعي مع الاشواق في الجوف لاتب »

وقبل البيت: فان يك هذا من نبيذ شربه فاني من شرب النبيذ لاتب
(١١٧) قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا المئناج وشدوا فوقه الكربا
في السادس ص ٢٨ وكتب بدل المئناج القناج والمئناج للدلاء ماتعنج به
من جبل يجعل تحتها مشدودا الى العراقي يكون عوننا للوذم والكرب جبل يشد
على العراقي ثم يثنى ثم يثك

(١١٨) لذن بهز الكف يعمل منه فيه كاعسل الطريق الثعلب

في الثامن ص ٩٢ وكتب بدل بهز بهن وبدل فيه فيها
(١١٩) امرتك الخير فافعل ما امرت به فقد تركتك ذا مال وذا نسب
في التاسع ص ٤٨ وكتب بدل نسب بسين مهملة وصوابه بمجمدة
(١٢٠) ما ان رأيت ولا سمعت بمثله كاليوم طالي أنيق جرب

في السادس والعشرين ص ١١٣ وكتب هكذا

ما ان رأيت ولا سمعت به كاليوم طال أنيق حرب
(١٢١) وفي كل جي قد خبطت بنعمة فحق لشأس من نذاك ذنوب

في السابع والعشرين ص ٨ وكتب الشطر الاول هكذا

« وفي كل يوم قد خبطت بنعمة »

(١٢٢) كانوا كسائلة حقاء اذ حققت سلاءها في أديم غير مزبوب

في الاول ص ٤٧ وكتب بدل كسائلة كسائلة وبدل مزبوب مزبوب مع

ان فيها الشاهد

(١٢٣) فلست لانسي ولكن للأك تنزل من جو السماء بصوب

في موضحين في الاول ص ١١٣ وكتب هكذا

فلست بانسي ولكن ملاثكا تنزل من جو السماء بصوب

وفي الاول ص ١٥٢ وكتب الشطر الاول هكذا فلست بجني ولكن ملاثكا

وكتب في الثاني تحدر بدل تنزل ولعله رواية

(١٢٤) حتى اذا ملكوهم في قنائة شلا كما تطرد الجمالة الشرذا

في أربعة مواضع (١) في الاول ص ١٥ وكتب فيه قيافة بدل قتادة
ويطرد بدل تطرد (٢) في الرابع عشر ص ٧ وكتب هكذا

حتى اذا أسلكوهم في قتاده شلا ٧ كما تطرد الجمالة الشرذا
(٣) في الثامن عشر ص ٢١ وكتب هكذا

حتى اذا أسلكوهم في قتادة سلا كما تطرد الجمالة الشرذا
(٤) في الرابع والعشرين ص ٢٢ وكتب كالثالث الا انه بدل أسلكوهم سلكوهم
(١٢٥) اسود شري لاقت اسود خفية تساقوا على حرّ ذماء الاساود
في التاسع والعشرين ص ١٨ وكتب كرى بدل شري . وفساقوا بدل
ساقوا . وبدل خفية خنية

(١٢٦) لأرى الموت يسبق الموت شيء نقص الموت ذا الفنى والفقيرا
في الرابع عشر ص ٢٧ وكتب هكذا

لا أرى الموت ان الموت شيء بعض الموت الفنى والفقيرا
(١٢٧) كأن غديرهم بجنوب سلى نعام قاق في بلاد قفسار
في الرابع ص ٥٦ وكتب الشطر الاول هكذا * كأن غديرهم بجنوب سلى *
والغدير بالعين المهملة والذال المعجمة الصوت وهو يصف قوما منهزمين

(١٢٨) وشر المنايا ميت وسط أهله كهلك الفتى قد أسلم الحي حاضره
في الاول ص ١٠٧ وكتب الشطر الثاني هكذا * كهلك الفتاة استسلم الحي حاضره
(١٢٩) سألتاني الطلاق ان رأيتاني قلّ مالي قد جثماني بنكر

ويّ كأن من يكن له نسب يُحسب ومن يقتري عيش عيش
في العشرين ص ٧١ وفيه رأياني بدل رأيتاني وكتب في الثاني محب بدل
يُحسب وكأها في الشطر الاول والصواب ما كتبنا
(١٣٠) قد شربت الادّهية هينا قُلَيْصَات وأيكرنا *

ورد في الثلاثين ص ٥٦ وكتب هكذا

قد رويت الادّهية هينا قُلَيْصَاب وأيكرنا ٧
الادّهاه ماشية الابل صفراء وجمعه جمع سلامة وقليصات جمع سلامة لصغر

قلوص وايبكرينا صغر أبكرا جمع بكر ثم جمعه جمع سلامة
(١٣١) لعمري أيها لا تقول ظميتي الا فرغني مالك بن أبي كعب

ورد في الصفحة ٦٦ من الجزء السابع عشر وكتب هكذا
لعمري أيها لا تقول ظميتي الا فرغني مالك بن أبي كعب ٧
(١٣٢) الا لحا الله بني السملات عمرو بن يربوع شرار النات
ليسوا أعفَاء ولا أكيات

هكذا أنشدها صاحب اللسان في مادة ن و ت وقال انه يريد الناس واكياس

وورد هذا الرجز في الجزء الثامن ص ١٤٦ هكذا

الا لحا الله بني السملاب عمرو بن يربوع لئام الباب ليسوا بأعقاب ولا كتاب
(١٣٣) وصاليات للصلي صلي

ورد في الرابع ص ١٧٠ وكتب بدل وصاليات والصاليات وهو غلط كما
كتب الصلا بالالف للصلي والبيت من أرجوزة عجاجة ويريد بالصاليات
الاثافي وبالصلي الوقود

(١٣٤) محوذها وهو لها حوذني

من الأرجوزة السابقة وورد في الخامس ص ١٩٧ وكتب هكذا

محوذهن وله حوذني

ثم ذكر الطبري ان فيه رواية أخرى وقد كتبت بالشكل السابق تماما
من غير فرق

(١٣٥) وحاصن من حاصنات مُنس من الاذى ومن قراف الوقس

ورد في الخامس ص ٥ وكتب فيه بدل مُنس مُنس وبدل قراف فراق وهما من

أرجوزة للمعاج يمدح الوليد بن عبد الملك والقراف المدانة والوقس الجرب

(١٣٦) أخاف زبادا أن يكون عطاؤه أداهم سودا أو محمد درجة سمرا

في الرابع ص ٨٣ وكتب بدل أراهم دراهم وهو غلط والأداهم القيود

(١٣٧) الله يعلم انا في تَلَفْتَا يوم الفراق الى أعتابنا صور

في الثالث ص ٣٣ وقد كتب بدل تَلَفْتَا تَلَفْتَا وهو تحريف يخل بهوام البيت

وبدل أحبابنا جيراننا ولعلها رواية وما ذكرناه رواية اللسان في مادة صور
(١٣٨) صرت نظرة لوصادفت جـوز دارع غدا والواصي من دم الجوف تنغر

في الثالث ص ٣٤ وكتب بدل جوز جون وبـدل الجوف الجون وكلاهما تحريف
(١٣٩) ولم يستريشوك حتى رميت من فوق الرجال خصلا لا عشارا

في الرابع ص ١٤٧ وكتب بدل ولم يستريشوك: فلم يستريشوك: وهو تحريف
(١٤٠) فما ألوم البيض الا تسخرا لما رأين الشَّمَطَ القَفَنَدرا

في الاول ص ١٦ وكتب بدل رأين رأينا وهو تحريف ولحن
(١٤٠) ألكنى اليها عمرك الله يافى بآية ماجأت الينا مهاديا

ورد في موضعين الاول في الاول ص ٣٥ وكتب بدل الكنى اتكنى. الثاني

في الاول ص ١٥٢ وكتب صحيحا

(٢٤٢) يا ابن أخي ولو شهدتك اذ تدعو تيمما وأنت غير محباب

في التاسع ص ٤٣ وكتب بدل تدعو تيمما تدعوها وهو تحريف يخل
بالوزن والمبنى

(١٤٣) أنت المصطفى المذهب المحض في النسبة ان نص قومك النسب

ورد في الاول ص ٣٦٤ من آيات الكيت الاسدي وقد كتب هكذا

المصطفى المحض المذهب في النسبة ان نص قومك النسب

والشطر الاول يخل وصحته ما ذكرنا

(١٤٤) قالت قتيلة ماله قد جلات شياشواته

في التاسع والمشرين ص ٤٢ وكتب هكذا

قالت نبيلة ماله قد جلات شياشواته

(١٤٥) إني ومن أين أبك الطرب من حيث لا صبوة ولا ريب

في الثاني ص ٢٢٤ وكتب بدل أبك يأتبك والبيت مطام كلمة الكيت

التي منها البيت المذكور في الشاهد ٣

(١٤٦) ترى أرماعهم متقلديها اذا صدى الحديد على السكة

ورد في موضعين الاول في الاول ص ٥٨ وكتب بدل ارماعهم ارياقهم

والثاني في التاسع عشر ص ٣٥ وكتب بدل الحكمة الكتاب و بدل صدي صدا
 ١٤٧ اذا القنبضات السود طوفن بالضحى رقدن عليهن الحجال المسجف
 ورد في التاسع عشر ص ٣٥ وكتب بدل القنبضات القسمات و بدل رقدن
 وفدن وأعقب بعدد ٧ والقنبضة المرأة الدمية أو القصيرة والبيت للفرزدق
 من كلمته التي أولها

عزفت بأعشاش وما كدت تعرف وأنتكرت من حدراء ما كنت تعرف
 ويصف بيت الشاهد وما قبله وما يليه نساء المترفات اللاتي ينزل بهن
 ١٤٨ يقذفن كل مُعجل نشاج لم يكس جلا في دم أمشاج
 في التاسع والعشرين ص ١٠٩ وكتب هكذا

يطرحن كل معجل نشاج لم يك خلا في دم أمشاج
 والبيت من أرجوزة لرؤية ويصف النوق انهن اجهدن حتى قدفن بما في
 بطونهن والمعجل الذي لم تكمل مدة حمله والنشاج الذي ينشج والنشيج الشهب
 ١٤٩ كان بقايا الأثر فوق مثونه مدب الذي فوق النقا وهو سارح

ورد في موضعين الاول في الرابع عشر ص ٥١ وكتب هكذا
 كان بقايا الأثر فوق مثونه مدب الذي فوق النقا وهو سارح
 الثاني في التاسع والعشرين ص ٩٨ وكتب صحيحا الا انه وضع البناء موضع
 النقا وكتب الدبي بالالف (لها بقية) محمد الحضري

التقريظ

﴿ تاريخ القرآن والمصاحف ﴾

عني المسلمون بالقرآن المجيد عناية لم تمن بمثلها أمة بكتابها فحفظوه في الصدور
 والسطور من زمن تنزيله الى هذا اليوم وألفوا الكتب الكثيرة في ضبط كتابته
 وتلاوته فبينوا الرسم مبطله ومعجمه وغفله ومنقوطة وكيفية الأداء والتجويد والوقف
 والابتداء وعدد الآيات والكلمات والحروف كما بينوا المعنى والاعراب ونكت
 البلاغة وطرق الاستنباط. ولما كان المصحف المعظم قد وصل الى المتأخرين في أحسن

خط وأجل شكل حتى بين فيه مواضع الوقف المطلق والجائز والصالح والممتنع اكتفوا بذلك عن الرواية والمدارسة في رسم الحروف وتاريخ المصاحف ولم يعنوا في ألفاظه إلا بتجويداتها علما وعملا في الاكثر فأنقشوا مخارج الحروف وصفاتها من الإظهار والإخفاء والجهر والهمس والقلقلة والمد والقصر وغير ذلك . ثم قضت حاجة هذه الأيام بمراجعة ما كتب في تاريخ المصاحف فانتدب صاحبنا موسى أفندي جارا لله روستوفدوني الروسي الى تأليف كتاب في تاريخ المصاحف يصدره أجزاء صغيرة كلما أتم جزءا طبع ونشر . وقد طبع الجزء الأول في بطرسبرج في أوائل ربيع الأول من هذه السنة وأرسل إلينا نسخة منه وطلب منا انتقادها واتفق أن رأى النسخة في يدنا الأستاذ الامام رحمه الله تعالى قبل أن نقرأها فأحب أن يطلع عليها فأخذها وكان المرض قد اشتد عليه وشغلنا بمرضه ثم بموته عن البحث عنها في أوراقه وكتبه ثم أرسل إلينا نسخة أخرى سنقرظها في جزء آخر ان شاء الله تعالى

﴿ كتاب الخدمة المدرسية . في تسهيل قواعد العربية ﴾

كتاب في مبادي النحو والصرف لرجس أفندي الخوري المقدسي مدرس العربية في المدرسة الامريكية بطرابلس الشام قال في مقدمته انه أطال الفكر في كيفية التأليف المفيد للتعليم وكتب في مذكرة كل ما كان يخطر له في أثناء التدريس للتلاميذ والتلميذات من الاحداث موافقا لأذواقهم وجعل ذلك دعامة كتابه هذا ثم قال :

« فجمعت فيه من الصرف والنحو ما يسهل فهمه على التلميذ ويتمكن به من ضبط ألفاظه وكتابته ونسخته حسب أفكاره تنسيقا يرتاح اليه المتعلم مفضلا القليل المفهوم على الكثير المقداتباعا لرأي فلاسفة هذا العصر بشأن التعليم . وافتحت الفصول بيانات وذيلها بمارين موافقة لمتنص الحال وأدخلت الى اللغة نوعا جديدا من الاعراب سميته (الاعراب التصويري) اقتبسناه من الانكليزية » الخ ثم طلب من الاساتذة والكتبة انتقاد الكتاب ليعمل بما يرشدونه اليه في الطبعة الثانية . وقد أخرنا تقرير الكتاب لعلنا نجد وقتا لمطالمة وانتقاده فأعوزنا الوقت فلم نجد بد من ذكره والتنويه بما نؤخاه مؤلفه فيه توجيها للانظار اليه

{ مجلة الشتاء } مجلة أدبية علمية تاريخية فكاهية شعرية أنشأها في مصر سليم بك العنحوري الشاعر الدمشقي المصري الشهير وهي تصدر في فصل الشتاء ويحتجب في الصفة، وقيمة الاشتراك فيها أربعون قرشاً مصرياً في السنة التي هي الشتاء تدفع مقدماً . وقد صدر الجزء الأول منها في شهر يناير والثاني فيما يليه . وانك لتقرأ بعض ما جاء في الجزء الأول فاذا هو بمنزلة مزج الفكاهة والدعابة بالجد فتجلى لك روح هذا الشيخ الكبير ، بخفة الحزور الطرير ، حتى لا أكاد أفرق بين ما قرأته له اليوم وما كنت قرأته له وأنا تلميذ مبتدئ ، كان الأدب قد طبع روح هذا الرجل بطابع لم تقو عليه السنون ولم تؤثر فيه عواصف السياسة التي تغير الأوضاع ، وتبدل الطباع ، وانني اكتفي الآن بهذا التشويق الى مجلة الشتاء بالإشارة الى ما فيها من حرارة الشباب ولعلي أجده وقتاً آخر أتعديه مالم لي أجده فيها من برد الشتاء ولا أقول برد الشيخوخة لئلا أجمع بين الضدين وإن كان الجمع بينهما من محسنات البديع عند الشعراء فيشفع لي عند الرصيف القديم الجديد ، الذي اشتغل بالصحافة وأنا وليد ، على أن السوري لا يتقن برد الشتاء ، فإني ألا أن أعهد بذلك الى أحد المصريين الادباء

الشيخوخة والادب

{ مسألة تزوج الهندي بالشرقة في مستغافوره }

اختلف علينا القول في هذه المسألة التي استقينا فيها من قبل . وقد كتب لنا السيد حسن بن علوي بن شهاب أحد شرفاء الحضارمة المقيمين في مستغافوره حقيقة الواقعة فنحن ننشرها هنا (اذفاننا نشرها في باب الانتقاد على المنار) لئلا نكون مصريين على الخطأ بعد ظهور الصواب ، قال بعد رسوم الخطاب ، :

تكرر في المنار المنير ذكر مسألة تزوج هندي بشرقة بمستغافوره ولكن لم تكن المسألة كما قالوا بل كستها الاغراض أبواب اللبس والتدليس فأجبت أن أفيدكم بالواقع وما رآه كمن سمع واني أعقد ان المنار طالب للحق ولا تهمه الشخصيات ولذلك لم أكتب له فيما سبق حرفاً وليس لي الرأي في نشر ما كتبه وإغفاله

الهندي رجل نفي من الهند مؤبدا الى سنغافوره وليس له نسب يعرف ولكن يقال ان أباه معلم صبيان والشهود الذي قيل عنهم أنهم شهدوا له بالشرف لا صحة لما قيل في كثرتهم بل قال اثنان نسمع أنه سيد ولا يعرفون له ثلاثة آباء في الاسلام هذه هي حال الزوج المشهود له بالشرف . وأما المرأة فبنت لم تتجاوز خمس عشرة سنة من السادة العلويين الحضارمة المشهور نسبهم المدون في الأسفار بالتواتر عند أهله وفي آياتها المدد الجسم من العلماء والمصنفين وأهل الفضل والزهد والتقوى لا يمتري في ذلك أحد من الحضارمة

عجز الهندي عن اسمالة الشريعة فقصده رجلا من بني المطاس جملة العرب عريفاً لتسجيل المقود في المحكمة الانكليزية فتوصل به الهندي فتردد الى أم الشريعة حتى أقنعا وكان للشريعة أخوان أحدهما غائب والثاني حاضر الا أنه جاهل فراوده المطاس في تزويجها بالهندي فتأبى وامتنع وقد تم أمر المطاس مع الأم فلما لم يجد الاخ بدأ من تزويجها طلب من المطاس أن يتحقق من العلماء الموجودين من العرب عن نسب ذلك الرجل فأكد له وأقسم بأنه قد تحقق الأمر ولم تبق لديه شبهة ولا ريبه فدلاها بغير ور ولتمن المطاس أختا المرأة المقد في الساعة الحادية عشرة ليلا فمير الجميع أختاها ووبخوه حتى أنه بعد ذلك هرب مما أصابه من التعبير ثم ان أختا المرأة الغائب شككا من ذلك وتذمر فيما ذكر يتضح فساد النكاح على مذهب الشافعي كما لا يخفى على من له إلمام بالفقه والله على ما نقول شهيد وحسبنا الله وما شرخته ثبت بالتحقيق الذي أجرته الجمعية العربية وبشهادة الشهود واقرار أهل القصة فلا مزية في شيء منه البتة

أما ما قيل من اهانة بعض من حضر العلم الشريف وكتبه فأمر مبالغ فيه والواقع ان اثنين من طلبة العلم وجها كلاما قارصا الى رجل له شرف وسن وجاه لدي الجميع أراد المناضلة عن المطاس لأنه بكى اليه واستنصره ولبس عليه وكان ذلك الرجل ساذجاً ويرى ذينك الطالبين مثل أولاده فقصده ردعها عن تنقيفه لا استخفافاً بالعلم وأهله . وأما ما جاء في فتا السيد عمر بن سالم المطاس في بيان خطأ ابن عمه من أن إسقاط الكفاءة من الشريعة غير ممكن لأن شرفها ذاتي

فذلك مذهب لكثيرين من علماء حضرموت واليمن والحجاز وعدد منهم مجتهدون فلا غرو اذا خالفوا الشافعي أو هو وبقية الثلاثة ولا يلزم من المخالفة التحقير أو عدم الاتباع ويطول الشرح والقصد ايضاح الحق وتحقيقه جعلنا الله واياكم من الطالبين له المتقادين آمين
حسن علوي بن شهاب

﴿المنار﴾ قد كتب الينا غير هذا السيد أيضاً ممن تثق به ان الواقعة كما قال . أما الحق في الكفاءة بالنسب فهو ما يناله من قبل من أنها مسألة اجتهدية مدارها على التعبير فحيث كانت المرأة تعبر هي وأولياؤها بالرجل فهو غير كفؤ لها وما قاله العطاس في الشرف الذاتي لا يصلح دليلاً شرعياً . نعم ان مخالفته للشافعي أو لغيره لا يمد تحقيراً ومن قال ان الخلاف يستلزم التحقير فقد زعم ان الشاف وغيرهم من الاثمة والعلماء في كل زمان يحقر بعضهم بعضاً اذ لم يتفق اثنان منهم في كل مسألة والله أعلم

السيد علي البيلاوي - وفاته

السيد علي البيلاوي من شرفاء مصر وكبار علماء المالكية في الأزهر ولما جثا مصر كان نقيب الاشراف وشيخ المسجد الحسيني وكان يلازم هذا المسجد وقد عرفناه فيه وكناه في ابطال البدع التي يأتيها العوام عند القبر الحسيني وعمود الرخام الذي امام مقصورته وهو كما سبق لنا القول يتصنع به للتبرك والاستشفاء لأنه يسمى عمود السيد ، فقال ان هذه البدع قد استحسنت في نفوس المامة وصارت أرسخ العقائد فيها فلا يمكن نزعها الا بالتدريج البطيء ، واذا فاجأناهم بقولنا ان هذا ليس من الدين خشينا عليهم أن يشكوا في أصل الدين ويمرقوا منه . وقد ناقشناه يومئذ في رأيه بل ظننا انه لا يود ابطال شيء من تلك البدع وانما قال ما قال جديلاً ثم تبين لنا ان ظننا هذا كان على اطلاقه خطأ ولم نعرف حقيقة فضل الرجل بل لم يعرفه جمهور أهالي البلاد الا بعد ان صار شيخاً للأزهر

عين شيخاً للأزهر بعد عزل الشيخ سليم البشري في ٢ ذي الحجة سنة ١٣٢٠ وكانت ادارته قد وقفت حركتها فكان خير عون للإصلاح اذ اتفق مع الاستاذ الإمام في كل رأي ولم يخالفه الا فيما كان يسميه التدريج في التنفيذ وان كان بطيئاً وكان الاستاذ

الامام بفضل التعجيل بالتنفيذ اغتناماً للفرصة وخوفاً أن تفوت قبل آتمام العمل وكذلك كان . وقد قلنا في كلام عن الأزهر في أجزاء هذه السنة انه قد ظهر للحكام وغيرهم من حُسين ادارة هذا الرجل فوق ما كانوا يظنون . ومن أراد أن يعرف ما كان على عهده من حسن الادارة والنظام فليرجع الى كتاب (أعمال مجلس ادارة الأزهر)

وجملة القول إن الرجل كان في عقله وفضله وإدارته وأخلاقه وأدابه من خيرة علماء المسلمين في هذه الديار بل لا يفضل عليه ممن عرفناهم بعد الاستاذ الامام أحداً منهم . توفاه الله تعالى في مصر وقد ترك من الولد الصالح من يحكي ذكره في العلم ومكارم الاخلاق الثلاثة بالشرقاء فعري عنه ولديه النجيين السيد محمد المدرس في الأزهر وأمين دار الكتب المصرية (الكتبخانه) والسيد محمود داشيخ المسجد الحسيني وسائر الاهل والاقربين والعلماء والشرقاء ونسأل الله تعالى له الرحمة والرضوان

(خاتمة السنة الثامنة)

باسم الله وحده نختتم الجزء الأخير من هذه السنة كما بدأنا أول جزء منها باسمه وحده فهو الذي يذكر ويحمد في السراء والضراء ، وعلى الزرع والرخاء ، فان السراء من نعمه الظاهرة ، والضراء من نعمه الباطنة ، يربي بهما عباده فيتلي ما في قلوبهم ، ويمحص ما في صدورهم ، والله عليم بذات الصدور

منينا في هذه السنة بشيء من المصائب والنوائب نرجو ان نكون وفقنا معه للصبر ، وادّخر لنا عند الله فيه الأجر ، زيادة عما آتانا به من الثقة بوعده ، والتوكل عليه والرضى بقضائه وقدره ، والمبرة بشؤونه في خلقه ، والاعتماد بعد ذلك كله على ما وهب من القوى ، والتحقق بمقام « ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » ، فله الحمد على ما استأثر به وعلى ما أبقي ، والله الحمد على ما أخذ وعلى ما أعطى ، والله الشكر والثناء الحسن في الآخرة والاولى ،

قلنا في فاتحة السنة الماضية وخاتمها ان المنار قد دخل في سن التمييز نعم وقد ميزنا في هذه السن بين كثير المتشابهات كالخل الصادق ، والخب الماذق ، والتودد يتغني العرض ، والوديد لا لمة ولا لغرض ، والموافق في الاعتماد والشعور ، والمناقق اللابس ثوب الزور ، فنسأل الله كمال البصيرة ، وتتمام صفاء السريرة ،

أما قراء المنار فهم ينمون بنموه، يزيدون بزيادة سنتيه ولم ينقص من عددهم
 انتقاص أهل الاهواء، ولا خوض أهل الدهان والرياء، ولا نشكو
 الا من تقصير بعضهم في اداء قيمة الاشتراك ومعظم التقصير في هذا منا
 فاننا قلما نقاضي مشتركا أو نذكره بكتاب يرسل، أو وكيل يسأل، بل تركناهم الى
 أرحمتهم، ووكنا بهم غيرهم ومروءتهم، ومنهم من ينسى فيحتاج الى التذكير،
 ومن يكسل عن ارسال المبلغ في البريد فيغيره التسوية بالتأخير، ومنهم السابقون الى
 الاداء، والمقتصدون في الوفاء، وأما تنهض الأعمال بأمثال أولئك وهو لا، ويندر
 أن يكون في قراء المنار من يهضم حقه عمدا، ويقصد الى أكل قيمة الاشتراك قصدا،
 نعم ان أهل مصر قد اعتادوا أن يدفعوا قيمة الاشتراك في الصحف للوكلاء
 الذين يتقاضونهم وأهل أهل تونس مثلهم اذ لا يرسل القيمة اليها بغير طلب أكثر من
 عشرهم وجميع المشتركين في الشرق والغرب يرسلون اليها قيمة الاشتراك من غير
 طلب لا يبالغ منهم الا بعض أهل الهند وأفراد من أهل الجزائر وأهل المغرب
 الا قبضي وقد كنا عهدنا بوكالة المنار في تونس الى رجل اسمه علي زين فحصل ما شاء
 أن يحصل وأكله مع ثمن كتب كنا أرسلناها اليه. ثم وكنا رجلا من الادباء
 فتضاعف المشتركون في القطر التونسي بدعونه ولكنه كان يشكو من صعوبة التحصيل
 وقد كانت وكالته في السنة الخامسة ولم يرسل اليها بياناً بأسماء بعض من دفع القيمة
 الى محصله (أحمد أبي خطيويه) الا في أول هذه السنة كتب اليها أسماء من دفعوا
 الاشتراك في السنة الخامسة ومن مطلوا وعشرين مشتركا دفعوا في السادسة
 ووعد بارسال بيان أسماء بقية المشتركين الذين دفعوا فيها وفيما بعدها والذين مطلوا
 وقد انسلخت السنة ولم يرسل اليها شيئا

وقد كتبنا اليه منذ شهر ونصف كتابا أرسلناه في البريد مضمونا فلم يحز
 جوابا ولم يرجع الينا قولاً ولعل له عذرا ونحن نلوم قتلته في أدبه وفضله لا يقصر
 في حقوق الأدب عمدا واننا نعبر وكالته موقوفة حتى يأتينا منه ما نعرف به سبب
 ترك المكاتب والمحاسبة ونرجو من المشتركين في القطر التونسي أن يرسلوا اليها قيمة
 الاشتراك بعد وصول هذا الجزء اليهم حواله على البريد في القاهرة وسواء عاد

الوكيل في تونس الى التحصيل المنار أو وكلنا غيره لا يجوز لشرك أن يدفع الى أحد قيمة الاشتراك بمقتضى وصل من الوصولات المقدمة فانا سنطبع وصلات خاصة بتونس والبلاد التي حكمها حكمها في الاشتراك يذكر فيها المطلوب بالارقام والحروف هكذا

١٨ قط ثمانية عشر فرنكا لا غير

وتختم بختم ادارة المجلة وتذيل بتوقيعنا المعروف

﴿ شرط الاشتراك في السنة الثامنة ﴾

يرسل المنار في المقابل الى من كان يرسل اليهم عملا بالاستصحاب فكل من قبل الجزء الاول من السنة الثامنة نعتبه مع علمه بشرط الاشتراك الى آخر السنة فان لم يرخص فليرد اليها الجزء الاول لأن فقد جزء من أجزاء السنة كفقده جميع أجزائها فهذا عقد يمتد بين جميع المشتركين آية فبراهة عليهم ورضاهم به قبول الجزء الاول من السنة الثامنة فمن قبله وجبت لنا عليه قيمة الاشتراك كاملة وإن ردت بقيمة الأجزاء فان لم يرسل القيمة فهو غير موفق بما عاقد عليه

ثم ان ادارة المجلة لا تمسك جزءا ما عن أحد من المشتركين فمن طلب منها جزءا لم يصل اليه بعد موعده صدوره بمدة لا تزيد على شهر يرسل اليه حتما وإذا طلبه بعد شهر من موعده وصوله اليه ويجب عليه ارسال ثمنه وهو خمسة قروش مصرية اذا كان الطالب من القطر المصري وفرنك و ٧٥ سنتا اذا كان الطالب من قطر آخر وعند ذلك يرسل اليه ان وجد والا رد اليه ما أرسله

ويصدر المنار في السنة الثامنة في كل شهر عربي مرة عملا باقتراح كثير من القراء ولا ينقص من أمداده شيء فيسكون الجزء ٨٠ صفحة وبذلك يتيسر لنا أن نكسر في كل جزء من مواده في التفسير والمقالات والفتاوى والمسائل الطبية والأدوية والأخبار والآراء فهو زيادة في ثقلها وكثافتها في مسائله ومباحثه وقد رأى القراء اننا جددنا حروفه ونسأل الله تعالى أن يوفقنا في المستقبل خيرا ما وقفنا له في الماضي فهو الموفق والمعين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

في كلمة مع نخبة النصارى لقراءه المصطفين الاخيار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، هناكم الله بالعام المودع وجدد عليكم
نعمه في العام القابل . وبعد فان العارف بهذه الخدمة التي تستغرق أوقات منسوبة
المجلة لاسبابها في تمحيص الدلائل وتخرج الأحاديث لا ينسى ان أقل ما يجب
من مساعدتها أداء قيمة الاشتراك القليلة في أوقاتها وأكثره الدعوة الى المنار
والسمي في تكثير عدد قارئي . فتشكر الأفاضل الذين يدعون اليه والذين
سبقوا فدفروا قيمة الاشتراك من السنة التاسعة قبل دخولها والفضلاء الذين يدفعون
ما عليهم في أثناء السنة فلا تخم وفي ذمتهم شيء . ونذكركم منهم من أنستهم كثرة
أعمالهم إرسال قيمة الاشتراك أن يفضلوها بإرسالها على رأس السنة ولهم الشكر والتناء
الحسن وقد زادت النفقات علينا بسمة انتشار المجلة حتى أنها تبلغ في الشهر الواحد
بضعة آلاف فإذا كان الا كثرون لا يدفعون القيمة الا بعد انتهاء السنة فمن أين
نأتي بهذه النفقات لنا وللمال طول السنة وليس لنا عمل آخر

سنزيد النفقات في العام الجديد بزيادة عدد المستفيدين الذي دخننا اليه
شكوى كثير من المشتركين في هذه السنة من عدم المبادرة الى اجابة مطالبهم
حتى في إرسال وصلات الاشتراك وامل هذه الشكوى تزول في العام الجديد اذ
جعلنا للإدارة وكيلًا والمكتبة وكيلًا

ونرجو من مشركي المنار الكرام في القطار التونسي أن يرسلوا إلينا قيمة
الاشتراك حوالة على البريد أو أحد التجار في القاهرة ويعرفونا بما دفعوه عن
السنين السابقة لئلا نؤكل نوء كد الرجاء بذلك وان يصححوا لنا عناوينهم لنطبعا

سيصدر الجزء الاول من السنة التاسعة (وصفحاته ٨٥) في منتصف شهر
الحرم والثاني في أوائل صفر وذلك لما علينا من كثرة الاعمال في خاتمة هذه السنة
وبعد هذا يصدر كل جزء في غرة الشهر ان شاء الله تعالى